جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية
كلية اصول الدين

الجواب الصحيح

لابن تيمية

دراسة وتحقيق

حمدان بن محمد الحمدان

١

١٤٠٥/١٤٠٦هـ

المملكة العربية السعودية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية أصول الدين
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

الجواب الصحيح

لمن بدل دين المسيح

لشيخ الإسلام ابن تيمية - ٧٢٨ هـ

القسم الثالث والأخير

دراسة وتحقيق

جامعة الملك سعود
مكتبة فهد الرياس بالدرعية
كلية التربية بالرياض

بحث أعده لنيل درجة الدكتوراه :

الدارس : حمدان بن محمد بن أحمد الحمدان

بإشراف فضيلة الدكتور : عبد السلام محمد عبده
الأستاذ بجامعة الأزهر بالقاهرة

المجلد الأول

العام الجامعي ١٤٠٥ - ١٤٠٦ هـ

المملكة العربية السعودية
جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية
كلية أصول الديـــن
قسم العقيدة والمذاهب المعاصـــرة

الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيـــح

لشيخ الاسلام ابن تيميّـــة ـ ٧٢٨ هـ

(القسم الثالث والأخيـــر)

دراسة وتحقيـــق
بحث أعده لنيل درجة الدكتـــوراه

الدارس : حمدان بن محمد الحمدان

بإشـــراف

فضيلة د. عبدالسلام محمد عبـــده
أستاذ ورئيس قسم العقيدة والفلسفة بكلية البنات
بجامعة الأزهر بالقاهـــرة

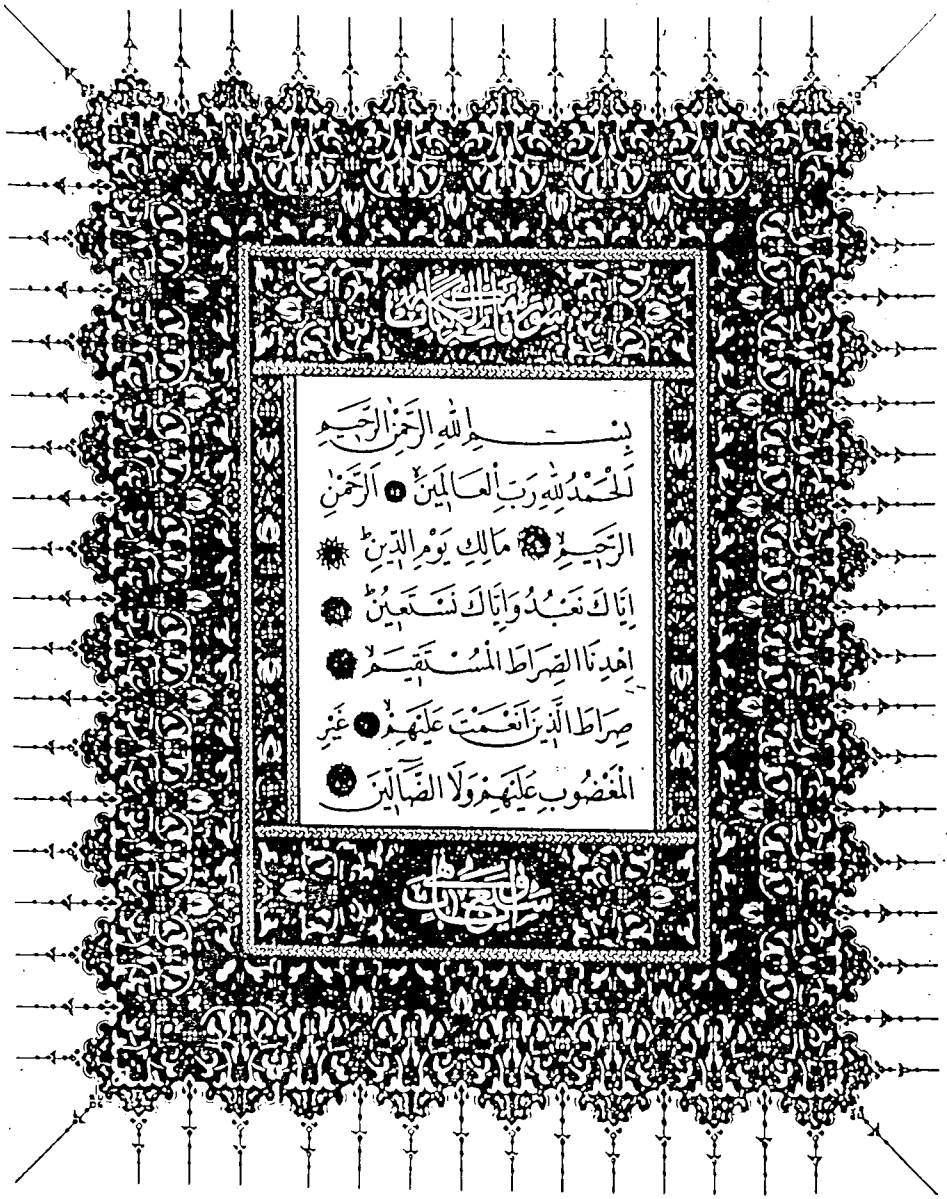
سورة الفاتحة مكية
بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين ۝ الرحمن
الرحيم ۝ مالك يوم الدين ۝
اياك نعبد واياك نستعين ۝
اهدنا الصراط المستقيم ۝
صراط الذين انعمت عليهم ۝ غير
المغضوب عليهم ولا الضالين ۝
سورة الفاتحة

المقـــــــدمـة

خـطـة الـدراســـــة والتحقيـــــــق

المقدمة

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب اليه ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لااله الا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

* يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ، ولاتموتن الا وأنتم مسلمون * (١) * يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيبا * * يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا * يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما * (٢) .

أما بعد :

فهذه قصة اختياري لهذا الموضوع :

لقد كانت دراستي الجامعية بكلية الشريعة بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية (الرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية - آنذاك) كانت دراستي تلك مابين عامي ١٣٩٢ هـ - ١٣٩٦ هـ ولم تكن مشاهداتنا اليومية تفرض علينا أي تفكير بشأن المذاهب ، فمابالك بالملل والنحل ، كما لم تكن المقررات الدراسية تحمل أي التفات لقضية العقائد والملل سوى الفرق الاسلامية القديمة (الجهمية ، المعتزلة ، الأشاعرة ... الخ) الا أنه بالرغم من ذلك كانت بعض الكتب والمجلات تحمل الينا الأخبار والدراسات والتقارير التي تؤكد عزم النصارى على اقتحام جزيرة المسلمين ومعقلهم الأول (الجزيرة العربية) اضافة الى الجهود التنصيرية المكثفة في أنحاء العالم الأسلامي وبالأخص في اندونيسيا وافريقيا . فكنا نحس بالمرارة والألم ، ونتوجس خيفة من

(*) سورة النساء : ١ .

(١) سورة آل عمران : ١٠٢ .

(٢) سورة الأحزاب : ٧٠ - ٧١ .

هذا الخطر الزاحف ، الا أننا كنا سريعا مانغمض أعيننا عن ذلك وننسـاه ، لأنه أمر غائب ليس بمشاهد و (ليس الخبر كالمعاينة) ، الا أنه بعد التخرج بدأت القفزة الحضارية القوية في بلادنا فصاحبتها بعض الأمور الجانبية والتي كان من أبرز مايستحوذ على الاهتمام هو كثرة الاخوة الوافدين ، الذين جاؤوا للمشاركة في بناء هذه الحضارة لكي يستفيدوا ويفيدوا ، وكان جانب كبير من هؤلاء من النصارى ، وقسم منهم من عرب لبنان ومصر وسوريا (١) ، وقد حلوا بيننا ضيوفا محترمين مكرمين ، فصاروا لنا جيرانا وزملاء وأصدقاء وعاملين ومدراء أعمال . فاستيقظت لدى الغيورين من ابناء هذه البلاد الغيرة على دينهم ، وعلى اخوانهم في الانسانية من جهتين رئيسيتين :

أولاهما : حماية عقيدة المسلمين في هذا البلد من أي خدش ، وتأثر .

وثانيهما : الرغبة في هداية هؤلاء الى دين الله الخاتم الناسخ الكامل . وانقاذهم من الموت على النصرانية ، وتحقق الوعيد بدخول النار ـ أعاذنا الله منها ـ .

وكان من أشد المؤسسات غيرة على هذا الدين وأمته ، وأمة دعوته هي هذه الجامعة العتيدة ، معقل العلم والعلماء ، فقامت بافتتاح كلية أصول الدين سنة ١٣٩٦ هـ وصار قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة أحد أقسامها الثلاثة ، ولما تقدمتُ الى الجامعة سنة ١٤٠٤ هـ ملتمسا قبولي في الدراسات العليا ـ مرحلة الدكتوراه ـ وجدت موضوعا ينتظر من يظفر به ، وهو القسم الثالث والأخير ، من الجواب الصحيح ، لشيخ الاسلام ، فحمدت الله ـ سبحانه ـ على تيسير هذا الأمر واغتبطت به ، نظرا للسبب الذي أسلفت وغيره (٢) .

---

(١) يذكر الزميل د. علي بن ناصر بأن له صديقا كاثوليكيا لبنانيا كان يتردد عليه وبعد فترة من هذه الصداقة هداه الله ـ تعالى ـ وانقذه ، ثم تعرض لامتحان شديد في دينه وقد خرج منه فائزا ناجحا ـ والحمد لله ـ وهذا الرجل هو الأخ :سمير بولس .

(٢) انظر ماذكره الزميل د. علي بن ناصر ، في أسباب اختياره هذا الموضوع ، الجواب الصحيح (رسالة دكتوراه) ج ١ ، م ١ ص : ٥ ـ ٦ .

هذا وانني أحمد الله ـ تعالى ـ وأشكره على ماتفضل وأنعم وهدى .

ثم أزجى الشكر والعرفان لشيخنا الفاضل د. عبد السلام محمد عبده ، المشرف على هذا البحث ، على رعايته واهتمامه ، وعلى دماثة خلقه ، وسعة حلمه ، وجميل صبره ، وعلى توجيهاته القيمة ، وآرائه الصائبة .

كما أشكر كلية أصول الدين ، ممثلة في عميدها فضيلة الشيخ عبد العزيز الرومي ، وفضيلة رئيس قسم العقيدة السابق الشيخ سالم الدخيل ورئيسه الحالي د. ناصر العقل .

أسأل الله العلي القدير أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه . ثم لما فيه خير أمتنا ومجتمعنا . آمين . وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه .

خطة الدراسة والتحقيق

القسم الأول ـ (الدراســـة) :

الفصل الأول : ترجمة موجزة للشيخ المؤلف :

- اسمه ونسبه .
- مولده ونشأته .
- شيوخه وتلامذته .
- آثارة العلمية .
- جهاده ومناقبه .
- وفاته ، وشيء من ثناء الناس عليه .

الفصل الثاني : (عصر الشـــيخ) :

- الحـال السياسية .
- الحـال الاجتماعية .
- الحـال العقلية والعلمية .

الفصل الثالث : (دراسة القسم الثالث من الكتاب) :

- نهج الشيخ في كتابة هذا القسم .
- عرض موجز لمحتويات الكتاب كله .
- عرض مفصل لمواد القسم الثالث .
- مصادره في هذا القسم .
- مآخذ ومقترحات .
- وصف النسخ المعتمدة في التحقيق ، والملحقة بها .
- لوحات مصورة لها .
- رموز مستخدمة في التحقيق .

القسم الثاني ـ (التحقيـق) :

الهدف من التحقيق هو خدمة النص الذي بقي بعد كاتبه ، وأهم شيء في هذه الخدمة هى سلامته من أي تشويه أو تحريف أو زيادة ـ ولو بحرف ـ أو نقصان ، لكي يكون أقرب مايمكن الى الصورة التي وضعه عليها مؤلفه . ثم تأتي بقية الأمور الحاجية و التحسينية ، ولذلك أتخذت الخطوات التالية :

١. أخذت أقدم النسخ وأجودها وأقْرَبَها الى زمن المؤلف ، واعتبرتها النسخة الأم ، فما اتفق معها من النسخ الأخرى فهو المطلوب ، واذا اختلفت عنها أثبتُّ مافي النسخة الأم ، وأشرتُ الى الفروق في الهامش ، الا اذا وجد مبرر قوى يرجح خلاف مافيها ، فانني أعكس هذه الطريقة ، وغالبا ما أذكر ذلك المبرر .واذا اتفقت النسخ على أمر بدا لي أنه خطأ ، لم أقع أسيرا لها وانما أصححه وأشير الى ذلك .

٢. اذا وجد سَقْطٌ من النسخة الأم وهو غير ضروري فانني لاأُضِيْفُه الى النص ولكني أُثْبِتُه في الهامش . أما اذا كان ضروريا ـ في نظري ـ أثْبِتُه في الصلب مع الاشارة ، وهكذا اذا حصل تقديم أو تأخير فانني أفعل به ماذكرت في الفقرة الأولى .

٣. قمت بترقيم الآيات الكريمة ، وذكر سورها ، والتأكد من صحتها بالرجوع الى المصحف الشريف ، فاذا وجدت خطأ في نص الآية صححته دون اشارة الى ذلك ـ كما جرى عرف المحققين على ذلك ـ دون زيادة أو نقص في النص المذكور .

٤. وأما الأحاديث فانني أخرجها من كتب السنة المعتمدة ، فان كان الحديث في الصحيحين خرجته منهما ، وان كان في أحدهما اكتفيت به ـ غالبا ـ وان لم يكن الحديث فيهما ولا في أحدهما حاولت تخريجه من أكثر من

مصدر ، والتمست حكما عليه من أحد الكتب المعتبرة في ذلك ، فان لم أجد رجعت الى اسناده وراجعت تراجم رجاله ، وذكرت نتيجة هذه المراجعة بقولي : رجاله ثقات ، أو اسناده جيد ، أو فيه فلان وهو كذا وبقية رجاله ثقات ... الخ .

وأما الآثار فقد حاولت عزوها الى مصادرها فان تيسر لي حكم عليه ذكرته ، والا سكت عنه .

٠٥ وقد رجعت الى كتب العهدين القديم والجديد لعزو مالدي من نصوصهما ، وقد كان هذا عسيرا في بعض الأحيان ، بسبب اختلاف الترجمة التي نقل منها شيخ الاسلام – آنذاك – عن الترجمة الحالية ، ولم أجد شيئا بلفظه ، فاذا كان النص قصيرا ذكرت المقابل له من الترجمة الحالية ، واذا كان طويلا أو فيه اختلاف كبير في المعنى اكتفيت بالاحالة على موضعه باسم السفر أو الأنجيل أو المزمور ثم بالاصحاح والفقرة (والتي يسمونها الآية) ثم برقم الصفحة في أي من العهدين ، من واقع الطبعة التي استعملتها .

٠٦ ثم قمت بالتأكد من أسماء الاعلام الوارد ذكرهم حيث وجدت تحريفات كثيرة في أسمائهم – ثم ترجمت لهم من المصادر الأصلية ، من مصدرين أو ثلاثة الا ماكان شهيرا أو صعب على تعديدها فاني اكتفى بمصدر واحد – وهو شيء نادر – .

٠٧ يرد في كلام الشيخ كثيرا الاحالة في موضع الى موضع آخر من الكتاب – نفسه – أو في كتاب آخر وقد حاولت أن أحدد هذه الاحالات .

٠٨ يمر في كلام الشيخ أو نقوله كلمات أو تراكيب فيها غرابة ، وقد تتبعتها بالتفسير والشرح من المصادر المتخصصة .

٠٩ ينقل الشيخ أقوالا لآخرين ، وقد اجتهدت في عزو هذه النقول الى مواضعها في كتب أهلها ، الا ماعسر ، كما أنني قد أشرت ـ كلما أمكن ـ الى مواطن الأحكام النحوية أو القراءات أو التفسيرات اللغوية التي يوردها الشيخ . وكذلك آراء أهل الملل والمذاهب والنحل .

٠١٠ هناك بعض المواضع التي رأيت أنه يحسن التعليق الموجز عليها ، ففعلت ، ولم أجنح الى الاكثار أو الاطالة خوفا من اثقال الهوامش .

٠١١ قمت بوضع عناوين جانبية ، في بداية كل فصل ، أو عندما يتطرق الشيخ الى موضوع مستقل ، ولو لم يكن في بداية فصل ، وذلك من اجل مساعدة القارىء وتيسير مطالعة الكتاب . وقد وضعت هذه العناوين الجانبية بين قوسين ، إشارة إلى أنها من وضع الباحث وليس من كلام الشيخ المؤلف ـ رحمه الله ـ تعالى ـ .

القسم الثالث ـ (الفهـــارس) :

من أهم مايفيد العمل العلمي هو وجود الفهارس والكشافات المتنوعـــة ، التي تأخذ بيد المطالع والقارىء للكتاب الى مايريد من المعلومات بأدنى جهـد وأقل وقت ، ولقد صنعت لهذا القسم الفهارس التالية :

٠١ فهرس الآيات القرآنية الكريمة .

٠٢ فهرس الأحاديث النبوية والآثار .

٠٣ فهرس النقول عن العهد القديم والجديد .

٠٤ فهرس الأعلام ، ولقد راعيت وضع قوسين على رقم صفحة العلم المترجم .

٠٥ فهرس الفرق .

٠٦ فهرس الأماكن والأمم والقبائل .

٠٧ فهرس الأشعار .

٠٨ فهرس الكلمات والجمل الغريبة .

٠٩ فهرس الكتب الواردة في صلب الكتاب .

١٠٠ فهرس المصادر والمراجع .

١١٠ فهرس الموضوعات .

القســـــم الأول

(الدراســـة)

الفصل الأول : (ترجمة موجزة للشيخ المؤلف) :

- اسمه ونسبه .
- مولده ونشأته .
- شيوخه وتلامذتـــــــــه .
- جهاده ومناقبـــــــــه .
- آثاره العلميـــــــــة .
- وفاته ، وشيء من ثناء الناس عليه .

اسمه ونسبه :

هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله ابن أبي القاسم ابن الخضر بن محمد بن تيمية الحراني ثم الدمشقي ، الامام الفقيه ، المجتهد المحدث ، الحافظ المفسر ، الأصولي الزاهد الناقد ، نادرة العصر ، ذو التصانيف والذكاء والحافظة المفرطة ، تقي الدين ، أبو العباس ، شيخ الاسلام وعلم الأعلام .

والده :هو العالم المفتى شهاب الدين عبد الحليم .

وجده : هو الامام شيخ الاسلام مجد الدين أبو البركات مؤلف كتاب (الأحكام) .

وتيمية : لقب جده الأعلى . أما سبب هذا اللقب فقد نقل ابن عبد الهادي عن ابن النجار قال : " ذكر لنا أن جده محمدا كانت أمه تسمى(تيمية) وكانت واعظة ، فنسب اليها ، وعرف بها "(١) قلت : وهذا أمر مألوف جدا ، وخاصة عندما تدعو الحاجة الى ذلك . من تشابه الأسماء وتشابك الأعلام ، فان الناس يكونون في أمس الحاجة الى ما يُقَرِّب الشخص الى أذهانهم فتتصوره بسرعة ، وتأمن من اختلاطه بغيره ، وأبرز شاهد على ذلك محمد ابن أمير المؤمنين على بن أبي طالب ، حيث يسمى : محمد بن الحنفية(٢) .

---

(١) العقود الدّرية ، في مناقب شيخ الاسلام ابن تيمية ص : ٢ للشيخ محمد ابن أحمد بن عبد الهادي ـ ٧٤٤ هـ.ت : محمد حامد الفقي ، مطبعة حجازي بالقاهرة ١٣٥٦ هـ = ١٩٣٨ م .

(٢) استمر الناس في بلادنا فترة طويلة على تداول أسماء معينة ، جعلت من الضروري وضع لقب ـ جيد أو رديء ـ للشخص ، حتى يمكن معرفته ، حيث يحصل كثيرا أن يتفق اثنان أو أكثر من عائلة واحدة في الاسم واسم الأب والجد وربما الثاني والثالث ، وقد أخذوا يتنبهون لهذا أخيرا .

أما أرومة الشيخ فهي عربية نُمَيرية ، كما نقل ذلك الشيخ زهير الشاويش عن شيخه محمد بن مانع ، قوله : .. انه عربي نميري ، وذلك مذكور في مصورة (شرح بديعة البيان) لابن ناصر الدين ، وبخطه عند ترجمة جده في الصفحة (٤١٠) وعند ترجمته في الصفحة (٤٢٤) (١) .

مولده ونشأته :

ولد - رحمه الله - بحران ، يوم الاثنين ، العاشر ، وقيل : الثاني عشر ، من شهر ربيع الأول سنة ٦٦١ هـ وبعد ست سنين اضطرت عائلته الى الرحيل عن حران، بسبب جور التتار، وكاد العدو ان يدركهم، لولا لطف الله بهم واستغاثتهم به - سبحانه - وقد كانوا يحملون كتبهم على عجله لعدم وجود الدواب (٢) ، ثم قدموا دمشق سنة ٦٦٧ هـ .

وقد نشأ في جو من الصفاء والطهارة والعفاف والتنسك ، وفي اقتصاد في الملبس والمأكل ، وكان يحضر المدارس والمحافل في صغره ، ويناظر ويفحم الكبار ويأتي بما يتحير معه أعيان البلد في العلم ، فأفتى وله ١٩ سنة أو أقل ، وبدأ في الكتابة والتأليف من ذلك الحين ، ثم مات والده ، وكان من كبار الحنابلة وأئمتهم ، فدرّس بعده بوظائفه وله ٢١ سنة ، واشتهر أمره وذاع صيته في العالم . ثم انتهت اليه الامامة في العلم والعمل ، والزهد والورع ، والشجاعة والكرم ، والتواضع والحلم ، والانابة والجلالة والمهابة ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وسائر أنواع الجهاد ، مع الصدق والعفة

---

(١) شرح حديث النزول ، ترجمة المؤلف لزهير الشاويش ص : ٦ هامش ١ ، ط ٣ ، المكتب الاسلامي ، دمشق ١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م .

(٢) لم يثنهم جو الرعب والخوف عن حمل الكتب على عربة تدفع باليد !

والصيانة ، وحسن القصد والاخلاص ، والابتهال الى الله وكثرة الخوف منه والمراقبة له ، وشدة التمسك بالأثر ، والدعاء الى الله وحسن الاخلاق ، ونفع الناس والاحسان اليهم ، والصبر على من آذاه ، والصفح عنه ، والدعاء له ، واجتمع له سائر أنواع الخير .

شيوخه وتلامذته :

سمع من الشيخ زين الدين أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسي .

وسمع من ابن أبي اليسر .

والكمال بن عبد .

والشيخ شمس الدين الحنبلي .

والقاضي شمس الدين بن عطاء الحنفي .

والشيخ جمال الدين بن الصيرفي .

ومجد الدين بن عساكر .

والنجيب بن المقداد .

وابن أبي الخير .

وابن علان .

وأبي بكر الهروى .

والكمال عبد الرحيم .

وفخر الدين بن البخاري .

وابن شيبان .

والشرف بن القواس .

وزينب بنت مكي .

وغيرهم كثير ، ينوفون على مائتي شيخ ، منهم ابن عبد القوي .

أما تلاميذه فمنهم :

محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية .

و محمد بن شاكر الكتبي .

و محمد بن أحمد الذهبي .

و محمد بن أحمد بن عبد الهادى .

و اسماعيل بن عمر بن كثير .

و عمر بن على البزار .

و أحمد بن الحسين بن عبد الله بن قدامة .

و سليمان بن عبد القوي الطوفي الصرصري البغدادي .

و عمر بن مظفر الوردي المصري الحلبي .

وعمر بن سعد الله الحراني .

ومحمد بن مفلح المقدسي .

و محمد بن المنجا التنوخي الدمشقي . وغيرهم .

جهاده ومناقبه :

العلم وراثة النبوة ، والنبوة وحي وعمل لانفاذ هذا الوحي وتطبيقه ، ولكن العلماء - أحيانا - يحس مَنْ حولهم بأنهم ملكوا العلم ، فمتى شاؤا سمحوا له بالتأثير في سلوكهم وسلوك غيرهم ، أو حجبوه وحبسوه داخل صدورهم وقراطيسهم ، فهؤلاء يزيد حظهم من ارث النبوة ويقل بمقدار استفادتهم وافادتهم من علمهم أو عدمها . وهناك قلة من العلماء الربانيين هم الذين ملكهم العلم فلم يُبقِ لهم من أهوائهم ورغباتهم شيئا ،فكانوا - بحق - وارثي نبوة ، وحملة رسالة ، وهذا ماينطبق على الشيخ المترجَم ،

حيث لم يترك طريقا ينفع أمة الاسلام الا سلكه ، ولم يدع ضررا واقعا تعاني منه ، أو محتملا يهددها ، الا وبذل قصارى جهده ، ونهاية قوته في مقاومته ودفعه ، فلقد نفع أمته بالعلم ، وفي مقدمته علوم الوحي حيث تفقه وتعلم واتقن ، ثم نفعها بالتعليم ونشر الفقه بمعناه الشامل بين المسلمين بل وغيرهم كما قال ابن الزملكاني : كان اذا سئل عن فن من العلم ظن الرائي والسامع انه لايعرف غير ذلك الفن ، وحكم أن أحدا لايعرف مثله ... " (١) .

ثم تصدى لأهل الضلال والانحراف من المسلمين وغيرهم ، فأخذ يكشف زيفهم ، ويرد باطلهم ويهتك استارهم ، ولايخاف في الله لومة لائم . بل انه لم يكتف بالقول والكتابة والمناظرة فحسب وانما حمل السلاح - بنفسه - لقتالهم ، ومقارعتهم بالسيف ، كما فعل مع الكسروانيين (النصيرية) وذلك في شمالى الشام .

وكان متواضعا للناس ، باذلا نفسه لهم ، لايزيده علمه الا تواضعا واستصغارا لنفسه ووقوفا الى جانب الضعفاء والمساكين ، من طلبة العلم ومن عامة المسلمين ، وكان قدوة لهم في علمه وعمله وجهاده .

يقول الذهبي : " وأطلق عبارات أحجم عنها الأولون والآخرون وهابوا ، وجسر - هو - عليها ، حتى قام عليه خلق من علماء مصر والشام قياما لامزيد عليه ، وبدعوه وناظروه وكابروه ، وهو ثابت لايداهن ولايحابي ،بل يقول الحق المر الذي أداه اليه اجتهاده ، وحدة ذهنه ، وسعة دائرته في السنن والأقوال ، مع ما اشتهر عنه من الورع ، وكمال الفكرة ، وسرعة الادراك ، والخوف من الله ، والتعظيم لحرمات الله ، فجرى بينه وبينهم حملات حربية ،

---

(١) العقود الدرية : ٠٧.

ووقائع شامية ومصرية ، وكم من نوبة رموه عن قوس واحدة فينجيه الله ".

ويعلل الذهبي سر قوته وسبب صموده وثباته بقوله : " فانه دائم الابتهال ، كثير الاستغاثة ، قوي التوكل ثابت الجأش ، له أوراد وأذكار يُدْمِنُها بكيفية وَجَعِيَّة[1] " .

ثم يذكر أن مقابل هؤلاء الذين ناصبوه وآذوه جمهور عريض من أنصاره ومحبيه فيقول : " وله من الطرف الآخر محبون من العلماء والصلحاء ، ومن الجند والأمراء ، ومن التجار والكبراء ، وسائر العامة تحبه ، لأنه منتصب لنفعهم ليلا ونهارا ،بلسانه وقلمه "[2] .

ثم ذكر جهاده بنفسه وعلمه ولسانه ، عندما واجه الملك (غازان) المغولي ، واجتمع به مرتين ، وكذلك مافعله مع (قتلوشاه) و (بيولاي) ، وأن (قبجق) كان يتعجب من جرأته على المغول .

ثم ذكر مافعله سنة ٧٠٠ هـ لما أراد التتار غزو دمشق،حيث انطلق من دمشق الى مصر في سبعة أيام على البريد،حيث اجتمع بالملك الناصر وأركان الدولة فاستصرخ بهم ، وحضهم على الجهاد ، وتلا عليهم الآيات والأحاديث ، وأخبرهم بما أعد الله للمجاهدين من الثواب ، فاستفاقوا وقويت هممهم . فكان ذلك من أهم الأسباب في حماية دمشق من افساد المغول ودمارهم ، حيث انتصر عليهم المسلمون وقهروهم في معركة (شقحب) سنة ٧٠٢ هـ[3] .

---

(١) أي أنه يكون في حالة حزن وتضرع وتذلل.

(٢) العقود الدرية : ١١٧– ١١٨ .

(٣) انظر رسالة الشيخ-يرحمه الله-في هذا الشأن والتي أوردها بطولها ابن عبد الهادى من ص : ١٢٠ – ١٧٥ ، من العقود الدرية .

آثاره العلميـــة :

لقد كان شيخ الاسلام ـ رحمه الله ـ غزير الانتاج وافر العطاء في شتـى صنوف المعرفة ، المتعلقة مباشرة أوغيرمباشرة بعلوم الوحي ، والتي كانـــت اما مؤلفات مستقلة ، أو دفاعا وحماية لعقيدة الاسلام وملته ، أو اجوبـة على مسائل تورد اليه .

وقد قُدرت أعماله الكاملة في التأليف من ثلاثمائة مجلد الى خمسمائـة مجلد ، وقد ذكر ابن شاكر كثيرا من هذه الكتب مرتبة حسب موضوعها ، مـن كتب التفسير الى كتب الأصول ، الى كتب اصول الفقه ثم الكتب الشتى في أنـواع شتى ، ومن المناسب هنا ان نورد ماذكره من كتب الأصول (أي العقيدة) حيث ذكر ابن شاكر :

١. الاعتراضات المصرية على الفتوى الحموية . اربع مجلدات .
٢. ما املاه في الجُبّ ، ردا على تأسيس التقديس .
٣. شرح أول المُحَصّل . مجلد .
٤. شرح بضع عشرة مسألة من الأربعين للفخرالرازي .
٥. درء تعارض العقل والنقل . اربع مجلدات .
٦. جواب ما أُورده كمال الدين ابن الشربيني،مجلد .
٧. الجواب الصحيح ، رد على النصارى ، ثلاث مجلدات .(١)
٨. منهاج الاستقامة .
٩. شرح عقيدة الاصفهاني . مجلد .
١٠. شرح اول كتاب الغزنوي في اصول الدين . مجلد .
١١. الرد على المنطق . مجلد .

---

(١) هكذا (ثلاث مجلدات) وهذا يؤيد ماذهبتُ اليه في وصف النسخ مـــن ان تقسيم الكتاب الى أربعة أجزاء كما في المطبوعة ليس له أصل ثابت . وهو يؤيد ايضا ـ مافعله قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بكلية اصول الديـن حيث اسند مهمة تحقيقه الينا نحن الثلاثة : على بن ناصر،وعبدالعزيزبـن عسكر، وحمـدان الحمـدان .

٠١٢ رد آخر لطيف .

٠١٣ الرد على الفلاسفة . اربع مجلدات .

٠١٤ قاعدة في القضايا الوهمية .

٠١٥ قاعدة في تناهي مالا يتناهى .

٠١٦ جواب الرسالة الصفدية .

٠١٧ جواب في نقض قول الفلاسفة : ان معجزات الانبياء ـ عليهم السلام ـ قوى نفسانية . مجلد كبير .

٠١٨ اثبات المعاد والرد على ابن سينا .

٠١٩ شرح رسالة ابن عبدوس في كلام الامام أحمد في الاصول .

٠٢٠ ثبوت النبوات عقلا ونقلا والمعجزات والكرامات . مجلدان .

٠٢١ قاعدة في الكليات . مجلد لطيف .

٠٢٢ الرسالة القبرصية .

٠٢٣ رسالة الى أهل طبرستان وجيلان في خلق الروح والنور .

٠٢٤ الرسالة البعلبكية .

٠٢٥ الرسالة الأزهرية .

٠٢٦ القادرية .

٠٢٧ البغدادية .

٠٢٨ أجوبة الشكل والنقط .

٠٢٩ ابطال الكلام النفساني (ابطله من نحو ثمانين وجها) .

٠٣٠ جواب من حلف بالطلاق الثلاث أن القرآن حرف وصوت .

٠٣١ اثبات الصفات والعلو والاستواء . مجلدان .

٠٣٢ المراكشية .

٠٣٣ صفات الكمال والضابط فيها .

٠٣٤ جواب في الاستواء ، وابطال تأويله بالاستيلاء .

٠٣٥ جواب من قال : لايمكن الجمع بين اثبات الصفات على ظاهرها مع نفي التشبيه .

٠٣٦ أجوبة كون العرش والسمٰوات كُرِّيَّة ، وسبب قصد القلوب جهة العلو .

٠٣٧ جواب كون الشيء في جهة العلو ، مع انه ليس بجوهر أو عرض معقول أو مستحيل .

٠٣٨ جواب هل الاستواء والنزول حقيقة ؟ وهل لازم المذهب ، مذهب سماه الاربلية .

٠٣٩ مسألة النزول ، واختلاف وقته باختلاف البلدان والمطالع . مجلد لطيف .

٠٤٠ شرح حديث النزول . مجلد كبير .

٠٤١ بيان حل اشكال ابن حزم الوارد على الحديث .

٠٤٢ قاعدة في قرب الرب من عابديه وداعيه . مجلد .

٠٤٣ الكلام على نقض المرشدة .

٠٤٤ المسائل الاسكندرية في الرد على الاتحادية والحلولية .

٠٤٥ ماتضمنه فصوص الحكم .

٠٤٦ جواب في لقاء الله .

٠٤٧ جواب رؤية النساء ربهم في الجنة .

٠٤٨ الرسالة المدنية في اثبات الصفات النقلية .

٠٤٩ الهلاوونية .

٠٥٠ جواب ورد على لسان ملك التتار . مجلد .

٠٥١ قواعد في اثبات القدر ، والرد على القدرية والجبرية . مجلد .

٠٥٢ رد على الروافض في الامامة : على (ابن مطهر) .

٠٥٣ جواب في حسن ارادة الله ـ تعالى ـ لخلق الخلق ، وانشاء الأنـــــام لعلة أم لغير علة ؟ .

٠٥٤ شرح حديث : "... فحج آدم موسى " .

٠٥٥ تنبيه الرجل الفاضل على تمويه المجادل . مجلد .

٠٥٦ تناسى الشدائد ، في اختلاف العقائد . مجلد .

٠٥٧ كتاب الايمان . مجلد .

٠٥٨ شرح حديث جبريل في حديث الايمان والاسلام . مجلد .

٠٥٩ عصمة الانبياء ـ عليهم السلام ـ فيما يبلغونه .

٠٦٠ مسألة في العقل والروح .

٠٦١ مسألة في المقربين : هل يسألهم منكر ونكير .

٠٦٢ مسألة : هل يعذب الجسد على الروح في القبر .

٠٦٣ الرد على أهل الكسروان ، مجلدان .

٠٦٤ في فضل أبي بكر وعمر ـ رضى الله عنهما ـ على غيرهما .

٠٦٥ قاعدة في فضل معاوية ، وفي فضل ابنه يزيد : لايسب .

٠٦٦ في تفضيل صالحي الناس على سائر الأجناس .

٠٦٧ مختصر في كفر النصيرية .

٠٦٨ في جواز قتال الرافضة (كراسة) .

٠٦٩ في بقاء الجنة والنار وفي فنائهما ، رد على السبكي .(١)

---

(١) فوات الوفيات ١ : ٧٦ ـ ٧٧ .

(١) ذكر زهير الشاويش ان في رسالة ابن القيم مايقرب من ثلاثمائة وخمسين كتابا ورسالة وقاعدة ، ثم ظهر أن لشيخ الاسلام كتبا ورسائل لم يرد لها ذكر في رسالة ابن القيم (مؤلفات شيخ الاسلام) انظر ترجمة شيخ الاسلام : ٢٨ هامش ١ ، لمحمد كرد على ، تعليق : زهير الشاويش .

(١) نقل المنجد عن الصفدي في كتابه المخطوط (أعيان العصر) قوله :"وَضَيَّع الزمان في رده على النصارى والرافضة ، ومن عاند الدين أو ناقضه ،ولو تصدى لشرح البخاري أو لتفسير القرآن العظيم لقلد أعناق أهل العلم بدر كلامه النظيم " . ويمكن أن يقال للصفدي : لعل عذر الشيخ في ذلك و اكرم به من عذر ، أنه كان رجل علم ودعوة وهداية ، ولم تكن الناحية العلمية (الأكاديمية) هي الغالبة ،اذا لفعل هذا وأكثر . انظر شيخ الاسلام للمنجد ، ص : ٤٩ .

وأخيرا هذا نموذج من رواية شيخ الاسلام للحديث :

قال الذهبي : " أخبرنا أحمد بن عبد الحليم الحافظ غير مرة ، ومحمد ابن أحمد بن عثمان ، وابن فرح ، وابن أبي الفتح وخلق ٠

قالوا : أنا (١) أحمد بن عبد الدائم ٠

أنا عبد المنعم بن كليب

(ح) (٢) وأنبأنا أحمد بن سلامة

عن ابن كليب

أنا علي بن بيان

أنا محمد بن محمد

أنا اسماعيل بن الصفار

ثنا (٣) الخصيب عرفة

ثنا خلف بن خليفة

عن حميد الأعرج

عن عبد الله بن الحارث

عن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال : قال لي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " انك لتنظر الى الطير في الجنة فتنتهبه (٤) ، فيخر بين يديك مشويا (٥) " ٠

---

(١) أنا : تعني عند المحدثين أخبرنا ، تدريب الراوي ٢ : ٨٧٠

(٢) هذا الرمز (ح) يستعمل في تحويل الاسناد ٠ المصدر السابق ٢ : ٨٨ ٠

(٣) ثنا : رمز لكلمة حدثنا ٠ المصدر السابق ٢ : ٨٧٠

(٤) هكذا (تنتهبه) من النهب وهو الغنيمة ، أو من الانتهاب : وهو أن يأخذها من شاء ٠ مختار : ٦٨١ ٠

(٥) تذكرة الحفاظ ٤ : ١٤٩٧ (١١٧٥) ٠

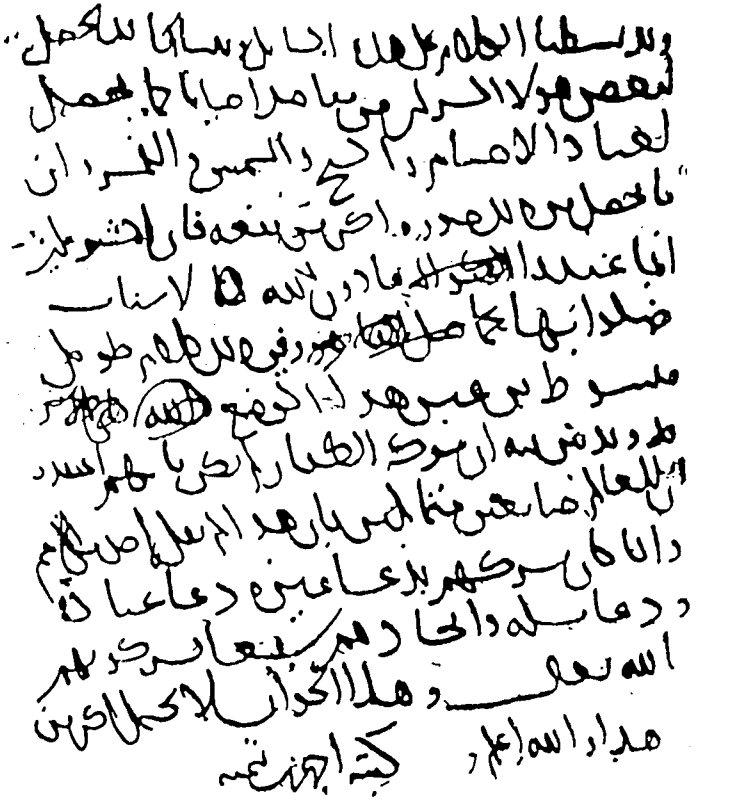

الصفحة الأخيرة من رسالة كلها بخط « ابن تيمية » محفوظة في مخلفات الشيخ عبد القادر المغربي ، في دمشق .

(نموذج من خط الشيخ المؤلف – رحمه الله – نقلا عن الأعلام للزركلي ١٤٣:١)

وفاته وشيء من ثناء الناس عليه :

نقل ابن كثير عن علم الدين البرزالي قوله في تاريخه : " وفي ليلة الاثنين ، العشرين من ذي القعدة (اي في سنة ثمان وعشرين وسبعمائة هجرية) توفي الشيخ ... أحمد ... ابن تيمية الحراني ثم الدمشقي ، بقلعة دمشق ، بالقاعة التي كان محبوسا بها ، وحضر جمع كثير الى القلعة ، وأذن لهم في الدخول عليه ، ... فلما فرغ من غسله أخرج ، ثم اجتمع الخلق بالقلعة والطريق الى الجامع ، وأمتلأالجامع - أيضا - وصحنه والكلاسة ، وباب البريد وباب الساعات الى باب اللبادين والغوارة ، وحضرت الجنازة الساعة الرابعة من النهار أو نحو ذلك ، ووضعت في الجامع ، والجند قداحتاطوا بها يحفظونها من الناس من شدة الزحام ، وصلى عليه اولا بالقلعة ، تقدم في الصلاة عليه أولا الشيخ محمد بن تمام ، ثم صلى عليه بالجامع الأموي عقيب صلاة الظهر ، وقد تضاعف اجتماع الناس ، على ماتقدم ذكره ، ثم تزايد الجمع الى أن ضاقت الرحاب والأزقة والاسواق بأهلها ومن فيها ، ثم حمل بعد أن صلى عليه على الرؤس والأصابع ، وخرج النعش به من باب البريد واشتد الزحام ، وعلت الاصوات بالبكاء والنحيب ، والترحم عليه والثناء ، والدعاء له ، والقى الناس على نعشه ، مناديلهم وعمائهم وثيابهم (١) . وذهبت النعال من أرجل الناس وقباقيبهم ، ومناديل وعمائم لايلتفتون اليها لشغلهم بالنظر الى الجنازة ، وصار النعش على الرؤس ، تارة يتقدم ، وتارة يتأخر ،

---

(١) الظاهر أن هذا العمل لأجل التبرك بملامسة المنديل أو العمامة أو الثوب للنعش ،وهذا أمر خاص برسول الله - صلى الله عليه وسلم - اعني التبرك بآثاره الطاهره ، أما غيره - عليه السلام - فلا ينبغي التبرك بشيء من ذلك منهم ، حيث انه مخالف لهدى الصحابة - رضى الله عنهم - حيث لم يؤثر عنهم انهم تبركوا بأحد غيره - عليه السلام - فلم يتبركوا بأبي بكر ولا بعمر ولاعثمان ولا علي ولا العباس ولاغيرهم ، ولو كان مشروعا لما أهملوه . راجع التوصل الى حقيقة التوسل المشروع والممنوع : ١٩٨ - ٣٤٢ لمحمد نسيب الرفاعي ، ط ٣ ، دار لبنان ، بيروت ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩م.

وتارة يقف حتى تمر الناس ، وخرج الناس من الجامع من أبوابه كلها ، وهي شديدة الزحام ، كل باب أشد زحمة من الآخر ، ثم خرج الناس من أبواب البلد جميعها من شدة الزحام فيها ... وعظم الأمر بسوق الخيل وتضاعف وكثر الناس ، ووضعت الجنازة هناك ، وتقدم للصلاة عليه أخوه (زين الدين ، عبد الرحمن) فلما قضيت الصلاة حمل الى مقبرة الصوفية ، فدفن الى جانب أخيه (شرف الدين ، عبد الله) ـ رحمهما الله ـ تعالى ـ وكان دفنه قبل العصر بيسير ... "(١) .

وقد قدر الذين حضروا جنازته بأنهم أكثر من خمسمائة الف (نصف مليون) وقيل : لم يسمع في جنازة بمثل هذا الجمع الا في جنازة الامام أحمد بن حنبل(٢) .

أما ثناء الناس عليه فأنني هنا اكتفي بأربعة من الأبيات التي قالها فيه أبو حيان ـ صاحب تفسير البحر المحيط ، رحمه الله ـ تعالى ـ عندما التقى به ، والتي قالها على البديهة ، وذكر ابن رجب قولهم(٣) : ان أبا حيان لم يقل أبياتا خيرا منها ولا أفضل :

---

(١) البداية والنهاية ٤ : ١٣٥ ـ ١٣٦ . وقد ذكر ابن كثير هنا نقلا عن البرزالي أنه لم يتخلف عن جنازة شيخ الاسلام سوى ثلاثة هم : ابن جملة ، والصدر ، والقفجاري ، وذلك خوفا على أنفسهم من الهلاك لمعرفة الناس بمعاداتهم له ـ رحمهم الله جميعا ـ .

(٢) الشهادة الزكية : ٦٦.

(٣) ذيل طبقات الحنابلة ٢ : ٣٩٢ لعبد الرحمن بن أحمد البغدادي الحنبلي ٧٩٥ هـ مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة ١٣٧٢ هـ .

لما أتانا تقي الدين لاح لنا ... داع الى الله فرد ماله وَزَر
علي محياه من سيما الأُلى صحبوا ... خير البرية نور دونه القمر
حَبْر تسربل منه دهره حِبَرا ... بَحْر تقاذف من أمواجه الدرر
قام ابن تيمية في نصر شرعتنا ... مقام سيد تَيْمٍ(١) اذ عصت مضر(٢)

هذا وان قبره معروف المكان ، الى يومنا هذا ، وبجواره صاحبه الحافظ المِزّي ، صاحب (تهذيب الكمال) وذلك في ساحة كلية الطب ، بجامعة دمشق داخل سياج من حديد يحيط بالقبرين ، وقد كتب اسم كل واحد منهما على شاخص قبره(٣) .

---

(١) سيد تيم : هو أبو بكر الصديق ـ رضى الله عنه وأرضاه ـ .

(٢) الأبيات من بحر البسيط ، من شعر أبي حيان : ٤٤٧ . ت : د. أحمد مطلوب وزميلته ، مطبعة العاني ، بغداد ١٣٨٦ هـ = ١٩٦٦م .

(٣) وقد ذكر محقق كتاب الشهادة الزكية ص : ٦٤ ، هامش ١ ، أن الشيخ مرعى أورد فصلا كبيرا في كتابه الكواكب الدرية (المخطوط) من : ٣٥ ـ ٤٩ أ وفيه أحد عشر قصيدة من القصائد الطوال ، وانظر ما أورده الشيخ ابن عبد الهادي من الأشعار والقصائد في رثاء الشيخ ، في كتابه العقود الدرية : ٣٧٣ ، ومابعدها .

(٣) انظر الكتاب الطريف : العلماء العزاب ص : ١٠٠ هامش ١ ، للشيخ عبدالفتاح أبي غدة ، ط ٢ ، مكتب المطبوعات الاسلامية ، حلب ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣م ، ولعل هذا من اكرام الله لهذين الرجلين ببقاء قبريهما محترمين معلومين بعد مايقارب الثمانية قرون ، مثلما أن قبر شيخ الاسلام مجدد القرن الثاني عشر أبي عبد الله محمد بن عبد الوهاب التميمي ـ ١٢٠٦ هـ موجود معروف مُزَار بمقبرة الدرعية . رحمه الله ـ ويستطيع من أراد زيارته أن يتعرف عليه عن طريق رئيس بلدية الدرعية الأخ : صالح بن حمد الناصر .

وقد ذكر ابن ناصر الدين الدمشقي في كتابه (الرد الوافر) سبعة وثمانين عالما أثنوا على شيخ الاسلام ، وأضفوا عليه الألقاب الفخمة ، ونعتوه بالأوصاف الجميلة ، والخلال الكريمة ، أولهم ابن سيد الناس (١) ،وآخرهم الرحبي (٢) ، وذلك مما سمعه من كلامهم ، أو نقل اليه ، أو وجده بخطوطهم .

كما أورد الشيخ مرعي الكرمي في كتابه (الشهادة الزكية ، في ثناء الأئمة على ابن تيمية) سبعة عشر عالما أثنوا على شيخ الاسلام ، وقدروه قدره ، آخرهم الشيخ قاسم بن قلطو بغا بن عبد الله . المصري الحنفي (٣) .

---

(١) ابن سيد الناس : هو محمد بن محمد بن محمد ، الشيخ الامام العالم الحافظ المحدث . فتح الدين اليعمري ، له كتاب : (عيون الأثر ، في فنون المغازي والشمائل والسير) توفى سنة ٧٣٤ هـ فوات الوفيات ٣ : ٢٨٧ – ٢٩٢ ، دار صادر ، بيروت .

(٢) هو ابو بكر بن قاسم بن أبي بكر الكناني ، الشيخ العالم المحدث ، زين الدين توفى سنة ٧٤٩ هـ ذيل تذكرة الحفاظ : ١٢٣ ، دار احياء التراث العربي ، بيروت .

(٣) الشيخ قاسم : هو الزين ، وربما لقب الشرف ، أبو العدل السودوني ، ولد سنة ٨٠٢ هـ بالقاهرة ، وأخذ الكثير من العلوم عن كثيرين واقبل على التأليف وأكثر منه ، له كتاب (شرح منظومة ابن الجزري) و (اتحاف الاحياء بمافات من تخريج الاحياء) ، مات سنة ٨٧٩ هـ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ٦ : ١٨٤ – ١٩٠ لمحمد السخاوي – ٩٠٢ هـ دار مكتبة الحياة ، بيروت .

(٣) يراجع في ترجمة شيخ الاسلام المصادر التالية :

١. العقود الدرية ، من مناقب شيخ الاسلام ابن تيمية ، لمحمد بن عبد الهادي – ٧٤٤ هـ .

.....

= ٠٢ البداية والنهاية لابن كثير ١٤ : ١٣٥ ومابعدها ٠

٠٣ الكواكب الدرية ، في مناقب المجتهد ابن تيمية ، لمرعي بن يوسف الحنبلي – ١٠٣٣ هـ طبع مع الرد الوافر في مصر سنة ١٣٢٩ هـ ، ومنه نسخة خطية في لاندبيرج برقم (٢٤٣) (١) ٠

٠٤ ذيل طبقات الحنابلة ٢ : ٣٨٧ – ٤٠٨ لعبد الرحمن بن أحمد الحنبلي – ٧٩٥ هـ ت : حامد الفقي ، مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة ١٣٧٢هـ

٠٥ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ١ : ١٥٤ – ١٧٠ لأحمد بن حجر العسقلاني – ٨٥٢ هـ ت : محمد جاد الحق ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ٠

٠٦ تاريخ ابن الوردي المسمى (تتمة المختصر في أخبار البشر) ٢ : ٤٠٦ – ٤١٣ المطبعة الحيدرية بالنجف ١٩٦٩م ٠

٠٧ الوافي بالوفيات ٧ : ١٥ – ٣٣ للصفدي ٠ نشر هلموت ريتر ، ط ٢ ، ١٣٨١ هـ ٠

٠٨ دول الاسلام للذهبي ٢ : ١٨٠ دائرة المعارف العثمانية بالهند ١٣٦٥ هـ ٠

٠٩ بيان زَغَل العلم والطلب للذهبي : ١٧ – ١٨ نشر القدسي ، دمشق ١٣٤٧ هـ ٠

٠١٠ النصيحة الذهبية ، بذيل بيان زغل العلم والطلب ٠

٠١١ ذيل العبر : ١٥٧ – ١٥٨ سلسلة التراث العربي ، الكويت ٠

٠١٢ تذكرة الحفاظ للذهبي ٤ : ١٤٩٦ ٠

٠١٣ معجم الشيوخ للذهبي ٠

٠١٤ فوات الوفيات لابن شاكر ٧ : ١٥ – ٣٣ ٠

---

(١) ذكر ذلك الاستاذ نجم عبد الرحمن خلف ، في فهرس مراجع تحقيقه لكتاب الشهادة الزكية : ١٠٢ ٠

.....

= ٠١٥ نهاية الأدب للنويري ٠

٠١٦ مسالك الأبصار في ممالك الامصار ، لأحمد بن فضل الله العمري ٠

٠١٧ القول الجلي في ترجمة الشيخ ابن تيمية الحنبلي ، لصفي الدين الحنفي البخاري ٠

٠١٨ السلوك للمقريزي ٢ : ٢٧٣ و ٣٠٤ ٠

٠١٩ مرآة الجنان لليافعي ٤ : ٢٧٧ – ٢٧٨ ٠

٠٢٠ أعيان العصر للصفدي(مخطوط) وهو موجود في (أمانة خزينة برقم ١٢١٤) بتركيا (١) ٠

٠٢١ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٩ : ٢٧١ لابن تغري بردي – ٨٧٤ هـ مصورة عن طبعة دار الكتب ،المؤسسة المصرية ، القاهرة

٠٢٢ محنة شيخ الاسلام : ٣ – ٣٣ ضمن مجموعة علمية لشيخ الاسلام نفسه – ت : حامد الفقي مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ١٣٧٢ هـ =١٩٥٣م٠

٠٢٣ الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية ، لعمر بن على البزار – ٤٧٩هـ ت : زهير الشاويش ، ط ٢ المكتب الاسلامي ، بيروت – دمشق ١٣٩٦ هـ ٠

٠٢٤ الأعلام العلية (طبعة أخرى) ت : الشيخ اسماعيل الأنصاري ،مطابع القصيم ١٣٩٠ هـ ٠

٠٢٥ الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية للشيخ مرعي الكرمي الحنبلي (مؤلف الكواكب الدرية) – ١٠٣٣ هـ ت : نجم عبد الرحمن خلف ، ط ٢ ، مؤسسة الرسالة ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥م ٠

٠٢٦ الرد الوافر ، على من زعم بأن من سمى ابن تيمية (شيخ الاسلام) كافر ، لمحمد بن أبي بكر بن ناصر الدين الدمشقي – ٨٤٢ هـ ت : زهير الشاويش ، ط ١ ، المكتب الاسلامي – بيروت – دمشق ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠م ٠

---

(١) ذكر ذلك المنجد في كتابه (شيخ الاسلام ٠٠٠) ص : ٥١ ، ط١ ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ٠

.....

= ٠٢٧ درة الاسلاك في دولة الاتراك (مخطوط)[1] .

٠٢٨ طبقات المفسرين : ٤٥ للداودي ـ ٩٤٥ هـ مكتبة وهبة ، القاهرة .

٠٢٩ شذرات الذهب ٦ : ٨٠ ـ ٨٢ .

٠٣٠ المنهل الصافي : ٣٣٦ لابن تغري بردي .

٠٣١ الدارس ١ : ٧٥ ـ ٧٧ للنعيمي .

٠٣٢ أسماء مؤلفات ابن تيمية لابن القيم .

٠٣٣ الزيارات للعدوي .

٠٣٤ البدر الطالع ١ : ٦٣ للشوكاني .

٠٣٥ طبقات الحفاظ : ٥٢٠ ـ ٥٢١ (١١٤٢) للسيوطي ـ ٩١١ هـ ، ط ١ ،دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣م .

٠٣٦ المعين في طبقات المحدثين : ٢٣٧ للذهبي ـ ٧٤٨ هـ ت : د . همام سعيد ، دار الفرقان ، ط ١ ، الاردن ، عمان ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤م .

٠٣٧ محنة شيخ الاسلام للذهبي .

٠٣٨ المنهج الأحمد للعليمي .

٠٣٩ كشف الظنون ، عن اسامي الكتب والفنون ١ : ١٣٥ .

٠٤٠ ايضاح المكنون ١ : ٢٣ ـ ٢٥ و ٢ : ٥٨ و ١٥٨٧ .

٠٤١ الحمية الاسلامية في مذهب ابن تيمية ، للشيخ يوسف بن محمد السرمري .

٠٤٢ جلاء العينين في محاكمة الأحمدين للسيد نعمان خير الدين الشهير بابن الالوسي البغدادي ـ ١٣١٧ هـ (ابن الألوسي المفسر صاحب روح المعاني) دار الكتب العلمية ، بيروت .

---

(١) وهو موجود بمكتبة أحمد الثالث باستانبول برقم ٠٣١١ وهو بخط مؤلفه : ابن حبيب . ذكره المنجد في كتابه (شيخ الاسلام ...) .

= ٠٤٣ البدر الطالع ١ : ٦٣ – ٧٣ للشوكاني ٠

٠٤٤ الاعلان بالتوبيخ ، لمن ذم التاريخ : ٤٧٨ – ٤٧٩ ٠ عبد الرحمن السخاوي – ٩٠٢ هـ مطبعة الترقي ، دمشق ، ١٣٤٩ هـ ٠

أما الكتب والرسائل المتأخرة التي ترجمت لشيخ الاسلام أو ضمت شيئا منها فأورد منها مايلي :

٠١ ابن تيمية : حياته وعصره ،آراؤه وفقهه لمحمد أبي زهرة – ١٤٠٠ هـ تقريبا ، ط ١ دار الفكر العربي ٠

٠٢ شيخ الاسلام ابن تيمية : سيرته وأخباره عند المؤرخين ٠ د٠ صلاح الدين المنجد ، ط ١ ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ٠

٠٣ حياة شيخ الاسلام ابن تيمية للشيخ محمد بهجت البيطار ، ط٢ ، المكتب الاسلامي ، دمشق ، بيروت ٠

٠٤ الامام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل ، لمحمد السيد الجليند ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ٠

٠٥ شيخ الاسلام ابن تيمية امام السيف والقلم ، لسعد صادق محمد ،دار اللواء بالرياض ، ط ١ ، ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠م ٠

٠٦ اشارات لطيفة لابن تيمية ، لمحمد العبدة ، ط ١ ، دار الثقافة للجميع ، دمشق ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠م ٠

٠٧ الأعلام للزركلي ١ : ١٤٤ ، ط ٥ ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٠م ٠

٠٨ العلماء العزاب : ٩٩ – ١١٢ ٠ لعبد الفتاح أبي غدة ، ط ٢ ، مكتب المطبوعات الاسلامية ، حلب – بيروت ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣م ٠

٠٩ معجم المؤلفين ١ : ٢٦١ دار احياء التراث العربي ، بيروت ٠

٠١٠ نوابغ الفكر الاسلامي ، لأنور الجندي : ٣٠٩ – ٣٥٦ ، ط ١ ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٩٧٢م ٠

٠١١ المجددون في الاسلام : ٢٦٢ – ٢٦٦ لعبد المتعال الصعيدي ٠

٠١٢ ابن تيمية ، د٠ محمد يوسف موسى ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، القاهرة ١٩٧٧م ٠

٠١٣ منادمة الماضي ، لأحمد رمزي ٠

.....

١٤. بيني وبين الشيخ حامد الفقي ، لأحمد محمد شاكر ، دار المعارف بمصر ١٣٧٤ هـ = ١٩٥٥م .

١٥. ابن تيمية بطل الاصلاح الديني ، لمحمود مهدي الاستانبولي ، دار الخياط للطباعة والنشر ، دمشق .

١٦. مقدمة د. محمد رشاد سالم لمنهاج السنة النبوية . طبع سنة ١٣٨٢ هـ .

١٧. الامام ابن تيمية ، لعبد السلام هاشم حافظ ، ط ١ ، شركة مصطفى الحلبي بمصر ، ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩م .(١)

١٨. ترجمة شيخ الاسلام لمحمد كرد علي ، ط ٢ ، المكتب الاسلامي دمشق ١٣٩١ هـ وهي مُسْتَلَّة من كتابه : كنوز الأجداد .

١٩. ابن تيمية وفكره السياسي لقمر الدين خان ، ترجمة وتعليق د . أحمد البغدادي ، ط ١ ، مكتبة الفلاح ، الكويت ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥م .

٢٠. ابن تيمية والتصوف د. مصطفى حلمي ، دار الدعوة ، الاسكندرية .

٢١. نظريات شيخ الاسلام ابن تيمية في السياسة والاجتماع ، للمستشرق الفرنسي هنري لاووست ، ترجمة محمدعبد العظيم علي ، تقديم وتعليق د. مصطفى حلمي ، دار الانصار ، القاهرة .

٢٢. ابن القيم من آثاره العلمية ، لأحمد البقري : ١١٥ – ١٥٨ مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧م .

٢٣. ابن تيمية ، لعبد العزيز المراغي ، دار احياء الكتب العربية .

---

(١) ذكر حافظ في كتابه هذا ص : ١٧٠ ، أن ابن خلكان ممن ترجم لابن تيمية وهو وَهْم من الكاتب ، حيث أن ابن خلكان قد توفي سنة ٦٨١ هـ أي أن ابن تيمية كان سِنّه آنذاك ٢٠ سنة فقط ، وليس عند ابن خلكان الا ترجمة محمد بن الخضر ، جد شيخ الاسلام الأعلى ، انظر وفيات الأعيان ٤ : ٣٨٦ – ٣٨٨ .

.....

٢٤. ابن تيمية السلفي ، لمحمد خليل هراس ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤م .

٢٥. ابن تيمية وجهوده في التفسير ، لابراهيم بركة ، ط ١ ، المكتب الاسلامي ، دمشق – بيروت ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٤م .

٢٦. ابن تيمية المفترى عليه ، لسليم الهلالي ، ط ١ ، المكتبة الاسلامية ، عمان ، ١٤٠٥ هـ .

٢٧. العقل ومجاله عند ابن تيمية ، لمحمد دكروري .

٢٨. الدولة عند ابن تيمية ، لمحمد المبارك .

٢٩. ابن تيمية : المصلح الاجتماعي ، لأحمد الغسيري .

٣٠. منطق ابن تيمية ومنهجه الفكري لمحمد حسني الزين .

٣١. النشأة العلمية عند ابن تيمية لهنري لاووست .

٣٢. معجم طبقات الحفاظ والمفسرين ... ،: ٥٣ و ٢١٢ . لعبد العزيزالسيروان ، ط ١ ، عالم الكتب ، بيروت ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤م .

٣٣. عقود الجوهر : ١٦٦ – ١٨٠ للعظم .

٣٤. ناحية من حياة شيخ الاسلام ابن تيمية ، لابراهيم الغياني .

٣٥. صلح الاخوان ، من أهل الايمان ، لداود النقشبندي . (١)

---

(١) لاأدعي أني قد اطلعت على كل ماذكرت ، من الكتب القديمة والمحدثة المذكورة هنا ، وما لم أطلع عليه التقطت اسمه من كتاب المنجد : ابن تيمية : سيرته وأخباره عند المؤرخين ، أو من قائمة مراجع ترجمة كحالة في معجم المؤلفين لشيخ الاسلام ، أو من كتاب عبد السلام حافظ : ابن تيمية . أو من نوابغ الفكر الاسلامي ، لأنور الجندي ، وهي محاولة احصائية .

(١) هذا وقد انتج أخيرا مسلسل تلفزيوني عربي باسم (ابن تيمية) وهو موجود في مكتبة التلفزيون السعودي بالرياض ، ولم تُتَحْ لي مشاهدته . وقد عرضت عمادة شؤون الطلاب بجامعة الامام مسرحية عن شيخ الاسلام بعنوان (البطل) وذلك خلال العام الجامعي ١٤٠٥هـ – ١٤٠٦هـ .

الفصل الثـــاني ـ (عصر الشـــيخ) :

- الحـال الســـيـاســـيـة .
- الحـال الاجتمـاعيـــــة .
- الحـال العقليـة والعلـميـة .

تمهيد (١) :

ان التعريف بعصر انسان (ما) ليهيء الفرصة لدى القارئ لتكوين صورة متكاملة في ذهنه عن هذا الانسان ، ويفسر له كثيرا من مواقفه وتفصيلات حياته ، والتي قد لاتصل أخبار منصوصة عنها ، هذا مع أن الانسان في الغالب هو جزء من المجتمع وعضو فيه ، فاما أن يكون متأثرا تابعا ، واما أن يكون سلبيا حائرا ، واما أن يكون مؤثرا فاعلا وربما كان متنقلا بين هذه الأحوال أو بعضها . ومن أهم مايؤثر في سلوك الناس واتجاهاتهم الوضع السياسي القائم ولهذا سنتناول أولا :

الحال السياسية في عصر الشيخ :

- كما هو معلوم - فان شيخ الاسلام قَدِم الى هذه الحياة سنة ٦٦١ هـ ، ورحل عنها سنة ٧٢٨ هـ ، ومعنى ذلك : أنه ولد بعد سقوط بغداد بخمس سنين فقط ، حيث كانت الأمة الاسلامية في أسوأ وضع سياسي يمر بها ، حيث قضى الغزاة المغول على الرمز الباقي لوحدة المسلمين ، والنواة التي هي أصل شجرتهم السياسية ولو أن هذا الرمز وهذه النواة قد كانت في أوقات كثيرة وخاصة في أيامها الأخيرة - لاوزن لها - في واقع الأمر - ولاقيمة ، ومن هول هذا الأمر - وهو خروج التتار على المسلمين - وشناعته تردد المؤرخ الجليل محمد بن الأثير - ٦٣٠ هـ (٢) في تدوينه حيث يقول : " ثم دخلت سنة سبع عشرة وستمائة : ذكر خروج التتر الى بلاد الاسلام : لقد بقيت عدة سنين

---

(١) التزمت الاختصار الشديد هنا ، نظرا للدراسات الكثيرة التي ظهرت ولاتزال تظهر حول شيخ الاسلام ، ولانه قد سبقني أخوان زميلان الى الحديث عن الموضوع ذاته .

(٢) ابن الاثير لم يشهد سقوط بغداد ، ونهاية الخلافة ، ولم يقع ذلك الا بعد موته بست وعشرين سنة . وانها - والله - لعبرة ، حيث أن التتر مع جبروتهم وهمجيتهم التي اشار اليها ابن الاثير لم يستطيعوا الوصول الى قلب الخلافة ويستأصلوه الا بعد ٣٩ سنة : ٦١٧ - ٦٥٦ هـ وبمعونة ابن العلقمي .

معرضا عن ذكر هذه الحادثة استعظاما لها ، كارها لذكرها ... فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الاسلام والمسلمين .. فياليت أمي لم تلدني ، ويا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا ...)(١).

وفي سنة ٦٥٨ هـ ملك هولاكو أكثر بلاد الشرق ، وصار يهدد الشام ومصر ، ثم أخذ دمشق ، ووصل الى غزة ، ثم خرج اليهم المسلمون بقيادة المظفر قطز في عين جالوت في شهر رمضان سنة ٦٥٨ هـ فاقتتلوا قتالا عظيما ، فنصر الله - تعالى - المسلمين ، وقتل امير المغول (كتبغانوين) وجماعة من بيته(٢) . وقد بقي منصب الخلافة شاغرا مدة ثلاث سنين ونصفا ، من قتل المستعصم سنة ٦٥٦ هـ الى مبايعة المستنصر سنة ٦٥٩ هـ ، وانتقلت الخلافة بذلك من العراق الى مصر ، بالاضافة الى كونها خلافة اسمية شكلية فقط ، حيث كانت بلاد المسلمين مبعثرة بأيدي حكام كثيرين ، ففي مكة أبو نمي بن أبي سعيد الحسن ، وعمه أدريس بن علي شريكه ، وفي المدينة جماز الحسيني ، وفي مصر والشام الظاهر بيبرس البندقداري وشريكه سنجر ، وشريكهما في حلب لاشين الجو نكداري ، وفي الكرك والشوبك عمر بن أيوب ... الخ(٣) .

هذا شيء من حال المسلمين مع التتار ومع شؤنهم السياسية ، وهنا امر آخر له تأثيره في حياتهم ، فقد كان للفرنج دور آخر - كذلك - وقد كانوا بدأوا غاراتهم على بلاد المسلمين منذ سنة ٤٩٠ هـ ، الا أنه بعد أحداث التتار ازداد طمع الفرنج بالمسلمين ، بالاضافة الى خيانة الفاطميين في مصر ، ودعوتهم للفرنج بتملك الشام كما يذكر ذلك ابن الأثير - رحمه الله - (٤) . وقد استمر عدوان الفرنج على بلاد المسلمين حتى غلبهم المسلمون وأخرجوهم من آخر مابأيديهم وهو(عكا) وماجاورها من السواحل(٥) .

---

(١) الكامل في التاريخ ٩ : ٣٢٩ .
(٢) البداية والنهاية ١٣ : ٢١٨ ومابعدها .
(٣) المصدر السابق ١٣ : ٢٢٩ - ٢٣٠ .
(٤) الكامل في التاريخ ٨ : ١٨٦ .
(٥) البداية والنهاية ١٣ : ٣١٩ .

ومما تقدم من اشارات يتضح لنا الحال السياسي للمسلمين في هذا العصر الذي يموج بالأحداث والحروب والتقلبات الكثيرة التي ـ بلا ريب ـ تؤثر ابلغ الأثر في نفوس الناس وعقولهم وشتى أمور حياتهم .

الحال الاجتماعية :

ان تلك الفترة من عمر الأمة الاسلامية كانت تعقب فترة قبلها تميزت بالجهاد والدعوة ، وكثرة النشاط والحركة ، والدأب على الفتوح ، واخضاع الشعوب لسلطان المسلمين ، مع ماكانت تصاحب ذلك من أمور سلبية ، كالصراع على السلطة بين بعض الجماعات ، وكالانشقاقات التي بدأت ثم تزايدت حتى تفتت الكيان الكبير الى مجموعات متناحرة ، وهنا وهناك تحول في الأهداف ، وتبدل في الاتجاهات وتغير في النفوس والميول .

اضف الى ذلك ما ابتليت به الأمة المسلمة من هجمات خارجية رهيبة ، كانت كفيلة بسحق هذه الأمة نهائيا ، لولا لطف ـ سبحانه ـ ثم قوة هذا الدين الذاتية ، التي فوقها قوة الله ـ سبحانه ـ .

وأهم الملامح الاجتماعية ـ آنذاك ـ مايلي :

١. تعدد العنصريات والاجناس البشرية في الامة الاسلامية من العرب ـ وأهل الجزيرة ـ ومن انْضَمّ اليهم من السَّبي ، ابّان عصر الفتوح وهم من أمم شتى . ومن الوان متعددة ، ومن المماليك الارقاء منذ العصور الجاهلية ، بجانب أهل البلاد المفتوحة وهم في الأصل خليط من قوميات كثيرة من أنباط وترك وديلم وفرس وهند ، حتى من المغول الذين جاؤا غزاة ثم استوطنوا ودخل كثير منهم في الاسلام .

وهذا التنوع في الأجناس لابأس به مادامت راية العقيدة والعدالة والقيادة الربانية هى التي تخفق على رؤس الجميع ، بل ان هذا يكون مدعاة لانصهار

الجميع في بوتقة واحدة (١) ، من التوجه الصادق نحو رضا الله - عز وجل - والدار الآخرة ورفعة الاسلام وأهله ، والسعي لانقاذ كل انسان في هذه الأرض من الضلال في الدنيا والنار في الآخرة : ﴿ يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله اتقاكم إن الله عليم خبير ﴾ (٢) . أما حين تضعف هذه الرابطة ، وتُعتم هذه الرؤية الخالصة للكون والحياة ، فان هذا التنوع ينقلب الى بركان مدمر ، لايهدأ حتى يثور ويحرق الاخضر واليابس ، وما أكثر مايروى التاريخ من تلك الحوادث والفتن (٣) .

٢. ونظرا لأن وحدة الأمة تحت قيادة واحدة ، وخاصة اذا كانت هذه القيادة نموذجا في حب الخير والصلاح ،والبعد عن الشر والفساد ، فان هذا يوجد لدى أفراد الأمة عامة قوة معنوية كبيرة ، وتجاوبا وجدانيا مع هذه الوحدة وهذه القيادة ، يتمثل ذلك في التعلق بمعالي الأمور ، من محبة الله ورسوله ، وطاعتهما ، والسعي لعمارة هذا الكون من أجل تعزيز هذه المحبة وهذه الطاعة ..واذا كان الأمر كذلك ، فان العكس صحيح - أيضا - فاذا حصل : فحينذاك تهبط الروح المعنوية لدى عامة الناس ، وتتعلق نفوسهم بسفاسف الامور وتوافه الأشياء كما ورد عنه - صلى الله عليه وسلم - : " يوشك الأمم أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة الى قصعتها " فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال : " بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ،

---

(١) يمكن الاستشهاد بحال الولايات المتحدة الأمريكية وسويسرا في هذه الأيام.

(٢) سورة الحجرات : ١٣ .

(٣) وهنا يستشهد بحال لبنان .

ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن " فقال قائل : يارسول الله ، وما الوهن ؟ قال : " حب الدنيا وكراهية الموت "[١] .

قال ابن الأثير : " وبلغني ان امرأة من التتر دخلت دارا وقتلت جماعة من أهلها ، وهم يظونها رجلا ، فوضعت السلاح ، واذا هي امرأة ،فقتلها رجل أخذته أسيرا "[٢] . هذا مثل من أمثلة كثيرة تصور ضعف همم الناس ، وانحطاط عزائمهم نتيجة للضياع والتفلت والاحباط المعنوي ، الذي أورثته الأوضاع السياسية .

ولهذا كثر في الناس التهالك على المتاع الزائل ، الذي أدناه الخوف والتهلع من نهاية الحياة لدى الفرد ، وغايته طلب السلطة والزعامة بأي ثمن وبأية وسيلة ، وبين هذا وذاك الوان من التعلق بشهوات النفس والخضوع لأهوائها ، مما يتمثل في فساد مالي أو اداري أو أخلاقي أو حتى اعتقادي .

٠٣ وكان أسوأ ماحل بالمجتمع الاسلامي ـ آنذاك ـ اختلاف الأهواء ، وتعدد الطوائف ، والتي كانت كلها أو أغلبها تدعى الاسلام ، وكان الفقهاء يطلقون على الجميع (أهل القبلة) ويمكن أن يلحق بأهل الأهواء والاعتقادات الضالة ، أهل التعصب للمذاهب الفقهية ، والذين كانوا يشتطون ـ أحيانا ـ في نصرة مسائل فرعية ، ويرتكبون في ذلك أمور محرمة ، وربما مجمع على تحريمها ، وماذلك الا للهوى والجهل وسكوت الكبار . أما أهل الملل ـ من يهود ونصارى وغيرهم ـ وكذلك أصحاب

---

(١) الحديث عن ثوبان ، كما في سلسلة الاحاديث الصحيحة ، المجلد الثاني ، ص ٦٨٣ (٩٥٨) .

(٢) الكامل في التاريخ ٩ : ٣٣٧ سنة ٦١٧ هـ .

الفرق والأهواء فكانوا نقمة على مجتمع المسلمين ، وقد كانت تقع بينهم من جهة ، أو بينهم وبين أهل السنة من جهة أخرى الكثير من الفتن والقلاقل ، وحسبنا في ذلك مافعله الوزير محمد بن العلقمي الرافضي من خيانة للمسلمين وللخليفة المستعصم بالله ، آخر خلفاء بني العباس بالعراق ـ رحمه الله ـ .

٤٠ ولم تكن حال المجتمع المسلم ـ آنذاك ـ مطبقة بالانحلال والفساد ، بل لقد بقيت البيوت الكثيرة من أهل الفضل والعلم ، وغالب أهل القرى والأرياف على حال جيدة من الصلاح والتمسك بالدين والخلق .

الحال العقلية والعلمية :

لقد كانت حركة التدوين والترجمة قد آتت ثمارها ، سواء منها الحلوة أو المرة فانتشرت العلوم والمدارس والكتب وأعمال التأليف ،وبلغت أوجها ، وذلك قبل الهجوم التتري والصليبي ، وقد اهتم الناس في بلاد الاسلام ـ سواء أكانوا بالمشرق أوبالمغرب ـ اهتموا بالعلم والتعليم ، والقراءة وجمع الكتب ، والتنافس في اقتنائها ، واثناء الحوادث الكبيرة ـ سواء من تفتت كيان الدولة ، أو غزو الأعداء الخارجيين ـ لها هبطت هذه الحركة العلمية ، وضعفت تلك الحياة العقلية ، وفقد الكثير من الانتاج العلمي اما بهلاك أهله وحملته ، أو فقدانهم لكتبهم واحتراق مكتباتهم ، أو تشردهم وهجرتهم ، أو انشغالهم بالفتن والصراعات .

وبعد أن هدأت حدة هذه الأمور عاد الناس ثانية الى الانشغال بالعلم ، والانكباب على التحصيل ،وصاحب ذلك مساندة من أكثر الولاة والأمراء ،بالاضافة الى ماكان يدفع الى ذلك من اسباب كثيرة في مقدمتها الشعور بأن العلم

– وعلى رأسه علوم الوحي – هو السبيل الى الخروج من المحن والمآزق التي تنـــزل عليهم ، وتأتيهم من كل صوب .

وقد اثمرت تلك الرجعة الحميدة الى العلوم والمعارف أعلاما كثيرين ، ومؤلفات موسوعية ضخمة ، ومصنفات في كثير من العلوم ، أمتلأت بها المكتبة الاسلامية ، وبقى الكثير منها – ان لم يكن أغلبها – الى أيامنا هذه ، نظرا لتأخر عهدها ، وكثرة طلاب العلم الذين تداولوها .

على أن الغالب على هذه المؤلفات هو الجمع والترتيب والانتقاء والاختيار، ولم يكن الابداع والابتكار سمة لها ، وماذاك الا لأسباب متعددة من أهمها : كثرة الموروث عن السابقين لهم من مواد علمية ، هي بحاجة الى الجمع والتنقيح أكثر من حاجة القوم الى تكلف الجديد (١) ، وأيضا – فلأن أكثر هذه العلوم التـــي جمعت ورتبت مما لايمكن الاستغناء عنها قبل الحاجة اليه مقدمة على كـــــل الحاجات ، كعلوم القرآن والحديث .ولأن أستيعاب هذه العلوم والتمكن منها هـــو أساس الانطلاق والتجديد ، فلابد من حفظها واحكامها ، قبل الانشغال بـــــأي علوم أخرى . وهذا مافعله شيخ الاسلام – رحمه الله – حيث استوعب علوم عصره ، ثم دلف الى ساحة الاجتهاد والتجديد ، بكل ثقة وعزيمة وحرية ، همه الوحيـــد مصلحة أمته وعزها ورفعه شأنها وسلامتها ، وقبل ذلك رضى الله – تعالى – وجنته .

---

(١) وهذا ماينطبق حاليا على قضية التحقيق والتأليف ،وكما قيل : تحقيـــق كتاب جيد واحد ، خير من تأليف عشرة كتب رديئة . فعلى طلبة العلـــم أن يحققوا كتب التراث جميعا ،ثم بعد ذلك يكون التأليف ، الا فيمـــا لابُدّ منه.

الفصل الثالث : (دراسة القسم الثالث من الكتاب)

- نهج الشيخ في كتابته لهذا القسم .
- عرض موجز لمحتويات الكتاب كله .
- عرض مفصل لمواد القسم الثالث .
- مصادره في هذا القسم .
- مآخذ ومقترحات .
- وصف النسخ المعتمدة في التحقيق ، والملحقة بها .
- لوحات لهذه النسخ .
- رموز مستخدمة في التحقيق .

تمهيـــد :

يقول الشيخ محمد أبو زهرة :" اختصت كتب ابن تيمية بصفات تجدها بارزة فيها ، حتى انك ان مارست قراءتها ، ثم قرأت كتابا له ، من غير أن تعرف نسبته اليه : تنسبه اليه ولاتكاد تخطيء ... "[1] . ثم ذكر ـ رحمه الله ـ أربعا من تلك الخصائص ، هي باختصار : الوضوح في الفكرة ، وكثرة الأدلة والشواهد من الآيات والأحاديث والاثار ، واشراق الأسلوب والتفكير العميق .

وهذا الذي ذكره أبو زهرة ينطبق تمام الأنطباق على هذا القسم الأخيـــر من الكتاب ، فهذا وغيره من القرائن الكثيرة مايحملنا على عدم الشك في كـون هذا القسم جزءا لايتجزأ من الكتاب[2] .

نهج الشيخ في كتابة هذا القسم :

سار الشيخ المؤلف منذ بداية الكتاب ـ كما هو الشان في جميع مصنفاته ـ رحمـه الله ـ على نهج واضح المعالم ، والتي من أبرزها في القسم الذي نحـــن بصدده مايلي :

١. ايراد أقوال الطرف الآخر على وجهها ، دون أي تصرف ، ووضعها بحروفها أمام المطالع للكتاب ، حتى تكتمل الصورة في ذهنه ، ولكي يكون حكمـــا ـ حسب عقله وعلمه ـ بين الطرفين . وهذا مايربي الجميع على التجـــرد للحقيقة ، والحياد التام في قبول الآراء وردها ، دون أي مخاتلـــــة

---

(١) ابن تيمية ، حياته وعصره : ٥٢١ ـ ٥٢٢ لأبي زهرة .

(٢) راجع ماكتبه الزميل : علي بن ناصر في هذا الشأن في رسالته (الجواب الصحيح) ج ١ ، م ١ ، ص : ٤٣ ـ ٤٥ وماكتبه الزميل : عبد العزيـــز العسكر في رسالته ـ (الجواب الصحيح) ـ أيضا ـ وانظر احالة الشيخ في الجواب الصحيح (ط المدني) ١ : ٣٨ .

أو مراوغة ، أو تملص من المجابهة المكشوفة بين الأفكار . كما أنه يعود على تحرى الدقة المتناهية في نقل أقوال الآخرين وأفكارهم وعدم المساس بها ، لابزيادة ولانقص ، بغض النظر عن موافقتهم أو مخالفتهم للناقل .

٢. أعتماد الأدلة العقلية والنقلية والمزاوجة بينها بطريقة لبقة فذة ، فلا اغراق في الحجج العقلية وأساليبها الفلسفية المعقدة الغامضة ، والتي لايصل اليها الا القلة من أهل هذا الفن ، وأصحاب ذلك الاختصاص ، وليس هذا راجعا لعدم قدرة الشيخ على تلك الأساليب ،بل هى رغبة عنها ، لقلة فائدتها لمن يوجه اليهم الحديث ، ولو كانوا من أهلها ، كما يؤثر عن أقطاب الفلاسفة والنظار المسلمين حيث صرحوا بعدم استفادتهم من المناهج الفلسفية التي أعجبوا بها ابان فترة التحصيل وطلب العلم ، ثم افنوا فيها أعمارهم ، ثم رجعوا آخيرا يجرون أذيال الحسرة (١) .

ثم أن الشيخ لايستهين بالأدلة العقلية ولايضرب عنها صفحا ، بل يعرج عليها بقدر ماتخدم الموضوع ، وتقنع السامع والمطالع .

وقبل ذلك فان الشيخ – رحمه – يُجِلّ الأدلة الشرعية النصية من الكتاب والسنة المحل الأرفع والمكان الأسمي في استشهاده واستدلاله ، فلها في نفسه أعظم منزلة وأبلغ اهتمام . ويعينه على ذلك حصيلة كبيرة من النصوص والآثار ، فالى جانب حفظه لكتاب الله ، وقيامه بحقه في التلاوة والتعبد ، كان اهتمامه بالسنة والأثر متونا وأسانيد ، وتمكنه من ذلك أيّما تمكن .

---

(١) انظر صون المنطق والكلام : ١٨٣ – ١٨٤ .

فالنصوص الكريمة من الكتاب والسنة تنساب على لسانه بشكل منقطع النظير ، فتجده يحشد في القضية الواحدة نصوصا كثيرة من الآيات القرآنية والأحاديث والآثار وكثيرا ما يورد تلك الأحاديث والآثار باسانيدها واسماء مخرجيها وعناوين كتبهم ، مع الجمع والمقارنة ، وايراد احكام المخرجين على ما أخرجوه ، أو يحكم عليها بنفسه اذا لم يجد لهم حكما عليها ، مع احاطة بطرقها ورواياتها اذا استدعى الأمر ذلك .

٣. لقد كان الشيخ يتمتع بصبر جميل ودأب وتحمل وطول نفس (١) ليس في ايراد حجج الطرف الآخر فحسب وانما في استقصاء جذورها وتتبع احتمالاتها ، ومن ثم الرجوع عليها بالمناقشة والكشف ، وبعد ذلك تزييف زائفها وتوجيه صوابها ، وعدم ترك أي ثغرة يحاول الخصم النفاذ منها . وهو يسلك في ذلك طريقة فنية مرتبة في التصنيف والتبويب وتعداد الطرق والأوجه وحصر الأنواع والتفريعات .

٤. يكثر الشيخ من الامثلة الواقعية البسيطة في معرض الاقناع وتثبيت الحجة .

٥. التّنزل مع الخصم والسير معه الى آخر الطريق ، دون ضجر أو ملل ، كانت سمة من سمات أسلوبه في هذا الكتاب ـ عامة ـ وفي هذا القسم خاصة .

٦. يكثر الشيخ من الاستشهاد بالأحداث التاريخية وسِيَر الماضين فيأخذ منها العبرة والدلالة والفائدة ، وهذه هى ثمرة الدراسات التاريخية .

٧. استفاد الشيخ من علم أصول الفقه في ايضاح الدلالات من النصوص والأحوال وبيان مسالك الاستدلال وقواعدها الموصلة الى اظهار الحجة وتقرير الأحكام والنتائج المحكمة .

---

(١) ليته ـ رحمه الله ـ استعمل ذلك مع الشيخ أبي حيان ، اذا لسلم أبو حيان من السقطة التي حصلت منه ـ بمناوأة الشيخ ، والوقوع في عرضه ـ رحمهما الله ، تعالى ـ وغفر لنا ولهما .

٠٨ التزم الشيخ بالعدل والانصاف في جميع أقواله ، فلم يسيطر عليه التعصب والغضب أبدا ، بل كان رائده طلب الحق ونصرته ، ولم يحدث أن اصطبغت أفكاره باي صبغة شخصية أو ذاتية . وبذلك امكنه تجنب أي اسفاف أو مهاترة لاتتفق مع أدب المناظرات وقواعد الجدل السليم .

٠٩ نقل كثيرا من النصوص المحترمه عند أهل الكتاب ، وعزاها الى مواضعها في كتابهم الاماندر واستنبط منها الادلة على مايريد بروح العالم الباحث المنصف المتزن .

٠١٠ ونظرا لخبرة الشيخ الطويلة بالناس وعقلياتهم فقد كان يحرص على توضيح الدقائق وتفسير المشكلات من الآراء وبسطها وتسهيلها حتى لايبقى لأى انسان حجة في عدم الفهم وقلة الادراك أو نعت كلامه بأي ابهام أو غموض ، وفي يقيني أن هذا الأسلوب المبسط كان ثقيلا على نفس شيخ الاسلام فقد كان من أذكى أذكياء العالم ، والذكي غالبا - يكره تلك الطريقة ويجنح الى الاشارات والاختصارات ، التي تناسب عقلية الذكي ولكن الشيخ باحتسابه ودعوته وجهاده يغلب مصلحة الدين والدعوة على هوى النفس ورغبة الفرد .

٠١١ مما يلاحظ ان اسلوب الشيخ كان يتسم بالجِدّة والاشراق ، فمع مضي هذه المدة المديدة على تصنيفه لهذا الكتاب ٧٢٠ - ١٤٠٦ هـ = ٦٨٦ سنة الا أن المطالع له يحس ان هذا الكتاب يخاطب حسه ووجدانه بأسلوبه السهل الممتنع ، وعباراته الواضحة ، وتراكيبه القوية ، تماما كما نجد في عبارات الصحابة والتابعين من أمثال الحسن البصري في قوله : "ياعمر إبن هبيرة ، ان تتق الله يعصمك من يزيد بن عبد الملك ، ولايعصمك يزيد بن عبد الملك من الله - عز وجل - ، ياعمر بن هبيرة ، لاتأمن أن ينظر الله اليك على اقبح ماتعمل في طاعة يزيد بن عبد الملك

نظرة مقت ، فيغلق بها باب المغفرة دونك ، ياعمر بن هبيرة ، لقد ادركت ناسا من صدر هذه الأمة كانوا – والله – على الدنيا وهى مقبلة أشد ادبارا من اقبالكم عليها وهى مدبرة "(١) وانظر الى الشيخ المؤلف وهو يقول : " واميره الكبير ابو عبيدة ، أزهد الخلق في ولايته الأموال ،واعبدهم للخالق ، وارحمهم للمخلوق وأبعدهم عن هوى النفس .."(٢)

---

(١) الحلية لابي نعيم ٢ : ١٤٩ – ١٥٠ ، ط ٣ ، دار الكتاب ١٤٠٠ هـ . بيروت مصورة عن ط الخانجي .

(٢) الجواب الصحيح ٤ : ١٢١ (ط المدني) .

عرض موجز لمواضيع الكتاب كله :

الكتاب كله في الأصل ـ كما هو مستفاد من اسمه ـ جواب رسالة من النصارى ، وهذه الرسالة تتضمن اثارة ست مسائل :

١. دعواهم أن محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعث الى الجاهليين من العرب فقط .

٢. وأنه أثنى على دينهم في القرآن .

٣. وأن النبوات السابقة تشهد لدينهم ـ الحالي-بالصواب .

٤. ادعاؤهم أن التثليث يدعمه العقل والنقل والأصول .

٥. تشبيههم للاقانيم عند النصارى بالصفات الربانية عند المسلمين وعلى هذا فهم (موحدون) في نظر أنفسهم .

٦. أدعاؤهم أن في شريعة موسى وعيسى مايغني عن القرآن .

وقد أخذ الشيخ المؤلف ينقض دعاواهم ، ويناقش رسالتهم فصلا فصلا ، وعبارة عبارة .

فبدأ بوحدة الدين في أصوله من عند الله ـ سبحانه ـ ، ثم ذكر حكم من فرّق بين الرسل ـ عليهم السلام ـ ثم ذكر ثلاثة من أسباب ظهور الدين والايمان وهى :

١. دعاوى المعارضين للحق . وضرب مثلا لذلك بسحرة فرعون وموسى .

٢. عدم قدرة المعارضين على معارضة آيات الأنبياء بالأقوى أو بالمثل ، وعدم قدرتهم على إبطالها .

٣. وقوع بعض هذه الأمة في بدع اليهود والنصارى . كالحلول والاتحاد .

وبعد ذلك أورد سبب تأليفه لكتاب (الجواب الصحيح) وأنه بسبب كتاب (ورد من قبرص ، فيه الاحتجاج لدين النصارى)[١] ، وأرجع الداعي الى عنايته بهذا الكتاب ، دون سواه ، لأن (ماذكروه في هذا الكتاب هو عمدتهم التي يعتمد عليها علماؤهم في مثل هذا الزمان ، وقبل هذا الزمان ... والنسخ بها موجودة قديمة)[٢] .

ثم انتقل الى بيان منهجه في المناقشه والرد ، وشدد على التمسك بالعلم والعدل ، وأورد حديث : " القضاة ثلاثة ... " .وبين اهمية القضاء في الاحوال والأعراض ، وأن القضاء في العقائد والأديان أهم من ذلك اضعافا مضاعفة .

وبعد هذا ذكر أن ضلال النصارى مركب من أمرين : من تبديل دين الرسول الأول ، وتكذيب الرسول الثاني . وأن اليهود والنصارى كل منهما يكفر الآخر ، وأن اعتراض النصارى على الاسلام انما هو لمجرد شبهات مثل : أن القرآن ليس بلسانهم ، وبناء على هذا الأمر قرروا - بدون نظر أو عقل - أنه خاص بالعرب . وبعد هذا أخذ الشيخ المؤلف في الرد عليهم ردا مبسوطا مفصلا أطال النفس فيه وقلبه من نواح متعددة الى أن بلغ مسألة هامة هى : الجمع بين الأمر بالجهاد والأمر بالمجادلة ، وقد بينها من تسعة أوجه .

وبعد ذلك تطرق الى قصص الذين آمنوا بالرسول - صلى الله عليه وسلم - قبل القوة والدولة ، وهم النجاشي ومن آمن معه من قومه ، وقد أورد قصة النجاشي بأكثر طرقها وألفاظها وتخريجاتها عند أهل السنن . ثم انتقل الى الروم وقتالهم مع الفرس وارسال الرسائل النبوية اليهم . والى المقوقس .

---

(١) الجواب الصحيح (ط المدني) ١ : ١٩ .

(٢) المصدر والموضع السابق .

ثم أخذه ـ صلى الله عليه وسلم ـ في غزو النصارى ، وبين بعد ذلك ما لأهل الذمة من أحكام اذا قبلوا الذمة والعهد .

ثم أورد الفتوح الاسلاميه لبلاد الفرس والمجوس ودعوتهم ـ قبل ذلك ـ وغاية الشيخ المؤلف ـ رحمه الله ـ هى حشد الأدلة على عدم خصوصية الرسالة بالعرب ، كما يدعى بعض النصارى . ثم عقد فصلين لبيان فارق رئيسي بين المسلمين والنصارى وهو تحريم البدع ومنعها في عقيدة الاسلام وشريعته ، وفَتْح باب البدع لدى النصارى على مصراعيه ، وبهذا يكون الشيخ قد أورد ثمانية أنواع من الأدلة على عموم رسالة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

ثم انتقل الى مايورده النصارى من شبهات على رسالة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كالقول بأن كلام الرسول متناقض ، وكشبهاتهم في معجزاته ـ صلى الله عليه وسلم ـ واحتجاجهم ببعض الآيات على خصوصية الرسالة ، أو أنه لم يبشر به ، أو استدلالهم ببعض ماجاء في الكتب السابقة على دعوى أن دينهم صحيح . ودعواهم ألوهية المسيح . ثم عاد الى شبهة خصوصية الرسالة بالعرب لكون القرآن جاء بلغتهم ودحضها ، وكشف مايوهم الخصوصية ، وناقش زعمهم بعصمة التلاميذ المترجمين للانجيل .ثم تكلم على شبهة الاستغناء عن الاسلام بما سبقه من الشرائع ، ومر بمزاعم الصلب والفداء فابطلها . ثم نبه الى اعتساف النصارى في تفسير بعض الآيات من القرآن ، وذكر ميزة التوسط عند المسلمين .

وجاء الى قضايا الصفات الالهية المقدسة واعتقادات النصارى الباطلة بشأنها فزيفها ونسفها ، ثم رد مزاعم كثيرة للنصارى بشأن معابدهم ،والكتب التي يظنونها مقدسة ، وتوصل الى قيام الحجة على كل من بلغته دعوة الرسل .

وقد عقد فصلا مهما جدا في بيان أسباب ضلال النصارى وأمثالهم من الفلاسفة ،ذكر فيه ثلاثة أسباب كبرى لذلك هى : الالفاظ المتشابهة المجملة المشكلة المنقولة عن الأنبياء ، واشياء من الخوارق التي يُظن أنها آيات وهى

أحوال شيطانية ، والاخبار المكذوبة ، التي يظن بعض الناس أنها صدق ، وقد فصل القول في ذلك ، ثم عالج قضية اثبات صدق رسول الله ، محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما جاء به اخوانه من الانبياء قبله ، ومعرفة أهل الكتاب ويقينهم به .

ثم عاد الشيخ وبين بطلان دعوى أن القرآن صدق كتبهم التي بين أيديهم ، مع ايضاح أوجه الحق في كلامهم انصافا وعدالة في قبول الحق وارشاد المجادل . ثم فصل القول في زعمهم تناقض ماجاء به الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع ماجاء به الأنبياء السابقون ، وتلا ذلك بفصل عرض فيه لقضية تبديل الفاظ التوراة والانجيل وانقطاع سندهما ، واثبات ذلك . ثم دعا ـ رحمه الله ـ تعالى ـ أهل الكتاب الى الحكم بما في كتبهم من نصوص لم تبدل ، ومن ضمن ذلك ماجاء عندهم من الادلة على نبوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ووجوب اتباعه .

ثم عاد الشيخ وعالج مسألة التبديل في الانجيل ومدى ثبوت نصوصه مقارنا بالقرآن الكريم ، وبين ماجَنَتْه الترجمة على الانجيل وانها وراء الكثير من التحريفات الحاصلة فيه . ثم عرج على التحريف في التوراة ، وذكر بعض مسبباته . ثم الانجيل وكيف حدث فيه التغيير ؟ .

وانتقل بعد ذلك الى مايحتجون به من آيات القرآن على بقائهم على نصرانيتهم ، مثل سورة (الكافرون) ووضح أوهامهم في فهم معاني تلك النصوص القرآنية الكريمة . ثم كتب فصلا في اثبات تبديل اهل الكتاب لنصوص كتابهم معتمدا في ذلك على نصوص من كتبهم ـ نفسها ـ وانهم يريدون ـ أيضا ـ أن يحرفوا نصوص القرآن بعد أن استطاعوا الحصول على نسخة منه .

وقد ذكر النصارى نقولا استدلوا بها على كفر اليهود ، فوقف الشيخ من ذلك الموقف الذي يعبق بالانصاف والوعي المستنير . واما دعواهم لأنفسهم بأنهم أفضل من اليهود فقد ناقشها بأن (... الكفر والفسوق والعصيان لم ينحصر في

ذنوب اليهود ، فان لم تعملوا مثل أعمالهم فلكم من الأقوال والأعمال مابعضه أصعب من كفر اليهود ، وان كنتم الين من اليهود وأقرب مودة ...)[1] . وقد بين وَسَطِيّة المسلمين بين مواقف اليهود والنصارى الاعتقادية والعلمية والاخلاقيه ... الخ وأن النصارى يتعمدون الاستدلال بالمتشابه من النصوص، ودعواهم أن القرآن مدحهم ، أو أن الكتب السماوية قد أيدت دينهم ،ورد ذلك بالنظر العقلي والنصوص الشرعية .

وقد أورد النصارى نصوصا من كتب العهدين من أجل تأييد طقوسهم وبدعهم، فاجاب عنها اجابات شافية وافية ، ثم عادونسف دعوى النصارى بأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - كان شاكا فيما جاء به اعتمادا على استدلالات خاطئة بنصوص صحيحة . مثل أدعاء النصارى أنهم هم المعنيون بقوله - تعالى - : ﴿ صراط الذين أنعمت عليهم ... ﴾ فناقش هذه المسألة مناقشة شاملة اثبت بها أن (أقوم الطرق واكملها الطريق الذي بعث الله بها نبيه محمدا - صلى الله عليه وسلم - كما قال - تعالى - : ﴿ ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ... ﴾[2] . وبعد هذا عقد فصلا كبيرا في بطلان التثليث ، وأَتْبعه بفصول كثيرة كل فصل منها يناقش جزئية وجانبا من جوانب الموضوع مثل : عدم حجية ماأدعوه من الأقانيم ، وبطلان دعوى تأييد القرآن لهم ومحاولتهم تحريف القرآن،ومعنى كلمة الله ، والصفات الجوهرية ، وهل تجرى مجرى الاسماء؟، وماقالوه في التثليث ، وماقالوه في (الأمانة) ،وماقالوه في التجسيم والحلول ، وما ادعوه من ظهوره - تعالى - في عيسى بن مريم ... الخ .

---

(١) الجواب الصحيح (ط المدني) ٢ : ٥٠ .

(٢) سورة الاسراء : ٩.

وعندما انتهى تقريبا من هذه القضية الشائكة ، بتفاصيلها الكثيرة ، عقد فصلا جديدا فيما يوافق فيه المسلمون النصارى ، كالاقرار بنبوة المسيح وأن من أهتدى به فقد سلم من الضلال ـ قبل النسخ والتبديل ـ والاعتراف بنبوة موسى ـ عليه السلام ـ كذلك .

هذا وقد كان النصارى أدعوا أن القرآن يشهد لماهم عليه من عقائد زائفة ونحل باطله ، فرد ذلك عليهم في فصل في عدم تناقض القرآن وان التناقض أنما أتى من قبلهم ، حيث قالوا باتحاد اللاهوت بالناسوت ، وأن هذا أمر مرفوض من تسعة عشر وجها ، ونتيجة ذلك (... أن تلك المقوله في غاية التناقض والفساد ، ولايعقل نظير هذا في شيء من الموجودات ، ونفس المتكلم بهذا من النصارى لايتصور مايقول ، ولايمكنه أن يمثله بشيء معقول)(١) .

وحول النصارى بلاهوت المسيح فقد اجابهم من خمسة أوجه ، ثم فسر بعد ذلك المراد بكلمة الله ـ تعالى ـ والمواد ـ أيضا ـ بالخلق المنسوب لعيسى ـ عليه السلام ـ وذلك من عشرة أوجه ، ثم عاد الى دعوى الطبيعتين لعيسى ، وناقش هذه المسألة مناقشة وافيه استغرقت شطرا كبيرا من الكتاب(٢) .

وقد اتبع ذلك بموضوع البشارات بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ في كتب العهدين : القديم والجديد ، مع التفسيرات الضرورية لعبارات ومقاصد تلك البشارات ، وقد أورد فيه قريبا من ثلاثين بشارة ، مدعما لها بما في الكتاب والسنة من شواهد تؤيدها .

وأخيرا توفر على موضوع الدلائل والأعلام النبوية ، فاستعرض أكثر أنواعها ونصوصها ، وطرق وصولها الينا ، وأوجه دلالتها على النبوة ،مستعينا في ذلك بالكثير من القواعد والأصول والأدوات العقلية والعلمية المناسبة لذلك .

---

(١) الجواب الصحيح (ط المدني) ٢ : ٢٧٨ .

(٢) وقد استغرقت من ص : ٣٠٧ من ج ٢ (ط المدني) الى ص : ٢٢٨ من الجزء الثالث ، أي مامجموعه : ٢٩٩ صفحة .

عرض مفصل لمحتويات القسم الثالث[١] :

يبدأ هذا القسم بفصل يعتبر آخر حلقة في سلسلة قضية التعدد والتثليث، التي حللها الشيخ المؤلف تحليلا دقيقا جدا ، واستعرض كافة جزئياتها .

وآخر هذه الأجزاء هو موضوع : الجوهر والعرض ، واطلاقهما ، واستخدامهما في مسائل الألوهية عند الفلاسفة وأهل الكتاب وعلماء المسلمين ، وعلاقتهما بالذات والصفات ... الخ .

فقد نقل الواسطة[٢] بين شيخ الاسلام وبين النصارى تسميتهم البارى - تعالى - بالجوهر ، فتولى الشيخ مناقشة هذه المسألة من سبعة وجوه : بين في الوجه الأول أن هذه التسمية من قبل النصارى هى أقل المآخذ خطورة في عقيدتهم ، وانها جاءتهم من قبل الفلاسفة ، والمسلمون منهم - أيضا - طائفة لايمنعون مثل هذا الاطلاق ، في جانب الرب - تعالى وتقدس - وأما اللغة العربية فليست هذه التسمية أصيلة فيها . وأما علاقة الصفات بهذا الاصطلاح فهو موضع اضطراب كثير سواء عند النصارى أو غيرهم . وهذه كانت شبهة لنفاة الصفات من المسلمين حيث زعموا أن الصفات جواهر .

وأما موقف الرسل - سلام الله عليهم - واتباعهم فان (... نفس اسم الله يتضمن ذاته - المقدسة - المتصفة بصفاته - سبحانه - وليست صفاته خارجة عن مسمى اسمه، ولا زائدة على مسمى اسمه...)[٣] وقد كشف الشيخ وَهْمَا يقع فيه أولئك ، وهو أنهم قدّروا ذاتا مجردة عن الصفات مع أن هذا

---

(١) وهو يبدأ من ص : ٢٠٢ (ط المدني) من قوله : فصل ... الخ . الى نهاية الجزء الثالث ، والجزء الرابع بتمامه .

(٢) رجحنا ان يكون الواسطة رجلا مسلما - كأن يكون أحد التجار من طلبة العلم - كما سيأتي في قسم التحقيق - بجانب الرسالة المعروفة برسالة (بولص الأنطاكي) .

(٣) الجواب الصحيح ٣ : ٣٠٧ (ط المدني) .

التقدير خيالي فقط ، ولايمكن أن يوجد في الواقع ، والمناقشة اذا لم تكن ذهنية عينية فانها تؤدي الى الشطط والضلال .

وفي الوجه الثاني بين عدم تصريح الرسل بهذه التسمية ، فكان ينبغي لهم ان كانوا متبعين للرسل ألا يخترعوا شيئا في عقيدتهم من تلقاء انفسهم .

وفي الوجه الثالث حديث مستفيض عن علاقة الجوهر والعرض بالنفس والروح والملائكة وخلق العالم وتدبيره ، وموقف الفلاسفة ـ الذي يستمد منه أولئك النصارى أشياء من العقائد ، وانهم لاينبغي أن تؤخذ العقائد ولاشيء منها من جهتهم ، فلم يكن في رسل الله ولا في اتباعهم من يعصمهم ولايستعين بكلامهم ، بل انهم متفقون على تجهيلهم وتضليلهم .

وعمدة هؤلاء النصارى والفلاسفة في اطلاق الجوهر هو زعمهم أن هناك نوعين من الجواهر : جوهرا لطيف ، وجوهرا كثيف . مع أنهم لم يثبتوا ذلك بالدليل ، ثم جزم الشيخ بأنهم لن يجدوا دليلا لو أرادوا ذلك .

وأما الوجه الرابع والخامس فقد ناقشهم في تمثيلهم بجوهر الضوء وأمثاله ، وأنه مثال محتمل لأكثر من معنى ، وكل معنى له حكم مستقل ، فلا حجة لهم فيه . ثم ناقشهم في قولهم : أن الجوهر اللطيف لايقبل عرضا " . فقد بين بطلانه من أوجه كثيره ، من ابرزها تناقضهم في وصف الضوء بالجوهر، مع أنهم قرروا أن العرض هو مايفتقر في وجوده الى غيره ، والضوء على هذا يقوم بالأرض والهواء فهو عرض في قاعدتهم التي قرروها وجوهر فيما صرحوا به ! وهذا مايظهر الخلل البين في عبارتهم القائلة : (ان الرب جوهر ثلاثة أقانيم ، والاقنوم : ذات وصفة) ،و ـ أيضا ـ في قولهم ان الرب جوهر .

وفي الوجه السادس أوضح ان جمهور أهل الأديان السماوية وغيرهم يثبتون الصفات لله ـ تعالى ـ ، واما الذين ينفونها فهم الملاحدة الجهميون ، ومن وافقهم من الفلاسفة وبعض اليهود والنصارى . وان النصارى في قولهم بالأقانيم

الثلاثة بجانب قولهم بالجوهر ، وبوصفه ـ تعالى ـ بالصفات الثبوتية وهي الحياة والنطق ، وقولهم : الموجود اما جوهر واما عرض " .فيلزمهم ـ بذلك ـ أن تكون صفات الباري ـ تعالى ـ أعراضا عندهم .

وفي الوجه السابع أوضح ـ كذلك ـ التناقض بين عباراتهم التي تقرر أن الموجود اما جوهر واما عرض ، وأن الجوهر هو القائم بذاته ، والعرض : هو القائم بغيره وبين اقرارهم بأنه ـ تعالى ـ موجود حى ناطق ، له حياة ونطق . لأن الحياة والنطق لايقومان بانفسهما بل بغيرهما . واخيرا تظهر ثمرة هذا البحث الدقيق في هذا الفصل عندما تطبق نتائجه على قضية الابن (المؤله) عندهم فان كان ـ في نظرهم ـ جوهرا فيكون هناك جوهر الأب ، وجوهر الابن ، وهذا يبطل قولهم : (انه اله واحد ، وانه أحدى الذات ، ثلاثي الصفات ، وانه واحد بالجوهر ثلاثة بالأقنوم ...) . وان قالوا بأنه عرض فقد صرحوا بأن الرب جوهر تقوم به الاعراض ،مع أنهم قد انكروا هذا في كلامهم ، وقالوا : هو جوهر لاتقوم به الاعراض " .

وقد أرجع هذا الخلط والغبش الاعتقادي الى هذا الاعتقاد المركب ـ عندهم ـ من النصوص المحكمة والمتشابهة ، ومن كلام الفلاسفة المشركين المعطلين . وهذا يمثل جانبا من الجهل الذي يخيم عليهم ، كجهل عامة علمائهم بالمنسوخ من غير المنسوخ من شريعة التوراة التي يزعمون العمل بها ، مع أن العمل بالشريعة يقتضي ـ بكل تأكيد ـ التمييز بين المثبت والمنسوخ قبل العمل به ـ فهذا جهل في الشريعة وذاك جهل في العقيدة .

وبعد هذا الفصل الذي ـ كما سبق ان قلت ـ آخر الفصول الكثيرة في مناقشة التثليث والتعدد . عقد بعده فصلا هاما وموسعا بشأن مقالة النصارى بعدم ضرورة وجود هذا الدين ـ الاسلام ـ وقد جاء هذا الفصل معالجا قطعة من كتاب النصارى ـ أهل قبرص ـ بما يقارب الصفحة ، فأجاب عنها من اثنى عشر وجها (١) : بين في الوجه الأول ضعف رأيهم وسقوطه بشأن تقسيم الشرائع الى

---

(١) واستغرقت من ص : ٢٢٩ ـ ٢٥٨ من الجواب الصحيح (ط المدني) .

شريعتين : شريعة عدل وشريعة فضل ، وصحح هذا الضعف بأن الشرائع ثلاث : شريعة عدل فقط ، وشريعة فضل فقط ، وشريعة تجمع العدل والفضل ، وهي الشريعة الكاملة ، واتخذ الشيخ المؤلف من سورة البقرة الأمثلة على مايقول . وفي الوجه الثاني أوضح وجوها من عدم الكمال في التوراة والأنجيل - بالنسبة للاسلام - ومع هذا فالنصارى لم يتبعوا لا التوراة ولا الانجيل بل احدثوا ووضعوا لهم شريعة خارجة عنهما يغلب عليها الطابع البشري التأليفي ،وان كان فيها شيء مما جاءت به الأنبياء ، وبهذا تحولوا الى مايشبه الوثنية كنصب الصور وتعظيمها ودعاء من صورت تلك التماثيل على صورته ، ودعاء الملائكة ودعاء الموتى من الأنبياء والصالحين ، وهذا مالم يرد قط عن أي نبي .

وفي الوجه الثالث قرر أنه لو افترض أن شريعة الكتابين كافية فانما يكون ذلك لوكانت محفوظة معمولا بها ، وهذا غير ماهو حاصل . ثم بين في الوجه الرابع غلبة الشدة على شريعة التوراة ، وغلبة اللين على شريعة الانجيل ، وأما شريعة القرآن فجاءت معتدله جامعة بين هذا وهذا ، وكذلك كان حال رسولها - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه . وختم الفصل بقول بعضهم : بعث موسى بالجلال ، وبعث عيسى بالجمال ، وبعث محمد بالكمال .

وهكذا استعرض جميع الأوجه الممكنة في مناقشة هذه الدعوى الى أن قوضها واقتلعها من جذورها .

ولما كان أهل الكتاب يوردون ادلة ينسبونها الى الأنبياء تحدث الشيخ بأن احتجاجهم بتلك المنقولات ليس لهم فيه حجة من خمسة أوجه : ففي هؤلاء من لم تثبت نبوته أو لم يثبت نسبة هذا الكلام المنقول اليه ،ولابد من التسليم بنبوة محمد قبل التسليم بنبوة غيره ،وأن المسلمين لايصدقون بنبوة موسى وعيسى الا مع اخبارهما بنبوة محمد ، وأن نبوته أكمل من نبوتهما ،وطرق معرفتها أتم واكثر .

ثم عقد بعد هذا فصلا اثبت فيه الفضل والكمال لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولشريعته وامته ، وأنه لايمكن أن يحتجوا بشيء من كلام محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أو غيره من الأنبياء مما يخالف دين المسلمين من دينهم ، لانه لايمكن أن يقوم على الباطل دليل صحيح ، وأما ماوقع على خلاف ماجاء به محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فهو اما منسوخ أو مما حرفوا معناه وتأويله وان كان المحرف بلفظه قليل ، وهذا التحريف واقع اما عمدا واما بسبب الترجمة أو في التفسير والشرح والتأويل ، ويمتنع قطعا أن يخبر نبي بشيء ويخبر محمد ـ عليه السلام ـ بنقيضه ، فحتى مانقل عن محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيه ما ليس بثابت لفظه ، أو أن دلالته التي يظنون فيها المناقضة لما جاء به الأنبياء دلالة ظنية .

أما الحجج العقلية التي يحتجون بها على هذه المخالفة فقد أجاب عنها الشيخ بثلاثة أجوبة منطقية الزامية ، وأما مايحتجون به من الحجج السمعية سواء كانت من كلامه أو من كلام غيره من الأنبياء فأجاب عنها اجابة مفصلة مطولة غنية بالشواهد والأمثلة والتفريعات .

فقد اثبت فضل أهل الملل على غيرهم ممن ليسوا أهل ملة (١) ، وأن أي شر فيهم فهوفي غيرهم أكثر .

وقرر أن الحاجات الانسانية تتوفر على قدر شدة الحاجة اليها ، وضرب مثالا على ذلك ، في الحاجة الى التنفس والماء والطعام ... والحاجة الى معرفة الخالق ثم معرفة صدق الرسل حاجتان عظيمتان فكانت دلائلهما كثيرة وفيرة . ثم معرفة صدق الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ تعرف ـ أيضا ـ من اعتبار

---

(١) يكفي شاهدا على ذلك تفوق الغرب على الشرق في هذه الأيام في كافة المجالات وخاصة التقنية والغذائية والعسكرية .

الشيء بنظرائه وموافقيه ، فيعرف بكماله وفضله من بين الأنبياء ، اذا كان الناظر ذا علم وعدل ، وضرب لذلك أمثله كثيرة منها انه يمتنع مع العلم والعدل أن يقال : ان القمر مستنير والشمس ليست مستنيرة .

وقد انتقل بعد ذلك الى قضية كبيرة هي قضية البشارات حيث أن من النصارى من يجحد بشارات النبوات بمحمد ويثبتها للمسيح فقط . وعلى هذا فقد قرروا أن من لم تبشر به النبوات فليس بنبي ، وقد ناقش هذه الفكرة ، وحللها ، واستدل بالأدلة الكثيرة العقلية والنقلية من القرآن والسنة والنصوص الكتابية والآثار المتعددة على اثبات بشارة الأنبياء والكتب السابقة بمحمد - صلى الله عليه وسلم - فقد سرد مجموعة من الحجج المنطقية القوية وحشدا كبيرا من النصوص الكتابية ، وشرحها وبين اتفاقها مع واقع الرسول - صلى الله عليه وسلم - وواقع الاسلام ،

فقد أورد بشارات من العهد القديم ، من مزامير داود ومن نبوة أشعيا ومن نبوة دانيال ، ثم من العهد الجديد ، من انجيل يوحنا ، ومن انجيل متى، ومن كلام مرقس ومن كلام المسيح - عليه السلام - ، ثم أخذ في شرح عبارات مختارة من هذه النقول ، ثم أردف ذلك بنصوص وأمثلة من أخبار القرآن الكريم الغيبية ، واستحالة معرفة غير رسول بها ، وامتناع حصوله عليها من مصدر غير اخبار الله - سبحانه - وذلك من خمسة أوجه . وقد مر في اثناء ذلك بما يزعمه الفلاسفة بشأن النبوة فدحضه وابطله ،وكذلك بمزاعم المشركين حيال النبوة - ايضا - فردها ردا منطقيا ونقليا .

ثم أنشأ فصلا واسعا اثبت فيه اعتراف المشركين وأهل الكتاب في قرارة نفوسهم بنبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - ، وأن أنكروها أو انكرها بعضهم بلسانه .بالاضافة الى الادلة الواقعية الكثيرة التي تؤيد ذلك .

ثم انتقل الى الحديث المباشر عن آيات النبوة ودلائلها بحديث شامل ، ودراسة عامة ، في فصول متتابعة ، بين في أولها وضوح دلائل النبوة وتنوعها وكثرتها ، ثم تناول تسمية الدلائل بالمعجزات ، وكذلك الكرامات وعالجها وتوصل الى نتيجة واضحة بشأن ذلك ، ثم اتبع ذلك بمبحث في اعجاز القرآن من اكثر - أن لم يكن من جميع - جوانبه ، وبعده تحدث عن علامات النبوة في سيرته - صلى الله عليه وسلم - : في أخلاقه وأقواله وافعاله وشريعته ، وقرر أن أمته من آياته ، وعلْم أمته ودينهم من آياته - أيضا - ، وان كرامات صالحي أمته من آياته - كذلك - .

وبعد هذا عقد فصلا أورد فيه مجموعة كبيرة من النصوص التي تتحدث عن صفاته الخلِقية والخلقية والمعيشية والاجتماعية ودلالتها على نبوته ورسالته . ثم كتب فصلا في اثباته - صلى الله عليه وسلم - لليوم الآخر والمعاد ، وأن ذلك من دلائل نبوته ، حيث أن الايمان به هو الثمرة العملية للايمان بالله - تعالى - وبالايمان بالله وبالمعاد يستقيم المرء على شرع الله - تعالى - وتقبل نفسه على طاعته والتقرب اليه ، ويتم بذلك صلاح الحال والمآل .

ثم بين الشيخ - رحمه الله - تعالى - أن من ادعى النبوة لايخلو من أحد ثلاثة أمور ، وبعد مناقشتها يتضح للمرء - وضوح الشمس في رائعة النهار - صدقه وأهليته - صلى الله عليه وسلم - للنبوة والرسالة .

وفي فصول تالية تحدث عن قصة الفيل ودلالتها على النبوة ، وعن حراسة السماء ابان البعثة . وذكر السبب في ابتدائه بذكر نصوص من القرآن في مجال آيات النبوة (لأن من أهل الكتاب من يقول : " لانصدق الا بما في القرآن كما في التوراة والانجيل)[1] .

---

(١) الجواب الصحيح ٤ : ١٢٨ (ط المدني) .

وفي فصل بعده قرر أن آياته ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد استوعبت جميع أنواع الآيات الفعلية والخبرية ، وأورد لذلك طائفة كبيرة جدا من نصوص السنة النبوية . وأتبعه بفصل آخر في آياته ـ صلى الله عليه وسلم ـ المعلقة بالقدرة والفعل والتأثير ، وقسمها الى ستة أنواع : الأول : ماكان في العالم العلوي كانشقاق القمر وحراسة السماء بالشهب ، والثاني : آيات الجو كاستسقائه ـ صلى الله عليه وسلم ـ واستصحائه . والثالث : آثاره في الاشجار والخشب . والرابع : تكثير الماء والطعام والثمار ببركته فوق العادة . والخامس : تأثيره في الاحجار وتصرفه فيها وتسخيرها له ، والسادس : تأييد الله له بملائكته .

ثم كتب فصلا يشرح فيه : كيف ان هذه الاخبار التي أوردها في أنواع الآيات الستة تفيد العلم ، وفيه تحقيق رائع لهذا الأمر الهام ، وتجلية لمعالمه وأسسه . وذلك من طرق ستة هى : التواتر العام والتواتر الخاص والتواتر المعنوي ،وشهادة الجماهير الكثيرة للآيات ، وسماعهم لنقلها ، واقرارهم للناقل ، وعدم الانكار ، وتواتر مافيه كفاية من هذه الآيات عند كل صنف من العلماء ، كعلماء التفسير والحديث والفقه وعلماء الاصول والكلام وغيرهم . والطريق السادس : اهتمام العلماء بذلك الأمر وتصنيف المصنفات المجردة فضلا عما ضمنوه في مصنفاتهم ولم يجردوه .

وقرر في فصل تال عدم اختصاص آيات النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بزمن حياته فقط ، بل هى في زمنه وقبل مولده وبعد مماته ، فضلا عن ان تختص بحال دعوى النبوة أو حال التحدي ـ كما ظنه بعض أهل الكلام ، ثم ذكر أن من آيات الأنبياء اهلاك الله لمكذبيهم ، ونصره للمؤمنين بهم . وقد فصل القول في ذلك ودلل وأكثر من الشواهد وايراد الاحتمالات وردها .

ثم انتقل الى ذكر نوعي الأدلة ، وأثبت أن أدلة الأنبياء هي من جنس الأدلة التي تدل على العلم بالمدلول عليه ، مع الحرص على الرغبة فيه أو الرهبة منه ، وليست من النوع الذي يدل على مجرد العلم بالمدلول عليه . ثم اتبع ذلك بالحديث عن مسألة طلب آية ثانية وثالثة على نبوة النبي ، وقرر أنه لايجب أجابة الطالب لآية ثانية (بل وقد لاينبغي ذلك)[1] ثم بين أنه قد يكون من الحكمة تتابع الآيات كما هو الحال في نبوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ نظرا لعموم دعوته وشمولها ،وقد عرض الشيخ ـ رحمه الله ـ الى أن هناك نوعا من الآيات توجب عذاب الاستئصال ، كما كان الكفار يقترحون على الأنبياء آيات غير التي جاءوا بها ، فتارة يجيبهم الله الى ذلك لما فيه من المصلحة والحكمة ، وتارة لايجيبهم لما في ذلك من المضرة والمفسدة عند جمهور أهل الملل من المسلمين وغيرهم ممن يعلل أفعاله ـ تعالى ـ،وممن لايعللها يرد الأمر الى محض المشيئة .

وفي آخر فصلين من الكتاب تحدث في أولهما عن طبيعة الخبر حديثا موسعا مدعما بالأدلة الشرعية ، والقواعد الأصولية ، حديث العالم المتبحر الجامع لأنواع الفنون والعلوم ، وهذا مافعله في الفصل الثاني في حديثه عن طبيعة المخبر وصفاته واحواله ، واحكام العلم بصفات هذا المخبر ، وكيفيات هذا العلم وبعض الآراء الكلامية ، وأنواع الناس في الحاجة الى معرفة النبي المعين وبذلك خُتِمَ الكتاب .

---

(١) الجواب الصحيح ٤ : ٢٧٥ (ط المدني) .

مصادر الشيخ في هذا القسم :

لقد كان كتاب الله العزيز ، الذي لايأتيه الباطل ، هو المصدر الأول وهو النهر الكبير الذي ينهل منه جل أفكاره ومعظم آرائه ، واليه يستند في مناقشاته واحتجاجاته ، وقد كان يكثر الاستشهاد بآياته الكريمة كثرة بادية بأدنى نظر ، كما كان - رحمه الله - يفعل في كتبه الأخرى ،حتى أنك لتجد - أحيانا - الصفحة أو الصفحتين ، وقد ملأهما بآيات الله البينات، وأحيانا أخرى ، يورد أول السورة وشيء من وسطها وآيات من آخرها ، حتى يضع السورة بكاملها ماثلة في خيال المطالع للكتاب ، ولم يكن همه - أبدا - هو الحشد والجمع ، بل انه حسن الاستدلال وقوة الاستحضار ، والتركيز على ضرورة الالتصاق بهذا الوحي الرباني في كل أمر تكلم فيه القرآن ، قبل أن يبحث المرء عن أي مصدر آخر .

وهو فيما بين استدلالاته القرآنية قد رجع الى مجموعة منوعة من المصادر الأخرى ، وان لم تبلغ حدا من الكثرة ، ولكن العبرة ليست بالكثرة دائما -. فقد كان يعتمد على كتب السنة والسيرة اعتمادا كبيرا وفي مقدمتها صحيح البخاري وصحيح مسلم اللذان كان لهما نصيب الأسد في النقل عنهما ، والاستدلال بما ورد فيهما . حيث أنه من المعروف أن المسلمين قد اعتبروهما أصح الكتب بعد القرآن ، وتلقوهما بالقبول ، وكأني بالشيخ وهو بهذا الاتجاه يلتمس اسباب الوحدة والاتفاق بين المسليمن ويحرص عليها . والى جانب الصحيحين الكتب الاربعة ، سنن ابي داود وسنن الترمذي وسنن النسائي وسنن ابن ماجه والموطأ . وقد كان لكتب السنة الأخرى نصيبها - أيضا - من اهتمامه ونقوله كمسند الامام أحمد ، وسنن الدارمي ومسند ابي زرعة ومسند ابي داود الطيالسي ، وصحيح ابن حبان ومسند ابي يعلى ومستدرك الامام أبي عبد الله الحاكم وتاريخ البخاري وما ألفه ابو الشيخ الاصبهاني وعبد الرحمن بن الجوزي والمختارة للضياء المقدسي .

هذا الى جانب كتب السيرة والدلائل والشمائل ، وفي مقدمتها السيـــــــرة النبوية لمحمد بن اسحاق بن يسار ، التي أكثـــــر من النقل عنها ، وذلك لما عرف عنها وعن صاحبها من الدقة والضبط والجودة . وكذلك دلائل النبوة لابـــــي نعيم الاصبهاني ودلائل النبوة لأحمد البيهقي فقد اعتمدها كثيرا ، وهنـــــاك المغازي لموسى بن عقبة وهو الرجل الذي نال ثناء أهل عصره ، ثم كتاب الشفـاء للقاضي عياض ـ رحمه الله ـ .

أما كتب التفسير فقد رجع الى أهمها مثل تفسير الطبري وتفسير ابن ابي حاتم وغيرهما وبجانبها كتب اللغة كالصحاح للجوهري وغيره ، وكذلك كتـــــب التراجم والرجال من الصحابة والتابعين ، والعلماء والقادة من العرب والعجـــم . ولقد كان لكتب العقائد والنحل وكتب الفلاسفة مجالها ، والتي كان يستفيـــد منها بقدر ما تدعو اليه الحاجة مثل كتب ابن سينا والفارابي وارسطو ،ككتـــاب (اثولوجيا) وكتاب (آراء المدينة الفاضلة)[1] . ولقد رجع الى كتب اهـــــل الكتاب التي بأيديهم واستخرج منها كثيرا من الشواهد والبشارات .

---

(١) الجواب الصحيح ٣ : ٢١٥ (ط المدني) .

مآخذ ومقترحـــــات :

لكل عمل بشري نقاط ضعف ، بغض النظر عن شخص من قام به .. ولقـــد تراءى لي خلال رحلتي مع شيخ الاسلام في القسم الثالث من (الجواب الصحيـــح) المآخذ الآتية :

١. الاطالة والاستطراد ـ أحيانا قليلة ـ بحيث يكون البحث خارجا عـــن موضوعه الى موضوع آخر تماما ، كما فعل في قضية صدق الخبر وعدمه ، وتصديقه أو تكذيبه ، حيث خرج الى موضوع فقهي بحت ، وهو بحث الدعاوى والبينات ، فبدأ بقوله : والمدعى عليه اذا كان صاحب يد ... الخ ، ثم ختمه بقوله : فهذا ونحوه مما جاءت به الشريعه ، وبسطه له موضـــع آخر ، والمقصود هنا : أن الخبر ... " . الخ .(١)

٢. نَفْيُ مسألة تاريخية مشهورة وهى رمي الحجاج للكعبة بالمنجنيق حيـــث قال : والحجاج بن يوسف كان معظما للكعبة ، لم يرمها بمنجنيـــق ، وانما قصد ابن الزبير خاصة " ولم يذكر لذلك النفي سندا من أثـــر أو رواية .(٢)

٣. تقسيمه الكتاب بالفصول لم يكن له ـ في حالات كثيرة ـ شيء من الجدوى، حيث يطول الفصل ـ تارة ـ فيشمل اكثر من موضوع ، كلها تستحق أن تكون فصولا ، ويقصر تارة فينقسم الموضوع الواحد الى أكثر من فصل . ولعـــل عذر الشيخ في ذلك أنه كان يتتبع فقرات رسالة النصراني .

---

(١) الجواب الصحيح ٤ : ٢٩٣ ـ ٢٩٥ (ط المدني) .
(٢) الجواب الصحيح ٣ : ٣٢٩ (ط المدني) .

٠٤ ساق في أكثر من موضع أدلة ضعيفة ، اما بسبب ارسالها ، أو لضعف بعض رجال اسنادها ، أو انقطاعها ، ولقد كان في الأدلة الصحيحة الكثيرة غنية ، ولعل الشيخ أرادا بذلك استغراق وشمول جميع أنواع الأدلة النقلية ، فكانت هذه الآثار مقصودا بها التمثيل وايراد النموذج وليس تقرير الحقائق عن طريقها لوجود مايغني عنها ـ غناء عظيما ـ أضف الى ذلك عدم حكم الشيخ على هذه الآثار بما يناسبها الا في حالات قليلة وهو من أقدر الناس على ذلك ويمكن أن يكون هذا لوضوح الأمر بالنسبة لها ، أو لاكتفائه بذكر الاسناد أو لغير ذلك من الاسباب .

٠٥ أورد أثرا فيه حكاية عن غزاة القسطنطينية من المسلمين وتوسلهم بقبر أبي أيوب الانصاري ـ رضى الله عنه ـ ، وقد سكت عليه ولم يعلق بايضاح هذه البدعة ، كما سيأتي التنبيه على ذلك في موضعه ان شاء الله ـ ومعلوم أن الناقل للخبر اذا سكت ولم يبين موقفه منه فهو مقر له ، هذا بالرغم من جزمنا بعدم أقرار الشيخ له ـ قطعا ـ بل تصديه لذلك وانكاره بقوة في مواضع كثيرة من كتبه .

٠٦ وصف مستدرك الحاكم بالصحيح (١) ، مع أنه معلوم لديه ولدى تلميذه الذهبي بأن تصحيح الحاكم لايعتد به . وكان الأولى به ـ رحمه الله ـ أن يسميه كما سماه به صاحبه (المستدرك) .

٠٧ أكثاره ـ أحيانا ـ من الأمثلة أكثارا يبلغ مرة مائة وسبعة عشر مثالا تقريبا ، كان يكفي منها ١٧ مثلا .. واسهابه ومناقشته أمورا جانبية مناقشة دقيقة مفصلة تنسي المطالع لكتاب الموضوع الأم (٢) . وكأني بالشيخ يمثل نفسه بفلاح يريد اقتلاع شجرة ولايحب أن يبقى لعروقها في الأرض أي أثر، فتراه يتتبعها وان بعدت حتى يستأصها جميعا .

---

(١) الجواب الصحيح ٤ : ٢١٢ و ٢٢٥ (ط المدني) .
(٢) الجواب الصحيح ٤ : ٢٩٣ ـ ٢٩٥ (ط المدني) .

هذا وانني بعد معالجتي لهذا الجزء من الكتاب قد شعرت بمدى أهمية موضوع اثبات صدق النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ و نبوته ، ودوره في تقوية ايمان المسلمين وقناعتهم بدينهم أولا ، ثم في هداية غير المسلمين الى هذا الدين ، لأن ذلك مقتضى الشهادة الثانية في ركن الاسلام الأول ، فكيف يشهد الانسان بنبوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ورسالته وهو لم يعلم دلائل صدقه وعلامات نبوته سواء كان مسلما أو غير مسلم .

فَعِلْمُ دلائل النبوة ، الذي خص له الشيخ معظم هذا القسم ، يتبوأ منزلة عزيزة في هذه العقيدة الربانية ، وهذا مادعا كثيرا من العلماء المسلمين الى افراده بمصنفات مستقلة كبيرة أو صغيرة ، أو تمييزه بأبواب خاصة في مصنفاتهم كما فعل البخاري ومسلم وغيرهما .

وهذا الاهتمام نابع ـ بلا ريب ـ من قناعة هؤلاء العلماء القدماء والمحدثين بما يستحقه هذا العلم من رعاية ونشر، وهذا ـ بالتالي ـ مايلقى على طلبة العلم والمؤسسات العلمية المعاصرة تبعة العناية بهذا العلم ورفع شأنه والافادة القصوى منه في أيامنا هذه التي تموج فيها الافكار والعقائد والنحل ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى كثرة المتشوقين لمعرفة حقيقة الاسلام ورسالته في الشرق والغرب ، نظرا لجو الحرية الاعتقادية الذي يعيشه العالم المعاصر أكثر من أي وقت مضى .

وفي نظري أن العناية التي أشرت اليها تتلخص فيما يلي :

١. وضع فهارس تتضمن جميع ما ألف وكتب في موضوع دلائل النبوة قديما وحديثا سواء كان مفردا بالتأليف أو ضمن غيره .

٢. البحث عن النسخ المخطوطة لكتب الدلائل الكثيرة التي لازالت في خزائن المخطوطات وتجميعها وتحقيقها تحقيقا علميا وافيا ثم نشرها .

٣. قيام علماء مختصين بتمييز الصحيح من الدلائل وافراده في نشرات دورية ، مع شرحه شرحا وافيا ، يتناسب مع اهتمام الناس وعقلياتهم

المعاصرة . وكذلك فرز الضعيف والباطل منها وبيان وجه ضعفه وسقوطه وتحذير الناس من نقله وتداوله.(١)

---

(١) ومما تجدر الاشارة اليه أن المسلمين بدأوا يتنبهون لهذا الأمر فقد صدرت الموافقة الملكية الكريمة على انشاء مركز لخدمة السنة والسيرة النبوية ، بالجامعة الاسلامية بالمدينة النبوية ، بالتعاون مع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة النبوية ، بحيث تتولى الجامعة الاسلامية الجوانب العلمية ، ويتولى المركز الطباعة ونفقات التشغيل كما صرح بذلك د . عبد الله العبيد . انظر مجلة الدعوة السعودية العدد ١٠٢٥ في ١٤٠٦/٥/١٠ هـ = ١٩٨٦/١/٢٠م .
هذا الى جانب مؤتمرات السنة والسيرة النبوية الدولية التي أخذت تعقد بشكل دوري ، وكان آخرها مؤتمر السيرة النبوية الدولي الذي عقد في اسلام اباد بباكستان ، والذي قرر انشاء سكرتارية دولية للسيرة تعمل الدول الاسلامية من خلالها - كما جاء في الأخبار - الى ابراز وترسيخ مباديء وتعاليم السنة النبوية ، وكشف المخططات التي تعمل ضد الاسلام، كما أعرب (خان جوينجو) رئيس وزراء باكستان عن استعداد بلاده لاستضافة مقر السكرتارية الدولية للسيرة النبوية . جريدة (المسلمون) اللندنية ، العدد ٤٨في١٤٠٦/٥/٢٣ هـ = ١٩٨٦/١/٤م . وقبل ذلك كان قد عقد المؤتمر العالمي الرابع للسيرة والسنة النبوية في القاهرة في ١٤٠٦/٢/١٩ هـ = ١٩٨٥/١١/٢م وقام بافتتاحه الرئيس المصري حسني مبارك وهو المؤتمر الرابع في سلسلة هذه المؤتمرات والذي سبقه ثلاثة هى كالتالي: الأول كان في اسلام آباد في باكستان سنة ١٣٩٦ هـ ، والثاني في استانبول بتركيا سنة ١٣٩٧ هـ والثالث بالدوحة بقطر سنة ١٤٠٠ هـ.انظر مجلة الأزهر ، الجزء الثالث ، ربيع الأول ١٤٠٦ هـ = نوفمبر ١٩٨٥م ،السنة ٥٣ . والذي يظهر لي ان مؤتمر السيرة النبوية الدولي الذي عقد بباكستان في هذه السنة هو مؤتمر مستقل عن سلسلة المؤتمرات التي كان أولها في باكستان وآخرها في القاهرة .

٠٤ وهناك قضية في منتهى الأهمية وهى الربط بين دلائل النبوة وبين مايقع على أيدي الصالحين من أمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ من خوارق العادات ، والذي قد توصل الشيخ ـ رحمه الله ـ الى أن التمييز بين هذه وتلك في التسمية لامبرر له (١) ، ففي ذلك مايكبح خيالات الذين يرفعون النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فوق مرتبة البشريه في تصوراتهم واعتقاداتهم وان لم يصرحوا بذلك بالسنتهم ، وفيه ـ أيضا ـ فَهْم الخوارق التي يجريها الله ـ تعالى ـ على أيدي الصالحين من أمته الفهم الشرعي المطلوب .

٠٥ وبالنسبة لتربية وتعليم الأطفال على معايشة السيرة وتقريب دلائل النبوة لهم،فهذا مما ينبغي أن نحرص عليه أشد الحرص ، فلقد كنت في سن الطفولة ـ كما أذكر الآن ـ أعاني من عدم استطاعتي تصور حياة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه ، الحياة المعتادة ، ناهيك عن الدلائل والآيات ، ولم أستطع أن اقترب من ذلك التصور الا بعد أن وصلت الى المرحلة الثانوية ، وانني أعزو ذلك الى طريقة اطّلاعي أنا وأمثالي من أطفال المسلمين ـ آنذاك ـ على سيرة المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وربما يكون لعدم وجود الكتابات في السيرة ـ ومن ضمنها الدلائل النبوية ـ التي تتناسب مع أذهان الأطفال وتصوراتهم .

وعليه فان بقاء الطفل طيلة هذه الفترة من حياته شبه معزول عن هذه السيرة العطرة أمر في منتهى الخطورة والقسوة .

---

(١) الجواب الصحيح ٤ : ٧٠ (ط المدني) .

وصف النسخ الخطية لهذا القسم من الكتاب :

لم يتوفر للكتاب كله نسخه تامة ، الا تلك النسخة المحفوظة بدار الكتب المصرية ، والتي كانت احدى النسخ المعتمدة لي ولكل من زميلي (١) في مقابلة هذا الكتاب ، وأما بقية النسخ فان ماتوفر لأحدنا لم يتوفر كله أو بعضه للآخر .

هذا وان الذي استطعنا الحصول عليه من نسخ للقسم الخاص بي من هذا الكتاب ست نسخ ، اعتمدت منها ثلاث نسخ ، واستفدت كثيرا من الثلاث نسخ الأخرى . دون أن أتقيد بمقابلتها ، وذلك على سبيل التخفيف من الهوامش ، وهذا وصف لتلك النسخ :

١. نسخة جامعة (لايدن) بهولندا (٢) ، ورقمها (٤٠) وهى مكتوبة بخط نسخي جميل واضح ، الا أنه اختلف في آخرها ، وعدد أوراقها (التي تخصني) مائة وثلاث وثمانين ورقة ، وصفحاتها (٣٦٦) صفحة ، في كل صفحة من ٢١ – ٢٣ سطر ، وفي كل سط (١٠ – ١٧) كلمة ، وناسخها غير معروف ، ولكن عليها تملك هذا نصه : (انتقل (أي الكتاب) بالبيع الشرعي الى أحمد بن محمد بن زيد ، ومنه على يد شمس الدين اللؤلؤي الليثي ، وعلي يد ولده في أوائل شعبان سنة احدى وستين وثمانمائة هجرية) . وقد كتب ناسخها في آخرها مانصه : (نجز الكتاب المسمى : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح – عليه وعلى سائر النبين الصلاة والسلام – تأليف شيخ الاسلام ، تقي الدين أحمد بن تيمية – رضي الله عنه – في سنة ثلاثين وسبعمائة ، وقوبل على أصل صحيح نقل من خط مؤلفه).

---

(١) وهما الزميلان على بن ناصر وعبد العزيز العسكر المحاضران بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بكلية أصول الدين بالرياض .

(٢) وقد أحضرها لي وله زميلي الشيخ عبد العزيز العسكر – جزاه الله خيرا – وهو الذي أحضر لي – كذلك – النسخ الباقية .

وقد رمزت لهذه النسخة برمز أ اشارة الى أنها الأصل ، والنسخة الأم التي اعتمدتها ،نظرا لأنها أقدم النسخ الموجودة ، ولما أُثبت في آخرها أنها نقلت من أصل .. نقل من خط المؤلف ، ومعنى هذا أنها قريبة جدا لعمل المؤلف وأنه ليس بينها وبينه الا حلقة واحدة فقط .

وقد أثبت مابينها وبين النسختين الاخريتين من فروق ، ولكني لم اتقيد بها تقيدا مطلقا فلقد سرت على طريقة الترجيح أو التصحيح ـ أحيانا ـ . فمتى ماترجح لدى خلاف مافيها أثبته ، وغالبا ما أبرر هذا العمل .

٢. النسخة الثانية ، هى النسخة الكاملة للكتاب كله . كما قلت ـ آنفا ـ وهى محفوظة بدار الكتب القومية بالقاهرة ، وهى ذات الرقم (٢٧٨)وقد رمزت لها برمز (ك) ، والنسخه المطبوعة تتفق معها في أغلب الأحيان الا أن (ك) أصح منها برغم كثرة مافيها من الأخطاء والسقط ، الذي يتجاوز الصفحة في أكثر من موضع . وأوراق هذه النسخة أربعمائة وسبع عشرة ورقة والعدد الأجمالي للوحات هذه المخطوطة (٨٣٣) لوحة ، في كل لوحة (٣١) سطرا الى (٢٦) سطرا ، وقد بلغ نصيبي من هذه النسخة مايقارب مائة واثنتين وثلاثين ورقة ، أي مائتان وثلاث وستون صفحة في كل صفحة مامعدله (٢٦) سطرا ، بمعدل (١٣) كلمة في كل سطر ، والقلم الذي كتبت به في نصيبي قلم نسخي ثم تغير في أثنائها ،أي كأنه تعاقب على كتابتها ناسخان . الا أنه خط مقروء وواضح ، مع صغر حرفه . هذا وقد كتب في آخرها :" آخر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، والحمدلله وحده ... بقلم أحقر الورى ... الحاج على اللبدي الحنبلي ... وذلك ليلة الأربعاء ، في غرة ربيع الأول المبارك ، من شهور سنة الف ومائتين وواحدة وثمانين ، من الهجرة النبوية ، على صاحبها أفضل الصلاة ، وأتم التحية ...) هذا ويوجد بدار الكتب (القومية المصرية) بالقاهرة نسخة خطية أخرى تحمل الرقم (٧٥٦) عقائد تيمور ، ولكنها ناقصة .(١)

---

(١) ذكر ذلك الزميل : على بن حسن بن ناصر ، وقال : بأنه اقتنى منها صورة . انظر رسالته ج ١ ، م ١ ، ص ٦٠ .

٠٣ النسخة المطبوعة :

وهى التي قدم لها وأشرف على طبعها الاستاذ : على السيد صبح المدني ، وطبعت بمطبعة المدني المؤسسة السعودية بمصر ، القاهرة ،وذلك سنة ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٤م قال المدني : " وقد بذلت المؤسسة (أي المذكورة) من الجهد في ابرازه على هذا الشكل الأنيق ، ماتحتسبه ٠٠" ولم يذكر أصلا للطبعة تلك ، مع أنه عمل مقدمة تعريفية للكتاب ، بلغت صفحاتها العشرين ٠ ثم قسم الكتاب الى أربعة أجزاء ، متساوية الحجم ـ تقريبا ، كان نصيبي منها من صفحة (٢٠٢) من الجزء الثالث الى نهايته ، والجزء الرابع بأكمله ومجموع صفحاته (٤٥٣) صفحة ماعدا الفهاس ٠

هذا وانني أكاد أجزم بأن هذه الطبعة مأخوذة من طبعة سبقتها ـ سأشير اليها لاحقا ـ ان شاء الله ـ ولم تختلف عنها الا في الشكل والاخراج فحسب ٠ والذي دعاني الى اعتمادها ضمن النسخ الثلاث هو كثرة ماطبع منها ونشر بين الناس من الطبعة الأصلية ومن المصورات التي نقلت عنها بطريقة (الأوفست)(١) ولقد كانت الطبعة الأولى (الكردي) قبل عصر التصوير ، وكان اخراجها على الطريقة القديمة ، حيث يتواصل النص على نمط واحد من أوله الى آخره ، ثم جاءت طبعة المدني فحظيت بذلك الرواج الكبير ٠

أما النسخ الثلاث الأخرى التي توفرت لدي ، فلقد أخذت منها في أحيان كثيرة خاصة النسخة البريطانية التي تحمل الرقم (٢٩٩) بالمتحف البريطاني بجامعة اكسفورد وقد كتب عليها الناسخ عنوانا آخر غير العنوان المعروف وهو (كتاب تخجيل أهل الأنجيل ، والنهج الصحيح في الرد على من بدل دين المسيح) وأولها :"الحمد لله الذي شرع لنا الدين ، والصلاة

---

(١) مثلما قامت به مؤسسة المجد التجارية بالرياض ٠ وقد عمدت رئاسة ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد بالرياض الى توزيع كميات كبيرة جدا ـ وقفا لله تعالى ـ من كل من الطبعة والمصورة عنها ٠

والسلام على أفضل من اعتصم بحبله المتين ... اعلم وفقك الله وايانا أن النصارى لهم قول مشهور بينهم ، وهو أن منهم من يقول أن محمدا – صلى الله عليه وسلم – لم تبشر به النبوات ...) .

وبدايتها تلك توافق الصفحة رقم ٢٧٥ من الجزء الثالث ط المدني ،ومع اختلاف العنوان فليس في مادتها أي اختلاف جوهري عن النسخ الأخرى وهي مكتوبة بخط نسخي واضح ولكنه أقل جمالا من الخط الذي كتبت به (أ) .

وعدد أرواقها (١٩٥) ورقة ، وصفحاتها (٣٩٠) صفحة ، في كل صفحة من ٢١ – ٢٢ سطرا ، وقد كتب الناسخ في آخرها : (تمت النبوات ، تصنيف الشيخ الامام العالم العلامة ... أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ...) ولكن بجانبه بخط دقيق (... آخر الكتاب ، وهو الرد على النصارى .. أبي العباس تقي الدين أحمد بن تيمية ...) وفي موضع آخر من الصفحة يقول الكاتب (كتبها الفقير الى الله محمد ... المقدسي..) وقد انطمس التاريخ تماما . ولكن طريقة الخط تدل على أنه متقدم جدا.

أما النسخة السعودية فهي الموجودة بالمكتبة السعودية التابعة لرئاسة ادارات البحوث العلمية بالرياض ورقمها العام (٤٤٢) والرقم الخاص (٨٦) وعليها تملك للشيخ : محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ ، وعدد أوراقها مائة واحدى عشرة ورقة ، كتب في آخرها (رقمه الفقير الى رحمة الله – تعالى – ورضوانه : أحمد بن ابراهيم بن عيسى في شهر ربيع الأول في سنة ١٢٧٦ هـ ولاحول ولاقوة الا بالله) . وخطها جيد ومقروء وواضح . وبدايتها من الموضع الذي بدأت به النسخة البريطانية .

أما النسخة المطبوعة الأخرى فهي التي طبعت سنة ١٣٢٣ هـ = ١٩٠٥م بمطبعة النيل بمصر ، بمعرفة الشيخ فرج الله زكي الكردي ، والشيخ مصطفى القباني الدمشقي ، وقالا (تنبيه : لايجوز لأحد أن يطبع (الجواب الصحيح) من هذه النسخة ... ، وكل من طبعها يكون مكلفا بابراز أصل قديم ، يثبت أنه طبع منه ، والا يكون مسؤلا عن التعويض قانونا) . ثم قالا في آخره : (.... وقد أوشك هذا الكتاب أن يفقد من الوجود ، لقلة نسخه ، فلا يوجد في قطر من الأقطار نسخة تامة ، وقد بذلنا غاية الجهد للحصول على ذلك آملا بالنفع العام حتى وفقنا الله لنسخة السيد الشريف المحقق نقيب اشراف مدينة بغداد ، .. ثم توفقنا للجزء الأول ... عند ... الشيخ عبد السلام الأمير ، و ـ أيضا ـ لثلاثة أجزاء عند ... لطيف باشا سليم ، وكل تلك الأصول صحيحة مقروءة على المؤلف ، وبعضها عليه وبعض الافاضل كالحافظ ابن حجر واضرابه ...) الجواب الصحيح (طبع الكردي) ٤ : ٣٢٥ . ثم ذكر مصطفى القباني نبذة من ترجمة المؤلف وذكر أنه سيطبع الرد الوافر الذي نسخه بيده من المكتبة العمومية بالاستانة .

وماقاله الكردي والقباني من تفرق النسخ يؤيده ماحصل عندما بحث الزميلان عن النسخ بعد هذه المدة الطويلة ١٣٢٣ هـ ـ ١٤٠٤ هـ حيث لم يجدا نسخة تامة الا النسخة المصرية المتأخرة (١٢٨١ هـ) . وهنا لايسعنا الا الدعاء للكردي والقباني بالرحمة والثواب الجزيل على مابذلاه في سبيل احياء هذا العمل ونشره بعدما كاد يفقد (بصفته الكاملة) ولابد انهما عانيا من أجل ذلك معاناة كبيرة ، حيث لم تكن وسائل الاتصال كما هي الآن ، ولقد اثمر جهدهما ، حيث تلقف هذا السفر طلبة العلم في أنحاء العالم الاسلامي بشوق وحرص ولا أدل على ذلك من وجود هذه الطبعة في مكتبة والدي : محمد بن حمدان الحمدان حفظه الله ـ تعالى ـ وكان يقيم في قرية (الرويضة) و (البير) وهما في أعماق

الريف النجدي ، والذي كان أهلها لايشمون رائحة النصرانية ولاعلاقة لهم بها مطلقا (١) .

(١) لاأدري هل كان مبعث ذلك هو التحصن بمعرفة الرد على النصارى تحسبا لأي طارىء ، أم كان الدافع لذلك هو الاعجاب الشديد بشيخ الاسلام ، ومحاولة اقتناء أي مؤلف له ؟ أم هما الأمران ؟

وقوله

و أول ... أياها وايانى لم تزل ... لعرض ... ل د ... ان ... أنى أبت
... الى رسولا لبث منى مرسلا ... ودانى بايانى على استدلت
... فان دعيت لبث المجيب وان ألق منادى اجابت من دعانى وابت
... وقد رفعت يا المخاطب بيننا وبنى رفعها عن فرقة الفرق رفعتى

وكذلك لابن اسرايل فى شعر قطعه من هذا كقوله

... وما انت غير الكون بل انت عينه وبينهم هذا السر من هو ذابن

والتلمسانى الملقب بالعفيف كان من الحمر الناس وكان احدث هاولا الملاحده ولما قرئ عليه كتاب فصوص الحكم لابن عربى قيل له هذا الكلام يخالف القران قال القران كله شرك وانما التوحيد فى كلامنا فقيل له فاذا كان الوجود واحد فلما دا يحرم على امى وتباح امرانى فقال الجميع عندنا حلال ولكن هاولا المحجوبون قالوا حرام فقلنا حرام عليكم وكلام هاولا كله ينقض بعضه بعضا فان قوله على هاولا المحجوبون وقلنا حرام عليكم يقتضى الفرق بينه وبين المحجوبين وبين المخاطب والمخاطب وهذا ينقض وحده الوجود واذا قالوا هذه مظاهر للحق ومحال كان ذلك الظاهر غير المظهر والمجلى غير المجلى فقد ثبت التعدد وان فى الوجود اثنين ظاهر ومظهر فان جعلوها واحد فقد بطل جوابهم فصل قال الحاكى عنهم فقلت فانهم ينكرون علينا قولنا ان الله تعالى جوهر فاكرها اننا نسمع عن هاولا القوم انهم ذو فضل وادب وتعرفه ومن هذا صورته وقد قرا شيا من كتب الفلاسفه والمتقدمين فاحمقهم ينكرون هذا علينا وذلك انه ليس فى الوجود شى الا وهو اما جوهر واما عرض لان اى امر نظرناه وجدناه اما قائما بنفسه غير متقدر فى وجوده الى غيره وهو الجوهر واما متقدر

فى وجوده

(أول صفحة من القسم الثالث من الكتاب ، من مخطوطة جامعة لايدن ، ورمزها آ)

به نوحًا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا
الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه وقال تعالى فأقم
وجهك للدين حنيفًا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله
ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون وفي الصحيحين عن أبي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أنا معاشر الأنبياء ديننا واحد
وهذا مبسوط في موضع آخر اهـ

الحمد لله وحده وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم تسليمًا كثيرًا

تم الكتاب المسمى بالجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح على يد الراقم الخاطئ الخاسر
المسيح الأسير إلى رحمة ربه الغني عبد الله بن عبد الرحمن في سنة ألف وسبعمائة وتسعة عشر
نقل من خط مؤلفه

(آخر صفحة من نسخة جامعة لايدن ورمزها هنا أ)

(أول صفحة من القسم الثالث من نسخة دار الكتب المصرية ،ورمزها ك)

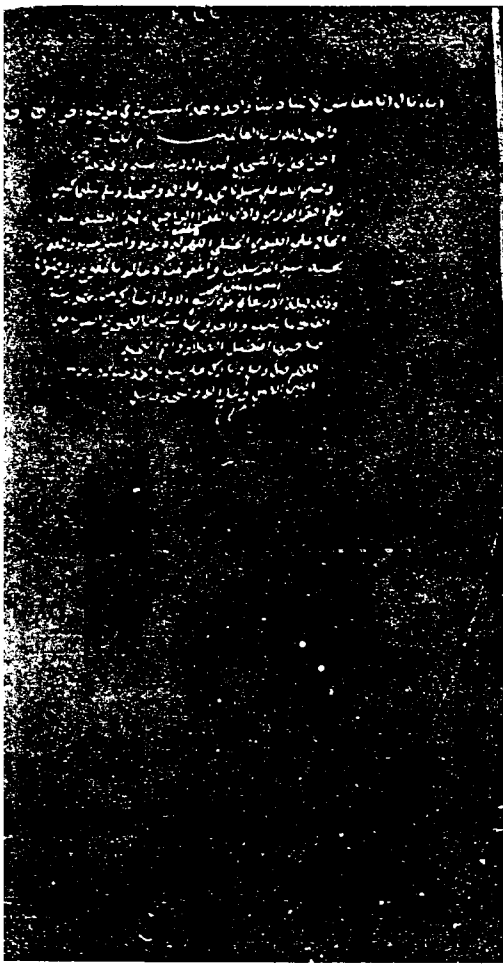

(آخر صفحة من نسخة دار الكتب المصرية والمرموز لها برمز ك)

الفرق بينه و بين المحجوبين ، و بين المخاطب والمخاطَب ، وهذا يناقض وحدة الوجود .

و إذا قالوا : « هـذه مظاهر للحق ومجالٍ » فإن كان الظاهر غير المظهر ، والمجلى غير المتجلى ، فقد ثبت التعدد ، وأن فى الوجود اثنين ظاهراً ومظهراً ، و إن جعلوهما واحداً ، فقد بطل جوابهم .

فصـــل

قال الحاكى عنهم : فقلت فإنهم ينكرون علينا فى قولنا : إن الله تعالى جوهر .

قالوا : إننا نسمع عن هؤلاء القوم أنهم ذو فضل وأدب ومعرفة .

ومن هذا صورته ، وقد قرأ شيئاً من كتب الفلاسفة والمنطق ، فما حقهم ينكرون هـذا علينا ، وذلك أنه ليس فى الوجود شىء إلا وهو إما جوهر و إما عرض ، لأن أى أمر نظرناه وجدناه ، إما قائماً بنفسه غير مفتقر فى وجود إلى غيره ، وهو الجوهر ، و إما مفتقر فى وجوده إلى غيره ، لا قوام له بنفسه ، وهو العرض ، ولا يمكن أن يكون لهذين القسمين قسم ثالث .

فأشرف هذين القسمين ، القائم بذاته الغير مفتقر فى وجوده إلى غيره . وهو الجوهر .

ولما كان البارى ـ تقدست أسماؤه ـ أشرف الموجودات ، إذ هو سبب سائرها ، أوجب أن يكون أشرف الأمور وأعلاها الجوهر .

ولهذا قلنا : إنه جوهر لا كالجواهر المخلوقة ، كما نقول : إنه شىء كالأشياء المخلوقة ، و إلا لزم أن يكون قوامه بغيره ومفتقر فى وجوده إلى غيره . وهذا فمن القبيح ، أن يقال على الله تعالى .

فقلت لهم : إنهم يقولون : إنا إنما نمتنع من أن نسميه جوهراً ، لأن الجوهر ما قبل عرضاً وما شغل الحيز ، ولهذا من يطلق عليه القول بأنه تعالى جوهر ،

من الطيبات واعملوا صالحاً إنى بما تعملون عليم * وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ شَرَعَ لكم من الدين ما وصَّى به نوحاً والذى أوحينا إليك وما وصَّينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كَبُرَ على المشركين ما تدعوهم إليه ﴾

وقال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وجهك للدين حنيفاً فِطْرَةَ الله التى فَطَرَ الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القَيِّم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ .

وفى الصحيحين عن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد » .

وهذا مبسوط فى موضع آخر . والحمد لله رب العالمين .

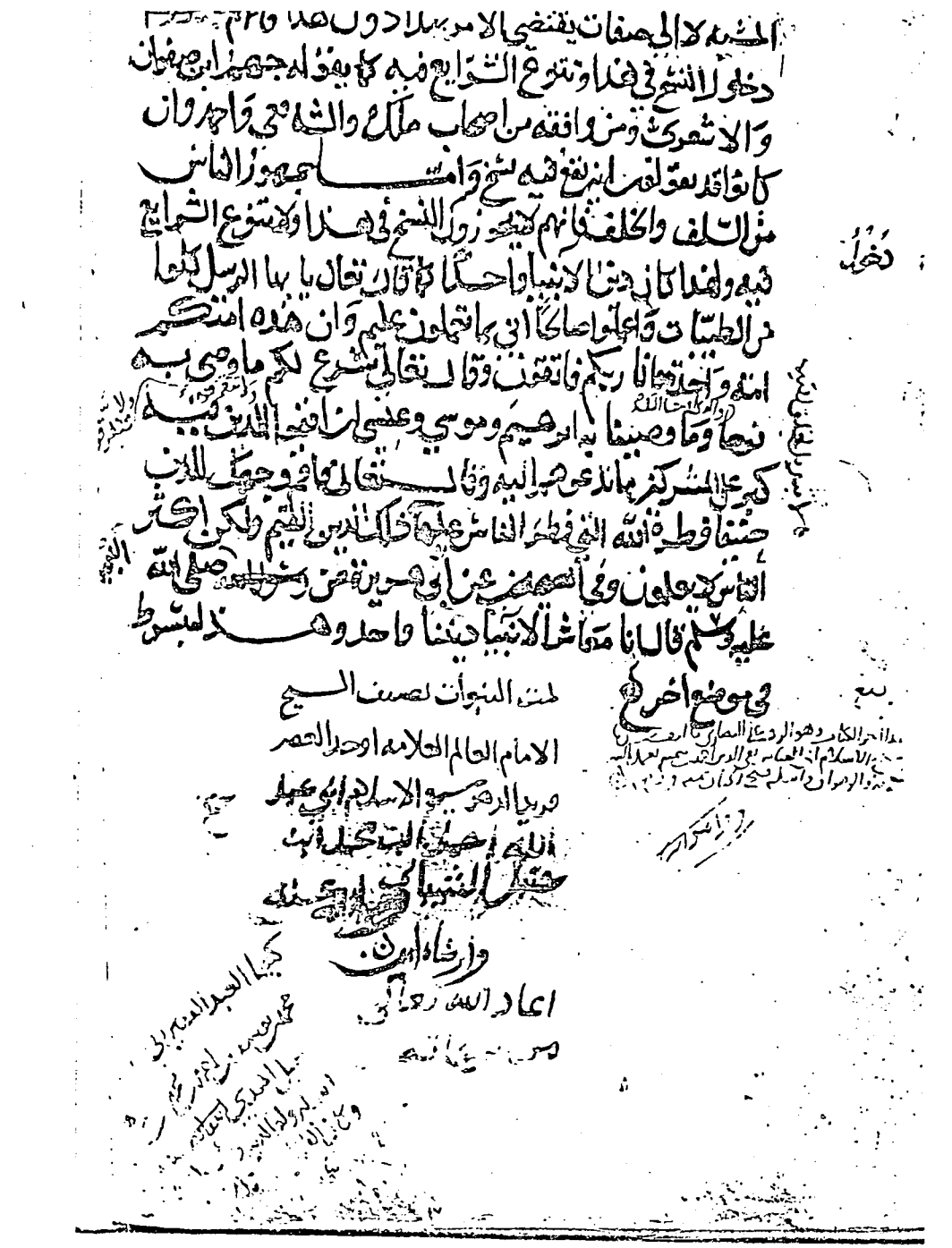

(آخر صفحة من مخطوطة أكسفورد)

هذا من فضائل الرسول وقد بسط الرد على هؤلاء في غير موضع وبين الوجه الذي
والتأويل الذين يؤولون كلامهم بما يخالف مراده وبين أن ما ذكروه ذلك المعنى
ليس هو مما دل عليه اللفظ بل ولا هو مما يدل عليه بالإشارة ذلك المعنى
المعين الذي يقولونه ذلك الكلام ليس هو معنى يعلم الرسول ولا غيره وأنا هو معنى
الشيوخ وهذان القولان يقول كل منهما طوائف معظمين للرسل وقد بين
فساد هذا في غير هذا الموضع وأما من قال إن الرسل يخبرهم بما يعلمون
الكلام ولكن لا يخبرهم بمراده بل يريد منهم أن يستنبطوا المعنى الذي
السلف والأئمة وبسط هذا الموضع آخر والمقصود هنا أن الكلام في الجواب تارة في
جنس ما قاله فيخص النبي بعين وتارة يسأل عما هو الحق في نفس الأمر
كان من أهل الكتاب وأهل الكتاب يقرون بأن عند أهل الإيمان بموسى النبوة
وموسى وأخبار موسى أجل وأعظم وأكثر من أن يحتاج إلى نقل أحد
معرفة ذلك بل وعامة أهل الكتاب يقرون بأن عند المسلمين نقلا متواترا
يعرفون أعيانهم وهم قليل بالإضافة إلى من لم يعرف ذلك من اليهود والنصارى
ولما كان حاصلهم أن يعرفوا هل هو هذا النبي الذي كانوا يخبرهم أنبياؤهم أنه يبعث
لا يؤمن بالرسل أو لا يعرفون أنبياء بعثت ومن كان يعلم أن الرسل كلهم أخبروا
نبي لا يعلم أن هذا النبي المعين هل هو من جنس الأنبياء الصادق فيما
الكذب بين وهذا كما لو أخبر بما يختص بآيات صدقه وما تمتاز به الأنبياء قبله
أصول ذلك مما لا يختلف فيه الأنبياء فيخبرهم الأمور التي لا تقبل النسخ كالأخبار عن الله و
ملائكته ورسله وكتبه ونحو هذا مما لا يقبل النسخ وكالأخبار عن اليوم الآخر
فهو صدق وإخبار الصادق لا تناقض فيه لا قبل النسخ ولا بعده فإن بعض الأنبياء يبعث
ذلك مما ليس فيه بعض ما أخبر به من قبل ولا ينسخ ما أخبر به بل يؤكده
والمسيح صلوات الله عليهم وقد بين بعض أهل الطائفتين أن ما نقض من أخبار الأنبياء بعض
بعض الطائفتين معارضة العقل لا الخبر وأن هذا ممتنع بالاتفاق أن يكون ما عارض العقل

خطأ

لا يجوزون دخول النسخ في هذا ولا تنوع الشرائع فيه ولهذا كان دين الانبياء واحدا كما قال تعالى (يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً انى بما تعملون عليم وان هذه أمتكم أمة واحدة وانا ربكم فاتقون) وقال تعالى (شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسي وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ماتدعوهم اليه) وقال تعالى (فاقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون) وفي الصحيحين عن ابى هريرة عن عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال انا معاشر الانبياء ديننا واحد وهذا مبسوط في موضع آخر والحمد لله رب العالمين تم الكتاب آخر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

رموز مستخدمة في التحقيـــق

هذه الرموز وضعت من أجل الأختصار :

الفتح	فتح الباري لابن حجر .
اللسان	لسان العرب لابن منظور .
المصباح	المصباح المنير للفيومي .
مختار	مختار الصحاح لابن عبد القادر الرازي .
تهذيب	تهذيب التهذيب لابن حجر .
تقريب	تقريب التهذيب لابن حجر ـ أيضا ـ .
المجمع	مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي .
صفوة	صفوة التفاسير للصابوني .
الكامل	الكامل في التاريخ لابن الأثير .
أ	نسخة جامعة لايدن بهولندا .
ك	نسخة دار الكتب القومية بالقاهرة .
ط	طبعة المدني للجواب الصحيح ، واذا جاء بعدها رقم فمعناهاالطبعة.
م	مجلد .
:	مابعد النقطتين بعد ذكر اسم السورة : هو رقم الآية .
:	مابعد النقطتين بعد ذكر المرجع هو رقم الصفحةوماقبلهماهو الجزء.
:	مابعد النقطتين بعد ذكر الاصحاح هورقم الفقرةومابعد ذكر نـــوع (العهد) هو رقم الصفحة .
أكسفورد	نسخة المتحف البريطاني . بجامعة أكسفورد للجواب الصحيح .
(...)	الرقم بين قوسين بعد تخريج الحديث هو رقمه العام في الكتـــاب ، واذا كان في نهاية ترجمة انسان فهو رقم الترجمة العام ـ أيضا ـ .

(هذا وان كان هناك رموز لم أذكرها هنا فهي سهلة تتضح بأدنى تأمل)

القسم الثاني - (التحقيـــــق)

كتـــاب

الجـواب الصحيح لمـــن بـدل ديـن الـمســـيح

لشيخ الاسلام ابن تيمية

(القسم الثالث والأخيـــــر)

فصـــل

(مناقشة النصارى في إطلاق لفـــظ الجوهر على اللـــه ـ تعالـــى ـ)

قال الحاكي(١) عنهم(٢) : فقلت : فإنهم ينكـــرون علينا(٣) قولنا : إن الله ـ تعالى ـ جوهر . قالـــوا(٤) : إننا نسمع عن هؤلاء القوم(٥) أنهم ذو فضل وأدب ومعرفة ، ومن هذا صورته ، وقد قرأ شيئا من كتب الفلاسفـــة(٦) والمنطق(٧) ، فما حقهم ينكرون هذا علينا ، وذلك أنـــه ليس في الوجود شيء إلا وهو إما جوهر واما عَرَض(٨) ، لأن أي أمر نظرناه وجدناه . إما قائما بنفسه غير مفتقر في وجوده(٩) الى غيره ، وهو الجوهر ، وإما مفتقر فـــي وجوده إلى غيره ، لاقوام له بنفسه ، وهو العرض ،ولايمكن أن يكون لهذين القسمين قسم ثالث . فأشرف هذين القسمين القائم بذاته الغير مفتقر في وجوده إلى غيره . وهـــو الجوهر .

---

(١) الحاكي هو : بولص الراهب أسقف صيدا الأنطاكي ، الذي وضع رسالة يعترض فيها على دين الإسلام ، وينتصر لدين النصرانية ، وقد ولد في أنطاكية وعاش كراهب فيها ، في حوالي القرن الثاني عشر الميلادي (الخامس الهجري تقريبا) وقد عين أسقفا لصيدا . وكان منتميا للكنيسة الملكيـــة ، وكتب عدة رسائل في الدفاع عن عقيدته ، وقد أفادنا د. مزمل صديقـــي في رسالته التي تقدم بها لنيل درجة الدكتوراه من جامعة هارفـــارد الأمريكية ، والتي بعنوان ترجمته : موقف الاسلام من المسيحية في القرون الوسطى : دراسة تحليلية لأراء الامام ابن تيمية : ص ١٣٥ ،التي قدمها سنة ١٩٧٨م ، أفادنا بأن بولص خوري ـ أحد نصارى لبنان ـ حقق ونشر كثيرا من أعماله ، ومن بينها ، هذه الرسالة ، ثم ذكر أنه ينسب اليه أربع وعشرون رسالة ، لكن خوري يجزم أن خمسا منها فقط هي من عمله ، دون الباقي .

=

.....

= (٢) الضمير يعود إلى النصارى .

(٣) في ط زيادة : (في) .

(٤) الجوهر – في اصطلاح المتكلمين – : ماهية إذا وجدت في الأعيان كانت لا في موضع . وهو عندهم منحصر في خمسة أشياء : هيولى وصورة وجسم ونفس وعقل ، وهو عند العرب يطلق على الأشياء المعدنية والحجارة التي هي عندهم بالوضع والاعتياد نفيسة : انظر التعريفات : ٨٣ و ١٥٣ . ولباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الأصول : ٢٧ . لأبي الحجاج يوسف بن محمد المكلاتي – ٦٢٦ هـ ت: د. فوقية حسين محمود ، ط ١ ، دار الأنصار بالقاهرة ١٩٧٧ م . والملل والنحل ٢ : ١٦٩ لعبد الكريم بن أحمد الشهر ستاني – ٥٤٨ هـ ت : محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة ، بيروت ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢م .

(٥) يقصدون المسلمين .

(٦) هم اليونانيون الذين تناولوا مسائل الألوهية والنفس والعالم ، وناقشوها بأسلوب خاص ، واتخذوا بصددها مواقف معينة : أي مذاهب ، دافعوا عنها بالحجج والبراهين العقلية ، ومنهم : أفلاطون ، وأرسطو ، وسقراط ، وإبرقلس ، وياميليخوس . انظر تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام : ٣ ، د . محمد على أبو ريان، نشر دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٧٦م .

(٧) المنطق : علم من العلوم الآلية ، المؤسسة على القوانين العقلية . وقد عرف الجرجاني – ٨١٦ هـ في كتابه (التعريفات) : ٢٥١ نشر مكتبة لبنان ، بيروت ١٩٧٨م . عرف المنطق عند المناطقة : بأنه آلة قانونية ، تعصم (في زعمهم) مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر . فهو علم عملي آلي ، كما أن الحكمة علم نظري غير آلي ، والغرض منه : إرشاد قوى العقل في مناهج البحث عن الحقيقة ، وإظهارها للغير . وموضوعه : كيفية زيادة مادة المعارف بتصور الأمور الخارجية ، واكتساب أعلى الحقائق وأقصى النظريات من طريق البرهان والقياس . وانظر دائرة معارف القرن العشرين ١٠: ٢٦٨ – ٢٦٩ – وسأشير إليها فيما بعد : بدائرة معارف وجدي حيث أن مؤلفها هو : محمد فريد وجدي – ١٣٧٣ هـ ط ٣ ، دار المعرفة ، بيروت ١٩٧١ م .

(٨) العرض : في اصطلاح المتكلمين :هو الذي يحتاج الى موضع – أي محل – يقوم به . كاللون المحتاج في وجوده الى جسم يحله . ويطلق عند جمهور العرب على كل نافع في هذه الحياة الدنيا . انظر التعريفات ١٥٣ ولباب العقول : ٣٥.

(٩) في ط (وجود) بدون هاء .

ولما كان البارى ـ تقدمت أسماؤه ـ أشرف الموجودات ،إذ هو سبب سائرها ، أوجب أن يكون أشرف الأمور وأعلاها الجوهر . ولهذا قلنا : إنه جوهر لا كالجواهر المخلوقة ، كما نقول : إنه شيء لا(١) كالأشياء المخلوقة ، وإلا لزم أن يكون قوامه بغيره ، ومفتقر في وجوده إلى غيره ، وهذا من(٢) القبيح أن يقال على الله ـ تعالى ـ فقلت لهم : إنهم يقولون : إنا إنما نمتنع من تسمّيه(٣) جوهرا ، لأن الجوهر ماقبل عرضا وماشغل الحيز ، ولهذا(٤) مايطلق عليه القول بأنه ـ تعالى ـ جوهر * قالوا : إن الذي يقبل عرضا(٥) ويشغل حيزا هو الجوهر الكثيف ، فأما الجوهر اللطيف ، فما يقبل عرضا ولايشغل حيزا ، مثل جوهر النفس ، وجوهر العقل ، وجوهر الضوء ، ومايجرى هذا المجرى من الجواهر اللطيفة المخلوقة .

---

(١) سقطت (لا) من ط .

(٢) جاءت في جميع النسخ (فمن) والصواب حذف الفاء كما فعلنا .

(٣) في ك و ط (من أن نسميه) .

(٤) في ط (من) .

(٥) في ك (جوهرا) بالنصب .

فإذا كانت الجواهر اللطيفة المخلوقة لاتقبل عرضا ، ولاتشغل حيـــــزا ، فيكون خالق الجواهر اللطائف والكثائف ومركب اللطائف بالكثائف ، يقبل عرضا ويشغل حيزا كلا .

والجواب من وجوه :

أحدها : أن يقال : أما تسمية الباري جوهرا . فهو من أهون ماينكـــر على النصارى ، ولهذا كان من الناس من ينكره من جهة الشرع ـ فقط ـ أواللغة ، ومنهم من ينكره من جهة العقل-أيضا-، ومنهم من يراه نزاعا لفظيا ،وطائفة من المسلمين يسمونه جوهرا وجسما-أيضا-، وذلك أن المسلمين في أسماء اللـــه ـ تعالى ـ على طريقتين ، فكثير(١) منهم يقول : ان أسماءه سمعية شرعيـــة ، فلا يسمى الا بالأسماء التي جاءت بها الشريعة ، فإن هذه عبادة ،والعبـــادات مبناها على التوقيف والاتباع .

ومنهم من يقول : ماصح معناه فياللغة ، وكان معناه ثابتا له ، لـــم يحرم تسميته به ، فإن الشارع لم يحرم علينا ذلك ، فيكون عفوا . والصواب القول الثالث ، وهو أن يفرق بين أن يدعى(٢) بالأسماء أو يخبر بها عنـــه . فإذا دعى لم يدع إلا بالأسماء الحسنى ، كما قال تعالى : ﴿ ولله الأسمـــاء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه﴾(٣) . وأما الاخبار عنـــه ، فهو بحسب الحاجة ، فإذا احتيج في تفهيم الغير المراد الى أن يترجم أسماؤه بغير العربية ، أو يعبر عنه باسم له معنى صحيح ، لم يكن ذلك محرما .

---

(١) في ط (وكثير) بالواو .

(٢) في أ ورسمت (يدعا) .

(٣) سورة الأعراف : ١٨٠ .

وأما الذين منعوه من جهة العقل ، فكثير : منهم من يقولون : إن الجوهر ماشغل الحيز ، وحَمَل الأعراض ، والله ـ سبحانه وتعالى ـ ليس كذلك ، وهذا قول من نفى ذلك من أهل الكلام (١) . ومنهم من يقول : الجوهر ما إذا وجد كان وجوده لافي موضوع ، وهذا إنما يكون فيما وجوده زائدٌ على ذاته ، وواجب الوجود وجوده عين ذاته ، فلا يكون جوهرا ، وهذا قول ابن سينا (٢) وأمثاله من متأخري المتفلسفة (٣) .

---

(١) أهل الكلام : هم الذين يرون تقرير أصول الدين بالفلسفة العقلية ، التي قاعدتها علم المنطق وعلوم الأوائل ، وقد نشأ في القرن الثاني من الهجرة ، في عهد العباسيين . وهو علم يقتدر معه على إثبات العقائد بإيراد الحج ودفعه الشبه . وسمي علم الكلام : إما لأنه أول مسألة اختلف فيها هي مسألة القرآن : هل هو منزل أو مخلوق ، وإما لأن أقوى أسلحة هذا العلم هو الكلام ، وصوغ الحجة القاطعة ، وإتقان التعبير عن المقاصد ... الخ وهو يشبه علم " اللاهوت " عند النصارى . انظر المواقف في علم الكلام : ٢٧ ، لعضد الدين القاضي عبد الرحمن بن أحمد الأيجي ـ ٧٥٦ هـ عالم الكتب . بيروت . ودائرة معارف وجدي ٨ : ١٧٣ ـ ١٧٤ وعلم الكلام ومدارسه : ٤٨ ـ ٥٦ د . فيصل عون ، نشر مكتبة الحرية الحديثة ، القاهرة ١٩٨٢م .

(٢) هو أبو علي ، الرئيس ، الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا ، صاحب التصانيف الكثيرة في الفلسفة والطب ، وله من الذكاء الخارق والذهن الثاقب مافاق به غيره ، ومولده ببخارى ، وكان أبوه من دعاة الإسماعيلية ، تاب في آخر عمره ، واغتسل وتصدق مما معه ،ورد المظالم وأعتق مماليك وجعل يختم في كل ثلاثة أيام ختمة . ثم مات بهمذان سنة ٤٢٨ هـ وله مايقرب من مائة مصنف منها : الشفاء والإشارات والقانون وغيرها . انظر وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ٢ : ٢ : ١٥٧ ـ ١٦٢ لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان ـ ٨٦١ هـ ت د. احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧م .وشذرات الذهب ، في أخبار من ذهب ٣ : ٢٣٤ ـ ٢٣٧ لعبد الحي بن العماد الحنبلي ـ ١٠٨٩ هـ ط ١ دار الفكر بيروت ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩م ولسان الميزان ٢ : ٢٩١ ـ ٢٩٣ لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ـ ٨٥٢ هـ ط ٢ ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ١٩٧١ م = ١٣٩٠ هـ .

=

وأما قدماء الفلاسفة ، كأرسطو[(١)] وأمثاله ، فكانوا يسمونه جوهرا ، وعنهم أخذت النصارى هذه التسمية ، فإن أرسطو كان قبل المسيح[(٢)] بأكثر من ثلاثمائة سنة ، ولهذا قال هؤلاء في كتابهم : نعجب ممن ينكر ذلك ، وهو قد قرأ شيئا من كتب الفلاسفة والمنطق[(٣)] .

= (٣) من أمثال يعقوب بن اسحاق الكندي ، وحنين بن اسحاق ، وأحمد ابن زيد البلخي وغيرهم ، وهؤلاء قد سلكوا كلهم طريقة أرسطو في جميع ماذهب اليه وانفرد به ، سوى كلمات يسيرة ، ربما رأوا فيها رأي أفلاطون والمتقدمين . أنظر الملل والنحل ٢ : ١٥٨ – ١٥٩ .

(١) هو أرسطو طاليس بن نيقوماخوس بن ماخاون ، من ولد اسقلبيادس الذي اخترع الطب لليونانيين ، ولد سنة ٣٨٤ ق . م ، وتتلمذ على أفلاطون في (أثينا) ، وهو فيلسوف وحكيم مشهور ، له كتب كثيرة في مختلف الفنون ، مثل كتاب المقولات وكتاب البرهان ، وكتاب الخطابة . مات سنة ٣٢٢ ق . م . أنظر الملل والنحل ٢ : ١١٩ ، وتاريخ الحكماء : ٢٧ – ٥٣ لجمال الدين أبي الحسن على بن يوسف القفطي – ٦٤٦ هـ نشر مكتبة : المثنى ، بغداد ، والفهرست : ٣٤٥ – ٣٥٢ لمحمد بن اسحاق النديم البغدادي – ٣٧٨ هـ دار المعرفة ، بيروت . واغاثة اللهفان ، من مصايد الشيطان ٢ : ٢٥٩ – ٢٦٣ للامام أبي عبد الله – تلميذ الشيخ المؤلف – محمد بن أبي بكر ،الشهير بابن قيم الجوزية – ٧٥١ هـ ، ت : محمد حامد الفقي ، نشر دار المعرفة ، بيروت .

(٢) المسيح : هو نبي الله عيسى بن مريم – عليه السلام – وقد فسر العلماء ذلك بأحد قولين : ١. قال ابو عبيدة والليث : أصله بالعبرانية (مشيحا) فعربته العرب ،وغيروا لفظه ،و(عيسى) أصله (يشوع) كما قالوا – في موسى – : أصله (موشى) أو (ميشا) بالعبرانية ، وعلى هذا القول لايكون له اشتقاق . والقول الثاني ، أنه مشتق ، وعليه الأكثرون ، وذكروا في ذلك ثمانية أوجه : إما أنه يمسح بيده ذوي العاهات فيبرأون ، أو أنه يمسح الأرض : أي يقطعها ، أو أنه يمسح

=

.....

= رؤس اليتامى لله ـ تعالى ـ ، أو أنه مُسِحَ من الأوزار والآثام ، أو أنه ممسوح القدمين ، فلم يكن في قدمه خُمْص ، أو لأن كان ممسوحا بدهن طاهر مبارك ، يُمسح به الأنبياء ، ولايمسح به غيرهم ، أو لأنه مسحه جبريل ـ عليه السلام ـ بجناحه وقت ولادته ، أو لأنه خرج من بطن أمه ممسوحا بالدهن . قلت : وهذا الوجه مقارب جدا للوجه السادس . أنظر التفسير الكبير ٨ : ٥٤ المجلد الرابع ، للإمام محمد بن عمر الفخر الرازي ـ ٦٠٤ هـ ، ط ١ ، دار الفكر ، بيروت ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م .

(٢) في ط فقط زيادة : " وقد ذكرت طائفة : أن أفلاطون وغيره كانوا ينكرون تسميته جوهرا ، وأن أرسطو سماه جوهرا . ومما (هكذا) حكى النزاع بينهم أبو نصر الفارابي " .

(٣) هذا النص من رسالة بولص الأنطاكي ، وقد تقدم شيء منه . قال زميلي د. على بن حسن بن ناصر : قلت : حاولنا البحث جاهدين عن نص الرسالة ، فظفرنا ببعضها ، ولم نظفر بها كاملة ،وقد وجدناها ضمن مخطوطات مكتبة المتحف القبطي ، في كنيسة ماري جرجس ، بمصر القديمة ، برقم (٩٥) والرقم العام (١٢٥٤) ... والنص الموجود من رسالة النصراني ينتهي رد الشيخ عليه بانتهاء صفحة : ٢٠٢ من الجزء الثالث من الكتاب المطبوع ، ط (المدني) . راجع الجواب الصحيح ... ، الجزء الأول ، المجلد الأول : ٤٦ ـ ٤٧ دراسة وتحقيق د . على بن حسن بن ناصر ، رسالة دكتوراه ،مقدمة لقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بكلية أصول الدين بالرياض ،للعام الجامعي ١٤٠٥ ـ ١٤٠٦ هـ .

وأما اللغة : فان لفظ الجوهر ليس من العربية العرباء، ولهذا لايعرف في كلام العرب المحض ، وإنما هو معرب كما ذكر ذلك الجوهري (١) وغيره ، قال الجوهري (٢) : الجوهر معرب ، الواحدة جوهرة فهو من العربية المعربة ، لا من العربية العرباء ، كلفظ سجيل (٣) ، وإستبرق (٤) وأمثال ذلك من الألفاظ المعربة ، وهذا اللفظ ليس موجودا في القرآن (٥) . ومع هذا فلما عرب كان معناه في اللغة : هو الجوهر المعروف، وتسمية القائم بنفسه أو الشاغل للحيز جوهرا ، فهو أمر اصطلاحي ، ليس هو من الأسماء اللغوية ولا العرفية العامة (٦) ، ولا الأسماء الشرعية .

---

(١) هو إسماعيل بن حماد الجوهري ، صاحب الصحاح في اللغة ، يكنى أبا نصر، كان من " فاراب " وهي من بلاد الترك وكان من أذكياء العالم ، وأحد أئمة اللسان والأدب جيد الحفظ والخط ، قيل : إنه مات مترديا عندما حاول الطيران بجناحين سنة ٣٩٣ هـ بنيسابور . انظر لسان الميزان ١ : ٤٠٠ – ٤٠١ وشذرات الذهب ٣ : ١٤٢ – ١٤٣ .

(٢) الصحاح ، تاج اللغة وصحاح العربية ،لإسماعيل بن حماد الجوهري ت : أحمد عبد الغفور عطار ، ٢ : ٦١٩ مادة جهر ، باب الراء ، فصل الجيم ،ط ٢ ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٣٩٩ – ١٩٧٩م .

(٣) سجيل : قال الأزهري : والذي عندنا – والله أعلم – أنه إذا كان التفسير صحيحا فهو فارسي أعْرِب ، لأن الله – تعالى – قد ذكر هذه الحجارة في قصة قوم لوط فقال : " لنرسل عليهم حجارة من طين " (سورة الذاريات : ٣٣) فقد بَيَّن للعرب ماعَنَى بسجيل . لسان العرب ١١ : ٣٢٧ مادة : سجل لمحمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري – ٧١١ هـ دار صادر ، بيروت.

(٤) إستبرق : قال الزجاج : هو الديباج الصفيق الغليظ الحسن ، قال : وهو اسم أعجمي أصله بالفارسية : إستقره ، ونُقل من العجمية الى العربية...) . اللسان ١٠ : ٥ مادة : إستبرق .

(٥) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، باب الجيم : ١٨٣ محمد فؤاد عبد الباقي ، نشر دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٦٤ هـ .

(٦) في أ و ك (العربية) والصواب ما أثبتناه من ط .

وقد قيل : إنه مأخوذ من كلام الأوائل ، كاليونان[1] وغيرهم ، فإنه يوجد في كلامهم تسمية القائم بنفسه جوهرا . وقد قيل : سموه بذلك لأن جوهر الشيء أصله ، والقائم بنفسه هو الأصل . وقد يسمون العرض القائم بغيره جوهرا . وقيل : لأن لفظ الجوهر . فَوْعَل ، من الجهر : وهو الظهور والوضوح ، والقائم بنفسه يظهر ويعرف قبل أن يُعْرَف ماقام به من الأعراض[2] .

والناس متفقون على اثبات الأعيان القائمة بنفسها التي تسمى جواهر أو أجساما ، وتنازعوا في ثبوت الأعراض القائمة بها ، والنزاع عند محققيهم لفظي ، فان عاقلا لاينازع أن الجسم يتحرك بعد سكونه . لكن منهم من يقول: حركته ليست زائدة على ذاته . ومنهم من يقول : هي زائدة على ذاته . وهو نظير نزاعهم في الصفات : هل هي زائدة على الذات أو ليست زائدة ؟

---

(١) اليونان : قال المسعودي : وقد ذكر ذوو العناية بأخبار المتقدمين أن (يونان) أخو (قحطان) ، وأنه من ولد عابر بن شالخ ... وأنه خرج في جماعة من ولده وأهله ومن انْضَاف إلى جملته حتى وافى أقاصي بلاد المغرب ، فأقام هناك ، وأنسل في تلك الديار ، واستعجم لسانه ، ووازى من كان هنالك في اللغة الأعجمية والروم ، فزالت نسبته ، وانقطع سببه ، وصار منسيا في ديار اليمن ، غير معروف عند النسابين منهم . واليونان طائفتان : الاغريقيون واللطينيون . مروج الذهب ومعادن الجوهر ١: ٢٨٥ وتاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء : ٤٤ - ٦٥ لحمزة بن الحسن الأصفهاني - ٣٦٠ هـ دار مكتبة الحياة ، بيروت،وتتمة المختصر في أخبار البشر ١ : ١١٨ لزين الدين عمر بن مظفر بن الوردي - ٧٤٩ هـ ، دارالمعرفة بيروت ١٣٨٩ هـ

(٢) راجع لباب العقول للمكلاتي ، فقد عقد فيه فصلا تحدث فيه عن الجوهر ومايدور حوله ، من : ٢٧ - ٣٥ .

والتحقيق أن مسمى الانسان إذا أُطلق دخل فيه صفاته ، وإذا ميز بين هذا وهذا قيل : الذات والصفات . ومن الناس من يخص بلفظ العَرَض مالم يكن من الصفات لازما للموصوف ، والصفات اللازمة يسميها (١) صفات ذاتيه (٢) جوهرية . ومنهم من يخص بالعرض مالايبقى (٣) عنده زمانين ، ويقول : صفات المخلوق تسمى (٤) أعراضا ، لأنها لاتقبل زمانين بخلاف صفات الله ، فانها عنده باقية (٥) فلاتسمى أعراضا .

ومن نُظّار (٦) المسلمين من يسمى صفات كل موصوف أعراضا - واذا (٧) كان كذلك فلا يدخل في أسماء الله التي تذكر في أصول الايمان التي يجب اعتقادها من الأسماء ماهو اصطلاح طائفة من الناس ، مع أنه يوهم معنى باطلا . وهذا الوضع مما اضطرب فيه - مع النصارى - كثير من الناس -. منهم : من يجعل الصفات أعيانا قائمة بنفسها وجواهر قائمة بنفسها . ومنهم : من يجعل الأعيان القائمة بنفسها صفات ، والصفات لاتقوم بأنفسها ، بل لابد لها من موصوف تقوم به . والأولون نوعان : منهم : من نفى (٨) الصفات ، وقال :لو أثبتنا له حياة وعلما وقدرة لزم أن تكون هذه آلهة ، فان القِدَم أخص وَصْفِهْ ،

---

(١) في ك و ط زيادة (أو) .

(٢) في ك سَقْطٌ بمقدار ثلاثة أسطروقد كتب كلمة (ومنهم) في الهامش ولكنه لم يكمل . وقد انتهى السقط عند قوله (... كل موصوف أعراضا)

(٣) في ط (ينفي) وقال في الهامش (هكذا بالأصل) ثم ذكر الصحيح في الهامش .

(٤) في ط (المخلوقات) .

(٥) في ط (فانها ثابته) .

(٦) في ط زيادة (وغيرهم) .

(٦) هم أهل النظر ، والنظر : علم يبحث فيه عن الموجودات كلها من حيث تعينها وثبوتها وتحقق حقائقها ومايعرض لها ، ونسب مابينها : مما يعمها ومايخصها ، من حيث هي موجودات مجردة عن المادة وعلائقها . وموضوعه : الموجودات وأحوالها من هذه الحيثية . دائرة معارف وجدي ، ٦ : ٦١٩ - ٦٢٠ .

(٧) في ط (اذا) بدون واو .

(٨) في أ (يقر) والصحيح مافي ك و ط ولذلك اعتمدناه .

فلو أثبتنا قديما ليست هي الذات ، لزم أن يشارك الذات في أخص وصفها ، فتكون ذاتا أخرى قائمة بنفسها . وهذه طريقة كثير من نفاة الصفات من مبتدعة المسلمين (١) ، واليهود والنصارى احتجوا على نفي الصفات بأنا لو (٢) أثبتناها لزم أن تكون آلهة .

وقال من قال من المنتسبين الى الاسلام (٣) : انا لو أثبتنا الصفات لقلنا بقول النصارى ، حيث أثبتوا لله الأقانيم (٤) ، وحجة هؤلاء قائمة على النصارى ، وهم النوع الثالث ،فانهم أثبتوا لله صفات وجعلوها جوهرا قائما بنفسه ، وقالوا (٥) : ان الله موجود حي ناطق ،ثم قالوا : حياته جوهر قائم بنفسه ، ونطقه ـ وهو الكلمة ـ جوهر قائم بنفسه ،وقالوا في هذا : انه الـه من اله ، وهذا اله من اله ،فأثبتوا صفات لله وجعلوها جواهر قائمة بنفسها ، ثم قالوا (٦) : الجميع جوهر ،فكان في كلامهم أمور كثيرة (٧) من الباطل المتناقض ،منهم من جعل الصفات جوهرا . ومنهم من جعل الجواهر المتعددة جوهرا واحدا .

---

(١) المبتدعة : جمع مبتدع ،والبدعة الحدث في الدين بعد الاكمال ،أو ما أستحدث بعد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الأهواء والأعمال ،وكبار الفرق الاسلامية الخارجة عن السنة والجماعة سبع : الشيعة والمعتزلة والخوارج والمرجئة والنجارية والجبرية والمشبهة . أنظر ترتيب ١:٢٣٠، والمواقف: ٤١٤.

(٢) في أ (فانا) والأصح مافي ك و ط ولهذا أثبتناه .

(٣) انظر المواقف: ٤١٤ .

(٣) من أمثال أبي علي الجبائي وأبي الهذيل العلاف المعتزليان . انظر الفرق بين الفرق : ١٨٣ ـ ١٨٤ لعبد القاهر بن طاهر البغدادي ـ ٤٢٩ هـ ت : محمد محي الدين عبد الحميد ، نشر دار المعرفة ، بيروت ، وانظر الملل والنحل ١ : ٥٠.

(٤) الأقانيم جمع أقنوم ، وهي كلمة سريانية معناها : شخص مستقل بذاته عن غيره . وهي نوعان : أقانيم التجسد ،وأقانيم المتعدد، ويعنون بالأقانيم الصفات كالوجود والحياة والعلم ، وسموها الأب والابن وروح القدس ،والعلم تدرع وتجسد دون سائر الأقانيم ،وتختلف طوائف النصارى في تفسيرها . أنظر أقانيم النصارى : ٩ د. أحمد حجازي السقا ط ١ ، نشر دار الأنصار ، ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧م ، مصر ، والملل والنحل ١ : ٢٢٦ ـ ٢٢٨ . ومحاضرات في النصرانية لمحمد أبي زهرة : ١٢٠ ـ ١٢١ دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٨٢م .

(٥) في ك و ط (فقالوا) .

(٦) في ط زيادة (واحد) .

(٧) في أ (كثير) بدون تاء .

والذين قالوا من نفاة الصفات (١) المعتزلة والجهمية : إن من أثبت الصفات فقد قال بقول النصارى ،هو (٢) متوجه على من جعل الصفات جواهر . وهؤلاء هم النصارى يزعمون أن الصفات جواهر آلهة ، ثم قال هؤلاء : ولاإله إلا الله ، فلا صفة له . وقالت النصارى : بل الأب جوهر إله ، والابن جوهر إله ، وروح القدس جوهر إله ، ثم قالوا : والجميع إله واحد . ونفس تصور هذه الأقوال ـ التصور التام ـ يوجب العلم بفسادها . وأما الرسل وأتباعهم ، فنطقوا أن لله علما وقدرة وغير ذلك من الصفات ، وثبتوا (٣) أن الاله إله (٤) واحد . فإذا قال القائل : عبدت الله ، ودعوت الله . فإنما دعا وعبد الها واحدا ، وهو ذات متصفة بصفات الكمال ، لم يعبد ذاتا لاحياة لها ولاعلم ولاقدرة ، ولاعبد ثلاثة آلهة ولا ثلاثة جواهر ، بل نفس اسم الله يتضمن ذاته المقدسة المتصفة بصفاته ـ سبحانه ـ وليست صفاته خارجة عن مسمى اسمه ، ولازائدة على مسمى اسمه ، بل اذا قدر ذات مجردة عن الصفات ، فالصفات زائدة على هذه الذات القدرة في الذهن المجردة عن الصفات ، ليست الصفات زائدة على الذات المتصفة بالصفات ، فان تلك لاتتحقق (٥) إلا بصفاتها ، فتقديرها ـ مجردة عن صفاتها ـ تقدير ممتنع .

---

(١) في ك و ط زيادة (من) .

(٢) في ط (فهو) بالفاء في أوله .

(٣) في ك و ط (بينوا) .

(٤) لم ترد لفظة (إله) في ط .

(٥) في ك (لاوجود تحقق) وفي ط " لاوجود لها " .

وقد تنازع المثبتة : هل يقال الصفات عين[(١)] الذات ، أم يقال ليست[(٢)] عين[(١)] الذات ؟ أم يقال : لايقال هن[(٣)] غير الذات ، ولايقال ليست غير الذات ؟[(٤)]

وتنازعوا في مسمى الغيرين[(٥)] : هل هما ماجاز مفارقة أحدهما الآخر مطلقا ، أو ماجاز مفارقته بوجود أو زمان أو مكان ، أو هما ماجاز العلم بأحدهما مع عدم العلم بالآخر ؟ وغاية[(٦)] ذلك منازعات لفظية .

وكثير[(٧)] منهم فرق في الصفات اللازمة بين بعضها وبعض . فجعل بعضها زائدا على الذات ، وبعضها ليس بزائد على الذات ، وكان الفرق بحسب مايتصوره ، لابحسب ما الأمر عليه في نفسه . فإذا أمكنهم تصور الذات بدون صفة ، قالوا : هذه زائدة ، وإلا قالوا : ليست زائدة ، وهذا يقتضي أنها زائدة على ماتصوروه هم من الذات ، لا أنه في الخارج ذات مجردة عن تلك الصفة وصفة زائدة عليها ، بل ليس إلا الذات المتصفة بتلك الصفات .

ولكن يجب الفرق بين أن يقال : إن الصفات غير الذات ، وبين أن يقال : إنها غير الله ، فإن اسم (الله) متناول لذاته المتصفة بصفاته . فإذا قال القائل : دعوت الله ،وعبدت الله ، فلم يدع ذاتا مجردة ، ولاصفات مجردة ، بل دعا الذات المتصفة بصفاتها ، فاسمه ـ تعالى ـ يتناول ذلك . فليست صفاته خارجة عن مسمى اسمه ، ولازائدة على ذلك . وإن قيل : إنها زائدة على الذات المجردة . ومن ظن أنها زائدة على الذات المتصفة بصفاتها التي تدخل صفاتها في مسماها ، فقد غلط ، ولكن في الأذهان والألسنة زلق[(٨)] في هذا الموضع كثيرا .

---

(١) في ك و ط (غير) في الموضعين .
(٢) سقطت (يقال) من ك .
(٣) في ك و ط (هي) .
(٤) سقطت جملة (ولايقال ليست غير الذات) من ك .
(٥) في أ (العزيز) والأصوب مافي ك و ط ولهذا أثبتناه .
(٦) في ك و ط (وغير) .
(٧) في أ (كتبهم) والصحيح ما أثبتناه من ك و ط .
(٨) في ط (ولكن الأذهان والألسنة تزلق) .

فإذا قيل : الصفات مغايرة للذات ، لم يكن في هذا من المحذور ما في قولنا : إن صفات الله ، غير الله ، فإن اسم الله يتناول صفاته . فإذا قيل: إنها غيره ، فهم من ذلك أنها مباينة له ، وهذا باطل . ولهذا كان النفاة(١) إذا ناظروا أئمة المسلمين ، كما ناظروا الامام أحمد بن حنبل(٢) في محنته المشهورة(٣) فقالوا له : " ماتقول في القرآن وكلام الله ، أهو الله ، أم غير الله ؟ " عارضهم بالعلم ، وقال لهم : " ماتقولون في علم الله ،

---

(١) النفاة هم : المعطلة ، من النفي والتعطيل : وهو نفي الصفات الالهية عن الله – تعالى – وانكار قيامها بذاته ، كما تفعل الجهمية والمعتزلة وغيرهم . الكواشف الجلية عن معاني الواسطية : ٥٣ و ٥٦ لعبدالعزيز بن محمد السلمان، ط ٢، مطبعة السعادة بمصر ١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠ م

(٢) الامام أحمد بن حنبل : هو الامام حقا ، وشيخ الاسلام صدقا ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الذهلي الشيباني المروزي ثم البغدادي ، ولد سنة ١٦٤ هـ له كتاب المسند وفيه ٣٠٠٠٠ حديثا بالمكرر وكتاب الزهد ورسالة الصلاة ، وتوفى سنة ٢٤١ هـ وله ٧٧ سنة . سير أعلام النبلاء ١١: ١٧٧ – ٣٥٨ للامام محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي – ٧٤٨ هـ أشرف على تحقيقه الشيخ شعيب الأرنؤوط ، ط ١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢م ، ووفيات الأعيان ١ : ٦٣ – ٦٥ ، والرسالة المستطرفة : ١٤ – ١٦ لمحمد بن جعفر الكتاني – ٣٤٥ هـ ، ط ٢ دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٠ هـ .

(٣) وذلك عندما حاول الخليفة العباسي المأمون حمل الناس على القول بعقيدة خلق القرآن ، فتصدى الامام أحمد لانكار ذلك ، فاعتقل وأرسل هووزميله : محمد بن نوح إلى المأمون في الرقة ، فمات المأمون ، وتولى المعتصم فأبقاه في الحبس ، وأمر بضربه ، وكان يشرف بنفسه على ذلك ، ثم أطلقه ورجع إلى بيته بعد ثمانية وعشرين شهرا من الاعتقال والتعذيب ، ثم مات المعتصم ، وتولى الواثق ، فأمره بنفي نفسه ، فاختفى حتى مات الواثق ، ثم تولى المتوكل فانكشفت الغمة وظهرت السنة . انظر مناقب الامام أحمد بن حنبل : ٣٠٨ – ٣٧٩ للحافظ عبد الرحمن بن الجوزي – ٥٩٧هـ نشر مكتبة الخانجي ، مطبعة السعادة بمصر ١٣٤٩ هـ .

أهو الله ، أم غير الله ؟"[1] . وأجاب - ايضا - بأن الرسل[2] لم تنطق بواحد من الأمرين[3] ، فلا حجة لهم في كلام الله ورسوله ، فإن الله لم يقل لكلامه : هو أنا ، ولاقال : إنه غيري ! حتى يقول القائل . إذا كان قد جعل كلامه غيره وسواه ، فقد أخبر أنه خالق لكل ماسواه ! .

فإن كان الاحتجاج بالسمع . فلاحجة فيه ، وإن كان الاحتجاج بالعقل . فالمرجع في ذلك الى المعاني لاالى العبارات . فإن أرد المريد بقوله : هل كلامه وعلمه غيره ؟ أنه مباين له . فليس هو غيراً له[4] بهذا الاعتبار .وإن أراد بذلك أن نفس الكلام والعلم ليس هو العالم المتكلم . فهو غير له بهذا الاعتبار . وإذا كان اللفظ مجملا لم يجز اطلاقه على الوجه الذي يُفهِم المعنى الفاسد . وأما الذين جعلوا الأعيان القائمة بأنفسها صفات ، فهم هؤلاء المتفلسفة النفاة للصفاة ومن أشبههم ، فإنهم قالوا : إن رب العالمين عقل وعاقل ومعقول .

---

(١) راجعت مضان وجود هذا الأثر في كتاب مسائل الامام أحمد لأبي داود السجستاني - ٢٧٥ هـ ، نشر دار المعرفة ،بيروت ،ورسالة الرد على الجهمية والزنادقة للامام أحمد ، نشر رئاسة ادارات البحوث العلمية والافتاء السعودية بالرياض ، وترجمة الامام أحمد في سير ٠٠ النبلاء ١١ : ١٧٧ - ٣٥٨ ، فلم أجد ذلك النص ! وإنما هو بلفظ آخر مختلف المعنى في رسالة الرد على الجهمية والزنادقة : ٣٢ - ٣٣ وانظر الحَيْدة : ٣١ - ٤٠ للامام عبد العزيز بن يحيى بن مسلم الكناني المكي - ٢٤٠ هـ ،نشر رئاسة ادارات البحوث العلمية والافتاء السعودية . ومختصر الفتاوي المصرية لشيخ الاسلام ابن تيمية : ٥٨٢ - ٥٨٣ للشيخ محمد بن علي الحنبلي البعلي - ٧٧٧ هـ ط ١ ، دار نشر الكتب الاسلامية ،باكستان ،لاهور ١٣٩٧ هـ=١٩٧٧م

(٢) في ك و ط (المرسلين) .

(٣) في ك و ط (لكم) .

(٤) في المطبوعة (إله) وهوخطأ شنيع.

ولفظ (العقل) عندهم وإن كانوا يقولون : هو جوهر قائم بنفسه ، فقد صرحوا أيضا بأنه ـ نفسه ـ علمه (١) ، حتى صرحوا بأن رب العالمين علم ، كما صرح بذلك ابن رشد (٢) وغيره ، ونقلوه عن أرسطو ، وأن العقول العشرة (٣) كل منها علم ، فهو علم وعالم ومعلوم . بل قالوا : عقل وعاقل ومعقول ، وعاشق ومعشوق وعشق ، ولذيذ وملتذ ولذة ، فجعلوه ـ نفسه ـ لذة وعقلا وعشقا ،وجعلوا ذلك هو العالم العاشق الملتذ ، وجعلوا نفس العلم نفس العشق ، ونفس اللذة . فجعلوه ـ نفسه ـ صفات ـ،وجعلوه ذاتا قائمة بنفسها ، وجعلوا كل صفة هي الأخرى ، وهذا مما يعلم ـ بصريح العقل ـ بطلانه .

ومنهم من لايصرح بأنه ـ نفسه ـ علم ، فإنه يقول : هو عاقل ومعقول وعقل . يقول : إنه يعلم نفسه بلا علم علمه (٤) ، بل هو العالم ، وهو المعلوم ، وهو العلم . وحقيقة كلامهم تعود (٥) إلى قول أولئك ، فإنهم إذا قالوا : إن العلم الذي يعلم به ذاته هو العالم ، وهو المعلوم . فقد جعلوا نفس العلم

---

(١) في ك و ط (علم) .

(٢) هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن أحمد بن رُشْد القرطبي المالكي قاضي الجماعة بقرطبة ومفتيها ، كان من أوعية العلم وله تصانيف مشهورة منها كتاب : المقدمات ، وكتاب : البيان والتحصيل لما في المستخرجة من التوجيه والتعليل ، وكتاب : اختصار مشكل الآثار للطحاوي ، كان مولده سنة ٤٥٠ هـ ومات سنة ٥٢٠ هـ . انظر سير .. النبلاء ١٩: ٥٠١ ـ ٥٠٢ ، وشذرات الذهب ٤ : ٦٢ ومعجم المؤلفين ٨ : ٢٢٨ لعمر رضا كحالة ، دار احياء التراث العربي ، بيروت .

(٣) العقول العشرة : مصطلحات منطقية هي الجوهر والكم والاضافة والكيف والأين ومتى والوضع والملك والفعل والانفعال . انظر الملل والنحل ٢ : ١٦٩ـ ١٧١

(٤) لم ترد (علمه) في ك و لا ط .

(٥) في ط (يعود) .

نفس العالم ، ونفس العلم نفس المعلوم ، وهي[(١)] حقيقة قول أولئك ،وهذه الأمور مبسوطة في غير هذا الموضع[(*)] .

الوجه الثاني : أن يقال لهم : أنتم تقولون : إنكم متبعون للكتب[(٢)] الالهية ، وإذا كان كذلك لم ينبغ[(٣)] لكم[(٤)] في شريعة إيمانكم من الأسماء الا ماجاءت به الأنبياء – عليهم السلام – .

والأنبياء لم يسم الله[(٥)] أحد منهم جوهرا ، وإنما سماه بذلك أرسطو وأمثاله ، وهؤلاء كانوا مشركين[(**)] يعبدون الأصنام ، ولم يكونوا يعرفون الله المعرفة الصحيحة ، ولايقولون : إنه خالق السموات والأرض ، ولا إنه بكل شيء عليم ، ولا على كل شيء قدير ، وإنما كانوا يعبدون الكواكب العُلوية ، والأصنام السُفلية ، ويعبدون الشياطين ، ويؤمنون بالجبت والطاغوت[(٦)] ،

---

(١) في ط (وهذا هو) .

(*) انظر مجموع فتاوي شيخ الاسلام ٩ : ٢٧٦ – ٢٧٧ جمع وترتيب : عبدالرحمن ابن محمد بن قاسم – ١٣٩٢ هـ وساعده ابنه محمد : عضو هيئة التدريس بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بكلية أصول الدين بالرياض ، تصوير الطبعة الأولى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٣٩٨ هـ ،وانظر نقض المنطق :٣٢ للشيخ المؤلف ، ت : محمد حمزة وسليمان الصنيع ، مكتبة السنةالمحمدية ، القاهرة ١٣٧٠ هـ والملل والنحل ١ : ٤٩ – ٥٠ ومقالات الاسلاميين ،واختلاف المصلين : ٤٨٤ – ٤٨٥ ، لأبي الحسن علي بن اسماعيل الاشعري – ٣٢٤هـ نشر هلموت ريتر ، النشرات الاسلامية . ط ٣ .

(٢) في ك زيادة (يتلوه) .

(٣) في أ وك (ينبغي) والصواب حذف الياء كما في ط .

(٤) في ك و ط زيادة : (أن تدخلوا) .

(٥) هكذا في ط وفي أ و ك (يسميه أحد) .

(٦) الجبت : اسم الصنم ثم صار مستعملا لكل باطل . والطاغوت : كل ماعبد من دون الله : من حجر أو بشر أو شيطان .وقيل : هو اسم للشيطان . صفوة التفاسير ٥ : ٢٧٩ لمحمد علي الصابوني ، ط ٤ ، دار القرآن الكريم ، بيروت ١٤٠٢ هـ = ١٩٨١م .

(**) انظر تعريف الشرك ص ١٣٤، هـ ٤ .

وانما صاروا مؤمنين ، لما دخل اليهم دين المسيح . صلوات الله عليه وسلامه بعد الاسكندر المقدوني (١) ـ صاحب أرسطو ـ بنحو ثلاثمائة سنة (٢) . ويقال : إنه آخر ملوكهم كان (بطليموس) (٣) . وكانوا يسمون الملك من ملوكهم (بطلميوس) ، كما يسمون القبط ملكها (فرعون) (٤) والحبشة ملكها (النجاشي) ، والفرس (كسرى) (٥) ونحو ذلك . وحينئذ فعدولكم عن طريقة الأنبياء والمرسلين ، الى طريقة الكفار (٦) والمشركين المعطلين (٧) من الضلال المبين .

---

(١) الأسكندر اسم يوناني معناه : حامي البشر ،وهو ذو القرنين الثاني ، اسكندر بن فيلبس بن مصريم بن هرمس بن مطيون بن رومي ،ينتهي نسبه الى ابراهيم ـ عليه السلام ـ اليوناني المصري باني الأسكندرية ، وملك مكدونيا ،وفاتح امبراطورية الفرس . انظر البداية والنهاية ٢ : ١٠٥ لأبي الفداء اسماعيل بن كثير ـ ٧٧٤ هـ دار الفكر ، بيروت ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨م وقاموس الكتاب المقدس (عندهم) : ١٠١ ـ ١٠٢ نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين ، بدون أي معلومات نشر .

(٢) في أ سقطت السين من (سنة) فصارت (نه) .

(٣) سقطت جملة (ويقال انه ... بطليموس) من ط وشطبت في ك .

(٣) بطليموس : هو خليفة الاسكندر ،كان حكيما عالما سائسا مدبرا ، وكان ملكه ٤٠ سنة ،وقد كان له حروب مع بني اسرائيل وغيرهم من ملوك الشام ويقال أنه أول من لعب بالبزات والشواهين واقتناها ، وقد ملك بعده هيفلوس . مروج الذهب ١ : ٣٠١ ـ ٣٠٢ .

(٤) في ط (تسمي) .

(٥) الكامل في التاريخ ،لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن الأثير الجزري عز الدين ـ ٦٣٠ هـ ١ : ١٦٦ ط ٤ ، نشر دار الكتاب العربي . بيروت ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م . ومروج الذهب ومعادن الجوهر ١ : ٣٦٦ والبداية والنهاية ٣:٧٨.

(٦) الكفار : هم الجاحدون والمنكرون ، وأصل الكفر في اللغة : الستر والتغطية ، ومنه سمى الليل كافرا لأنه يستر الأشياء بظلمته ، قال الشاعر :

..... في ليلة كفر النجوم غمامها

والكفر على أربعة أضرب ١ ـ كفر إنكار : وهو أن لايعرف الله أصلا ، ككفر فرعون ٢ ـ كفر جحود : وهو أن يعرف الله بقلبه ولايقر بلسانه ككفر ابليس . ٣ ـ كفر عناد : وهو أن يعرف الله بقلبه ، ويقر بلسانه ، ولايدين به ، ككفر أمية بن أبي الصلت وابي طالب . ٤ ـ كفر نفاق : وهو أن يقر بلسانه ولايعتقد صحة ذلك بقلبه . تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل بذيل صحائف تفسير البيضاوي ١ : ٤٩ ـ ٥٠ دار الطباعة العامرة بمصر عام ١٣٢٤ هـ تصوير دار أحياء التراث العربي ، بيروت .

.....

= (٧) التعطيل : من العطل وهو : الخلو والفراغ والترك ، والمراد به : نفي الصفات الالهية عن الله ـ تعالى ـ وانكار قيامها بذاته أو أنكار بعضها ، ومن المشركين المعطلين بقايا دين أهل نمروذ من الصابئة والفلاسفة . الكواشف الجلية : ٥٢ ـ ٥٣ .

وفي كتبهم : أن بولس[١] لمّا صار إلى (أيثينية)[٢] دار الفلاسفة ،وفيها دار الأصنام ، وجد مكتوبا على باب دار العلماء[٣] الإلٰه الخفي الذي لايُعْرَف ، هو الذي خلق العالم"[٤] .

فكانوا لايعرفون رب العالمين ، فكيف يُعْدَلُ عن طريقة رسل الله وأنبيائه كموسى ، وداود والمسيح إلى طريقة هؤلاء الكفار المشركين المعطلين ؟! .

---

(١) بولس : هو من أصل يهودي . وله اسم آخر هو (شاول) وقد ولد في طرسوس ، ونشأ في أورشليم ، وقيل : إنه كان رومانيا ، ولكن المُرَجّح أنه كان يهوديا ، وقد تنصر ليفسد أهل النصرانية ، فكان يتجول في المدن والقرى لكي يقنع الناس بالعقيدة التي أحدثها استغلالاً لجهلهم وسذاجتهم . انظر الاصحاح التاسع فما بعده ، سفر أعمال الرسل ، العهد الجديد : ١٦٦ – ١٩٩ ، ومعاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير: ١٣ هامش ٦ ، لابراهيم بن سليمان الجهمان ، ط ٢ ، مطابع الريل ، الرياض ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨م . وقاموس الكتاب المقدس (عندهم) : ١٩٥ – ١٩٩.

(٢) في ط (أثينة) .

(٣) وهي العاصمة اليونانية الحالية وهي في جزيرة " هلاوة " باليونان ، وهي شهيرة بآثارها القديمة ، كانت في السابق واحدة من اشهردول اليونان ، واليها ينسب ترقي اليونان المادي والأدبي القديم ، وقد سادت على كل (اليونان) ، ثم ضعفت ومات حكيمها (سقراط) وزال مجدها ، حتي سطت عليها (مقدونيا) وامتلكتها .. دائرة معارف وجدي ١٠ : ١٠٤٨ – ١٠٥٥ ، وقاموس الكتاب المقدس (عندهم : ٢٦ – ٢٧.

(٤) في ك و ط زيادة : (والأصنام مكتوبا) .

(٤) انظر الاصحاح السابع عشر : ١٦ – ٣٤ سفر أعمال الرسل ، العهد الجديد ١٨١ .

ولكن النصارى ركبوا دينا من دينين من دين الأنبياء الموحدين ، ودين المشركين ، فصار في دينهم قسط مما جاءت به الأنبياء ، وقسط مما ابتدعوه من دين المشركين في أقوالهم وأفعالهم ، كما أحدثوا ألفاظ الأقانيم ، وهي ألفاظ لاتوجد في كلام الأنبياء (١) ، وكما أحدثوا الأصنام المرقومة (٢) بدل الأصنام المجسدة ، والصلاة إلى الشمس والقمر والكواكب ، بدل الصلاة لها (٣) ، والصيام في وقت الربيع ، ليجمعوا بين الدين الشرعي والأمر الطبيعي وغير ذلك .

الوجه الثالث : - قولهم : إن الذي يشغل حيزا ويقبل عرضا هو الجوهر الكثيف ، فأما الجوهر اللطيف فما يقبل عرضا ولايشغل حيزا (٤) ، مثل جوهر النفس وجوهر العقل وجوهر الضوء . فيقال : الكلام في الجواهر . هل هي منقسمة إلى متحيز وغير متحيز ، أو كلها متحيزة ؟! (٥) متصل بالكلام على نفس الانسان الناطقة (٦) .

---

(١) في ك و ط زيادة : شيء من) .

(٢) الأصنام المرقومة : من رقمت الثوب رقما ، من باب قتل : وَشَّيْتُه فهو مرقوم . أي الرسوم المصورة (وهو مايعرف الآن بالفنون التشكيلية) انظر المصباح المنير ، في غريب الشرح الكبير للرافعي : ٢٣٦ ، وسأشير اليه فيما بعد بكلمة : المصباح . تأليف العلامة : أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي - ٧٧٠ هـ المكتبة العلمية ، بيروت .

(٣) في أوط(اليها) .

(٤) في ك (فما) .

(٥) في ط (متحيز) .

(٦) هذه هي تسمية الفلاسفة لنفس الانسان ، والمراد عندهم بالنطق : العقل، لأن النطق أخص ثمرات العقل فينسب اليه ، وله قوتان : قوة عالمة وقوة عاملة . لباب العقول : ١٣٠ .

فنقول : إن المسلمين من أعظم الناس معرفة بوجود الملائكة (١)، والجن (٢)، كما دل على ذلك الكتاب والسنة واجماع الأمة (٣)، وكذلك سلف الأمة وأئمتها (٤) يعرفون وجود النفس التي هي روح الانسان التي تفارق بدنه حين الموت ، كما دل على ذلك الكتاب والسنة واجماع السلف والأئمة ، وإن كان كثير من أهل الكلام يزعم أنها عَرَض من أعراض البدن ، أو جزء من أجزائه ، فهذا قول محدث

---

(١) في ط زيادة (وجود) .

(١) الملائكة هم الملأ الأعلى ،وهم عالم لطيف غيبي غير محسوس ، ليس لهم وجود جسماني يدرك بالحواس ، وهم من عوالم ماوراء الطبيعة أو غير المنظورة التي لايعلم حقيقتها الا الله ـ عز وجل ـ .العقائد الاسلامية : ١٠٩ لسيد سابق ، ط ٣ ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ١٣٩٦ هـ = ١٩٧٦م .

(٢) وهم نوع من الأرواح العاقلة المريدة المكلفة على نحو ماعليه الانسان ، ولكنهم مجردون عن المادة البشرية ومخلوقون في الأصل من نار ، قبل آدم ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويقال : كان قبلهم في الأرض (الجِن ـ بالحاء ـ والِين ـ بالياء) فسلط الله الجن عليهم فقتلوهم وسكنوها بعدهم ،وهم مستترون عن الحواس لايُرَون على طبيعتهم ، ولهم قدرة على التشكل . انظر البداية والنهاية ١ : ٥٥ . والعقائد الاسلامية : ١٢٩ .

(٣) الأمة : أتباع النبي ـ صلى الله عليه وسلم . المصباح : ٢٣

(٤) يراد بهم الرعيل الأول من علماء الإسلام الذين تمسكوا بالكتاب والسنة نصا وروحا ، ودافعوا عنهما بالمنهج الذي مرده الكتاب والسنة تجاه التيارات الأخرى . مفهوم الشر ومصدره بين السلف والمعتزلة : ١٣ لحمدان ابن محمد الحمدان (محقق هذا القسم) رسالة ماجستير بالآلة الكاتبة ، جامعة الملك سعود ١٤٠٢ هـ .

في الأسلام لم يذهب اليه أحد من السلف (١) والأئمة ، وان كان محكيا عن أكثر المتكلمين ، فليس الذين قالوا هذا من سلف الأمة ولا أئمتها ، بل هم من أهل الكلام المحدث المذموم عند السلف . وأئمة الأمة وكثير من المتفلسفة الداخلين في أهل الملل يقولون : إن الذوات التي تسميها الأنبياء الملائكة ، هي التي تسميها المتفلسفة المشاؤون (٢) عقولا ، أو عقولا ونفوسا ، وهذا (٣) غلط عظيم ، كما قد بسط في موضعه (٤) .

---

(١) السلف ، هم : المهاجرون والأنصار ، والذين شهدوا بدرا وأحد - غير (قزمان) وكل من شهد بيعة الرضوان بالحديبية ، والعشرة المشهود لهم بالجنة ، وجميع أزواج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكل أهل البيت - دون من مال منهم إلى الاعتزال أو الرفض ، ومن اعتدى - وكذلك أعلام التابعين للصحابة باحسان . الفرق بين الفرق : ٣٥٩ - ٣٦٠ .

(٢) الفلسفة : باليونانية وهي محبة الحكماء ومحب الحكمة ، والحكمة قولية وفعلية ، والمشاؤن هم من الفلاسفة المتأخرين وهم قسمان : مشاؤا أقاديما والمشاؤن المطلق . والأخيرون هم أهل لوقيون ، وكان أفلاطون يلقن الحكمة ماشيا تعظيما لها ، وتابعه على ذلك أرسطو طاليس ، فيسمى هو وأصحابه المشائين . الملل والنحل ٢ : ٥٨ و ١٠٢ .

(٣) سقطت : وهذا من أ . وقد زدناها من ك و ط .

(٤) راجع - ان شئت - كتاب نقض المنطق ٩٩ - ١٠٧ ، ومجموع فتاوي شيخ الاسلام ٩ : ١٠٤ - ١٠٥ و ٢٧١ - ٢٧٣ .

فإن العقول التي يثبتها هؤلاء المتفلسفة لاحقيقة لها عند الرسل وأتباعهم ، بل ولاحقيقة لها في المعقول الصريح ، بل حقيقة كلامهم أنها أعراض قائمة بنفسها . وقد صرحوا بأن واجب الوجود - نفسه - هو علم ، وجعلوا نفس العلم هو نفس العالم ، ونفس تصور هذا القول يكفي في العلم بفساده ، كما أن هؤلاء المتفلسفة - أتباع أرسطو - لايعرفون الملائكة ، بل ولا الجن ، وإنما علمهم - معرفة الأجسام الطبيعية ، وتكلموا في الالهيات بكلام قليل نزر . باطله أكثر من حقه ، كما قد بسط في موضع آخر .

وهؤلاء يزعمون أن العقل الأول أبدع مادونه من العقول والأفلاك إلى أن ينتهي الأمر الى العقل العاشر ، فهو مبدع ماتحت فلك القمر . وهذا كله من أعظم الكفر عند الرسل وأتباعهم أهل الملل . فإن مضمون هذا ، أن ملكا من الملائكة خلق كل ماتحت السماء ، وملكا فوقه خلق كل ماسوى الله - سبحانه - وهذا من أعظم الكفر في دين المرسلين وأهل الملل ، المسلمين واليهود والنصارى - قال تعالى - : ﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون * لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون * يعلم مابين أيديهم وماخلفهم

---

(١) في ط (عند العقل) .
(٢) سقطت جملة (بل حقيقة كلامهم) من ك و ط .
(٣) في ط (بأنفسها) .
(٤) سقطت الواو من أ و ك وقد زدناها من ط .
(٥) في ك (تعرفه) وفي ط " بمعرفة " .
(٦) في أ (قدر) .
(٦) نزر : من نزر الشيء نزارة ونزورا : بمعنى قليل . المصباح : ٦٠٠
(٧) في أ (كذا) والأصوب ماأثبتناه من ك و ط .
(٨) في ط (النصاى) باسقاط الراء .

ولايشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون (١) * فأخبر أن الملائكة لاتسبقه بالقول ، ولاتعمل الا بأمره ، فضلا عن أن يكون ملك (٢) خلق كل شيء .

وهؤلاء يقولون : إن الوحي والكلام الذي جاءت به الرسل ، إنما هو فيض من هذا العقل الفعال على قلوب الأنبياء (٣) .والله ـ تعالى ـ عند هؤلاء ـ لم يكن يعرف موسى ولا عيسى ولا ابراهيم ولا محمدا ولاغيرهم من الرسل ، ولايعرف الجزئيات ، بل عند أرسطو وأتباعه : أنه لايعلم شيئا من الأشياء ، بل ولا خلق عندهم شيئا ، بل ولايقدر عندهم على خلق شيء ، فضلا عن أن يكون على كل شيء قدير ، وأن يكون (٤) أحاط بكل شيء علما .

وأرسطو وقومه كانوا مشركين يعبدون الأصنام بمقدونية (٥) وأثينية (٦) وغيرهما من مدائن فلاسفة اليونان ، وكان وزيرا للاسكندر بن فيلبس المقدوني، وكان هذا قبل المسيح عليه السلام بنحو (٧) ثلاثمائة سنة ، ولم يكن

---

(١) سورة الأنبياء : ٢٦ ـ ٢٨ .

(٢) في ط زيادة (هو) .

(٣) انظر الملل والنحل ٢ : ٥٩ .

(٤) في ك و ط زيادة (قد) .

(٥) مقدونية : بر القسطنطينية . مراصد ٣ : ١٢٩٧ .

(٦) في ط (أثينة) .

(٧) في ك (نحو) .

(٧) في ط زيادة : (كان) .

وزيرا لذى القرنين (١) الذى بنى سد يأجوج ومأجوج (٢) ، وعامة (٣) علم القوم علم الطبيعيات والحسابيات ، وأما العلم الالهي - وهو الذي يسمونه علم مابعد الطبيعة ، وهو منتهى فلسفتهم - فإنما تكلموا (٤) فيه على (٥) أمور كلية ، قسموا الوجود إلى جوهر وتسعة أعراض يجمعها بيتان :

---

(١) ذو القرنين: هو عبد الله بن الضحاك بن معد ، وقيل : مصعب بن عبد الله ابن قنان ، وينتهى نسبه إلى قحطان ، وأمه رومية ، وكان قبل المسيح بنحو ٢٣٠٠ سنة ، وهو المذكور في سورة الكهف ، وهو ملك من الملوك العادلين ، وقيل : كان نبيا ، وقيل : كان رسولا ، وكان الخضر - عليه السلام - وزيره ، وقد أسلم على يد ابراهيم الخليل - عليه السلام - وسمي بذي القرنين لأنه بلغ قرني الشمس غربا وشرقا ، وملك مابينهما من الأرض ، وهو ذو القرنين الأول تمييزا له عن ذي القرنين الثاني "اسكندر بن فيليبس" البداية والنهاية ٢ : ١٠٣ - ١٠٦ وغاشة اللهفان ٢ : ٢٦٣ - ٢٦٤ وانظر التعليق الجيد للشيخ محمد حامد الفقي على ماذكره ابن القيم بشأن ذي القرنين . الكامل ١ : ٩٠ .

(٢) قيل هما : ابنا يافث بن نوح - عليه السلام - وانهم أقارب للترك وهما قبيلتان من ذرية آدم - بلا شك - وعلى أشكال الآدميين وصفاتهم. وقيل . إنهم يسمون (تركا) - أيضا - لأنهم تركوا من وراء السد في هذه الجهة لأنهم كان فيهم بغي وفساد وجراءة . وأما السد فإنه منقطع أرض الترك من المشرق ، وقد بعث الخليفة العباسي الواثق - ٢٣٢ هـ بعض أمرائه ومعهم سلام الترجمان - الذي قيل : إنه يعرف أربعين لسانا - ووجه معه جيشا - سرية - لينظروا السد وينعتوه له إذا رجعوا ، فغابوا أكثر من سنتين ثم رجعوا وقد شاهدوا أهوالا وعجائب ووصفوا له السد وصفا دقيقا . انظر معجم البلدان ٣ : ١٩٧ لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي - ٦٢٦ هـ دارصادر ، وبيروت ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤م ، والبداية والنهاية ٢ : ١٠٩ - ١١٠ ،ومراصد الاطلاع ٢ : ٦٩٩ .

(٣) في ك زيادة : (كان) .

(٤) في أ و ك (فإما يتكلموا) والصواب ما أثبته من ط .

(٥) سقطت (على) من ك .

زيد الطويل الأسود بن مالك في داره بالأمس كان متكـــى
في يده سيف نضاه[١] فانتضى فهذه عشر مقولات ســـوا

وهي : الجوهـــر ، والكـــم ، والكيـــف ،
والأيـــن ، ومتـــى ، والإضافـــة ، والملك ،
والوضـــع ، وأن يفعـــل ، وأن ينفعـــل .

وقد نازعه أتباعه وغيرهم في هذا الحصر[٢] وقالوا : إنه لادليل عليه . ومنهم من جعلها ثلاثة . ومنهم من قال غير ذلك ، وأثبت العلة الأولى بناء على حركة الفلك ، وأنه يتحرك حركة شوقية[٣] ، فلابد له مما يتشبه به . فالعلة الأولى هي غاية[٤] لحاجة الفلك اليها من جهة أنه متحرك ليتشبه[٥] بها كحركة المؤتم بامامه ، والمقتدي بقدوته[٦] ، وقد يقولون : كتحريك المعشوق لعاشقه .

وكلام أرسطو في ذلك موجود ، وقد نَقَلْتُه بألفاظه وتكلمت عليه في[٧] غير هذا الموضع ، وقد ذكر ذلك في مقالة[٨] اللام وهي آخر فلسفته[٩] ، ومنتهى حكمته .

---

(١) نضاه : سله . مختار : ٦٦٥
(٢) في أ (الخصر) والأصح مافي ك و ط ولهذا أثبتناه .
(٣) في أ و ك (سوقية) والأصوب ما أثبتناه من ط .
(٣) انظر الملل والنحل ٢ : ١٢٥ .
(٤) في ط (علة) .
(٥) في ك و ط (يتحرك) .
(٦) في أ : (النسبة) والصواب ما أثبتناه من ك و ط .
(٧) انظر درء تعارض العقل والنقل ٩ : ٢٩٦ – ٣٢١ للشيخ المؤلف ، ت : د.محمد رشاد سالم ، ط ١ جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية . ١٤٠٢ هـ = ١٩٨١م .
(٨) في ك (مقامة) .
(٩) هذه المقالة جزء من كتاب لارسطو معروف باسم (مابعد الطبيعة). انظر درء تعارض العقل والنقل ٩ : ٤٠٦ .

وفي كتاب أثولوجيا (١) " ولم يثبت أن الرب مبدع (٢) لفلك ، و (٣) علة فاعلة ، ولايسمى (٤) واجب الوجود " .

ولاقسم (٥) الموجودات إلى واجب قديم وممكن قديم . بل ذلك فعل المتأخرين، كابن سينا وأمثاله (٦) ، وقد بسطنا الكلام عليهم في غير هذا الموضع .

والمتأخرون الذين سمعوا كلام أهل الملل أرادوا اصلاح كلامه وتقريبه إلى العقول (٧) ، لعله يوافق ماعلم بصريح المعقول وصحيح المنقول . فتكلم عليه ثابت بن قُرَّة (٨) وبين أن الفلك (٩) لاقوام له الا بطبيعته (١٠) ولا قوام لطبيعته الا بحركته (١١) ، ولاقوام لحركته الارادية الا بمحرك لها .

---

(١) وهو أحد كتب أرسطو في الطبيعيات ، وقد فسره الكندي . والفارابي يذكر هذا الكتاب لأرسطو ، ويسميه كتاب الربوبية . الفهرست : ٣٥٢ وتاريخ الفلسفة في الاسلام : ٢٠٠ هامش ٢ ، ترجمة د. محمد عبد الهادي أبو ريدة ، ط ٥ ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٨١م .

(٢) في أ و ك (مبدعا) بالنصب ، والصحيح ما أثبتناه من ط .

(٣) في ط زيادة (ولا) .

(٤) في ط (سماه) .

(٥) هكذا في جميع النسخ (ولاقسم) والأول أن تكون العبارة : (ولم يقسم) .

(٦) انظر مجموع فتاوي شيخ الاسلام ٩ : ٢٧٧ - ٢٧٩ .

(٧) في ط (لعله توافق) .

(٨) هو أبو الحسن ، الحاسب الحكيم الحراني ، ولد سنة ٢٢١ هـ وكان صابيء النحلة ، اشتغل بعلوم الأوائل والطب ، وكان الغالب عليه الفلسفة ، وصله محمد بن موسى بالخليفة في بغداد ،فأدخله في جملة منجمين ، ومات سنة ٢٨٨ هـ . وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ١ :٣١٣ - ٣١٤ لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان - ٦٨١ هـ ت: د. احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، والبداية والنهاية ١١ :٨٥ ، وشذرات الذهب ٢ :١٩٦ - ١٩٧ .

(٩) في ط زيادة (إذا كان) .

(١٠) في ط (بطبيعة) .

(١١) في أ (تحركه) والأصوب ما أثبتناه من ك و ط .

وزعموا أن المحرك يجب أن لايكون متحركا ، وقرروا ذلك بأدلة فاسدة ، قد بسط الكلام عليها في غير هذا الموضع (١) ، فقالوا : إنه إنما تحرك الفلك من جهة نسبة الفلك به ، وإن لم يكن هو القادر على تحريك الفلك ، بل ولاشعور منه بالفلك . وعبر عن ذلك ابن رشد (٢) الفيلسوف وأمثاله ، فقالوا: إنه يأمر الفلك بالحركة وقوام الفلك بطاعته لأمر الله . مع أنه عندهم لاارادة له ولا علم له بما يأمر به ، بل كونه آمرا ، هو معنى كون الفلك يتشبه به ، كما يأمر المعشوق عاشقه أن يحبه ، وإن كان المعشوق لاشعور له ولا ارادة في أن يحبه ذلك .

ثم (٣) لو قدر أنه هو الآمر ، فإنما يصدر بسبب أمره ، مجرد حركة الفلك ، ولهذا شبهوا ذلك بأمر السلطان لعسكره بأمر يطيعونه فيه ،فجعلوا الحركات معلولة (٤) بهذا الاعتبار ،لم يثبتوا أنه أبدع شيئا من الأفلاك والعناصر والمولدات ولا العقول ولا النفوس ، لاأبدع أعيانها ولاصفاتها ، ولا أفعالها ، بل غايته أن يكون آمرا لها بالحركة كأمر الملك لعسكره مع أنه عندهم ليس آمرا بالحقيقة بل ولا علم له بشيء من الموجودات . بل غاية مايزعم أرسطو وأتباعه ، أن للفلك حاجة اليه من جهة تشبهه به ، وأما كونه هو علة موجبة للفلك . فإنما (٥) يقول هذا من يقوله من متأخريهم ، كابن سينا .

---

(١) انظر درء تعارض العقل والنقل ٩ : ٢٧٢ ومابعدها .

(٢) سقطت الف (ابن) في أ والصحيح اثباتها .

(٣) في أ (ما) والصحيح مافي ك و ط وهو ما أثبتناه .

(٤) سقطت (معلولة) من ك .

(٥) في ك و ط (وإنما) .

وأما الفارابي[١] ، فهو الذي وسع القول في هذا الباب ، وقسم الوجود[٢] إلى واجب وممكن[٣] ، وجعل الأفلاك ممكنة واجبة[٤] به ، وفي ذلك من الفساد والاضطراب ماقدبسط فيغيرهذا الموضع . وبنى ابن سينا الكلام في نفي صفاته ، على كونه واجب الوجود .

وأما الفارابي في كتاب " آرء[٥] المدينة الفاضلة[٦] " وغير ذلك ،فاعتمد على كونه أول ، وكذا[٧] أرسطو في كتاب " أثولوجيا" اعتمد على كونه هو

---

(١) هو أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان ، التركي الحكيم المشهور صاحب التصانيف في المنطق والموسيقى وغيرهما من العلوم مثل : كتاب مراتب العلوم وكتاب تفسير قطعة من كتاب الأخلاق لأرسطو وتفسير كتب أخرى لأرسطو ، وهو أكبر فلاسفة المسلمين وقد أتقن اللغة العربية ، كان مولده سنة ٢٥٩ هـ ، ووفاته سنة ٣٣٩ هـ وفيات الأعيان ٥ ~~١٥٣~~ ١٥٧ الكامل في التاريخ ٦:٣٣٧ . والفهرست : ٣٦٨ ،والبداية والنهاية ١١ : ٢٢٤

(٢) هكذا في ط ، وفي أ و ك (قسموا) والأصوب مافي ط ولهذا اعتمدناه .

(٣) في ك و ط (الموجود) .

(٤) في ك و ط (واجبة ممكنة) .

(٥) في ط زيادة (أهل)

(٦) وجدت لهذا الكتاب طبعتين متقاربتين ، الأولى سنة ١٣٢٣ هـ بمطبعة النيل بمصر ، والثانية سنة ١٣٦٨ هـ ، مكتبة الحسين ، ومطبعة حجازي بالقاهرة ، وتقع كل منهما في ١٢٧ صفحة من القطع الصغير ، وقد قام د. عبد الواحد وافي بدراسة للفارابي ولرسالته هذه في كتيب أسماه : المدينة الفاضلة للفارابي ،نشر دار عالم الكتب بالقاهرة ١٣٩٣هـ =١٩٧٣م ، وذكر ص : ٢٠ أن الفارابي قصد من كتابه هذا إلى تكوين مجتمع فاضل : يوتوبيا " من نوع المجتمعات التي فكر فيها مِنْ قبله طائفة من فلاسفة اليونان ، كجمهورية أفلاطون وبنشاي وافهيمير ومدينة الشمس لجمبول ، وقد أراد ـ مثلهم ـ أن ينشيء مدينة وفقا للمباديء الرئيسية التي تقوم عليها فلسفته وآرواه في السعادة والاخلاص والكون وخالقه ـ سبحانه ـ وماوراء الطبيعة .

(٧) في ك سقطت ألف (كذا) ، وفي ط (كذلك) .

الأول ، وشبهه[١] بالأول في العدد ، وعلى ذلك بنوا نفي الصفات ، وإنما[٢] لو أثبتناها لخرج[٣] عن كونه أول ، مع أنهم لم يقيموا حجة على كونه أول بهذا المعنى الذي زعموه ،كما لم يقيموا حجة على كونه واجب الوجود بالمعنى الذي ادعوه ، بل تكلموا بألفاظ مجملة متشابهة ، تحتمل حقا وباطلا، فإنه معلوم أن الله واجب الوجود بذاته ، موجود بنفسه ، وأنه الأول[٤] الذي ليس قبله شيء ، وهو القديم[٥] الأزلي الذي لم يزل ولايزال . وهؤلاء جعلوا وجوب الوجود بمعنى أنه لايتعلق بغيره ، فلا يكون له صفة . وكونه أول ، بمعنى أول الأعداد الذي لاتعدد فيه . فمعلوم[٦] أن الواحد والأول المجرد عن كل شيء إنما يقدر في الأذهان لافي الأعيان .

---

(١) في ك (لشبهه) وفي ط (شبيهه) .

(٢) في ك و ط (أنا)

(٣) هكذا في ك و ط ، وأما في أ (فخرج) والأصوب مافي ك و ط ولهذا أثبتناه .

(٤) في أ (الأزل) وفي ك (الأزلي) وما أثبتناه من ط هو الأولى .

(٥) قول الشيخ المؤلف : (وهو القديم ...) هو تفسير لاسمه عز وجل (الأول) فلفظ (القديم) من الألفاظ التي ليس لها أصل في الشرع . وتلك لايجوز تعليق المدح والذم والاثبات والنفي على معناها الا أن يبين أنه يوافق الشرع ، وهذا مثل لفظ (الجسم) و (الحيز) و(الجهة) و (الجوهر) و (العرض) . انظر درء تعارض العقل والنقل ١ : ٢٤١ – ٢٤٢ .

(٦) في ط (ومعلوم) .

فالذهن يقدر واحدا (١) واثنين وثلاثة وأربعة ، إلى سائر الأعداد المجردة والعدد المجرد عن المعدود إنما يوجد في الأذهان لافي الأعيان . فأما الموجود في الخارج فإنما هي أعيان قائمة بأنفسها وصفاتها القائمة بها .والأول منها هو ذات متصفة بصفاتها ، لاتوجد (٢) في الأعيان ليس (٣) بذات قائمة بنفسها ، ولاصفة قائمة بغيرها ، بل لاتوجد (٤) ذات مجردة عن صفاتها وهذه الأمورمبسوطة في غير هذا الموضع (٥) . ولكن نبهنا هنا عليها ، لأن هؤلاء القوم (٦) قالوا: انا نعجب من هؤلاء القوم ، أنهم ذو فضل وأدب ومعرفة ، ومن هذا صورته ، وقد قرأ شيئا من كتب الفلاسفة والمنطق ، فما حقهم ينكرون علينا هذا .

فكل (٧) كلام هؤلاء النصارى يتضمن تعظيم الفلاسفة ، وأهل المنطق، وأن من قرأ كتبهم ، عرّف (٨) بها من الحق في الالهيات مالايعرفه سائر أهل الملل . وهذا يدل على جهل هؤلاء النصارى بما جاءت به الرسل وبما يعرف بالعقل المحض .

---

(١) في أ و ك (واحد) بغير النصب والصحيح ما أثبتناه من ط .

(٢) في ط (يوجد) بالياء .

(٣) في ك (ليست) وفي ط (شيء ليس) .

(٤) في ك و ط (يوجد) بالياء .

(٥) انظر مجموع فتاوي شيخ الاسلام ٥ : ٢٧٥ – ٢٧٦ .

(٦) هم النصارى : أهل قبرص الذين أرسلوا الرسالة بواسطة بولس الانطاكي . والمشار اليها سابقا .

(٧) في ك (فكلام) وفي ط (فكان كلام) .

(٨) في ك (الأذهان) .

أما الأول : فلان المسيح وأتباعه كالحواريين[(١)] ومن اتبعهم ليس فيهم من عظّم هؤلاء الفلاسفة ، ولا استعان بهم ، ولاالتفت اليهم[(٢)] ، بل وهم عندهم من أئمة الكفر ، ورؤوس الضلال . وكذلك موسى وأتباعه ، وكذلك محمد وأتباعه . فليس[(٣)] في رسل الله وأنبيائه ولا في أتباعهم من يعظمهم ، ولايستعين بكلامهم ، بل الرسل وأتباعهم متفقون على تضليلهم وتجهيلهم .

وأما العقليات ، فإنما يعظم كلام هؤلاء ، الفلاسفة في العلوم الكلية والالهية[(٤)] من هو من أجهل الناس بالمعارف الالهية والعلوم الكلية ، إذ كان كلامهم في ذلك فيه من الجهل والضلال ، مالايحيط به إلا ذو الجلال . وإنما كان القوم يعرفون مايعرفونه من الطبيعيات والرياضيات ، كالهندسة وبعض الهيئة وشيئا من علوم الأخلاق والسياسات[(٥)] * المدنية والمنزلية ، التي هي جزء مماجاءت به الرسل . واليهود والنصارى ـ بعد النسخ والتبديل ـ أعلم من هؤلاء بالعلوم الالهية والأخلاق والسياسات[(٦)] * فضلا عما وراء ذلك .

---

(١) أصل هذه الكلمة من الخلوص والنقاء وشدة البياض ، وقد صار يُعْرَف الاستعمال دليلا على خواص الرجل وبطانته ، قال القفال :"ويجوز أن يكون بعض هؤلاء الحواريين الأثنى عشر من الملوك وبعضهم من صيادي السمك وبعضهم من القصارين (غسالي الثياب)"، والكل سموا بالحواريين لأنهم كانوا أنصار عيسى ـ عليه السلام ـ وأعوانه والمخلصين في محبته وطاعته وخدمته ، ويعرفون عند النصارى بـ " التلاميذ " وقد نفى ابن حزم ان يكون مثل (باطرة) و (لوقا) و (بولس) من الحواريين. أنظرالتفسيرالكبير أو مفاتيح الغيب م ٤ ، ٨ : ٦٩ ـ ٧٠ ، فخر الدين محمد بن عمرالرازي ـ ٦٠٤ هـ ط ١ ، دار الفكر ، بيروت ١٤٠١ هـ = ١٩٨١م ، وقاموس الكتاب المقدس (عندهم) : ٢٢٢ . والفصل في الملل والأهواء والنحل ٢ : ٨٩ ـ ٩١ لعلي بن أحمد بن حزم الظاهري ـ ٤٥٦ هـ ت : د . محمد ابراهيم نصر و د . عبد الرحمن عميرة ، ط ١ شركة مكتبات عكاظ ، جدة ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢م .

(٢) سقطت (ولا التفت اليهم) من ك . (٣) في ك و ط (وليس) بالواو .

(٤) سقطت لام (الالهية) من أ ،وقد صححناها من ك و ط .

(٥) في ط (السياسة) .

(٦) مابين النجمتين سقط من ك ، وهو في أ بالهامش .

فـأعتضاد هؤلاء النصارى هؤلاء (١) المتفلسفة ، يدل (٢) على عظيم جهلهـــــم بـالشرعيات والعقليات ، وهذا قد بسط الكلام عليه في مواضع متعددة ، إذ كـان الرد على الفلاسفة لايختص به النصارى ، بل الكلام في ذلك معهم ومع من يعظمهـم من أهل الملل عموما .

ومعلوم أن المنتسبين إلى الاسلام من أتباع الفلاسفة ، كالفارابـــي (٣) وابن سينا ، والسهروردي المقتول (٤) ، وابن رشد الحفيد (٥) امامهم ، أحذق بهـم وأعلم من النصارى .

وكتب الفلاسفة التي صارت إلى الاسلام (٦) ، من الطب ، والحساب ، والمنطـــق وغير ذلك ، هذبها المنتسبون إلى الاسلام ، فجاء كلامهم فيها خيرا من كـلام أولئك اليونان (٧) .

---

(١) في ط (بـهؤلاء) .

(٢) سقطت (يدل) من ك .

(٣) هو أبو الفتح ، شهاب الدين ، يحيى بن حَبَش بن أَميرَك ، الحكيم ، كـان من علماء عصره ، قرأ الحكمة وأصول الفقه ، وجمع الفنون الفلسفية ،وبرع في أصول الفقه ، وكان شافعي المذهب ، اتهم بانحلال العقيدة والتعطيـل فقتل تجويعا باختياره في قلعة حلب سنة ٥٨٧ هـ لسان الميزان ٣:١٥٦ ، ووفيات الأعيان ٦ : ٢٦٨ – ٢٧٤ .

(٤) هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد ، القرطبـــي المالكي ، أدرك من حياة جده شهرا سنة ٥٢٠ هـ ، وتفقه وبرع ، وسمع الحديث واتقن الطب ، واقبل على الكلام والفلسفة حتى صار مضرب المثـــل فيها ، توفي بمراكش سنة ٥٩٥ هـ . شذرات الذهب ٤ : ٣٢٠ ، والوافـــي بالوفيات ٢ : ١١٤ – ١١٥ .لخليل بن ايبك الصفدي – ٧٦٤ هـ .النشـرات الاسلامية ، هيلموت ريتر ١٣٨١ هـ = ١٩٦٢م .

(٥) في ك و ط (أمثالهم) . (٦) في ك و ط (المسلمين) .

(٧) أي فلاسفة اليونان كارسطو وغيره ، واليونان بلد أوربي يقع في الجـزء الجنوبي من شبه جزيرة البلقان ، غرب تركيا وشمال البحر الأبيض المتوسط ، واليونانيون من الجنس السلافي . انظر دائرة معارف وجدي ١٠ : ١٠٤٦ – ١٠٤٧ .

والنصارى واليهود إنما يعتمدون في هذه العلوم على ماوصفه هؤلاء المنتسبون إلى الاسلام ، مع أن هؤلاء عند علماء المسلمين جهال ضلال في الالهيات والكليات[١] ، فكيف يكون سلفهم ومن يعظمهم من اليهود والنصارى ؟

ولما صار أولئك اليونان عارفين بالله ، موحدين له ، عابدين له مؤمنين بملائكته وكتبه ورسله ، لما دخل اليهم أتباع المسيح يدعونهم إلى دين الله الذي بعث به المسيح . وكل من كان من أتباع المسيح ، غير مبدل لشيء من دينه قبل النسخ[٢] ، فإنه من المؤمنين[٣] المهتدين ، وهم من أولياء الله وهم[٤] من أهل الجنة .

ومن ظن أن كلام الرسل يوافق هؤلاء اليونان ، فإن ذلك يدل على جهله بما جاءت به الرسل وبما يقوله[٥] هؤلاء . وإنما يوجد مثل هذا في كلام الملاحدة من أهل الملل : ملاحدة[٦] اليهود والنصارى وغيرهم ، كأصحاب رسائل

---

(١) الكليات أو القضايا الكلية : هي حقائق المعقولات المجردة عن المادة والمكان والجهة ، وهي الأحكام المعينة التي من عمل العقل كادراك الصداقة والعداوة ، والمتكلمون يسمونها أحوالا أو وجوها ، ويسميها الفلاسفة الكليات المجردة ، انظر لباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الأصول: ١٣٠ ، ودرء تعارض العقل والنقل ٤ : ٢١٣ .

(٢) أي نسخ دين محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لدين المسيح عليه السلام ـ بمثل قوله تعالى : (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) آل عمران : ٨٥ .

(٣) في ط زيادة (المسلمين) .

(٤) في ط زيادة (المتقين) وسقطت بعدها " وهم " .

(٥) في ط (مما) .

(٦) في ط زيادة (والمسلمين) .

اخوان الصفا (١) ، وأمثالهم من الملاحدة المنتسبين الى تشيع (٢) ، أو الى تصوف (٣) ، كابن عربي (٤) وابن سبعين (٥) وأمثالهما (٦) . وفي الكتب المضنون بها على غير أهلها (٧) ونحو ذلك من الكلام المنسوب الى أبي حامد قطعة من ذلك .

---

(١) اخوان الصفا : هم جماعة من الاسماعيلية الباطنية ، كتبوا رسائل عرفت بهذا الاسم ، وعددها أكثر من خمسين مقالة ، وذكر أبو حيان التوحيدي بعض اسماء كتبهم في كتابه (المقابسات) . انظر دراسات في الفلسفة الاسلامية : ٢٢٢ - ٢٤١ د. عبد اللطيف العبد ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩م ،وانظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام ٤ : ٧٩ .

(٢) التشيع: هو ادعاء مشايعة الأمير علي - رضي الله عنه - ومتابعته وحبه . والشيعة أربع فرق كبيرة : ١ - الشيعة المخلصين وقت خلافته من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان . ٢ - الشيعة التفضيلية : وهم الذين يفضلونه على سائر الصحابة من غير اكفار واحد منهم ولاسب ولابغض كأبي الأسود الدؤلي وكعبد الرزاق صاحب المصنف . ٣ - السبئية ، ويقال لهم (التبرئية) وهم الذين يسبون الصحابة ، الا قليلا منهم . ٤ - الغلاة وهم القائلون بألوهية علي . مختصر التحفه الاثنى عشرية : ٣ - ٩ لشاه عبد العزيز الدهلوي - ١٢٣٩ هـ ترجمة الاسلمي واختصار الألوسي ، وتحقيق الخطيب ، المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٧٣ هـ .

(٣) التصوف: هو علم الباطن ، وهو علم يعرف منه أحوال النفس في الخير والشر ، وكيفية تنقيتها من عيوبها وآفاتها ، وتطهيرها من الصفات المذمومة والرذائل والنجاسات المعنوية والتي ورد الشرع باجتنابها ، والاتصاف بالصفات التي طلب الشرع تحصيلها ، وكيفية السلوك والسير الى الله - تعالى - والفرار اليه . حياة القلوب وكيفية الوصول الى المحبوب ، لعماد الدين الأموي ١ : ٢٦٠ بهامش كتاب قوت القلوب لأبي طالب المكي ، المطبعة اليمنية بمصر ، ١٣١٠ هـ .

(٤) هو محمد بن علي بن محمد بن أحمد ، محي الدين ، أبو بكر ، الطائي الحاتمي الأندلسي صاحب التصانيف في التصوف وغيره ، ولد سنة ٥٦٠ هـ ، وتوفى ٦٣٨ هـ . ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، ٣ : ٦٥٩ - ٦٦٠ لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي - ٧٤٨ هـ ت : محمد علي البجاوي، دار المعرفة بيروت ، وفوات الوفيات ٣ : ٤٣٥ - ٤٤٠ لمحمد بن شاكر الكتبي - ٧٦٤ هـ ت: احسان عباس ، دار صادر بيروت .

.....

= (٥) هو عبد الحق بن ابراهيم بن محمد بن نصر الاشبيلي المرسي الرقوطي ، العتكي ، قطب الدين ، أبو محمد ، صوفي حكيم درس العربية والآداب بالاندلس وانتحل التصوف وله مصنفات كثيرة ، مات بمكة سنة ٦٦٩ هـ لسان الميزان ٣ : ٣٩٢ ، فوات الوفيات ٢ : ٢٥٣ .

(٦) هي مؤلفات تنسب الى الغزالي ، وليست له بل وضعت عليه مثل " السر المكتوم " أيضا . انظر شذرات الذهب ٤ : ١١ .

(٧) هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي ، الطوسي ، الشافعي ، زين الدين ، حجة الاسلام تتلمذ لامام الحرمين ، وتولى التدريس ببغداد ، وصنف التصانيف ، مع الذكاء المفرط والاستبحار في العلم ، ولد سنة ٤٥٠ هـ وتوفي بطوس سنة ٥٠٥ هـ وفيات الأعيان ٤ :٢١٦ - ٢١٩ ، شذرات الذهب ٤ : ١٠ - ١٣ .

وهؤلاء (١) يحتجون بالحديث المأثور " أول ماخلق الله العقل ، فقال له : أقبل فأقبل ، ثم قال له : أدبر فأدبر ، فقال : وعزتي ماخلقت خلقا أكرم على منك ، فبك آخذ ، وبك أعطى ، وبك الثواب ، وعليك العقاب " (٢) .

---

(١) في ك و ط زيادة : (قد) .

(٢) حديث . أول ماخلق الله العقل ..." رواه أبو نعيم في الحلية ٧ : ٣١٨ عن عائشة بلفظ " حدثني رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن أول ماخلق الله ـ سبحانه وتعالى ـ العقل فقال : أقبل فاقبل ، ثم قال : أدبر فأدبر ، ثم قال : ماخلقت شيئا أحسن منك ، بك آخذ ، وبك أعطي " . قال أبو نعيم : غريب من حديث سفيان ،ومنصور الزهري ـ أحد رواة الحديث ـ لا أعلم له راويا عن الحميدي الا سهلا ، وأراه واهما فيه " حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، للحافظ أحمد بن عبد الله الاصبهاني ـ ٤٣٠ هـ ط ٣ دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠م وذكر السيوطي أنه أخرجه ابن عدي والدار قطني والعقيلي والبيهقي في الشعب والحكيم الترمذي في نوادر الأصول وأبو نعيم في الحلية وعبد الله بن أحمد بن حنبل في زوائد الزهد . فأما حديث ابن عدي فموضوع ، وأما الدار قطني ففي إسناده سيف بن محمد وهو كذاب بالاجماع ، وقال العقيلي بعد روايته " هذا حديث منكر ، عمر وسعيد الراوي عنه مجهولان جميعا " وقال في الميزان" والخبر باطل " وقال البيهقي بعد سياقه هذا إسناد غير قوي وهو مشهور من قول الحسن ، ثم ساق إسناده عن الحسن ، وهو عند عبد الله ابن أحمد بن حنبل مرسل من رواية الحسن . انظر اللآليء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ١ : ١٢٩ ـ ١٣٠ للامام عبد الرحمن السيوطي ـ ٩١١ هـ ط ٣ ، دار المعرفة ، بيروت ١٤٠١ هـ = ١٩٨١م . وقال العراقي : أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث ابي أمامه وأبو نعيم من حديث عائشة بإسنادين ضعيفين . المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج مافي الاحياء من الأخبار ، بذيل احياء علوم الدين ١ : ٨٣ ،للعلامة زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي ـ ٨٠٦ هـ دار المعرفة ، بيروت ، وقال ابن القيم :" أحاديث العقل كلها كذب " المنار المنيف في الصحيح والضعيف : ٦٦ ـ ٦٧ لمحمد بن أبي بكر الدمشقي ابن قيم الجوزية ـ ٧٥١ ت : عبد الفتاح ابو غدة ، ط ١ ، مكتب المطبوعات الاسلامية ، حلب ١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠م . قال الألباني : " ومما يحسن التنبيه عليه أن كل ماورد في فضل العقل من الأحاديث لايصح منها شيء وهي تدور بين الضعف والوضع ، وقد تتبعت ما أورده منها أبو بكر بن أبي الدنيا في كتابه " العقل وفضله " فوجدتها كما ذكرت ، لايصح منها شيء ، فالعجب من مصححه الشيخ .. الكوثري كيف سكت عنها ،بل أشار في ترجمته للمؤلف .. إلى خلاف مايقتضيه التحقيق العلمي ـ عفا الله عنا وعنه ـ " سلسلة الأحاديث الضعيفة ١ : ١٣ لمحمد ناصر الدين الألباني ، ط ٤ ، المكتب الاسلامي ، بيروت ـ دمشق ، ١٣٩٨ هـ .

وهذا الحديث كذب موضوع على النبي صلى الله عليه وسلم كما ذكر ذلك أهل العلم بالحديث ، كأبي جعفر العقيلي (١) ، وأبي حاتم بن حبان البستي (٢) ، وأبي الحسن الدار قطني (٣) ، وأبي الفرج بن الجوزي (٤) وغيرهم .

ثم لفظه لو كان صحيحا حجة ، على نقيض مطلوبهم ، فإنه قال " أولَ ماخلق الله العقل " بنصب " أولَ " وفي لفظ " لما خلق الله العقل قال له " .

فلفظه يقتضي أنه خاطبه في أول ماخلقه ، فحرفوا لفظه وقالوا: أولُ ماخلق الله العقل بالضم ، وليس هذا لفظه ولكن لفظه يقتضي أنه خاطبه في أول أوقات خلقه ، ولهذا قال :" ماخلقت خلقا أكرم علي منك"، وهذا يقتضي أنه خَلَق قَبله غيره .

وعندهم هو أول المبدعات ، يمتنع أن يتقدمه شيء ، مع أنه وسائر العقول والأفلاك ـ عندهم ـ قديمة أزلية ، لم تزل ولاتزال .

---

(١) هو محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي ، الحافظ ، عداده في أهل الحجاز ، توفى بمكة سنة ٣٢٢ هـ تذكرة الحفاظ ٣ : ٥٠ للأمام محمد ابن أحمد الذهبي ـ ٧٤٧ هـ دار احياء التراث العربي بيروت . طبقات الحفاظ ٣٨٤ للامام عبد الرحمن السيوطي ـ ٩١١ هـ ، ط ١ ، دار الكتب العلمية . بيروت ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣م .

(٢) هو محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معين التميمي البستي، الشافعي ، كان من فقهاء المدن وحفاظ الآثار ، عالما بالطب والنجوم وفنون العلم ، ومات بِبُسْت سنة ٣٥٤ هـ لسان الميزان ٥ : ١١٢ ـ ١١٥ . طبقات الحفاظ : ٣٧٥ .

(٣) هو علي بن عمر بن أحمد بن مهدي ، البغدادي الحافظ المشهور ، كان عالما حافظا فقيها ، على مذهب الامام الشافعي ، ولد سنة ٣٠٦ هـ ومات سنة ٣٨٥ هـ ببغداد . وفيات الأعيان ٣ : ٢٩٧ ـ ٢٩٩ ، وطبقات الحفاظ ٣٩٣ ـ ٣٩٥ .

(٤) هو الامام العلامة الحافظ عالم العراق وواعظ الآفاق جمال الدين عبد الرحمن ابن علي بن عبد الرحمن بن علي بن علي القرشي البكري الصديقي البغدادي ، الحنبلي ،صاحب التصانيف في فنون العلم ، ولد سنة ٥١٠ هـ ، وتوفى سنة ٥٩٧ هـ . طبقات الحفاظ : ٤٨٠ ، والكامل ٩ : ٢٥٥ .

ثم قال : " فبك آخذ ، وبك أعطي ،وبك الثواب وعليك العقاب ".

فجعل به هذه الأنواع الأربعة .

وعندهم أن العقل صدر عنه جميع العالم العلوي والسفلي ، وذلك أن لفظ (العقل) في الحديث سواء كان صحيحا أو ضعيفا ، هو العقل في لغة الأنبياء والمرسلين ، هو عقل الانسان ، وهو عَرَض قائم به ، وهذه (١) صفة قائمة بالانسان ليس هو جوهرا قائما بنفسه .

والعقل في لغة هؤلاء الفلاسفة ، هو جوهر قائم بنفسه . وأما النفس الفلكية ، فلهم فيها قولان : قيل: إنها عرض قائم بالفَلَك وهو قول أكثرهم. وقيل : بل جوهر قائم بنفسه ، ولهذا يميل ابن سينا . وهذه الأمور مبسوطة في موضع آخر (٢) .

والمقصود هنا ذكر هؤلاء النصارى (٣) أن ثم (٤) جوهرا لطيفا ، غير الجوهر الكثيف ، ومثلوا (٥) ذلك بالنفس والعقل والضوء ، ثم (٦) لم (٧) يقيموا على ثبوت شيء من ذلك دليلا ، ولادليل (٨) مما دلت عليه الكتب الالهية ، فإن النفس الفلكية والعقول العشرة لم ينطق بها كتاب ولارسول ، بل ولادل عليها دليل عقلي ، وأدلة المتفلسفة عليها ضعيفة . وإنما دل العقل على ما أخبرت به الرسل من الملائكة .

---

(١) في ط (هذا) .
(٢) انظر مجموع فتاوي شيخ الاسلام ٩ : ٣٠٢ ومابعدها . ونقض المنطق : ٩٩ .
(٣) سقطت (النصارى) من ك و ط .
(٤) ثم : بفتح أوله ـ اسم اشارة إلى مكان غير مكانك . المصباح : ٨٤ .
(٥) في أ : (يمثلوا) والأولى ما أثبتناه من ك و ط .
(٦) في أ (الصور) والأصح مافي ك وط ولهذا أثبتناه .
(٧) في ك و ط زيادة (إن النصارى) .
(٨) في ط زيادة (ذلك) .

ولكن هؤلاء[١] الذين حملوا كلام الرسل على مايوافق قول المتفلسفة يجعلون اللوح المحفوظ ، هو النفس الفلكية ، كما يجعلون العقل والقلم هو العقل الأول والعرش هو الفلك التاسع ،وغير ذلك مما قد بسط الكلام عليه في موضع آخر[٢] .

وإذا لم يقيموا حجة شرعية ولا عقلية على مامثلوا به من الجواهر اللطيفة لم يكن لهم حجة على من قال : إن الجوهر مايشغل حيزا ويقبل عرضا. ولما قرنوا النفس بالعقل ، كان ذلك ظاهرا في أنهم أرادوا النفس الفلكية فأما إن أرادوا النفس الانسانية فهذه ثابتة ، أخبرت بها الرسل[٣] وأتباعهم ، كما قد بسط في موضعه . لكن هذه لاتقرن بالعقل الذي هو جوهر، والعقل صفة هذه ، وهو مصدر عقل يعقل عقلا . وقد يراد بالعقل غريزة قائمة بها ، ويراد بالعقل العمل بـ[illegible] كما قد بسط في موضع آخر .

الوجه الرابع : قولهم : " وجوهر الضوء " . فيقال لهم : إن أردتم بالضوء نفس الشمس والنار فهذا جسم متحيز ، يشغل حيزا ، ويقبل عرضا[٤] ، ليس هو من الجواهر اللطيفة الذي مثلتم بها وإن أردتم بالضوء[٥] . الشعاع القائم بالهواء والجدران ونحو ذلك ، فليس هذا بجوهر ، لالطيف ولا كثيف ، بل هو عرض قائم بغيره .

---

(١) في ط زيادة (هؤلاء) .

(٢) انظر مجموع فتاوي شيخ الاسلام ٦ : ٥٤٥ ومابعدها .

(٣) في ك و ط زيادة (قد) .

(٤) في ط (أو)

(٥) في ط (التي) .

الوجه الخامس : قولكم : " إن الجوهر اللطيف لايقبل عرضا " كلام ممنوع ، وهو باطل - ايضا - فان نفس الانسان تقبل الأعراض القائمة بها ، وكذلك النفس الفلكية - عند من أثبتها - تقوم (١) بها ارادات وتصورات متجددة . ولفظ " العرض " في اصطلاح النظار يراد به ماقام بغيره ، سواء كان صفة لازمة أو عارضة ، وهذا موجب تقسيم النصارى ، كما هو قول الفلاسفة .

فإنهم قالوا : " ليس في الوجود شيء الا وهو اما جوهر واما عَرَض ، لأنه أي أمر نظرناه وجدناه اما قائما بنفسه ، غير مفتقر في وجوده إلى غيره ، وهو الجوهر . وإما مفتقر في وجوده إلى غيره ، لاقوام له بنفسه وهو العَرَض" . قالوا : ولايمكن أن يكون لهذين (٢) قسم ثالث " .

وهذا الذي قالوه هو تقسيم أرسطو وأتباعه ، وهو يسمي المبدأ الا ول جوهرا وهذا تقسيم سائر النظار . لكن أكثرهم لايدخلون رب العالمين في مسمى الجوهر ، ومنهم من يدخله فيه ، وبعض النزاع في ذلك لفظي .

وإذا (٣) كان الأمر على ماقالوه ، فالضوء القائم بالأرض والهواء ، عَرَض ليس جوهرا قائما بنفسه ، وهم قد جعلوه جوهرا ، وهذا تناقض بيّن . - وأيضا - فالجواهر اللطيفة ، تقوم بها الأعراض كالحياة والعلم ، بل والرب - على قولهم - تقوم به الحياة والعلم .

فإذا سموه جوهرا ، لزمهم أن يسموا صفاته أعراضا ، إذا قالوا : لاموجود الا جوهر أو عرض (٤) .

---

(١) في ط (يقوم) .

(٢) في ط زيادة (القسمين) .

(٣) في ك (إذا) بدون واو .

(٤) من هنا حصل تقديم وتأخير في ط بمقدار صفحة تقريبا ويظهر واضحا أنه اختلاف في ترتيب صفحات المخطوطة التي طبعت عليها .

فهؤلاء يوجد تناقض قولهم (١) : " الموجود اما جوهر واما عرض ،فليس في الموجودات الا هذا أو هذا " بل موجب (٢) كلامهم أنها قائمة بذات الله ، فكيف بذات غيره ؟

وإذا (٣) قالوا : " ويُعنى (٤) بالأعراض ، الصفات العارضة أو القائمة بالأجسام ، كان هذا مناقضا لقولهم (٥) : " الموجود اما جوهر ، واما عرض ، مع قولهم (٦) : " إن الرب جوهر ثلاثة أقانيم ، والأقنوم ذات وصفة " ومع قولهم (٧) " إن الرب جوهر " فقولهم يقتضي أن الرب جوهر تقوم به الأعراض ، فكيف غيره ؟ .

ثم يقال : إذا قدر أنهم يدعون ثبوت جوهر لايقوم (٨) به الأعراض ، فهذا اصطلاح لهم ، وافقوا فيه (٩) نفاة الصفات من الفلاسفة كأرسطو وذويه (١٠) ،فانهم يقولون : إن الرب جوهر لايتصف بشيء من الصفات الثبوتية ، لكن ليس هذا قول النصارى ، فتبين أنهم في قولهم : " إن الرب جوهر " وفي قولهم : " إن من الجواهر مالايقوم (١١) به الصفات " موافقون للمشركين الفلاسفة ، أرسطو وأتباعه ، لا موافقين للمسيح والحواريين ، وأنهم أثبتوا الصفات لله موافقة للمسيح والحواريين ، ثم جعلوه جوهرا ، ثم قالوا (١٢) : " إن الجوهر اللطيف لاتقوم به الصفات " وهذا قول الفلاسفة المشركين المعطلين ، وهذا تحقيق ماذكرناه عنهم من أنهم رَكَّبوا دينا من دين المسيح والحواريين ومن دين الكفار المشركين .

---

(١) في ك و ط (وهذا تناقض قولهم) .
(٢) في ط (وموجب) .
(٣) في ك و ط (وإن) .
(٤) في ط (نعني) بنونين .
(٥) في أ (الوجود) والأصح مافي ك و ط ولهذا أثبتناه .
(٦) في ك (أقولهم) و في ط (أقوالهم) .
(٧) هكذا في ك و ط وفي أ (جوهرا) بالنصب والصحيح مافي ك و ط ولهذا أثبتناه .
(٨) في ط (تقوم) .
(٩) في أ (فيهم) والصحيح مافي ك و ط ولذلك اعتمدناه .
(١٠) في ط (وأتباعه) .
(١١) في ط (تقوم) .
(١٢) في ك (يقوم) .

فهؤلاء إن عنوا بالعرض هذا فكل*جوهر يقبل الصفات ، وإن أرادوا بالعرض ما تعنيه المتفلسفة بالصفات العرضية ، التي يفرقون بينها وبين الذاتية (١) ـ مع أن هذا ليس مقتضى كلامهم ـ فقد ذكرنا في غير هذا الموضع أن تقسيم هؤلاء الصفات اللازمة للموضوف إلى ذاتية وعرضية : تقسيم باطل ، وتقدير أن يكون حقا : فالنفس ـ أيضا ـ تقبل الصفات العرضية ، بل وكذلك كل جوهر سواء كان لطيفا أو كثيفا.فقولكم : " إن الجوهر اللطيف لا يقبل عرضا ، مثل جوهر النفس وجوهر العقل وجوهر الضوء ، وما يجري هذا المجرى من الجواهر اللطيفة " كلام باطل على كل تقدير .

وإن عنوا بلفظ العرض شيئا آخر ، لم ينفعهم ذلك ، فإن المتكلمين الذين قالوا : " الجوهر هو (٢) ما يشغل حيزا ويقبل عرضا " إنما أرادوا بالعرض ما يقوم بغيره من المعاني ، سواء كان لازما له أو عارضا له ، ومعلوم أن كل جوهر فإنه يقوم (٣) به المعاني (٤) . والخالق ـ تعالى ـ عندهم يقوم به (٥) الحياء (٦) والعلم ، فإذا كان الخالق ـ تعالى ـ يقوم (٧) به (٨) المعاني وهم يسمونه جوهرا (٩) ، فكيف لا تقوم المعاني بغيره .

---

(١) أنظر الجواب الصحيح ٣ : ٨٥ وما بعدها ، طبع المدني .

(١) أنظر الجواب الصحيح (رسالة دكتوراه) الجزء الأول ، المجلد الثاني : ٥٦١ وما بعدها ، تحقيق الزميل : علي بن حسن بن ناصر . والجواب الصحيح ، طبع المدني ٣ : ٨٥ وما بعدها ، وفي مواضع أخرى ، حيث اهتم الشيخ المؤلف ببيان وجه الحق في قضية الصفات من أوجه كثيرة ، يقع فيها للمسلمين وللنصارى وغيرهم خلط وضلال . وهو في كل ذلك يقرر عقيدة أهل السنة ، ناصعة مشرقة مفصلة ، مدعومة بالأدلة النقلية الصحيحة والبراهين العقلية الصريحة .

(٢) سقطت (هو) من ط .

(٣) في ط (تقوم) .

(٤) في أ سقطت الميم من (المعاني) والصواب اثباتها كما في ك و ط .

(٥) في ك و ط (تقوم) بالتاء .

(٦) في ك و ط (الحياة) .

(٧) لم ترد كلمة التقديس في ط .

(٨) في ط (تقوم) .

(٩) في ط تقدمت (بغيره) على (المعاني) .

* في أ وك (وكل) وما في ط هو الصواب.

وهؤلاء يثبتون جوهرا لطيفا[١] لاتقوم به الأعراض ، مع قولهم : " إنه تقوم به المعاني " . وهذا اصطلاح لهم لايوافقهم عليه أحد . ثم يتناقضون فيقولون[٢] : " الموجود اما جوهر واما عرض " وهذا تناقض .

ونُظار المسلمين لهم في تسمية صفات الله القائمة به أعراضا نزاع[٣] : بعضهم يسميها أعراضا ، وبعضهم ينكر هذه التسمية ، مع اتفاق هاتين الطائفتين على قيام الصفات به . وجمهور نظار المسلمين لايسمونه جوهرا ، وبعضهم يسميه جوهرا[٤] . وأما من أنكر قيام الصفات به ، فذاك لايسمي الله جوهرا ولاجسما .

وهؤلاء النصارى متناقضون تناقضا بينا ، ولهذا كان لهم طريقة لايوافقهم عليها أحد من طوائف العقلاء وذلك يظهر :

بالوجه السادس : وهو أن الناس لهم في اثبات الصفات القائمة بذات الله تعالى قولان : فسلف المسلمين وأئمتهم ، وجمهور الخلق من أهل الملل وغير أهل الملل ، يثبتون قيام الصفات بالله - تبارك وتعالى - وهل تسمى[٥] أعراضا؟ على قولين .

---

(١) سقطت " لطيفا " من ط .

(٢) في ط زيادة (بينهم) .

(٣) في ك و ط زيادة (بينهم)

(٤) في أ و ك (لايسميه جوهرا) .

(٥) في ك (يسمى) بالياء .

والقول الثاني : - قول من ينفي الصفات ، مثل الملاحدة الجهمية[١] ونحوهم ، من مبتدعة المسلمين ، ومن وافقهم من الفلاسفة ، وبعض اليهود والنصارى . فهؤلاء لاتقوم به المعاني والصفات عندهم ، فلا يقولون تقوم به الأعراض . ثم من هؤلاء ، من يسميه جوهرا كأرسطو[٢] وأتباعه ، ومنهم من لايسميه جوهرا كمتأخري الفلاسفة . ابن سينا وأمثاله ، مع جمهور نظار المسلمين وغيرهم . سواء سموه جوهرا أو لم يسموه[٣] .

وأما الجمهور[٤] القائلون بقيام المعاني به ، فبعضهم يسميها أعراضا وإن لم يسمه جوهرا . وقد سماه بعضهم جوهرا ، وبعضهم ينفي أن يكون أعراضا ، وبعضهم يسكت عن النفي والاثبات ، فلايسميها أعراضا ، ولاينفي تسميتها بذلك ، أو يستفصل القائل عن كونها أعراضا .

---

(١) (الجهمية) : هم أتباع جهم بن صفوان ، الذي قال بالاجبار والاضطرار إلى الأعمال وانكر الاستطاعات كلها ، وزعم أن الجنة والنار تبيدان وتفنيان ... وامتنع من وصف الله - تعالى - بأنه شيء أو حي او عالم أو مريد ... " الفرق بين الفرق : ٢١١ لصدر الدين عبد القاهر بن طاهر ابن محمد البغدادي - ٤٢٩ هـ - دار المعرفة ، بيروت . وقد وصف الشيخ (الجهمية) بإنهم (ملاحدة) لأنهم الحدوا في أسمائه - تعالى - فأبو تسميته بأسمائه الحسنى ، وهذا ميل عن الحق والصواب . انظر الكشاف ٢ : ١٣٢ لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي - ٥٣٨ هـ - دار المعرفة ، بيروت .

(٢) في أ و ك (أرسطوا) بألف بعد الواو والصواب حذفها كما في ط .

(٣) سقطت جملة (سواء سموه جوهرا أولم يسموه) من ط .

(٤) " الجمهور من الناس : (جلهم) ومعظم كل شيء . ترتيب القاموس للطاهر أحمد الزاوي ، ١ : ٥٣٤ دار الكتب العلمية ، بيروت ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩م .

وأما هؤلاء النصارى فقالوا : " جوهر ثلاثة أقانيم [(١)] " ووصفوه بالصفات الثبوتية ، وهي الحياة والنطق ، وقالوا : " الموجود اما جوهر ، وإما عرض " فلزمهم أن تكون صفات الله أعراضا عندهم . ثم قالوا: "الجوهر اللطيف ، لايقوم به الأعراض [(٢)] " ونزهوا الرب أن تقوم به الأعراض ، مع قولهم: " إنه جوهر " تناقضوا [(٣)] تناقضا بيّنا ، حيث جمعوا بين كلام الرسل وأتباعهم وبين كلام المشركين [(٤)] المعطلين [(٥)] الفلاسفة . فما تلقوه عن المسيح فهو حق ، وما ابتدعوه من قول من خالف الرسل ، فهو باطل . فجمعوا في قولهم بين الحق والباطل ، وسلكوا مسلكا لايُعْرف عن غيرهم وايضاح هذا أن يقال في :

---

(١) في ك و ط زيادة (هو) .

(٢) في ط (تقوم) .

(٣) في ط : (فتناقضوا) بفاء في أوله .

(٤) جمع : (مشرك) من الشرك : وهو : تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله ـ تعالى ـ وهو ثلاثة أنواع : شرك أكبر وهو الذي يخرج من ملة الاسلام ، وهو صرف أي نوع من العبادة لغير الله . ٢ ـ وشرك أصغر : وهو الذي لايخرج من ملة الاسلام ، ٣ ـ وشرك خفي : وهو الذي يكفّره التعوذ منه . وهو نوع من الشرك الأصغر لمن جعل الشرك نوعين . انظر حاشية كتاب التوحيد : ١٥ للشيخ عبد الرحمن بن محمد القاسم العاصمي النجدي ـ ١٣٩٢ هـ ط ١ ، المطابع الأهلية للأوفست ، الرياض ١٣٩٦هـ وعقيدة المسلمين والرد على الملحدين والمبتدعين ١ : ٢٦٨ ـ ٢٧٥ للشيخ صالح بن ابراهيم البليهي ، ط ١ ، المطابع الأهلية للأوفست بالرياض ١٤٠١ هـ .

(٥) من " التعطيل " وهو مأخوذ من (العطل) وهو الخلو والفراغ والترك . والمراد بالمعطلين نفاة الصفات الالهية عن الله . ومنكري قيامها بذاته ـ عز وجل ـ أو منكري بعضها ، والتعطيل ثلاثة أنواع : ١ـ تعطيل الله ـ سبحانه ـ من كماله المقدس . ٢ ـ تعطيل معاملته . ٣ ـ تعطيل المصنوع من صانعه . انظر الكواشف الجلية عن معاني الواسطية :٥٢ ـ ٥٣ لعبد العزيز بن محمد السلمان ، ط ٢ ، مطبعة السعادة بمصر ١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠م .

الوجه السابع : أن هذا الذي ذكروه تناقض بيّن ، فإنهم قالوا: الموجود اما جوهر واما عرض ، القائم بذاته هو الجوهر ، والقائم بغيره هو العرض " .

ثم قالوا :"إنه موجود حي ناطق ، له حياة ونطق " . فيقال لهم : حياته ونطقه . إما جوهر واما عرض وليس جوهرا ، لأن الجوهر ماقام بنفسه ، والحياة والنطق لايقومان بأنفسهما ، بل بغيرهما ، فهما من الأعراض ،فتعيّن أنه عندهم جوهر يقوم (١) به الأعراض ، مع قولهم : إنه جوهر لايقبل عرضا".

فإن قيل (٢) : أرادوا بقولهم : " لايقبل عرضا " ماكان حادثا . قيل : فهذا ينقض تقسيمهم (٣) الموجود إلى جوهر وعرض ، فإن المعنى القديم الذي يقوم به ليس جوهرا وليس حادثا . فإن كان عرضا ، فقد قام به العرض وقَبِلَه ، وإن لم يكن عرضا ، بطل التقسيم .

يبين هذا أنه يقال (٤) : أنتم قلتم : " إنه شيء حي ناطق " وقلتم : " هو ثلاثة أقانيم " وقلتم : " المتحد بالمسيح أقنوم الكلمة " وقلتم في الأمانة (٥) : نؤمن بالله واحد أب ضابط الكل ، وبرب واحد (٦) يسوع (٧) المسيح

---

(١) في ط (تقوم) .

(٢) في ك و ط (وان) .

(٣) في أ و ك (تقسمهم) وقد صوبناها من ط .

(٤) في ط (فتبين من هذا أنهم يقال لهم) .

(٥) (الأمانة) هي كتاب (قانون الأمانة) الذي قام رجال الكنيسة بوضعه من تلقاء أنفسهم ، دونما مستند من وحي أو كتاب منزل ، وقد أورد د. أحمد السقافي كتابه : أقانيم النصارى : ٥٩ - ٦٧ مايثبت أن هذا القانون من تأليف كبار القساوسة .

(٦) في أ (واحدا) بالنصب ، وفي ك (ايسوع) الحقت الالف بكلمة "يسوع " حيث جاءت في أول السطر . والصحيح مافي ط ولذلك اعتمدناه ".

(٧) يسوع "هوالاسم الشخصي لعيسى بن مريم - عليه السلام - عند النصارى ،أما المسيح فهو لقبه ، وهو الصيغة العبرية (يشوع) ومعنى الاسم (يهوه مخلص) وقد جاءت هذه التسمية لعيسى عليه السلام - في العهد الجديد . ولشخص آخر يدعى " يسطس " وكان عاملا مع بولس ورفيقا له في رومية . انظر قاموس الكتاب المقدس (عندهم) : ١٠٦٥ - ١٠٦٦ .

ابن الله الوحيد المولود من الأب قبل كل الدهور ، اله حق من اله حق من جوهر أبيه مولود غير مخلوق مساو ، للأب في الجوهر[١] ".

ثم قلتم :" إن الرب جوهر"، وقلتم :" إنالذي يشغل حيزا أو يقبل عرضا هو الجوهر الكثيف . فأما الجوهر اللطيف فلا يقبل عرضا ولايشغل حيزا ، مثل جوهر النفس وجوهر العقل ، ومايجري هذا المجرى من الجواهر اللطيفة . فإذا كانت[٢] الجواهر اللطيفة المخلوقة لاتقبل عرضا ، ولاتشغل حيزا ، فيكون[٣] خالق الجواهر اللطائف والكثائف ، ومركب اللطائف بالكثائف يقبل عرضا ويشغل حيزا كلا[٤]». فصرحتم بأنه جوهر لايقبل عرضا ، وقلتم : " ليس في الموجود[٥] شيء الا وهو اما جوهر واما عرض فإن كان قائما بنفسه غير محتاج في وجوده إلى غيره ، فهو الجوهر ، وان كان مفتقرا في وجوده إلى غيره[٦] ، لاقوام له بنفسه ، فهو العَرَض " .

فيقال لكم : الابن القديم الأزلي المولود[٧] من جوهر أبيه ، الذي هو مولود غير مخلوق ، الذي تجسد ونزل، جوهر قائم بنفسه أم هو عرض قائم بغيره ؟ والموجود عندكم : اما جوهر واما عرض .

---

(١) أنظر هذا النص في كتاب : ايماني،للقس الياس مقار ،وللكتاب اسم آخر هو قضايا المسيحية الكبرى : ٦٥ ، نشر دار الثقافة بالقاهرة.

و الخلاصة الشهية في أخص العقائد والتعاليم الأرثوذكسية : ٧٠ لأفلاطون مطران موسكو ، تعريب : الخوري يوحنا حزبون ، مطبعة كرم ، بيروت ١٩٥٧م .

(٢) في ط زيادة : (هذه) .
(٣) في ك (فكيف) .
(٤) في ط (الوجود) .
(٥) في ط (ال).
(٦) في ك و ط (الموجود) .
(٧) في ك و ط زيادة (هو) .

فإن قلتم : هو جوهر . فقد صرحتم باثبات جوهرين : الأب جوهر ، والابن جوهر ، ويكون حينئذ أقنوم الحياة جوهرا ثالثا ، فهذا تصريح باثبات ثلاثة جواهر قائمة بنفسها (١) . وحينئذ فيبطل قولهم : إنه اله واحد وإنه آحَدِي الذات ، ثلاثي الصفات وإنه واحد بالجوهر ، ثلاثة بالأقنوم " إذ كنتم قد صرحتم - على هذا التقدير - باثبات ثلاثة جواهر .

وإن قلتم : بل الابن (٢) القديم الأزلي ، الذي هو الكلمة ، التي هي العلم والحكمة ، عرض قائم بجوهر الأب ، ليس هو جوهرا ثانيا ، فقد صرحتم بأن الرب جوهر تقوم به الأعراض ، وقد أنكرتم هذا في كلامكم ، وقلتم : " هو جوهر لاتقوم به الأعراض " وقلتم : " إن من المخلوقات جواهر (٣) لاتقوم بها الأعراض ، فالخالق أولى " وهذا تناقض بيّن ، لاحيلة فيه لمن تدبر كلامهم ، أوله وآخره .

فإن كلامهم هذا يوجب أنه جوهر واحد ، لايقوم به شيء من الأعراض . وهم يقولون : " جوهر واحد ، ثلاثة أقانيم " وسواء (٤) سموها صفات أو خواص أو أعراضا (٥) ، أو قالوا : الأقنوم هو الذات والصفة . فيقال لهم : الرب مع الأقانيم ، ثلاثة جواهر ، أو جوهر واحد له ثلاث صفات ، أو جوهر (٦) لاصفة له ؟ فان قالوا : ثلاثة جواهر ، أثبتوا ثلاثة ، وبطل قولهم : " إن الرب جوهر واحد ، واله واحد " وصرحوا (٧) باثبات : ثلاثة آلهة .

---

(١) في ك و ط (بأنفسها) .

(٢) في أ و ك (الأب) والأصح مافي ط ولهذا اعتمدناه .

(٣) في أ (في المخلوقات وقلتم هو جوهر) وفي ك (في المخلوقات جوهر لايقوم) والأصح مافي ط ولذلك أثبتناه .

(٤) محل هذه الكلمة بياض في أ بمقدار كلمة وقد أثبتناها من ك و ط .

(٥) في أ و ك (أعراض) والأصح مافي ط ولهذا اعتمدناه .

(٦) في ط زيادة : (واحد) .

(٧) في أ (وخرجوا) وقد أثبتنا مافي ك و ط .

وإن قالوا : بل جوهر واحد له ثلاث صفات ،فقد صرحوا أن هذا الجوهر تقوم به الصفات ، وإذا قامت به الصفات ـ وقد سموه جوهرا ـ وقالوا:" كل موجود اما جوهر ، واما عرض" لزمهم قطعا أن تكون صفاته أعراضا فبطل قولهم : " إنه جوهر لايقوم (١) به الأعراض" وإن قالوا : جوهر واحد ، لاتقوم به الصفات (٢) بطل قولهم : " له حياة ونطق " وإذا نفوا الصفات ، أبطلوا التثليث والاتحاد ، وبطلت الأمانة مع مخالفتهم لكتب الأنبياء ، فإنها مصرحة باثبات الصفات (٣) ، ومع مخالفتهم لصريح العقل .

والمقصود أنهم يتناقضون تناقضا بينا ، لأنهم أثبتوا جوهرا لاتقوم به الأعراض ، مع قولهم : " الموجود اما جوهر واما عرض" ومع قولهم : " إنه جوهر ثلاثة أقانيم " فإذا لم تقم به الأعراض ، لم يكن له صفات ، فإن الصفة قائمة بغيرها ، ليست جوهرا ، بل هي ـ إذا كان الموجود اما جوهر واما عرض ـ من قسم الأعراض ، لامن قسم الجواهر ، فكان هذا الكلام نافيا لقيام الصفات به مطلقا .

ثم قالوا بالأقانيم التي توجب اما اثبات صفات ، واما اثبات جواهر ثلاثة قائمة بنفسها ، مع أنها إذا قامت بنفسها لزم اتصافها بالصفات . ولاريب أن القوم يجمعون في قولهم ، بين النقيضين ، بين إثبات الصفات ونفيها (٤) ، وبين إثبات ثلاثة جواهر ، ثلاثة آلهة ، وبين قولهم . الإله الواحد.

---

(١) في ك و ط (تقوم) .

(٢) في ط زيادة (بحال)

(٣) هكذا في ك و ط وفي أ (بصريح) بالباء في أوله واللام أولى .

(٤) في ك و ط (واحد) .

وسبب ذلك : أنهم رَكَّبُوا لهم اعتقادا ، بعْضَه من نصوص الأنبياء المحكمة ، كقولهم :" اله (١) واحد " وبعضه من متشابه كلامهم ، كلفظ (الابن) و (روح القدس) ، وبعضه من كلام الفلاسفة المشركين المعطلين ، كقولهم : " جوهر لاتقوم به الصفات (٢) " .

ومما يوضح ذلك أنك تجد عامة علماء النصارى ـ فضلا عن عامتهم ـ لايعرفون مانسخه المسيح من شريعة التوراة مما أقره ، مع أتفاقهم على أن المسيح لم ينسخها كلها ، ولم يقرها كلها ، بل أخبرهم أنه انما جاء ليتمها (٣) لا ليبطلها ، وقد أحل بعض ماحرم فيها ، كالعمل في السبت .

ومعلوم أن المقصود بالرسل تصديقهم فيما أخبروا ، وطاعتهم فيما أمروا فإذا كان عامة النصارى لايميزون ما أمرهم به مما لم يأمرهم به ، ولا مانهاهم عنه مما لم ينههم عنه ـ مع اعترافهم بأنه أقر كثيرا من شريعة التوراة ، بل أكثرها ، وأحل بعضها فنسخه ورفعه ، وهم لايعرفون هذا من هذا ، لم يكونوا عارفين بما جاء به المسيح ، ولايعرفون ما أمرهم الله على لسان موسى وسائر الأنبياء ـ فإنهم لايجوز لهم العمل بكل مافي التوراة ، بل قد نسخ المسيح بعض ذلك باتفاقهم ، واتفاق المسلمين على ذلك .

---

(١) في ط (الاله) .

(٢) سبق وأن ناقش الشيخ المؤلف في كتابه هذا تلك المسألة ، في أكثر من موضع بحسب مايتطلبه الأمر في حينه ، وبقدر مايخدم الموضوع الذي يكون بصدده ، انظر الجواب الصحيح (طبع المدني) ١ : ٢٤١ ومابعدها وانظر الفصل الذي عقده بعنوان : " فصل في بطلان التثليث " ٢ : ٩٠ ومابعدها ، فقد توسع فيه وفصل كثيرا ، ثم اتبعه بفصول أخرى من أجل الغرض نفسه . وانظر الجواب الصحيح (رسالة دكتوراه) الجزء الأول ، المجلد الثاني : ٥٥٣ ـ ٥٥٤ .

(٣) في ط (ليطلبها) .

ولايجوز لهم تعطيل جميع شريعة التوراة ، بل يجب عليهم العمل بما لم ينسخه المسيح . وعامتهم لايعرفون مانسخه مما لم ينسخه ، فلا يمكنهم العمل بالتوراة والانتفاع بها في الشرع ، حتى يعرفوا المنسوخ منها من غير المنسوخ .

وعامتهم لايعرفون ذلك ، فلم يكونوا حينئذ على شريعة منزلة من الله ، لامن جهة المسيح ، ولا من جهة موسى ، فلم يعلموها (١) ، بل كان ذلك مجهولا عند عامتهم وجمهورهم أو جميعهم ، فكانوا محتاجين إلى أن يعرفوا ماشرعه الله مما لم يشرعه . فأرسل الله محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ بشرع آمرفيه بمحاسن مافي الكتابين ، وعوض (٢) عما نسخه بما هو خير منه .

---

(١) في أ و ك (يعلمونها) وهو خطأ نحوي .

(٢) في أ (عرض) ومافي ك و ط أولى .

فصـــل

(نقض دعواهـــم: الاستغناء باليهودية والنصرانية من ١٢ وجهـــا)

ثم قالوا[١] : " إنا نعجب من هؤلاء القوم[٢] ، الذين مع أدبهم ومايأخذون به أنفسهم من الفضل ، كيف لم يعلموا أن الشرائع شريعتان : شريعة عدل ، وشريعة فضل ، لأنه لما كان الباري عدلا وجوادا ، وجب أن يظهر عدله على خلقه . فأرسل موسى إلى بنى اسرائيل ، فوضع شريعة العدل ، وأمرهم بفعلها إلى أن استقرت في نفوسهم . ولما كان الكمال الذي هو الفضل ، لايمكن أن يضعه إلا أكمل الكُمَّال ، وجب أن يكون هو - تقدست أسماؤه وجلت آلاؤه - الذي يضعه ، لأنه ليس شيء أكمل منه ، ولأنه جواد[٣] ، وجب أن يجود بأجلّ الموجودات . وليس في الموجودات أكمل من كلمته ، ولذلك وجب أن يجود بكلمته ، فلهذا وجب أن يتحد بذات محسوسة ، يظهر منها قدرته وجوده . ولما لم يكن في المخلوقات أجل من الانسان ، اتحد بالطبيعة البشرية من السيدة الطاهرة ، من مريم البتول المصطفاة على نساء العالمين. وبعد هذا الكمال ماتبقى[٤] شيء يوضع ، لأن جميع مايتقدمه[٥] ومايأتي مقتضيه[٦] ، ومايأتي بعد الكمال غير محتاج اليه ،

---

(١) القائلون هم النصارى .
(٢) هم المسلمون .
(٣) في أ (جعلا) وقدصوبناه من ك و ط . مع أن الناسخ قدكتب فوقها لعله (جواد) في أ .
(٤) في ط (بقي) .
(٥) في ط (تقدمه) .
(٦) في ك و ط (منقصة) .

لأن (١) ليس شيء يأتي بعد الكمال فيكون فاضلا (٢) ، بل دون (٣) ، أو أخذ منه . فهو فضل لايحتاج اليه ، وفي هذا القول نفع (٤) . والسلام على من اتبع الهدى . وهذا مما عرفته من أن القوم الذين رأيتهم وخاطبتهم في محمد (٥) ـ عليه السلام ـ ومايحتجون به عن أنفسهم ، فإن يكن ماذكروه صحيحا ، فلله الحمد ، وان كان (٦) خلاف ذلك (٧) ، فمولانا (٨) يكتب ذلك ، فقد جعلوني سفيرا ، والحمد لله رب العالمين (٩) " .

والجواب على (١٠) هذا من وجوه :

أحدها : أن يقال : بل الشرائع ثلاثة ، شريعة عدل فقط ، وشريعة فضل فقط ، وشريعة تجمع العدل والفضل ، فتوجب العدل ، وتندب إلى الفضل ، وهذه أكمل الشرائع الثلاث ، وهي شريعة القرآن ، الذي جمع (١١) فيه بين العدل والفضل ، مع أنا (١٢) لاننكر أن يكون موسى ـ عليه السلام ـ أوجب العدل وندب إلى الفضل ، وكذلك المسيح ـ أيضا ـ أوجب العدل وندب إلى الفضل .

---

(١) في ك و ط (لأنه) .

(٢) في أ و ك (فاضل) والصواب مافي ط ولهذا اعتمدناه .

(٣) في ط (دونا) بالنصب .

(٤) في ط (مقنع) .

(٥) في ط (الصلاة السلام) .

(٦) في ط (يكن) .

(٧) في ك و ط (بعد أن) .

(٨) المتحدث هو : بولس الأنطاكي .

(٩) من قوله : وهذا مما عرفته .. إلى هذا الموضع ، هو من كلام رجل يظهر لي أنه مسلم ، وأنه كان يقوم بنقل مايكتبه النصارى للشيخ المؤلف ليردعليه.

(١٠) في ك و ط (عن) .

(١١) في ك و ط (يجمع) .

(١٢) في ط (أننا) .

وأما من يقول : إن المسيح أوجب الفضل وحرم على كل مظلوم أن يقتص من ظالمه ، أو أن موسى لم يندب إلى الاحسان ، فهذا فيه غضاضة بشريعة المرسلين . لكن قد يقال : إن ذكر العدل في التوراة أكثر ، وذكر الفضل في الانجيل أكثر ، والقرآن جمع بينهما على غاية الكمال .

والقرآن بَيّن أن السعداء أهل الجنة ، وهم (١) أولياء الله نوعان ، أبرار مقتصدون ، ومقربون سابقون . فالدرجة الأولى : تحصل بالعدل ، وهي أداء الواجبات وترك المحرمات . والثانية : لاتحصل الا بالفضل ، وهو أداء الواجبات والمستحبات ، وترك المحرمات والمكروهات .

فالشريعة الكاملة ، تجمع العدل والفضل كقوله - تعالى - :﴿...وان كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة ...﴾ (٢) فهذا عدل واجب ، من خرج عنه استحق العقوبة في الدنيا والآخرة . ثم قال : ﴿ ... وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ (٢) . فهذا فضل مستحب مندوب اليه ، من فعله أثابه الله ورفع درجته ، ومن تركه لم يعاقبه . وقال - تعالى - ﴿ ... ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله ﴾ (٣) فهذا عدل ، ثم قال : ﴿ ... الا أن يصدقوا ... ﴾ (٣) فهذا فضل . وقال - تعالى - : ﴿ ... والجروح قصاص ... ﴾ (٤) فهذا عدل ، ثم قال : ﴿ ... فمن تصدق به فهو كفارة له ... ﴾ فهذا فضل .

وقال - تعالى - : ﴿ وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف مافرضتم ...﴾ فهذا عدل ، ثم قال : ﴿ ... الا أن يعفون أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح وأن تعفوا أقرب للتقوى ...﴾ (٥) فهذا فضل .

---

(١) في ط (فهم) .

(٢) سورة البقرة : ٢٨٠ .

(٣) سورة النساء : ٩٢ .

(٤) سورة المائدة : ٤٥ .

(٥) سورة البقرة : ٢٣٧ .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به ...﴾ فهذا عدل ، ثم قال : ﴿ ... ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ﴾ [١] فهذا فضل .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ...﴾ فهذا عدل ، ثم قال : ﴿ ... فمن عفا وأصلح فأجره على الله ... ﴾ [٢] فهذا فضل .

وهو ـ سبحانه ـ دائما يحرم الظلم ، ويوجب العدل ، ويندب إلى الفضل ، كما في آخر سورة البقرة ، لما ذكر حكم الأموال . والناس فيها ، اما محسن، واما عادل ، واما ظالم . فالمحسن ، المتصدق ، والعادل ، المعاوض كالبايع ، والظالم كالمرابي [٣] .

فبدأ بالاحسان والصدقة ، فذكر ذلك ورغب فيه فقال : ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم * الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لايتبعون ما أنفقوا منّا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون * قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حليم ﴾ [٤] الآيات ...

ثم ذكر تحريم الربا فقال : ﴿ الذين يأكلون الربا لايقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا : إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ماسلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ [٥] .

---

(١) سورة النحل : ١٢٦ .

(٢) سورة الشورى : ٤٠ .

(٣) في ك (المربي) .

(٤) سورة البقرة : ٢٦١ ـ ٢٦٣ .

(٥) سورة البقرة : ٢٧٥ .

ثم لما أحل البيع ذكر المداينات ،[(١)] وحكم البيع الحالّ والمؤجل ، وحفِظَ ذلك بالكتاب والشهود أو الرهن ، وختم السورة بأصول الإيمان ، من الإيمان بالكتب والرسل ، وهو ـ سبحانه[(٢)] ـ بعد أن افتتحها ، بذكر[(٣)] أصناف الناس وهم ثلاثة : اما مؤمن واما كافر واما منافق . فذكر نعت المؤمنين ، ثم ذكر نعت الكافرين ، ثم ذكر نعت المنافقين . ثم مهد أصول الايمان ،فأمر بعبادة الله ـ تعالى ـ وذكر آياته وآلائه[(٤)] . ثم قرر نبوة رسله[(٥)] ، ثم ذكر اليوم الآخر والوعد والوعيد ، ثم ذكر بدء العالم وخلق السموات والأرض ، ثم خلق آدم واسجاد الملائكة له ، وخروجه من الجنة ، وهبوطه إلى الأرض .

ثم بعد أن عم بالدعوة جميع الخلق ، خص أهل الكتاب فخاطبهم : خاطب اليهود أولا بني اسرائيل ، ثم النصارى ، ثم خاطب المؤمنين ، فقرر لهم قواعد دينه ، فذكر أصل ملة ابراهيم ، وبنّى البيت ، ودعاءه لأهل مكة ، ووكد الأمر بملة ابراهيم . ثم ذكر مايتعلق بالبيت ، من اتخاذه قبلة ، ومن تعظيم شعائر الله التي عنده ، كالصفا والمروة ، ثم ذكرالتوحيد والحلال والحرام والمطاعم[(٦)] للناس عموما ، ثم للذين آمنوا[(٧)] خصوصا .

ثم ذكر مايتعلق بالقتل من القصاص وبالموت ، من الوصية . ثم ذكر شرائع الدين ، فذكر صيام شهر رمضان ،ومايكون فيه من الأعتكاف . ثم ذكر مايتصل بشهر الصيام ، وهو أشهر الحج ، فذكر الحج ، وذكر حكم القتال عموما وخصوصا ، في البلد الحرام . ولما ذكر الصلاة والصيام والحج والجهاد والصدقة ،

---

(١) في ك وط زيادة (ذكر).

(٢) لم ترد جملة (هو سبحانه) في ط . وهي في ك مشطوبة .

(٣) في ط زيادة (بذلك) وفيها وفي ك (وذكر) .

(٤) "آلاء الله " هي نعمه على الانسان مطلقا بدون تقييد . انظر البحر المحيط ٤ : ٣٢٥ .لأبي عبد الله محمد بن يوسف بن حيان الغرناطي ـ ٧٥٤هـ مكتبة ومطابع النصر الحديثة ، الرياض .

(٥) في ك و ط (رسوله) .

(٦) في ط (في المطاعم) .

(٧) في ك زيادة (ثم) .

ذكر بعد ذلك الحلال والحرام في الفروج . فذكر أحكام وطء[1] النساء ، والحَيْض ، والايلاء منهن[2] ، والطلاق لهن ، واختلاعهن . وذكر حكم الأولاد وارضاعهم ، واعتداد النساء ، وخطبتهن في العدة ، وطلاقهن قبل الدخول وبعده . ثم ذكر الصلوات والمحافظة عليهن ، ثم قرر المعاد ، ومايدل عليه من احياء الموتى فيالدنيا مرة بعد مرة .

فتضمنت هذه السورة الواحدة جميع مايحتاج الناس اليه في الدين[3] ، وأصوله وفروعه ، وافتتحها بالإيمان بالكتب والرسل ، ووسطها بالإيمان بالكتب والرسل ، وختمها بالإيمان بالكتب والرسل . فإن الإيمان بالكتب والرسل هو عمود الإيمان وقاعدته وجماعه[4] .

وأمر فيها الخلق عموما وخصوصا[5] ، وذكر فيها الإيمان بالخالق وآيات ربوبيته ، والإيمان بالمعاد والدار الآخرة ، والأعمال الصالحة التي أمربها ، وأن[6] من كان من أتباع الرسل من المؤمنين واليهود والنصارى والصابئين[7] قائما بهذه الأصول : وهو الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح فهو السعيد في الآخرة الذي له أجره عند ربه ، ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون[8] .

---

(١) في أ (الوطىء) وعدم التعريف أولى وهو ما أثبتناه من ك و ط .

(٢) (الايلاء) : هو أن يحلف الرجل أن لايجامع أمرأته للاضرار بها . صفوة التفاسير ٢ : ١٤٥ .

(٣) بدون عطف في ك و ط

(٤) جِمَاعُه : أي جَمْعُه . المصباح : ١٠٩ .

(٥) في ك و ط زيادة (بعد عموم) .

(٦) في ط (وإن) .

(٧) من : صبأ الرجل : إذا مال وزاغ ، ومدار مذهبهم على التعصب للروحانيين ، وهم يعتقدون أن للعالم صانعا فاطرا حكيما مقدسا عن سمات الحدثان ، والواجب معرفة العجز عن الوُصول إلى جلاله وإنما يتقرب اليه بالمتوسطات المقربين اليه وهم الروحانيون المطهرون المقدسون جوهرا وفعلا وحالة . ووسطاؤهم "عاديمون" و " هرمس". الملل والنحل ٢: ٥ – ٦.

(٨) هذا اقتباس من الآية : ٦٢ من سورة البقرة .

بخلاف من بدل منهم الكتاب ، أو كذب بكتاب فإن هؤلاء من الكفار . فمن كان متبعا لشرع التوراة قبل مبعث المسيح ،غير مبدل له فهو من السعداء . وكذلك من كان متبعا لشرع الانجيل قبل مبعث محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ غير مبدل له فهو من السعداء . ومن بدل شرع التوراة أو كذب بالمسيح فهو كافر ، كاليهود بعد مبعث المسيح ـ عليه السلام ـ . وكذلك من بدل شرع الانجيل أو كذب محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ فهو كافر ، كالنصارى بعد مبعث محمد ـصلى الله عليه وسلم ـ .

فقدماء اليهود والنصارى الذين اتبعوا الدين قبل النسخ والتبديل ، سعدوا (١) ، وأما اليهود والنصارى الذين تمسكوا بشرع مبدل منسوخ وتركوا اتباع الكتب (٢) والرسول الذي أرسل اليهم وإلى غيرهم وعدلوا عن الشرع المنزل المحكم ، فهم كفار .

وَرَدَّ دعاوى اليهود والنصارى الكاذبة ، مثل قول هؤلاء : ﴿ ... لن يدخل الجنة إلا من كان هودا ... ﴾ (٣) وقول هؤلاء : لن يدخل الجنة الا من كان نصارى فقال : ﴿ بلى من أسلم وجهه الله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون ﴾ (٤) . وبين من كُفْر اليهود والنصارى ، مما (٥) عرف بهم حالهم .

لكن أكثر ماذكر في هذه السورة : اليهود ، كما أن أكثر ماذكر في سورة آل عمران النصارى ، فإن هذه نزلت أول مَقْدَمِه المدينة ، وكان اليهود جيرانه (٦) (٧) . وآل عمران تأخر نزولها إلى آخر الأمر ، لما قدم عليه نصارى نجران،

---

(١) في ك و ط (سعداء) .
(٢) في ك و ط (الكتاب) .
(٣) سورة البقرة : ١١١ .
(٤) سورة البقرة : ١١٢ .
(٥) في ك و ط (ما) .
(٦) في ط زيادة (وفد)
(٧) نجران : من مخاليف (مناطق)اليمن من ناحية مكة ،وبها كان خبر الأخدود ، واليها تنسب كعبة نجران ، وكان بها أساقفة مقيمون منهم " السيد " و " العاقب " حتى أجلاهم عمر ـ رضى الله عنه ـ عنها .
مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ٣ : ١٣٥٩ لصفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي ـ ٧٣٩ هـ ت : على محمد البجاوي ، ط ١ ، دار المعرفة ـ ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤م .

وفيها فرض الحج ، لما طهَّر الله مكة من المشركين ، فكان أكثر دعائه[١] في أول الأمر للمشركين ، لأنهم جيرانه بمكة[٢] ، ثم لليهود لأنهم جيرانه[٣] بالمدينة[٤] ، ثم للنصارى لأنهم كانوا أبعد عنه من ناحية الشام[٥] ، واليمن[٦] ، والمجوس ايضا لأنهم كانوا أبعد عنه بأرض العراق[٧] وخراسان[٨] .

---

(١) أي دعوته لهم للإسلام .

(٢) من هنا سقطت من أ جملة : (بمكة ثم لليهود لانهم جيرانه) . وهو سقط ظاهر ، والصحيح ما أثبتناه من ك و ط .

(٣) مكة : هي بيت الله الحرام ، وفيها الكعبة القبلة التي يتوجه المسلمون اليها في صلاتهم من سائر الآفاق ، سميت مكة لأنها تَمُكّ أعناق الجبابرة : أي تذهب نخوتهم وتذلهم ، وهي مدينة في واد بين جبلين مشرفين عليها من نواحيها ، وهي محيطة بالكعبة ، والكعبة في وسط المسجد ، والأبنية والدور محيطة بالمسجد ، وهي حارة في الصيف ، الا أن ليلها طيب . مراصد الاطلاع ٣ : ١٣٠٣ .

(٤) هي مدينة يثرب ، وهي مدينة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهي في حرة (أرض ذات حجارة سود) سبخة (ملحة) ، وبها مسجد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقبره . المصدر السابق ٣ : ١٢٤٧ .

(٥) بسكون همزته أو فتحها أو بدون همزه ، وكان اسمها الأول " سورى " وحدها من الفرات إلى العريش طولا ، وعرضا من جبلي طيء إلى بحر الروم ، المصدر السابق ٢ : ٧٧٥ .

(٦) سميت اليمن لتيامنهم اليها لما تفرقت العرب من مكة ، والبحر محيط بأرض اليمن من المشرق إلى الجنوب ، ثم راجعا إلى الغرب ، يفصل بينها وبين باقي جزيرة العرب خط يأخذ من بحر الهند إلى بحر اليمن عرضا في البرية من المشرق إلى جهة الغرب . المصدر السابق ٣ : ١٤٨٣ .

(٧) المجوس يقال لهم : الدين الأكبر والملة العظمى ، ومرجع ملوكهم هو (موبذ موبذان) ومعناه أعلم العلماء وأقدم الحكماء ، ومنهم (الثنوية) الذين أثبتوا أصلين اثنين مدبرين قديمين ، يقتسمان الخير والشر والنفع والضر والصلاح والفساد . ومسائل المجوس تدور على قاعدتين :

=

.....

= ١ ـ بيان سبب امتزاج النور بالظلمة ٢ ـ سبب خلاص النور من الظلمة. والمجوس الأصليون قالوا : أن الأصلين لايجوز ان يكونا قديمين أزليين بل النور أزلي والظلمة محدثة . ومنهم : الكيومرثية والزروانية والمسخية والزراد شتية . الملل والنحل ١ : ٢٣٠ .

(٨) العراق المشهور هو مابين حُديثة الموصل (بليدة بقرب الموصل من جهة الجنوب على شاطيء دجلة بالجانب الشرقي) إلى عَبّاد ان طولا ، ومابين عذيب (طرف) القادسية إلى حلوان عرضا ، وسمي عراقا لأن اسمها بالفارسية " ايران " فعربتها العرب وقالوا : عراق . مراصد ٢ : ٩٢٦ .

(٩) بلاد واسعة أول حدودها مما يلي العراق واخر حدودها مما يلي الهند ، ومن أمهات بلادها نيسابور وهرات ومرو . مراصد ١ : ٤٥٥.

وهذا هو الترتيب المناسب ، يدعو الأقرب اليه فالأقرب ، ثم يرسل رسله إلى الأبعد . وهو ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان ـ أولاً ـ مشغولا بجهاد المشركين واليهود (١) . فلما صالح المشركين صلح الحديبية (٢) ، وحارب يهود خيبر عقيب ذلك ففتحها الله عليه (١) ، وقسمها بين الذين بايعوه تحت الشجرة : الذين شهدوا صلح الحديبية ، تفرغ (٣) لمن بَعُدَ عنه ، فأرسل رسله إلى جميع من حواليه من الأمم .

---

(١) الحديبية ـ بتخفيف الياء الثانية وتثقيلها ـ هي قرية سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة ـ والشجرة سمرة بأرض الحديبية ـ التي بايع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أصحابه عندها ، وبينها وبين مكة مرحلة (والمرحلة المسافة التي يقطعها المسافر على مطيته في نحو يوم) وهي أبعد الحل عن البيت .
والصلح هو أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خرج معتمرا لايريد حربا في ذي القعدة سنة ٦ هـ ، وكان المسلمون الفا وأربعمائة رجل ، حتى نزل بوادي الحديبية ، وصالح قريشا على الرجوع عن مكة ، والعودة اليها في السنة القادمة لأجل العمرة . تفسير القرآن العظيم ٧ : ٣٢١ لاسماعيل بن كثير ـ ٧٧٤ هـ دار الشعب ، القاهرة . والسيرة النبوية . لابن هشام ٣ : ٣٢٦ ـ ٣٣٧ عبد الملك بن هشام ـ ٢١٨هـ ، ت : مصطفى السقا وغيره ، ط مصطفى الحلبي بمصر ١٣٥٥ هـ = ١٩٣٦م والمصباح المنير : ٢٢٣ ومراصد ١ : ٣٨٦ .

(٢) خيبر : هو الموضع المشهور الذي غزاه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ على الطريق من المدينة إلى الشام ، والخيبر : ـ بلغة اليهود ـ (الحصن) وهي الآن امارة تابعة من حيث الترتيب الاداري لامارة حائل وتتكون من مجموعة من القرى منها الشريف ويبلغ عدد سكانها ٦٠٠٠ نسمة وأكثر أهلها من (عَنَزَة) من البدو الرحل . مراصد ١: ٤٩٤ وانظر في شمال غرب الجزيرة : ٢٧٤ لحمد الجاسر ، ط ١ ، دار اليمامة الرياض ١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠م .

(٣) في ط (فتفرغ) .

أرسل إلى ملوك النصارى بمصر (١) والشام والحبشة (٢) ، فإنه كان قد مات ملك الحبشة النجاشي (٣) الذي أسلم ، وأخبر الناس بموته يوم مات ، وخرج بأصحابه إلى ظاهر المدينة ، فصلى عليه بهم صلاة الجنازة ، كما كان يصلي على سائر موتى المسلمين (٤) . وتولى بعد النجاشي آخر ، فأرسل اليه كما ذكره مسلم (٥) في صحيحه (٦) . وأرسل إلى ملوك اليمن من المشركين واليهود ، وإلى ملوك العرب (٧) . وكان في العرب خَلْق كثير يهود ، وخَلْق كثير نصارى ، وخَلْق كثير مجوس فدعا جميع الخلق من اليهود والنصارى والمجوس والمشركين ، عربهم وعجمهم (٨) .

الوجه الثاني : أن يقال لهم : الناس لهم في أمر الله ونهيه قولان مشهوران :

أحدهما : أنه يرجع إلى محض المشيئة ، لايعتبر فيه أن يكون المأمور به مصلحة للخلق ، وإن اتفق أن يكون مصلحة (٩) ، وإن كان الواقع كونه مصلحة ، وهذا قول من يقول : لايفعل ولايحكم بسبب (١٠) ولالحكمة ولا لغرض .

---

(١) "مصر " من أشهر أقطار الدنيا ، وأقدمها ذكرا في التاريخ ،وأبعدها عهدا بالمدنية والعلم ، موضعها من الكرة الأرضية في الشمال الشرقي من أفريقيا ، وهي عبارة عن واد ضيق محصور بين سلسلتي جبال ، وسميت باسم من أحدثها : وهو مصر بن مطريم بن حام بن نوح ، دائرة معارف وجدي ٩ : ١٥ ، ومراصد ٣ : ١٢٧٨ .

(٢) تقع في شمال أفريقيا الشرقي ، وهي هضبة مرتفعة تعلوها جبال شامخة كثيرة الوعورة صعبة المسالك ، وبها نهيرات كثيرة وأشهرها النيل الأزرق والعطبرة ـ دائرة معارف وجدي ٣ : ٢٩٨ .

(٣) هو أصحمة بن بحر أو مصحمة بن أبجر ، وكان عبدا صالحا لبيبا ذكيا وكان عادلا عالما ، واسمه بالعربية (عطية) وصلى عليه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ صلاة الغائب لما مات لأنه كان يكتم ايمانه من قومه ، فلم يكن عنده يوم مات من يصلي عليه ، وكان موته بعد فتح خيبر . السيرة النبوية ٢ : ٢٩ ـ ٣٠ لاسماعيل بن كثير ـ ٧٧٤ هـ ت : مصطفى عبد الواحد ، دار المعرفة ، بيروت ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣م ، وأسد الغابة في معرفة الصحابة ١ : ١٢٠ لعز الدين علي بن محمد بن الأثير الجزري ـ ٦٣٠ هـ ، دار الفكر ، بيروت .

=

.....

= (٤) رواه البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب موت النجاشي ٧ : ١٩١ (٣٨٧٧ – ٣٨٨١) من فتح الباري . ورواه مسلم ، كتاب الجنائز ، باب في التكبير على الجنازة ٢ : ٦٥٦ – ٦٥٨ (٩٥١ – ٩٥٣) .

(٥) مسلم . كتاب الجهاد والسير ، باب كتب النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى ملوك الكفار ... ، ٣ : ١٣٩٧ (١٧٧٤) ت محمد فؤاد عبد الباقي ، ط ١ ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٥م .

(٦) هو ابن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ، ثقة حافظ امام مصنف ، عالم الفقه ، مات سنة ٢٦١ هـ وله سبع وخمسون سنة . تقريب ٢ : ٢٤٥ ، وسير.. النبلاء ١٢ : ٥٥٧ – ٥٨٠ ، وطبقات الحفاظ : ٢٦٤ – ٢٦٥ .

(٧) في ك و ط زيادة : (وغيره) .

(٨) العرب قسمان : العرب القحطانية باليمن ، والعرب العدنانية بالحجاز ومايليها . فالبائدة من العرب : هم عاد وثمود والعمالقة ... الخ ، ويقال لهم : العرب العاربة ، والعرب الباقية هم القحطانيون باليمن ، وهم خارج اليمن تسعة عشر قبيلة ، والقسم الثاني : من العرب الباقية هم العدنانيون ، وهم ذرية اسماعيل بن ابراهيم – عليهما السلام – وهم قسمان : بنو معد وبنو عك . البداية والنهاية ٢ : ١٨٤ – ١٨٥ و دائرة معارف وجدي ٦ : ٢٣٢ – ٢٤٥ .

(٩) اتفق : بمعنى : صادق .ترتيب القاموس المحيط ٤ : ٦٣٨ .

(١٠) في ك و ط (لسبب) .

والقول الثاني : ـ وهو قول جمهورالناس ـ إن الله إنما أرسل الرسل ليأمروا الناس بما يصلحهم وينفعهم إذا فعلوه ، كما قال ـ تعالى ـ : * وما أرسلناك الا رحمة للعالمين (١) * وقال تعالى : * فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى * ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى * قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا ؟ قال: كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى (٢) *

فان قيل بالأول : لم يُسأل عن حكمة ارسال الرسل ، وان قيل بالثاني : ففي ارسال محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الحكم والمصالح أعظم مما كان في ارسال موسى والمسيح ، والذي حصل به من صلاح العباد في المعاش والمعاد أضعاف ماحصل بارسال موسى والمسيح من جهة الأمر والخلق . فإن في شريعته من الهدى ودين الحق أكمل مما في الشريعتين المتقدمتين ، وتيسير الله من اتباع الخلق (٣) له واهتدائهم به مالم يتيسر مثله لمن قبله (٤) ، فحصل فضيلة شريعته من جهة فضلها في نفسها ، ومن جهة كثرة من قبلها ، وكمال قبولهم لها . بخلاف شريعة من قبله ، فإن موسى ـ صلى الله عليه وسلم بُعث إلى بني اسرائيل (٥) ، وكان فيهم من الرد والعناد في حياة موسى وبعد موته ،

---

(١) سورة الأنبياء : ١٠٧ .
(٢) سورة طه : ١٢٣ ـ ١٢٦ .
(٣) في ط (ويسر) .
(٤) في آ (الحق) والأصوب مافي ك و ط وهو ما أثبتناه .
(٥) هم أبناء يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم ـ عليه السلام ـ وكان موطن اسحاق (حبرون) أو (قرية أربع) وهي مدينة الخليل اليوم ، وتزوج اسحاق (رفقا) ابنة عمه (ناهر بن آزر) فولدت له (عيص) و (يعقوب) ثم رحل يعقوب إلى خاله (لابان) في العراق ، وتزوج ابنتيه " ليا " و (راحيل) جميعا وكان ذلك مباحا ثم رجع إلى (أرض كنعان) وأبناؤه اثنا عشر وهم : رؤوبين وشمعون ولاوي ويهوذا ويساكر وزبولون ويوسف وبنيامين ودان ونفتالي وجاد وأشير . تاريخ الأمم والملوك ١ : ٣١٦ ـ ٣٢١ ومابعدها . لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ـ ٣١٠ هـ ت : محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار سويدان بيروت ، ومروج الذهب ١ : ٤٦-٤٧ . والكامل ١ : ٧١ ـ ٧٢ .

ماهو معروف (١) . وقد ذكر النصارى في كتابهم هذا من ذلك ماتقدم (٢) .

ولم تكن شريعة التوراة في الكمال مثل شريعة القرآن ، فإن القرآن فيه (٣) ذكر المعاد ، واقامة الحجج عليه وتفصيله ، ووصف الجنة والنار ، مالم يذكر مثله في التوراة . وفيه من ذكر قصة هود وصالح وشعيب وغيرهم من الأنبياء ، مالم يذكر في التوراة . وفيه من ذكر أسماء الله الحسنى وصفاته ، ووصف ملائكته وأصنافهم ، وخلق الانس والجن ، مالم يفصل مثله في التوراة . وفيه من تقرير التوحيد بأنواع الأدلة ، مالم يذكر مثله في التوراة . وفيه من ذكر أديان أهل الأرض ، مالم يذكر مثله في التوراة . وفيه من مناظرة المخالفين (٤) ، واقامة البراهين على أصول الدين ، مالم يذكر مثله في التوراة مع أنه لم ينزل كتاب من السماء أهدى من القرآن والتوراة . وفي شريعة القرآن تحليل الطيبات ، وتحريم الخبائث . وشريعة التوراة فيها تحريم كثير من الطيبات عليهم ، حرمت عليهم عقوبة لهم . وفي شريعة القرآن ، من قبول الدية في الدماء (٥) ، مالم يشرع في التوراة ، وفيها من وضع الآصار والأغلال (٦) التي في التوراة مايظهر به أن نعمة الله على أهل القرآن أكمل .

---

(١) كما جاء في سورة الأعراف : ١٣٨ – ١٤٠ و ١٤٨ و ١٦٢ – ١٦٣ و ١٦٥–١٦٦ و ١٦٩ وسورة الصف : ٥ وفي مواضع أخرى .

(٢) راجع الجواب الصحيح ٢ : ٤٤ و ٢٢٥ طبعة المدني حيث ذكر الحاكي عن النصارى : أن الذين ظلموا هم اليهود – بلاشك – فهم الذين سجدوا لرأس العجل ، وكفروا بالله – سبحانه – مرارا كثيرة ليست واحدة ، وقتلوا أنبياءه ورسله ، وعبدوا الأصنام ، وذبحوا للشياطين ... الخ .

(٣) في ك و ط زيادة (من) (٤) في ط زيادة (للرسل) .

(٥) دَمَّ فلانا : عذبه عذابا تاما ، وشدخ رأسه ، وشجه وضربه . ترتيب القاموس المحيط ٢ : ٢١٤ .

(٦) جمع اصر : وهو العبء الذي يأصر حامله : أي يحبسه مكانه لايستقل به لثقله ، استعير للتكليف الشاق . الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ١ : ٤٠٨ لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، دار المعرفة . بيروت .

وأما الانجيل ، فليس فيه شريعة مستقلة ، ولا فيه الكلام على التوحيد وخلق العالم وقصص الأنبياء وأممهم ، بل أحالهم على التوراة في أكثر الأمر. ولكن أحل(١) المسيح بعض ماحرّم عليهم ، وأمرهم بالاحسان والعفو عن الظالم(٢) واحتمال الأذى ، والزهد في الدنيا ،وضرب الأمثال لذلك .

فعامة ما أمتاز به الانجيل عن التوراة بمكارم الأخلاق المستحسنة ، والزهد(٣) المستحب ، وتحليل بعض المحرمات ، وهذا كله في القرآن ، وهو في القرآن أكمل . فليس في التوراة والانجيل والنبوات ماهو من العلوم النافعة والأعمال الصالحة الا وهو في القرآن ، أو ماهو أفضل منه . وفي القرآن من العلوم النافعة والأعمال الصالحة من الهدى ودين الحق ماليس في الكتابين . لكن النصارى لم يتبعوا لاالتوراة ولا الانجيل ، بل أحدثوا شريعة لم يبعث بها نبي من الأنبياء ، كما وضعوا لقسطنطين(٤) الأمانة ، ووضعوا له أربعين كتابا ، فيها(٥) القوانين ، فيها بعض ماجاءت به الأنبياء ، وفيها شيء كثير مخالف لشرع الأنبياء ، وصاروا إلى كثير من دين المشركين ، الذين عبدوا مع الله آلهة أخرى ، وكذبوا رسله ، فصار في دينهم من الشرك وتغيير(٦) دين الرسل ماغيروا به شريعة الانجيل ، ولهذا التبست عند عامتهم شريعة الانجيل بغيرها ، فلايعرفون مانسخه المسيح من شريعة التوراة مما أقره ، ولاماشرعه مما أحدث بعده .

---

(١) في ط زيادة (لهم) (٢) في ك و ط (المظالم) .

(٣) في أ (المزهد) وقد صوبناه من ك و ط .

(٤) هو : ابن قسطنس ، وأمه " هيلانا الرهاوية " وكان ملكه ٣٣ سنة و ٣ أشهر ، وهو الذي تنصر من ملوك الروم ، وقاتل عليها حتى قبلها الناس ودانوا بها ، وذلك بعد المسيح ـ عليه السلام ـ بنحو ثلاثمائة سنة ، واليه تنتسب الطائفة (الملكية) من النصارى ، وهو الذي بنى مدينة (القسطنطينية) بعد ملكه بثلاث سنين واختار مكانها لحصانته ، وقد تملك بعده قسطنطين أنطاكية ومعه أخواه (قسطوس) و (قسطنس).الكامل ١ : ١٨٩ ـ ١٩٠ والبداية والنهاية ٩ : ١٤٣ ـ ١٤٤ .

(٥) في ك و ط (ويسمونها)

(٦) في ك و ط (وتغير) .

فالمسيح لم يأمرهم بتصوير[(١)] الصور وتعظيمها ، ولادعاء من صورت تلك التماثيل على صورته ، ولا أمر بهذا أحدٌ من الأنبياء . لايوجد قط عن نبي أنه أمر بدعاء الملائكة والاستشفاع[(٢)] بهم ، ولابدعاء الموتى من الأنبياء والصالحين والاستشفاع[(٣)] بهم ، فضلا عن دعاء تماثيلهم والاستشفاع بها ، فإن هذا من أصول الشرك ، الذي نبهت عليه[(٤)] الرسل ، وهذا كان أصل الشرك في بني آدم من عهد نوح – عليه السلام –[(٥)] .

قال الله تعالى – عن قوم نوح – : ﴿لاتذرن آلهتكم ولاتذرن وداً ولاسواعاً ولا يغوث ويعوق ونسرا[(٦)] ﴿ وقد أضلوا كثيرا ﴾[(٧)] ، قال كثير من العلماء ،

---

(١) في ط (ينصب) .

(٢) هو طلب الشفاعة . والشفاعة : المطالبة بوسيلة أو ذِمّام أي عهد وأمان وضمان . انظر المصباح المنير : ٢١٠ و ٣١٧ . لأحمد بن علي المقري الفيومي – ٧٧٠ هـ – دار الكتب العلمية ، بيروت .

(٣) هي الصور التي صورت وعملت على أمثال خلقهم حتى كأن الناظر اليها يشاهد ذواتهم . انظر ترتيب القاموس المحيط، باب الميم ٤: ٢٠٣ .

(٤) في ط (نهت عنه) .

(٥) لم يرد التسليم على نوح في أ ولا ك .

(٦) هؤلاء نفر من بني آدم ، كان لهم أتباع ، فلما ماتوا صوروهم ،ليكون أشوق لهم إلى العبادة إذا ذكروهم ، فلما ذهبوا جاء آخرون فقال لهم ابليس : إنما كانوا يعبدونهم ، وبهم يسقون المطر ، فعبدوهم ،وكان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الاسلام . انظر جامع البيان عن تاويل آي القرآن ٢٩ : ٩٨ – ٩٩ لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري – ٣١٠هـ ط ٣ ، مصطفى الحلبي بمصر ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨م .

(٧) سورة نوح : ٢٣ – ٢٤ .

منهم ابن عباس[١] وغيره : وهؤلاء كانوا قوما صالحين في قوم نوح ، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ، ثم صوروا تماثيلهم ، ثم عبدوهم[٢] ، وقد ذكر ذلك المسيح وعلماء النصارى .

والمسيح عليه السلام لم يأمرهم بعبادته ولاقال : إنه الله ، ولا بما[٣] ابتدعوه من التثليث والاتحاد . والمسيح لم يأمرهم باستحلال كل ماحرمه الله في التوراة من الخبائث ، كالخنزير[٤] وغيره ، فاستحلوا الخبائث المحرمة

---

(١) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، ابن عم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ، وهو أحد المكثرين من الصحابة ، وأحد العباد لة من فقهاء الصحابة ، ومات سنة ٦٨ هـ بالطائف . تقريب التهذيب ١ : ٤٢٥ . واسد الغابة ٣ : ١٨٦ ـ ١٩٠ وسير .. النبلاء ٣ : ٣٣١ ـ ٣٥٩ .

(٢) انظر صحيح البخاري كتاب التفسير باب " .. ودا ولاسواعا . ولايغوث ويعوق" فتح الباري ٨ : ٦٦٧ (٤٩٢٠) بشرح صحيح الامام أبي عبد الله محمد ابن اسماعيل البخاري ـ ٢٥٦ هـ للامام الجافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ـ ٨٥٢ هـ بترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، نشر وتوزيع رئاسة ادارات البحوث العلمية والافتاء ، الرياض ، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٩ : ٩٩ .

(٣) في ط زيادة : (أمرهم) .

(٤) الخنزير : حيوان ثديي قذر، يرتع في القذى (الوسخ) رتوعا مفرطا، وهو طويل الوقوف على أرجله مالم يمش كثيرا أو يسمن ، وهو يصاب في كثير من الأحيان بديدان تمر منه إلى من يأكل لحمه ، منها دودة "تريشين " دائرة معارف وجدي ٣ : ٦٩٧ .

وغيروا شريعة التوراة والانجيل . والمسيح لم يأمرهم بأن يصلوا إلى[1] المشرق ، ولم يأمرهم أن يعظموا الصليب[2] ، ولم يأمرهم بترك الختان[3] ولا بالرهبانية[4] ولا بسائر ما ابتدعوه بعده .

ولهذا لما ظهر فساد دين النصارى ، صار بعض الناس ، كأبي عبد الله الرازي[5] يقول : " لم يظهر الانتفاع بدين المسيح ، الا في طائفة قليلة كانوا قبل محمد-صلى الله عليه وسلم-، فإن الدين الذي كان عليه جمهور النصارى[6] ، ليس هو دين المسيح " .

---

(١) في ك و ط (أن) .

(٢) للصليب ثلاثة نماذج رئيسية : أحدها صليب أندرادس وهو على شكل x علامة ضرب ، والثاني + على شكل علامة جمع . والثالث بشكل السيف وهو المعروف بالصليب اللاتيني ، ولعل الصليب المنسوب إلى المسيح كان من الشكل الأخير كما يظن الرسامون . وإلى ما بعد المسيح كان الصليب علامة الذل والعار، وحمل الصليب كان يعني حمل الاهانة ، ولكن بعد أن افتخر بولس بدعوى صلب المسيح أصبح النصارى ينظرون إلى الصليب نظرة مختلفة بالكلية . انظر قاموس الكتاب المقدس (عندهم) : ٥٤٦ .

(٣) روى الطبري باسناده حديثا مرفوعا : أن أهل الرهبانية " فرقة لم تكن لهم طاقة بموازاة الملوك ولا بالمقام بين ظهراني قومهم يدعونهم إلى الله ودين عيسى - صلوات الله وسلامه عليه - فلحقوا بالبراري والجبال فترهبوا فيها .. " وقال قتادة : " ذكر لنا أنهم رفضوا النساء واتخذوا الصوامع " .جامع البيان ٢٧ : ٢٣٨ - ٢٣٩ .

(٤) غلب استعمال " بدعة " فيما هو نقص في الدين أو زيادة . المصباح المنير : ٣٨ .

(٥) هو : العلامة محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي البكري، الطبرستاني الأصل ، الرازي المولد ، الملقب فخر الدين ، المعروف بابن الخطيب ، الفقيه الشافعي ، فاق أهل زمانه في علم الكلام والمعقولات وعلم الأوائل صاحب التصانيف المشهورة مثل التفسير الكبير وكتاب المحصول وكتاب المعالم . كان ذا ثروة كبيرة ، وله باع طويل في الوعظ ، وكان مولده سنة ٥٤٤ هـ ومات - فيما يقال - مسموما من قبل الكرامية سنة ٦٠٦ هـ . وفيات الأعيان ٤ : ٢٤٨ - ٢٥٢ ، ولسان الميزان ٤ : ٤٢٧ - ٤٢٩ ، وشذرات الذهب ٥ : ٢١ .

=

وتبين[1] هذا :

بالوجه الثالث : وهو أن يقال هب[2] : إن شريعة الكتابين كانت كافية ، فانما ذاك إذا كانت محفوظة معمولا بها ، ولم يكن الأمر كذلك ، بل كانت قد درس[3] كثير من معالمها .

وقد أختلف أهل الكتاب في المسيح وغيره اختلافا عظيما كما قال - تعالى - : ﴿ ومن الذين قالوا : انا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون[4] ﴾ وقد قال - تعالى - : ﴿ كان الناس أمة واحدة) - أي فاختلفوا ﴾ فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه[5] ﴾ والوقت الذي بعث الله فيه محمدا[6] - صلى الله عليه وسلم - لم يكن قد بقى أحد[7] مظهرا لما بعث الله به الرسل قبله .

= (٦) لعل الشيخ قد نقله بالمعنى الذي وجدته في كتاب : اصول الدين ١٠٤ ، للفخر الرازي - ٦٠٦ هـ مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة . وقد بحثت عنه في اغلب كتب الرازي المطبوعة ، ومن بينها تفسيره الكبير .

(١) في ط (يبين) .

(٢) هبني فعلت : أي احسبني واعددني - كلمة للأمر فقط . ترتيب القاموس المحيط ، ٤ : ٦٦١ .

(٣) أي عفا وخفيت آثاره . المصباح : ١٩٢ .

(٤) سورة المائدة : ١٤ .

(٥) سورة البقرة : ٢١٣ .

(٦) لم يرد لفظ الجلالة المعظم في ك و لا ط ، وإنما بنى الفعل للمفعول .

(٧) في ك (أحدا) بالنصب .

فبعثه على حين فترة[١] من الرسل ، وطموس[٢] من السبل ، أحوج ماكان الناس إلى رسول ، كما في صحيح مسلم عن عِياض بن حِمار[٣] قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم ، عربهم وعجمهم ، الا بقايا من أهل الكتاب "[٤].

وكان الناس حين مبعث محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ إما أميين ، لا كتاب لهم يشركون بالرحمن ، ويعبدون الأوثان[٥] ، وإما أهل كتاب قد بدلوا معانيه وأحكامه ، وحرفوا حلاله وحرامه ، ولبَّسوا حقه بباطله ، كما هو الموجود . فلو أراد الرجل أن يميز له أهل الكتاب ماجاءت به الأنبياء مما هم عليه مما أحدثوه بعدهم ، لم يعرف جمهورهم ذلك ، بل قد صار الجميع ـ عندهم ـ دينا واحدا .

---

(١) الفترة : هي الانقطاع وهو السكون بعد الحركة في الأجرام ، ويستعار للمعاني . البحر المحيط ٣ : ٤٤٣ .

(٢) أي امحاء واندراس . ترتيب القاموس ٣ : ٩٧

(٣) هو التميمي المجاشعي ، صحابي ،سكن البصرة ، عاش إلى حدود الخمسين . تقريب التهذيب ٢ : ٩٥ .

(٤) هذا بعض حديث أوله عن عياض ... أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال ذات يوم في خطبته : " ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ماجهلتم مما علمني يومي هذا ... " رواه مسلم في كتاب الجنة ... ،باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة ... ، ٤ : ١٢٩٧ (٢٨٦٥) ، ورواه الامام أحمد في مسنده ٤ : ١٦٢ ط ٤ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣م .

(٤) الناس على أربعة أصناف : الذين لهم كتاب منزل محقق مثل اليهود والنصارى،والذين لهم شبهة كتاب مثل المجوس والمانوية،والذين لهم حدود وأحكام دون كتاب مثل الصائبة الأولى،والذين ليس لهم كتاب ولاحدود ولا أحكام مثل الفلاسفة الأولى والدهرية وعبدة الكواكب والأوثان والبراهمة . الملل والنحل ١ : ٣٧ .

(٥) جمع وثن وهو الصنم سواء كان من خشب أو حجر أو غيره . المصباح:٦٤٧ .

فبعث الله ـ تبارك وتعالى ـ محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالكتاب الذي أنزله عليه مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا[1] ، فميز به الحق من الباطل ، والهدى من الضلال ، والغي من الرشاد ، قال ـ تعالى ـ ﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين * يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور باذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم * لقد كفر الذين قالوا : ان الله هو المسيح بن مريم قل : فمن يملك لكم من الله شيئا ان أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير ﴾[2] الى قوله : ﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا : ماجاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير ﴾[3] .

---

(١) في ط زيادة (عليه) .

(١) المهيمن على الشيء : هو المعنيّ بأمره ، الشاهد على حقائقه ، الحافظ لحامله ، فلايدخل فيه ماليس منه ، والقرآن جعله الله مهيمنا على الكتب ، يشهد بما فيها من الحقائق ، وعلى مانسبه المحرفون اليها ، فيصحح الحقائق ويبطل التحريف ـ البحر المحيط ٣ : ٥٠١ ـ ٥٠٢ .

(٢) هذه الآيات لم نرد في ك ولم تشر اليها .

(٣) سورة المائدة : ١٥ ـ ١٩ .

الوجه الرابع : إن شريعة التوراة تغلب عليها[(١)] الشدة ، وشريعة الانجيل يغلب عليها اللين ، وشريعة القرآن معتدلة جامعة ، بين هذا وهذا ، كما قال - تعالى - : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا ﴾[(٢)] وقال في وصف أمته : ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾[(٣)] وقال - أيضا -: ﴿ فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ﴾[(٤)] فوصفهم بالرحمة للمؤمنين ، والذلة لهم ، والشدة على الكفار والعزة عليهم .

---

(١) في ك و ط (يغلب) .

(٢) سورة البقرة : ١٤٣ .

(٣) في ط زيادة قوله - تعالى - : ﴿... لتكونوا شهداء على الناس ...﴾

(٣) سورة الفتح : ٢٩. وبعدها في ط زيادة (الخ) .

(٤) سورة المائدة : ٥٤ .

وكذلك كان صفة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ نبيهم ـ أكمل النبيين وأفضل الرسل ، بحيث قال : " أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا نبي الرحمة ، وأنا نبي الملحمة ، وأنا نبي التوبة ، وأنا الضحوك القتال "(١) فوصف نفسه بأنه نبي الرحمة والتوبة ، وأنه نبي الملحمة ، وأنه الضحوك القتال . وهذا أكمل ممن نعت بالشدة والبأس غالبا ، أو باللين غالبا . وقد قيل : بسبب ذلك(٢) : أن بني اسرائيل كانت نفوسهم قد ذلت لقهر فرعون(٣) لهم واستعباد فرعون لهم(٤) ،فشرعت لهم الشدة لتقوى أنفسهم ، ويزول عنهم ذلك الذل .

---

(١) رواه البخاري بلفظ : " لي خمسة أسماء : أنا محمد ،وأنا أحمد ،وأنا الماحي: الذي يمحو الله بي الكفر ، وأنا الحاشر : الذي يحشر الناس على قدمي ، وأنا العاقب " فتح الباري ٦ : ٥٥٤ (٣٥٣٢) . ورواه مسلم في كتاب الفضائل ، باب في أسمائه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بلفظ قريب من هذا وبلفظ " أنا محمد وأحمد والمقفي والحاشر ، ونبي التوبة ، ونبي الرحمة " ٤ : ١٨٢٨ ـ ١٨٢٩ (٢٣٥٤ ـ ٢٣٥٥) ، ورواه الترمذي ، في كتاب الأدب ، باب ماجاء في أسماء النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بلفظ مقارب للفظ البخاري ٥ : ١٣٥ (٢٨٤٠) وقال ، " هذا حديث حسن صحيح " الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي ، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة ٢٩٧ هـ ت : محمد فؤاد عبد الباقي ، ط ٢ ، شركة مكتبة مصطفى الحلبي بمصر ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨م ، ورواه مالك في الموطأ في كتاب أسماء النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ مرسلا ٢ : ١٠٠٤ تصحيح وترقيم : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ورواه الدارمي في سننه ، كتاب الرقاق ،باب في أسماء النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ٢ : ٣١٧ نشر دار احياء السنة النبوية طبع دار الكتب العلمية ، بيروت . ورواه الامام أحمد عن ابي موسى الأشعري بلفظ : " سمى لنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ نفسه أسماء : منها ماحفظناها فقال : " أنا =

.....

= محمد وأحمد والمقفي والحاشر ، ونبي الرحمة " . قال يزيد: "ونبي التوبة ونبي الملحمة " . كما رواه عن حذيفة قال : " بينما أنا أمشي في طريق المدينة ، إذا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يمشي ،فسمعته يقول : وأنا محمد وأنا أحمد ، ونبي الرحمة ونبي التوبة ، والحاشر والمقفي ونبي الملاحم " . قال الهيثمي : " رواه أحمد والبزار ورجال أحمد رجال الصحيح غير عاصم ابن بهدلة ، وهو ثقة ، وفيه سوء حفظ". الفتح الرباني ، لترتيب مسند الأمام أحمد بن حنبل الشيباني ٢٠ : ١٨٨ . مع مختصر شرحه بلوغ الأماني ... ، لأحمد بن عبد الرحمن البنا ، دار احياء التراث العربي ، بيروت . ومجمع الزوائد ، ومنبع الفوائد ، كتاب علامات النبوة ، باب في اسمائه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ٨ : ٢٨٤ للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ـ ٨٠٧ هـ ط ٣ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢م . أما اسم (الضحوك القتال) فقد أورد الامام السيوطي ـ ٩١١ هـ في الخصائص ١ : ٧٨ طبعة سنة ١٣٢٠ هـ بدائرة المعارف النظامية ، بحيدر آباد الدكن بالهند، تصوير دار الكتب العلمية ، بيروت . ما أخرجه ابن فارس عن ابن عباس ان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال :"اسمي في التوراة: أحمد الضحوك القتال ... " الحديث،قال السيوطي : " وقد ألفت كتابا في شرح أسمائه الكريمة ، أوردت فيه ثلاثمائة وأربعين اسما ، مأخوذة من القرآن والأحاديث والكتب القديمة " .

=

.....

= (٢) في ط (إن سبب) .

(٣) في ط (يقهر) .

(٤) فرعون : هو فرعون موسى : الوليد بن مصعب ، يقال ، انه من العمالقة .

وقيل : إنه من القبط ، وقد كان له دولة عظيمة ، و (هامان) وزيره ، وقد هلك غريقا في البحر كما ورد في كتاب الله الكريم . انظر تاريخ الأمم والملوك ١ : ٤٠٥ فما بعدها والبداية : والنهاية ، وتتمة المختصر في أخبار البشر ١ : ٧٨ ، والبداية والنهاية ١ : ٢٦٨ .

ولهذا لما أمروا بالجهاد نَكَلوا[1] عنه ، وقال لهم موسى : * ياقوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولاترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين * قالوا : ياموسى إن فيها قوما جبارين ، وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون * قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فإنكم غالبون * وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين * قالوا : ياموسى انا لن ندخلها أبدا مادامو فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون[1] *

---

(١) سورة المائدة : ٢١ – ٢٤ .

(١) النكول هنا معناه : الجبن والتأخر . المصباح المنير : ٦٢٥ .

وأما أصحاب[(١)] محمد - صلى الله عليه وسلم - ، فقال له قائلهم يوم بدر[(٢)] : والله لانقول لك كما قال قوم موسى[(٣)] : " اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون[(٤)] " لكن نقاتل أمامك ووراءك ، وعن يمينك وعن يسارك ، والذي بعثك بالحق[(٥)] لو استعرضت بنا[(٦)] هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ولو سرت بنا إلى برك الغماد[(٧)] لسرنا معك[(٨)] " .

---

(١) جمع صحابي : وهو من لقي النبي - صلى الله عليه وسلم - مؤمنا به ، ومات على الاسلام . الاصابة في تمييز الصحابة ١ : ٧ لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني - ٨٥٢ هـ وبهامشه الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي - ٤٦٣ هـ ط ١ ،مصر ١٣٢٨هـ

(٢) هو ماء مشهور بين مكةوالمدينة ، أسفل وادي الصفراء ، بينه وبين الجار - وهو ساحل البحر - ليلة ، وبهذا الماء كانت الوقعة المشهورة المباركة في رمضان سنة ٢ هـ معجم البلدان ١:٣٥٨ ، والسيرة لابن هشام ٢ : ٢٦٣ .

(٣) في ط : (كما قالت بنوا اسرائيل ، قالوا لموسى) .

(٤) سورة المائدة : ٢٤ .

(٥) في ط زيادة (نبيا) .

(٦) اي لوجئته من جانبه عرضا لم نبال باقتحامه - انظر لسان العرب ٧ : ١٧٧ مادة : عرض ، لمحمد بن مكرم بن منظور المصري - ٧١١ هـ دار صادر ، بيروت .

(٧) موضع وراء مكة بخمس ليال ، مما يلي البحر ، وقيل : بلد باليمن وهو أقصى حجر - بلد باليمن ، ومن عنده عبد الله بن جدعان التيمي القرشي . معجم البلدان ١ : ٣٩٩ .

(٨) السيرة لابن هشام ٢ : ٢٦٦ - ٢٦٧ ، وأصله من رواية البخاري ،كتاب المغازي ، باب قول الله تعالى : " إذ تستغيثون ربكم .." فتح الباري ٧ : ٢٨٧ (٣٩٥٢) ، ومسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب غزوة بدر ٣ : ١٤٠٣ - ١٤٠٤ (١٧٧٩) ، والمسند للامام أحمد ٣ : ٢١٩ - ٢٢٠ .

وكان الكلام قريبا من (بدر) والبحر من جهة الغرب . و (بِرْك الغِمـــاد) مكان من يماني مكة ، بينه وبين مكة عدة ليال . والكفار كانوا – إذ ذاك – بمكة ، وأصحابه من ناحية المدينة شامي مكة (١) ، فمكة جنوبهم ، والبحـــر غربهم . تقول (٢) : لو طلبت أن ندخل بلد العدو ، ونذهب (٣) إلى تلك الناحيـــة لفعلناه . قالوا : فلما نصر الله بني اسرائيل وأظهرهم ، ظهرت فيهـــم الأحداث بعد ذلك وتجبروا ، وقست قلوبهم ، وصاروا شبها (٤) بآل فرعـــون فبعث الله المسيح – عليه السلام – باللين والصفح ، والعفو عن المسيء ،واحتمال أذاه ، ليلين أخلاقهم ، ويزيل ماكانوا فيه من الجبرية والقسوة .

فأفرط هؤلاء في اللين ، حتى تركو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكـــر والجهاد في سبيل الله ، وتركوا الحكم بين الناس بالعدل واقامة الحـــدود ، وترهّب عُبّادُهم منفردين . مع أن في ملوك النصارى من الجبرية والقسوة والحكم بغير ما أنزل الله ، وسفك الدماء بغير حق ، مما يأمرهم به علماؤهـــم وعبادهم ، ومما لم يأمروهم به ، ماشاركوا فيه اليهود .

فبعث الله محمدا – صلى الله عليه وسلم – بالشريعة الكاملة العادلـــة ، وجعل أمته عدلا خيارا لاينحرفون إلى هذا الطرف ولا الى هذا الطرف ، بل يشتدون على أعداء الله ، ويلينون لأولياء الله ، ويستعملون العفو والصفح ، فيمـــا كان لنفوسهم ، ويستعملون الانتصار والعقوبة (٥) ، فيما كان حقا لله .

---

(١) في ا (شرقي) والصواب مافي ك و ط وهو ما أثبتناه .

(٢) في ط (يقول) والفعل منسوب إلى جماعة الصحابة .

(٣) في ك (تذهب) .

(٤) في ط (شبيها) .

(٥) وقد جاء وصفهم بذلك في كتاب الله – سبحانه – كما في آخر سورة الفتح.

وهذا كان خلق نبيهم ، كما في الصحيحين عن عائشة (١) قالت : " ماضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده خادما (٢) ، ولا امرأة (٢) ولا دابة ولا شيئا قط الا أن يجاهد في سبيل الله ، ولا نيل منه شيء قط فانتقم لنفسه الا أن تنتهك محارم الله ، فإذا انتهكت محارم الله ، لم يقم لغضبه شيء، حتى ينتقم لله (٣) " .

---

(١) هي بنت أبي بكر الصديق ، أم المؤمنين ، أفقه النساء مطلقا وأفضل أزواج النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الا خديجة ففيها خلاف شهير، ماتت سنة ٥٧ هـ على الصحيح . تقريب التهذيب ٢ : ٦٠٦ الطبقات الكبرى لابن سعد ٨ : ٥٨ ـ ٨١ دار صادر وبيروت ، بيروت ١٣٧٧ هـ = ١٩٥٨م .

(٢) في ط زيادة (له قط) في الموضعين .

(٣) في ط زيادة : (وماعرض عليه أمران أحدهما أيسر من الآخر الا أخذ بأيسرهما ، الا أن يكون مأثما ، فإن كان مأثما كان أبعد الناس منه).

(٣) الحديث رواه مسلم ، كتاب الفضائل ، باب مباعدته ـ صلى الله عليه وسلم ـ للآثام ... ، ٤ : ١٨١٤ (٢٣٢٨) بلفظ : " ماضرب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ شيئا قط بيده ،ولا امرأة ولاخادما الا أن يجاهد في سبيل الله ، ومانيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه الا أن ينتهك شيء من محارم الله ، فينتقم لله عز وجل " . ورواه أبو داود مختصرا ،كتاب الأدب ، باب في التجاوز في الأمر ٤ : ٢٥٠ (٤٧٨٦)مراجعة وضبط محمد محيي الدين عبد الحميد ، نشر دار ـ احياء السنة النبوية .والذي أخرجه البخاري بلفظ : " ماخير رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم بين أمرين الا أختار أيسرهما مالم يكن اثما فان كان اثما كان أبعد الناس منه . وما أنتقم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لنفسه الا أن تنتهك حرمة الله ، فينتقم لله بها " أخرجه في كتاب المناقب ، باب صفة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ٦ : ٥٦٦(٣٥٦٠) من فتح الباري .

وفي الصحيح (١) عن أنس (٢) أنه قال : " خدمت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عشر سنين ، فما قال لي أف قط ، ولا قال لشيء فعلته لم فعلته ؟ ولا لشيء لم أفعله : لم لافعلته ؟ (٣) وكان بعض أهله إذا عتبوني على شيء يقول : " دعوه ، فلو قدر شيء لكان " (٤) هذا مع قوله ـ في الحديث الصحيح ـ لما سرقت امرأة (٥) كانت من أشرف قريش من بني مخزوم (٦) فأمر بقطع يدها ،

---

(١) في ط (الصحيحين) .

(٢) هو ابن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي ، خادم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خدمه عشر سنين ، صحابي مشهور مات سنة ٩٢ أو ٩٣ هـ وله أكثر من ١٠٠ سنة . تقريب التهذيب ١ : ٨٤ ، وطبقات ابن سعد ٧ : ١٧ ـ ٢٦ .

(٣) في ط زيادة : (ولا لما صنعت لم لاصنعت) .

(٣) رواه البخاري في كتاب الأدب باب حسن الخلق ... ، بلفظ : " خدمت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عشر سنين فما قال لي أف ، ولالم صنعت ؟ ولا ألا صنعت " فتح الباري ١٠ : ٤٥٦ (٦٠٣٨) . ورواه مسلم ، كتاب الفضائل ، باب كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أحسن الناس خلقا بلفظ . " خدمت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عشر سنين ، والله ماقال لي افا قط ولا قال لي لشيء لم فعلت كذا ؟ وهلّا فعلت كذا "؟ وبالفاظ أخرى مقاربة ، ٤ : ١٨٠٤ (٢٣٠٩) ، ورواه أبو داود كتاب الأدب ،باب في الحلم ... ، ٤ : ٢٤٦ (٤٧٧٤) وآخر الحديث ورد في طبقات ابن سعد ٧ : ١٧ بروايته عن الواقدي عن الأسدي عن ابن برقان عن عمران البصري عن أنس .

(٤) في ط الحقت كلمة (هذا) بالحديث ووضع القوس بعدها .

(٥) هي فاطمة بنت أبي الأسد ـ أو أبي الأسود ـ بن عبد الأسد . وهي ابنة أخي أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي . أسد الغابة ٦ : ٢١٨ .

=

فقالوا : من يكلم فيها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ؟ فقالوا : من يجترىء عليه الا أسامة بن زيد (١) ؟ فكلموه ، فكلمه فيها ، فقال : "يا أسامة ! أتشفع في حد من حدود الله ؟ إنما أهلك من كان قبلكم (٢) : أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ! والذي نفس محمد بيده ، لو أن فاطمة بنت محمد (٣) سرقت لقطعت يدها (٤) !" .

= (٦) هم بنو مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . جمرة أنساب العرب : ١٢ ـ ١٣ و ١٤١ . لأبي محمد علي بن حزم الأندلسي ـ ٤٥٦ هـ ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣م .

(١) هو ابن حارثه بن شراحيل الكلبي ، الأمير أبو محمد وأبو زيد ، صحابي مشهور ، مات سنة ٥٤ هـ وله ٧٥ سنة بالمدينة . تقريب التهذيب ، ١ : ٥٣ ، والاستيعاب في أسماء الأصحاب ١ : ٥٧ ـ ٥٩ لأبي عمر يوسف ابن عبد الله بن عبد البر القرطبي ـ ٤٦٣ هـ بهامش الاصابة في تمييز الصحابة .

(٢) ورد في رواية : " إنما هلك بنو اسرائيل " وفي أخرى : " إنهم عطلوا الحدود عن الأغنياء ، وأقاموها على الضعفاء ". وفيهما ما يبين ان المقصود بالاسم الموصول "من" هم بنو اسرائيل " فتح الباري ١٢ : ٩٤ .

(٣) هي فاطمة الزهراء ، بنت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، أم الحسنين ، سيدة نساء هذه الأمة ، ماتت بعد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بستة أشهر وقد جاوزت العشرين بقليل . تقريب التهذيب ٢ : ٦٠٩ وسير النبلاء ٢ : ١١٨ ـ ١٣٤ .

(٤) قال محمد بن رمح : "سمعت الليث يقول : قد أعاذها الله ـ عز وجل ـ أن تسرق قد أعاذها الله ـ عز وجل ـ أن تسرق . كل مسلم ينبغي له أن يقول هذا" . سنن ابن ماجه ٢ : ٨٤ وهو الحافظ ابي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ـ ٢٧٣ هـ ط ٢ ، شركة الطباعة العربية السعودية ، الرياض ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م .

(٤) رواه البخاري ، كتاب الحدود ، باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان ، ١٢ : ٨٧ (٦٧٨٨) من فتح الباري ، ورواه مسلم ، كتاب الحدود ، باب قطع السارق الشريف وغيره ... ، ٣ : ١٣١٥ (١٦٨٨) .

ففي شريعته_صلى الله عليه وسلم_من اللين والعفو والصفح ومكارم الأخلاق أعظم مما في الانجيل ، وفيها من الشدة والجهاد ، واقامة الحدود على الكفار والمنافقين . أعظم مما[(١)] في التوراة ، وهذا هو غاية الكمال . ولهذا قال بعضهم : بُعثَ موسى بالجلال ، وبُعثَ عيسى بالجمال ، وبعث محمد بالكمال.

الوجه الخامس : ان نعم الله على عباده تتضمن نفعهم والاحسان اليهم ، وذلك نوعان :

أحدهما : أن يدفع بذلك مضرتهم ويزيل حاجتهم وفاقتهم ، مثل رزقهم الذي لولا هو ،لماتوا جوعا ، ونصرهم الذي لولا هو لأهلكهم عدوهم ، ومثل هداهم الذي لولا هو لضلوا ضلالا يضرهم في آخرتهم . وهذا النوع من النعمة لابد لهم منه وان فقدوه حصل لهم ضرر ، اما في الدنيا واما في الآخرة ، واما فيهما . ولهذا كان في سورة النحل[(٢)] ، وهي سورة النعم ، في أولها ، أصول النعم[(٣)] في أثنائها كمال النعم .

والنوع الثاني : النعم التي تحصل[(٤)] بها من كمال النعم وعُلُو الدرجة مالايحصل بدونها ، كما أنهم في الآخرة نوعان : أبرار أصحاب يمين ،ومقربون سابقون . ومن خرج عن هذين كان من أصحاب الجحيم .

وإذا كانت النعمة نوعين ، فالخلق كانوا محتاجين إلى ارسال محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ من هذين الوجهين ، وحصل بارساله هذان النوعان من النعمة ، فإن الناس بدونه كانوا جهالا ضالين : أميين[(٥)] وأهل الكتاب منهم .

---

(١) في ك (ما) .

(٢) وهي السورة رقم ١٦ في المصحف الشريف .

(٣) سقطت الواو من ط .

(٤) في ك و ط (يحصل) .

(٥) في ك و ط (أميهم) .

(٥) الأمّي في كلام العرب : الذي لايحسن الكتابة ، فقيل : نسبة إلى الأم ، لأن الكتابة مكتسبة ، فهو على ماولدته أمه من الجهل بالكتابة ، وقيل: نسبة إلى أمة العرب لأنه كان أكثرهم أميين . المصباح : ٢٣

ولم يكن قد بقى من أهل الكتاب ـ أتباع المسيح ـ من هو قائم بالدين الذي يوجب السعادة عند الله في الآخرة ، بل كانوا قد بدلوا وغيروا .وأيضا فلو قدر أنهم لم يبدلوا شيئا (١) ، ففي ارساله من كمال النعم وتواصلها ، وعلو الدرجات في السعادة ، مالم يكن حاصلا بالكتاب الأول . فكان ارساله أعظم نعمة أنعم الله بها على أهل الأرض من نَوْعَي النعيم .

ومن استقرأ (٢) أحوال العالم تبين له أن الله لم ينعم على أهل الأرض نعمة أعظم من انعامه بارساله ـ صلى الله عليه وسلم (٣) ـ وان الذين ردوا رسالته ، هم ممن قال الله فيهم : ﴿ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار﴾ (٤) ولهذا وصف بالشكر من قبل هذه النعمة فقال ـ تعالى ـ : ﴿ وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء مَنّ الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين ﴾ (٥) ، وقال ـ تعالى ـ : ﴿ وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم (٦) ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين ﴾ (٧)

---

(١) في ط (فواضلها) .

(٢) في أ و ك (استبرأ) والأظهر مافي ط ولهذا أثبتناه .

(٣) لم ترد الجملة الدعائية في أ .

(٤) سورة ابراهيم : ٢٨

(٤) البوار هو الهلاك . قال الشاعر :

فلم أر مثلهم أبطال حرب غداة الحرب إذ خيف البوار

البحر المحيط ٥ : ٤١٤ .

(٥) سورة الأنعام : ٥٣ .

(٦) جمع عقب وهي مؤخر القدم . المصباح : ٤١٩ .

(٧) سورة آل عمران : ١٤٤ .

الوجه السادس : أن يقال قولهم [١] : " انا نعجب من هؤلاء القوم ... " إلى آخر الفصل ، قول جاهل ظالم يستحق أن يقال له : بل العجب من هذا العجب هو الواجب ، بل هو الذي لاينقضي منه العجب ، وأن كل عاقل ليعجب ، ممن عرف دين محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقصده الحق ، ثم اتبع غيره ، ويعلم أنه لايفعل ذلك الا مُفرِط [٢] في الجهل والضلال ، أو مُفرِط في الظلم واتباع الهوى .

وذلك أن أهل الأرض نوعان : أهل الكتاب ، وهم اليهود والنصارى ، وغير أهل الكتاب كالمشركين من العرب والهند [٣] والترك [٤] وغيرهم [٥] ، كالمجوس من الفرس [٦] وغيرهم ، وكالصابئة من المتفلسفة وغيرهم .

---

(١) القائلون هم النصارى فيما حكاه عنهم (بولس الأنطاكي) كما تقدم أكثر من مرة .

(٢) من أفرط أي أسرف وجاوز الحد . المصباح : ٤٦٩ .

(٣) أي أهل الهند ، والهند : أرض واسعة في البر والبحر والجبال ، وهي متصلة مما يلي الجبال بأرض خراسان والسند إلى أرض التبت . مروج الذهب ١ : ٨٢

(٤) وهم من الصقالبة ، والصقالبة : من ولدمار بن يافث بن نوح ، والترك أحسنهم صورا ، وأكثرهم عددا ، وأشدهم بأسا . والترك طوائف منهم الكيماكية والبرسخانية وأشدهم بأسا الغزية ، وأحسنهم صورة ، وأطولهم قامة ، وأصبحهم وجوها الخزلجية ، وهم أهل فرغانة والشاس ومايليهما . والاسم الجامع لبلاد الترك هو " تركستان " وحدّها : الصين والتبت وفاراب ، ومدائنهم المشهورة ست عشرة مدينة . انظر مروج الذهب ٢ : ٣٣ و ١ : ١٣٢ و معجم البلدان ٢ : ٢٣ .

(٥) في ط زيادة واو العطف .

(٦) المستفيض عند الفرس أنهم من ولد " ايرج " وهو ابن أفريدون بن أثقابان بن جمشيد ابن ملك الأقاليم السبعة ، وقد ذهبت طائفة منهم إلى أن أول ملوكهم هو " كيومرت " وهو أميم بن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح . انظر مروج الذهب ١ : ٢٢٤ و ٢٣٨ .

وأهل الكتاب يُسَلِّمون لنا ، أن مَنْ سوى أهل الكتاب انتفع بنبوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ منفعة ظاهرة ، وأنه دعا جميع طوائف المشركين والمجوس والصائبين إلى خير مما كانوا عليه ، بل كانوا (١) أحوج الناس إلى رسالته . وأما أهل الكتاب ،فاليهود مسلمون (٢) لنا حاجة النصارى اليه ،وأنه دعاهم إلى خير مما كانوا عليه . والنصارى تسلم لنا حاجة اليهود اليه ، وأنه دعاهم إلى خير مما كانوا عليه .

فما من طائفة من طوائف أهل الأرض الا وهم مقرون بأن محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ دعا سائر الطوائف (٣) غيرهم ، إلى خير مما كانوا عليه . وهذه شهادة من جميع أهل الأرض بأنه دعا أهل الأرض إلى خير مما كانوا عليه. فإن شهادة جميع الطوائف مقبولة على غيرهم ، إذ كانوا غير متهمين عليهم، فانهم معادون لمحمد وأمته معادون لسائر الطوائف (٤) . وأما شهادتهم لأنفسهم فغير مقبولة ، فإنهم خصومه ، وشهادة الخصم على خصمه غير مقبولة .

وقد أعترف الفلاسفة بأنه لم يقرع العالم ناموس (٥) بأفضل (٦) من ناموسه ، واعترفوا بأنه أفضل من ناموس موسى والمسيح ـ ـ عليهما (٧) الصلاة والسلام ـ بل كان (٨) لهم من الطعن (٩) في نواميس غيره ، ماليس هذا موضع ذكره . بخلاف ناموس محمد صلى الله عليه وسلم ـ فإنه لم يطعن فيه أحد منهم ، الا من كان خارجا عن قانون الفلسفة (١٠) التي توجب عندهم العدل والكلام بعلم ـ وأما من التزم منهم الكلام بعلم وعدل ، فهم متفقون على أن ناموس محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أفضل ناموس طرق (١١) العالم (١٢) ، فكيف يُعجب من مثل هذا الناموس ؟!

---

(١) في ط زيادة (من) .
(٢) في ط (يسلمون) .
(٣) في ط زيادة واو العطف .
(٤) في ك و ط زيادة الواو .
(٥) ناموس : اسم يوناني الأصل معناه "شريعة أوقانون " قاموس الكتاب المقدس (عندهم) : ٩٧٨ .
(٦) في ك و ط (أفضل) .
(٧) في أ و ك (عليهم) .
(٨) سقطت (كان) من ط .
(٩) هو القدح والعيب . المصباح : ٣٧٣
(١٠) في ك وط (فاما)
(١١) بمعنى طلع ، وكل ما أتى ليلا فقط طرق . المصباح : ٣٧٢ .
(١٢) في ك (تعجب) ، وفي ط (يتعجب) .

الوجه السابع : أن يقال لأهل الكتاب خصوصا ، فيقال لليهود : أنتم أذل الأمم ، فلو قدر أن ما أنتم عليه دين الله الذى لم يبدل ،فهو مغلوب مقهور في جميع الأرض ، فهل تعجبون من أن يبعث الله رسولا يهدى إلى الحق والى طريق مستقيم ، فيبعثه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، حتى يصير دين الله الذي بعث به رسله ، وأنزل به كتبه ، منصورا ظاهرا بالحجة والبيان والسيف والسنان (١) ؟ !

ويقال للنصارى : أنتم لم تخلّصوا دين الله الذي بعث به رسله من دين المشركين والمعطلين ، بل أخذتم من أصول المشركين (٢) والمعطلين من الفلاسفة (٣) وغيرهم ، ما أدخلتموه في دينكم ، وليس لكم على أكثر الكفار، (٤) حجة علمية ، ولايد قهرية ،بل للكفار في قلوبكم من الرعب والخوف والتعظيم ، ما أنتم به من أضعف الأمم حجة ، وأضيقها محجة (٥) ، وأبعدها عن العلم والبيان ، وأعجزها عن أقامة الحجة والبرهان ، تارة تخافون من الكفار والفلاسفة وغيرهم من المشركين والمعطلين ، فإما أن توافقوهم على أقوالهم واما أن تخضعوا لهم متواضعين . وتارة تخافون من سيوف المشركين ، فاما أن تتركوا بعض دينكم لأجلهم ، واما أن تذلوا لهم خاضعين .

ففيكم من ضعف سلطان الحجة ، وضعف سلطان النصرة ، مايظهر به حاجتكم إلى قيام الهدى ودين الحق الذي بعث الله به رسله ، وأنزل به كتبه . فالعجب منكم ، كيف تعدلون عما فيه سعادتكم في الدنيا والآخرة إلى مافيه شقاؤكم في الدنيا والآخرة ؟ هذا هو العجب ! ليس العجب ممن آمن بما فيه سعادة الدنيا والآخرة ، وفي خلافه شقاوة الدنيا والآخرة .

---

(١) في أ (البنان) والأصح مافي ك و ط . وهو ما أثبتناه .
(١) السنان : هو سنان الرمح ، وجمعه : أسنة . مختار : ٣١٧ .
(٢) في ط بدون عطف .
(٣) في ط زيادة (على) هنا .
(٤) في ك و ط زيادة : (لا)
(٥) المحجة : جادة الطريق . مختار : ١٢٣ .

ومثل هذا لايرد على المسلمين ،فإنه لم يزل ولايزال فيهم طائفة قائمة بالهدى ودين الحق ، ظاهرة بالحجة والبيان ، واليد والسنان (١) ، الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وهو خير الوارثين ، كما ثبت في الصحاح عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : " لاتزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله ، لايضرهم من خذلهم ، ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة " وفي لفظ " لاتزال طائفة من أمتي ظاهرة حتى يأتي الله بأمره " (٢) .

---

(١) في ط (اللسان) .

(٢) الحديث متفق عليه ، وهو بألفاظ متعددة ، انظر فتح الباري ، كتاب فرض الخمس ، باب قول الله ـ تعالى ـ : "٠٠ فأن لله خمسة ٠٠" ٦: ٢١٧ (٣١١٦) ، وكتاب المناقب ، باب (٢٨) ٦ : ٦٣٢ (٣٦٤٠ ـ ٣٦٤١)، وكتاب الأعتصام بالكتاب والسنة ، باب قول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " لاتزال طائفة ٠٠ " ١٣ : ٢٩٣ (٧٣١١ ـ ٧٣١٢) ، وفي كتاب التوحيد ، باب قول الله ـ تعالى ـ "انما قولنا لشيء إذا أردناه ٠٠" ١٣ : ٤٤٢ (٧٤٥٩ ـ ٧٤٦٠) ، وانظر صحيح مسلم ، كتاب الامارة ، باب قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " لاتزال طائفة ٠٠٠ " ٠ ٣ : ١٥٢٣ ـ ١٥٢٥(١٩٢٠ ـ ١٩٢٥ و ١٠٣٧) ، ورواه ابو داود ، كتاب الفتن والملاحم ، باب ذكر الفتن ودلائلها ٤ : ٩٧ ـ ٩٨ (٤٢٥٢) ، ورواه الترمذي ، كتاب الفتن ، باب ماجاء في الأئمة المضلين ٤ : ٥٠٤ ـ ٥٠٥ (٢٢٢٢٩) ، ورواه ابن ماجه ، المقدمة ، باب اتباع سنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ١ : ٥ ـ ٦ (٥ ـ ٩) وأبواب الفتن ، باب مايكون من الفتن ٢ : ٣٦٨ (٤٠٠٠٠) ، ورواه الامام أحمد في المسند ٣ : ٤٣٦ و ٤ : ٩٣ ٠ ورواه ابن حبان : موارد الظمان ، في زوائد ابن حبان : ٤٥٨ (١٨٥١)٠ للامام على بن أبي بكر الهيثمي ـ ٨٠٧ هـ ت : محمد عبد الرزاق حمزة ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

الوجه الثامن : أن يقال لأهل الكتاب : لليهود : أنتم لما كنتم متبعين لموسى (١) ـ عليه السلام ـ كنتم على الهدى ودين الحق ، وكنتم (٢) منصورين ، ثم كثرت فيكم الأحداث التي تعرفونها ، كما قال ـ تعالى ـ (٣) : ﴿ قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا الا أن آمنا بالله وما أُنزل الينا وما أُنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون ﴾ قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل ﴾ (٤) وقوله ـ تعالى ـ (٥) "وعبد الطاغوت" (٦) معطوف على (لعنه الله) أي من لعنه الله وغضب عليهم (٧) وعبد هو الطاغوت ، ليس هو (٨) داخلا في خبر جعل (٩) ، حتى يلزم اشكال كما ظنه بعض الناس .

---

(١) في ط (موسى) .

(٢) في ط (فكنتم) .

(٣) في ط زيادة (لكم) .

(٤) سورة المائدة : ٥٩ ـ ٦٠

(٥) لم ترد كلمة التقديس في ك و لا ط .

(٦) في ط زيادة (قوله) .

(٧) في ط (عليه) .

(٨) سقطت (هو) من ط .

(٩) انظر البحر المحيط ٣ : ٥١٨ ـ ٥٦٩ ، واملاء ما من به الرحمن ، من وجوه الاعراب والقراءات في جميع القرآن ١ : ٢٢٠ ـ ٢٢١ لأبي البقاء عبد الله ابن الحسين العكبري ـ ٦١٦ هـ ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩م .

وأهل الكتاب معترفون بأن اليهود عبدوا الأصنام مرات ، وقتلوا الأنبياء. وقال - تعالى - : * وقضينا إلى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا * فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار (١) وكان وعدا مفعولا * ثم رددنا لكم الكرة عليهم (٢) وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا (٢) * ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ماعلوا تتبيرا * عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا (٣) * وهم معترفون بأن بيت المقدس (٤) خرب مرتين .

---

(١) أي طافوا وسط البيوت ،يغدون ويروحون للتفتيش عنكم ، واستئصالكم بالقتل والسلب والنهب ،لايخافون من أحد . صفوة التفسير ١٥ : ١٥٢ .

(٢) الكرة : الدولة والغلبة . نفيرا : عددا ورجالا . تتبيرا : تدميرا واهلاكا . حصيرا : محبسا وسجنا . المصدر السابق ١٥ : ١٥٢ - ١٥٣ .

(٣) سورة الاسراء : ٤ - ٨ .

(٤) بيت المقدس : أي البيت المطهر ، الذي يتطهر به من الذنوب ، وهو مسجد كبير متسع الأقطار ، وسط مدينة كبيرة تسمى القدس (فك الله أسرها) وهي على جبل بين جبال شامخة ، بها قرى ، والمسجد في طرفها القبلي من شرقيها ، قد بني على سطح جبل ، وفي وسط المسجد جبل صغير ، أعلاه الصخرة المشهورة التي كان بنو اسرائيل يقربون عليها القربان ، وهي القدس ومدينة القدس تسمى "ايلياء " وهي قصبة (عاصمة) فلسطين ، وفلسطين آخر كور (مناطق) الشام من ناحية مصر . انظر مراصد ٣ : ١٢٩٦ و ١٠٤٢ و ١ : ١٣٨ .

فالخراب الأول لما جاء " بخت نصر " وسباهم الى بابل (١) ، وبقي خرابا سبعين سنة (٢) . والخراب الثاني : بعد المسيح بنحو سبعين سنة . وقد قيل :هذا تأويل قوله : ﴿ لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم (٣) ﴾ فبعد الخراب الثاني ، تفرقوا في الأرض ، ولم يبق لهم ملك . وبين الخرابين كانوا تحت قهر الملوك الكفار . وبعث المسيح ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهم كذلك .

ويقال للنصارى : أنتم مازلتم مقهورين مغلوبين مبددين في الأرض ،حتى ظهر قسطنطين (٤) وأقام دين النصرانية بالسيف ، وقتل من خالفه من المشركين واليهود . لكن أظهر دينا مبدلا مغيرا ، ليس هو دين المسيح ـ عليه السلام ـ ومع هذا فكانت أرض العراق وفارس (٥) كفارا (٦) ، العجوس وغيرهم . مجوسا ومشركين.

---

(١) المشهور بهذا الاسم المدينة الخراب بقرب (الحلة) التي بجوار بغداد ،وإلى جانبها قرية تسمى (بابل) أيضا وقد كانت مدينة بابل مبنية على جانبي نهر الفرات ، انظر مراصد ١ : ١٤٥ وقاموس الكتاب المقدس (عندهم) : ١٥٣ .

(٢) وقد كان سنة ٦٠٥ و ٥٩٧ و ٥٨٧ و ٥٨٢ ق . م في زمن النبي دانيال ـ عليه السلام ـ انظر قاموس الكتاب المقدس (عندهم) : ٤٥٨ .

(٣) سورة المائدة : ٧٨ .

(٤) قسطنطين : سبق التعريف به ص ١٥٥ .

(٥) (فارس) : ولاية واسعة ، واقليم فسيح ، أول حدودها من جهة العراق (أرجان) ، ومن جهة كرمان (السيرجان) ،ومن جهة ساحل بحر الهند (سيراف) ، ومن جهة السند (مكران) ،وكانت (شيراز) قصبتها (عاصمتها) ومناطقها خمس . مراصد الاطلاع ٣ : ١٠١٢ .

(٦) في ك و ط زيادة (من) .

وكانوا في بعض الأزمنة يقهرون النصارى على بلادهم .

وأما أرض المشرق والمغرب ففيهما من أنواع المشركين أمم . وكان الشرك والكفر ظاهرا في أرض اليمن والحجاز[(١)] والشام والعراق ، فلما بعث الله محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ أظهر به توحيد الله وعبادته وحده لاشريك له ، ظهورا لم يعرف في أمة من الأمم ، ولم يحصل مثله لنبي من الأنبياء ، وأظهر به من تصديق الكتب والرسل والتوراة والانجيل والزبور ، وموسى وعيسى وداود وسليمان وغيرهم من الرسل مالم يكن ظاهرا ، لاعند أهل الكتاب ولاغيرهم ، فأهل الكتاب وان كانوا خيرا من غيرهم فلم يكونوا قائمين بما يجب من الايمان بالله ورسله ولابالـيوم الآخر ولا شرائع دينه ، ولا كانوا قاهرين لأكثر الكفار ، ولاكانوا[(٢)] منصورين عليهم ، ولهذا قال ـ تعالى ـ :

* قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولايحرمون ماحرم الله ورسوله ولايدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب ... *[(٣)] .

أما اليهود ففيهم من التنقص من[(٤)] الأنبياء في[(٥)] سبهم ، وذكر عيوب[(٦)] نزههم الله عنها ، ماهو معروف . حتى ان منهم من يقول : ان سليمان كان ساحرا ، وداود كان منجما[(٧)] لم يكن نبيا ، الى أمثال ذلك مما يطول وصفه . ففيهم[(٨)] من الكفر بالأنبياء ، من جنس ماكان في سلفهم الخبيث .

---

(١) الحجاز جبل ممتد حال بين الغور (المطمئن من أرض) تهامة ونجد،فكأنه منع كل واحد منهما أن يختلط بالآخر فهو حاجز بينهما . معجم البلدان ٢ : ٢١٨ .

(٢) في ك و ط زيادة (بل) .

(٢) انظر تاريخ بني اسرائيل ، من أسفارهم : ٤٧ وغيرها ، وهو كتاب قيم موثق مختصر ،لمحمد عزة دروزة ، المكتبة العصرية ، صيدا ١٣٨٩ هـ= ١٩٦٩م . ومعركة الوجود بين القرآن والتلمود : ١٥٨ ـ ١٦٠ د. عبدالستار فتح الله سعيد ، مكتبة المنار ، ط ٢ ، ١٤٠٢ هـ

(٣) سورة التوبة : ٢٩ .

(٤) في ك و ط (بالأنبياء) .

(٥) في ك و ط (وسبهم) .

(٦) في ك و ط (منها) .

(٧) في أ (مسبحا) والصحيح مافي ك و ط وهو ما أثبتناه .

(٨) في أ (فيهم) .

وأما النصارى ـ فمع غلوهم في المسيح وأتباعه ـ يستخفون بغيره ،فتارة يجعلون الحواريين مثل إبراهيم وموسى أو أفضل منهم ، وتارة يقولون ـ كما قال اليهود ـ :" إن سليمان لم يكن نبيا ، بل سقط من النبوة "، وتارة يجعلون ماخاطب الله به داود وغيره من الأنبياء إنما أريد به المسيح . مع أن اللفظ لايدل على ذلك ، بل يتأولون (١) كتب الله بمجرد هوى أنفسهم ،وتارة يقولون : إن الواحد منهم إذا أطاع الله بما يزعمون أنه طاعة ، صار مثل واحد من الأنبياء (٢) ، ويسوغون لمثل هؤلاء أن يغيروا شرائع الأنبياء ، ويضعوا دينا ابتدعوه (٣) . ومحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأمته أقاموا توحيد الله الذي كان عليه ابراهيم وموسى وسائر الرسل ، وآمنوا بكل كتاب أنزله الله ، وكل رسول بعثه الله ، وأقاموا دين الرحمن إقامة لم يقمها أحد من الأمم فعامة أهل الأرض مع محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ (٤) : إما مؤمن به باطنا وظاهرا ، وهم أولياء الله المتقون ، وحزبه المفلحون ، وجنده الغالبون . وإما مسلمون له في الظاهر ، تقية (٥) وخوفا من أمته ، وهم المنافقون ، وإما مسالمون له بالعهد والذمة والهدنة : وهم أهل الذمة والهدنة في جميع الأرض ، وإما خائفون من أمته .

---

(١) أول الكلام تأويلا ، وتأوله : دبره وقدره وفسره . ترتيب القاموس ١ : ١٩٧ .

(٢) في ك و ط زيادة : (وأفضل منه ، ووجب طاعته ، كما تجب طاعة الأنبياء)

(٣) البدعة : الحدث في الدين بعد الاكمال . ترتيب القاموس ١ : ٢٣٠ .

(٤) لم ترد في ك جملة : (مع محمد) ، ولم ترد فيها ولافي ط الجملة الدعائية .

(٥) في ك و ط (قاهرا) .

(٥) هي الموالاة والمعاشرة والمحالفة الظاهرة ، لأنهم يحذرون من جهتهم أمرا يريدون اتقاءه . انظر الكشاف ١ : ٤٢٢ .

وحيث كان الواحد والطائفة من أمته متمسكا بدينه ، كان نوره ظاهرا ، وبرهانه باهرا[(١)] معظما منصورا ، يعرف فضله على كل من سواه .

وهذا أمر يعرفه الناس في أرض الكفار من المشركين وأهل الكتاب لما خص الله به محمدا ـ صلى الله عليه وسلم[(٢)] ـ وامته من الهدى ودين الحق . وقد أظهروا دين الرب في مشارق الأرض ومغاربها[(٣)] ،بالقول والعمل . فهل يقول من عنده علم وعدل : إنه لافائدة في إرسال محمد ـ صلى الله عليه وسلم[(٤)] ـ وانه يستغنى بما عند أهل الكتاب عن رسالته ؟ ! .

الوجه التاسع : أن يقال : هم معترفون بانتفاع المشركين به غاية الانتفاع ، فإنه أقام توحيد الله ودينه[(٥)] فيهم ، وأنه عظّم المسيح ،وردّ على اليهود قولهم فيه وأهانهم ، وحينئذ فهذا من أعظم الفوائد ، وأجل المقاصد، وأعظم نعم الله على عباده . ثم هو ـ مع ذلك ـ قال : إن الله أرسله وأمره بذلك .

فإن كان كاذبا ، فالكذاب المفتري على الله من شر الكفار ، ومن يكون كذلك لايحصل منه هذا الخير العظيم ، الذي ماحصل مثله من أحد من الأنبياء، فإنه أزال دين المشركين ،ودين المجوس ، وقَمَع[(٦)] اليهود . وكل واحدة من هذه الثلاث لم يقدر عليه أحد قبله من الأنبياءوالمرسلين .

---

(١) في ك و ط (قاهرا)

(٢) في أ (محمد) بغير النصب وقد اعتمدنا مافي ك و ط وهو النصب ، ولم ترد الجملة الدعائية في ك و لا ط .

(٣) في ط (عاقل ممن) .

(٤) لم ترد الجملة الدعائية في ك ولا ط .

(٥) لم ترد (ودينه) في ك .

(٦) أي أذلهم وأهانهم . المصباح : ٥١٦ .

وان كان صادقا . فهو قد أخبر أنه رسول الله إلى النصارى وغيرهم من الأمم ، وأخبر عن الله بكفر كل من لم يؤمن به ، وهذا الوجه ممن يخاطب به كل صنف . فيقال كل صنف من الأمم : أنتم معترفون بأن من سواكم اذا اتبعوا دين محمد - صلى الله عليه وسلم - (١) كان خيرا لهم مما هم عليه . فاليهود معترفة بأن النصارى اذا اتبعوه كان خيرا لهم من دين النصارى . والنصارى معترفون بأن اليهود اذا اتبعوه كان خيرا لهم من دين اليهود . وأهل الكتاب . اليهود والنصارى معترفون بأن من سواهم اذا اتبعوا - محمدا صلى الله عليه وسلم - (٢) كان خيرا لهم مماهم عليه .

فالمجوس والمشركون من العرب ، والسودان (٣) والترك وأصناف الخزر (٤) والصقالبة (٥) ، إذا اتبعوه كان خيرا لهم مماهم عليه . وسائر أصناف الكفار معترفون بأن أتباعه خير من غيرهم (٦) . ومن ليس من أهل الكتاب ، عامتهم ، معترفون

---

(١) لم ترد الجملة الدعائية في ك و لا ط .

(٢) لم يرد الاسم الشريف في ط ، ولم يرد فيها ولا في ك الجملة الدعائية .

(٣) (السودان) : اسم يطلق على الأرض الشاسعة من أفريقيا ، المحصورة بين الصحراء وخليج غينيا وحوض نهر الكونغو . وهو ثلاثة أقسام: السودان الشرقي والأوسط والغربي ، وأغلب سكان الشرقي والأوسط مسلمون وأما الغربي فزنوج . دائرة معارف وجدي ٥ : ٣١٧ - ٣١٩ .

(٤) "الخزر" أمة من ولد يافث بن نوح - عليه السلام - وهو الأصغر من ولد نوح ، وبلادهم حول جبل القبخ في خراسان ، تهود ملكهم في خلافة هارون الرشيد ثم أسلموا سنة ٣٥٤ هـ . مروج الذهب ٢ : ٣٤ و ١ : ١٧٦ و ١٧٨ ، والبداية والنهاية ١١ : ٢٥٦ .

(٥) (الصقالبة) : من ولد مار بن يافث بن نوح - عليه السلام - ، واليه يرجع سائر أصناف الصقالبة ، وبه يلحقون في أنسابهم ، ومساكنهم بالجدي الى أن يتصلوا بالمغرب ،وهم أجناس مختلفة ، وبينهم حروب ولهم ملوك منهم كتابيون ومنهم جاهليون . مروج الذهب ٢ : ٣٢ .

(٦) في ط (غيره) .

بأن دين المسلمين خير من دين (١) اليهود والنصارى . وحينئذ فيقال : من جاء بهذا الدين الذي يفضله جميع أهل الأرض على غيره ، يمتنع أن يكون من أكفر الناس وأحقهم بغضب الله وعقابه . وكل من قال : إنه رسول الله . فإن كان صادقا . كان من خير أهل الأرض وأحقهم برضوان الله وثوابه . وإن كان كاذبا ، كان من شر أهل الأرض وأحقهم بغضب الله وعقابه . ومن حصل منه هذا الخير والعلم والهدى ، ومافيه صلاح الدنيا والآخرة ، أعظم مما حصل من جميع الخلق : يمتنع أن يكون من أكفر الناس ، المستحقين لغضب الله وعقابه ، فوجب أن يكون من خير أهل الأرض ، * بل هو خير أهل الأرض * (٢) وأحقهم برضوان الله وثوابه .

الوجه العاشر : إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ كانت سنته قبل إنزال التوراة ، إذا كُذِّب نبي من الأنبياء (٣) ينتقم الله (٤) من أعدائه بعذاب من عنده ، كما أهلك قوم نوح بالغرق ، وقوم هود بالريح الصرصر (٥) ، وقوم صالح بالصيحة ، وقوم شعيب بالظلة (٦) ، وقوم لوط بالحاصب (٧) ، وقوم فرعون بالغرق ، قال

---

(١) سقطت (دين) من ط .

(٢) مابين النجمتين زيادة من ط . وهي زيادة حسنة جدا .

(٣) في ط زيادة (أن) .

(٤) في ك و ط (ينتقم له) .

(٥) الريح الصرصر : هي الريح الباردة المحرقة ، كما تحرق النار ، قاله الفراء والزجاج ، وقال السدي وغيره : الصرصر : من صرصر : اذا صوّت . البحر المحيط ٧ : ٤٨١ و ٤٩٠ .

(٦) الظلة : هي حر شديد جدا ، مدة سبعة أيام ، لايُكِنُّهم منه شيء ، ثم أقبلت إليهم سحابة أظلتهم ، فجعلوا ينطلقون إليها يستظلون بظلها من الحر ، فلما اجتمعوا تحتها أرسل الله ـ تعالى ـ عليهم شررا من نار ولهبا ووهجا عظيما ، ورجفت بهم الارض ، وجاءتهم صيحة عظيمة ازهقت أرواحهم . تفسير القرآن العظيم ٦ : ١٧٠ للحافظ إسماعيل ابن كثير ـ ٧٧٤ هـ ت : د. محمد البنا وزميله . دار الشعب ، القاهرة .

(٧) الحاصب: هي الريح العاتية التي تحمل حصباء الأرض فتقلبها عليهم ، والمؤلف هنا أخذ بالرواية الواردة عن ابن عباس وقتادة ، والتي استبعدها ابن كثير. انظر تفسير القرآن العظيم ٦:٢٨٠.

ـ تعالى ـ : ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون ﴾ (١) فلما أنزل التوراة ، أمر أهل الكتاب بالجهاد ، فمنهم من نَكَل ، ومنهم من أطاع .

وصار المقصود بالرسالة لايحصل إلا بالعلم والقدرة كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا ﴾ (٢) .

فقول هؤلاء : " إن التوراة جاءت بالعدل ، والانجيل بالفضل ،فلا حاجة إلى غيرهما " لو قدر أنه حق ، إنما يستقيم إذا كان الكتابان لم يبدلا بل كانا مُتَّبَعَيْن علما وعملا، وكان أهلهما (٣) مع ذلك منصورين مؤيدين على من خالفهم ، فكيف وكل منهما قد بدل كثير مما فيه ، وأهلهما غير منصورين على سائر الكفار (٤) ؟ ! بل الكفار ظاهرون عليهم في أكثر الأرض ، كأرض اليمن والحجاز ، وسائر جزيرة العرب ، وأرض العراق وخراسان والمغرب (٥) ، وأرض الهند والسند (٦) والترك . وكان بأيدي أهل الكتاب الشام ومصر وغير ذلك ، ومع هذا فكانت الفرس قد غلبتهم على ذلك . ثم إن الله أظهر النصارى عليهم ، فكان ظهورهم توطئة وتمهيدا لإظهار دين الإسلام .

---

(١) سورة القصص : ٤٣

(٢) سورة الفتح : ٢٨ .

(٣) في ك (أهلها) .

(٤) سقطت (سائر) من ط .

(٥) في أ (الغرب) بدون ميم ، وقد رجحنا مافي ك و ط حيث أنه الموجود في معجم البلدان والمراصد .

(٥) (المغرب) ضد المشرق ، وهي بلاد واسعة كبيرة ، قيل:حدها من مدينة " مليانة " . وهي آخر حدود إفريقية الى آخر جبال السوس ، التي وراءها البحر المحيط ، فتدخل فيه جزيرة الأندلس . معجم البلدان ٥ : ١٦١ ومراصد الاطلاع ٣ : ١٢٩٣ .

(٦) (السند) بلاد بين الهند وكرمان وسجستان ومدينتها (المنصورة) . مراصد ٢ : ٧٤٦ .

فإن الفرس المجوس ، لما غلبوا الروم (١) ، ساء ذلك النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمؤمنين به ، وفرح بذلك مشركوا العرب ، وكانوا أكثر من المؤمنين، لأن أهل الكتاب أقرب الى المؤمنين من المجوس ، والمجوس أقرب الى المشركين منهم إلى أهل الكتاب ، ووعد الله المؤمنين أن تَغْلِبَ الروم بعد ذلك ، وأنه يومئذ (٢) (... يفرح المؤمنون بنصر الله ...) فأضاف النُّصرة إلى اسم الله (٣) ، ولم يقل: بنصر الله إياهم . وذلك أنه حين ظهرت الروم على فارس ، كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه قد ظهروا على المشركين واليهود .

وأرسل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذ ذاك يدعو ملوك النصارى بالشام ومصر إلى الايمان به ، فعرفوه وعرفوا أنه النبي المبشر به ، وكان ذلك أول ظهور دينه . ثم أرسل طائفة من أصحابه إلى غيرهم (٤) ، ثم خرج بالمسلمين بنفسه (٥) معهم عام تبوك إلى الشام ، ثم فتح هذه البلاد أصحابه ، فكان تأييد دين الله وظهوره ، وإذلال المشركين والمجوس وغيرهم من الكفار (٦) ، على يديه ويدي أمته ، لا على يد اليهود والنصارى (٧) .

---

(١) جيل معروف ، في بلاد واسعة ، تضاف إليهم فيقال : بلاد الروم . ومشارق بلادهم وشمالهم : الترك والروس والخزر ، وجنوبهم : الشام والاسكندرية ، ومغاربهم : البحر والأندلس ، وكانت أنطاكية دار ملكهم ، الى أن نفاهم المسلمون الى أقصى بلادهم . وقد قيل في نسبهم أن جدهم : رومي بن ليطن بن يونان بن يافث بن برية بن سرحون بن رومية بن مربط بن نوفل بن روبن بن الأصفر بن النضر بن العيص بن اسحاق بن ابراهيم ـ عليهما السلام . مراصد الاطلاع ٢ : ٦٤٢ ، ومروج الذهب ١ : ٣٠٨ .

(٢) سورة الروم : ١ ـ ٤ .

(٣) في ط زيادة (الذي هو الفاعل) .

(٤) في ط (الى مؤتة) .

(٥) لم ترد (بنفسه) في ط .

(٦) سقطت (من الكفار) من أ وك ، وقد أثبتناها من ط .

(٧) في أ زيادة (من الكفار) ، ولاتلتئم في السياق . ولهذا لم نثبتها .

فلو قُدِّر أن شرع أولئك كامل لا تبديل فيه ، لكان مغلوبا مقهورا ، وكان الله قد أرسل من يؤيد دينه ، ويظهره ، فكيف وهو مبدّل ؟! ولو لم يبدل فدين أحمد أكمل وأفضل منه ، فذاك مفضول مبدل ، وهذا فاضل لم يبدل، وذلك مغلوب مقهور ، وهذا مؤيد منصور ، وببعض هذا تحصل الفائدة في ارساله ! .

فكان من أجلّ الفوائد إرسال محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكيف يقال : إنه لا فائدة في إرساله .

الوجه الحادي عشر : قولهم : " لما كان الباري عدلا جوادا (١) أوجب أن يظهر عدله وجوده " . فيقال لهم : جود الجواد : غير إلزام الناس بترك حقوقهم . فإن الجواد هو الذي يحسن إلى الناس ، ليس هو الذي يلزم الناس بترك حقوقهم . وهؤلاء يزعمون أن شريعة الإنجيل الزمت الناس بترك حقوقهم ، وأنه لا ينصف مظلوم من ظالمه ، ولهذا ليس عندهم حكم عدل يحكمون به بين الناس ، بل الحكم عندهم حكمان : حكم الكنيسة ، وليس فيه (٢) إنصاف المظلوم من الظالم . والثاني : حكم الملوك ، وليس هو شرعا منزلا ، بل هو بحسب آراء الملوك .

ولهذا تجدهم يردون الناس الى حكم شرع الاسلام في الدماء والأموال ونحو ذلك ، حتى في بعض بلادهم يكون الملك والعسكر (٣) كلهم نصارى ، وفيهم طائفة قليلة مسلمون لهم حاكم ، فيردون الناس في الدماء والأموال إلى حكم شرع المسلمين . وذلك أن الدماء والأموال وإن كان يستحب للمظلوم أن يعفو فيها عن ظالمه ، فالحاكم الذي يحكم بين الناس : متى حكم على المظلوم بترك حقه ، كان حاكما بالظلم لا بالعدل .

---

(١) الجود : السخاء والتكرم . ترتيب القاموس ١:٥٥٢ ، والمصباح : ١١٣ .

(٢) في أ و ك (فيهم) والأصح مافي ط ولهذا اعتمدناه .

(٣) في ط زيادة : (وأكثر أهل البلد) وليس فيها (كلهم) .

(٣) العسكر : الجيش . قال ابن الحواليقي : فارسي معرب . المصباح : ٤٠٨ .

ولو أمرنا كل وَليّ مقتول أن لايقتص من القاتل ، وكلّ صاحب دَيْـــنٍ أن لايطالب غريمه بل يَدَعُهُ على اختياره ، وكل مشتوم ومضروب أن لاينتصف مـــن ظالمه ، لم يكن للظالمين زاجر يزجرهم ، وظَلَم الأقوياء الضعفاء ، وفسدت الأرض ، قال ـ تعالى ـ : ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ﴾(١). فلابد من شرع يتضمن الحكم بالعدل ، ولابد ـ مع ذلك ـ من نَدْبِ الناس إلـــى العفو والأخذ بالفضل .

وهذه شريعة الإسلام كما تقدم ماذكرنا(٢) من الآيات ، مثل قولـــه : ﴿... والجروح قصاص﴾فمن تصدق به فهو كفارة له ...﴾(٣) وقوله : ﴿ وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم ... ﴾(٤) وقوله : ﴿ وجـــزاء سيئةٍ سيئةٌ مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله ...﴾(٥) وقوله: ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقِبْتُم به،ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾(٦) وقوله : ﴿ الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ﴾(٧) .وقوله ﴿ ... ودية مسلّمة الى أهله إلا أن يصّدقـــوا... ﴾(٨) وقوله : ﴿ ولَمَن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور ﴾(٩) .

---

(١) سورة البقرة : ٢٥١ .

(٢) في ك و ط (ذكرناه) .

(٣) سورة المائدة : ٤٥ و في ط زيادة (وقوله) .

(٤) سورة البقرة : ٢٨٠

(٥) سورة الشورى : ٤٠ وفي ط زيادة ﴿ ... إنه لايحب الظالمين ﴾.

(٦) سورة النحل : ١٢٦.

(٧) سورة آل عمران : ١٣٤ وفي ط زيادة وهي (وقوله : ﴿ ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ماعليهم من سبيل ، انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم ﴾ سورة الشورى : ٤١ ـ ٤٢.

(٨) سورة النساء : ٩٢ .

(٩) سورة الشورى : ٤٣ .

وقال أنس : " ما رُفِعَ[١] للنبي-صلى الله عليه وسلم-أمر فيه القصاص ، إلا أمر فيه بالعفو "[٢] فكان يأمر بالعفو ، ولايلزم الناس به . ولهذا لما عتقت (بَرِيرَة)[٣] ، وكان لها أن تفسخ النكاح ، وطلب زوجها[٤] أن لاتفارقه ، شفع إليها[٥] أن لاتفارقه ، فقالت : أتأمرني ؟ قال :"لا ، إنما أنا شافع"[٦] ؛ فلم يوجب عليها قبول شفاعته - صلى الله عليه وسلم - .

الوجه الثاني عشر : قولهم : " ولما كان الكمال الذي هو الفضل ، لايمكن أن يضعه إلا أكمل الكُمَّل[٧] " فيقال لهم : العدل والفضل لايشرعه إلا الله ، فشريعة التوراة لم يشرعها إلا الله ، وشريعة الإنجيل لم يشرعها إلا الله - عز وجل - .

---

(١) في ~~ف~~ زيادة (شيء) .

(٢) رواه أبو داود ، كتاب الديات، باب الامام يأمر بالعفو في الدم ٤ : ١٦٩ (٤٤٩٧) . والنسائي ، كتاب القسامة ، الأمر بالعفو عن القصاص ٨ : ٣٧ - ٣٨ من طريقين ، وابن ماجة ، أبواب الديات ، العفو في القصاص ٢ : ١١٣ (٢٧٢٤) ، وأحمد في المسند ٣ : ٢١٣ و ٢٥٢ ، قال الشيخ عبد القادر الأرناؤط :"واسناده حسن". هامش جامع الأصول ١٠ : ٢٧٤ .

(٣) هي مولاة عائشة - رضي الله عنها - وكانت مولاة لبعض بني هلال، وقيل : غيرهم . عاشت الى زمن يزيد بن معاوية . أسد الغابة ٦ : ٣٩، وتهذيب التهذيب ١٢ : ٤٠٣ .

(٣) في ك و ط زيادة : (جارية عائشة زوج النبي - صلى الله عليه وسلم -)

(٤) واسمه : مغيث . الحديث رقم (٥٢٨٣) من فتح الباري ٩ : ٤٠٨ .

(٥) في ك و ط (فشفع) .

(٦) رواه البخاري، كتاب الطلاق باب شفاعة النبي - صلى الله عليه وسلم - في زوج بريرة ، ٩ : ٤٠٨ (٥٢٨٣) من فتح الباري . ورواه مسلم، كتاب العتق ، باب : إنما الولاء لمن أعتق ٢ : ١١٤٣ (١٥٠٤) .

(٧) في أ سقطت (الكمال) وقد أثبتناها من ك و ط .

يبين ذلك أن الله كلم موسى من الشجرة تكليما ، وهم غاية ماقرروا به إلهية المسيح: أن زعموا أن الله كلم الناس من ناسوت المسيح ، كما كلم موسى من الشجرة . ومعلوم عند كل عاقل ،لوكان هذا حقا أن تكليمه لموسى من الشجرة أعظم تكليم كلمه الله لعباده ، فكيف يقال : إن شريعة العدل لم يشرعها الله_عز وجل-؟ .

ثم يقال لهم : بل شريعة العدل أحق بأن تضاف الى الله من شريعة الفضل ، فان الأمر بالإحسان والعفو يحسنه كل أحد (١) . وأما معرفة العدل (٢) والحكم بين الناس به ، فلايقدر عليه الا آحاد الناس . ولهذا يوجد الذي يُصلح (٣) بين الناس بالاحسان خلق كثير . وأما الذي يحسن أن يفصل بينهم بالعدل ، فناس قليل . فكيف يقال : إن الذي يأمر بشرع الفضل هو الله ، دون الذي يأمر بشرع العدل ؟! .

والله_تعالى _ أرسل الرسل ، وأنزل الكتب ، ليقوم الناس بالقسط (٤) ، كما قال _ تعالى _ : ﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز ﴾ (٥) .

---

(١) في ط (واحد) .

(٢) في ط (شريعة) .

(٣) في ك (الذين يصلح) ،في ط (من الذين يصلحون) .

(٤) القسط : العدل . وهو من أسماء الأضداد . قاله ابن القطاع . المصباح ٣ – ٥.

(٥) سورة الحديد : ٢٥.

وأمْر المسيح ـ عليه السلام ـ للمظلوم بالعفو عن الظالم : ليس فيه مايدل على أنه من الواجب الذي مَنْ تركه استحق الذم والعقاب ، بل هو من المرغّب فيه ، الذي من فعله استحق المدح والثواب . وموسى ـ عليه السلام ـ أوجب العدل الذي من تركه استحق الذم والعقاب . وحينئذ فلا منافاة بين إيجاب العدل، وبين استحباب الفضل .

لكن إيجاب العدل يقترن به الترهيب والتخويف في تركه ، واستحباب الفضل يقترن به الترغيب والتشويق إلى فعله . فذاك فيه رهبة مع مافيه من الرغبة . وهذا فيه رغبة بلا رهبة ، ولهذا قال المسيح ـ عليه السلام ـ : ﴿ وكنتُ عليهم شهيدا مادمت فيهم فلما توفيتني كنتَ أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد * إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾ (١) ولهذا قيل : إن المسيح ـ عليه السلام ـ بُعِثَ لتكميل التوراة ، فإن النوافل تكون بعد الفرائض كما في صحيح البخاري (٢) عن أبي هريرة (٣) ـ رضى الله عنه ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : يقول الله ـ تعالى ـ : " من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ، وماتقرب إليّ عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ، ولايزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ،

---

(١) سورة المائدة : ١١٧ ـ ١١٨ .

(٢) هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي ، أبو عبد الله ، جبل الحفظ ، وإمام الدنيا ،ثقة الحديث ، من الطبقة الحادية عشرة ، له كتاب الجامع الصحيح ، وكتاب خلق أفعال العباد ، وكتاب الأدب المفرد، وغيرها وهذه مطبوعة مات سنة ٥٦ هـ وله ٦٢ سنة . تقريب ٢ : ١٤٤ وفيات الأعيان ٤ : ١٨٨ ـ ١٩١ .

(٣) هو عبد الرحمن بن صخر ـ وقيل غير ذلك ـ الدوسي الصحابي الجليل ،حافظ الصحابة ، مات سنة ٥٧ أ و ٥٨ أ و ٥٩ هـ وله ٧٨ سنه . تقريب ٢ : ٤٨٤ . أسد الغابة ٥ : ٣١٨ ـ ٣٢١ .

ورجله التي يمشي بها ، فبي يسمع ، وبي يبصر ، وبي يبطش ، وبي يمشي ، ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذ بي لأعيذنه ، وماترددت عن شيء أنا فاعله ، ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن ، يكره الموت وأكره مساءته ، ولابد له منه "(١).

وإلا فلو قيل : ان المسيح - عليه السلام - أوجب على المظلوم العفو عن الظالم ، بمعنى : أنه يستحق(٢) الوعيد والذم والعقاب(٢) ان لم يعف عنه ، لزم من هذا أن يكون كل من انتصف من الظالم ظالما مستحقا للذم والعقاب ، وهذا ظلم ثان للمظلوم الذي انتصف ، فان الظالم ظلمه أولا ، فلما انتصف منه ظلم ظلما ثانيا ، فهو ظلم العادل(٣) انتصف من ظالمه .

---

(١) لفظ البخاري : عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " إن الله قال : " من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب . وماتقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ومايزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها . وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذ بي لأعيذنه ، وماترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن ، يكره الموت وأنا أكره مساءته ". كتاب الرقاق ،باب التواضع ١١: ٣٤٠ - ٣٤٣ (٦٥٠٢) من فتح الباري ، وذكر ابن حجر في شرحه في هذا الموضع أن للحديث طرق أخرى - أي غير اسنادالبخاري - منها عن عائشة أخرجه أحمد في الزهد ، وابن أبي الدنيا ،وأبو نعيم في الحلية ، والبيهقي في الزهد ، والطبراني ، والاسماعيلي ، وعن أنس - وهو اللفظ الذي ساقه الشيخ المؤلف "... فقد بارزني ..." أخرجه أبويعلى والبزار وابن ماجه . وقال ابن حجر :"وقد استشكل وقوع المحاربة وهي مفاعلة من الجانبين مع أن المخلوق في أسْر الخالق ، والجواب:أنه من المخاطبة بمايُفهَم ، فان الحرب تنشأ عن العداوة ، والعداوة تنشأ عن المخالفة ، وغاية الحرب الهلاك ، والله لايغلبه غالب ، فكان المعنى: فقد تعرض لإهلاكي إياه.فأطلق الحرب ، وأراد لازمه : أي أعمل به مايعمله العدو المحارب". ونقل عن الفاكهاني قوله : " في هذا تهديد شديد،لأن من حارب الله أهلكه ، وهو من المجاز البليغ ، لأن من كره من أحب الله : خالف الله، ومن خالف الله عانده ، ومن عانده أهلكه ،واذا ثبت هذا في جانب المعاداة : ثبت في جانب الموالاة، فمن والى أولياء الله أكرمه الله ".

(٢) في ك و ط (مستحق للوعيد وللذم والعقاب) .

(٣) في أ (للعادل) وحذف احدى اللامين أصح .

وما أحسن كلام الله حيث يقول : ﴿ فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وماعند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون * والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ماغضبوا هم يغفرون * والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون * والذين اذا أصابهم البغي هم ينتصرن * وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله انه لايحب الظالمين * ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ماعليهم من سبيل * انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم * ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الأمور ﴾ (١) وقال : ﴿ ذلك ومن عاقب بمثل ماعوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله ان الله لعفو غفور ﴾ (٢) .

فهذا من أحسن الكلام وأعدله وأفضله ، حيث شرع (٣) العدل فقال : (وجزاء سيئة سيئة مثلها) (٤) ثم ندب الى الفضل فقال : (فمن عفا وأصلح فأجره على الله انه لايحب الظالمين) (٤) . ولما ندب الى العفو . ذكر أنه لالوم على المنتصف ، لئلا يُظَن أن العفو فرض فقال : (ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ماعليهم من سبيل) (٥) .

ثم بين أن السبيل انما يكون على الظالمين ، فقال : (انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب اليم) (٦) . ثم لما رفع عنهم السبيل ،ندبهم مع ذلك الى الصبر والعفو ، فقال : (ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الأمور) (٦) .

---

(١) سورة الشورى : ٣٦ – ٤٣ .

(٢) سورة الحج : ٦٠ .

(٣) في ك و ط (يشرع) .

(٤) سورة الشورى : ٤٠ .

(٥) سورة الشورى : ٤١ .

(٦) سورة الشورى : ٤٢ – ٤٣ .

فهذا أحسن شرع و أحكمه (١) ، يرغب في الصبر والغفر (٢) والعفو والاصلاح بغاية الترغيب ، ويذكر مافيه من الفضائل والمحاسن وحميد العاقبة ، ويرفع عن المنتصف ممن ظلمه الملام والعذل (٣) ، ويبين أنه لاحرج عليه ولاسبيل اذا انتصر بعد ماظلم .

فهل يمكن أن تأتي شريعة بأن (٤) تجعل على المنتصف سبيلا مع عدله ، وهي لاتجعل على الظالم سبيلا مع ظلمه ؟ ! .

فعلم أن ما أمر به المسيح من العفو لم يكن لأن تاركه مستحق للذم والعقاب ، بل لأنه محروم مما يحصل للعافي المحسن من الأجر والثواب ، وهذا حق لايناقض شرع التوراة . فعلم أن شرع الانجيل ، لم يناقض شرع التوراة ، اذ كان فرعا عليها ، ومكملا لها . وحينئذ : فزعمهم أن شرع الانجيل شرعه الله ، دون شرع التوراة ، كلام من هو من أجهل الناس (٥) وأضلهم ، ولهذا كان هذا فرعا على قولهم بالاتحاد ، وأن المسيح هو الله .

فذاك الضلال مما (٦) أوجب هذا القول المحال (٧) .

---

(١) في ك و ط (وأجمله) .

(٢) سقطت (والغفر) من ط .

(٣) جاءت في جميع النسخ بالدال المهملة (العدل) والذي يظهر انها (العذل) بالذال المعجمة وهو ما أثبتناه .

(٤) سقطت (بأن) من ط .

(٥) في أ لم تثبت كلمة (الناس) في الصلب . وأضاف الناسخ في الهامش قوله : لعله (الناس) .

(٦) سقطت (مما) من ك وط .

(٧) المحال : هو الباطل غير الممكن الوقوع . المصباح : ١٥٧ .

فصـــل

(بطلان استدلالهـــم بما يدعون انه مـــن كلام الانبيـاء السابقين)

وجميع ما احتجوا به من التوراة والانجيل وغيرهمـا من كلام الأنبيـاء ـ عليهم السلام ـ انما يكون(١) الحجة فيه علمية برهانية، اذا أقاموا الدليل على نبوة من احتجوا بكلامه ، بأن بينوا امكان النبوة ، ثم بينوا(٢) وقوعهـا في الشخص المعين بالطرق التي يستدل بها على نبوة النبي.

وهم لم يفعلوا شيئا من ذلك ، بل احتجوا بذلك ، بناء(٣) على أنها مقدمة مسلمة يسلمها المسلمون لهـم ، وهذا لاينفعهم لوجوه :

أحدها: فيمن ذكروه من لم يثبت عندالمسلميـن أنه نبي ، كميخا(٤) ، وعاموص(٥).

الثاني : أن من ثبت عند المسلمين نبوته ، كموسى، وعيسى ، وداود وسليمان ، لم يثبت عندهم أنهم قالـوا

---

(١) في ك و ط (تبينوا) .

(٢) في ك (يكون) وفي ط (تكون) .

(٣) سقطت (بناء) من ك و ط .

(٤) هو فيما يظن احد انبياء بني اسرائيل ولقبه "المورشي" نسبة الى مسقط رأسـه " مورشة " قرية بقرب " جت ". ظهر في ملك "يوشام " و "آحاز"و"حزقيا" ملك يهوذا سنة ٧٥١ ـ ٦٩٣ ق . م و كان معاصرا لاشعياء الذي يشبهـه في أسلوبه ونهج كتابته واليه ينسب السفر الثالث والثلاثون من أسفـار العهد القديم وفيه سبعة اصحاحات . قاموس الكتاب المقدس (عندهم) : ٩٣٦ والكتاب المقدس (عندهم) : ١٠٣٥ ـ ١٠٤٠ . والتراث الاسرائيلي : ٢٦٣، د. صابر عبد الرحمن طعيمة ،دار الجيل ، بيروت ١٣٩٩ هـ .

(٥) هو كما يقال ـ نبي من أنبياء بني اسرائيل ، ورد في السفر المنسوب اليـه ـ والذي يتكون من تسعة اصحاحات ـ : أنه ولد في قرية (تقوع) جنـوب (أورشليم) وكان راعيا للغنم ، وكان ظهوره في زمن الملك (يربعـام الثاني) ملك اسرائيل . سفر عاموس ، العهد القديم : ١٠٢١ ـ ١٠٢٩ ، والتراث الاسرائيلي : ٢٢٨ .

جميع ماذكروه من الكلام ، وأن ترجمته بالعربية هو ماذكروه ،وأن مرادهم به مافسروه (١) .

الثالث : أن جمهور المسلمين لايعلمون نبوة أحد من الأنبياء قبل محمد الا باخبار محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بنبوتهم ، فلايمكنهم التصديق بنبوة أحد من هؤلاء (٢) ، الا بعد التصديق بنبوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

فاذا طلب هؤلاء من المسلمين أن يسلموا نبوة هؤلاء ، دون نبوة محمد ، لم يمكن المسلمون أن يسلموا ذلك لهم ، ولايشرع (٣) ذلك للمسلمين ، لا عقلا ولا نقلا . وحينئذ اذا (٤) لم يقيموا الأدلة علي نبوة أولئك ، لم يكونوا قد ذكروا ، لاحجة برهانية ، ولاحجة جدلية .

الرابع : أن المسلمين لم يصدقوا بنبوة موسى وعيسى ، الا مع اخبارهما بنبوة محمد . فان سلموا أنهما أخبرا بنبوة محمد ، ثبتت نبوته ونبوتهما .

---

(١) راجع الفصل الذي عقده الشيخ المؤلف ، من أجل مناقشة قضية الترجمةلنصوص التوارة والانجيل ، وبين فيه استحالة دعواهم بترجمة التوراة والأنجيل لجميع الأمم ، وأن الترجمة لاتحتاج الى معصوم ـ كما يزعمون ـ ،وأن دعوى العصمة لمترجمي التوراة والانجيل دعوى باطلة ، انظر هذا الفصل في الجواب الصحيح (رسالة دكتوراه) ١ : ٥٠١ ـ ٥٠٥ المجلد الثاني . دراسة وتحقيق الزميل : علي بن حسن بن ناصر . وكذلك الجواب الصحيح ٢ : ١٦ ـ ٢٧ ، وقد تحدث الشيخ هنا بتفصيل أكثر ، وذلك على طريقته في هذا الكتاب ، من البسط تارة ، والاختصار مع الاحالة تارة أخرى .

(٢) لم ترد الجملة الدعائية في أ ولا ك .

(٣) في ك و ط (يسوغ) .

(٤) في ك و ط (فاذا) .

وإن جحدوا ذلك ، جحد المسلمون نبوة من يدعون أنه موسى وعيسى الذين لم يخبرا بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

الخامس : أن المسلمين وكل عاقل ، يمنع (١) ـ بعد النظر التام ـ أن يقر بنبوة موسى وعيسى دون محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، إذ كانت نبوته أكمل ، وطرق معرفتها أتم (٢) وأكثر . وما من دليل يستدل به على نبوة غيره الا وهو على نبوته أدل ،فان جَحْد نبوته يستلزم جَحْد نبوة غيره بطريق الأولى . ولكن من قال ذلك ، هو متناقض كما يتناقض (٣) سائر أهل الباطل . ولهذا قال ـ تعالى ـ في الكفار : ﴿ انكم لفي قول مختلف * يؤفك عنه من أفك (٤) ﴾ .

---

(١) في ك و ط (يمتنع) .

(٢) في أ (أثم) ويظهر أنه خطأ نسخي .

(٣) في ك و ط (تتناقض) .

(٤) سورة الذاريات : ٨ ـ ٩ .

فصـــــل

(اثبات الفضل والكمال لرسول الله ولشريعته ولأمته)

قد ذكرنا في جواب أول كتابهم (١) ، بيان امتناع احتجاجهم بشيء من كلام محمد - صلى الله عليه وسلم - أو غيره من الأنبياء - عليهم السلام - على مايخالف دين المسلمين من دينهم . ونحن نبسط هذا هنا فنقول: لاريب أن الباطل لايقوم عليه دليل صحيح ، لاعقلي ولاشرعي سواء كان من الخبريات أو الطلبيات ،فان الدليل الصحيح يستلزم صحة المدلول عليه . فلو قام على الباطل دليل صحيح ، لزم أن يكون حقا مع كونه باطلا ، وذلك جمع بين النقيضين ، مثل كون الشيء موجودا معدوما .

وأهل الكتاب معهم حق في الخبريات والطلبيات ،ومعهم باطل ، وهو مابدلوه في الخبريات ، سواء كان المبدل هو اللفظ أو معناه ، وما ابتدعوه ، أو مانسخ من العمليات . والمنسوخ الذي تنوعت فيه الشرائع قليل بالنسبة الى ما اتفقت عليه الكتب والرسل . فان الذي اتفقت عليه ؛ هو الذي لابد للخلق منه في كل زمان ومكان، وهو الايمان بالله واليوم الآخر ، والعمل الصالح ، كماقال - تعالى - : ﴿ ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون (٢) ﴾

---

(١) هي رسالة بولس الأنطاكي عن أهل تبرص . وانظر الجواب الصحيح ، رسالة دكتوراه ١ : ٢٠٣ - ٢١٣ المجلد الأول .

(٢) سورة المائدة : ٦٩ .

وعامة السور المكية ، كالأنعام والأعراف وآل حم ،وآل طس ، وآل آلر هي (١) من الأصول الكلية التي اتفقت عليها شرائع المرسلين ، كالأمر بعبادة الله وحده لاشريك له ، والصدق والعدل والاخلاص ، وتحريم الظلم والفواحش والشرك والقول على الله بلا علم ، وعامة ماعندهم من النقول الصحيحة عن الأنبياء ، من التوراة والانجيل والزبور ونبوات الأنبياء توافق المنقول عن محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ شهد (٢) هذا لهذا وهذا لهذا ، وذلك من دلائل نبوة أولئك الأنبياء، ومن دلائل نبوة ـ محمد صلى الله عليه وسلم ـ (٣) .

ولهذا يذكر الله ذلك بيانا لانعامه بمحمد (٤) ودلالة لنبوته ، كقوله ـ تعالى ـ (٥) لما ذكر قصة مريم : ﴿ واذ قالت الملائكة يامريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ﴿ يامريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين ﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وماكنت لديهم اذ يختصمون ﴾ (٦) وقال ـ تعالى ـ لما قص قصة نوح ـ : ﴿ تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ماكنت تعلمها أنت ولاقومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين ﴾ (٧) فذكر الاله نعمته (٨) وآيته ، بكونه لم يكن يعلمها هو ، ولاقومه ـ أيضا ـ كانوا يعلمونها ، لئلا يظن أنه تعلم ذلك من قومه ، فان قومه لم يكونوا يعلمون ذلك .

---

(١) في أ (وألم حم ، والم طس ، والر) والأصوب مافي ك وط ولهذا أعتمدناه .
(٢) في ط (يشهد) .
(٣) في ط تقدمت هذه الجملة على جملة (من دلائل نبوة الأنبياء) .
(٤) في ط (على محمد) .
(٥) في ط زيادة : (لما ذكر قصة مريم) .
(٦) سورة آل عمران : ٤٢ ـ ٤٤ .
(٧) سورة هود : ٤٩
(٨) في ك و ط (آلاءه ونعمته) .

وقد علم بالنقل المتواتر أن محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولد بمكة، وبها نشأ بعد أن كان مُسْتَرضعا في بادية[1] سعد بن بكر[2]، قريبا من الطائف[3]، شرقي مكة، وهو صغير، ثم حملته مرضعته حليمة السعدية[4] الى أمه بمكة، لايعلم شيئا من ذلك، ولاهناك من يتعلم منه شيء من ذلك[5]. وأهل مكة يعلمون حاله، وأنه لم يتعلم ذلك من أحد ثم أخبرهم بالغيب الذي لايعلمه أحد الا بتعليم الله له.

---

(١) البدو والبادية والباداة والبداوة: خلاف الحضر، والحضر: هو السكن بالمدن والقرى. انظر ترتيب القاموس ١: ٢٣٣.

(٢) هم بنو بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان. جمهرة أنساب العرب: ٢٦٥.

(٣) الطائف: كانت تسمى قديما (وج)، وسميت الطائف لما أُطِيْفَ عليها الحائط، وهي ناحية ذات نخيل وأعناب ومزارع وأودية، وهي على ظهر جبل غزوان، وبها عقبة مسيرة يوم للطالع من مكة، ونصف يوم للهابط الى مكة، وهى الآن المصيف الأول للمملكة العربية السعودية وملتقى طرق نجد واليمن والحجاز. مراصد ٢: ٨٧٧، والمجاز بين اليمامة والحجاز: ٢٥٤ لعبد الله بن محمد بن خميس، ط ٣، تهامة، جدة ١٤٠٢ هـ = ١٩٨١م.

(٤) هي بنت أبي ذؤيب: عبد الله بن الحارث بن شجنة بن جابر بن رزام ابن ناصرة بن سعد بن بكر بن هوازن. وزوجها الذي أرضعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بلبنه هو الحارث بن عبد العزى بن رفاعة ابن ملان بن ناصرة بن نصية بن نصر بن سعد بن بكر، وقد حضرت بالجعرانة ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقسم لحما فلما دنت من النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بسط لها رداءه فجلست عليه، فقال أبو الطفيل: من هذه؟ قالوا: أمه التي أرضعته. أسد الغابة ٦: ٦٧ ـ ٦٩.

(٥) في ط (ولا).

فكان هذا من أعلام رسالته ، ودلائل نبوته ، عليهم أولا ، وعلى غيرهم آخرا ،فانهم كانوا مشاهدين له ، يعلمون أنه لم يتعلم ذلك من أحـــد. وغيرهم يعلم ذلك بالأخبار المتواترة (١) ، ويعلم أن قومه المكذبين له ـ مع حرصهم على الطعن فيه ، ومع علمهم بحاله (٢) ـ لو كان قد تعلم من أهـــل الكتاب ، لقالوا : هذا قد تعلمه منهم . قال ـ تعالى ـ : ﴿ قل لو شاء الله ماتلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون ﴾ (٣) والمقصود أنه نفى علم قومه بما أخبره فيه ، بيانا لآلاء الله (٤) التي هـــي آياته ونعمه ، فان ذلك يدل على أنه لم يتعلم ذلك من قومه ، وفيه انعام الله على الخلق بذلك .

وقال ـ تعالى ـ لما ذكر قصة يوسف ـ : ﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون ﴾ (٥) وقال ـ تعالـــى ـ : ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للنـــاس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون * وماكنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الأمر وماكنت من الشاهدين * ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وماكنـــت ثاويا في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين * وماكنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك ﴾ (٦) .

---

(١) الأخبار المتواترة :هي مانقله من يحصل العلم بصدقهم ضرورة ، بـــأن يكونوا جمعا لايمكن تواطؤهم على الكذب ،عن مثلهم من أول الاسناد الى آخره . وهذا مايجب العمل به من غير بحث عن رجاله ، ولايعتبر فيه عدد معين في الأصح . وقد قيل ـ في العدد ـ :أكثر من خمسة.وقيل : عشـــرة، وهو المختار ، لأنه أول جموع الكثرة ، وقيل : أربعون . وقيل : سبعون. وقيل : ثلاثمائة وبضعة عشر . تدريب الراوي ، في شرح تقريب النواوي ٢ : ١٧٦ ـ ١٧٧ لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي ـ ٩١١ هـ ت : عبد الوهاب عبد اللطيف ، ط ٢ ، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢م.

(٢) سقطت الواو من أ .

(٣) سورة يونس : ١٦ .

(٤) هكذا في ك و ط وفي أ (لااله الا الله) وما أثبتناه أصح .

(٥) سورة يوسف : ١٠٢.

(٦) سورة القصص : ٤٣ ـ ٤٦ .

فنفى ـ سبحانه ـ شهادته[(١)] لهذه الأمور الغائبة وحضوره لها ، تنبيها للناس على أنه أخبر بالغيب الذي لم يشهده ولم يعرفه ، من جهة أخبار الناس ، فان قومه لم يكونوا يعلمون ذلك ، ولاعاشر غير قومه . وكل من عرف حاله : يعلم أنه لم يتعلم شيئا من ذلك ، لا من أهل الكتاب ولا ممن نقل عن أهل الكتاب .

فاذا كان محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ[(٢)] أخبر بمثل ما أخبرت به الأنبياء قبله ، في باب أسماء الله وصفاته وتوحيده ، وملائكته وأوليائه وأعدائه ، مع العلم بأن في هذه الأمور من التفاصيل الكثيرة : مايمتنع اتفاق اثنين عليه ، الا عن مواطأة بينهما . ومحمد وموسى ـ صلوات الله عليهما وسلامه ـ لم يتواطأا ، بل لم يواطئ محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أحدا من الرسل قبله[(٣)] ، ولا واطؤه .

والخبر الكذب اما أن يتعمد صاحبه الكذب[(٤)] ، واما أن يغلط . فالكاذبان المتعمدان للكذب لايتفقان في القصص الطويلة والتفاصيل العظيمة .

---

(١) في ك و ط (شهوده) .

(٢) لم ترد الجملة الدعائية في أ .

(٣) في ط (واطئوه) .

(٤) في ك و ط زيادة (فيه) .

وكذلك الغالطان لايتفق غلطهما في مثل ذلك . بل الاثنان من آحاد الناس اذا أخبر كل منهما عن حال بلدة[1] وأخبر الآخر بمثل خبره من غيرمواطأة ، عرف صدقهما ، فكيف بالأمور الغائبة ، التي لايمكن العلم بها الا من جهة الله - تعالى - ؟ فهذا من دلائل[2] نبوة الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم-.

وأما القدر الذي يخالف ماجاء به محمد - صلى الله عليه وسلم - مما ينقلونه عن الأنبياء ، فهو نوعان :

أحدهما : ماوقع فيه النسخ من الشرائع[3] ، وهذا لايمنعه ، لكن المنسوخ مثل هذا بالنسبة الى مالم ينسخ من الكتاب نظير المنسوخ من القرآن والأحاديث النبوية ،فانه قليل جدا بالنسبة الى مالم ينسخ ، وكذلك عامة ما أمر به موسى وداود والمسيح وغيرهم من الأنبياء ، اذا اعتبر بما أمر به محمد - صلى الله عليه وسلم - ، وجد عامة ذلك متفقا لم ينسخ منه الا القليل .

والثاني : الخبريات ، وهذه قد ادعى بعض أهل الكتاب أن محمدا خالف بعض ما أخبرت به الأنبياء قبله ، وهذا باطل ، فان أخبار الأنبياء لايجوز أن تتناقض ، اذ هم - كلهم - صادقون مصدقون . ومن[4] علم أن محمدا رسول الله ، وأن موسى رسول الله ، وأن المسيح رسول الله ، علم أن أخبارهم لاتتناقض . لكن قد يخبر هذا بما لم يخبر هذا ، فيكون في أخبار أحدهم زيادات على أخبار غيره ، لامايناقض خبر غيره .

---

(١) في ك وط زيادة : (رآها) .

(٢) جمع دليل ، يقال : دله عليه دَلالة ودِلالة ودُلالة ودَلولة فاندل : سدده اليه ، والدليلى : الدلالة ، أو : علم الدليل بها ورسوخه . ترتيب القاموس ٢ : ٢٠٦ .

(٣) في أ (الشريعة) ومافي ك و ط أولى .

(٤) في ط (فان) .

ومايذكره أهل الكتاب مما يناقض خبر محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فهو ـ عامته (١) ـ مما حرفوا معناه وتأويله ، وقليل منه حرف لفظه .وأهل الكتاب ـ اليهود والنصارى ـ مع المسلمين (٢) متفقون على أن الكتب المتقدمة وقع التحريف بها (٣) ، إما عمداً وإما خطأ في ترجمتها وفي تفسيرها وشرحها وتأويلها (٤) . وإنما تنازع الناس : هل وقع التحريف في بعض ألفاظها ؟ وكل مايدعي فيه (٥) مدع (٦) أن محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ ناقضه فلابد له من أن يثبت مقدمتين : احداهما : ثبوت ذلك اللفظ عن ذلك النبي . والثاني : ثبوت معناه .

وكل من احتج بنقل عن نبي ، فلابد له من هاتين المقدمتين : الاسناد والمتن ، فلابد له من ثبوت اللفظ ، ولابد له من ثبوت معنى اللفظ . واذا كان النقل ليس بلغة النبي ، بل بلغة أخرى ، فلابد من الترجمة الصحيحة ، وعامة النصارى ليس عندهم كتب الأنبياء بلغة الأنبياء (٧) .

---

(١) في ك (غايته) .

(٢) في ط (المسلمون) .

(٣) هكذا في ط ، وأما في أ و ك فقد سقطت (بها) واثباتها أصح .

(٤) في ك و ط (فكل) .

(٥) سقطت (فيه) من ك و ط .

(٦) في أ (مدعي) ، والصحيح مافي ك و ط ولهذا أثبتناه .

(٧) وبهذا الصدد أذكر أن أحد المؤرخين المعاصرين من الغرب ـ ولا أذكر اسمه ولا المصدر الذي عرفت عن طريقه ذلك ـ أعلن ـ انصافا للحقيقة ـ انه يتأسف على عدم وجود الكتاب المقدس (عندهم) بلغته الأصلية ، ويعترف للقرآن بالفضل الباهر ، حيث بقي الى يومنا ـ والى ماشاء الله ـ تعالى ـ بلغته الأصلية التي نزل بها ، والتي قرأه بها من أنزل عليه ، وهو محمد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهذا مايرى فيه ذلك المؤرخ أو المفكر ذلك الجانب الشامخ من القيمة العلمية .ويقول د.صابر : إنه جميل حناطر انجمان في كتابه : الكتاب المقدس في اللغة العربية .

فان موسى والمسيح ومن بينهما من أنبياء بني اسرائيل إنما كانوا يتكلمون باللغة العبرانية (١) .

والمسيح كان عبرانيا ، لم يتكلم بغير العبرانية ، وإنما تكلم بغيرها ، كالسريانية واليونانية والرومية ، بعض من اتبعه . وجمهور النصارى لايُعْرَفُون بالعبرانية ، فلا يحسنون (٢) أن يقر ؤا بالعبرانية لاتو راة ولا انجيلا ، ولاغير ذلك ، وانما يتكلمون بذلك : الرومية (٣) ، أو السريانية (٤) أو غيرهما ، وان كان فيهم قليل ممن يتكلم بالعبرانية . بخلاف اليهود ، فان العبرانية (٥) فاشية فيهم . وحينئذ فمن احتج من أهل الكتاب بشيء من كلام الأنبياء المنقول (٦) بالرومية والسريانية أو بالعربية (٧) ، فانه يحتاج مع اثبات النقل الى اثبات الترجمة وصحتها فانهم كثيرا مايغطربون في الترجمة وصحتها (٨) ويختلفون في معناها .

---

(١) وهاهم أولا المعتدون اليهود الذين قدموا ضيوف نحس وثقل على وطننا الاسلامي من بلاد شتى : روسية وأوربية وأمريكية بل وعربية وافريقية يسعون لنبش العبرية وتجميع رفاتها ، بجعلها لغة رسمية ، واطلاق اسم (الجامعة العبرية) على جامعتهم ، شعورا منهم - أبعدهم الله - باهمية اللغة ودورها في شخصية أهلها .

(٢) هكذا في ك و ط وفي أ (يحسنوا) بحذف النون والأصح اثباتها كما في ك و ط .

(٣) في ك و ط زيادة (باللغة) .

(٤) السريانية : لغة من اللغات المتفرعه من الآرامية ، وهي من اللغات السامية كالعربية والعبرانية . المنجد في الآداب والعلوم : ١٢ و ٢٥٣ ، لويس معلوف ، الطبعة الثامنة عشرة ، بيروت .

(٥) هكذا في ك و ط وفي أ (بأن) والأول أصح .

(٦) في ك و ط (المنقولة) .

(٧) في ك و ط (بالعبرانية) .

(٨) سقطت (وصحتها) من ك و ط .

فهذه مقدمات ثلاث ، لابد لهم منها في كل مايحتجون[١] من كلام الأنبياء ، ولو لم يدعوا أنه معارض لما أخبر به محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ،فكيف اذا أدعوا به تناقضه[٢] لما جاء به محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ؟! فان قدر أنه ثبت أن[٣] نبيا أخبر بشيء ، امتنع قطعا أن يخبر محمد بنقيضه . فان فيما نقل عن محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أيضا ماليس بثابت لفظه ، مثل بعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، وفيما ثبت لفظه ماليس معناه صريحا في المناقضة ، بل لايدل على ذلك .

فكم ممن يفسر القرآن بما لايدل عليه لفظ القرآن ، بل ولاقاله أحد من الصحابة بل[٤] ولا التابعين[٥] .

كمن يقول: ان شعيبا النبي هو[٦] كان حمو[٧] موسى . وليس في القرآن والسنة وكلام الصحابة الا مايدل على نقيض ذلك[٨] . وكمن يقول : ان الرسل الذين أرسلوا الى القرية كانوا من أتباع المسيح . وليس في القرآن والمنقول عن الصحابة الا مايدل على نقيض ذلك[٩] .

---

(١) في ط (يحتاجون) .

(٢) في ط (مناقضته) .

(٣) في أ (عن نبي) وما أثبتناه من ك و ط أصوب .

(٤) سقطت (بل) من ك و ط .

(٥) مفرده : تابعي : وهو من صحب صحابيا أولقيه وان لم يصحبه . وقد عدهم الحاكم خمسة عشر طبقة . انظر تدريب الراوي ٢ : ٢٣٤ ـ ٢٣٥ .

(٦) سقطت (هو) من ك وفي ط (كان هو) .

(٧) في ط (حما) .

(٧) حمو الرجل : أبو امرأته أو أخوها أو عمها أو الأحماء من قبلها خاصة . ترتيب القاموس ١ : ٧١٨ ـ ٧١٩ .

(٨) راجع البداية والنهاية ١ : ٢٤٤ ، وجامع البيان للطبري ٢٠ : ٦٢ .

(٩) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦ : ٥٥٤ .

وأما ماعلم أن محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ (١) أخبر به ، فقد قامت الأدلة القاطعة اليقينية على صدقه وصدق ما أخبر به ، أعظم مما قامت على صدق غيره وصدق ماجاء به ، فمهما عارض ذلك علم أنه كذب على الأنبياء . ولايمكن أحداً من الخلق أن يذكر دليلا قطعيا على صحة ذلك النقل ، بل غايتهم أن يذكروا طريقا ظنيا لايفيدهم الا الظن ، والظن لايعارض اليقين .

فما جاء به محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ يمكن صاحب النظر والاستدلال أن يعلمه علما يقينا ، لايرتاب فيه .

ومايناقضه لاسبيل لأحد الى العلم به ، ولايتصور أن يقوم بقلبه منه (٢) الا الظن والتقليد ، وكلاهما لايناقض (٣) العلم ، فهذا أصل جامع ، ثم العارف يعبرعنه مع كل انسان بحسب مايوصل معناه (٤) الى ذلك المخاطب . والمقصود هنا أن يقال : كل مايحتجون به على مخالفة ماثبت عن محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لايمكن أن يقوم لهم عليه دليل : لاشرعي ولاعقلي ، وهذا يعلمه (٥) مجملا .

ونحن نبين ذلك مفصلا فنقول : مايحتجون به إما أن يكون حجة عقلية ، وإما أن يكون سمعية . أما العقليات : فمعلوم أن الحجج العقلية الدالة على فساد مايقوله (٦) النصارى ، أظهر مما يحتجون به على صحة دينهم . ومن احتج منهم أو من اليهود بحجة عقلية على مخالفة شيء من دينه فلها أجوبة :

---

(١) لم ترد الجملة الدعائية في أ .

(٢) هكذا في ك و ط ، وفي أ (عليه) والارجح مافي ك و ط وهو ما أثبتناه لأن الحديث عن صاحب النظر والاستدلال ـ المذكور آنفا .

(٣) في ط (يناقضان) .

(٤) سقطت (معناه) من ك .

(٥) في ط (نعلمه) .

(٥) المقصود : صاحب النظر والاستدلال آنف الذكر .

(٦) في ط (تقوله) .

أحدها : أن يبين أن ذلك يلزم غيره من الأنبياء ، فانهم جاءوا بذلك أو بأعظم منه .

فلا يقدح أحد بحجة عقلية في محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ الا كان ذلك قد جاء بطريق الأولى في غيره من الأنبياء ، كما بينا في الرد على الرافضة (١) ، أنه لايقدح أحد في الخلفاء الثلاثة : أبي بكر (٢) وعمر (٣) وعثمان (٤) الا أمكن (٥) أن يقدح بمثل ذلك وبأعظم منه في علي (٦) ، فيمتنع أن يكون علي (٧) سليما من القوادح في إمامته إلا والثلاثة أسلم منه ، مما يقدح في امامتهم .

---

(١) "الرافضة" هم صنف من أصناف الشيعة الثلاثة ، وسموا رافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر ، وهم مجمعون على أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ نص على استخلاف علي بن أبي طالب باسمه ، وأظهر ذلك وأعلنه ، وأن أكثر الصحابة ضلوا بتركهم الاقتداء به بعد وفاة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وأنه معصوم في جميع أحواله . مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين : ١٦ ـ ١٧ للامام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ـ ٣٢٤ هـ تصحيح هلموت ريتر ، ط ٣ ، دار احياء التراث العربي ، بيروت .

(٢) هو الصديق : عبد الله بن أبي قحافة : عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب القرشي ، صاحب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وشهد له بالجنة وحضر المشاهد كلها ، وتولى الخلافة من بعده توفي سنة ١٣ هـ . أسد الغابة ٣ : ٢٠٥ ـ ٢٣٠ ، وتهذيب التهذيب ٥ : ٣١٤ .

(٣) هو ابن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح ، القرشي ، العدوي أمير المؤمنين ، مشهور ، جم المناقب ، استشهد سنة ٢٣ هـ تقريب ٢ : ٥٤، والإصابة في تمييز الصحابة ٢ : ٥١٨ ـ ٥١٩ .

(٤) هو ابن عفان بن أبي العاص بن أمية الأموي ، أمير المؤمنين ، ذو النورين ، احد السابقين الأولين ، والخلفاء الأربعة ، والعشرة المبشرة استشهد سنة ٣٥ هـ ، وله ٨٠ سنة . تقريب ٢ : ١٢ والاصابة ٢ : ٤٦٢ ـ ٤٦٣ .

(٥) في أ (مكن) بدون همز ، والأولى مافي ك وط ولهذا اعتمدناه .

(٦) هو ابن ابي طالب بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي ، ابن عم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وزوج ابنته ، من السابقين الأولين ، وأحد العشرة ، مات سنة ٤٠ هـ وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم باجماع أهل السنة ،وله ٦٣ سنة . تقريب ٢ : ١٩ . والاصابة ٢ : ٥٠٧ ـ ٥١٠ .

(٧) في أ (علىا).

ويمتنع أن يكون موسى وعيسى وداود برآء مما يقدح في نبوتهم الا ومحمد أبرأ مما يقدح في نبوته . وهذا كما لو (١) احتج محتج بما في القرآن من اثبات الصفات ، فيقال له : في التوراة وغيرها من كتب الأنبياء (٢) مثل ذلك وأعظم (٣) . واذا احتج بانزال المتشابهات ، فيقال له : في الكتب المتقدمة من التشابه (٤) أعظم مما في القرآن . وهل ضلت النصارى الا باتباع المتشابه (٥) من كلام الأنبياء وترك المحكم (٦) ؟ . والثاني : أن يبين أن تلك الحجة لاتصلح أن يعارض بها ما جاءت به الأنبياء ، كما اذا أخذ بعض الناس يطعن في شيء من الشرائع بالرأي ، بين له أن ماثبت عن الأنبياء ، لايعارض برأي ولاقياس .

الثالث : أن يُبَيِّن فساد تلك الحجة العقلية . ان كانت من باب الخبريات: يُبيّن فسادها كما قد بسطنا القول في ذلك في كتاب " درء (٧) تعارض العقل والشرع (٨) " وذكرنا أن جميع مايحتج به على خلاف نصوص الأنبياء من العقليات ، (٩) (١٠) (١١) فانه باطل وذكرنا مايعتمد عليه النفاة من هذا الباب .

---

(١) في ك و ط (اذا) .
(٢) في ك و ط (آيات) .
(٣) سقطت (وأعظم) من ك .
(٤) في ك و ط (المتشابهات) .
(٥) في ط (المتشابهات) .
(٦) في ك و ط زيادة (مثل) .
(٧) في ط (رد) .
(٨) وهو الكتاب الذي طبعته جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بعنوان " درء تعارض العقل والنقل " بتحقيق د. محمد رشاد سالم في عشرة مجلدات ومجلد للفهارس العامة وكان قد طبع من الكتاب مايقارب ثلث حجم الكتاب الحقيقي ومالم ينشر أهم بكثير مما نشر وذلك بعنوان " بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول " انظر الكتاب المذكور ١ : ٣ - ٧ .
(٩) في ط (فذكرنا) .
(١٠) كررت (مايعتمد) مرتين في أ وهو خطأ نسخي بحت كما حصل في مواضع أخرى آثرت عدم الوقوف عندها .
(١١) في ك و ط (في) .

وان كانت من باب الطلبيات (١) فهي من باب الأمر والنهي . فمن كان في مذهبه (٢) أنه لايعلل أحكام الله ، ولايقول ان حُسن (٣) الأفعال وقُبحها يُعْلم بالعقل ، ولاينزه الله عن فعل ولا عن حكم ، بل يُجَوِّز عليه كل شيء ، وإنما ينفي ذلك بالخبر السمعي أو العادة ، فهذا يجيب بهذا الجواب ، لكن عامة القلوب والعقول لاتقبل هذا .

وأما على قول الجمهور : فنبين (٤) مافي مأموراته من الحِكَم والمصالح ، وما في منهياته من المفاسد والضرر ، ونبين (٥) رجحان ماجاء به (٦) على مايعارض به (٤) ، بل ونبين (٧) رجحان شرائع الأنبياء على سياسات سائر الأمم ، بل ونبين رجحان شريعة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ على (٨) سائر الشرائع ، وهذا مبسوط في مواضع (٩) .

وأما اذا احتج أهل الكتاب على (١٠) مناقضة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بحجة سمعية سواء كانت من كلامه ، أو كلام غيره من الأنبياء ـ عليهم السلام ـ ، كان الجواب من وجوه :

أحدها : أن يقال لهم : لايمكنكم أن تصدقوا بنبوة نبي من الأنبياء (١١) مع التكذيب بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ والطريق الذي (١٢) بها تثبت نبوة

---

(١) في ط (كان) .
(٢) في ك و ط (من) .
(٣) في ك و ط (بأن) .
(٤) في ك و ط (فيبين) .
(٥) في ط (ويبين) .
(٦) في ك و ط (فيه) .
(٧) سقطت (بل) من ط وفيها ـ أيضا ـ (ويبين) .
(٨) في ك و ط (وسائر) .
(٩) انظر الفصل الماضي من هذه الرسالة .
(١٠) في ك و ط (في) .
(١١) في ك و ط زيادة (فأنكم لايمكنكم أن تحتجوا بكلام أحد من الأنبياء حتى تثبت نبوته) .
(١٢) في ك و ط (التي) .

الأنبياء ، تثبت نبوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم (١) ـ بمثلها وبأعظم منها . بل نحن نبين أن التصديق بنبوته ، أولى من التصديق بنبوة غيره ، وأن (٢) كل مايستدل به على نبوة نبي ، فمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أحق بجنس ذلك الدليل من غيره ، ومايعارض به نبوة نبي ؛ فالجواب عن محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أولى من الجواب عن غيره .

فهو مقدم فيما يدل على النبوة ، وفيما يجاب (٣) به عن المعارضة ، وهذه (٤) أكمل في ذلك . فيمتنع مع العلم أو العدل أن يصدق بنبوة غيره مع التكذيب (٥) بنبوته ، كما يمتنع مع العلم والعدل في كل اثنين ؛ أحدهما أكمل من الآخر في فن (٦) ، أن يقر بمعرفة ذلك الفن للمفضول (٧) دون الفاضل . وقولنا مع العلم والعدل ، لأن الظالم (٨) يفضل المفضول مع علمه بأنه مفضول . والجاهل قد يعرف المفضول ولايعرف الفاضل .

فان كثيراً من الناس (٩) يعلمون فضيلة متبوعهم : اما في العلم أو العبادة ولايعرفون (١٠) أخبار غيره حتى يوجد أقوام يعظمون بعض الأتباع دون متبوعه الذي هو أفضل منه عند التابع (١١) ، وغيره لايعرفونه ، فهؤلاء ليس عندهم علم ، ولهذا تجد كثيرا من هؤلاء يرجح المفضول ، لعدم علمه (١٢) بأخبار الفاضل . وهذا موجود في جميع الأصناف ،حتى في المدائن ، يفضل الانسان مدينة يعرفها على مدينة هي أكمل منها ، لكونه لايعرفها .

---

(١) ليس في ك و لا ط الجملة الدعائية .
(٢) في ك و ط (لأن) .
(٣) في ك (جاءت) .
(٤) في ك و ط (وهو) .
(٥) في أ (الكذب) والأصح مافي ك و ط ولذلك أثبتناه .
(٦) سقطت كلمة (فن) من أ ، والأولى إثباتها .
(٧) في أ (المفضول) والراجح ما أثبتناه من ك و ط .
(٨) في ك و ط (العالم) .
(٩) في أ و ك (والعبادة) والأصح مافي ط وهو المثبت .
(١٠) هكذا في ك و ط ، وفي أ (بعض الاتباع ومتبوعه) واثبات " دون "أولى.
(١١) هكذا في ط ، وفي أ و ك (المسامع) وقد اخترنا مافي ط .
(١٢) في ك و ط (العلم) .

والحكم بين الشيئين بالتماثل أو التفاضل[١] ، يستدعي معرفة كل منهما ، ومعرفة ما أتصف به من الصفات التي يقع بها التماثل والتفاضل[٢] . كمن يريد أن يعرف أن البخاري أعلم من مسلم ، وكتابه أصح ، أو أن سيبويه[٣] أعلم من الأخفش[٤] ونحو ذلك .

وقد فضل الله بعض النبيين على بعض كما قال - تعالى - ﴿ ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض ﴾[٥] وقال - تعالى - ﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ﴾[٦] . والكلام في شيئين : أحدهما : في كون المفضول يستحق تلك المنزلة دون الفاضل ، وهذا غاية الجهل والظلم . كقول الرافضة الذين يقولون : ان عليا كان اماما عالما عادلا ، والثلاثة لم يكونوا كذلك .

وكذلك اليهود والنصارى الذين يقولون : ان موسى كان رسولا ، ومحمد - صلى الله عليه وسلم - لم يكن كذلك ، فان هذا في غاية الجهل والظلم . بخلاف من اعترف باستحقاق الاثنين للمنزلة ، ولكن فضل المفضول ، فهذا أقل جهلا وظلما .

---

(١) في أ (والتفاضل) والأصوب ما أثبتناه من ك و ط .

(٢) في ط (تستدعي) .

(٣) هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، مولى بنى الحارث بن كعب ، كان أعلم المتقدمين والمتأخرين بالنحو ، ولم يوضع فيه مثل كتابه ، توفى سنة ١٨٠ هـ وقيل غير ذلك ، وله نيف وأربعون سنة . وفيات الأعيان ٣ : ٤٦٣ - ٤٦٥ ، وسير النبلاء ٨ : ٣٥١ - ٣٥٢ .

(٤) هو الامام الكبير ، أبو عبد الله ، هارون بن موسى بن شريك التغلبي الدمشقي ، كان اماما صاحب فنون وله تصانيف في القراءات والعربية ، مولده سنة ٢٠٠ هـ ووفاته سنة ٢٩٢ هـ . سير أعلام النبلاء ١٣ : ٥٦٦ ، وشذرات الذهب ٢ : ٢٠٩ .

(٥) سورة الاسراء : ٥٥ .

(٦) سورة البقرة : ٢٥٣ .

ومعلوم أن المرسلين يتفاضلون ، تارة في الكتب المنزلة عليهم ، وتارة في الآيات والمعجزات الدالة على صدقهم ، وتارة في الشرائع وماجاءوا به من العلم والعمل ، وتارة في أممهم .

فمن عنده علم وعدل : فينظر في القرآن وفي غيره من الكتب كالتوراة والانجيل ، أو في معجزات محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومعجزات غيره ، أو في شريعته وشريعة غيره ، أو في أمته وأمة غيره ، وجد له من(١) التفضيل على غيره مالا يخفى إلا على مُفْرط في الجهل أو الظلم .

فكيف يمكن مع هذا أن يقال هو كاذب مفتر ، وغيره هو النبي الصادق ؟!

نعم : كثير من أهل الكتاب لم يعرفوا من أخباره ماييبين لهم ذلك ، كما أن كثيراً من الرافضة لم يعرفوا من أخبار الثلاثة ماييبين لهم فضيلتهم على علي ـ رضى الله عنه ـ ، فهؤلاء في الجهل ، وطلب العلم عليهم فرض ، خصوصاً أمر النبوة . فان النظر في أمر من قال : ﴿ اني رسول الله اليكم ﴾(٢) مقدم(٣) على كل شيء ، إذ كان التصديق بهذا مستلزماً لغاية السعادة ،والتكذيب به مقتضياً لغاية الشقاوة. فبالرسول يحصل الفرق بين السعداء والأشقياء ، وبين الحق والباطل ، والهدى والضلال . والفرق بين أولياء الله وأعدائه .

وكما يسلك هذه الطريق العقلية في القياس والاعتبار ، بأن يعتبر حال ـ محمد صلى الله عليه وسلم ـ وكتابه وشرعه وأمته بحال غيره وكتابه وشرعه(٤) ، وينظر : هل هما متماثلان أو متفاضلان ؟ وأيهما أفضل ؟ واذا تبين أن حاله أفضل ، كان تصديقه أولى ، وامتنع أن يكون غيره صادقا وهو كاذب .

---

(١) سقط (له) من ط .
(٢) سورة الأعراف : ١٥٨.
(٣) في أ و ك (مقدماً) وقد أثبتنا مافي ط لأنه أصوب .
(٤) في ط زيادة (وأمته) .

بل لو كانا متماثلين ، وجب[(١)] كونه صادقا ، بل وكذلك لوكانا متقاربين وغيره أفضل . فان المتنبي الكذاب لايقارب الصادق ، بل بينهما من التباين ، مالايخفى الا على أعمى الناس .

وكذلك[(٢)] هذه[(٣)] الطريق في جنس الأنبياء - عليهم السلام - مطلقا أممهم ، بأن تُعرف أخبار من مضى من الأنبياء وأممهم . وتُرَى آثار هؤلاء وهؤلاء كما قال - تعالى - : * أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لاتعمى الابصارولكن تعمى القلوب التي في الصدور[(٤)] * . وقال[(٥)] - تعالى -[(٦)] : * أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون * حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولايرد بأسنا عن القوم المجرمين * لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب * ماكان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون)[(٧)] .

---

(١) في ط (لوجب) .

(٢) في ك و ط (فكذلك يسلك) .

(٣) في ط (هذا) .

(٤) سورة الحج : ٤٦ .

(٥) في ك و ط زيادة قوله - تعالى -: * وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم من أهل القرى * يوسف : ١٠٩ .

(٦) لم ترد كلمة التقديس في أ ولا ك .

(٧) سورة يوسف : ١٠٩ - ١١١ .

وقال ـ تعالى ـ لما ذكر آل فرعون ـ : ﴿ وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين ﴾ (١) (٢) ، وكذلك قال ـ تعالى ـ عن عاد: ﴿ وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة ألا ان عادا كفروا ربهم ألا بعدا لعاد قوم هود ﴾ (٣) (٤) (٥) وقال ـ تعالى ـ عن قوم شعيب : ﴿ ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود ﴾ (٦) (٧) .

---

(١) سورة القصص : ٤٢ .

(٢) ليس في أ ولا ك كلمة التقديس .

(٣) عاد : كانوا عربا يسكنون الأحقاف : وهي جبال الرمل ، وكانت باليمن من عمان وحضرموت بارض مطلة على البحر يقال لها (الشحر) ، واسم واديهم (مغيث) وهم ذرية عاد بن عوص بن سام بن نوح . انظر البداية والنهاية ١ : ١٢٠ .

(٤) سورة هود: ٦٠ .

(٥) لم ترد كلمة التقديس في أ و لا ك .

(٦) مدين : مدينة قوم شعيب ـ عليه السلام ـ وهي تجاه تبوك ، على بحر القلزم (البحر الأحمر) . وقيل : هي (كفر مندة) من عمل (ولاية طبرية) وأهل مدين هم من ولد مدين بن ابراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ مراصد الاطلاع " : ١٢٤٦ والكامل ١ : ٨٩ .

(٧) ثمود : قبيلة من العرب العاربة ، باسم جدهم (ثمود) أخي (جديس) وهما ابنا عابر بن ارم بن سام بن نوح ، يسكنون الحَجْر الذي بين الحجاز وتبوك . البداية والنهاية ١ : ١٣٠ .

(٧) سورة هود : ٩٥ .

واذا ذكر الأنبياء ـ عليهم السلام ـ قال ـ تعالى ـ : ﴿ وتركنا عليه في الآخرين ﴿ سلام على نوح في العالمين)[١](سلام على ابراهيم)[٢]، (سلام على موسى وهرون)[٣](سلام على ال ياسين ﴾[٤] وقال ـ تعالى ـ : ﴿ وجعلنا لهم لسان صدق عليا ﴾[٥] ومثل هذا في القرآن كثير ، فيذكر من حال الأنبياء وأتباعهم ، وماحصل لهم من الكرامة ، وماحصل للكفار بهم من الخزي والعذاب ، مابين[٦] حسن حال هؤلاء ، وقبح حال هؤلاء .

ومما يوضح ذلك أن من اعتبر حال[٧] أهل الملل ، من المسلمين واليهود[٨] والنصارى ، وحال غيرهم ، في العلوم النافعة والأعمال الصالحة ، تبين له أن حال أهل الملل أكمل بما لايحصى . واذا نظر ماعند غير أهل الملل ، من الحكمة

---

(١) سورة الصافات : ٧٨ ـ ٧٩ .

(٢) سورة الصافات : ١٠٩ .

(٣) سورة الصافات : ١٢٠ .

(٤) سورة الصافات : ١٣٠ .

(٥) سورة مريم : ٥٠ .

(٦) سقطت (مابين) من ك و ط ، وثبت مكانها واو .

(٧) سقطت (حال) من أ وأثبتناها من ك و ط .

(٨) سقطت (واليهود) من ط .

العلمية والعملية ، كحكمة الهند (١) واليونان ، والعرب من الجاهلية (٢) ، والفرس (٣) وغيرهم ، وجد ماعندهم بعض ماعند أهل الملل ، من الحكمة العلمية والعملية . فيمتنع أن يكون علماء اليونان والهند ونحوهم على حق وهدى ، وعلماء المسلمين واليهود والنصارى على باطل وضلال . وكذلك يمتنع أن تكون تلك الأمة لها علم نافع وعمل صالح ، وأهل الملل ليسوا كذلك .

---

(١) في أ (فحكمة) وقد صوبناها من ك و ط .

(٢) في ك و ط (في) .

(٣) الجاهلية : زمن الفترة و لا أسلام ،وقالوا : الجاهلية الجهلاء : فبالغوا. هذا هو تعريف ابن منظور كما في اللسان ١١ : ١٣٠ مادة (جهل). والجاهلية في نظر الاستاذ : سيد قطب : هي ركام هائل من العقائد والتصورات ، والفلسفات والأساطير ، والأفكار والأوهام ، والشعائر والتقاليد ، والأوضاع والأحوال . يختلط فيها الحق بالباطل ، والصحيح بالزائف ، والدين بالخرافة . والفلسفة بالأسطورة ، ومن ثم يتخبط الضمير البشري ـ تحت هذا الركام الهائل في ظلمات وظنون ، لايستقر منها على يقين . والحياة الانسانية ـ بتأثيرهذا الركام الهائل ـ تتخبط في فساد وانحلال ، وفي ظلم وذل ، وفي شقاء وتعاسة ، لاتليق بالانسان ، بل لاتليق بقطيع من الحيوان ! .

وهذه التصورات والفلسفات والمذاهب الموجودة الآن وخاصة التي يقوم عليها الفكر الغربي والحياة الغربية ـ والتي يتأثر بها جمهور عريض في بلاد المسلمين وغيرهم ـ لم تجيء بخير من هذا الركام . انظر خصائص التصور الاسلامي ومقوماته : ٢٦ ـ ٤٤ للشهيد سيد قطب . ١٩٦٥م دار الشروق بيروت ـ القاهرة . وانظر كتاب أخيه الاستاذ : محمد قطب : جاهلية القرن العشرين . فقد افرد هذه المسألة بالحديث كما هو ظاهر من عنوانه .

ففي الجملة ؛ لايوجد في غير أهل الملل من علم نافع وعمل صالح .. من حكمة علمية وعملية ، الا وذلك في أهل الملل أكمل . ولايوجد في أهل الملل شر ، الا وهو في غيرهم أكثر .

وهؤلاء فلاسفة اليونان ، الذين قد شهروا عند كثير من الناس باسم الحكمة ، وحكمتهم كحكمة سائر الأمم ، نوعان : فطرية (١) وعملية . والعملية في الأخلاق ، وسياسة المنزل ، وسياسة المدائن . وكل من تأمل ماعند اليهود والنصارى بعد النسخ والتبديل ، من سياسة الأخلاق والمنزل والمدائن ، وجده خيراً مما عند أولئك بأضعاف مضاعفة .

فان أولئك عمدة أمرهم ؛ الكلام على قوى النفس الشهوية والغضبية ، وقوة (٢) العلم والعدل ، كأمور (٣) من جنس آداب العقلاء ، ليس عندهم من معرفة الله وملائكته وكتبه ورسله ، ومن عبادته وحده لاشريك له ، شيء له قدر. والذي عندهم من العلوم الطبيعية والحسابية ، ليس مما ينفع بعد الموت الا أن يستعان به على ماينفع بعد الموت . والذي عندهم من العلم الإلهي قليل جداً ، مع مافيه من الخطأ الكثير (٤) .

وكل ماعندهم من علم نافع وعمل صالح ، فهو جزء مما جاءت به الأنبياء - عليهم السلام - فيمتنع أن يكون هؤلاء المسمون بالحكماء وأتباعهم على حق في الاعتقاد ، وصدق في الأقوال ،وخير في الأعمال ، كما هو غاية مطلوبهم. والأنبياء وأتباعهم ، ليسوا كذلك .

---

(١) في ط (نظرية) .

(٢) في ط (قوى) .

(٣) في أ (مأمور) والأصح مافي ك و ط وهو ما أثبتناه .

(٤) في ط (الكبير) .

وأعتبر ذلك بمن يعرف (١) من خاصة هؤلاء وعامتهم ، وخاصة هؤلاء وعامتهم ، وان كان بينهما من التفاوت ما (٢) بين أهل الجنة وأهل النار . فالاعتبار في مثل ذلك ، مما (٣) جاء به التنزيل . قال ـ تعالى ـ : ﴿ءآلله خير أما يشركون﴾ (٤) والمقصود أنه بالاعتبار والقياس العقلي والموازنة يوزن الشيء (٥) بما (٦) يناظره ، ويعتبر به قياس الطرد ، وقياس العكس (٧) .

فيظهر لكل من تدبر ذلك أن أهل الملل أولى بالحق والصدق والخير من غيرهم ، وإن كان لأولئك من الحكمة ما يناسب أحوالهم . وحكماؤهم أفضل من عوامهم (٨) ، وهم خير من الكفار بالرسل الذين ليس فيهم خير أصلا ، وهذا مما استفادوه أتباع الأنبياء منهم ، فيكون هذا من دلائل نبوتهم وأعلام رسالتهم ، استدلالا بالأثر على المؤثر ، وبالمعلول على علته .

---

(١) في ك و ط (تعرف) .

(٢) في ك و ط (كما) .

(٣) في ط (بما) .

(٤) سورة النمل : ٥٩ .

(٥) في ط (توزن) .

(٦) في أ (مما) والأصح ما أثبتناه من ك و ط .

(٧) في ط (تعتبر) .

(٧) القياس : تقدير شيء بشيء آخر ، فالطردي : ما تناسب مقدار المقيس مع المقيس عليه قلة وكثرة ، والعكسي : ما خالف أحدهما الآخر زيادة ونقصا . انظر ابن قدامة وآثاره الأصولية ـ تحقيق كتاب روضة الناصر ، وجنة المناظر ـ ٢ : ١٨ للعلامة الموفق ابن قدامة المقدسي ـ ٥٥٨ هـ ت : د. عبد العزيز السعيد ط ٣ ، مطابع جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣م ، ومجموع فتاوي شيخ الاسلام ٩ : ٨ وما بعدها و ٢٥٩ ، وأصول مذهب الإمام أحمد : ٥٤٩ وما بعدها تأليف د. عبد الله التركي ، ط ٣ ، مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠م .

(٨) في ط (ليس لهم من الحكمة ما لهم) .

وكذلك من تدبر حال المسلمين ، وحال اليهود والنصارى ، تبين له رجحان حال المسلمين ، فيكون هذا من دلائل نبوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وأعلام رسالته .

وقد ذكرنا في غير هذا الموضع أن النبوة تعلم بطرق كثيرة ، وذكرنا طرقا متعددة في معرفة النبي الصادق والمتنبي الكذاب ، غير طريق المعجزات .(١) (٢)

فان الناس كما قويت حاجتهم الى معرفة الشيء ، يسر الله أسبابه ، كما يتيسر ماكانت حاجتهم اليه في أبدانهم أشد . فلما كانت حاجتهم الى النفس والهواء أعظم منها الى الماء ، كان مبذولا لكل أحد في كل وقت . ولما كانت حاجتهم الى الماء أكثر من حاجتهم الى القوت ، كان وجود الماء أكثر .(٣)

وكذلك لما كانت حاجتهم الى معرفة الخالق أعظم ، كانت آياته ودلائل ربوبيته وقدرته وعلمه ومشيئته وحكمته أعظم من غيرها . ولما كانت حاجتهم الى معرفة صدق الرسل ـ بعد ذلك ـ أعظم من حاجتهم الى غير ذلك ، أقام الله ـ سبحانه ـ من دلائل صدقهم ، وشواهد نبوتهم ، وحسن حال من أتبعهم ، وسعادته ونجاته ، وبيان مايحصل له من العلم النافع والعمل الصالح ، وقبح حال من خالفهم ، وشقاوته ، وجهله وظلمه ، مايظهر لمن تدبر ذلك * ... ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور * .(٤) (٥)

وهذا الذي ذكرناه ، من اعتبار الشيء بنظرائه وموافقيه وأشباهه ، واعتباره بأضداده(٦) ومخالفيه ، حتى يعرف في المتشابهين أيهم أكمل(٧)

---

(١) هكذا في ك و ط وفي أ (النبي) والأول أولى واليق .

(٢) انظر الجواب الصحيح (رسالة دكتوراه) ج ١ م ١ : ٢١١ ومابعدها . و ج ١ م ٢ : ٧٠٥ ـ ٧١٠ فقد ذكر الشيخ ـ رحمه الله ـ خمسة أوجه فيما يثبت لأهل الكتاب نبوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأسلوب قوي وفكر عميق ، وانظر الجواب الصحيح (طبع المدني) ٤ : ٢٨٧ ومابعدها الى آخر الكتاب ، فقد تحدث المؤلف عن ذلك حديثا دقيقا وافيا .

(٣) في ك و ط (ييسر) .

(٤) في ك و ط (وجود الماء أكثر لذلك . فلما كانت حاجتهم) .

(٥) سورة النور : ٤٠ .

(٦) في أ زيادة واو عطف لانرى لها محلا ولهذا تركناها كما في ك و ط .

(٧) هكذا في ك و ط وفي أ (أنهم) في هذا الموضع وفي الذي يليه بعد بضع كلمات . ومافي ك و ط أظهر ولهذا أثبتناه .

وأفضل ، وفي المختلفين أيهم أولى بالحق والهدى ، والعدل موجود في سائر الأمور علمها وعملها ، كعلم الطب(١) والحساب والفقه وغير ذلك ، فيمتنع - مع العلم والعدل - أن يقال : جالينوس(٢) كان طبيبا ، وأبقراط(٣) لم يكن طبيبا ، *أو أن يقال تاميطميوس(٤) كان فيلسوفا وأرسطو لم يكن فيلسوفا *(٥)، أو أن يقال : الأخفش(٦) كان نحويا ، وسيبويه لم يكن نحويا ، أو أن يقال

---

(١) في ك و ط زيادة (والنحو) .

(٢) هو رئيس الأطباء في عصره ، وقد ظهر بعد وفاة أبقراط بـ ٦٦٥ سنة ، وهو الثامن من الرؤساء ، ومعلمه أرمنيس الرومي ، واشتهر بالحكمة والفلسفة ، وكانت ولادته سنة ١٣٠ م ، ومات وله ٨٨ سنه طبقات الأطباء : ٤١ - ٥١ لأحمد بن القاسم ابن أبي أصيبعة - ٦٦٨ هـ . دار الفكر ، بيروت ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٦م .والفهرست : ٤٠٢ .

(٣) هو ابن ايراقليس ، من تلاميذ اسقلبيوس الثاني ، كان في أيام بهمن ابن أردشير ، قال يحيى النحوي : بقراط وحيد دهره ، الذي يضرب به المثل ، الطبيب الفيلسوف ، وبلغ به الأمر الى أن عبده الناس . توفى سنة ٣٥٧ ق . م ، وعمره ٩٥ سنه . طبقات الأطباء : ٢٤ ، والفهرست : ٤٠٠ ، وتاريخ الحكماء : ٩٠ .

(٤) من شراح كتب أرسطو ، وكان أفلاطونيا محدثا ولد سنة ٣١٧ م ، وعاش في القسطنطينية ، وأيد الامبراطور (جوليان) في العمل على احياء الوثنية ، وتوفى سنة ٣٨٨م . الملل والنحل ٢ : ١٠٣٣ - ١٠٣٦ . تاريخ الحكماء : ١٠٧ الفهرست : ٣٥٥ .

(٥) مابين النجمتين ليس في ك و لا ط .

(٦) سقطت (يقال) من ك و ط .

زُفَر(١) والحسن بن زياد (٢) ، ومحمد بن الحسن (٣) كانوا فقهاء ، وأبو حنيفة (٤) لم يكن فقيها ، أو أن أشهب (٥) ، وابن القاسم (٦) ، وابن وهب (٧) كانوا فقهاء،

---

(١) زفر : هو ابن الهذيل بن قيس بن سلم العنبري ، ابو الهذيل ، الفقيه المجتهد الرباني ، ولد سنة ١١٠ هـ ، وهو أكبر تلامذة أبي حنيفة ، وثقه ابن معين ، مات سنة ١٥٨ هـ . سير .. النبلاء ٨ : ٣٨ – ٤١ و لسان الميزان ٢ : ٤٧٦ .

(٢) الحسن بن زياد : هو اللؤلؤي ، فقيه العراق ، أبو علي الأنصاري مولاهم ، الكوفي ، كان أحد الأذكياء البارعين في الرأي ، توفي سنة ٢٠٤هـ ضعفه أكثر من واحد من علماء السنة . سير .. النبلاء ٩ : ٥٤٣ – ٥٤٥، وميزان الاعتدال ١ : ٤٩١ .

(٣) بدلا من(محمد بن الحسن) جاء (يوسف بن خالد السمتى) في ك وفي ط (يونس بن خالد السمتى) .

(٣) محمد بن الحسن : هو ابن فرقد الشيباني بالولاء الحنفي ، أبو عبد الله ، فقيه مجتهد محدث ، أصله من (حرستا)بغوطة دمشق ، ولاه الرشيد قضاء الرقة ثم عزله ،وتوفى بالري سنة ١٨٩ هـ ، وكان مولده سنة ١٣٥ هـ . لسان الميزان ٥ : ١٢١ – ١٢٢ ، وشذرات الذهب ١ : ٣٢١ .

(٤) هو النعمان بن ثابت الكوفي ، الامام ، يقال أصله من فارس ، فقيه مشهور مات سنة ١٥٠ هـ وله ٧٠ سنة . تقريب التهذيب ٢ : ٣٠٣ ، ولسان الميزان ٤ : ٢٦٥ ، والأعلام ٨ : ٣٦ .

(٥) هو ابن عبد العزيز بن داود بن ابراهيم القيسي ، أبو عمرو ،الفقيه المصري ، قيل : اسمه (مسكين) و(أشهب) لقب له ، مات سنة ٢٠٤ هـ تهذيب التهذيب ١ : ٣٥٩ ، ووفيات الأعيان ١ : ٢٣٨ – ٢٣٩ .

(٦) هو عبد الرحمن بن القاسم بن خالد العُتَقي ،أبو عبد الله المصري ، الفقيه ، أثنى عليه كثير من الأئمة ووثقوه ، وأنفق أموالا كثيرة في طلب العلم ، وكان زاهدا صبورا مجانبا للسلطان ، مات سنة ١٩١ هـ ، وله ٦٠ سنه . طبقات الحفاظ : ١٥٢ ، وشذرات الذهب ١ : ٣٢٩ .

(٧) ابن وهب : هو الامام أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم ، الفهري مولاهم المصري ، أحد الأعلام ، كان فقيها محدثا عابدا ، وله تصانيف كثيرة ، وصحب مالكا عشرين سنة ، ومات سنة ١٩٧ هـ . ميزان الاعتدال ٢: ٥٢١ – ٥٢٣ ، وشذرات الذهب ١ : ٣٤٧ – ٣٤٨ .

ومالك (١) لم يكن فقيها ، أو أن المزني (٢) والبويطي (٣) وحرملة (٤) ، كانوا فقهاء (٥)، والشافعي (٦) لم يكن فقيها ، وأن أبا داود (٧) وابراهيم الحربي (٨) ،وأبا بكر (٩)

---

(١) مالك هو ابن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي ، أبو عبد الله المدني، الفقيه امام دار الهجرة ، رأس المتقين ،وكبير المثبتين ، من الطبقة السابعة ، مات سنة ١٧٩ هـ،وله ٩٠ سنة . تقريب التهذيب ٢ : ٢٢٣،وسير النبلاء ٨ : ٤٨ – ١٣٥ .

(٢) في أ تقدم ذكر الشافعي وأصحابه على ذكر مالك وأصحابه ، والأولى العكس ، وهو مافي ك و ط ولذلك أثبتناه .

(٣) هو اسماعيل بن يحيى بن اسماعيل بن عمرو ، أبو إبراهيم ، المصري، فقيه زاهد ، ولد سنة ١٧٥ هـ وتوفى سنة ٢٦٤ هـ وله ٨٩ سنة . سير اعلام النبلاء ١٢ : ٤٩٢ – ٤٩٧ وفيات الأعيان ١ : ٢١٧ – ٢١٩ .

(٤) هو : يوسف بن يحيى المصري البويطي أبو يعقوب ، الفقيه ، صاحب الشافعي، كان زاهدا متهجدا ذاكرا ، مات في سجن الخليفة الواثق سنة ٢٣١ هـ . سير .. النبلاء ١٢ : ٥٨ – ٦١ ، وتهذيب التهذيب ١١ : ٤٢٧ – ٤٢٩ .

(٥) هو ابن يحيى بن حرملة بن عمران ، أبو حفص التجيبي المصري ،صاحب الشافعي ، مات سنة ٢٤٣ أو ٢٤٤ هـ تقريب التهذيب ١ : ١٥٨ ، وسير .. النبلاء ١١ : ٣٨٩ – ٣٩١ .

(٥) في ك و ط (الربيع) .

(٦) هو محمد بن ادريس بن العباس ، المطلبي ، أبو عبد الله ، المكي نزيل مصر ، رأس الطبقة التاسعة ، وهو المجدد لأمر الدين على رأس المائتين. مات سنة ٢٠٤ هـ وله ٥٤ سنة . تقريب التهذيب ٢ : ١٤٣ ، ووفيات الأعيان ٤ : ١٦٣ – ١٦٩ .

(٧) في ك و ط (أو) .

(٨) هو سليمان بن الأشعث بن اسحاق بن بشير بن شداد الأزدي السجستاني ، ثقة حافظ مصنف السنن وغيرها ، من كبار العلماء مات سنة ٢٧٥ هـ تقريب ١ : ٣٢١ ووفيات الأعيان ٢ : ٤٠٤ – ٤٠٥ .

(٩) هو ابن اسحاق بن ابراهيم ، أبو اسحاق ، أحد الأئمة الأعلام ولد سنة ١٩٨ هـ وتفقه على الامام أحمد وكان من نجباء أصحابه ، زاهدا حافظا للحديث قيما بالأدب مات سنة ٢٨٥ هـ فوات الوفيات ١ : ١٤ – ١٧. صفة الصفوة ٢ : ٤٠٤ – ٤١٠ لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي – ٥٩٧ هـ ت : محمود فاخوري و د. محمد قلعة جي ، ط ٢ ، دار المعرفة ، بيروت ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩م .

الاشرم (١) كانوا فقهاء ، وأحمد بن حنبل لم يكن فقيها ، أو أن عليا كان امام (٢) عدل ، وأبا (٣) بكر وعمر (٤) يكونوا امامي عدل ، أو أن نور الدين الشهيد (٥) كان عادلا ، وعمر (٦) بن عبد العزيز (٧) لم يكن عادلا ، أو أن كوشيار (٨) كان يعلم الهيئة ، وبطليموس (٩) لم يكن يعرف الهيئة ، أو أن النابغة

---

(١) هو أحمد بن محمد بن هانيء ، الطائي الحافظ الثبت الثقة ، أحد الأئمة المشاهير ، كان من أذكياء الأمة ، مات سنة ٢٦١ هـ . تقريب ١ : ٢٥ ، وشذرات الذهب ٢ : ١٤١ – ١٤٢ .

(٢) في آ تردد بين نصب (امام) وعدمه .

(٣) في ط (أبو) .

(٤) في ك و ط (يكونا) .

(٥) هو محمود بن زنكي عماد الدين أبن أقسنقر التركي ابو القاسم ، الملقب بالملك العادل ، ملك الشام ودبار الجزيرة ومصر وهو أعدل الملوك في زمانه وأجلهم وأفضلهم ، كان من المماليك ، مولده سنة ٥١١ هـ ومات سنة ٥٦٩ هـ في دمشق ، ودفن بمدرسة النورية . الكامل ٩ : ١٢٤ – ١٢٥ ، وسير .. النبلاء ٢٠ : ٥٣١ ، والبداية والنهاية ١٢ : ٢٧٧ – ٢٨٤ .

(٦) هو ابن مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي ، أمير المؤمنين ، أمه : أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، ولي امرة المدينة للوليد ،وولي الخلافة بعد سليمان ، فعد مع الخلفاء الراشدين ، وهو من الطبقة الرابعة ، مات سنة ١٠١ هـ وله ٤٠ سنة . تقريب ٢ : ٦٠ ، ووفيات الأعيان ٦:٣٠١.

(٧) كوشيار : هو ابن لبان الجيلي ، أبو الحسن ، مهندس فلكي ، من العلماء ، ألف عدة كتب منها : مجمل الأصول في أحكام النجوم ، وكتاب الاصطرلاب ، مات سنة ٣٥٠ هـ.الأعلام ٥ : ٢٣٦ .

(٨) بطليموس : هو القلوذي ، مؤلف كتاب المجسطي ، عالم بالرياضة والنجوم ، وهو أول من عمل الاسطر لاب الكرى (المنظار الفلكي) والآلات النجومية والمقاييس والأرصاد ، وقيل : بل هو تلميذ (ابرخس) أو أستاذه ،وقد كان في زمان (آدريانوس) و (انطونينوس) . الفهرست : ٣٧٤ ،وتاريخ الحكماء : ٩٥ ، وتتمة المختصر ١ : ١٢١ .

(٩) في ك و ط زيادة : (أو أن أبا علي بن الهيثم كان يعرف علم الهندسة واقليدس لم يكن يعرف ذلك) .

(٩) علم الهيئة : هو المعروف بعلم الفلك ،وهو علم موضوعه : الأجرام العلوية ، أي الشموس والسيارات والثوابت وتوابعها ، وذوات الأذناب ، وهو قسمان: نظري وعملي . دائرة معارف وجدي ٧ : ٤٨١ .

الجعدي[1] كان شاعرا ، والنابغة الذبياني[2] لم يكن شاعرا ، أو أن يقال : أن القمر مستنير ، والشمس ليست مستنيرة ، أو أن عطارد[3] نجم ثاقب[4] ، وزحل[5] ليس بنجم ثاقب ، أو أن مسلما كان عالما بالحديث ، والبخاري لم يكن كذلك ، أو أن كتابه أصح من كتاب البخاري . ونحو ذلك مما يطول تعداده .

---

(١) هو قيس بن عبد الله – وقيل غير ذلك – ابن عمرو بن عدس بن ربيعة ابن عامر بن معصعة العامري الجعدي ،طال عمره في الجاهلية والاسلام ، وهو أسن من النابغة الذبياني ، عاش ١٨٠ سنة – فيما يقال – وكان يذكر في الجاهلية دين ابراهيم – عليه السلام – ويصوم ويستغفر ، ووفد على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فاسلم ، وعاش الى زمن ابن الزبير ومات بأصبهان ، وكان من أصحاب علي – رضي الله عنهما – أسد الغابة ٤ : ٥١٦ – ٥١٧ ، والاصابة ٣ : ٥٣٧ – ٥٤٠ .

(٢) النابغة الذبياني : هو زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري ، أبو أمامة ، شاعر جاهلي من الطبقة الأولى ،من أهل الحجاز ، وعاش عمرا طويلا ، وله ديوان شعر صغير مطبوع ،ومات نحو سنة ١٨ق .هـ. الأعلام ٣ : ٥٤ – ٥٥ .

(٣) عطارد : هو أقرب السيارات الى الشمس ومتوسط بعده عن الشمس ٣٥ مليون ميل ، وهو يدور بسرعة كبيرة (٣٠) ميلا في الثانية ، ويشاهد الفلكيون على سطحه جبال شامخة ، وأودية عميقة . انظر دائرة معارف وجدي ٧ : ٤٩٦ – ٤٩٧ .

(٤) في ك و ط زيادة : (ثقب ضوء) .

(٥) في ك و ط (والمشتري) .

(٥) زحل : هو أبعد السيارات عن الشمس ، نوره أصفر ثابت ، لكنه ضعيف بسبب المسافة وفلكه واسع جدا ، وهو يدور حول الشمس على بعد ٨٧٣ مليون ميل . انظر المصدر السابق ٧ : ٥٠٨ .

فصـــل

(اشتراطهم لصحـــة النبوة تبشير الانبيـاء بها ،والرد عليهـم)

والنصارى لهم سؤال مشهور بينهم ، وهو أن فيهم(١) من يقول : " محمد لم تبشر به النبوات ، بخلاف المسيح فانه بشرت به النبوات " ،وزعموا أن من لم تبشر به ، فليس بنبي . وهذا السؤال يورد على وجهين : أحدهما : أنه لايكون نبيا حتى تبشر به(٢) . والثاني : أن من بشرت به أفضل أو أكمل ، ممن لم تبشر به(٣) ، أو أن هذا طريق يعرف(٤) به نبوة المسيح ، اختص به . وأنتم قد قلتم :" مامن طريق تثبت به نبوة نبي الا ومحمد تثبت نبوته بمثل تلك الطريق وأفضل " فأما هذا الثاني، فيستحق الجواب ، وأما الأول(٥) نجيبهم عنه ـ أيضا ـ لكن هل تجب(٦) الاجابة عنه ؟ فيه(٧) قولان ، بناء على أصل : وهو أنه : هل من شرط النسخ الاشعار بالمنسوخ ؟ ولنظار المسلمين فيه قولان : أحدهما : أنه لابد اذا شرع حكما يريد أن ينسخه ، فلابد أن يشعر المخاطبين بأنه سينسخه(٨) ، لئلا يظنوا دوامه ، فيكون ذلك تجهيلا لهم . والثاني : لايشترط ذلك .

---

(١) في ك و ط (منهم) .
(٢) في ك و ط (يبشر) .
(٣) سقطت (به) من أ والأصوب اثباتها كما في ك و ط .
(٤) في ك و ط (تعرف) .
(٥) في ك و ط زيادة (فنحن) .
(٦) في ك و ط (يجب) .
(٧) في أ (ففيه) .
(٨) في ك و ط (بأني سأنسخه) .

وأيضا ، فمن بعث بعد موسى (١) ، هل يجب أن يكون مبشرا به ؟ فيه قولان .

وبكل حال ، فلاريب عند علماء المسلمين أن المسيح ـ عليه السلام ـ بشر بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ واذ قال عيسى بن مريم : يابني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد (٢) ﴾ ، وقد قال (٣) ـ تعالى ـ : ﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والأغلال التي كانت عليهم ﴾ (٤) وقال ـ تعالى ـ : ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ﴾ (٥) وقال ـ تعالى ـ : ﴿ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ﴾ (٦) في موضعين من القرآن ، أحدهما في التوحيد (٧) والقرآن ، والآخر في القبلة ، والقرآن ومحمد .

---

(١) في ك و ط زيادة (بشريعة) .
(٢) سورة الصف : ٦ . وفي ك و ط زيادة قوله : (الآية) .
(٣) قوله ـ تعالى ـ (أحمد) يحتمل معنيين : أحدهما : المبالغة في الفاعل ، يعني أنه أكثر حمدا لله من غيره . وثانيهما : المبالغة من المفعول ، يعني ، أنه يحمد بما فيه من الاخلاص والأخلاق الحسنة أكثر مما يحمد غيره . التفسير الكبير ٢٩ : ٣١٤ م ١٥ .
(٣) سقطت (قد) من ك و ط .
(٤) سورة الأعراف : ١٥٧ .
(٥) سورة الفتح : ٢٩ .
(٦) سورة البقرة : ١٤٦ وسورة الأنعام : ٢٠ .
(٧) في ك و ط (أو) .

فقال في الأول : ﴿ قل أي شيء أكبر شهادة ؟ قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحى إلى هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ، أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل : لاأشهد قل : إنما هو إله واحد وانني بريء مما تشركون ﴾ الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا أنفسهم فهم لايؤمنون (١) ﴿ وهذا في سورة الأنعام ، وهي مكية (٢) .

وقال في سورة البقرة-وهي مدنية - : ﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد (٣) الحرام وحيث ماكنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون ﴾ ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ماتبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم ومابعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ماجاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين ﴾ الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ﴾ الحق من ربك فلا تكونن من الممترين (٤) ﴿ وقال - تعالى - :﴾.. وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين (٥) ﴿ وقال - تعالى - (٦) : ﴿ أفغير الله أبتغي حكماً وهو

---

(١) سورة الأنعام : ١٩ - ٢٠ .

(٢) في ط (مدنية) .

(٣) شطر المسجد : وجهة المسجد الحرام وتلقاءه وجانبه . التفسير الكبير ٤ : ١٢٤ م ٢ .

(٤) سورة البقرة : ١٤٤ - ١٤٧ .

(٤) في أ جاء بقوله-تعالى -﴿ ومن حيث خرجت ﴾ الى قوله (فولوا وجوهكم شطره ﴾ وهي الآية رقم ١٥٠ ثم اتبعها بقوله تعالى : ﴿ وان الذين أوتوا الكتاب ﴾ .. الآيات وهي أخر الآيه رقم ١٤٤ والايتان التاليتان لها .

(٤) الممترين : الشاكين ، وجملة : " فلاتكونن من الممترين . عائدة الى أن الذين تقدم ذكرهم علموا صحة نبوته - صلى الله عليه وسلم - وأن بعضهم عاند وكتم ، أو الى أمر القبلة ، أو الى صحة نبوته - صلى الله عليه وسلم - وشرعه ، وهذا هو الأقرب ، لأن أقرب المذكورات اليه قوله - تعالى - : (الحق من ربك) فاذا كان ظاهره يقتضي النبوة وماتشتمل عليه من قرآن ووحي وشريعة . فقوله - تعالى - : ﴿ فلاتكونن من الممترين ﴾ ظهر كونه راجعا اليه . انظر التفسير الكبير ٤ : ١٤٤م٢.

(٥) (٦) سقطت الواو في ط .

الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزلٌ من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين (١) * وقال - تعالى -:* أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني اسرائيل ؟ (٢) * وقال - تعالى -:* .. قل : كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب (٣) * وقال - تعالى - :* وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق .. (٤) *

وقال - تعالى - : * إنَّ الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا * ويخرون للأذقان (٥) يبكون ويزيدهم خشوعا (٦) * وقال - تعالى - : * الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون * وإذا يتلى عليهم قالوا : آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين * أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن (٧) بالحسنة السيئة (٨) ومما رزقناهم ينفقون (٩) * وقال - تعالى - : (١٠) * فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسئل الذين يقر ؤن الكتاب من قبلك .. *

---

(١) سورة الانعام : ١١٤ .

(٢) سورة الشعراء : ١٩٧ .

(٣) سورة الرعد : ٤٣ .

(٤) سورة المائدة : ٨٣ وفي ك و ط زيادة (الآية) .

(٥) هو جمع قلة من (ذقن) وهو من الانسان مجمع لحييه . المصباح : ٢٠٨ .

(٦) سورة الاسراء : ١٠٧ - ١٠٨ .

(٧) أي يدفعون الكلام القبيح كالسب والشتم بالحسنة أي الكلمة الطيبة الجميلة . أو لايقابلون السيء بمثله ولكن يعفون ويصفحون . صفوة التفاسير ٢٠ : ٤٣٩ م ٢ .

(٨) سورة القصص : ٥٢ - ٥٤ .

(٩) ليس في أ ولا ك كلمة التقديس .

(١٠) سورة يونس : ٩٤ وفي ط زيادة " الآية " .

واذا كان كذلك ، فيقال : معلوم باتفاق أهل الملل ، أنه ليس من شرط نبوة كل نبي أن يبشر به من قبله ، إذ النبوة ثابتة بدون ذلك ، ـ لاسيما ـ ونوح وإبراهيم وغيرهما لم يعلم أنه بشر بهما من قبلهما ، وكذا عامة الأنبياء الذين قاموا في بني اسرائيل ، لم تتقدم بهم بشارات (١) ، إذ كانوا لم يبعثوا بشريعة ناسخة ، كداود وأشعيا (٢) وغيرهما .

وانما قد يدعى (٣) هذا فيمن جاء بنسخ (٤) شرع من قبله ، كما جاء المسيح بنسخ بعض أحكام التوراة ، وكذلك محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ . ففي مثل هذا يتنازع المتنازعون من علماء المسلمين وغيرهم : هل يشترط أن يكون قد أخبر بذلك قبل النسخ ؟ على قولين .

---

(١) في ك و ط (يتقدم لهم) .

(٢) هو ابن آموص ، عاش في أواخر القرن الثامن وأوائل القرن السابع قبل الميلاد وبقى الى أن جاوز الثمانين من عمره ، ويعتبره أهل الكتاب نبياً ، ولم يرد ذكره في القرآن الكريم ، وله السفر الثالث والعشرون من أسفار العهد القديم . يقول (استاهلن الجرمني) : انه لايمكن أن يكون الباب الأربعون ومابعده إلى الباب السادس والستين من كتاب أشعيا من تصنيفه " . بمعنى أن ٢٧ سفراً لم يكتبها أشعيا . أنظر إظهار الحق للشيخ رحمة الله بن خليل الله ـ ١٣٠٨ هـ ت : د . أحمد حجازي السقا ٩٨ ، دار التراث العربي ، القاهرة ١٣٩٨ هـ ، وقاموس الكتاب المقدس (عندهم) : ٨١ ـ ٨٥ .

(٣) وسمت في أ هكذا (يدعا) .

(٤) في ك و ط زيادة (بعض) وهي في أ مضروب عليها .

وحينئذ (١) فالمسلمون يقولون : شريعة التوراة والانجيل لم تشرع شرعا مطلقا ، بل مقيدا ، الى أن يأتي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ،وهذا مثل الحكم الموقت بغاية لايعلم متى يكون ، كقوله ـ تعالى ـ : ﴿ ... فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره ... ﴾ (٢) وقوله (٣) ـ تعالى ـ : ﴿ ... فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا ﴾ (٤) ومثل هذا جائز باتفاق أهل الملل .

وهل يسمى هذا نسخا ؟ فيه قولان : قيل : لايسمى نسخا ، كالغاية المعلومة . كقوله ـ تعالى ـ : ﴿ وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام الى الليل ... ﴾ (٥) فان ارتفاع وجوب الصيام بمجيء الليل ، لايسمى نسخا باتفاق الناس .

فقيل إن الغاية المجهولة ، كالمعلومة . وقيل : بل هذا يسمى نسخاً ، ولكن هذا النسخ جائز باتفاق أهل الملل ، اليهود وغيرهم . وعلى هذا ، فثبوت نبوة المسيح ومحمد ـ صلوات الله وسلامه عليهما ـ لاتتوقف على جواز النسخ المتنازع فيه ،فإن ذلك إنما يكون في الحكم المطلق ، والشرائع المتقدمة لم تشرع مطلقا .

وسواء قيل : إن الاشعار بالناسخ واجب ، أو قيل : إنه غير واجب ، فعلى القولين قد أشعر أهل الشرع الأول ، بأنه سينسخ . فإن موسى بشر بالمسيح ، وكذلك غيره من الأنبياء . وموسى والمسيح وغيرهما من الأنبياء بشروا بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإذا كان هذا هو الواقع ، فنبوة المسيح ومحمد ـ صلى الله عليهما (٦) وسلم ـ لاتتوقف على ثبوت النسخ المتنازع فيه .

---

(١) في ك و ط زيادة : (فنقول) .
(٢) سورة البقرة : ١٠٩ .
(٣) في ط (قال) .
(٤) سورة النساء : ١٥ .
(٥) سورة البقرة : ١٨٧ .
(٦) في أ (عليه) .

وحينئذ فنقول : العلم بنبوة محمد ونبوة المسيح ، لاتتوقف على العلم بأن من قبلهما بشربهما ، بل طرق العلم بالنبوة متعددة . فإذا عرفت نبوته بطريق من الطرق ، ثبتت نبوته عند من علم ذلك ، وإن لم يُعلَم أن من قبله بشر به . لكن يقال : إذا كان الواجب أو الواقع أنه لابد من إخبار من قبله بمجيئه ، وأن الإشعار بنسخ شريعة من قبله واجب أو واقع ، صار ذلك شرطا في النبوة ، ومن علم نبوته ، علم أن هذا قد وقع ، وإن لم ينقل اليه .

فاذا قال المعارض : عدم اخبار من قبله به (١) يقدح في نبوته ،وأنه (٢) اذا قدر أنه لم يخبر به من قبله - والاخبار شرط (٣) في النبوة - كان ذلك قدحا . قيل : الجواب هنا من طريقين :

أحدهما : أن يقال : إذا علمت نبوته بما قام عليها من أعلام النبوة : فإما أن يكون تبشير من قبله به لازما لنبوته ، واجباً أو واقعاً ، وإما أن لايكون لازماً .

فان لم يكن لازماً لم يجب وقوعه وإن كان لازما عُلِمَ أنه قد وقع . وإن كان ذلك لم ينقل إلينا ؛ إذ ليس كل ماقالته (٤) الأنبياء المتقدمون علمناه ووصل إلينا . وليس كل ما (٤) أخبر به المسيح ، ومن قبله من الأنبياء وصل إلينا ، وهذا مما يعلم بالاضطرار .

---

(١) في ك و ط زيادة : (قد) .

(٢) في ك و ط (فإنه) .

(٣) في ك و ط (شرطا) بالنصب .

(٤) في أ و ك (كلما) .

ولو قُدِّر أن هذا ليس في الكتب الموجودة ، لم يلزم أن المسيح ومن قبله لم يذكروه ، بل يمكن أنهم ذكروه ومانقل . ويمكن أنه كان في كتب غير هذه (١) . ويمكن أنه كان في نُسخ غير هذه النُّسخ ، فأزيل من بعضها ، ونسخت هذه مما أزيل منه وتكون تلك النسخ التي هو موجود فيها غير هذه ، فكل هذا ممكن في العادة ، لايمكن الجزم بنفيه .

فلو قدر أنه ليس في هذه الكتب الموجودة اليوم بأيدي أهل الكتاب ، لم يقطع بأن الأنبياء لم يبشروا به . فإذا لم يمكن لليهود أن يقطعوا بأن المسيح لم يبشر به الأنبياء ، ولايمكن أهل الكتاب أن يقطعوا بأن محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يبشر (٢) به الأنبياء ، لم يكن معهم علم بعدم ذلك ، بل غاية مايكون عند أحدهم ظن ، لكونه طلب ذلك ، فلم يجده .

ودلائل نبوة المسيح ومحمد قطعية يقينية ، لايمكن القدح فيها بظن ، فان الظن لايدفع اليقين ، لاسيما مع الآثار الكثيرة المخبرة بأن محمداً كان مكتوباً باسمه الصريح فيما هو منقول عن الأنبياء ، كما في صحيح البخاري : أنه قيل لعبد الله بن عمرو (٣) : " أخبرنا ببعض صفة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في التوراة ، فقال : إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن : " يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وحرزاً للأميين ، أنت عبدي ورسولي ، سميتك المتوكل ، لست بفظ ولا غليظ ولاصخاب بالأسواق ، ولاتجزي بالسيئة السيئة ، ولكن تجزي بالسيئة الحسنة ، وتعفو

---

(١) في ط زيادة : (الكتب) .

(٢) في ك و ط : (تبشر) .

(٣) هو ابن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سعد بن سهم السهمي ، أبو محمد ، أحد السابقين المكثرين من الصحابة ، وأحد العبادلة الفقهاء ، مات سنة الحرة ٦٢ هـ بالطائف . تقريب ١ : ٤٣٦ ، وسير النبلاء ٣ : ٨١ ـ ٩٤ .

وتغفر (١) ، ولن أقبضه حتى أقيم به الملة الموجاء (٢) ، فأفتح به أعينا عميا ، وآذانا صما . وقلوباً غلفا ،بأن يقولوا : لاإله إلا الله (٣) " .

ولفظ التوراة والانجيل والقرآن والزبور : قد يراد به الكتب المعينة ، ويراد به الجنس ، فيعبر بلفظ القرآن عن الزبور وغيره ، كما في الحديث الصحيح عن النبي-صلى الله عليه وسلم-: " خفف على داود القرآن ، فكان مابين أن تسرج (٤) دابته الى أن يركبها يقرأ القرآن (٥) " والمراد به قرآنه : وهو الزبور ، ليس المراد به القرآن الذي لم ينزل الا على محمد .

وكذلك ماجاء في صفة أمة محمد (٦) " أنا جيلهم في صدورهم (٧) " فسمى الكتب الذي (٨) يقرؤونها - وهي القرآن - أناجيل . وكذلك في التوراة " اني

---

(١) في أ (أو تغفر) والأولى ما أثبتناه من ك و ط .

(٢) في ك (العرجاء) .

(٣) أورده الشيخ هنا بشيء من اختلاف اللفظ وهو في صحيح البخاري ، كتاب البيوع ، باب كراهية السخب في الأسواق ٤ : ٣٤٢ - ٣٤٣ (٢١٢٥) وفي كتاب التفسير ، سورة الفتح ، باب"إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا" ٨ : ٥٨٥ (٤٨٣٨) من فتح الباري .

(٤) في ك و ط (يسرج) .

(٥) رواه البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قوله - تعالى - : "... وآتينا داود زبورا " ٦ : ٤٥٣ (٣٤١٧) من فتح الباري بلفظ : خفف على داود - عليه السلام - القرآن ،فكان يأمر بدوابه فتسرج ، فيقرأ القرآن قبل أن تسرج دوابه ، ولايأكل الا من عمل يده " .
ورواه الإمام أحمد ٢ : ٣١٤ .

(٦) أمة محمد : هم أتباع ملة محمد - صلى الله عليه وسلم - وشريعته ومنهاجه وسنته . انظر الملل والنحل ١ : ٣٠٨ .

(٧) يبدو لي أن هذا النص هو من العهد الجديد . حسب الترجمة السائدة في أيام شيخ الاسلام ، وقد بحثت عن هذه الجملة القصيرة المجتزأة فلم أعثر عليها .

(٨) في ط (التي) .

سأقيم لبني اسرائيل نبياً من اخوتهم أنزل عليه توراة مثل توراة موسى "(١) فسمى الكتاب الثاني توراة .

فقوله : " أخبرني بصفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة "(٢) قد يراد بها نفس الكتب المتقدمة كلها ، وكلها تسمى توراة ، ويكون هذا في بعضها .

وقد يراد به التوراة المعينة ، وعلى هذا فيكون هذا في نسخة لم ينسخ منها هذه النسخ(٣) ، فان النسخ الموجودة بالتوراة التي وقفنا عليها ، ليس فيها هذا(٤) .

لكن هذا عندهم في نبوة أشعيا قال فيها : " عبدي الذي سرت به نفسي أنزل عليه وحيي ، فيظهر في الأمم عدلي ، ويوصيهم بالوصايا ، لايضحك ، ولايسمع صوته في الأسواق ، يفتح العيون العور ، ويطلق الصم ، ويحيى القلوب الغلف ، وما أعطيه لاأعطي أحدا ، يحمد الله حمدا جديدا ، يأتي من أقصى الأرض ، وتفرح البرية وسكانها ، يهللون الله على كل شرف ، ويكبرونه على كل رابية ، لايضعف ولايغلب ، ولايميل الى الهوى ، مشقح(٥) ، ولايذل الصالحين الذين هم كالقصبة الضعيفة ، بل يقوى الصديقين ، وهو ركن المتواضعين ، وهو نور الله الذي لايطفى . أثر سلطانه على كتفيه "(٦) .

---

(١) سفر التثنية ، الاصحاح ١٨ ، العهد القديم : ٢٤٢ الكتاب المقدس (عندهم) أي كتب العهدين القديم والجديد . مترجم من اللغات الأصلية : وهى العبرية والكلدانية واليونانية ، دار الكتاب المقدس (عندهم) في الشرق الأوسط بمصر ، ونصه في الترجمة الحالية : " يقيم لك الرب الهك نبيا من وسط اخوتك مثلي ،له تسمعون".

(٢) هو في الأثر عن ابن عمرو المذكور آنفا .

(٣) في ك و ط (تنسخ) .

(٤) هذا تصريح من الشيخ المؤلف بأنه قد أطلع بصفة شاملة على كل ماهو موجود في وقته من الكتب السابقة ـ حسب ما أمكنه .

(٥) في أ بياض بمقدار كلمة وقد كتب أولها (م) وهي في ك و ط " مشقح" و أظن ، أنها مقحمة ، وربما يكون من شقحت البسرة : إذا تغيرت إلى الحمرة ، ومن اشقح النخل : إذا أزهى . اللسان ٢ : ٤٩٩ مادة : شقح .

(٦) انظر سفر أشعيا ،الاصحاح ٣٥ ،فقرة ١ ـ ١٠ العهد القديم :٨١٥ والاصحاح التاسع فقرة ٦ العهد القديم : ٧٩٠ . والاصحاح الثاني والأربعين فقرة ١ ـ ٩.

وهذه صفات منطبقة على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأمته ، وهي من أجل بشارات الأنبياء المتقدمين به .

ولفظ التوراة ، قد عرف أنه يراد به جنس الكتب التي يُقِرُّ بها أهل الكتاب ، فيدخل في ذلك الزبور ، ونبوة أشعيا ، وسائر النبوات غير الإنجيل.

فإن كان المراد بلفظ التوراة والإنجيل في القرآن هذا المعنى ، فلاريب أن ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة (١) كثير متعدد (٢) .

الطريق الثاني من الجواب : أن نبين أن الأنبياء قبله ، بشروا به . وهذا هو دليل مستقل على نبوته ، وعَلَم عظيم من أعلام رسالته . وهذا ـ أيضا ـ يدل على نبوة ذلك النبي إذ أخبر بأنباء من الغيب ، مع دعوى النبوة ، ويدل على نبوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لإخبار من تثبت نبوته بتثبت نبوته . هذا إذا وجد الخبر ممن لانعلم نحن نبوته (٣) ، ولم يذكر في كتابنا.

وأما من ثبتت نبوته بطرق أخرى ، كموسى والمسيح ، فهذا مما تظاهر فيه الأدلة على المدلول الواحد ، وهو ـ أيضا ـ يتضمن أن كل ما ثبتت به نبوة غيره ، فإنه تثبت به نبوته . وهو جواب ثانٍ لمن يجعل ذلك شرطاً لازماً لنبوته .

---

(١) في ك و ط زيادة : (بهذا الاعتبار) .

(٢) في ك و ط زيادة : (ظاهر كما سنبين بعضه وحينئذ فتكون التوراة في قوله : (...يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل ...) سورة الأعراف : ١٥٧ متناولة لجنس الكتب التي يُقِرُّ بها أهل الكتاب ، ولفظ الإنجيل يختص بما عند النصارى ، ولهذا لم يذكر كونه في الزبور ، مع أنه مذكور فيه إذ كان مندرجا في لفظ التوراة) .

(٣) في ك و ط (ثبوته) بالتاء المثلثة في أوله .

فصـــل

(طرق العلم ببشـــارة الأنبيـاء بمحمـــــد ـ عليهم الصلاة والسلام ـ)

ثم العلم بأن الأنبياء قبله ، بشروا به يعلم من وجوه : أحدها : مافي الكتب الموجودة اليوم بأيدي أهل الكتاب من ذِكْره . الثاني : اخبار من وقف على تلك الكتب وغيرها من كتب أهل الكتاب ممن أسلم وممن لم يسلم ـ بما وجدوه من ذكره فيها (١) . وهذا مثل ماتواتر (٢) عن الأنصار أن جيرانهم من أهل الكتاب كانوا يخبرون (٣) بمبعثه ، وأنه رسول الله ، وأنه موجود عندهم ، وكان هذا من أعظم مادعا الأنصار إلى الايمان به لما دعاهم إلى الاسلام ، حتى آمن الأنصار به وبايعوه ، من غير رهبة ولارغبة .

ولهذا قيل : إن المدينة فتحت بالقرآن ، لم تفتح بالسيف كما فتح غيرها (٤) .

---

(١) في ك و ط (بها) .

(٢) رسمت في أ و ك هكذا : (مثلما) .

(٣) في ك و ط زيادة : (وكانوا ينتظرونه) .

(٤) في ك وط زيادة " وقد أخبر الله بذلك عن أهل الكتاب في القرآن قال ـ تعالى ـ : ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب ، وقفينا من بعده بالرسل ، وآتينا عيسى بن مريم البينات ، وأيدناه بروح القدس ، أفكلما جاءكم رسول بمالاتهوى أنفسكم استكبرتم ، ففريقا كذبتم ، وفريقا تقتلون ﴾ وقالوا : قلوبنا غلف . بل لعنهم الله بكفرهم ، فقليلا مايؤمنون ﴿ ولما جاءهم كتاب من عند الله ، مصدق لما معهم ، وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، فلما جاءهم ماعرفوا ، كفروا به ، فلعنة الله على الكافرين ﴿ بئسما اشتروا به أنفسهم ، أن يكفروا بما أنزل الله ، بغيا أن ينزل الله من فضله ، على من يشاء من عباده ، فباؤا بغضب على غضب ، وللكافرين عذاب مهين ﴾ . البقرة ٨٧ ، ٩٠ .

ومثل ماتواتر عن اخبار النصارى بوجوده في كتبهم ، مثل اخبار هرقل(١) ملك الروم ، والمقوقس(٢) ملك مصر ، صاحب الاسكندرية(٣) ، والنجاشي ملك الحبشة ، والذين جاءوه بمكة(٤) ، وقد ذكر الله ذلك(٥) في القرآن في قوله عن اليهود * ... وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به ...)(٦) .

---

(١) هرقل هو إبن ابو سطنيوس ، وكان مدة ملكه ٢٥ سنة ، وقيل ٣١ سنة ، وفي أيامه كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومنه ملك المسلمون الشام مات سنة ٢٠ هـ وقد مَلَك بعده ابنه أو ابن أخيه قسطنطين . مروج الذهب ١ : ٣٢٨ ، والكامل ١ : ١٩٢ ، والبداية والنهاية ٧ : ٩٧ .

(٢) هو جريج بن مينا القبطي . البداية والنهاية ٤ : ٢٧٢ .

(٣) المشهورة بهذا الاسم هي الاسكندرية العظمى في بلاد مصر ، ولقد بنى الاسكندر ١٣ مدينة سماها كلها باسمه ثم تغيرت أساميها بعده . مراصد ١ : ٧٦.

(٤) انظر الخبر عن النفر العشرين ، من نصارى نجران ، الذين قدموا مكة قبل الهجرة فأسلموا . في دلائل النبوة ٢ : ٣٠٦ للحافظ أحمد بن الحسين البيهقي ـ ٤٥٨ هـ . توثيق د . عبد المعطي قلعجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥م .

(٥) في ك و ط زيادة (عنهم) .

(٦) سورة البقرة : ٨٩ .

وقال – عن النصارى – ﴿ وإذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ، ترى أعينهم تفيض من الدمع ، مما عرفوا من الحق ، يقولون : ربنا آمنا ، فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ (١) وقوله : ﴿ الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون ﴾ وإذا يتلى عليهم قالوا : آمنا به إنه الحق من ربنا ... ﴾ (٢) .

وقال ابن اسحق (٣) : حدثني محمد بن أبي محمد (٤) ، عن عكرمة (٥) ، أو عن سعيد بن جبير (٦) ، عن ابن عباس (٧) : أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج (٨) برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه ، فلما بعثه الله من

---

(١) سورة المائدة : ٨٣ .

(٢) سورة القصص : ٥٢ – ٥٣ .

(٣) هو : محمد بن اسحاق بن يسار ، أبو بكر المطّلبي ، امام المغازي ، صدوق يدلس ، مات سنة ١٥٠ هـ تقريب ٢ : ١٤٤ ، وسير .. النبلاء ٧ : ٣٣ – ٥٥ .

(٤) محمد بن أبي محمد هو : الأنصاري مولى زيد بن ثابت ، مدني ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال الذهبي : لايعرف،تهذيب التهذيب ٩ : ٤٣٣ .

(٥) عكرمة هو ابن عبد الله ، مولى ابن عباس ، أصله بربري ، ثقة ثبت ، عالم بالتفسير ، لم يثبت تكذيبه عن ابن عمر ، ولايثبت عنه بدعة ، مات سنة ١٠٧ هـ وقيل بعد ذلك . تقريب ٢ : ٣٠ .

(٦) سعيد بن جبير : هو الأسدي مولاهم ، الكوفي : ثقة ثبت فقيه ، قتل بين يدي الحجاج سنة ٩٥ هـ ، ولم يكمل الخمسين . تقريب ١ : ٢٩٢ ،وسير .. النبلاء ٤ : ٣٤٢ .

(٧) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ،ابن عم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفهم في القرآن فكان يسمى البحر والحبر لسعة علمه ، وهو أحد المكثرين من الصحابة مات سنة ٦٨ هـ بالطائف . تقريب ١ : ٤٢٥ ، وأسد الغابة ٣ : ١٨٦– ١٩٠

(٨) الاستفتاح : الاستنصار . ترتيب القاموس ٣ : ٤٤٣ .

(٩) الأوس والخزرج هما ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن مُزَيْقيا بن عامر– ماء السماء – ابن حارثة بن الغطْريف بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن ابن الأزدبن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب ابن يعرب بن قحطان . جمهرة أنساب العرب : ٣٢٢ و ٣٢٩ – ٣٣٠ .

العرب ، كفروا به ، وجحدوا ماكانوا يقولون فيه (١) . فقال معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور (٢) ، وداود بن سلمة (٣) ، يامعشر يهود ، اتقوا الله ، وأسلموا ، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد - صلى الله عليه وسلم - ونحن أهل شرك ، وتخبروننا بأنه مبعوث ، وتصفونه بصفته " . فقال سَلّام بن مِشْكَم (٤) ، أخو بني النضير (٥) : ماجاءنا شيء نعرفه ، وماهو بالذي كنا نذكر لكم " . فأنزل الله - تعالى - : ﴿ .. فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ﴾ (٦) .

---

(١) معاذ بن جبل : هو ابن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي ، أبو عبدالرحمن ، من أعيان الصحابة ، شهد بدرا ومابعدها كان اليه المنتهى في العلم بالأحكام والقرآن ، مات بالشام سنة ١٨ هـ وهو مشهور . تقريب ٢ : ٢٥٥ ، وأسد الغابة ٤ : ٤١٨ - ٤٢١ .

(٢) بشر بن البراء بن معرور : هو ابن صخر بن خنساء بن سنان الأنصاري الخزرجي ، من بني سلمة ، شهد العقبة وبدرا وأحدا ، ومات بخيبر سنة ٧ هـ وذلك بسبب أكله من الشاة المسمومة التي أكل منها مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .أنظر أسد الغابة ١ : ٢١٨ ، وطبقات ابن سعد ٢ : ٢٠٢ و ٣ : ٦١٨ . والمسماة الطبقات الكبرى ، لأبي عبد الله محمد ابن منيع البصري الزهري - ٢٣٠ هـ دار بيروت ودار صادر ، بيروت ١٣٨٠هـ = ١٩٦٠م .

(٣) داود بن سلمة : هو الانصاري ، قال ابن حجر : له ذكر ، ثم أورد هذا الأثر من رواية ابن أبي حاتم في التفسير ثم عقب بقوله : كذا رأيته في نسخة . ووقع في نسخة أخرى : " فقال لهم معاذ وبشر بن البراء أخو بني سلمة " كذا ذكره الطبري من هذا الوجه ، فلعل الأول تصحيف . الاصابة ١ :٤٧٣ .

(٤) هو سيد بني النضير في زمانه ، وصاحب كنزهم ، وهو الذي نهى بني قومه عن نية القاء الحجر على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : " هو يعلم " . وهو زوج زينب بنت الحارث ، التي أطعمت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الشاة المسمومة في خيبر ، وقد تزوج أم المؤمنين صفية بنت حيي فمات عنها ، ومعنى ذلك أن سلّام قد مات قبل عام خيبر .انظر السيرة لابن هشام ٣ : ٤٧ . والكامل ٢ : ٩٩ و ١١٩ و ١٥٠و ٢١٠ .

=

وقال أبو العالية(١) وغيره : " كانوا - يعنى اليهود - إذا استنصروا بمحمد على مشركي العرب(٢) يقولون : " اللهم ابعث هذا النبي الذي نجده مكتوبا عندنا ، حتى نعذب المشركين ونقتلهم(٣) " فلما بعث الله محمدا - صلى الله عليه وسلم - ورأوا أنه من غيرهم ، كفروا به حسدا للعرب وهم يعلمون : أنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأنزل الله هذه الآيات(٤) * ... فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به(٥) ... * .

= (٥) هم قبيلة كبيرة من اليهود ، كان رئيسهم حيي بن أخطب ، وكانت منازلهم ونخلهم بناحية المدينة ، غزاهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وحاصرهم - بعد نقضهم العهد - وأجلاهم إلى الشام على أن لهم ما حملت الابل ، وفيهم نزلت سورة الحشر . انظر فتح الباري ٧ : ٣٣٠ - ٣٣٣ .

(٦) سورة البقرة : ٨٩ .

(٦) السيرة لابن هشام ٢ : ١٩٦ ، ورجال إسناد هذا الأثر ثقات سوى محمد بن أبي محمد ، وقد ذكره ابن حبان في الثقات .

(١) أبو العالية : هو رُفَيْع بن مِهران الرياحي البصري ، وهو ثقة ، فأما قول الشافعي : " حديث أبي العالية الرياحي رياح " فإنما أراد به حديثه الذي أرسله في القهقهة فقط . ومذهب الشافعي : أن المراسيل ليست بحجة ، فأما إذا أسند أبو العالية فحجة وهو امام مقرئ حافظ مفسر ، أدرك زمان النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو شاب وأسلم في خلافة أبي بكر الصديق ودخل عليه . وحفظ القرآن وقرأه على أبيّ بن كعب وذاع صيته مات سنة ٩٣ هـ سير .. النبلاء ٤ : ٢٠٧ . تقريب ١ : ٢٥٢

(٢) مشركوا العرب : أولهم عمرو بن لحي من قَمَعة بن خِندق الخزاعي ، فهو أول من غير دين اسماعيل - عليه السلام - فنصب الأوثان ، وبَحَر البحيرة وسيب السائبة ووصل الوصيلة وحمى الحامي . وكانت كنانة وقريش إذا أهلوا قالوا : ... لاشريك لك الا شريكا هو لك .. " وكان لكل قبيلة صنما ، واتخذ أهل كل دار في دارهم صنما يعبدونه ، وكانت العرب قد اتخذت مع الكعبة طواغيت : وهي بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة ، لها سدنه وحجاب ، ويهدى لها ويطاف وينحر . انظر السيرة لابن هشام ١ : ٧٨ - ٨٥ .

(٣) في ك و ط (يعذب المشركين ويقتلهم) بالياء في الموضعين .

(٤) الجملة الدعائية ليست في أ . (٥) سورة البقرة : ٨٩ .

(٥) الأثر أخرجه ابن جرير في تفسيره : جامع البيان ٢ : ٣٣٤ (١٥٢٦) ت : محمود محمد شاكر ، دار المعارف بمصر ، ونقله ابن كثير في تفسيره : تفسير القرآن العظيم ١ : ١٧٨ .

وروى ابن اسحق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري ، ثم الظفَـرِي (١) ، عن رجال من قومه قالوا : " ومما دعانا إلى الاسلام ـ مع رحمة الله وهداه ـ أنا كنا نسمع من رجال يهود ، كنا أهل شرك أصحاب أوثان ،وكانوا أهل الكتاب ، عندهم علم ليس عندنا ، وكانت لاتزال بيننا وبينهم شرور ،فإذا نلنا منهم بعض مايكرهون قالوا لنا : " قد تقارب زمان نبي يبعث الآن ، نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وارم (٢) ، فكنا كثيرا ما نسمع ذلك منهم (٣) . فلما بعث الله رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ رسولا من عند الله ، أجبنا حين دعانا إلى الله ، وعرفنا ماكانوا يتوعدوننا به ، فبادرناهم اليه ، فآمنا به وكفروا به ، ففينا وفيهم نزلت هؤلاء الآيات (٤) التي في البقرة: * ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين (٥) *

---

(١) في ك و ط (الطفري) .

(١) هو أبو عمر ، المدني ، أحد العلماء ، كان عارفا بالمغازي ، يعتمد عليه ابن اسحاق كثيرا ، وكان جده من فضلاء الصحابة ، مات سنة ١٢٠ هـ سير أعلام النبلاء ٥ : ٢٤٠ ـ ٢٤١ ، وتقريب ١ : ٣٨٥ .

(٢) ارم : هم عاد الأولى ، وهم أولاد عاد بن ارم بن عموص بن سام بن نوح ورسولهم : هو هود ـ عليه السلام ـ وقال مجاهد : ارم : أمة قديمة ـ يعني عادا الأول ـ كما قال قتادة والسري : ان ارم بيت مملكة عاد. قال ابن كثير : وهذا قول حسن جيد قوي . تفسير القرآن العظيم ٨ : ٤١٦ ـ ٤١٧ .

(٣) هكذا في ك و ط ، وفي أ (مما) والأول أصح ، وهو ما أثبتناه .

(٤) هكذا في ط ، وفي أ و ك (نزل) والأصوب مافي ط ولهذا اعتمدناه .

(٥) سورة البقرة : ٨٩ .

(٥) الأثر بمعناه في السيرة لابن هشام ٢ :١٩٠ . وأخرجه ابن جرير في جامع البيان ٢ : ٣٣٢ ـ ٣٣ (١٥١٩) ت : محمود شاكر . وقال : هذا له حكم الحديث المرفوع .. ورجحنا اتصاله " .

قال ابن اسحاق (١) : " وحدثنا صالح بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، حدثنا يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة الأنصاري (٢) ، قال: حدثني من شئت من رجال قومي ، عن حسان بن ثابت الأنصاري (٣) قال : " والله أني لغلام يفعة (٤) ، ابن سبع سنين أو ثمان سنين ، أعقل كل ماسمعت إذ سمعت يهوديا يقول على أُطُم (٥) يثرب (٦) ، يصرخ : " يامعشر اليهود " فلما اجتمعوا عليه قالوا : " مالك ويلك ؟ " قال : " طلع نجم أحمد الذي يبعث الليلة (٧)".

---

(١) هو الزهري ، أبو عبد الرحمن ، المدني ، ثقة ، من الطبقة الخامسة ، مات قبل سنة ١٢٧ هـ ، في ولاية ابراهيم بن هشام . تقريب ١ : ٣٥٨ ، و الكاشف ٢ : ١٨ .

(٢) هو الأنصاري البخاري المدني ،ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال البجلي : تابعي ثقة . تهذيب التهذيب ١١ : ٢٤١ .

(٣) هو ابن المنذر بن حرام الخزرجي ، ابو عبد الرحمن ، أو أبو الوليد : شاعر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مشهور ، مات سنة ٥٤ هـ وله ١٢٠ سنة . تقريب ١ : ١٦١ ، وسير ٠٠ النبلاء ٢ : ٥١٢ ـ ٥٢٣ .

(٤) في ط (يفقه) .

(٤) من اليَفَاع : وهو ما أرتفع من الأرض مثل (سلام) وأيفع الغلام : شب . المصباح : ٦٨١ .

(٥) الأُطُم : القصر ، وكل حصن مبني بحجارة ، وكل بيت مربع مسطح . وجمعه : آطام وأطوم . ترتيب القاموس ١ : ١٥٧ .

(٦) مدينة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ سميت بأول من سكنها وهو : يثرب ابن قانية ، من ولد سام بن نوح . وقيل : إن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كره هذا فسماها طيبة وطابة . ويروى عن ابن عباس : من قال للمدينة يثرب فليستغفر الله ثلاثا ، إنما هي طيبة . معجم البلدان ٥ : ٤٣٠ .

(٧) السيرة لابن هشام ١ : ١٦٨ ، وإسناد هذا الأثر فيه مجهولون .

وروى أبو زرعة[١] ، بإسناد صحيح ، عن أسامة بن زيد ، عن أبيه زيد ابن حارثة[٢] ، قال : " خرج[٣] رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مُرْدِفِيّ . ثم أقبل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في يوم حار من أيام مكة ، حتى إذا كنا بأعلى الوادي ، لقيه زيد بن عمرو بن نفيل[٤] فقال له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " يا ابن عمرو . مالي أرى قومك قد شنفوك[٥] ؟ " . قال : " أما والله ، إن ذلك لغير ثائرة[٦] كانت مني فيهم ، ولكن أراهم على ضلال .

---

(١) هو عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فَرّوخ ، القرشي المخزومي . الرازي ، امام حافظ ثقة مشهور ، أحد الأئمة الأعلام وحفاظ الاسلام ، قال اسحاق بن راهويه : كل حديث لايعرفه ابو زرعة الرازي ليس له أصل مات بالري آخر سنة ٢٦٤ هـ تقريب ١ : ٥٣٦ ، وطبقات الحفاظ : ٢٥٣ ـ ٢٥٤ .

(١) أخبرني شيخي أ. د. محمد مصطفى الأعظمي : أن مسند أبي زرعة لايزال في عالم المخطوطات .

(٢) هو ابن شراحيل الكلبي . أبو أسامة ، مولى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ صحابي جليل مشهور ، من أول الناس اسلاما ، استشهد يوم مؤتة في حياة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ سنة ٨ هـ وله ٥٥ سنة . تقريب ١ : ٢٧٣ ، وسير أعلام النبلاء ٢ : ٤٩٦ ـ ٥٠٧ .

(٣) في ك و ط زيادة : (علينا) .

(٤) هو ابن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط القرشي العدوي ، والد سعيد بن زيد ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وابن عم عمر بن الخطاب ، كان موحدا في الجاهلية ، وتوفي قبل مبعث النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ . أسد الغابة ٢ : ١٤٣ ـ ١٤٤ .

(٥) الشَّنَف : النظر إلى الشيء كالمعترض عليه أو كالمتعجب منه ، أو كالكاره له . وشَنِف له ـ كفرح ـ : أبغضه وتنكره فهو شَنِف . وفَطِن . والشانف : المعرض . ترتيب القاموس ٢ : ٧٦٤ .

(٦) في ط (مأثرة) وهو تحريف .

(٦) الثائرة : طلب الثأر والدم . انظر ترتيب القاموس ١ : ٣٩٤ .

فخرجت أبتغي هذا الدين ، فأتيت إلى أحبار[(١)] يثرب ، فوجدتهم يعبدون الله ويشركون به ، فقلت : ماهذا بالدين الذي أبتغي . فخرجت حتى آتي أحبار خيبر ، فوجدتهم يعبدون الله ويشركون به ، فقلت : ماهذا بالدين الذي أبتغي . فقال لي حبر من أحبار الشام : " إنك لتسأل عن دين ما نعلم أحدا يعبد الله به الا شيخ بالجزيرة[(٢)] " . فخرجت ، فقدمت عليه فأخبرته بالذي خرجت له ، فقال : " إن كل من رأيت في ضلالة ، فمن[(٣)] أنت ؟ قلت[(٤)] : أنا من أهل بيت الله[(٥)] ، ومن أهل الشوك والقَرْظ[(٦)] ".

فقال : " إنه قد خرج في بلدك نبي ، أو خارج قد خرج نجمه ، فارجع فصدقه واتبعه وآمن به " فرجعت فلم أحس شيئا بعد ، قال : " فأناخ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعيره فقدمنا[(٧)] اليه السفرة[(٨)] ". قال زيد : " ما آكل شيئا ذبح على غير اسم الله " فتفرقنا ، فجاء رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فطاف بالبيت . قال زيد[(٩)] : وأنا معه ، وكان صنمان من نحاس

---

(١) جمع حَبْر وهو العالم أو الصالح ، ويجمع على حبور ـ أيضا ـ . ترتيب القاموس ١ : ٥٧٣ .

(٢) وتسمى " جزيرة أقُور " وهي التي بين دجلة والفرات ، مجاورة الشام ، تشتمل على ديار مضر وديار بكر ، سميت الجزيرة : لأنها بين دجلة والفرات . معجم البلدان ٢ : ١٣٤ .

(٣) في ك وط (ممن) .

(٤) في ك و ط زيادة : (قال) .

(٥) هو الذي بمكة ـ حرسها الله ـ وهو البيت الحرام . وهو الكعبة زادها الله شرفا " . مراصد ١ : ٢٣٧ و ٣ : ١١٦٨ .

(٦) القرظ هو استخراج الماء من الآبار . انظر ترتيب القاموس ٣ : ٥٩٣ .

(٧) في ط (قدمنا) .

(٨) السُّفْرة : طعام يصنع للمسافر . وسميت الجِلْدة التي يوعى فيها الطعام سفرة مجازا . المصباح : ٢٧٩ .

(٩) هو الراوي : زيد بن حارثة ـ رضي الله عنه ـ .

يقال لهما (أساف) و (نائلة)[١] مستقبل الكعبة ، يتمسح بهما الناس إذا طافوا ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ـ : (لاتمسهما ولا تمسَّح بهما[٢] " . قال زيد : فقلت في نفسي ، وقد طفنا ، لأمسنهما حتى أنظر مايقول ، فمسستهما فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : "ألم تُنْهه ؟" فلا والذي أكرمه ، مامسستهما حتى أنزل الله عليه الكتاب . ومات زيد بن عمرو ابن نفيل قبل الأسلام . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إنه يبعث أمة وحده[٣] " . وروى البخاري حديث خروج زيد بن عمرو قريبا من هذا اللفظ .

وقال ابن اسحاق : حدثنا صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، عن محمود بن لبيد[٤] عن سلمة بن سلامة بن وقش[٥] ، قال " كان بين أبياتنا يهودي[٦] ، فخرج على نادي قومه[٧] بني عبد الأشهل ذات غداة ، فذكر البعث والقيامة ، والجنة والنار ، والحساب والميزان ، فقال ذلك لأصحاب وثن ، لايرون أن بعثا كائن بعد موت ، وذلك قبل مبعث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالوا : " ويحك يافلان[٨] أو ويلك وهذا كائن ؟ أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار يجزون من أعمالهم ؟ قال : نعم والذي يحلف به ، لوددت أن حظي من تلك النار ، أن توقدوا[٩] أعظم تنورفي داركم ،

---

(١) هما رجل وامرأة من جُرْهُم ، لم يمهلهما الله ـ تعالى ـ حتى يَفْجرا في الكعبة ، ولكنه قَبَّلها ، فمسخا حجرين ، فأخرجا إلى الصفا والمروة ، فنصبا عليهما ، ليكونا عبرة وعظة ، فلما كان عمرو بن لحي : نقلهما إلى الكعبة ، ونصبهما على زمزم ، فطاف الناس بالكعبة وبهما حتى عبدا من دون الله ـ تعالى ـ ،وإساف هو ابن بغي ،ونائلة هي بنت دبك . انظر الروض الأنف ١ : ١٠٥ لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي ـ ٥٨١ هـ بتعليق : طه عبد الرؤف سعد ، دار المعرفة ، بيروت ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨م .

(٢) في ك و ط (لأمسهما) .

=

.....

= (٣) وهو عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ : أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل (بَلْدَح) قبل أن ينزل على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الوحي فَقُدِّمت إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ سُفْرة فأبى أن يأكل منها ، ثم قال زيد : إني لست آكل مما تذبحون على أنصابكم ، ولا آكل إلا ماذكر اسم الله عليه . وأن زيد بن عمرو كان يعيب على قريش ذبائحهم ..." الحديث . وأخرج البخاري تعليقا ـ عن سالم عن أبيه ـ مع الشك ـ عن موسى بن عقبة في رواية سالم عن أبيه عبد الله بن عمر ـ أن زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشام يسأل عن الدين ويَتَّبِعه ، فلقي عالما من اليهود ، فسأله عن دينهم فقال : " إني لعلي أن أدين دينكم فأخبرني " فقال : " لاتكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله " قال زيد " ما أفرُّ إلا من غضب الله ، ولا أحمل من غضب الله شيئا أبدا ،وأنَّى أستطيعه ، فهل تدلني على غيره " ؟ قال : " ما أعلمه إلا أن يكون حنيفا " قال زيد : " وماالحنيف " ؟ قال : " دين إبراهيم، لم يكن يهوديا ولانصرانيا ولا يعبد إلا الله " فخرج زيد فلقي عالما من النصارى . فذكر مثله فقال : " لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله " ،قال : " ما أفر إلا من لعنة الله ، ولا أحمل من لعنة الله ولا من غضبه شيئا أبدا ، وأنى أستطيع ؟ فهل تدلني على غيره " ؟ قال : " ما أعلمه إلا أن يكون حنيفا " . قال : " وماالحنيف " ؟ قال : " دين إبراهيم ، لم يكن يهوديا ولانصرانيا ولايعبد إلا الله" فلما رأى زيد قولهم في إبراهيم ـ عليه السلام ـ خرج . فلما برز رفع يديه فقال ، اللهم إني أشهد أني على دين ابراهيم " . أخرجهما البخاري ، في كتاب مناقب الأنصار ، باب حديث زيد إبن عمرو بن نفيل ٧ : ١٤٢ ـ ١٤٤ (٣٨٢٦ ـ ٣٨٢٧) من فتح الباري .

=

.....

= (٤) محمود بن لبيد : هو ابن عقبة بن رافع الأوسي الأشهلي ، أبو نعيم المدني ، صحابي صغير ، وَجُل روايته عن الصحابة ، مات سنة ٩٦ هـ ، وله ٩٩ سنة . تقريب ٢ : ٢٣٣ ، وأسد الغابة ٤ : ٣٤١ - ٣٤٢ .

(٥) سلمة بن سلامة بن وقش : هو ابن زغبة بن زَعُوراء بن عبد الأشهل الأنصاري الأشهلي ، أبو عوف . شهد العقبتين والمشاهد كلها ، ولاه عمر على اليمامة ، مات سنة ٣٤ هـ ، وله ٧٠ سنة . أسد الغابة ٢ : ٢٧٦ .

(٥) في ك و ط (وقس) المين المهملة .

(٦) في ك و ط (بادي) بالثاء في أوله .

(٧) بنو عبد الاشهل : نسبة إلى عبد الأشهل بن جُشَمْ بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو - مُزَيْقِياء - ابن عامر - ماء السماء - ابن الغطريف بن امريء القيس ابن ثعلبة بن مازن بن الأزد - وهو أدد - بن الغوث بن نبت ابن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يَشْجُب بن يعرب بن قحطان . بطن من الأنصار . اللباب في تهذيب الأنساب ١ : ٦٨ ، وجمهرة أنساب العرب : ٣٢٩ - ٣٣٩ .

(٨) ويح لزيد وويحاله : كلمة رَحْمَة . والويل : حلول الشر . ترتيب القاموس ٤ : ٦٦٥ - ٦٦٦ .

(٩) في ك و ط (يوقدوا) .

فتحمونه ، ثم تقذفوني فيه ، ثم تطَيّنون (١) عليّ ، وإني أنجو من تلك النار غدا . فقيل : يافلان ، فما علامة ذلك ؟ قال : " نبي يبعث من ناحية هذه البلاد ، وأشار إلى مكة واليمن بيده " قالوا : فمتى تراه (٢) ؟ فرمى بطرفه فرآني وأنا مضطجع بفناء (٣) باب (٤) أهلي وأنا أحدث القوم فقال (٥) : " إن يستنفذ هذا الغلام عمره يدركه " . فما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله رسوله ،وإنه لحيٌّ بين أظهرهم ، فآمنا به وصدقناه ، وكفر به بغيا وحسدا. فقلنا له : يافلان ، ألست الذي قلت ماقلت ، وأخبرتنا ؟ قال: "ليس به" (٦) وعن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ : أن غلاما يهوديا (٧) كان يخدم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فمرض ، فأتاه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعوده ، فوجد أباه عند رأسه يقرأ التوراة . فقال له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ:

---

(١) في ك و ط بالياء المثناة التحتية في المواضع الثلاثة .

(٢) في ط (نراه) .

(٣) الفناء : ـ مثل كتاب ـ هو : سعة أمام البيت ، وقيل : ما امتد من جوانبه . المصباح : ٤٨٢ .

(٤) في ك و ط (بفنايات) .

(٥) في ك (يستنقد) بالقاف وفي ط (يستقد) .

(٦) السيرة لابن هشام ١ : ٢٢٥ وهذا الأثر رجال إسناده ثقات .

(٧) قال ابن حجر : لم أقف في شيء من الطرق الموصولة على تسميته ، إلا أن ابن بشكوال ذكر أن صاحب (العتبية) حكى عن زياد شيطون أن اسم هذا الغلام (عبد القدوس) قال : وهو غريب ماوجدته عند غيره . فتح الباري ٣ : ٢٢١ .

" يايهودي ، أنشدك بالله (١) الذي أنزل التوراة على موسى ، هل تجد في التوراة (٢) صفتي ومخرجي ؟ " قال : لا . قال الفتى : بلى والله يارسول الله ، إنا نجد في التوراة نعتك ومخرجك (٣) ، وإني أشهد أن لااله إلا الله ، وأنك رسول الله . فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " أقيموا هذا من عند رأسه ، وَلُوا (٤) أخاكم " رواه البيهقي (٥) بإسناد صحيح (٦) . وقال ابن اسحاق : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن شيخ من بني قريظة (٧) ، قال : هل تدري عما كان

---

(١) أي : ذكّرتك به ، أو سألتك به مقسما عليك . المصباح ٢ : ٦٠٥ .

(٢) في دلائل النبوة زيادة : (نعتي) .

(٣) اللفظ في دلائل النبوة " قال الفتى : يارسول الله ، إنا نجد لك في التوراة نعتك وصفتك ومخرجك " .

(٤) من وَلِيَّة : إذا قام به ، فهو ولي ، والجمع : أولياء ، قال ابن فارس : وكل من ولي أمر أحد فهو وليه . المصباح : ٦٧٢ .

(٥) هو : الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي ، ولد سنة ٣٨٤ هـ ، درس على أبي عبد الله الحاكم ، وتخرج ، كان دينًا زاهدا ورعا ، مات بنيسابور سنة ٤٥٨ هـ ، ونقل جثمانه إلى بيهق ودفن بها ـ على يومين من نيسابور ـ وكان له ٧٤ سنة . انظر سير أعلام النبلاء ١٨ : ١٦٣ ـ ١٧٠ ، ووفيات الأعيان ١ : ٧٥ ـ ٧٦ .

(٦) وإسناده : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو العباس محمد ابن يعقوب ، حدثنا محمد بن إسحاق الصنعاني ، حدثنا أحمد بن عمر ، حدثنا مؤمل بن إسماعيل ، حدثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت عن أنس ... ، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ٦ : ٢٧٢ لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ـ ٤٥٨ هـ ت : د. عبد المعطي قلعجي ، ط ١ دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥م .

(٧) " قريظة " اسم رجل نزل أولاده حصنا بقرب المدينة . وقريظة والنضير : أخوان من أولاد هارون النبي ـ عليه السلام ـ . اللباب في تهذيب الأنساب ٣ : ٢٦ لعز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن الأثير الجزري ـ ٦٣٠ هـ دار صادر ، بيروت ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠م .

إسلام أسيد(١) وثعلبة(٢) ابنى سعية(٣) ، وأسد بن عبيد(٤) ، نفر من هـ(٥)ـذل(٦) ، لم يكونوا من بني قريظة وبني النضير ، كانوا فوق ذلك ؟ فقلت : لا قال : فإنه قدم علينا رجل من الشام من يهود يقال له : ابن الهيَّبَان(٧) ،فأقام

---

(١) هو القُرَظي ، أسلم وأحرز ماله وحسن إسلامه توفى في حياة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ . أسد الغابة ١ : ١١٠ .

(٢) وقيل : إن يامين لما أسلم قالت اليهود : والله ما آمن بمحمد ولا أتبعه إلا أشرارنا . ولو كانوا من أخيارنا ماتركوا دين آبائهم ، وذهبوا إلى غيره " فأنزل الله ـ تعالى ـ في ذلك من قولهم :﴿ ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة ...﴾ إلى قوله ـ تعالى ـ ﴿ ... من الصالحين " آل عمران : ١١٢ ـ ١١٤ ، وهو وأسيد وأسد من (بني هَدل) ليسوا من بني قريظة ، فنسبهم فوق ذلك ، هم بنو عم القوم ، أسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها قريظة على حكم سعد بن معاذ . وقد توفى في حياة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أيضا . انظر الاصابة ١ : ٢٨٧ و ٢٨٨ . والاستيعاب بهامش الاصابة ١ : ٦٩ .

(٣) في ك و ط (سعيد) .

(٤) هو القُرَظي اليهودي ، وهو ابن عم اسيد وثعلبة ابنى سَعْيَة ، ذكره ابن حبان في الصحابة . طبقات ابن سعد ١ : ١٦٠ ، وأسد الغابة ١ : ٨٥ ، والإصابة ١ : ٣٣ .

(٥) في ك و ط زيادة : (بني) .

(٦) في جميع النسخ بما فيها أ (هُذَيْل) وهو تحريف .

(٦) هذه النسبة إلى (الهَدْل) وهم إخوة قريظة ودعوتهم في بني قريظة . اللباب في تهذيب الأنساب ٣ : ٣٨٢ .

(٧) هو أبو عمير ، وهو رجل يهودي قدم من بيت المقدس إلى المدينة ،ينتظر ظهور محمد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لكي يتبعه ـ كما ورد في هذا الأثر ـ وقد مات قبل البعثة ودفن بالمدينة . البداية والنهاية ٤ : ٨٠ .

عندنا ، والله مارأينا رجلا قط لايصلي الخمس خيرا منه ، فقدم علينا قبل مبعث النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بسنين ، وكنا إذا أقحطنا وقلّ علينا المطر نقول : يا ابن الهيّبان ، أخرج فاستسق لنا ، فيقول : لا والله حتى تقدموا أمام مخرجكم صدقة فنقول : كم ؟ فيقول : صاعا (١) من تمر أو مُدَّيْن من شعير " فنخرجه ، ثم يخرج إلى ظاهر حَرَّتنا (٢) ونحن معه ، فنستقي، فوالله مايقوم من مجلسه حتى تمر الشعاب (٣) قد فعل ذلك غير مرة ولا مرتين ولا ثلاثة . فحضرته الوفاة، واجتمعوا اليه، فقال : يامعشر يهود ماترونه أخرجني من أرض الخمر والخمير (٤) إلى أرض البؤس (٥) والجوع ؟ قالوا : أنت أعلم . قال : فإنه إنما أخرجني أتوقع (٦) خروج نبي قد أظل (٧) زمانه، هذه البلاد مهاجره (٨)،

---

(١) هكذا في ط ، وفي أ و ك " صاع " والصحيح ما أثبتناه من ط .

(٢) الحرة : أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرقت بالنار . مختار الصحاح : ١٢٩ لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، ط ١ ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ١٩٨٣م .

(٣) جمع شِعْب وهو الطريق ، وقيل : الطريق في الجبل . المصباح : ٣١٣ .

(٤) هو " الخميرة " ـ بتاء وبدونها ـ وهو مايجعل في العجين . أراد بذلك الرخاء وسعة العيش . أنظر مختار الصحاح : ١٨٩ .

(٥) المقصود بأرض الخمر والخمير أرض بيت المقدس ، والمراد بأرض البؤس والجوع أرض المدينة أو الجزيرة العربية . أنظر البداية والنهاية ٤ : ٨٠

(٦) في ط (توقع) .

(٧) من (أظلك فلان) إذا دنا منك كأنه ألقى عليه ظله . مختار الصحاح : ٤٠٥ .

(٨) في ط بزيادة واو .

فاتبعوه ولاتُستَبَقُن[1] إليه إذا خرج، يامعشر يهود ، فإنه يبعث بسفك الدماء وبسبي[2] الذراري والنساء ممن يخالفه ، ولايمنعنّكم ذلك منه " ثم مات . فلما كان الليلة التي فتحت فيها قريظة ، قال أولئك الثلاثة الفتية ، وكانوا شبانا أحداثا : يامعشر يهود ، والله إنه الذي ذكر لكم ابن الهيبان . فقالوا : ماهو به . قالوا : " بلى والله إنه لصفته " ثم نزلوا فأسلموا و خلوا أموالهم وأولادهم وأهاليهم . قال ابن إسحق : فلما فتح الحصن رد ذلك عليهم .[3]

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس عن أبي سفيان بن حرب[4] ، لما حدثه

---

(١) في ط (تسبقن) .

(٢) في ك و ط (سبي) .

(٣) السيرة لابن هشام ١ : ٢٢٦ ، وإسناد هذا الأثر فيه مجهول . وقد أخرجه البيهقي من طريق ابن اسحاق ـ أيضا ـ من روايتين ، دلائل النبوة ٤ : ٣١ ـ ٣٢ .

(٤) هو صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي ، والد معاوية وإخوته ، كان رئيس المشركين يوم أحد ، والأحزاب يوم الخندق ، أسلم زمن الفتح ، ولقي النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالطريق قبل دخول مكة ، وشهد حنينا والطائف ، ومات سنة ٣١ هـ ، وقيل غير ذلك . وهو يكنى بابنه (حنظلة) الذي قتل مشركا يوم بدر سنة ٢ هـ ، تهذيب التهذيب ٤ : ٤١٢ . السيرة لابن هشام ٢ : ٣٦٥ .

عن هرقل ـ وقد تقدم حديثه في أول الكتاب (١) ـ وذكر فيه : أن هرقل لما سأله عن صفات رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : " إن يكن ماتقول حقا ، إنه نبي ، (٢) قد كنت أعلم أنه خارج ، ولم أكن أظنه منكم ، ولو أعلم أني أخلص (٣) إليه لأحببت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه " .

وزاد البخاري في حديثه ، وقال ابن الناطور (٤) : وكان هرقل حزّاء (٥) ينظر في النجوم ، فنظر فقال : " إن ملك الختان قد ظهر ، فمن يختتن من هذه الأمة " ؟ قال : تختتن اليهود فلايهمنك شأنهم ، وابعث إلى من في مملكتك من اليهود فيقتلوهم (٦) . ثم وجد إنسانا من العرب فقال : " انظروا ، أمختتن هو " ؟ فنظروا ، فإذا هو مختتن . وسأله عن العرب فقال : يختتنون .

---

(١) انظر الجواب الصحيح (رسالة دكتوراه) ج ١ م ١ : ٣١٣ ـ ٣١٩ للزميل : علي بن ناصر ، والجواب الصحيح (طبع المدني) ١ : ٩٢ ـ ٩٦ ، قال الشيخ المؤلف ـ رحمه الله ـ : " وكان هرقل من أجل ملوك النصارى في ذلك الوقت ، وقد أخبر غير واحد : أن هذا الكتاب إلى الآن باق ، عند ذرية هرقل ، في أرفع صوان ، وأعز مكان ، يتوارثونه كابرا عن كابر ، وأخبر غير واحد أن هذا الكتاب باق الى الآن عند (الفنش) صاحب (قشتالة وبلاد الأندلس) يفتخرون به ، وهذا أمر مشهور معروف" .

(٢) في ك و ط (لنبي ، وقد) .

(٣) أخلص : أصل . مختار : ١٨٤ .

(٤) في ط (الناظور) بالظاء المعجمة .

(٤) هو بالظاء المهملة ، وفي رواية الحموي بالظاء المعجمة ، وهو بالعربية حارس البستان . ووقع في رواية الليث عن يونس " ابن ناظورا" فعلى هذا هو اسم إعجمي ، وقد روى أبو نعيم في الدلائل أن الزهري قال: لقيته بدمشق في زمن عبد الملك بن مروان ، وقد كان أمير ايلياء " بيت المقدس " . انظر فتح الباري ١ : ٤٠ ـ ٤١ .

(٥) الحزاء : هو الذي يشتغل بالزجر والكهانة . انظر ترتيب القاموس ١ : ٦٣٧ .

(٦) في ط (فيقتلونهم) .

وقال فيه : وكان برومية[1] صاحب له ، كان هرقل نظيره في العلم ، فأرسل إليه وسار إلى حمص[2] ، فلم يَرِمْ من حمص حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأيه على خروج النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأنه نبي[3] .

وكذلك النجاشي ملك الحبشة ، لما هاجر الصحابة إليه ، لما أذاهم المشركون ، وخافوا أن يفتنوهم عن دينهم ، وقرءوا عليه القرآن ، قال : فأخذ عودا بين أصبعيه فقال : ماعدا[4] عيسى بن مريم ماقلت هذا العود[5] ، فتناخرت بطارقته[6] فقال : وإن نخرتم ، اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي . يعني أنتم آمنون . وقال هذا ، لأن قريشا أرسلوا هدايا إليه وطلبوا منه أن يرد هؤلاء المسلمين وقالوا : " هؤلاء فارقوا ديننا ،وخالفوا دينك[7] .

---

(١) وهي ببلاد الروم ، وهي مدينة رئاسة الروم وعلمهم ، وتقع شمالي وغربي القسطنطينية ، بينهما مسيرة خمسين يوما أو أكثر ، وبها يسكن البابا الذي تطيعه الفرنجية وهو لهم بمنزلة الإمام ، وهي من عجائب الدنيا بناء وسعة وكثرة خَلْق . وهي الآن من أجمل مدن العالم ، وعاصمة إيطاليا ، وتبعد عن باريس ١٠٩٨ كم . معجم البلدان ٣ : ١٠٠ ـ ١٠١ ، ودائرة معارف وجدي ٤ : ٤٧٨ .

(٢) حمص : بلد مشهور كبير ، بين دمشق وحلب ، في منتصف الطريق ، يسمى باسم من أحدثه وهو حمص من مكنف العميلقي . مراصد ١ : ٤٢٥ .

(٣) رواه البخاري ، كتاب بدء الوحي ، باب حدثنا أبو اليمان ... ، ١ : ٣١ ـ ٣٣ (٧) من فتح الباري . ورواه مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب كتاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإلى هرقل يدعوه إلى الاسلام ٣ : ١٣٩٣ (١٧٧٣) .

(٤) ماعدا : ماجاوز ، من عداه عدوا . مختار : ٤١٩ .

(٥) في ط (ابن) .

(٦) جمع بطريق : كلمة يونانية مأخوذة من كلمة " أب " في اللغة المذكورة ، وهو لقب لكل الذين يشتهرون بخدمتهم للامبراطورية أو الامبراطور ولهم المقام الأول في المملكة . دائرة المعارف ٥ : ٤٧٧ ـ ٤٧٨ لبطرس البستاني ، دار المعرفة ، بيروت .

(٧) في ك و ط زيادة : (الحديث رواه أحمد وغيره) .

(٧) رواه الامام أحمد ١ : ٢٠١ ـ ٢٠٣ قال الهيثمي : "ورجال أحمد رجال الصحيح ، غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع" . مجمع الزوائد ٦ : ٢٤ ـ ٢٧ وقد ورد الحديث في السيرة لابن هشام ١ : ٣٥٧ ـ ٣٦٢ .

وفي الصحيح (١) ، حديث ورقة بن نوفل (٢) الذي تروية عائشة ـ رضى الله عنها ـ في بدء الوحي ، قالت : " أول مابدىء به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الوحي الرؤيا الصادقة من (٣) النوم ، وكان لايرى رؤيا إلا جاءت مثل فَلَق الصبح ، ثم حُبِّب إليه الخلاء (٤) ، فكان يخلو بغار حراء ، فيتحنث فيه ـ وهو التعبد ـ الليالي ذوات العدد ـ إلى أن قالت ـ : فأتت به خديجة ورقة بن نوفل ، وكان قد تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب من الانجيل ـ ماشاء الله أن يكتب ـ ، فقالت : اسمع من ابن أخيك ، فأخبره رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

---

(١) في ك و ط بالتثنية .

(٢) هو ابن أسد بن عبد العزي بن قصي القرشي الأسدي ، حكيم جاهلي ، اعتزل الأوثان قبل الإسلام ، وامتنع من أكل ذبائحها ، وتنصر وقرأ كتب الأديان ، وكان يكتب العربية بالحرف العبراني ، أدرك أوائل عهد النبوة ، ولم يدرك الدعوة ، وهو ابن عم خديجة أم المؤمنين . أسد الغابة ٤ : ٦٧١ ـ ٦٧٢ ، والإصابة ٣ : ٦٣٣ ـ ٦٣٥ .

(٣) في ك و ط (في) .

(٤) في أ (البعيد) وهو خطأ . والصواب من أثبتناه من ك و ط .

خبر مارأى ، فقال ورقة : " هذا الناموس(١) الذي أنزل الله على موسى ،ليتني كنت(٢) جَذَعا أنصرك إذ يخرجك قومك(٣) " قال : أَوَمُخْرِجِيّ هم ؟ قال : لم يأت أحد بمثل ماجئت به إلا عُودِيَ ، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا "

---

(١) الناموس : صاحب سر الرجل ، الذي يطلعه على باطن أمره ، ويخصه بما يستره عن غيره . وزعم ابن ظفر : أن الناموس صاحب سر الخير ، والجاسوس صاحب سر الشر . والمراد به هنا جبريل ـ عليه السلام ـ وقال : " على موسى " ولم يقل : على عيسى . مع كونه نصرانيا لأن كتاب موسى ـ عليه السلام ـ مشتمل على أكثر الأحكام بخلاف عيسى . وأما ماذكره السهيلي من أن ورقة كان على اعتقاد النصارى في عدم نبوة عيسى ودعواهم أنه أحد الأقانيم الثلاثة اللاهوتية حل بناسوت المسيح واتحد به . الروض الأنف ١ : ٢٧٣ . فهذا الذي ذكره السهيلي : محال لايعرّج عليه في حق ورقة وأشباهه ، ممن لم يدخلوا في التبديل ، ولم يأخذ عمن بدل . وقد ورد بإسنادين أحدهما حسن والآخر ضعيف " ناموس عيسى" فعلى هذا كان ورقة يقول تارة ناموس عيسى ، وتارة ناموس موسى ، فعند اخبار خديجة له بالقصة قال لها :"ناموس عيسى"بحسب ماهو فيه من النصرانية ، وعند اخباره النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال له : ناموس موسى . للمناسبة المذكورة آنفا ، وكل صحيح . انظر فتح الباري ١ : ٢٦ . وغريب الحديث ٢ : ١٩٩ لأبي عبيد القاسم بن سلّام الهروي ـ ٢٢٤هـ مصورة عن ط ١ ، حيدر آباد الدكن الهند ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٣٩٦ هـ = ١٩٧٦م .

(٢) سقطت (كنت) من ك و ط .

(٣) في ط زيادة : (نصرا مؤزرا) .

ثم لم ينشب[1] ورقة أن توفى[2] " .

وقال ابن اسحق : وقدم على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عشرون رجلا ، أو قريب من ذلك ـ وهو بمكة ـ من النصارى ، حين ظهر خبره بالحبشة ، فوجدوه في المجلس فكلموه وسألوه ، ورجال من قريش في أنديتهم . فلما فرغوا من مسألتهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عما أرادوا ، دعاهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى الله ـ عز وجل ـ ، وتلا عليهم القرآن . فلما سمعوا ، فاضت أعينهم من الدمع ، ثم استجابوا له ، وآمنوا به ، وصدقوه ، وعرفوا منه ماكان يوصف لهم في كتابهم من أمره . فلما قاموا من عنده ، اعترضهم أبو جهل[3] في نفر من قريش ، فقالوا[4] : خيبكم الله من ركب ، بعثكم مَنْ وراءكم من أهل دينكم لتترتادوا[5] لهم ، فتأتونهم بخبر الرجل ، فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم ، وصدقتموه بما قال لكم ، مانعلم ركبا أحمق منكم ـ أو كما قالوا لهم ـ ، فقالوا : " سلام

---

(١) أي لم يلبث . وأصل النشوب التعلق ، أي لم يتعلق بشيء من الأمور حتى مات . وهذا بخلاف مافي السيرة لابن اسحاق أن ورقة كان يمر ببلال وهو يعذب السيرة لابن هشام ١ : ٣٤٠ . وذلك يقتضي أنه تأخر إلى زمن الدعوة ، وإلى أن دخل بعض الناس في الإسلام . فإن مافي الصحيح أرجح وأصح . فتح الباري ١ : ٢٧ .

(٢) رواه البخاري ، كتاب بدء الوحي ، باب حدثنا يحيى بن بُكَيْر ... ، ١ : ٢٣ ورواه مسلم من فتح الباري ـ واللفظ للبخاري وآخره : " ثم فتر الوحي " ـ كتاب الإيمان ، باب بدء الوحي الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ١ : ١٣٩ ـ ١٤٥ (١٦٠ ـ ١٦١) .

(٣) هو عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، ضربه معاذ بن عمرو بن الجموح يوم بدر سنة ٢ هـ فقطع رجله وضرب ابنه عكرمة يد معاذ فطرحها ، ثم ضربه معوذ بن عفراء حتى أثبته ـ أي جرحه جراحة لايقوم معها ـ ثم تركه وبه رمق ، ثم ذفف عليه ـ أسرع قتله ـ عبد الله بن مسعود ، واحتز رأسه حين أمر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يُلْتَمَس في القتلى . السيرة لابن هشام ٢ : ٣٦٨ .

(٤) في ط (فقال) .

(٥) لتترتادوا : لتطلبوا . ترتيب القاموس ٢ : ٤١٠ .

عليكم لانجاهلكم ، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم " (١) .ويقال : فيهم نزل قوله ـ تعالى ـ : ﴿ الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون ﴾ وإذا يتلى عليهم قالوا : آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين ﴾ (٢) الآية (٣) .

وعن محمد بن عمر بن إبراهيم (٤) بن محمد بن جبير (٥) : حدثتني جدتي (٦) أم عثمان بنت سعيد (٧) بن محمد بن جبير عن أبيها سعيد (٨) بن محمد بن جبير بن مطعم (٩) ، عن أبيه (١٠) قال : سمعت أبي جبيرا (١١) يقول : " لما بعث

---

(١) في السيرة بقية كلامهم : " لم نأل أنفسنا خيرا " .

(٢) سورة القصص : ٥٣.

(٣) في السيرة : " إلى قوله : " لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم نبتغي الجاهلين " . القصص : ٥٥،بدلا من قوله هنا : " الآية " .

(٣) السيرة لابن هشام ٢ : ٣٢ والاسناد منقطع لم يصله محمد بن إسحاق .

(٤) في ك و ط (سعيد) .

(٥) محمد بن عمر بن إبراهيم : هو من آل جبير بن مطعم القرشي ، مكي ، روى عن أم عثمان بنت سعيد عن أبيها عن أبيه عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه ، روى عنه محمد بن يحيى ... الجرح والتعديل ٨ : ١٩ لعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ـ ٣٢٧ هـ دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد . الهند ١٣٧١ هـ .

(٦) في أ (سعد) ، وقد صححناه من التاريخ الكبير للبخاري و ك و ط والدلائل لأبي نعيم .

(٧) أم عثمان : لم اعثر لها على ذكر أو ترجمة ، ولعلها المقصودة بقول الهيثمي في تخريج هذا الحديث : " ... وفيه من لم أعرفهم " .

(٨) في أ (سعد) وقد صوبناه كما تقدم .

(٩) هو سعيد بن محمد بن جبير بن مطعم النوفلي المدني ، ذكره ابن حبان في الثقات وهو مقبول من الطبقة الرابعة : تقريب ١ : ٣٠٤ تهذيب ٤ : ٧٦ .

(١٠) هو محمد بن جبير بن مطعم بن عدي ، النوفلي ، أبو سعيد المدني ، ثقة ، عارف بالنسب ، مات على رأس المائة . تقريب ٢ : ١٥٠. وتهذيب ٢ : ٦٣ .

(١١) هو ابن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف القرشي النوفلي ، صحابي، عارف بالأنساب ، مات سنة ٥٨ أو ٥٩ هـ تقريب ١ : ١٢٦ تهذيب ٩ : ٩١ .

الله نبيه ، وظهر أمره بمكة ، خرجت إلى الشام ، فلما كنت ببصرى (١) ، أتتني جماعة من النصارى فقالوا لي : أمن الحرم (٢) أنت ؟ قلت : نعم ، قالوا : فتعرف هذا الذي تنبأ فيكم ؟ قلت : نعم ، قال (٣) : فأخذوا بيدي فأدخلوني ديرا (٤) لهم ، فيه تماثيل وصور ، فقالوا لي : انظر هل ترى صورة هذا النبي الذي بعث فيكم ؟ فنظرت فلم أر صورته قلت : لا أرى صورته .

فأدخلوني ديرا أكبر من ذلك الدير ، فيه صور أكثر مما في ذلك الدير . فقالوا لي : أنظر هلى ترى صورته ؟ فنظرت ، فإذا أنا بصفة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصورته ، وإذا أنا بصفة أبي بكر وصورته وهو آخذ بعقب (٥) رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فقالوا لي : أنظر هل ترى صفته (٦) ؟ قلت : نعم . قالوا : هو هذا ؟ وأشاروا إلى صفة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، قلت : اللهم نعم . أشهد أنه هو .

---

(١) هي قصبة (عاصمة) كورة (منطقة) حَوْران بالشام وهي التي وصل اليها النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهى المشهورة عند العرب . مراصد ١ : ٢٠١

(٢) يقصدون مكة المشرفة ، والحرم : بمعنى الحرام مثل زمن وزمان . فكأنه حرام انتهاكه وحرام صيده ورفثه وكذا وكذا . معجم البلدان ٢ : ٢٤٣ .

(٣) هكذا في ك و ط وفي أ (قالوا) والأصح مافي ك و ط ولهذا أثبتناه .

(٤) الدير : بيت يتعبد فيه الرهبان ، ولايكاد يكون في المصر الأعظم ، إنما يكون في الصحارى ورؤس الجبال ، فان كان في المصر كان كنيسة أوبيعة وربما فرقوا بينهما فجعلوا الكنيسة لليهود والبيعة للنصارى . قال الجوهري : ودير النصارى أصله الدار والجمع أديار ، والديراني صاحب الدير . ودير بصرى : هو الذي كان به بحيرا الراهب الذي بشر بالنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ معجم البلدان ٢ : ٥٠٠ .

(٥) العقب : موخر القدم . وجمعه : أعقاب : وهى مؤنثة . مختار الصحاح ٤٤٣ .

(٦) في ك (صورته) .

قالوا : أتعرف هذا الذي أخذ بعقبه ؟ قلت : نعم .

قالوا : نشهد أن هذا صاحبكم ، وأن هذا الخليفة من بعده "رواه البخاري في تاريخه (١) ، وقال فيه : " قال الذي أراه الصور لم يكن نبي إلا كان بعده نبي ، إلا هذا النبي " ورواه أبو نعيم (٢) في دلائل النبوة (٣) .

وروى موسى بن عقبة (٤) أنهشام بن العاص (٥) ، ونعيم بن عبد الله (٦) ، ورجلا آخر (٧) ، قد سماه (٨) ، بعثوا الى ملك الروم زمن أبي بكر ، قال : فدخلنا على جَبَلة بن الأيهم (٩) وهو بالغوطة (١٠) ـ فذكر الحديث ـ وأنه انطلق بهم إلى الملك وأنهم وجدوا عنده شبه الرَّبْعَة (١١) العظيمة مُذَهبة ،وإذا فيها أبواب صغار ففتح فيها (١٢) بابا ، فاستخرج منه خرقة حرير سوداء ، فيها صورة بيضاء، وذكر صفة آدم ، ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة وفيها صورة نوح ، ثم ابراهيم ، ثم أراهم حريرة فيها صورة [redacted] ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال (١٣) : هذا آخر الأبواب لكني عجلته لأنظر ماعندكم ، ثم فتح أبوابا آخر وأراهم صورة بقية الأنبياء ، موسى ، وهرون ، وداود ، وسليمان ،

---

(١) التاريخ الكبير الجزء الأول ، القسم الأول : ١٧٩ للإمام محمد بن إسماعيل البخاري ـ ٢٥٦ هـ ، حيدر آباد الدكن ١٣٦٢ هـ ، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة ١ : ٣٨٤ ـ ٣٨٥ الا أنه قال : " محمد بن عمر بن سعيد بن محمد ابن جبير " بدلا من " محمد بن عمر بن ابراهيم ... " واللفظ للبيهقي .

(٢) هو الحافظ الكبير ، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران ، الصوفي الأحول ، ذو التصانيف الكثيرة الشهيرة ، كان يميل إلى مذهب الأشعري في الإعتقاد ، توفى سنة ٤٣٠ هـ ، وله ٩٦ سنة . ميزان الإعتدال ١ : ١١١ ، ولسان الميزان ١ : ٢٠١ ، وشذرات الذهب ٢ : ٢٤٥.

(٣) دلائل النبوة لأبي نعيم ١ : ٥٥ ـ ٥٦ (١٢) ت : د. محمد رواس قلعة جي ، وعبد البر عباس ، ط ١ ، المكتبة العربية بحلب ١٩٧٠م = ١٣٩٠ هـ . قال الهيثمي في المجمع ٨ : ٢٤٣ : رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه من لم أعرفهم .

(٤) موسى بن عقبة هو ابن أبي عياش الأسدي ، مولى آل الزبير ، ثقة فقيه ، إمام في المغازي ، لم يصح ان ابن معين لينه ، مات سنة ١٤١هـ وقيل بعدها . تقريب ٢ : ٢٨٦ ، وسير أعلام النبلاء ٦ : ١١٤ ـ ١١٨ .

=

.....

= (٥) هشام بن العاص هو ابن وائل بن هاشم بن سُعَيْد بن سهم بن ابن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي القرشي السهمي ، وهو أخو عمرو بن العاص ، كان قديم الاسلام ، وهاجر الى الحبشة ، ثم قدم مكة فحبس حتى قدم المدينة بعد الخندق ، كان قد فتن فافتتن استشهد بأجنادين سنة ١٣ هـ . أسد الغابة ٤ : ٦٣٦ ، والإصابة : ٣ : ٦٠٤ .

(٦) نُعَيْم بن عبد الله هو ابن أسيد بن عوف بن عَبِيد بن عَوِيج بن عدي بن كعب القرشي العدوي ، سمي (النحام) لما ورد عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " دخلت الجنة فسمعت نحمة من نعيم فيها "ـ والنحمة : السعلة أو النحنحة الممدودة آخرها ـ أسلم قديما ، وشهد الحديبية ، ولما قدم من هجرته اعتنقه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقبّله ، قتل يوم اليرموك شهيدا سنة ١٥ هـ أسد الغابة ٤ : ٥٧٠ ، والاصابة ٣ : ٥٦٧ ـ ٥٦٨ .

(٧) قال ابن حجر :" (عدي بن كعب) لا أعرفه ، وقع ذكره في حديث غريب ، روى المعافى في (الجليس) عن عبادة بن الصامت قال : بعثني أبو بكر إلى ملك الروم ومعي عمرو بن العاص ، وأخوه هشام ، وعدي بن كعب ، ونُعَيم بن عبد الله فخرجنا حتى قدمنا على جبلة ابن الايهم ... ثم قال : ويحتمل أن يكون عدي بن كعب هذا هو أبو خيثمة والد سليمان : فقد سماه الأزدي كذلك ." الاصابة ٢ :٤٧١.

(٨) ظاهر من هذا أن الشيخ المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ يكتب من حفظه ـ ولو أحيانا ـ إذ لو كان لديه كتاب المغازي لموسى بن عقبة لم يحتج إلى كلمة " قدسماه " ولاستطاع أن يذكر اسم الرجل صريحا . وقد يكون لقوله : (قد سماه) . سبب آخر . بل ربما تكون الجملة من قول غيره .

=

.....

= (٩) جَبَلة بن الأيهم هو ابن جَبَلة بن الحارث بن أبي شمر – واسمه المنذر بن الحارث – وأمه مارية ذات القرطين ، وهو الغساني الجفنى ،ملك النصارى من العرب ،وغسان أولاد عم الأنصار ،أوسها وخزرجها ، أسلم وسكن المدينة ، ثم ارتد وذهب إلى هرقل في القسطنطينية ، وبقي فيها في نعيم دنيوي لايخلو من حسرة على الإسلام ، ثم مات سنة ٥٣ هـ في خلافة معاوية . انظر البداية والنهاية ٨ : ٦٣ – ٦٦ .

(١٠) هي الكورة (المنطقة) التي منها دمشق ، استدارتها ثمانية عشر ميلا ، يحيط بها جبال عالية جدا ، وتمتد فيها أنهار تسقي بساتينها ، وتصب فضلاتها في بحيرة هناك . مراصد ٢ : ١٠٠٥ – ١٠٠٦ .

(١١) الرَّبْعَة : هي : جؤنة العطار ، وهي سُلَيْلَة مستديرة مغشاة أَدَما (جلدا) تكون مع العطارين . مختار الصحاح : ٢٣٠ و ١١٨ .

(١٢) في ك و ط (منها) .

(١٣) في ك و ط (فقال) .

وعيسى بن مريم – عليهم السلام – وصفة لوط ، وصفة اسحاق ، وذكر أن هذا عندهم قديما من عهد آدم ، وأن دانيال[(١)] صورها بأعيانها[(٢)] .

وروى مثل هذا عن المغيرة بن شعبة[(٣)] ، أنه لما دخل على المقوقس ملك مصر والاسكندرية ملك النصارى ، أخرج له صور الأنبياء، وأخرج له صورة نبينا –صلى الله عليه وسلم– فعرفها[(٤)] .

والوجه الثالث : نفس اخباره بذلك في القرآن مرة بعد مرة ، واستشهاده بأهل الكتاب واخباره بأنه مذكور في كتبهم ، مما يدل العاقل على أنه كان موجودا في كتبهم ، فإنه لاريب عند كل من عرف حال محمد من مؤمن وكافر ، أنه كان من أعقل أهل الأرض ، فإن المكذبين له لايشكون في أنه كان عنده من الخبرة والمعرفة والحذق ،ما أوجب أن يقيم مثل هذا الأمر العظيم ، الذي لم يحصل لأحد مثله ، لاقبله ولابعده ، فعلم ضرورة أنه لايفعله ولايخبر به ،

---

(١) دانيال : هو نبي من الأنبياء الأربعة الكبار من بني اسرائيل ، و (دانيال) اسم عبري معناه : الله قضى . لم يرد له ذكر في القرآن، قصته في العهد القديم في السفر المعروف باسمه وهو جزآن ، أحدهما : من سيرة دانيال وأصحابه الثلاثة : حنانيا وميخائيل وعازار .والثاني: عن رؤيا رآها نبو خذ نصر ملك بابل وفسرها دنيال وكان قد عاش في قصره بعد السبي ، انظر قاموس الكتاب المقدس (عندهم) : ٣٥٧ و سفر دانيال في العهد القديم : ٩٨٩ – ١٠٠٧ ، والبداية والنهاية ٢ : ٤٠ . واظهار الحق : ٥٣٠ – ٥٣١ .

(٢) أخرجه البيهقي في الدلائل في رواية مطولة ١ : ٣٨٥ – ٣٩٠،وأبو نعيم في الدلائل ١ : ٩٠

(٣) المغيرة بن شعبة هو ابن مسعود بن معتّب الثقفي ، صحابي مشهور ، أسلم قبل الحديبية ، وولي أمر البصرة ثم الكوفة ، مات سنة ٥٠ هـ على الصحيح . تقريب ٢ : ٢٦٩ ، وأسد الغابة ٤ : ٤٧١ – ٤٧٣ .

(٤) أصل قصة دخول المغيرة على المقوقس بصحبة المالكيين الثلاثة عشر رواها الواقدي محمد بن عمر بن واقد – ٢٠٧ هـ في المغازي ٢ : ٥٩٦ و ٣ : ٩٦٤ ت د. مارسون جونس مؤسسة الأعلمي : بيروت . ونقلها عنه في سير أعلام النبلاء ٣ : ٢٤ وليس فيها ذكر الصورة .

وهو من أحرص الناس على تصديقه ، وأَخْبَرهم بالطرق التي يُصَدق بها ، وأبعدهم عن أن يفعل مايعلم أنه يكذب به .

فلو لم يعلم أنه مكتوب عندهم ، بل علم انتفاء ذلك . لامتنع أن يخبر بذلك مرة بعد مرة ، ويستشهد به ويظهر ذلك لموافقيه ومخالفيه ، وأوليائه وأعدائه ، فإن هذا لايفعله الا من هو أقل الناس عقلا ، لأن فيه اظهار كذبه عند من آمن به منهم ، وعند من يخبرونه ، وهو ضد مقصوده ، وهو بمنزلة من يريد اقامة شهود على حقه فيأتي إلى من (١) يعلم أنه لايكذب ، ويعلم أنه ليس بشاهد ولا حضر قضيته ، ويقول : هذا يشهد لي ، وهذا يشهدلي .

فإنهم كانوا حاضرين هذه القضية ، فيقول أولئك : لسنا نشهد له ، ولا حضرنا هذه القضية . فهذا لايفعله عاقل ، يعلم أنهم لم يكونوا حاضرين ، وأنهم يكذبونه (٢) ، ولايشهدون له .

الرابع : أن يقال : لما قامت الأعلام على صدقه ،فقد أخبر أنه مكتوب في الكتب المتقدمة (٣) ، وأن الأنبياء بشروا به ، علم أن الأمر كذلك ، لكن هذا لايذكر الا بعد أن يقام دليل منفصل على نبوته .

والطريق الأول ، هو من أظهر الحجج على أهل الكتاب ، وأظهر الأعلام على نبوته .

---

(١) في ك و ط زيادة : (لا) .

(٢) هكذا في ط ، وفي أ و ك (يكذبوه) والصحيح مافي ط ولهذا أثبتناه .

(٣) في أ بدون (لكن) والأولى اثباتها كما في ك و ط .

وقد استخرج غير واحد من العلماء من الكتب الموجودة الآن في أيدي أهل الكتاب من البشارات بنبوته مواضع متعددة ، وصنفوا في ذلك مصنفات[1] ، وهذه البشارات في هذه الكتب من جنس البشارات بالمسيح ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

واليهود يقرون باللفظ ، لكن يدّعون أن المَبَشَّر به ليس هو المسيح عيسى ابن مريم ، وانما هو آخر ينتظر . وهم ـ في الحقيقة ـ لاينتظرون الا المسيح الدجال[2] ، وينتظرون أيضا مجيء المسيح عيسى بن مريم إذا نزل من السماء[3] ، كما بسط في موضع آخر[4] ، ويحرفون دلالة اللفظ ويقولون : إنها لاتدل على نبي منتظر ، كما قالوا في قوله : " سأقيم لبنى اسرائيل[5] من اخوتهم مثلك ياموسى، أنزل عليه توراة مثل توراة موسى ، أجعل كلامي على فيه "[6][7] .

---

(١) ومن الجدير بالذكر أن د . أحمد حجازي السقا قد حاز على درجة الدكتوراه برسالته التي سماها : البشارة بنبي الاسلام ، في التوراة والانجيل . وقد سالت د. صابر بن عبد الرحمن طعيمة : هل طبعت ؟ فقال : انها لم تطبع حتى الآن .

(٢) الدجال : رجل يخرج في زمن متأخر من عمر الدنيا ،وتكون له أحوال عجيبة وخطيرة ، وهو شاب ، قطط ـ أي متجعد الشعر ـ عينه طافئة ـ أي خارجة عن صفة العين الطبيعية ، يشبه رجلا في عهد النبوة اسمه " عبد العزى بن قَطَن " . ويبقى في الأرض ٤٠ يوما ، يوم كسنة ، ويوم كشهر ، ويوم كأسبوع ، وبقية أيامه عادية . وله أوصاف كثيرة وردت في أحاديث صحاح وحسنة . انظر جامع الأصول في أحاديث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ١٠ : ٣٣٢ ـ ٣٦٢ . لمجد الدين أبي السعادات ، المبارك بن محمد بن الأثير الجزري ٦٠٦ هـ ت : عبد القادر الأرناؤوط ، مكتبة الحلواني والملاح ودار البيان ، ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩م .

(٣) انظر الجواب الصحيح (طبع المدني) ٢ : ١٨٦ ـ ١٨٧ .

(٤) هكذا في ك و ط ، وفي أ (يقولوهن) وقد أثبتنا مافي ك و ط لأنه أولى .

(٥) في ك و ط زيادة : (نبيا) .

(٦) سقطت (على) من ك .

=

.....

= (٧) نصه في الترجمة الحديثة كما يلي :" يقيم لك الرب الهك نبيا من وسطك ، من اخوتك مثلي ، له تسمعون ، حسب كل ماطلبت من الرب الهك في (حوريب) يوم الاجتماع قائلا : لاأعود أسمع صوت الرب الهي ، ولاأرى هذه النار العظيمة ـ أيضا ـ لئلا أموت ، قال لي الرب : قد أحسنوا فيما تكلموا ، أقيم لهم نبيا من وسط اخوتهم مثلك ، وأجعل كلامي في فمه ، فيكلمهم بكل ما أوصيه ، ويكون ان الانسان الذي لايسمع لكلامي الذي يتكلم به بأسمي أنا أطالبه".
سفر التثنية ، الاصحاح الثامن عشر : ١٥ ـ ١٩ . العهد القديم : ٢٤٢

قال بعضهم : ليس هذا اخبارا (١) ، بل (٢) هذا استفهام أنكار ، وقدروا ألف استفهام ، وليس في النص شيء من ذلك .

فاليهود يحرفون الدلالات المبشرة بالمسيح ، وذلك عند المسلمين والنصارى لايقدح في البشارة (٣) بالمسيح ، بل تبين دلالة النصوص عليه ، وبطلان تحريف اليهود .

وكذلك البشارات بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الكتب المتقدمة ، لايقدح فيها تحريف أهل الكتاب ، اليهود والنصارى ، بل تبين دلالة تلك النصوص على نبوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ،وبطلان تحريف أهل الكتاب .

الوجه الخامس : أن يقال معلوم أن ظهور دين محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ في مشارق الأرض ومغاربها ، أعظم حادث حدث في الأرض . فلم يعرف قط دين انتشر ودام كانتشاره ودوامه ، فان شرع موسى وان دام ، فلم ينتشر انتشاره ودوامه ،بل كان غاية ظهوره ببعض الشام . وأما شرع المسيح ، فقبل قسطنطين . لم يكن له ملك ، بل كانوا يكونون ببعض بلاد الروم وغيرها . وكانوا مستضعفين تُقتل (٤) أعيانهم أو عامتهم في كثير من الأوقات . ولما انتشر تفرق أهله فرقا متباينة ، يكفر فيها بعضهم بعضا .

---

(١) هكذا في ك و ط ، وفي أ (أخبار) بغير النصب وقد صححناه من ك و ط .

(٢) في أ (بلى) .

(٣) في ط (البشارات) .

(٤) في ط (يقتل) .

ثم إن شرع محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ظهر في مشارق الأرض ومغاربها ، وفي وسط الأرض المعمورة الاقليم (١) والثالث والرابع والخامس (٢) ، وظهرت أمته على النصارى في أفضل الأرض وأجلها عندهم ،كأرض الشام ومصر والجزيرة وغيرها ، ودام شرعه ، فله اليوم أكثر من سبعمائة سنة (٣) .

ومعلوم أن هذا المدعى للنبوة ، سواء كان صادقا أو كاذبا ، لابد أن يخبر به الأنبياء (٤) ، فإنهم أخبروا بظهور الدجال الكذاب ،تحذيرا للناس مع أن الدجال مدته قليلة ، فلو كان مايقوله المكذب لمحمد حقا ، وأنه كاذب ليس برسول ، لكانت فتنته أعظم من فتنة الدجال من وجوه كثيره ، لأن الذين اتبعوه أضعاف أضعاف من يتبع الدجال ، فلو كان كاذبا ،لكان الذين افتتنوا به أضعاف أضعاف من يفتتن بالدجال ، فكان التحذير منه أولى من التحذير من الدجال ، إذ ليس في العالم من زمان آدم إلى اليوم ، كذاب ظهر ودام هذا الظهور والدوام (٥) فكيف تغفل (٦) الأنبياء التحذير عن مثل هذا لوكان كاذبا ؟ .

---

(١) في ك و ط زيادة : (الثاني) .

(٢) سقطت (الخامس) من ك و ط .

(٣) الاقليم الثالث : يبتديء من المشرق ، فيمر على شمال بلاد الصين إلى بلاد طنجة وينتهي إلى البحر المحيط ، والاقليم الرابع : يبتديء من أرض الصين ـ كذلك ـ إلى جزيرة قبرص ورودس وصقلية ثم البحر المحيط على الزقاق بين الأندلس وبلادالمغرب ، والاقليم الخامس : يبتديء من أرض الترك المشرفين ويأجوج المسرودين إلى بلاد الأندلس وينتهى إلى البحر المحيط . أو أن الاقليم الثالث الحجاز ومدنه ، والرابع مصر وافريقية والبربر والأندلس ومابينها ، والخامس الشام والروم والجزيرة . انظر معجم البلدان ١ : ٢٩ ـ ٣١ ومروج الذهب ١ : ٨٧ .

(٣) حيث كان مولد المؤلف سنة ٦٦١ هـ ووفاته سنة ٧٢٨ هـ والعبارة ـ الآن يمكن أن تقال هكذا : قله اليوم أكثر من ألف وأربعمائة سنة .

(٤) في ك و ط زيادة : " ... من فتنته ، وأنه كذاب يظهر على يديه أمور ، يفتتن بها الناس " .

(٥) في أ كتب فوق كلمة (والدوام) كلمة (بدا) وبجانبها رمز(صح) والظاهر أنها كلمة (أبدا) .

(٦) في ك و ط (يغفل) .

وإذا كان صادقا : فالبشارة (١) للإيمان به ، (٢) أولى ما يُبَشَّر به الأنبياء من المستقبلات ، ويُخبر به ، فعلم أنه لابد أن يكون في الكتب ذكره . ثم قد وجد مواضع كثيرة في الكتب ، تزيد على مائة موضع ، استدلوا بها على أنه مذكور ، وتواتر عن خلق كثير من أهل الكتاب أنه موجود في كتبهم وتواتر عن كثير ممن أسلم أنه كان سبب اسلامهم ، أو من أعظم سبب اسلامهم علمهم بذكره في الكتب المتقدمة . اما بأنه وجد ذكره في الكتب ، كحال كثير ممن أسلم قديما وحديثا . واما بما ثبت عندهم من أخبار أهل الكتاب كالأنصار (٣) فإنه كان من أعظم أسباب اسلامهم ماكانوا يسمعونه من جيرانهم أهل الكتاب من ذكره ونعته ، وانتظارهم اياه ، وأن من خيارهم من لم يوجب له أن (٤) يسكن أرض يثرب مع شدتها ، ويدع أرض الشام مع رخائها الا لانتظاره لهذا النبي العربي الذي يبعث من ولد اسماعيل .

ولم يمكن أحد قط أن ينقل عن شيء من الكتب أنه وجد فيها ذكره بالذم والتكذيب والتحذير كما يوجد ذكر الدجال . وعند أهل الكتاب من ذكر أصحابه كعمر بن الخطاب وغيره ، وعدلهم وسيرتهم ، عن المسيح وغيره ، ماهو معروف عندهم . فإذا كان اللذين استخرجوا ذكره من كتب أهل الكتاب ، واللذين سمعوا خبره من علماء أهل الكتاب إنما يذكرون نعته فيها بالمدح والثناء ، عُلم بذلك أن الأنبياء المتقدمين ، ذكروه بالمدح والثناء ، ولم يذكروه بذم ولا عيب .

---

(١) في ك و ط زيادة : (به) .

(٢) في ك و ط زيادة : (من) .

(٣) هم أهل المدينة ، من الأوس والخزرج ،الذين بايعوا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبل الهجرة على الاسلام والنصرة ، وكان العرب يسمون هذا الحي من الانصار "الخزرج " خزرجها وأوسها . انظر السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٨٤ .

(٤) سقطت جملة (يوجب له أن) من أ و ك و ط ، وقد أثبتناها من نسخة أكسفورد .

وكل من ادّعَى النبوة ومدحه الأنبياء وأثنوا عليه ، لم يكن الا صادقا في دعوى النبوة ، إذ(١) يمتنع أن الأنبياء يثنون على من يكذب في دعوى النبوة * ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي إلى ولم يوح اليه شيء ...* وهذا مما يبين أنه لابد أن يكون الأنبياء ذكروه وأخبروا(٢) به ، وأنهم لم يذكروه الا بالثناء والمدح ، لا بالذم والعيب ، وذلك ـ مع دعوى النبوة ـ لايكون الا إذا كان صادقا في دعوى النبوة ، فتبين أنهم بشروا بنبوته ، وهو المطلوب .

يبين ذلك(٣) أن الأنبياء أخبروا أهل الكتاب بما سيكون منهم من الأحداث ، وما يسلط عليهم من الملوك الذين يقتلونهم ، ويخربون بلادهم ، ويسبونهم ك (بخت نصر) و (سنجاريب)(٤) ولكن هؤلاء الملوك لم يدّعوا أنهم أنبياء ، ولم ينسبوا إلى دين ، فلم تحتج الأنبياء إلى التحذير من اتّباعهم وقد حذروا من اتّباع من يَدْعَي النبوة وهو كاذب .

---

(١) سقطت (إذ) من ك و ط .

(٢) سورة الانعام : ٩٣ .

(٣) في ط (تبين من ذلك) .

(٤) (سنجاريب) اسم أكادي ، وهو ملك أشور "بابل" . (٧٠٤ ـ ٦٨٢ ت م) وقد اعتلى العرش بعد وفاة والده سرجون ، وقد سار بجيش كثيف إلى بني اسرائيل ، ومعه ابن عمه " بختنصر " حتى نزل بيت المقدس ، وكان ملك بني اسرائيل "صدقيا " مريض ، فاقبل على الدعاء والتضرع فشفي ، وارسل إليه على عساكر سنجاريب ملَكًا صاح بهم فماتوا غير ستة نفر فيهم سنجاريب وخمسة من كتابه فيهم بختنصر " ـ في قول بعضهم ـ فأسرهم " صدقيا " ثم أوحى الله ـ تعالى ـ إلى أشعيا ـ فيما يقال ـ يأمره باطلاق سنجاريب ومن معه فاطلقهم ، فعادوا إلى بابل ، وبقى بعد ذلك سبع سنين ثم مات . انظر الكامل ١ : ١٤٤، والبداية والنهاية ٢ : ٣٣ . ، وقاموس الكتاب المقدس (عندهم) : ٤٨٧ .

ومحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد قهر أهل الكتاب ، [(١)] وقتل من قتل وسبى من سبى ، وأخرجهم من ديارهم ، فلابد أن يذكروه ويذكروا الأحداث التي تجرى عليهم في أيامه . وإذا كان كاذبا [(٢)] مُدَّعِيًا للنبوة ، فلابد أن يحذروهم من اتباعه . ومعلوم أن عامة أهل الكتاب ومن نقل عنهم اما أن يقول : ليس موجودا في كتبنا ، أو يقول : إنه موجود بالمدح والثناء ، لايمكن أحد أن ينقل عن الكتب المتقدمة أنه موجود فيها بالذم والتحذير . ولو كان مذكورا عندهم بالذم والتحذير ،لكان من هذا من أعظم مايحتجون به عليه في حياته ، وعلى أمته بعد مماته ، ويحتج به من لم يُسلم منهم على من أسلم .

فإنه معلوم أن كثيرا من أهل الكتاب كان عندهم من البغض له والعداوة وتكذيبه ، والحرص على ابطال أمره ، ما أوجب أن يفتروا أشياء لم توجد، وينسبوا [(٣)] اليه أشياء يعرف كذبها كل من عرف أمره ، حتى آل الأمر ببعضهم إلى أن فسروا قول المسلمين " الله أكبر" بأن "أكبر"صنم وأن النبي [(٤)] أمرهم بتعظيم هذا الصنم . وقال بعضهم فيه : إنه أوجب الزنا على المرأة المطلقة ثلاثا . عقوبة لزوجها بأنه لاينكحها حتى يزنى بها غيره . وقال بعضهم : إنه تعلم من"بحيرى [(٥)] الراهب " مع علم كل من عرف سيرته أنه [(٦)]

---

(١) في ك و ط تقدمت جملة (وسبى من سبى) على جملة (وقتل من قتل) .

(٢) في ط (كاذبا) بياء مثناة وهو خطأ مطبعي .

(٣) في ط (ونسبوا) .

(٤) في ط (بأنه) .

(٥) في جميع النسخ وفي جميع المواضع رسمت هكذا (بحيرا) بخلاف الرسم الاملائي الحديث . انظر المفرد العلم في رسم القلم : ١٤١ لأحمد الهاشمي دار الكتب العلمية ، بيروت .

(٥) واسمه (سرجس) من عبد القيس ، وكان حبرا من يهود تيماء ، وقيل: كان نصرانيا وهو ماذهب إليه ابن اسحاق في السيرة . وكان يسكن صومعة بِبُصْرى من أرض الشام ، وكان وقت قدوم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو ابن تسع سنين ، وقال الطبري :" اثنتى عشرة سنة" . الروض الأنف ١ : ٢٠٦ .

(٦) في ط (بأنه) .

لم يجتمع ب (بحيرى) وحده ، ولم يره الا بعض نهار (١) مع أصحابه ، لما مروا به لما قدموا الشام في تجارة ، وأن " بحيرى " سألهم عنه ولم يكلمه الا كلمات يستخبره فيها عن حاله (٢) لم يخبره بشيء (٣) .

ومع طعن بعض أهل الكتاب فيه بأنه بعث بالسيف ، حتى قد يقولوا : إنما قام دينه بالسيف ،وحتى يوهموا الناس أن الذين اتبعوه انما اتبعوه خوفا من السيف ، وحتى يقولوا : إن الخطيب إنما يتوكأ على سيف يوم الجمعة اشارة إلى أنه انما يقوم (٤) الدين بالسيف ، إلى أمثال هذه الأمور ، التي هي من أظهر الأمور كذبا عليه ، يعرف أدنى الناس معرفة بحاله أنها كذب ، وهم - مع هذا - يتشبثون (٥) بها .

فلو كان عندهم أخبار عن الأنبياء توجب ذمه (٦) والتحذير من متابعته ، لكان اظهارهم لذلك . واحتجاجهم به ، أقوى وأبلغ ، وكان ذلك يجب في العادة اشتهاره بين خاصتهم وعامتهم ، قديما وحديثا ، وكان ظهور ذلك فيهم أولى من ظهور خبر الدجال فيهم وفي المسلمين ، فإن هذا الأمر من أعظم ماتتوفر الهمم والدواعي على نقله واشتهاره .

---

(١) في ك و ط زيادة الواو .

(٢) في ط زيادة الواو .

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ١ : ١٩١ - ١٩٤ . وأخرجه الترمذي ، كتاب المناقب ، باب ماجاء في بدء نبوة النبي - صلى الله عليه وسلم - ٥ : ٥٩٠ (٣٦٢٠) قال أبو عيسى :"هذا حديث حسن غريب لانعرفه الا من هذا الوجه" . قال بعضهم :" والظاهر أن الخبر لايثبت ، حيث ورد فيه : وبعث معه أبو بكر بلالا .." وقد كان أبو بكر حينذاك طفلا صغيرا ."

(٤) هكذا في ط و في أ و ك (يقم) والأصح مافي ط ولهذا أثبتناه .

(٥) التَّشَبُّث : التعلق ، ورجل شَبِث - ككتف - : طبعه ذلك . ترتيب القاموس ٢ : ٦٦٤ .

(٦) في ك و ط زيادة : (وتكذيبه) .

فإذا لم يكن كذلك ، عُلم أنه ليس في كتب الأنبياء مايوجب تكذيبه (١) ، وقد قام الدليل على أنه لابد من أن تذكره الأنبياء وتخبر بحاله ، فإذا لم يخبروا أنه كاذب ، عُلم أنهم أخبروا أنه نبي صادق ، كما شاع (٢) ذلك ، وظهر واستفاض من وجوه كثيرة .

فالكتاب الذي بعث به . مملوء بشهادة (٣) الكتب له ، والكتب الموجودة فيها مواضع كثيرة شاهدة له من وجوه متعددة (٤) ، والأخبار متواترة عمن أسلم لأجل ذلك ،وهذا مما يوجب القطع بأنه مذكور فيها بما يدل على صدقه في دعوى النبوة ، وليس فيها مايخبر بكذبه والتحذير منه ، وهذا هو المطلوب .

وفي الجملة أمره أظهر وأشهر ، وأعجب وأبهر ، وأخرق للعادة من كل أمر ظهر في العالم من البشر . ومثل هذا إذا كان كاذبا ، فلكذبه لوازم كثيرة جدا تفوق الحصر ، متقدمة ومقارنة ومتأخرة . فإن من هو أدنى دعوة منه إذا كان كاذبا ، لزم كذبه من اللوازم مايبين كذبه ، فكيف مثل هذا ؟ فإذا انتفت لوازم المكذوب (٥) انتفى الملزوم .

وصدقه لازم لأمور كثيرة كلها تدل على صدقه ، وثبوت الملزوم يقتضي ثبوت اللازم ، ماضيه ومقارنه ومتأخره . ومدعي النبوة لايخلو من الصدق أو الكذب ، وكل من الصدق والكذب له لوازم وملزومات ، فأدلة الصدق مستلزمة له ، وأدلة الكذب مستلزمة له ، والصدق له لوازم والكذب له لوازم.

---

(١) في ك و ط زيادة : (وذمه) .
(٢) استفاض الخبر فهو مستفيض ومُستفاض فيه : إذا انتشر . المصدر السابق ٣ : ٥٤٢ .
(٣) في ك و ط زيادة : (أهل) .
(٤) في ك و ط زيادة : (والأخبار متواترة عمن اطلع على مافيها بذلك) .
(٥) في ك و ط (المكذب) .

فصدقه يعرف بنوعين ، بثبوت دلائل الصدق المستلزمة لصدقه ، وبانتفاء لوازم الكذب الموجب انتفاؤها انتفاء كذبه . كما أن كذب الكذاب يعرف بأدلة كذبه المستلزمة لكذبه ، وبانتفاء لوازم الصدق المستلزم (١) انتفاؤها لانتفاء صدقه ، والله أعلم .

والشيء يعرف تارة بما يدل على ثبوته ، وتارة بما يدل على انتفاء نقيضه ، وهو الذي يسمى قياس الخلف . فإن الشيء إذا انحصر في شيئين ، لزم من ثبوت أحدهما انتفاء الآخر ، ومن انتفاء أحدهما ثبوت الآخر . ومدعي النبوة اما صادق ، واما كاذب ، وكل منهما له لوازم . يدل انتفاؤها على انتفائه ، وله ملزومات ، يدل ثبوتها على ثبوته .

---

(١) هكذا في ط وفي أ و ك (المستلزمة) والأصوب مافي ط ولذلك أثبتناه .

فدليل الشيء مستلزم له كأعلام النبوة ودلائلها ، وآيات[1] الربوبيـــــة ، وأدلة الأحكام[2] وغير ذلك . وانتفاء الشيء يعلم بما يستلزم نفيه كانتفاء لوازمه مثل صدق الكاذب[3] ، يقال : لو كان صادقا ، لكان متصفا بما يتصف به الصادقون .

وكذلك كذب الصادق ، يقال : لو كان كذابا لكان متصفا بما يتصف به الكذاب ، فإنه قد عُرف حال الأنبياء الصادقين ، والمتنبئين الكذابين ،فانتفاء لوازم الكذب . دليل صدقه ، كما أن ثبوت مايستلزم الصدق . دليل صدقه . وكذلك الكذاب يستدل على كذبه بما يستلزم كذبه ، وبانتفاء لوازم صدقه ، وهكذا سائر الأمور .

---

(١) في أ (أو آيات) والأصح مافي ك و ط ولذلك أثبتناه .

(٢) في ك و ط زيادة :[illegible]الشرعية) .

(٣) في ك و ط (الكذاب) .

(٣) في أ زيادة (أصل) وليست في ك و لا ط ولانسخة أكسفورد،وقد وضع الناسخ فوقها رمز التهميش ولم أجد في الهامش الا رمزا ـ كذلك ـ ويظهر لي أن الكلمة مقحمة من الناسخ .

فصـــل

(شهادات الكتب المتقدمة لمحمـــد ـ عليه السلام ـ وأمثلة منهـــا)

ومما ينبغي أن يعرف ماقد نبهنا عليه غير مرة (١) ، أن شهادة الكتب المتقدمة لمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ اما شهادتها بنبوته ، واما شهادتها بمثل ما أخبر به هو من الآيات البينات على نبوته ونبوة من قبله ، وهو حجة على أهل الكتاب وعلى غير أهل الكتاب من أصناف المشركين (٢) الملحدين (٣) ، كما قد ذكر الله هذا النوع من الآيات في غير موضع من كتابه .

كما في قوله ـ تعالى ـ : ﴿ أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني اسرائيل ﴾ (٤) وقوله : ﴿ فإن كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك ... ﴾ (٥) وقوله ﴿ ...قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ... ﴾ (٦) وقوله : ﴿ الذين

---

(١) انظر الجواب الصحيح (طبع المدني) ٢ : ٢١٣ ـ ٢١٤ ، إلى جانب ماتضمنه الفصل السابق .

(٢) في ك و ط زيادة واو العطف .

(٣) الملحدون : من الالحاد ، وهو في اللغة : العدول عن الاستقامة ،والانحراف عنها ، أو هو الجدال والمراء ، والملحدون : هم أصحاب المذاهب المادية والطبيعية ،التي لاتعترف بما وراء المادة ، ولا تؤمن بغير المحسوس . قال الفيومي : قال بعض الأئمة : والملحدون في زماننا هم الباطنية ، الذين يدعون أن للقرآن ظاهرا وباطنا ، وأنهم يعلمون الباطن ـ فاحالوا بذلك الشريعة؛لأنهم تأولوا بما يخالف العربية التي نزل بها القرآن . انظر مفاتيح الغيب ١٥ : ٧٥ ، ومعالم الثقافة الاسلامية : ٢٦ لعبد الكريم عثمان ط ٥،مؤسسة الأنوار بالرياض ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨م والمصباح المنير : ٥٥٠ .

(٤) سورة الشعراء : ١٨٨ .

(٥) سورة يونس : ٩٤ .

(٦) سورة الرعد : ٤٣. وفي ك و ط زيادة : " وقوله : ﴿ والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق ﴾ سورة الأنعام : ١١٤ .

آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ... ﴾ (١) وقوله : ﴿ وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ، ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق، يقولون ربنا آمنا ، فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ ومالنا لا نؤمن بالله ، وماجاءنا من الحق ، ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين ﴾ (٢) وقوله : ﴿ ... إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ، ويقولون سبحان ربنا ، إن كان وعد ربنا لمفعولا ﴾ ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا ﴾ (٣) وذلك مثل قوله في التوراة ماقد ترجم بالعربية : " جاء الله من طُور (٤) سَيْنا (٥) " وبعضهم يقول : " تجلى الله من طور سينا (٦) وأشرق من ساعير (٧) ، واستعلن من جبال فاران " .

---

(١) سورة البقرة : ١٤٦ . وسورة الأنعام : ٢٠ .

(٢) سورة المائدة : ٨٤ .

(٣) سورة الاسراء : ١٠٧ - ١٠٨ .

(٤) طُور سَيْنا : بكسر السين ويروى بفتحها - وهو اسم جبل بقرب "أيلة" . - مدينة على ساحل بحر القُلْزُم - الاحمر - مما يلي الشام . وعنده بُلَيْد - تصغير بلد - فتح في زمن النبي - صلى الله عليه وسلم سنة ٥٩ هـ طلحا. معجم البدان ٤ : ﴿ و ١ : ٢٩٢ .

(٥) في ك و ط زيادة : (في الترجمة) .

(٦) اسم لجبال فلسطين وهو من حدود الروم ، وهو قرية من الناصرة بين طبرية وعكا . معجم البلدان ٣ : ١٧١ .

(٧) فاران : كلمة عبرانية معربة ، وهي من أسماء مكة ، وقيل : اسم لجبال مكة أو جبال الحجاز ، معجم البلدان ٤ : ٢٢٥ . وقال في قاموس الكتاب المقدس (عندهم) : ٦٦٧ : هو السهيل المرتفع أو الأرض الجبلية الواقعة إلى جنوب كنعان ، تحيط بها من الجهات الأخرى برية مشور وسلسلة الجبال المعروفة بجبل التيه ووادي العربة .

(٧) تمام النص من الترجمة الحديثة : " وهذه هي البركة ، التي بارك بها موسى رجل الله بني إسرائيل قبل موته ، فقال : جاء الرب من سينا ، وأشرق لهم من سعير ، وتلا لأمن جبال فاران ، وأتى من ربوات القدس ، وعن يمينه نار شريعة لهم . فأحب الشعب ، جميع قديسيه في يدك ، وهم جالسون عند قدمك ، يتقبلون من أقوالك " سفر التثنية ، الإصحاح الثالث والثلاثون ، ١ - ٣ العهد القديم : ٢٦٢ .

قال كثير من العلماء – واللفظ لأبي محمد بن قتيبة (١) – ليس بهذا خفاء على من تدبره (٢) ولاغموض ، لأن مجيء الله من طور سينا انزاله التوراة على موسى من طور سينا ، كالذي هو عند أهل الكتاب وعندنا ، وكذلك يجب أن يكون اشراقه من ساعير انزاله الانجيل على المسيح وكان المسيح من ساعير – أرض الخليل (٣) بقرية تدعى (ناصرة) (٤) – وباسمها يسمى من اتبعه نصارى (٥) .

وكما وجب أن يكون اشراقه من ساعير بالمسيح ، فكذلك يجب أن يكون استعلانه من جبال فاران ، انزاله القرآن على محمد – صلى الله عليه وسلم – وجبال فاران هي جبال مكة . قال : وليس بين المسلمين وأهل الكتاب خلاف في أن فاران هي مكة ، فإن ادعوا أنها غير مكة ، فليس ينكر ذلك من تحريفهم وافكهم (٦) .

---

(١) في ك و ط (واللفظ لمحمد بن قتيبة) .

(١) أبو محمد بن قتيبة هو عبد الله بن مسلم بن قُتَيْبَة الدِّينَوَري، وقيل : المروزي ، النحوي اللغوي ، صاحب كتاب المعارف وأدب الكاتب ، كان فاضلا ثقة ، سكن بغداد وحَدّث بها ، كانت ولادته سنة ٢١٣ هـ ووفاته فجأة سنة ٢٧٠ أو ٢٧١ أو ٢٧٦ هـ . وفيات الأعيان ٣ : ٤٢ – ٤٣ .ولسان الميزان ٣ : ٣٥٧ – ٣٥٩ .واللباب في تهذيب الأنساب ٣ : ١٥ .

(٢) في ط (تدبر) .

(٣) الخليل هو نبي الله ابراهيم – عليه السلام – وهو ابن تسارخ بن ناحور بن ساروغ بن آرغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن قنيان بن أرفخْشَد بن سام بن نوح – عليه السلام – وسمى الخليل لقوله – عز وجل –: " واتخذ الله ابراهيم خليلا " . النساء : ١٢٥ . تاريخ الأمم والملوك ١ : ٢٣٣ والبداية والنهاية ١ : ١٣٩ .

(٤) ناصرة : قرية بينها وبين طبرية ثلاثة عشر ميلا : فيها كان مولد المسيح عيسى بن مريم – عليه السلام – ومنها اشتق اسم النصارى – كما ذكر الشيخ المؤلف – رحمه الله تعالى – . انظر معجم البلدان ٥ : ٢٥١

(٥) في ك و ط (سمي من اتبعه من نصارى) .

(٦) راجعت ماوقع بين يدي من مؤلفات ابن قتيبة فلم أعثر على هذا النص.

قلنا : أليس في التوراة أن ابراهيم أسكن (هاجر)[١] و (اسماعيل) فاران ؟ وقلنا : دلونا على الموضع الذي استعلن الله منه واسمه فاران والنبي الذي أنزل عليه كتابا بعد المسيح . أو ليس (استعلن)[٢] و(عَلِنَ)[٣] وهما بمعنى واحد ؟ وهو ماظهر وانكشف .

فهل تعلمون دينا ظهر ظهور الاسلام[٤] وفشا في مشارق الأرض ومغاربها فشوه ؟

وقال ابن ظَفَر[٥][٦] : (ساعير)[٧] جبل بالشام ، منه ظهرت نبوة المسيح .

قلت : وبجانب بيت لحم[٨] ، القرية التي ولد فيها المسيح ، قرية تسمى إلى اليوم ساعير[٩] ، ولها جبل تسمى ساعير[١٠] .

وفي التوراة : أن نسل العيص[١١] كانوا سكانا بساعير ، وأمر الله موسى أن لايؤذيهم[١٢] .

---

(١) هاجر : كانت جارية عند ملك مصر ، فأعطاها سارة امرأة ابراهيم ـ عليه السلام ـ خادمة لها ، ثم قالت سارة لابراهيم : إن ربي قد أحرمني الولد ، فادخل على أمتي هذه لعل الله يرزقني منها ولدا ، فلما وهبتها له دخل بها ابراهيم فولدت له اسماعيل ، ولابراهيم من العمر ست وثمانين سنة ، قبل مولد اسحاق بثلاث عشرة سنة . وماتت هاجر بمكة بعد زواج ابنها اسماعيل لما بلغ الرشد ودفنت بالحِجْر ، وكانت الروم تسمي العرب (سارقيوس) يعني : عبيد سارة بسبب هاجر فنهاهم نقفور عن ذلك . الكامل ١ : ٧١ و ١٩٣ ، والبداية والنهاية ١ : ١٥٠ ـ ١٥٥ .

(٢) في ط بدون عطف .

(٣) عَلِنَ الأمر : من باب دَخَلَ وطَرِبَ . مختار الصحاح : ٤٥٢ . وانظر اللسان ١٣ : ٢٨٨ ـ ٢٨٩ مادة : علن .

(٤) في ط (فهل تعلمون ظهر دين ظهور الاسلام) .

(٥) في ك و ط زيادة : " أبوهاشم " .

(٦) هو حجة الدين أبو عبد الله محمد بن أبي محمد بن محمد بن ظَفَر الصَّقَلّي، نشأ بمكة ، وسكن حماة ، وكان قصيرا لطيف الشكل ، وله نظم وفضائل مات سنة ٥٦٥ هـ بحماة . وفيات الأعيان ٤ : ٣٩٥ ـ ٣٩٧ ، وسير النبلاء ٢٠ : ٥٢٢ ـ ٥٢٣ .

(٧) لعل هذا القول في كتاب " خير البِشَر بخير البَشَر " . لابن ظفر ،واظنه غير مطبوع إن لم يكن مفقودا ، والذي ذكره ابن خلكان .

=

.....

= (٨) هو بُليد قرب البيت المقدس ، المشهور أن عيسى ـ عليه السلام ـ ولد به،وقيل هو بالخاء المعجمة ، وقيل لغتان . مراصد ١ : ٢٣٨ .

(٩) هكذا في ك و ط زيادة " قرية " وليست في أ ، واثباتها أولى .

(١٠) انظر معجم البلدان ٣ : ١٧١ .

(١١) العيص : هو ابن اسحاق بن ابراهيم ـ عليهم السلام ـ ، وأمه : رفقا بنت بتويل ، وأخوه التوأم يعقوب ، والعيص أكبرهما ، وقد ولدا وعمر اسحاق ٦٠ سنة ، وزوجته هي : نسمة بنت عمه اسماعيل ، وقد ولدت له الروم بن عيص ، وكل بني الأصفر من ولده ، وهو أحب من يعقوب الى أبيه،وكان صاحب صيد . الكامل ١ : ٤٦ و ٧١،وقاموس الكتاب المقدس (عندهم) : ٦٤٩.

(١٢) انظر سفر التكوين الأصحاح السادس والثلاثين ٨ : ٩ ، والعهد القديم ٥١ .

وعلى هذا ، فيكون ذكر الجبال الثلاثة حقا ، جبل حراء[1] الذي ليس حول مكة جبل أعلى منه ، ومنه كان نزول أول الوحى على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وحوله من الجبال ، جبال كثيرة ، حتى قد قيل : ان بمكة اثنى عشر ألف جبل[2] . وذلك المكان يسمى فاران ، الى هذا اليوم ، وفيه كان ابتداء نزول القرآن[3] .

---

(١) حراء : جبل من جبال مكة على ثلاثة أميال ، ويقابله جبل ثبير وحراء أرفع منه : معجم البلدان ٢ : ٢٣٣ .

(٣) فقد كان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يجاور ـ يعتكف ـ في كل سنة شهرا في حراء ، فجاور في تلك السنة التي ابتدأ نزول القرآن عليه في شهر رمضان . انظر السيرة النبوية لابن هشام ١ : ٢٥٢ .

(٢) بحثت عن مصدر لهذه المعلومة ، فلم أصل الى شيء .

والبرية التي بين مكة ، وطور سينا تسمى برية فاران ، ولايمكن أحدا أن يدعى أنه ـ بعد المسيح ـ نزل كتاب في شيء من تلك الأرض ولابعث نبي. فعلم أنه ليس المراد باستعلانه من جبال فاران الا ارسال محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو سبحانه ـ ذكر هذا في (١) التوراة على الترتيب الزماني ، فذكر انزال التوارة ، ثم الانجيل ، ثم القرآن ، وهذه الكتب نور الله وهداه .

وقال في الأول : جاء أو (٢) ظهر ، وفي الثاني : أشرق ، وفي الثالث : استعلن . وكان مجيء التوراة مثل طلوع الفجر ، أو ماهو أظهر من ذلك ،ونزول الانجيل مثل اشراق الشمس زاد (٣) به النور والهدى . وأما نزول القرآن . فهو بمنزلة ظهور الشمس في السماء ، ولهذا قال : واستعلن من جبال فاران ،فإن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ظهر به نور إلله وهداه في مشرق الأرض ومغربها ، أعظم مما ظهر بالكتابين المتقدمين ، كما يظهر نور الشمس إذا استعلت (٤) في مشارق الأرض ومغاربها ، ولهذا سماه الله سراجا منيرا ، وسمى الشمس سراجا وهاجا . (٥)

والخلق يحتاجون (٦) إلى السراج المنير ، أعظم من حاجتهم إلى السراج الوهاج، فإن الوهاج يحتاجون إليه في وقت دون وقت ، وكما قيل (٧) : قد يَنْضَرّون (٨) به بعض الأوقات . وأما السراج المنير . فيحتاجون إليه كل وقت ، وفي كل مكان ، ليلا ونهارا ،سرا وعلانية .

---

(١) في ط (بالتوراة) .

(٢) هكذا في ك و ط وفي أ بالعطف ،وما أثبتناه أرجح .

(٣) في ط (ازداد) .

(٤) في ك و ط (استعلنت) .

(٥) الوهاج : الحار المضطرم الاتقاد . البحر المحيط ٨ : ٤١١ .

(٦) في ك و ط (محتاجون) .

(٧) في ك و ط (بل قد) بدلا من (وكما قيل) .

(٨) في ك و ط (يتضررون) .

وقد قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " زويت[1] لي الأرض ، فرأيت[2] مشارقها ومغاربها ، وسيبلغ ملك أمتي ما زُوِيَ[3] لي منها " .

وهذه الأماكن الثلاث أقسم الله بها في القرآن في قوله ـ تعالى ـ : * والتين والزيتون * وطور سينين * وهذا البلد الأمين * لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم * ثم رددناه أسفل سافلين * الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون * فما يكذبك بعد بالدين * اليس الله بأحكم الحاكمين[4] *

فأقسم بالتين والزيتون ، وهو الأرض المقدسة الذي[5] ينبت فيها ذلك ، ومنها بعث المسيح ، وأنزل عليه فيها الانجيل ، وأقسم بطور سنين[6] ، وهو الجبل الذي كلم الله فيه موسى ، وناداه من وادِيه الأيمن[7] من البقعة المباركة من الشجرة ، وأقسم بالبلد الأمين . وهي مكة ، وهو[8] البلد الذي أسكن أبراهيم ابنه اسماعيل وأمه ، وهو الذي جعله الله حرما آمنا ، ويُتَخَطَّف الناس من

---

(١) زويت : جمعت وقبضت . ترتيب القاموس ٢ : ٤٩٦ .

(٢) في ك و ط زيادة " فرأيت " .

(٣) الحديث رواه مسلم عن ثوبان بلفظ : " إن الله تعالى زوى لي الأرض، حتى رأيت مشارقها ومغاربها ، وإن أمتي سيبلغ ملكها مازوي لي منها ... " الحديث . كتاب الفتن ... ، باب هلال هذه الأمة بعضهم ببعض ، ٤ : ٢٢١٥ (٢٨٨٩) ورواه أبو داود بنحوه ، كتاب الفتن والملاحم ، باب ذكر الفتن ودلائلها ، ٤ : ٩٧ (٤٢٥٢) . والترمذي ، كتاب الفتن، باب ماجاء في سوال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثلاثا في أمته ، ٤ : ٤٧٢ (٢١٧٦) وابن ماجه بلفظ : " زويت لي الأرض ، حتى رأيت مشارقها ومغاربها ... وقيل لي : إن ملكك إلى حيث زوى لك ..." أبواب الفتن ،باب مايكون من الفتن ، ٢ : ٣٦٨ (٤٠٠٠) والحاكم في المستدرك ، كتاب الفتن والملاحم ، ٤ : ٤٤٩ . ورواه أحمد عن شداد بن أوس ، ٤ : ١٢٣ .

(٤) سورة التين كاملة .

(٥) في ط (التي) .

(٦) في ك و ط (سينا) .

(٧) في ك و ط (في) .

(٨) سقطت (هو) من ك و ط .

حولهم (١) ، خلقا وأمرا ، قدرا وشرعا ، فإن ابراهيم حرمه ودعا لأهلـــه ، فقال : ﴿ ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحـــرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمـــرات لعلهم يشكرون ﴾ (٢) وقال ـ تعالى ـ : ﴿ وإذ جعلنا البيت مثابة (٣) للناس وأمنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا إلى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود ﴾ وإذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال : ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير (٤) ﴾ .

فأخبر الله ـ تعالى ـ أن ابراهيم دعا الله بأن يجعل مكة بلدا آمنـــا ، واستجاب الله دعاء (٥) ابراهيم وذكر ذلك في غير موضع (٦) ، وبها بنى ابراهيم البيت كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ﴾ ربنا واجعلنا مُسْلِمَيْن لك ومـــن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيـــم ﴾ ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمـــة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم (٧) ﴾ .

---

(١) في ك و ط زيادة : (وجعله آمنا) .

(٢) سورة ابراهيم : ٣٧. وقد سقطت واو (وقال) من ط .

(٣) مثابة ، أي مرجعا للناس يقبلون عليه من كل جانب . صفوة التفاسيـــر ١ : ٩٣ .

(٤) سورة البقرة : ١٢٥ ـ ١٢٦.

(٥) في ط (الدعاء) .

(٦) سقطت عبارة (وذكر ذلك في غير موضع) من ك و ط .

(٧) سورة البقرة : ١٢٧ ـ ١٢٩. وفي ك و ط زيادة : " وقد استجاب الله دعاء ابراهيم ، فبعث فيهم رسولا منهم ، يتلو عليهم آياته ويعلمهـــم الكتاب والحكمة ، وذكر ذلك في غير موضع " .

وقال – تعالى – : ﴿ إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين ﴾ فيه آيات بينات مقام ابراهيم، ومن دخله كان آمنا، ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين ﴾ (١)

وقال – تعالى – : ﴿ لايلاف قريش ﴾ ايلافهم رحلة الشتاء والصيف ﴾ فليعبدوا رب هذا البيت ﴾ الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ﴾ (٢) ، وقال – تعالى – : ﴿ وقالوا : إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أو لم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لايعلمون ﴾ (٣) ،وقال – تعالى – : ﴿ أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون ﴾ (٤)

---

(١) سورة آل عمران : ٩٦ – ٩٧ .

(٢) سورة قريش كاملة .

(٣) سورة القصص : ٥٧ .

(٤) سورة العنكبوت : ٦٧ .

(٤) في ك و ط زيادة : " وقال – تعالى – : ﴿ وإذ بوأنا لابراهيم مكان البيت ، أن لاتشرك بي شيئا، وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود ﴾ وأذن في الناس بالحج ، يأتوك رجالا وعلى كل ضامر ، يأتين من كل فج عميق ﴾ ليشهدوا منافع لهم ، ويذكروا اسم الله في أيام معلومات ، على مارزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها ، وأطعموا البائس الفقير ﴾ ثم ليقضوا تفثهم ، وليوفوا نذورهم ، وليطوفوا بالبيت العتيق ﴾(سورة الحج : ٢٦ – ٢٩) وقال – تعالى – ﴿ جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس ، والشهر الحرام والهدى والقلائد ، ذلك لتعلموا أن الله يعلم مافي السموات والأرض ، وأن الله بكل شيء عليم ﴾ (المائدة : ٩٧) . .

فقوله ـ تعالى ـ : ﴿ والتين والزيتون ﴾ وطور سينين ﴿ وهذا البلد الأمين ﴾ (١) اقسام منه بالأمكنة الشريفة المعظمة الثلاثة ، التي ظهر فيها نوره وهداه ، وأنزل فيها (٢) الثلاثة ، التوراة ، والانجيل ، والقرآن . كماذكر الثلاثة في التوراة بقوله : "جاء الله من طور سينا ، وأشرق من ساعير ، واستعلن من جبال فاران (٣) " .

ولما كان مافي التوراة خبرا عنها ، أخبر بها على ترتيبها الزماني ، فقدم الأسبق فالأسبق . وأما القرآن ، فإنه أقسم بها تعظيما لشأنها ، وذلك تعظيم (٤) لقدرته ـ سبحانه ـ وآياته ، وكتبه ، ورسله . فأقسم بها على وجه التدريج ، درجة بعد درجة ، فختمها بأعلى (٥) الدرجات . فأقسم أولا ، بالتين والزيتون ، ثم بطور سينا ، ثم بمكة ، لأن أشرف الكتب الثلاثة ، القرآن ، ثم التوراة ، ثم الانجيل ، وكذلك الأنبياء . فأقسم بها على وجه التدريج ، كما في قوله : ﴿ والذاريات ذروا (٦) ﴾ فالحاملات وقرا ﴿ فالجاريات يسرا ﴿ فالمقسمات أمرا ﴾ (٧) فأقسم بطبقات المخلوقات ، طبقة بعد طبقة ، فأقسم بالرياح الذاريات ، ثم بالسحاب الحاملات للمطر ، فإنها فوق الرياح ،

---

(١) سورة التين : ١ ـ ٣ .

(٢) في ك و ط زيادة : (كتبه) .

(٣) سفر التثنية ، الاصحاح الثالث والثلاثون ، ١ ـ ٣ العهد القديم : ٣٦٢ .

(٤) هكذا في ك و ط ، ولم ترد (تعظيم) في أ وقد أثبتناها من ك و ط من أجل استقامة المعنى .

(٥) رسمت في أ و ك (باعلا) وقد أثبتنا مافي ط ، حسب الرسم الاملائي الحديث ، المفرد العلم في رسم القلم : ١٤١ .

(٦) الذاريات : هي الرياح الذي تذروا التراب فتفرقه ، وتحمل الرمال من مكان إلى مكان . صفوة التفاسير ٢٦ : ٢٥١ .

(٧) سورة الذاريات : ١ ـ ٣

ثم بالجاريات يسرا . وقد قيل : إنها السفن (١) ، ولكن الأنسب أن تكون هي الكواكب (٢) المذكورة في قوله : ﴿ فلا أقسم بالخنس (٣) * الجوار الكنس (٤) ﴾ ، فسماها جواري ، كما سمى الفُلك جواري في قوله : ﴿ ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام (٥) ﴾ والكواكب فوق السحاب .

ثم قال : ﴿ فالمقسّمات أمرا ﴾ ، وهي الملائكة ، التي هي أعلا درجة من هذا كله (٦) .

وماذكر ابن قتيبة وغيره من علماء المسلمين ، من تربية اسماعيل في برّية "فاران" فهكذا هو في التوراة ، قال فيها : " وغدا ابراهيم ،فأخذ الغلام ، وأخذ خبزا وسقاء من ماء ، ودفعه إلى هاجر ، وحمله عليها ، وقال لها : إذهبي ، فانطلقت هاجر ، فضلت (٧) في برية سَبْع (٨) ، ونفد (٩) الماء الذي كان معها ، فطرحت الغلام تحت شجرة ،وجلست في مقابلته على مقدار رمية بسهم (١٠) ، لئلا تبصر الغلام حين يموت ، ورفعت صوتها بالبكاء ، وسمع الله

---

(١) وهو قول الأكثر . انظر جامع البيان للطبري ٢٦ : ١٨٧ – ١٨٨ .

(٢) انظر البحر المحيط ٨ : ١٣٣ ، وتفسير القرآن العظيم ٧ : ٣٩١ .

(٣) التي تخنس نهارا وتختفي عن البصر ، جمع خانس . والتي تغيب يقال : كنس : إذا دخل الكِنَاس ، وهو المكان الذي تأوي إليه الظباء . صفوة التفاسير ٣٠ : ٥٢٤ .

(٤) سورة التكوير : ١٥ – ١٦.

(٥) سورة الشورى : ٣٢.

(٦) البحر المحيط ٨ : ١٣٣ .

(٧) أي ضاعت . مختار : ٣٨٣ .

(٨) هي برية من أرض فلسطين بالشام كما قال ياقوت في معجمه ٣ : ١٨٥ واستعمال هذه الكلمة هو من تحريف اهل الكتاب – حيث اسمه الواضح أنها بريّة مكة (فاران) كما هو ثابت لدينا نحن المسلمين.

(٩) في ط (نفذ) . ونفد : أي فني وذهب . ترتيب القاموس ٤ : ٤١١ .

(١٠) في ط (سهم) بدون باء .

صوت الغلام ، فدعا ملك الله هاجر ، وقال لها : مالك ياهاجر ؟ لاتخشّ فإن الله قد سمع صوت الغلام حيث هو ، فقومي فاحملي الغلام ، وشُدّي يدك[(١)] به ، فإني جاعله لأمة عظيمة . وفتح الله عينيها[(٢)] فبصرت بئر ماء ، فسقت الغلام وملأت سقاءها ، وكان الله مع الغلام ، فربى وسكن في برية " فاران "[(٣)] .

---

(١) في ك و ط (يديك) بالتثنية .

(٢) في ك و ط (عينها) بالافراد .

(٣) في الترجمة الحالية هكذا : " فبكر ابراهيم صباحا ، وأخذ خبزا وقربة ماء ، وأعطاهما لهاجر ، واضعا اياهما على كتفها والولد ، وصرفها ، فمضت وتاهت في برية بئر سبع ،ولما فرغ الماء من القربة : طرحت الولد تحت احدى الأشجار ، ومضت وجلست مقابله بعيدا نحو رمية قوس ، لأنها قالت : لا أنظر موت الولد ، فجلست مقابلها ، ورفعت صوتها وبكت ، فسمع الله صوت الغلام ، ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها : مالك ؟ ياهاجر ، لاتخافي ، لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو ، قومي احملي الغلام وشدي يدك به ، لأني سأجعله لأمة عظيمة ، وفتح الله عينيها فأبصرت بئر ماء ، فذهبت وملأت القربة ماء ، وسقت الغلام ، وكان الله مع الغلام فكبر ، وسكن في البرية ، وكان ينمو رامي قوس وسكن في برية فاران ... " . سفر التكوين ، الاصحاح الحادي والعشرون، ١٤ – ٢١ العهد القديم : ٢٩ .

فهذا خبر الله في التوراة أن إسماعيل ربي وسكن في برية فاران ، بعد أن كاد يموت من العطش ، وأن الله سقاه من بئر ماء . وقد علم بالتواتر ، واتفاق الأمم أن إسماعيل إنما ربى بمكة ، وهو وأبوه إبراهيم بنيا البيت ، فعلم أن أرض مكة (١) ، فاران (٢) .

---

(١) في ك و ط زيادة : (من) .

(٢) بعد هذا في ك و ط زيادة بمقدار صفحة وهى قوله : " والله - تعالى - قد أخبر في القرآن - في غير موضع - بكون اسماعيل كان بمكة ، فقال عن الخليل : ﴿ وإذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا ، واجنبني وبنى أن نعبد الأصنام * رب انهن أضللن كثيرا من الناس ، فمن تبعني فإنه مني ، ومن عصاني فإنك غفور رحيم * ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع ، عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة ، فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم ، وارزقهم من الثمرات ، لعلهم يشكرون ﴾ سورة ابراهيم : ٣٥ - ٣٧ . وقال - تعالى - : ﴿ وإذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن ، قال إني جاعلك للناس اماما ، قال ومن ذريتي؟ قال لاينال عهدي الظالمين * وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا ، واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى ، وعهدنا إلى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود ﴾ - إلى أن قال عز وجل - ﴿ وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ، ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم * ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ، وأرنا مناسكنا ، وتب علينا ، انك أنت التواب الرحيم * ربنا وابعث فيهم رسولا منهم ، يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم ﴾ .

---

(١) لم ترد هذه الاشارة لا في ك ولا ط ، إنما اتبعت الآية رقم : ١٢٥ بالآية رقم ١٢٧ مباشرة .

وهذه البشارة[١] في التوراة لهاجر باسماعيل ، وقول الله :" إني جاعله لأمة عظيمة ، ومعظمة جدا جدا ، وإن هاجر فتحت عينها ، فرأت بئر ماء فدنت منها[٢] "[٣] إلى آخر الكلام .

وفي موضع آخر قال عن اسماعيل :" إنه يجعل يده فوق[٤] يدي الجميع "[٥] .

ومعلوم باتفاق الأمم ، والنقل[٦] أن اسماعيل تَّربى بأرض مكة ، فعلم أنها " فاران " ، وأنه هو وابراهيم بنيا البيت[٧] الذي مازال محجوجا

---

(١) في ك و ط زيادة : (التي) .

(٢) في ك و ط زيادة : (وملأت المزادة ، وشربت وسقت الصبي ، وكان الله معها ومع الصبي ، حتى تربى ، وكان مسكنه في برية فاران) .

(٣) ونصه في الترجمة الحالية : " وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه ،ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا ... " سفر التكوين ، الاصحاح السابع عشر ، ٢٠ العهد القديم : ٢٤ . وبقية النص هو من النص المذكور منذ قليل .

(٤) في ك و ط (أيدي) .

(٥) ونصه كما يلي : (... وقال لها ملاك الرب : ها أنت حبلى فتلدين ابنا ، وتدعين اسمه (اسماعيل) ،لأن الرب قد سمع لمذلتك ، وأنه يكون انسانا وحشيا – أي تَّريا – يده على كل واحد ويد كل واحد عليه ، وأمام جميع اخوته يسكن .. " سفر التكوين ، الاصحاح السادس عشر ، ١٢ – ١٣ العهد القديم : ٢٣ .

(٦) في ك و ط زيادة : (المتواتر) .

(٧) في ك و ط زيادة : (الحرام) .

من عهد ابراهيم ، تحجه العرب وغير العرب من الأنبياء وغيرهم ، كما حج اليه موسى بن عمران ، ويونس بن مَتَّى ، كما في الصحيح من رواية ابن عباس : أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مر بوادي الأزرق (١) ، فقال : " أي واد هذا ؟ " ، فقالوا : هذا وادي الأزرق ، فقال : " كأني أنظر إلى موسى ـ صلى الله عليه وسلم ـ هابطا من الثنية (٢) ، واضعا أصبعيه في أذنيه ، له جؤار (٣) الى الله عز وجل ، بالتلبية (٤) ، مارا بهذا الوادي " قال : ثم سرنا حتى أتينا على ثنية (٥) ، فقال : " أي ثنية هذه ؟ " قالوا : هرشى ، فقال : " كأني أنظر الى يونس على ناقة حمراء ، عليه جبة صوف ، خطام ناقته ليف خُلبة (٦) ، مارا بهذا الوادي ملبيا " . وفي رواية : " أما موسى فرجل آدم (٧) ،

---

(١) في ك و ط زيادة : (بين مكة والمدينة) .

(١) هو بلفظ اللون ، وهو خلف قرية "أَمْجَ" بينه وبين مكة ميل واحد . فتح الباري ٣ : ٤١٤ . ولقد عجبتمن " ياقوت " ـ رحمه الله ـ حيث مر على ذكر هذا الوادي بقوله : وادي الأزرق بالحجاز " هكذا دون أي تفصيل ! معجم البلدان ١ : ١٦٨ .

(٢) الثنية ، هي : الطريق في الجبل . انظر ترتيب القاموس ١ : ٤٢٤ .

(٣) جأر ـ كمنع ـ جَأْرًا وجُؤارًا : رفع صوته بالدعاء وتضرع ، واستغاث . المصدر السابق : ١ : ٤٣٢ .

(٤) في ط (في التلبية) .

(٥) في ك و ط (هو شيء) .

(٥) هي ثنية في طريق مكة ، قريبة من الجحفة ، يرى منها البحر ، ولها طريقان فكل من سلك واحدا منها أفضى به إلى موضع واحد . معجم البلدان ٥ : ٣٩٧ .

(٦) الخُلْبة : هو الليف ، وروى بتنوين ليف ، وروى باضافته إلى خلبة ، فمن نون جعل خلبة بدلا أوعطف بيان . صحيح مسلم بشرح النووي ٢ : ٢٣٠ ليحيى ابن شرف الحزامي الحواربي الشافعي النووي ـ ٦٧٦ هـ دار الفكر ، بيروت ١٤٠١ هـ = ١٩٨١م . أو هو الحبل الصلب الرقيق . ترتيب القاموس ٢ : ٨٨ .

(٧) آدم : اسمر . مختار : ١٠ .

جعد (١) على جمل أحمر مخطوم بخلبة (٢) " .

ولما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم (٣) أوجب حجه على كل أحد ، فحجت اليه الأمم من مشارق الأرض ومغاربها . والبئر الذي شرب منها اسماعيل وأمه ، هي بئر زمزم (٤) ، وحديثها مذكور في صحيح البخاري (٥) ، عن ابن عباس ،

---

(١) في ط (جعل) .

(١) الجعد : المراد به جعودة البدن وهو اجتماعه واكتنازه ، وليس المراد جعودة الشَّعر . مختار الصحاح : ١٠ . وصحيح مسلم ت : عبد الباقي ، ١ : ١٥١ . هامش ٦ .

(٢) في ك و ط زيادة : (لبف) .

(٢) الحديث رواه مسلم بلفظ : سرنا مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بين مكة والمدينة فمر بنا بواد فقال : " أي واد هذا ؟ فقالوا : وادي الازرق . فقال : " كأني انظر إلى موسى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فذكر من لونه وشعره شيئا لم يحفظه داود ـ أحد رجال الإسناد ـ " واضعا صبعيه في أذنيه ، له جؤار إلى الله بالتلبية ، مارا بهذا الوادي " قال : ثم سرنا حتى أتينا على ثنية ، فقال : " اي ثنية هذه " ؟ قالوا : هرشى و لفت . فقال : " كأني أنظر إلى يونس على ناقة حمراء عليه جبة صوف خطام ناقته ليف خلبة ، مارا بهذا الوادي ملبيا " . والرواية جزء من حديث آخر يلي هذا الحديث المذكور . مسلم ، كتاب الايمان ، باب الاسراء ... ، ١ : ١٥٢ ـ ١٥٣ (١٦٦) وفي رواية البخاري عن ابن عباس : " ... وأما موسى فرجل جعد ، على جمل أحمر مخطوم بخلبة ، كاني أنظر اليه إذا انحدر في الوادي يلبي " كتاب اللباس ، باب الجعد ، ١٠ : ٣٥٧ (٥٩١٣) من فتح الباري .
ورواه ابن ماجه ، أبواب المناسك ، الحج على الرحل ، ٢ : ١٥٥ (٢٩٢٣) .

(٣) لم ترد الجملة الدعائية لا في أ و لا ك .

(٤) هي البئر المباركة المشهورة بالمسجد الحرام بمكة ـ زادها الله شرفا ـ ، وقد كانت في زمن اسماعيل ـ عليه السلام ـ ، وطوتها السيول ، وتطاولت عليها الأيام ، فلم يبق لها أثر ، فأتى عبد المطلب فأمر بحفرها ، ودّل على موضعها ، فاستخرجها ووجد فيها غزالين من ذهب وأسيافا فضرب الغزالين صفائح على باب الكعبة ، وبقيت لسقاية الحاج ، واختص بها العباس بن عبد المطلب ـ رضى الله عنه ـ مراصد الاطلاع ٢ : ٦٦٩ ـ ٦٧٠ .

(٥) في ك و ط زيادة (عن سعيد بن جبير) .

قال : أول ما اتخذ النساء المنطق[1] من قبل أم اسماعيل ، اتخذت منطقا ليُعَفِّي أثرها على سارة[2] .

ثم جاء بها ابراهيم ، وبابنها اسماعيل وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت ، عند دوحة فوق زمزم ، في أعلى المسجد ، وليس بمكة يومئذ أحد ، وليس بها ماء[3] ، ووضع عندها جرابا فيه تمر ، وسقاء فيه ماء . ثم قَفَّى[4] ابراهيم منطلقا فتبعته أم أسماعيل ، فقالت : يا ابراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي ،ليس فيه انس ولاشيء ؟ فقالت له ذلك مرارا ، وجعل

---

(١) المِنْطَق : هو النِّطاق ، وهو مثل ازار فيه تِكَّة – رباط – تلبسه المرأة وقيل : هو حبل تشد به المرأة وسطها للمهنة ، أو هو ماشَدَدتَ به وَسْطَك. المصباح : ٦١١ .

(٢) وكان السبب في ذلك : أن سارة كانت وهبت هاجر لابراهيم فحملت منه باسماعيل ،فلما ولدته غارت منها فحلفت لتقطعن منها ثلاثة أعضاء فاتخذت هاجر منطقا فشدت به وسطها وهربت وجرت ذيلها لتخفي أثرها على سارة . ويقال : إن ابراهيم شفع فيها ، وقال لسارة : حللي يمينك بان تثقبي أذنيها وتخفضيها – أي تختنيها – فكانت أول من فعل ذلك . وقد لايثبت ذلك السبب . انظر فتح الباري ٦ : ٤٠٠ – ٤٠١ .

(٢) هي بنت هاران عم ابراهيم – عليه السلام – وهو ملك حران توفيت بالشام ولها ١٢٧ سنة ، وقيل : بارض الجبابرة من بلاد كنعان . وهي اصغر من ابراهيم بعشر سنوات و " سارة " اسم عبراني معناه : أميرة واصله " ساراي". الكامل ١ : ٧٠ البداية والنهاية ١ : ١٥٠ قاموس الكتاب المقدس (عندهم) : ٤٤٣ .

(٣) في ك و ط زيادة : (فوضعها هناك) .

(٤) قفا : من القفاء أي ولاها قفاه ذاهبا عنها .

لايلتفت اليها . فقالت له : آلله أمرك بهذا ؟ قال : "نعم " قالت : اذا لايضيعنا (١) ثم رجعت . فانطلق ابراهيم حتى إذا كان عند الثنية (٢) ، حيث لايرونه استقبل بوجهه البيت ، ثم دعا بهذه الدعوات ، فقال : ﴿ ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم (٣)- حتى بلغ -(يشكرون ﴾.

وجعلت أم اسماعيل ترضع اسماعيل ، وتشرب من ذلك الماء ، حتى إذا نفد (٤) مافي السقاء وعطشت وعطش ابنها ، وجعلت تنظر اليه يتلوى (٥) ، انطلقت كراهية أن تنظر اليه ، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها ، فقامت عليه ، ثم استقبلت الوادي تنظر ، هل ترى أحدا ؟ فلم تر أحدا ، فهبطت من الصفا ، حتى إذا بلغت الوادي ، رفعت طرف درعها (٦) ، ثم سعت سعى الانسان المجهود (٧) ، حتى جاوزت الوادي ، ثم أتت المروة ، فقامت عليها ونظرت ، هل ترى من أحد ؟ فلم تر أحدا ، ففعلت ذلك سبع مرات .

---

(١) في ك و ط زيادة : (وفي لفظ : " وتبعته أم اسماعيل حتى بلغوا كداء ، نادته من وراء يا ابراهيم إلى من تتركنا ؟ قال : " إلى الله "! قالت : رضيت بالله " .

(٢) في ك و ط (البيت) .

(٣) سورة ابراهيم : ٣٧ .

(٤) في ط (نفذ) .

(٥) في ك و ط زيادة : (أو قال يتلبط) .

(٦) درع المرأة : قميصها . مختار : ٢٠٣ .

(٧) من ظهرت عليه آثار المشقة . انظر المصدر السابق : ١١٤ .

قال ابن عباس : قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ :" فلذالك سعى الناس بينهما (١) " . فلما أشرفت (٢) المروة سمعت صوتا ، فقالت : صه (٣) ، تريد نفسها ، فسمعت ـ أيضا ـ فقالت : قد أسمعت إن كان عندك غَوَاث (٤) ، فإذا هى بالملك (٥) عند موضع زمزم ، فبحث بعَقِبه (٦) ، ـ أو قال : بجناحه ـ ، حتى ظهر الماء ، فجعلت تحوطه وتقول بيدها هكذا (٧) ، تغرف من الماء في سقائها ، وهو يفور بعدما تغرف . قال ابن عباس : قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " يرحم الله أم اسماعيل ، لو تركت زمزم (٨) لم تغرف من الماء ، لكان (٩) عينا معينا (١٠) " .

---

(١) في ك و ط زيادة : (على) وانظر ترتيب القاموس ٢ : ٧٠٢ .

(٢) بفتح الصاد وسكون الهاء وبكسرها مُنَونة ، كانها خاطبت نفسها ، فقالت لها : اسكتي . انظر مختار : ٣٧٢ .

(٣) في ك و ط زيادة : (ثم سمعت) قبل : (سمعت ـ أيضا ـ) .

(٤) بفتح أوله وضمه وهو العون والنضرة . فتح الباري ٦ : ٤٠٢ والمصباح ٤٥٥ .

(٥) في رواية " فإذا جبريل " وللطبري عن علي بإسناد حسن : فناداها جبريل فقال : من انت ... " . فتح الباري ٦ : ٤٠٢ .

(٦) العقب : موخر القدم . المصباح : ٤١٩ .

(٧) في ك و ط زيادة : (وجعلت) .

(٨) في ك و ط زيادة : (أو قال : لو) .

(٩) في ك و ط زيادة : (زمزم) .

(١٠) أي ظاهرا جاريا على وجه الأرض . فتح الباري ٦ : ٤٠٢ .

قال : فشربت وأرضعت ولدها ، فقال لها الملك : " لاتخافوا[(١)] الضيعة ، فإن ههنا بيت الله ، يبني[(٢)] هذا الغلام وأبوه ،وإن الله لايضيع أهله ". وكان البيت مرتفعا من الأرض كالربية ، تأتيه السيول ، فتأخذه عن يمينه وشماله[(٣)] " وذكر تمام الحديث[(٤)] .

---

(١) في ط (لاتخافي) .

(٢) في ط (يبنيه) .

(٣) رواه البخاري ، كتاب الأنبياء ، باب يزفّون : النَّسلان في المشي ،٦ :٣٩٦ – ٣٩٨ (٣٣٦٤) من فتح الباري .

(٤) في ك و ط بقية الحديث وهي:"فكانت كذلك ، حتى مرت بهم رفقة من جُرْهُم – أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء ، فنزلوا في أسفل مكة ، فرأوا طائرا عايفا ، فقالوا : إن هذا الطائر ليدور على ماء ،لعهدنا بهذا الوادي ، ومافيه ماء ، فأرسلوا جَرِيًّا أو جريين ، فإذا هم بالماء فرجعوا فأخبروهم بالماء ،فأقبلوا . قال : وأم اسماعيل عند الماء فقالوا : أتأذنين لنا أن ننزل عندك ؟ فقالت : نعم ؟ ولكن لاحق لكم في الماء ، قالوا : نعم . قال ابن عباس : قال النبي – صلى الله عليه وسلم – : " فألفى ذلك أم اسماعيل وهي تحب الأنس ، فنزلوا فأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم ، حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم ، وشَبّ الغلام ، وتعلم العربية منهم ، وأنفسهم ، وأعجبهم حين شب ، فلما أدرك زَوَّجوه امرأة منهم ، وماتت أم أسماعيل . فجاء أبراهيم بعدماتزوج اسماعيل ، يطالع تركته فلم يجد ، فسأل امرأته فقالت : خرج يبتغي لنا ، ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم ، فقالت : بِشَرٍّ نحن في ضيق وشدة ، فشكت اليه . قال : " إذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ، وقولي له ، يُغَيِّر عتبة بابه " . فلما جاء اسماعيل

=

.....

= كأنه أنس شيئا ،فقال : " هل جاءكم من أحد " ؟ قالت : نعم جاءنا شيخ كذا وكذا ، فسألنا عنك فأخبرته ، وسألني كيف عيشنا فأخبرته أنّا في جهد وشدة .قال : فهل أوصاك بشيء ؟ قالت : نعم أمرني أن أقرأ عليك السلام ، وقال : " تغير عتبة بابك " ، قال : ذاك أبي ، قد أمرني أن أفارقك ، الحقي بأهلك فطلقها . ثم تزوج منهم أخرى ، فلبث عنهم ماشاء الله ، ثم أتاهم بعد ، فلم يجده . فدخل على أمرأته فسألها عنه ،فقالت : خرج يبتغي لنا . قال : كيف أنت ؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم ، فقالت : نحن بخير وسعة ، وأثنت على الله . فقال :ماطعامكم ؟ قالت : اللحم ، قال : فما شرابكم ؟ قالت : الماء قال :" اللهم بارك لهم في اللحم والماء " . قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ " ولم يكن لهم يومئذ حب ،ولو كان لهم ، دعالهم فيه " قال : فهما لايخلو عنهما أحد بغير مكة الا لم يوافقاه . قال : "فإذا جاء زوجك ، فاقرئي عليه السلام ،ومريه أن يثبت عتبة بابه". فلما جاء اسماعيل قال : " هل أتاكم من أحد " ؟ قالت : نعم، أتانا شيخ حسن الهيئة ،وأثنت (في ك " ففسلت ") عليه ،فسألني عنك ، فأخبرته ، فسألني كيف عيشنا ؟ فأخبرته أنا بخير . قال : " فأوصاك بشيء" ؟ قالت : نعم، هو يقرأ عليك السلام ويقول لك : " أن تثبت عتبة بابك " .قال :" وأنت العتبة ، أمرني أن أمسك " . ثم جاء بعد ذلك واسماعيل يبري نبلا له ، تحت =

.....

= دوحة قريبا من زمزم . فلما رآه ، قام اليه ، فصنع كما يصنع الولد بالوالد ، والوالد بالولد . ثم قال : يا اسماعيل ، إن الله أمرني " ، قال : " فاصنع ما أمرك (في ط زيادة "ربك") قال: " وتعينني " ؟ قال : " وأعينك " .قال : " فإن الله أمرني أن أبني هاهنا بيتا ، وأشار إلى أكمة مرتفعة على ماحولها قال : فعند ذلك (في ك طمست جملة : قال فعند ذلك) رفعا القواعد من البيت ، فجعل اسماعيل يأتي بالحجارة ، وابراهيم يبني ، حتى إذا ارتفع البناء ، جاء بهذا الحجر فوضعه له ، فقام عليه وهو يبني ، واسماعيل يناوله الحجارة ، وهما يقولان: " ... ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم " سورة البقرة : ١٢٧.قال : فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان : ﴿ ... ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ﴾ .

وكانت بئر زمزم قد عميت (١) ، ثم أحياها عبد المطلب (٢) ، جد النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وصارت السقاية (٣) في ولده في العباس وأولاده (٤) ، يسقون منها ، ويسقون أيضا الشراب الحلو ، والشرب من ذلك سنة (٥) .

---

(١) استعار الشيخ المؤلف وصف العمى للبئر ، كناية عن الخفاء والانطماس ، والعلاقة : عدم الاهتداء . انظر المصباح : ٤٣١ .

(٢) هو شيبة بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النَّضر بن كنانة بن خُزَيمة بن مُدْرِكة بن الياس بن مضر بن نزار بن مَعَدّ بن عدنان . وفيه العمود والشرف ، ولم يبق لهاشم عقب الا من عبد المطلب فقط ، وأمه سلمى بنت عمرو النجاري . وأولاده : عبد الله ، وأبو طالب ، وأبو لهب - عبد العزى - والزبير ، والمقوّم ، والحارث ، وحمزة ، والعباس ، وبنين غيرهم ، وأربع بنات ، كان وسيما ، مديد القامة ، وتوفي على الكفر - خلافا للشيعة - وله ١٢٠ سنة ، وكان قد عمي ، وذلك بعد عام الفيل بثمان سنين ، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - ابن ثمان - أيضا - جمهرة أنساب العرب : ١٢ - ١٥ ، والسيرة النبوية لابن هشام ١ : ١٧٨ ، والكامل ١ : ٩ ، والبداية والنهاية ٢ : ٢٨١ .

(٣) هي مصدر من (سقى) قال الحسن : كانت السقاية بنبيذ الزبيب . التفسير الكبير ١٥ : ١٣ م ٨ .

(٤) هو أبو الفضل ، العباس بن عبد المطلب بن هاشم ، عم النبي - صلى الله عليه وسلم - وامه نتيلة بنت جناب ، وهو أسن من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بسنتين ، شهد بيعة العقبة وكان مشركا ، وأسر يوم بدر ، وهو آخر المهاجرين ، واستسقى به عمر فسقاهم الله - تعالى - وأخصبت الأرض ، توفي بالمدينة ، سنة ٣٢ هـ ، وكان طويلا أبيض جميلا بَضّاً - أي لين الجسد ، رقيق الجلد ، ممتلئ - ذا ضفيرتين . وأولاده الذكور هم : الفضل وعبيد الله وعبد الله ، وقثم ، وعبد الرحمن ومعبد والحارث وكَثير وعون وتمام ، وهو أصغرهم . وقد كُفّ بصر العباس آخر عمره . أسد الغابة ٣ : ٦٠ - ٦٣ - ، وتقريب التهذيب ١ : ٣٩٨ .

(٥) والدليل قوله - صلى الله عليه وسلم - فيما رواه أبو ذر : " انها مباركة . انها طعام طُعْم " . رواه مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل أبي ذر - رضى الله عنه - ٤ : ١٩٢٢ (٢٤٧٣) ، وروى ابن عباس أنه - صلى الله عليه وسلم - قال : " ان آية مابيننا وبين المنافقين لايتضلعون من زمزم " . قال في الزوائد : " هذا إسناد صحيح ورجاله موثقون " ، وعن جابر قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : " زمزم لما شرب له " قال السيوطي : والمعتمد تصحيحه . والحديثان رواهما ابن ماجه ، أبواب المناسك ، الشرب من زمزم ، ٢ : ١٨٩٠ ، ٣٠٥٧

والله تعالى ـ قال في إسماعيل : " إني جاعله لأمة عظيمة ومعظمة جدا جدا "[١] . وهذا التعظيم المؤكد بـ " جدا جدا " يقتضي أن يكون تعظيما مبالغا فيه[٢] . فلو قدر أن البيت الذي بناه لايحج اليه أحد ، وأن ذريته ليس منهم نبي[٣] ، كما يقوله كثير من أهل الكتاب[٤] ، لم يكن هناك تعظيم مبالغا فيه جدا جدا[٥] ، إذ أكثر مافي ذلك أن يكون له ذرية . ومجرد كون الرجل له نسل وعقب ، لايعظم به الا إذا كان في الذرية مؤمنون مطيعون لله .

وكذلك قوله " أجعله لأمة عظيمة " إن كانت تلك الأمة كافرة ،لم تكن عظيمة ، بل كان يكون أبا لأمة كافرة ، فعلم أن هذه الأمة العظيمة ، كانوا مؤمنين ، وهؤلاء يحجون البيت ، فعلم أن حج البيت مما يحبه الله ويأمر به . وليس في أهل الكتاب الا المسلمون ، فعلم أنهم الذين فعلوا مايحبه الله ويرضاه ، وأنهم وسلفهم الذين كانوا يحجون البيت ، أمة أثنى الله عليها ،

---

(١) انظر سفر التكوين ، الاصحاح السابع عشر ، ٢٠ العهد القديم : ٢٤ .

(٢) سقطت من ك و ط (فيه) .

(٣) في ك و ط (شيء) .

(٤) في ك و ط (كفرة) .

(٥) في ك و ط (بجدا) .

وشرفها ، وأن اسماعيل عظمه الله جدا جدا ، بما جعل في ذريته من الإيمان والنبوة ، وهذا هو ، كما امتن الله على نوح وابراهيم بقوله : ﴿ ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب ... ﴾ (١) وقال في الخليل : ﴿ ... وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب ... ﴾ (٢) .

فعلم بذلك أن في (٣) اسماعيل وذريته معظمون عند الله ممدوحون ، وأن اسماعيل معظم جدا جدا ، كما عظم الله نوحا وابراهيم ، وإن كان ابراهيم أفضل من اسماعيل . لكن المقصود أن هذا التعظيم له ولذريته : إنما يكون إذا كانت ذريته معظمة على دين حق ، وهؤلاء يحجون إلى هذا البيت ، ولا يحج اليه بعد مجيء محمد غيرهم . ولهذا لما قال الله (٤) ـ تعالى ـ : ﴿ ... وللـه على الناس (٥) حج البيت ... ﴾ (٦) . فقالوا : لا نحج ، فقال : ﴿ ... ومن كفر فإن الله غني عن العالمين ﴾ (٧) . وـ ايضا ـ فهذا التعظيم المبالغ فيه ، الذي صار به ولد اسماعيل فوق الناس ، لم يظهر الا بنبوة محمد ، فدل ذلك على أنها حق ومبشر به (٨) .

---

(١) سورة الحديد : ٢٦ .

(٢) سورة العنكبوت : ٢٧ . وفي ك و ط زيادة : " ولما قال في نوح : ﴿ وجعلنا ذريته هم الباقين ﴾ سورة الصافات : ٧٧ . كان في ذريته أهل الإيمان كلهم " .

(٣) في أ (ولما قال في) .

(٤) في ك و ط زيادة : " قال ـ تعالى ـ : ﴿ ... ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ... ﴾ سورة آل عمران : ٨٠ . قالت اليهود أو بعض أهل الكتاب : " فنحن مسلمون " .

(٥) ليس في أ لفظ الجلالة المعظم .

(٦) في ط زيادة قوله تعالى : ﴿ ... من استطاع اليه سبيلا ﴾ .

(٧) سورة آل عمران : ٩٧ .

(٨) في ك و ط (مبشر) بدون عطف .

(٨) في أ (مبشرا) بالنصب والأصح ما في ك و ط ولهذا أثبتناه .

* فهذا نعت محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لانعت المسيح ، فهو الذي بعث بشريعة قوية ، ودق ملوك الأرض وأممها ، حتى امتلأت الأرض منه ومن أمته ، من مشارق الأرض ومغاربها ، وسلطانه دائم ، لم يقدر أحد أن يزيله ، كما زال ملك اليهود وزال ملك النصارى عن خيار الأرض وأوسطها * .

ومثل هذا بشارة أخرى بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، من كلام " شمعون "(١) بما رفوه من ترجمتهم ، وهو : " جاء الله بالبينات من جبال فاران ، وامتلأت السماء(٢) والأرض من تسبيحه وتسبيح أمته(٣) " .

* فهذا تصريح بنبوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ، الذي جاء بالنبوة من جبال "فاران " وامتلأت السموات والأرض من تسبيحه وتسبيح أمته .

---

* مابين النجمتين سقط من ك و ط ، وهو بمقدار ثلاثة أسطر .

(١) اسم عبراني معناه (سماع) ، وهو أحد الحواريين ، أصحاب ـ عيسى ـ عليه السلام ـ ، وهو الذي أخذه اليهود ، فلما قالوا له عن المسيح جحد وقال : ما أنا بصاحبه فتركوه ، وفعلوا ذلك ثلاثا ،وحبس في عهد ملك الروم " قلوديوس بن طيبار يوس"، ثم خلص شمعون من الحبس ، وسار إلى انطاكية ، فدعا النصرانية ، ثم سار إلى رومية ، فدعا أهلها ـ أيضا ـ ،فاجابته زوجة الملك ، وسار إلى البيت المقدس ، واخرجت الخشبة التي تزعم النصارى أن المسيح صلب عليها ، وكانت في أيدي اليهود فأخذتها وردتها إلى النصارى ، وقد حصل أن أرسل عيسى ـ عليه السلام ـ اثنين من الحواريين إلى ملك انطاكية ، فضربهما وحبسهما ، فبعث المسيح شمعون لينصرهما ، فدخل البلد متنكرا ، ثم توصل إلى اطلاق الحواريين ، وآمن الملك وقومه بدعوة شمعون . وقيل بل أجمع الملك وقومه على الكفر وقتل الرسل . أنظر الكامل ١ : ١٨٢ و ١٨٦ و ٢١١ -٢١٢

(٢) في ك و ط (السموات) بالجمع .

(٣) ونصه في الترجمه الحالية :"الله جاء من تيمان ، والقدوس من جبل فاران، سلاه ، جلاله غطى السماوات والأرض ، امتلأت من تسبيحه . وكان لمعان كالنور له من يده شعاع ، وهناك استتار قدرته". سفر حبقوق ،الاصحاح الثالث ٣ ـ ٤ ، العهد القديم : ١٠٤٦ .

ولم يخرج أحد قط ، وامتلأت السموات والأرض من تسبيحه وتسبيح أمته (١) * مما يسمى " فاران " سوى محمد صلى ـ الله عليه وسلم ـ . والمسيح لم يكن (٢) بأرض فاران ألبته . وموسى إنما كُلِّمَ من الطور ، والطور ليس من أرض فاران وإن كانت البرية التي بين الطور وأرض الحجاز من فاران ، فلم ينزل الله فيها التوراة ،وبشارات التوراة قد تقدمت بجبل الطور ، وبشارة الانجيل (٣) بجبل (ساعير) .

ومثل هذا كما (٤) نقل في نبوة (حبقوق) (٥) أنه قال : جاء الله من التيمن ، (٦) (٧) وظهر القدس (٨) على جبال (فاران) وامتلأت الأرض من تحميد (أحمد) وملك بيمينه رقاب الأمم ، وأنارت الأرض لنوره ، وحملت خيله في البحر (٩) .

---

(١) مابين النجمتين بمقدار سطرين أو أكثر سقط من ك .

(٢) في ك و ط (فإن) .

(٣) سقطت جملة (بجبل الطور ، وبشارة الانجيل) من أ واثباته أجود .

(٤) في ك و ط (ماء) .

(٥) في ك و ط (عن) .

(٦) اسم عبري معناه " يعانق " ،أوربما اسم نبات حديقة ، وهو نبي في يهوذا ، ويستفاد من المزمور المنسوب له أنه كان من سبط لاوي .وأنه أحد المغنين في الهيكل . قاموس الكتاب المقدس (عندهم) : ٢٨٧ .

(٧) اسم عبري معناه : اليمنين أو الجنوبي أو الصحراء الجنوبية . المصدرالسابق :٢٢٨

(٨) القدس : يراد به موضع ظهور مجده ـ تعالى ـ للشعب . قاموس الكتاب المقدس (عندهم) : ٧١٨ .

(٩) انظر سفر حبقوق ، الاصحاح الثالث ، ٣ ـ ٨ ، العهد القديم : ١٠٤٦ .

ومن ذلك مافي التوراة (١) التي بأيديهم في السفر الأول منها ، وهي خمسة أسفار في الفصل التاسع في قصة هاجر ، لما فارقت سارة وخاطبها المَلَك (٢) فقال : " ياهاجر من أين أقبلت وإلى أين تريدين " .فلما شرحت له الحال قال : ارجعي فإني سأكثر ذريتك وزرعك حتى لايُحْصَوْنَ ، وها أنت تحبلين وتلدين ابنا نسميه (٣) اسماعيل ، لأن الله قد سمع تذللك وخضوعك ، وولدك يكون وحشي (٤) الناس ، ويكون يده فوق الجميع ، ويد الكل به ، ويكون على (٥) تَخوم (٦) جميع اخوته (٧) .

---

(١) التوراة : لفظ عبراني معناه : التعليم والشريعة ، وهو الكتاب الذي أنزله الله على موسى ـ عليه السلام ـ ويطلق ـ تجوزا ـ على مجموع كتب العهد القديم والكتب الملحقة بها وهي ٣٩ سفرا .انظر مقارنة الأديان:اليهودية : ٢٣٨ ـ ٢٤٠ د . أحمد شلبي ، ط ٥ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٧٨م ، والبحر المحيط ٢ : ٣٧٠ .

(٢) وهو المِلاك وجمعه ملائكة ، والكلمة الأصلية في كل من العبرانية واليونانية المترجمة بملاك يراد بها رسول ، حيث تشير إلى اناس لا إلى أرواح سماوية،غير أنه في أكثر الأماكن يشار بها إلى أرواح خادمة مرسلة للخدمة من أجل العتيدين ... قاموس الكتاب المقدس (عندهم): ٩٢٠.

(٣) في ك (سميته) وفي ط (تسميته) .
(٤) في الترجمة الحالية: وأنه يكون انسانا وحشيا " . في الموضع المذكورهنا.
(٤) في ط : (وحي) .

(٥) في ك و ط زيادة : (مسكنه) .

(٦) التخوم : هو صف من الأشجار أو كومة من الحجارة توضع على زوايا الحقل . قاموس الكتاب المقدس (عندهم) : ٢١٣ .

(٧) انظر سفر التكوين ، الاصحاح السادس عشر ١١ ـ ١٢ ، العهدالقديم : ٢٣.

قال المستخرجون لهذه البشارة : معلوم أن يد بني اسماعيل قبل مبعث محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم تكن فوق أيدي بني اسحاق ، بل كان في بني اسحاق النبوة والكتاب ، وقد دخلوا مصر زمن يوسف مع يعقوب ، فلم يكن لبني اسماعيل فوقهم يد، ثم خرجوا منها لما بُعث موسى ، وكانوا مع موسى (١) أعز أهل الأرض ، لم يكن لأحد عليهم يد ، ثم (٢) مع (يوشع) بعده إلى زمن داود ، وملك سليمان الذي لم يؤت أحد مثله ، وسُلط عليهم بعد ذلك (بخت نصر) ، فلم يكن لبني اسماعيل عليهم يد (٣) ، ثم بعث المسيح وخُرّب بيت المقدس الخراب الثاني (٤) ، حيث أفسدوا في الأرض مرتين ، ومن حينئذ زال ملكهم وقطّعهم الله في الأرض أمما ، وكانوا تحت حكم الروم والفرس (٥) لم يكن للعرب عليهم حكم أكثر من غيرهم ، فلم يكن لولد اسماعيل سلطان على أحد من الأمم ، لا أهل الكتاب ولا الأميين ، فلم يكن يد ولد اسماعيل فوق الجميع ، حتى بعث الله محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذي دعا به ابراهيم واسماعيل حيث قالا (٦) : ﴿ ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ، إنك انت العزيز الحكيم (٧) ﴾ .

---

(١) لم يرد اسم (موسى) في أ . وقد أثبتناه من ك و ط .

(٢) سقطت (ثم) من أ .

(٣) في ك و ط (أمر) .

(٤) وكان ذلك في سنة ٧٠ ميلادية ، حيث أخذ القائد " تيطس " الروماني المدينة ، وأحرق الهيكل ، وباع كثيرين من شعبها في السبي ، عندما ثار اليهود على روما . قاموس الكتاب المقدس (عندهم) : ١٣٥ .

(٥) في ك وط زياد (والقبط و).

(٦) في أ (قال) والاولى ما أثبتناه من ك و ط .

(٧) سورة البقرة : ١٢٩.

فلما بعث ، صار[(١)] يد ولد اسماعيل فوق الجميع ، فلم يكن في الأرض سلطان أعز من سلطانهم ، وقهروا فارس والروم وغيرهم من الأمم ، وقهروا اليهود والنصارى والمجوس والمشركين والصابئين . فظهر بذلك تحقيق قوله في التوراة " وتكون يده فوق الجميع ، ويد الكل به " وهذا أمر مستمر إلى آخر الدهر .

فإن قيل : هذه بشارة بملكه وظهوره ؟ . قيل : الملك ملكان ، ملك ليس فيه دعوى نبوة ، وهذا لم يكن لبني اسماعيل على الجميع ، وملك صدر عن دعوى نبوة . فإن كان مدعي النبوة كاذبا * ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي الىّ ولم يوح اليه شيء *[(٢)] ، وهذا من شر الناس وأكذبهم وأظلمهم وأفجرهم ، وملكه شر من ملك الظالم الذي لم يَدَّعِ نبوة ك (بختنصر) و (سنجاريب) .

ومعلوم أن الاخبار بهذا لايكون بشارة ، ولاتفرح سارة وابراهيم بهذا ، كما لو قيل : يكون جبارا طاغيا ، يقهر الناس على طاعته ، ويقتلهم ،ويسبي حريمهم ، ويأخذ أموالهم بالباطل " فإن الاخبار بهذا لايكون بشارة ،ولا يسرّ[(٣)] المخبَر بذلك ، وإنما يكون بشارة تسره إذا كان ذلك[(٤)] يعدل،وكان عليه محمودا لااثم فيه ، وذلك في[(٥)] مدعي النبوة لايكون الا وهو[(٦)] صادق لا كاذب .

---

(١) في ك و ط (صارت) .

(٢) سورة الأنعام : ٩٣ .

(٣) في ط (بشر) .

(٤) أي صاحب السلطان من ولد اسماعيل .

(٥) في ك و ط (من) .

(٦) سقطت (وهو) من أ .

فصـــل

(بشـارة من الزبور وتفسـيرها)

وقـال داود في الزبـور في قوله : " سـبحوا اللـه تسـبيحا جديـدا ، وليفـرح بالخالـق من أصطفـى اللـه لـه [1] أمتـه وأعطـاه النصـر ، وسـدد الصـالحين منهم بالكرامـة ، يسـبحونه على [2] مضـاجعهـم ويكبـرون اللـه بأصـوات مرتفعـة ، بأيديهم سـيوف ذات شـفرتين [3]، لينتقم بهـم مـن الأمم الـذين لا يعبدونـه [4]" .

وهـذه الصفـات إنما تنطبق على صـفات محمـد ـ صلى الله عليه وسلم [5] ـ وأمتـه ، فهم الـذين يكبـرون اللـه بأصـوات مرتفعـة ، في أذانهم للصلـوات الخمـس ، وعلى الأماكن العاليـة ، كما قـال جابـر

---

(١) في ك (من) بـدلا من (لـه).

(٢) هكـذا في ك و ط وفي أ (عـن) ، و (على) أولى وأظهـر.

(٣) مفردة شـفرة: وهي حـد السـيف . ترتيب القاموس ٢ : ٧٢٩ .

(٤) وهـو في الترجمـة الحاليـة من سـفر المزامير . المزمـور التاسـع والأربعـين بعـد المائـة وهـو تسـع فقرات ، ونصه :" هللويا. غنـوا للـرب ترنيمـة جديـدة ، تسـبيحته في جماعـة الأتقيـاء ، ليفـرح أسـرائيل بخالقـه. ليبتهج بنـو صهيـون بملكهم ، ليسـبحوا أسـمه برقص ، بـدف وعـود ليرنموا لـه ، لأن الـرب راض عن شـعبه ، يُجَمِّـل الودعـاء بالخـلاص ، ليبتهج الأتقيـاء بمجـد ، ليرنموا على مضاجعهـم ، تنويهـات اللـه في أفواههم ، وسـيف ذو حـدين في يدهم ، ليصنعوا نقمة في الأمم وتأديبـات في الشـعوب ، لأسـر ملوكهم بقيـود،وشـرفائهم بكبول من حديـد ، ليجروا بهم الحكم المكتـوب ، كرامـة هـذا الجميـع أتقيـائه ، هللويا." العهـد القديم : ٧٣٦ .

(٥) ليس في أ الجملـة الدعائيـة.

ابن عبد الله: ﴿ كنا مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذ علونا كَبَّرنا ، وإذا هبطنا سَبَّحنا ، فوضعت الصلاة على ذلك ﴾ رواه أبو داود وغيره(١) ، وفي الصحيحين عن ابن عمر(٢) قال: ﴿ كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا قفل من الجيوش ، أو السرايا ، أو الحج ، أو العمرة. إذا أوفى على ثنية أو فَدْفَد(٣). كبر ثلاثا ، ثم قال : "لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، آيبون ، تائبون ، عابدون ، ساجدون ، لربنا حامدون ، صدق الله وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده"(٤).

---

(١) في ك و ط : (البخاري).

(١) رواه أبو داود في سننه ، كتاب الجهاد ، باب ما يقول الرجل إذا سافر ، ٣ : ٣٣ (٢٥٩٩) وإسناده معضل ، كما نقل عبد القادر الأرناؤوط عن ابن علان عن الحافظ في (أمالي الأذكار). أنظر جامع الأصول ٢ : ٥٧١ ـ ٥٧٢ (١٠٥٠).

(٢) في أ سَقْط في حدود صفحة ، يبدأ من هنا ، حيث جاء فيها بعدها جملة : (... عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ) ، ثم أشار بعد هذا إلى وجود سقط ينوي إثباته في الهامش بهذا الرمز م ولكنه لم يثبت شيئا ، وقدر رجَّحنا أنه الموجود في ك و ط ، حيث جاء فيها: وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر ، بدل قوله في أ : وفي الصحيحين عن ابن عمر ...) ، وسأشير الى نهاية السقط في موضعه القادم ـ ان شاء الله ـ .

(٣) الفدفد : هو الموضع الذي فيه غلظ وارتفاع ، وقيل هو الفلاة التي لا شيء فيها ، وقيل غليظ الأرض ذات الحصى ، وقيل : الجَلد من الأرض ـ أي الصلبة المستوية المتن ـ في ارتفاع ، وجمعه : فدافد. صحيح مسلم بشرح النووي ٩ : ١١٣ م ٥ .

(٤) رواه مسلم ، واللفظ له ، كتاب الحج ، باب ما يقول إذا قفل من سفر الحج وغيره ، ٢ : ٩٨ (١٣٤٤) ، ورواه البخاري ، كتاب العمرة ، باب ما يقول إذا رجع من الحج أو العمرة أو الغزو ، ٣ : ٦١٨ ـ ٦١٩ (١٧٩٧) من فتح الباري .

وفي صحيح البخاري عن أنس قال : " صلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ونحن معه بالمدينة ـ الظهر أربعا ، والعصر بذي الحليفة ركعتين ، ثم بات بها حتى أصبح ، ثم ركب حتى استوت به راحلته على البيداء (١)، حمد الله وسبح وكبر ، ثم أَهَلَّ بعمرة وحج(٢)" وذكر الحديث .

وعن أبي هريرة: أن رجلا قال : يارسول الله ، إني أريد أن أسافر فأوصني . قال : " عليك بتقوى الله والتكبير على كل شرف (٣)" . فلما أن ولّى الرجل قال : "اللهم أطوله البعد(٤)، وهَوِّن عليه السفر" رواه الإمام أحمد (٥) والترمذى (٦) والنسائي (٧).

---

(١) البيداء اسم لأرض ملساء ، بين مكة والمدينة ، وهي إلى مكة أقرب . تُعَدُّ من الشرق أمام ذي الحليفة. معجم البلدان ١ : ٥٢٣ .

(٢) رواه البخاري بنحوه ، كتاب الحج ، باب التحميد والتسبيح والتكبير قبل الإهلال ... ، ٣ : ٤١١ (١٥٥١).

(٣) الشرف : هو المكان العالي . ترتيب القاموس ٢ : ٧٠٠ .

(٤) طوى الله البعد لنا: قرَّبه. ترتيب القاموس ٣ : ١١٤ .

(٥) المسند للأمام أحمد ، ٢ : ٣٣١ و ٤٤٣ .

(٦) كتاب الدعوات باب ٤٦ ، ٥ : ٥٠٠ (٣٤٤٥) وقال :" هذا حديث حسن".

(٦) هو محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك السلمي أبو عيسى صاحب الجامع ، أحد الأئمة ، ثقة حافظ ، من الطبقة الثانية عشرة ، مات سنة ٢٧٩ هـ ، تقريب ٢ : ١٩٨ ، ووفيات الأعيان ٤ : ٢٧٨ ، وسير أعلام النبلاء ١٣ : ٢٧٠ ـ ٢٧٧ .

(٧) طلبت الحديث عند النسائي في السنن الكبرى فلم أعثر عليه.

(٧) ورواه الحاكم في المستدرك ، كتاب الجهاد ، التكبير على كل شرف في السفر ، ٢ : ٩٨ ، وقال : "هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه"، و رمز له الذهبي (م). أي بالموافقة .

(٧) هو أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار ، أبو عبدالرحمن النَّسائي ـ بفتح النون ـ قرية بخراسان ـ ويقال أيضا : النسوي ، الحافظ صاحب السنن ، مات سنة ٣٠٣ هـ ، وله ٨٨ سنة. تقريب ١ : ١٦ ، وسير أعلام النبلاء ١٤ : ١٢٥ ، وطبقات الحفاظ : ٣٠٦ .

وروى ابن ماجه [١] منه [٢] " أوصيك بتقوى الله ، والتكبير على كل شرف [٣] " ، وروى أبو داود وغيره باسناد صحيح عن ابن عمر عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال :" كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وجيوشه إذا علوا شرفا [٣] كبروا ، وإذا هبطوا ، سبحوا "[٤].

وهم يكبرون الله بأصوات عالية مرتفعة في أعيادهم ، عيد الفطر ، وعيد النحر: في الصلاة والخطبة ، وفي ذهابهم إلى الصلاة [٥] ، وفي أيام (منى) [٦] الحجاج ، وسائر أهل الأمصار [٧] يكبرون عقيب الصلوات فامام الصلاة يسن له الجهر بالتكبير [٨].

---

(١) هو أبو عبد الله ، محمد بن يزيد بن ماجه الربعي بالولاء القزويني ، صاحب السنن ، أحد الأئمة ، حافظ صنف السنن والتفسير والتاريخ ، مات سنة ٢٧٣ هـ ، وله ٦٤ سنة . سير أعلام النبلاء ١٣ : ٢٧٧ ـ ٢٨١ ، ووفيات الأعيان ٤ : ٢٧٩ ، وتقريب التهذيب ٢ : ٢٢٠ .

(٢) في ط (عنه) .

(٣) سنن ابن ماجه ، أبواب الجهاد ، باب فضل الحرس والتكبير ، ٢ : ١٣٠ (٢٧٩٧) وقد قال الترمذي : هذا حديث حسن عندما خرجه برقم ٣٤٤٥ .

(٣) في ك رسم بدلا من (شرفا) هذا الرسم (الثنا).

(٤) رواه أبو داود ، كتاب الجهاد ، باب ما يقول الرجل إذا سافر ، ٣ : ٣٣ (٢٥٩٩) ، رواه البخاري بمعناه ، عن جابر ـ رضي الله عنه ـ وعن ابن عمر ، كتاب الجهاد والسير ، باب التسبيح إذا هبطوا، وباب التكبير إذا علا شرفا ، ٦ : ١٣٥ (٢٩٩٣ ـ ٢٩٩٥) من الفتح ، وأخرجه الإمام أحمد بمعناه ـ أيضا ـ كما في المسند ٤ : ٤٠٢ ، ورواه الدارمي في سننه كتاب الاستئذان ، باب ما يقول عند الصعود والهبوط ، ٢ : ٢٨٨ .

(٥) في ك و ط زيادة : (موضع) .

(٦) " منى " في دَرَج (طريق) الوادى الذى ينزله الحاج ، ويرمي فيه الجمار من الحرم ، سمي بذلك لما يُمنى (يراق) فيه من الدماء ، وحَدُّه من مهبط العقبة الى وادي مُحَسِّر ، وعليه أعلام منصوبة ، وهو في داخل الحرم،وبينه وبين مكة ثلاثة أميال . أنظر مراصد الأطلاع ٢ : ١٣١٢ ـ ١٣١٣ .

(٧) مفرده : مصر وهو المدينة . مختار الصحاح : ٦٢٥ .

(٨) في ط (الحمد والتكبير) .

وذكر البخاري عن عمر بن الخطاب : أنه كان يكبر [١] بمنى ، فيسمعه أهل المسجد فيكبرون بتكبيره ، فيسمعهم أهل الأسواق فيكبرون ، حتى تَرْتَجّ [٢] منى تكبيرا [٣].

[٤] وكان ابن عمر وابن عباس يخرجان إلى السوق أيام العشر ، فيكبران ، ويكبر الناس بتكبيرهما [٥]. ويكبرون على قرابينهم وهديهم وضحاياهم [٦] ، كما كان نبيهم يقول عند الذبح : * بسم الله والله أكبر [٧] *

---

(١) في ك و ط زيادة : (في قبة).

(٢) ترتج : أي تضطرب وتتحرك ، وهي مبالغة في اجتماع رفع الأصوات . فتح الباري ٢ : ٤٦٢ .

(٣) رواه البخاري معلقا ، كتاب العيدين ، باب التكبير أيام منى ... ... ، ٢ : ٤٦١ - ٤٦٢ . من فتح الباري ، قال ابن حجر : وصله سعيد بن منصور من رواية عبيد بن عمير ، ووصله أبو عبيد من وجه آخر بلفظ التعليق ، ومن طريقه البيهقي .

(٤) في ك و ط زيادة : (وقال).

(٥) أخرجه البخاري تعليقا ، كتاب العيدين ، باب فضل العمل في أيام التشريق ٢ : ٤٥٧ - ٤٥٨ . من فتح الباري ، قال ابن حجر : لم أره - أي هذا الأثر - موصولا عنهما ، وقد ذكره البيهقي - أيضا - معلقا عنهما ، وكذا البغوي .

(٦) القرابين : جمع قربان : وهو ما يتقرب به الى الله -تعالى-، والهدي ما أهدى الى مكة ، والضحايا : جمع أضحية : وهو ذبح بهيمة الأنعام ، في وقت مخصوص . تقربا الى الله - سبحانه - وأصل تسميتها من الضُّحى وهو أول النهار. انظر ترتيب القاموس ٣ : ٥٧٩ و ١٤-١٥ و ٤ : ٤٩٤ وانظر الكافي في فقه الإمام المبجل أحمد بن حنبل ١ : ٤٧٠-٤٧٥ لأبي محمد ، موفق الدين ، عبد الله بن قدامة المقدسي - ٦٢٠ هـ ، ط ٣ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م .

(٧) رواه البخاري ، كتاب الأضاحي ، باب التكبير عند الذبح ، ١٠ : ٢٣ (٥٥٦٥) بمعناه ، ورواه مسلم ، كتاب الأضاحي ، باب استحباب التضحية .. ، ٣ : ١٥٥٦ (١٩٦٦).

ويكبرون اذا رموا الجمار [١]، ويكبرون على [٢] الصفا والمروة ، ويكبرون في الطواف عند محاذاة الركن [٣] ، وكل هذا يجهرون فيه بالتكبير غير ما يسرونه .

قال ـ تعالى ـ لما ذكر صوم رمضان الذى يقيمون له عيد الفطر ـ: قال ـ تعالى [٤] ـ: ﴿ ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون ﴾[٥] [٦] ولما ذكر الهدى الذى يُقَرَّبُ في عيد النحر ، وهو يوم الحج الأكبر قال ـ:[٧] ﴿ والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون * لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين ﴾ [٨] والنصارى يسمون عيد المسلمين " عيد الله أكبر " [٩] لظهور التكبير فيه ، وليس هذا لأحد من الامم:[١٠] أهل الكتاب ، ولا غيرهم ـ غير المسلمين ـ وإنما كان موسى يجمع بني اسرائيل

---

(١) الجمار : مفردها جمرة ، ومعناها الحصاة ، وهي موضع رمي الجمار بمنى بمكة ـ شرفها الله ـ تعالى ـ . أنظر معجم البلدان ٢ : ١٦٢ .

(٢) في ط (عند) .

(٣) الركن : هو الركن الشرقي .. موضع الحجر الأسود عند باب الكعبة المعظمة . أنظر المصدر السابق ٤ : ٤٦٤ .

(٤) ليس في ط (قال تعالى) .

(٥) سورة البقرة : ١٨٥ .

(٦) في ك و ط زيادة : (قال) .

(٧) البدن : الإبل السمينة ، سميت بدنا لبدانتها وضخامة أجسامها ، وشعائر الله : أى من أعلام الشريعة ، وصواف : أى قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن ، ووجبت جنوبها : أى سقطت على الأرض بعد نحرها ، وهو كناية عن الموت ، والقانع : المتعفف ، والمعتر : السائل . صفوة التفاسير ١ : ٢٩٠ .

(٨) سورة الحج : ٣٦ ـ ٣٧ .

(٩) في ط (الأكبر) .

(١٠) في ك و ط زيادة : (لا) .

بالبـوق [١]، والنصـارى لهم [٢] الناقوس [٣].

وأمـا تكبيـر الله بأصوات مرتفعـة ، فإنمـا هـو شعائر[٤] المسلمين ، فإن الأذان شعار المسلمين ، وبهذا يظهر تقصير [٥] من فسر ذلك بتلبية الحجـاج .

وفي الصحيحين عن أنس عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " أنه كان إذا أراد الإغـارة إن سمع أذانـا أو رأى مسجدا وإلا أغـار[٦] " .

وفي لفظ مسلم " كان يغير إذا طلع الفجر ، وكان يستمع الأذان ، فإن سمع أذانـا أمسك وإلا أغـار " ، فسمع رجلا يقول : الله أكبر الله أكبر ، فقال : رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " على الفطـرة " ثم قال : أشهد أن لا إله إلا الله . فقال : " خرجت من النـار " [٧] .

---

(١) البوق : آلة موسيقية على هيئة القرن ، كانوا ينفخون فيهـا في الأعياد ، وفي الأعلام بالحرب ، وما أشبه ذلك . وكانت أبواق الكهنة من الفضة . وعندهم عيد الأبواق : وهو أول يوم من أكتوبر (تشرين الأول) ، وسمته الحاخامية : يوم ميلاد العالم ، وفيه كانوا يبوقون بالأبواق ، إلا اذا وقع العيد يوم السبت . أنظر قاموس الكتاب المقدس (عندهم) : ١٩٥ .

(٢) في ك و ط (شعارهم).

(٣) هو الذى يضربه النصارى لأوقات صلاتهم : خشبة كبيرة طويلة ، وأخرى قصيرة ، وأسمها الوبيل . ترتيب القاموس ٤ : ٤٢٦ .

(٤) في ك و ط : (شعار).

(٥) هكذا في ط ، و قد سقطت من أ و ك (تقصير) ولا يستقيم الكلام بدونها فلذلك أثبتناها.

(٦) رواه البخاري بمعناه ، كتاب الأذان ، باب ما يحقن بالأذان من الدماء ، ٢ : ٨٩ (٦١٠) من فتح الباري ، ورواه مسلم ، كتاب الصلاة ، باب الأمساك عن الأغارة ... ، ١ : ٢٨٨ (٣٨٢).

(٦) سقطت الألف من (أغار) في أ ، وقد صوبناها من الصحيح ، وفي ك و ط : إذا غزا أقواما لم يغز حتى يصبح ، فإذا سمع أذانا أمسك ، وإن لم يسمع أذانا أغار بعدما يصبح " .

(٧) هذا اللفظ ليس في أ ، وقد أثبتناه من ك و ط ، وهو عند مسلم في كتاب الصلاة ، باب الامساك عن الاغارة ... ، ١ : ٢٨٨ (٣٨٢) .

* وكذلك قوله : " بأيديهم سيوف ذات شفرتين " وهي السيوف العربية التي بها فتح الصحابة وأتباعهم البلاد ، وقوله : " يسبحونه على مضاجعهم " بيان لنعت المؤمنين ،الذين يذكرون الله ، قياما وقعودا وعلى جنوبهم ، ويصلي (١) أحدهم قائما ، فان لم يستطع فقاعدا ، فان لم يستطع ، فعلى جنب ، فلا يتركون ذكر الله في حال ، بل يذكرونه حتى في هذه الحال ، ويصلون في البيوت على المضاجع (٢) . بخلاف أهل الكتاب .

والصلاة أعظم التسبيح كما في قوله ـ تعالى ـ : ﴿ فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ﴾ وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون ﴿ (٣) وقوله : ﴿ فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ﴿ (٤) .

وفي الصحيحين عن جرير بن عبد الله (٥) قال : " كنا جلوسا عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ اذ نظر (٦) القمر ليلة البدر فقال :" إنكم

---

* في ك و ط زيادة : " وعن عصام المزني قال : كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ اذا بعث السرية يقول :" اذا رأيتم مسجدا أو سمعتم مناديا فلا تقتلوا أحدا " . رواه أحمد ، وأبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه " .

(١) في ك و ط زيادة (الفرض) .

(٢) كلمة (المضاجع) منطمسة في ك .

(٣) سورة الروم : ١٧ ـ ١٨ .

(٤) سورة طه : ١٣٠ .

(٥) هو : ابن جابر ـ وهو الشَّليل ـ ابن مالك بن نصر بن ثعلبة ، ينتهي نسبه الى أنمار بن إراش ، أبو عمرو ، وقيل : أبو عبد الله ، البجلي ، أسلم قبل وفاة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأربعين يوما ، وكان حسن الصورة وروي عن عمر " جرير يوسف هذه الأمة " . مات في قَرْقِيسياء سنة ٥١ هـ . أسد الغابة ١ : ٣٣٤ . سير أعلام النبلاء ٢: ٥٣٠ ـ ٥٣٧ .

(٦) في ك و ط زيادة (الى) .

سترون ربكم كما ترون هذا القمر ، لا تضامون [١] في رؤيته ، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة [٢] قبل غروبها فافعلوا * ثم قرأ قوله تعالى : * فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها * [٣] ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى * [٤] وهذا معنى قول داود : سبحوا الله تسبيحا جديدا [٥] ، والتسابيح التي شرعها الله جديدا : كالصلوات الخمس التي شرعها للمسلمين جديدا. ولما أقامها جبريل للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : " هذا وقتك ، ووقت الأنبياء قبلك " [٦].

فكان الأنبياء يسبحون في هذه الأوقات ، كما يدل [٧] التسبيح المقدم ، والتسبيح الجديد [٨] كما يدل عليه سائر الكلام . ولا يمكن أن يكون ذلك للنصارى ، لأنهم لا يكبرون الله بأصوات مرتفعة ، ولا بأيديهم سيوف ذات شفرتين ، لينتقم الله بهم من الأمم ، بل أخبارهم تدل على أنهم كانوا مغلوبين مع الأمم ، [٩] لم يكونوا يجاهدونهم بالسيف ، بل النصارى قد تعيب من يقاتل الكفار بالسيف .

---

(١) تُضَامون : أي لا يحصل لكم ضيم حينئذ ، وروى بفتح أوله والتشديد - من الضم ، والمراد نفي الأزدحام . فتح الباري ٢ : ٣٣ .

(٢) سقطت كلمة (صلاة) الثانية من ك و ط .

(٣) ما بين النجمتين لم يرد في ك و ط .

(٤) سورة طه : ١٣٠ .

(٥) في ك و ط زيادة : (يعني) .

(٦) رواه أبو داود بلفظ : " يا محمد هذا وقت الأنبياء من قبلك .. .. " كتاب الصلاة ، باب في المواقيت ، ١ : ١٠٧ (٣٩٣) ، والترمذي بلفظ أبي داود ، أبواب الصلاة ، باب ما جاء في مواقيت الصلاة ... ، ١ : ٢٧٨ - ٢٨٠ (١٤٩) قال أبو عيسى :"حديث ابن عباس حديث حسن صحيح". وأصل الحديث في الصحيحين عند البخاري برقم (٥٢١) بلفظ : " بهذا أمرت ... وعند مسلم برقم (٦١٠).

(٧) في ك و ط (وذلك هو).

(٨) في ك و ط : زيادة (للمسلمين).

(٩) في ك و ط (ولم .. ..).

ومنهم من يجعل هذا من معايب محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ [١] وأمته ، ويغفلون ما [٢] عندهم من أن [٣] الله أمر موسى بقتال الكفار ، فقاتلهم بنو أسرائيل بأمره ، وقاتلهم يوشع [٤] ، وداود وغيرهما من الأنبياء ، وأبراهيم الخليل قاتل ، لدفع الظلم عن أصحابه .

---

(١) ليس في أ الجملة الدعائية .

(٢) في ك و ط (عما) .

(٣) في أ كرر الناسخ (أن) مرتين .

(٤) ويقال : هوشع ، وهو اسم عبري معناه : الخلاص ، وهو ابن نون بن ابراهيم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل ـ عليهم السلام ـ وأهل الكتاب يقولون : يوشع ابن عم هود. وهو فتى موسى المشار اليه في القرآن الكريم في سورة الكهف : ٦٠ ـ ٦٢ ، وقد تولى أمر بني أسرائيل بعد موسى وهارون مدة ٢٧ سنة ، ومات وله ١٢٦ سنة. أنظر تاريخ الأمم والملوك ١ : ٤٣٥ ـ ٤٤٢ ، والبداية والنهاية ١ : ٣١٩ ـ ٣٢٥ ، وقاموس الكتاب المقدس (عندهم) : ١٠٠٥ .

فصـــل

(بشـارة أخـــرى من الزبـــــور)

(١) وقـال داود في مزاميـره ـ وهي الزبـــور ـ: من أجـل هـذا بـارك الله عليك إلى الأبد ، فتقلد (٢) ـ أيها الجبـار ـ بالسـيف ، لأن البهـاء لوجهـك ، والحمـد الغالـب عليك ، أركب كلمة الحق وسمة التأله (٣) ، فـــأن ناموسك وشـرائعك مقرونـة (٤) بهيبـة يمينـــك ، وسـهامك مسـنونة ، والأمم يخـرون تحتـك (٥).

---

(١) في ك و ط زيـادة : (قالـوا).

(٢) تقلـد السـيف : وضع سـيفه في علبتـه ووضعها على أحـد منكبيـــه . ترتيب القاموس ٣ : ٦٧٤ .

(٣) سـمة التـأله : أي طـريق التنسـك والتعبـد. مختـار الصحـــاح : ٢٣ و ٣١٢ .

(٤) في ك و ط (لهيبـة).

(٥) نص الترجمـة الحاليـة : " فاض قلبي بكـلام صـالح ، متكلم أنـا بـأنشـائي للملك ، لسـاني قلم كاتب مـاهـر ، أنت أبـرع جمـالا من بني البشـر ، أنسـكبت النعمـة على شـفتيك ، لذلك بـاركك اللـه إلى الأبـد ، تقلـد سـيفك على فخـذك ـ أيهـا الجبـار ـ ، جـلالك وبهـاءك ، وبجـلالك أقتحـم ، أركـب من أجـل الحـق والدعـة والبـر ، فتريك يمينـك مخاوف ، نبلك المسـنونة في قلب أعـداء الملك ، شـعوب تحتك يسـقطون". سـفر المزاميـر المزمور الخامس والأربعين : ١ ـ ٥ العهـد القديم : ٦٧٢ .

قالوا [١] : فليس متقلد السيف من الأنبياء بعد داود ، سوى محمد - صلى الله عليه وسلم - ، وهو الذى خرت الأمم تحته ، وقرنت شرائعه بالهيبة ، كما قال - صلى الله عليه وسلم - " نصرت بالرعب مسيرة شهر " [٢]. وقد أخبر داود أن له ناموسا وشرائع ، وخاطبه بلفظ الجبار ، أشارة إلى قوته وقهره لأعداء الله ، بخلاف المستضعف المقهور.

وهو - صلى الله عليه وسلم - نبى الرحمة ، ونبى الملحمة [٣] . وأمته أشداء على الكفار رحماء بينهم ، أذلة على المؤمنين ، أعزة على الكافرين . بخلاف من كان ذليلا للطائفتين ، من النصارى المقهورين مع الكفار ، أو كان عزيزا على المؤمنين من اليهود ، بل كان مستكبرا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم كذبوا فريقا وقتلوا فريقا.

---

(١) في أ (قال) ، وقد أثبتنا ما في ك و ط لأن المقصود هم : العلماء .

(٢) رواه البخاري ، كتاب التيمم ، باب حدثنا عبد الله بن يوسف ... ، ١ : ٤٣٥ - ٤٣٦ (٣٣٥) من فتح الباري ، ورواه مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، المقدمة ١ : ٣٧٠ (٥٢١) ولفظه : " نصرت بالرعب بين يدى مسيرة شهر " .

(٣) المَلْحَمَة : القتال . المصباح : ٥٥١ .

فصـــل

(بشارة ثالثة من داود ـ عليه السلام)

قالوا : وقال داود في مزمور له : " إن ربنا عظيم محمود جدا " [١] وفي ترجمته [٢] : " إلهنا قدوس [٣] ، ومحمد قد عمّ الأرض كلها فرحا". قالوا: فقد نص [٤] داود على أسم محمد وبلده ، وسماها قرية الله ، وأخبر أن كلمته تعم الأرض كلها.

---

(١) في الترجمة الحالية : " رنموا للرب ، باركوا أسمه ، بشروا من يوم إلى يوم بخلاصه ، حدثوا بين الأمم بمجده .. بين جميع الشعوب بعجائبه . لأن الرب عظيم وحميد جدا ". سفر المزامير ، المزمور السادس والتسعون ٢ ـ ٤ . العهد القديم : ٧٠٤ .

(٢) في ك و ط (ترجمة).

(٣) القدوس : هو الطاهر من كل عيب المنزه عما لايليق به ، وقل: هو الذي كثرت بركته . تفسير الخازن بذيل صحائف البيضاوي ٦ : ٢٤٣ .

(٤) النَّصُّ على الشيء : التعيين عليه . ترتيب القاموس ٤ : ٣٨٢ .

قلت : قد تقدم الحديث الصحيح لما قيل لعبد الله بن عمرو ، وروى أنه[١] عبد الله بن سلام [٢] " أخبرنا ببعض صفة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في التوراة " فقال : " انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن "[٣]. وذكر صفته موجودة في نبوة أشعياء ، وليست موجودة في نفس كتاب موسى [٤].

وتقدم أن لفظ التوراة ، يقصدون به جنس الكتب التي عند أهل الكتاب [٥] لا يخصون بذلك كتاب موسى .

---

(١) سقطت (أنه) من أ .

(٢) في ك و ط زيادة : (في غير البخاري) .

(٣) تقدم ص : ٢٣٥ ، والرواية عن عبد الله بن سلام ، أخرجها الدرامي ، باب صفة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الكتب ... ، ١٠ : ٥ والبيهقي الدلائل ، ١ : ٣٧٦ .

(٢) هو الأسرائيلي ، أبو يوسف ، حليف بني الخزوج ، قيل كان أسمه (الحصين) فسماه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : عبد الله ، مشهور ، له أحاديث وفضل . مات بالمدينة سنة ٤٣ هـ ، تقريب ١ : ٤٢٢ . وأسد الغابة ٣ : ١٦٠ .

(٣) سفر أشعياء ، الأصحاح الثاني والأربعون ، ١ ـ ٢٠ ، العهد القديم: ٨٢٢ وفيه :"هُوَذا عبدي الذي أعضده ، مختاري الذي سرت به نفسي ، وضعت روحي عليه ، فيخرج الحق للأمم ، لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع في الشارع صوته "... الخ .

(٤) كتاب موسى : هي سفر التكوين ، والخروج ، واللاويين ، والعدد ، والتثنية ـ هذه الأسفار الخمسة وتسمى (الناموس) ـ فيما يظن ـ وهي في أول العهد القديم : ٧ ـ ٢٦٣ . وأنظر قاموس الكتاب المقدس (عندهم): ٤٢٢ .

(٥) في ك و ط زيادة : (وكذلك ما يوجد كثيرا من قول كعب الأحبار وغيره . ممن ينقل عن أهل الكتاب :" قرأت في التوراة " انما يريدون به جنس الكتاب الذي عند أهل الكتاب)

وإذا كان هذا معروفا عندهم ، في التوراة والأنجيل [١] ، يراد بالتوراة جنس الكتب التي عند أهل الكتاب ، يتناول [٢] ذلك كتاب موسى ، وزبور داود ، وصحف سائر الأنبياء ، سوى الأنجيل ، فإنه ليس عند أهل الكتاب ، وإنما هو عند النصارى خاصة .

وأما سائر كتب الأنبياء ، فالأمّتان تَقِرُّ بها [٣] ويؤيد ذلك أن الله كثيرا ما يَقْرن [٤] في القرآن بين التوراة والأنجيل وبين القرآن [٥] ، وإنما يذكر الزبور مفردا ، كقوله - تعالى - : ﴿ آلم الله لا اله الا هو الحي القيوم [٦] ﴾ نَزَّلَ عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والأنجيل ﴿ من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان ... ﴾ [٧] وقوله : ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والأنجيل والقرآن ... ﴾ [٨] وقوله - تعالى - : ﴿ ... الذى يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والأنجيل .. ﴾ [٩] وأهل الكتاب [١٠] يجدونه مكتوبا في الكتب التي بأيديهم ، وهو في كثير منها أصرح مما هو في كتاب موسى خاصة .

---

(١) في ك و ط زيادة : « وقد خوطبوا بهذه اللغة ، فإن قوله - تعالى - في القرآن : ﴿ يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والأنجيل ﴾ .

(٢) في ك و ط : (فيتناول) .

(٣) في ط (يقران بها) .

(٤) يَقْرن : يجمع بين شيئين . المصباح : ٥٠٠ .

(٥) كلمة (بين القرآن) لم ترد في ك و لا ط .

(٦) هذه الآية الكريمة لم ترد في أ ، واثباتها أولى .

(٧) سورة آل عمران : ١ - ٤ .

(٨) سورة التوبة : ١١١ .

(٩) سورة الأعراف : ١٥٧ .

(١٠) في ك (القرآن) .

فإذا أريد بالتوراة جنس الكتب ، فلا يستريب عاقل في كثرة ذكره ونعته ونعت أمته في تلك الكتب . ومعلوم أن الله أراد بذلك الاستشهاد بوجوده في تلك الكتب ، واقامة الحجة بذكره فيها. فإذا كان ذكره في غير كتاب موسى أكبر وأظهر عندهم ، كان الاستدلال بذلك أولى من تخصيص الاستدلال بكتاب موسى . فإذا حمل لفظ التوراة في هذا على جنس الكتب ، كما هو موجود في لغة من تكلم بذلك من الصحابة والتابعين ، كان هذا في غاية البيان والمدح للقرآن والكتب المتقدمة ، وتصديق بعضها بعضا.

وقد أمرنا أن نؤمن بما أوتي النبيون مطلقا كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل إلى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ﴾ [1] وقال : ﴿ ... ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ... ﴾ [2] والزبور ذكره مفردا في موضعين من القرآن في قوله : ﴿ إنا أوحينا اليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبورا، ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما ﴾ [3] وقال ـ تعالى ـ: ﴿ ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا ﴾ [4] فذكره مفردا.

وذكر كتاب موسى بهذه الاضافة ، لا بلفظ التوراة في غير موضع فقال:

---

(١) سورة البقرة : ١٣٦ .

(٢) سورة البقرة : ١٧٧ .

(٣) سورة النساء : ١٦٣ .

(٤) سورة الأسراء: ٥٥ .

﴿ أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه [١] ومن قبله كتاب موسى أماما ورحمة أولئك يؤمنون به ، ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده ... ﴾ [٢] وقال : ﴿ قل أرأيتم أن كان من عند الله وكفرتم به ، وشهد شاهد من بني أسرائيل على مثله ، فآمن واستكبرتم ، ان الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ الى قوله [٣]: ﴿ ... ومن قبله كتاب موسى أماما ورحمة ، وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين ﴾ [٤] وقال ـ تعالى ـ : ﴿ وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا : ما أنزل الله على بشر من شيء قل : من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس ... ﴾ [٥].

---

(١) أي وجاء شاهد من الله وهو ما أوحاه الى الأنبياء من الشرائع المطهرة المكملة المعظمة المختتمة بشريعة محمد ـ طلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين ـ ولهذا قال ابن عباس وغيره : انه جبريل-عليه السلام ـ . وعن علي و غيره : هو محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكلاهما قريب في المعنى . لأن كلا من جبريل ومحمد ـ عليهما السلام ـ بلغ رسالة الله ـ تعالى ـ ، فجبريل الى محمد ، ومحمد الى الأمة . تفسير القرآن العظيم ٤ : ٢٤٥ .

(٢) سورة هود : ١٧ .

(٣) هكذا في ك و ط ، ولم ترد في أ ، وأثباتها أولى حيث لم ترد الآية رقم ١١ .

(٤) سورة الأحقاف : ١٠ و ١٢ .

(٥) سورة الأنعام : ٩١ .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسن ﴾ (١). واذا كان لفظ التوراة يتناول الكتب الذي (٢) عند أهل الكتابين (٣) جميعا ، والزبور (٤) وغيره داخل في هذا الأسم (٥)، وكان ظهور أسمه ونعته في التوراة ، ووجودهم ذلك فيما عندهم ، وتكرره في غاية القوة ، وكان معرفتهم لذلك كما يعرفون أبناءهم واضحا بينا ، (٦) ان قدر (٧) هذه الكتب التي يعترف بها عامتهم لم يكتم منها شيء بل هي باقية كما كانت .

---

(١) أي آتينا الكتاب الذي أنزلناه إليه ، تماما كاملا جامعا لجميع ما يحتاج إليه في شريعته ، جزاء على أحسانه في العمل . وقيامه بأوامر الله وطاعته . تفسير القرآن العظيم ٣ : ٣٦٣ ـ ٣٦٤ .

(١) سورة الأنعام : ١٥٤ .

(٢) في و ط (التي).

(٣) في ك و ط (الكتاب)

(٤) لم ترد كلمة (الزبور) في ط .

(٥) في ك و ط بدون عطف .

(٦) هنا عطف بالواو في ك و ط .

(٧) في ك و ط زيادة : (أن).

فصـــل

(بشـارة رابعة من داود ـ عليه السلام ـ)

وقالوا : قال داود في مزموره " لترتاح البوادي وقراها ، ولتَصِرْ (١) أرض (قيذار) (٢) مروجا (٣) ، وليسبح سكان الكهوف ويهتفوا من قلل (٤) الجبال بحمد الرب ، ويذيعوا تسابيحه في الجزائر " (٥).

(٦) فلمن البوادي من الأمم سوى أمة محمد ، ومَنْ (قيذار) ، سوى ابن أسماعيل جد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ومَنْ سكان الكهوف وتلك الجبال سوى العرب ؟

---

(١) في ك (لتنصر).

(٢) هو ابن أسماعيل بن أبراهيم ، خليل الرحمن ـ عليهما السلام ـ وأمه : السيدة بنت مُضَاحن بن عمرو الجُرْهمي ، وله من الأخوة أحد عشر هم : نابت وأدبيل ومبشا ومسمع ودما وماس وأدد وطور ونفيس وطما وقيدمان . ومن نابت وقيدر نشر الله العرب . تاريخ الأمم والملوك ١ : ٣١٤ .

(٣) المروج : مفرده : مرج، وهو الموضع ترعى فيه الدواب . ترتيب القاموس ٤ : ٢٢٢ .

(٤) مفردها : قُلَّة : وهي أعلى الجبل . مختار الصحاح : ٥٤٩ .

(٥) وجدناه في سفر أشعيا ، الأصحاح الخامس : ٢٦ ـ ٢٨ ، والأصحاح الرابع والخمسون : ١ ـ ١٧ . العهد القديم : ٧٨٧ و ٨٢٥ ـ ٨٢٦ . بالمعنى في الترجمة الحالية .

(٦) في ك و ط زيادة : (قالوا).

فصل

(بشارة خامسة من داود ـ عليه السلام)

(١) قال داود في مزمور له " ويحوز(٢) من البحر الى البحر ومن لدن الأنهار إلى منقطع الأرض ، ويخر(٣) أهل الجزائر بين يديه ، ويلحس أعداؤه التراب ، ويسجد له ملوك الفرس ، وتدين له الأمم بالطاعة والانقياد ، ويخلص البائس المضطهد ممن هو أقوى منه ، وينقذ الضعيف الذى لا ناصر له ، ويرأف بالمساكين والضعفاء ، ويُصَلَّى عليه ويبارك في كل حين " (٤).

---

(١) في ك و ط زيادة : (قالوا وقال).

(٢) في ك وط (يجوز) بالجيم.

(٣) في ك و ط (بحر).

(٤) في الترجمة الحالية ما نصه : " ويملك من البحر ومن النهر إلى أقاصي الأرض ، أمامه تجثو أهل البرية وأعداؤه يلحسون التراب ، ملوك ترشيش والجزائر يرسلون تَقْدُمَة. ملوك شبا وسباء يقدمون هدية ويسجد له كل الملوك . كل الأمم تتعبد له ، لأنه ينجي الفقير المستغيث والمسكين ، إذ لا معين له . يشفق على المسكين والبائس ويخلص أنفس الفقر من الظلم والخطف ، يفدى أنفسهم ويكرم دمهم في عينيه ، ويعيش ويعطيه من ذهب شبا. يُصَلى لأجله دائما. اليوم كله يباركه ". سفر المزامير ، المزمور الثاني والسبعون ، ٨ ـ ١٥ ، العهد القديم : ٦٨٨ .

وهذه الصفات منطبقة على محمد وأمته ، لا على المسيح. فإنه [1] حاز من البحر الرومي [2] إلى البحر الفارسي [3]، ومن لدن الأنهار ، بجيحون وسيحون [4]، إلى مقطع الأرض بالمغرب [5]، كما قال : « زُويت لي الأرض ، مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زُوِيَ لي منها [6] ».

وهو يُصلى عليه ويبارك في كل حين . في كل صلاة في الصلوات الخمس وغيرها ، يقول كل من أمتد : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد . فيُصلى عليه ويُبارك .

---

(١) في ك و ط (فإن محمداً).

(٢) ويسمى (بحر المغرب) تطل عليه بلاد المغرب ومصر والشام من جهة الجنوب وبلدان الأندلس وغيرها من جهة الشمال حتى يتصل ببلاد رومية « قسطنطينية » ، ويسمى الآن (البحر الأبيض المتوسط) . أنظر مراصد الأطلاع ١ : ١٦٦ .

(٣) هو شعبة من بحر الهند الأعظم ، وحده من البر من نواحي مكران إلى عَبّادان ، وهو فوهة دجلة التي تصب فيه ، أول سواحله من جهة البصرة إلى بليدة تسمى « المحورة » في طرف جزيرة عبادان ، وهو الآن « الخليج العربي » وعليه الساحل الشرقي لبلادنا . أنظر مراصد الأطلاع ١ : ١٦٦ .

(٤) في ك و ط (كسيحون وجيحون) .

(٤) جيحون : هو وادي خراسان ، وعليه مدينة أسمها (جيحان) ينسب اليها مخرجه من جبل ينسال له آيو ساران ، يتصل بناحية السند والهند وكابل ، وهو عدة أنهار تجتمع فيه ، ويمر بعدة بلاد حتى يتصل إلى خوارزم ، ثم يصب في بحيرة باسم هذا البلد. و « سيحون » نهر مشهور بما وراء النهر ، قرب « خُجَنْد » بعد « سمرقند » وهو يجمد في الشتاء ثلاثة أشهر ، حتى تمشي على جليده القوافل في حدود بلاد الترك . أنظر المصدر السابق ١ : ٣٦٥ و ٢ : ٧٦٤ .

(٥) هو آخر حدود أفريقية من المغرب إلى آخر جبال السوس التي وراءها البحر المحيط ـ ومنقطع الشيء حيث ينتهي اليه طرفه. أنظر المصدر السابق ٣ : ١٢٩٣ و المصباح : ٥٠٤ .

(٦) أنظر تخريج الحديث ص : ٢٨٥ .

ومنه [١] خرت أهل الجزائر بين يديد ، أهل جزيرة العرب ، وأهل الجزيرة التي بين الفرات ودجلة ، وأهل جزيرة قبرص [٢] ، وأهل جزيرة [٣] الأندلس [٤] .

وخضعت له ملوك الفرس ، فلم يبق منهم الا من أسلم أو أدّى [٥] الجزية عن يدوهم صاغرون . بخلاف ملوك الروم ، فإن فيهم من لم يسلم ويؤدى الجزية فلهذا خص ملوك فارس ، ودانت [٦] له الأمم ، التي [٧] تعرفه وتعرف أمته ، كانت إما مؤمنة به ،أو مسلمة له منافقة ، أو مهادنة مصالحة ، أو خائفة منهم . وأنقذ الضعفاء من الجبارين .

وهذا بخلاف المسيح ، فإنه لم يتمكن هذا التمكن في حياته ، ولا من اتبعه بعد موته تمكنوا هذا التمكن ، ولا حازوا [٨] ما ذكر ، ولا صُلّىَ عليه وبورك عليه في اليوم والليلة ، فإن القوم يدّعون إلهيته [٩] .

---

(١) في ك و ط (وقد).

(٢) بالصاد أو السين ، وهي جزيرة كبرة ، شرق البحر الأبيض المتوسط (بحر الروم) ، وهي تعد الثالثة في الكِبَر ، والثانية في القيمة التاريخية والأقتصادية بجانب صقلية. مراصد ٣ : ١٠٦٣ ودائرة معارف وجدي ٧ : ٦٠٣ .

(٣) في ك و ط (جزائر).

(٤) الأندلس : أسم أطلقه المسلمون العرب على كل شبه جزيرة أسبانيا بطريق التغليب ، وهي بلاد كبيرة فيها عامر وغامر (صحراء) ، يغلب عليها المياه الجارية والشجر والثمر ... . مراصد ١ : ١٢٣ . ودائرة معارف وجدي ١ : ٦٥٧ .

(٥) في أ (الراوي) وهو خطأ نسخي ظاهر.

(٦) دانت : ذلت وطاعت . ترتيب القاموس ٢ : ٢٤٢ .

(٧) في ك و ط زيادة : (فعامة الأمم). وليس في ك (التي).

(٨) في ك و ط (جازوا) بالجيم.

(٩) في ك و ط (فإن النصارى يدعون الهية المسيح) وفيها بعد ذلك زيادة : (فلا يصلون عليه ، وإنما يصلون له).

فصـــل

وقالوا [١] ـ في نبـوة أشعياء ـ: قال أشعياء: " قيل [٢] لي قم نظارا ، فانظر ماذا تـــرى ، فقلت : أرى راكبين مقبلين [٣]: أحدهما على حمـار ، والآخر على جمل ، يقول أحدهما لصاحبه: سقطت بابل وأصحابها للمنحـر " [٤].

(شهادة من سفر أشعياء "؛ راكب الحمار وراكب الجمـــل")

قالوا: فراكب الحمار هـو المسيح ، وراكب الجمـل هـو محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وهـو أشهر بركـوب الجمل من المسيح بركـوب الحمـار.

وبمحمـد ـ صلى الله عليه وسلم ـ سقطت أصنـام بابل [٥].

---

(١) في أ (وقال : وفي) والأصوب ما أثبتناه من ك و ط .

(٢) في ك و ط (فقيل).

(٣) في أ (مقبلـة).

(٤) في الترجمـة الحالية ما نصه: " لأنـه هكـذا قال لي السيد: أذهب أقـم الحارس ، ليخبر بما يرى ، فرأى ركابا أزواج فرسـان ، ركاب حميـــر. ركاب جمال . فأصغى اصغاء شديدا ، ثم صرخ كأسد : أيها السيد ، أنا قائم على المرصد دائما في النهار ، وأنا واقف على المحرس كل الليالي، وهو ذا ركاب من الرجال ، أزواج من الفرسان . فأجاب وقال : سـقطت بابل ، وجميع تماثيل الهتهـا المنحوتـة ، كسرها إلى الأرض ". سـفر أشعيـاء ، الأصحاح الحادي والعشرون ، ٦ ـ ٩ ، العهد القديم: ٨٠١ .

(٥) سقطت (أصنام) من ك و ط . وجاءت (بابل) في ط هكـذا (يابل).

فصل

(بشارة الكتب المتقدمة بالمسيح وبمحمد ، وأنذارها بالدجال)

ومما ينبغي أن يعرف : أن الكتب المتقدمة بشّرَتْ بالمسيح ، كما بشرت بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وكذلك أنذرت بالمسيح الدجال .

والأمم الثلاثة : المسلمون واليهود والنصارى ، متفقون على أن الأنبياء أنذرت بالمسيح الدجال ، وحذرت [١] منه كما قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الحديث الصحيح : « ما من نبي الا وقد أنذر أمته المسيح الدجال ، حتى نوح أنذره [٢] أمته وسأقول لكم فيه قولا لم يقله نبي لأمته : إنه أعور ، وإن ربكم ليس بأعور ، مكتوب بين عينيه : (ك ف ر) ، يقرأه كل مؤمن قارئ وغير قارئ » [٣].

والأمم [٤] الثلاثة متفقون على أن الأنبياء بشروا بمسيح من ولد داود. فالأمم الثلاثة متفقون على الاخبار بمسيح هدى ، من نسل داود ، ومسيح ضلالة ، وهم متفقون على أن مسيح الضلالة لم يأت بعد [٥]، ومتفقون على أن مسيح الهدى سيأتي ـ أيضا ـ [٦].

---

(١) في أ (وحذرته) والهاء زائدة نسخا ـ بلا شك ـ .

(٢) في ك و ط (أنذر).

(٣) هذا الحديث أخرجه مسلم من عدة روايات ، كتاب الفتن ... ، باب ذكر ابن صياد ، وباب ذكر الدجال وصفته وما معه ، ٤ : ٢٢٤٥-٢٢٤٩ ، (١٦٩ و ٢٩٣٣) بلفظ : (كاتب وغير كاتب). وأصله عند البخاري ، كتاب الفتن ، باب ذكر الدجال ، ١٣ : ٩-٩١ (٧١٢٧-٧١٣١) من فتح الباري .

(٤) في أ (فالأمم). (٥) في ك و ط زيادة : (وسيأتي).

(٦) سقطت (أيضا) من ك و ط .

ثم المسلمون [١] والنصارى متفقون على أن مسيح الهدى ، هو عيسى ابن مريم ، واليهود ينكرون أن يكون هو عيسى بن مريم مع اقرارهم بأنه من ولد داود.

قالوا : « لأن المسيح المبشر به تؤمن به الأمم كلها » [٢] وزعموا أن المسيح بن مريم إنما بعث بدين النصارى ، وهو دين ظاهر البطلان [٣].

والنصارى تقر [٤] بأن المسيح مسيح الهدى بعث ، ومقرون [٥] بأنه سيأتي مرة ثانية ، لكن يزعمون أن هذا الاتيان الثاني هو يوم القيامة ، ليجزى الناس بأعمالهم ، وهو ـ في زعمهم ـ هو الله ، والله الذى هو اللاهوت [٦] يأتي في ناسوته ، كما زعموا أنه جاء قبل ذلك .

---

(١) في ك و ط زيادة : (واليهود).

(٢) وهو كما في سفر المزامير « وتسجد قدامك كل قبائل الأمم » ، المزمور الثاني والعشرون ، ٢٧ ، العهد القديم : ٦٥٨ .

(٣) في ك و ط زيادة : « ولهذا إذا خرج المسيح الدجال أتبعوه ، فيخرج معه سبعون ألف مطيلس من يهود أصبهان . ويسلط المسلمون على اليهود ، فيقتلونهم حتى يقول الحجر والشجر : « يا مسلم هذا يهودي ورائي ، تعال فاقتله » كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح ».

(٤) في ط (يقرون).

(٥) في ك و ط (يقرون) بالياء .

(٦) يقصدون بكلمة (لاهوت) ذات الرب ـ سبحانه ـ . قاموس الكتاب المقدس (عندهم) : ٨٢٠ .

وأما المسلمون ، فآمنوا بما أخبرت به الأنبياء على وجهه ، وهو موافق لما أخبر به خاتم الرسل ، حيث قال في الحديث الصحيح : " يوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا ، وإماما مقسطا ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية " (١).

وأخبر في الحديث الصحيح : أنه إذا خرج مسيح الضلالة الأعور الكذاب ، نزل عيسى بن (٢) مريم على المنارة البيضاء (٣) شرقي (٤) دمشق ، بين مهرودتين (٥) ، واضعا يديه على منكبي ملكين ، فإذا رآه الدجال انماع ، كما ينماع الملح في الماء ، فيدركه فيقتله بالحربة (٦)، عند باب لُدّ الشرقي (٧)، على بضع عشرة خطوات منه "(٨). وهذا تفسير قوله

---

(١) رواه البخاري ، كتاب الأنبياء ، باب نزول عيسى ... ، وفي أوله : " والذي نفسي بيده ... " ٦ : ٤٩٠ (٣٤٤٨) من فتح الباري ، ورواه مسلم ، كتاب الأيمان ، باب نزول عيسى ... ١٠ : ١٣٥ (١٥٥) .

(٢) في ك و ط : (ابن) وهي في أثناء السطر .

(٣) وهي أحدى منائر القبة المعروفة بقبة النسر في مسجد دمشق ، وهي الكبرى ولها منارتان غيرها ، وقد كانت " ديدبانا " للروم ، وأقرت على ما كانت عليه ، وصيرت منارة . معجم البلدان ٢ : ٤٦٧ .

(٤) في ط (شرفي) بفاء موحدة قبل الياء وهو خطأ مطبعي .

(٥) في ك و ط : بالذال المعجمة و " المهرودتين " : بالذال المعجمة أو الدال المهملة ـ وجهان مشهوران للمتقدمين والمتأخرين ، والأكثر بالمهملة ـ : هي ثوبان مصبوغان بورس ثم بزعفران ، وقيل هي شقتان ، والشقة : نصف الملاءة . صحيح مسلم بشرح النووي ١٨ : ٦٧ م ٩ .

(٦) هي آلة حرب . ترتيب ١ : ٦١ .

(٧) لُدّ . قرية قرب بين المقدس من نواحي فلسطين . معجم البلدان ٥ : ١٥ .

(٨) أخرجه مسلم بنحوه ، كتاب الفتن ... ، باب ذكر الدجال ... ، ٤ : ٢٢٥٠ ـ ٢٢٥٣ (٢١٣٧) .

ـ تعالى ـ: ﴿ وإن من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ﴾ [١] أي يؤمن بالمسيح قبل أن يموت ، حين نزوله إلى الأرض ، وحينئذ لا يبقى يهودي ولا نصراني ، ولا يبقى دين إلا دين الاسلام ، وهذا موجود في نعته عند أهل الكتاب .

ولكن النصارى ظنوا [٢] مجيئه بعد قيام القيامة ، وأنه هو الله ، فغلطوا في ذلك ، كما غلطوا في مجيئه الأول ، حيث ظنوا أنه هو الله . واليهود أنكروا مجيئه الأول ، وظنوا أن الذي بُشِّرَ به ليس [٣] أياه ، وليس هو الذي يأتي آخرا ، وصاروا ينتظرون غيره ، وإنما هو بعث اليهم أولا فكذبوه ، وسيأتيهم ثانيا ، فيؤمن به كل من على وجه الأرض ، من يهودي ونصراني [٤]، إلا من [٥] قتل أو مات ، ويظهر كذب هؤلاء الذين كذبوه ، ورموا أمه بالفرية ، وقالوا : إنه ولد زنا . وهؤلاء الذين غَلَوْا فيه ، وقالوا : إنه الله .

ولما كان المسيح ـ عليه السلام ـ نازلا في أمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، صار بينه وبين محمد من الاتصال . ما ليس بينه وبين غير محمد ، ولهذا قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الحديث الصحيح : " إن أولى الناس بابن مريم لَأَنَا ، إنه ليس بيني وبينه نبي " [٦]. وروى " كيف

---

(١) سورة النساء : ١٥٩ .

(٢) في ك و ط زيادة : (أن ذلك).

(٣) في ك و ط زيادة : (هو).

(٤) في أ (ونصارى) وهو خطأ نسخي .

(٥) (الا) سقطت من ط .

(٦) أخرجه البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله : " وأذكر في الكتاب مريم ... " ، ٦ : ٤٧٧ (٣٤٤٢) من فتح الباري بلفظ : " أنا أولى الناس بابن مريم ، والأنبياء أولاد عَلّات ، ليس بيني وبينه نبي ". رواه مسلم بلفظ البخاري ، وبلفظ آخر ، كتاب الفضائل ، باب فضائل عيسى ـ عليه السلام ـ ٤ : ١٨٣٧ (٢٣٦٥) ، ورواه أبو داود ، كتاب السنة ، باب في التخيير بين الأنبياء ... ، ٤ : ٢١٨ (٤٦٧٥) والمستدرك ، كتاب التاريخ ، ذكر نبي الله وروحه عيسى بن مريم ... ، ٢ : ٥٩٢ ، ورواه أحمد في المسند ٢ : ٣١٩ و ٤٣٧ .

تهلك أمة أنا في أولها ، وعيسى في آخرها " [1]. وهذا مما يظهر به مناسبة أقترانهما ، فيما رواه أشعياء ، حيث قال : " راكب الحمار وراكب الجمل " .

---

(١) هذه الرواية ذكرها ابن الأثير ، جامع الأصول ٩ : ٢٠٢ من زيادة رُزين عن أنس بن مالك بلفظ " لن تهلك أمة أنا أولها ، ومهديها أوسطها والمسيح آخرها " وقد حكم عليها الألباني بالوضع في ضعيف الجامع الصغير وزيادته ، ٥ : ٣٦ . تحقيق:محمد ناصر الدين الألباني ، ط ٢ ، المكتب الإسلامي ، دمشق ـ بيروت ، ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م ، حيث نقلها السيوطي عن أبي نعيم في كتابه " أخبار المهدي " عن ابن عباس .

فصـــل

(بشـارة أشـعيـاء بشـأن مكـــــة)

قالوا : وقال أشعياء النبي ـ عليه السلام ـ متنبيا[١] على مكة ـ شرفها الله ـ : " ارفعي إلى ما حولك بصرك ، فستبتهجين وتفرحين من أجل أن الله يصير إليك ذخائر البحر [٢] ، وتحج اليك عساكر الأمم ، حتى يعم بك قطر الابل الموبّلة [٣] ، وتفيق أرضك عن القطرات التي تجتمع إليك ، وتساق إليك كباش مدين ، ويأتيك أهل سبا [٤]، ويسير إليك أغنام فاران ، ويخدمك رجال مأرب " [٥]يريد سدنة الكعبة وهم أولاد مأرب بن أسماعيل .

---

(١) في ك وط (مثنيا) .

(٢) في ك وط (البحرين) .

(٣) الموبّلة : المثقلة . ترتيب ٤ : ٥٦٧ .

(٤) أرض باليمن ، مدينتها مأرب ، بينها وبين صنعاء ثلاثة أيام ، تفرق أهلها في البلاد ، وصار كل قوم منهم إلى جهة ، لما جاءهم سيل العرم ، كما في القرآن الكريم . مراصد ٢ : ٦٨٧ .

(٥) نص الترجمة الحالية : " ارفعي عينيك حواليك ، وانظري ، قد أجتمعوا كلهم ، جاءوا إليك ، يأتي بنورك من بعيد ، وتحمل بناتك على الأيدي ، حينئذ تنظرين وتنبهرين ، ويخفق قلبك ويتسع ، لأنه تحول اليك ثروة البحر ، ويأتي إليك غنى الأمم ، تغطيك كثرة الجمال بكْران مديان ، وعيفة كلها تأتي من شبا ، تحمل ذهبا ولبانا ، وتبشر بتسابيح الرب ، كل غنم قيدار تجتمع إليك ، كباش نبايوت تخدمك " . سفر أشعياء ، الأصحاح الستون ، ٤ ـ ٧ ، العهد القديم : ٨٤٠ .

قالوا : فهذه الصفات كلها حصلت بمكة ، فحملت اليها ذخائر البحرين ، وحج اليها عساكر الأمم ، وسيقت اليها أغنام فاران ـ الهدايا والأضاحي ـ و (فاران) هي البرية الواسعة التي فيها مكة ، وضاقت الأرض عن قطرات الابل الموَبلة الحاملة للناس وأزوادهم اليها ، وأتاها أهل سبأ ، وهم أهل اليمن .

فصل

(بشارة ثالثة من أشعياء)

قالوا : وقال أشعياء النبي (١) صلى الله عليه وسلم (٢) معلنا باسم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " إني جعلت أمرك (٣) يا محمد ، ياقدوس الرب (٤)، اسمك موجود من الأبد " (٥). قالوا : فهل بقي بعد ذلك لزائغ مقال ، أو لطاعن مجال ؟ وقول أشعياء : إن اسم محمد موجود من الأبد ، موافق لقول داود الذي حكيناه : أن اسمه موجود قبل الشمس (٦).

وقوله " يا قدوس الرب " يعني يا من طهره الرب ، وخلصه من (٧) بشريته واصطفاه لنفسه.

---

(١) في ط (النبي).

(٢) في أ (عليه السلام).

(٣) في ك و ط زيادة : (محمدا).

(٤) قدوس الرب : أي ما يُكَرَّس لله من شخص أو شيء . قاموس الكتاب المقدس (عندهم) : ٧١٨ .

(٥) تتبعت سفر (أشعياء) كله ، وبحثت في غيره فلم أهتد لشيء ولعلي أجده أو أدل عليه من جهة طالب علم ناصح.

(٦) وأقول في مسألة عزوه كما قلت في النص الذي قبله.

(٧) في ك و ط زيادة : (شوائب).

فصل

(شهادة رابعة من أشعياء)

قالوا : وقال أشعياء ـ وشهد لهذه الأمة بالصلاح والديانة ـ " سأرفع علما لأهل الأرض بعيدا ، فيصفر لهم من أقاصي الأرض ، فيأتون سراعا "[1].

والنداء ، هو ما جاء به النبي ـ صلي الله عليه وسلم ـ من التلبية في الحج [2]، وهم الذين جعلوا لله الكرامة ، فوحدوه وعبدوه ، وأفردوه بالربوبية ، وكسروا الأصنام ، وعطلوا الأوثان . والعلم المرفوع : هو النبوة . وصفيره ، دعاؤهم إلى بيته ومشاعره ، فيأتونه سامعين مطيعين .

---

(١) ونصه في الترجمة الحالية بالعربية :"فيرفع راية للأمم من بعيد ، ويُصفر لهم من أقصى الأرض ، فإذا هم بالعجلة يأتون سريعا . ليس فيهم رازح ولا عاثر ، لا ينعسون ولا ينامون ، ولا تنحل حزم أحقائهم ، ولا تنقطع سيور أحذيتهم ، الذين سهامهم مسنونة ، وجميع قسيهم ممدودة ، حوافر خيلهم تحسب كالصوان ، وبكراتهم كالزوبعة ، لهم زمجرة كاللبوة ، ويزمجرون كالشبل ، يُهِرون ويمسكون الفريسة ، ويستخلصونها ولا منقذ ، يهرون عليهم في ذلك اليوم كهدير البحر ، فإن نُظِر إلى الأرض فهو ذا ظلام الضيق ، والنور قد أظلم بسحبها". سفر أشعياء ، الأصحاح الخامس : ٢٦ ـ ٣٠ العهد القديم : ٧٨٧ .

(٢) أنظر ما رواه البخاري ، كتاب الحج ، باب التلبية ، ٣ : ٤٠٨ (١٥٤٩ ـ ١٥٥٠) ، وما رواه مسلم ، كتاب الحج ، باب التلبية وصفتها ووقتها ، ٢ : ٨٤١ ـ ٨٤٣ ، (١١٨٤) .

فصل

(بشارة خامسة من أشعياء)

قالوا : وقال أشعياء النبي ـ والمراد مكة شرفها الله ـ تعالى ـ [١] : « سيري واهتزي أيتها العاقر ، التي لم تلد [٢] ، وانطقي بالتسبيح ، وأفرحي إذ لم تحبلي ، فإن أهلك يكونون أكثر من أهلي [٣] . ـ يعني بأهله بيت المقدس ، ويعني بالعاقر مكة شرفها الله ـ لأنها لم تلد قبل نبينا ـ عليه الصلاة والسلام ـ [٤] . ولا يجوز أن يريد بالعاقر بيت المقدس ، لأنه بيت للأنبياء ، ومعدن الوحي ، فلم تزل تلك البقعة ولادة .

---

(١) ليس في أ كلمة التقديس .

(٢) في ط (تلدي) .

(٣) تقول الترجمة الحالية : « ترنمي أيتها العاقر التي لم تلد ، أشيدي بالترنم أيتها التي لم تمخض لان بني المستوحشة أكثر من بني ذات الامل قال الرب ، أوسعي مكان خجتك ، ولتبسط شقق مساكنك ، لا تمسكي ، أطيلي أطنابك وشددي أو تادك ، لأنك تمتدين إلى اليمين وإلى اليسار ويرث نسلك أمما ، ويعمر مدنا خربة » . سفر أشعياء ، الأصحاح الرابع والخمسون ، ١ ـ ٣ ، العهد القديم : ٨٣٥ .

(٤) في ك و ط (عليه السلام) .

فصل

(بشارة سادسة من أشعيا)

قالوا : وقال أشعياء النبي ، ـ ونص على خاتم النبوة ـ : " وُلِدّ لنا غلام ، يكون عجبا وبشرا ، والشامة [١] على كتفيه [٢] ، أركون السلام ، اله جبار ، وسلطانه سلطان السلام ، وهو ابن عالمه ، يجلس على كرسي [٣] داود " [٤].

قالوا : الأركون ، هو العظيم بلغة الأنجيل ، والأراكنة المعظمون . ولما أبرأ المسيح مجنونا من جنونه ، قال اليهود : " إن هذا لا يخرج الشياطين من الآدميين الا بأركون الشياطين " يعنون عظيمهم. وقال المسيح في الأنجيل : " إن أركون [٥] العالم يدان " [٦] يريد اما ابليس أو الشرير العظيم الشر من الآدميين ، وسماه الها على نحو قول التوراة " إن الله جعل موسى الها لفرعون " [٧] أي حاكما عليه ومتصرفا فيه ، وعلى نحو قول داود للعظماء من قومه : " إنكم الهة " [٨].

---

(١) المقصود بالشامة : خاتم النبوة ـ كما ذكر المؤلف ـ وهي لغة : أثر أسود في البدن وفي الأرض . ترتيب القاموس ٢ : ٧٨٨ .

(٢) في ط (كنفيه) بالنون .

(٣) سقطت (كرسي) من أ ، وقد أثبتناها من ك و ط .

(٤) نص الترجمة الحالية : " لأنه يولد لنا ولد ، ونعطي ابنا ، وتكون الرياسة على كتفه ، ويدعى أسمه عجيبا ، مشيرا ، الها قديرا ، أبا أبديا ، رئيس السلام ، لنمو رأسة وللسلام لانهاية ، على كرسي داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر ، من الآن إلى الأبد ، غيرة رب الجنود تصنع هذا " سفر أشعياء ، الأصحاح التاسع ، ٦ ـ ٧ ، العهد القديم : ٧٩٠ .

(٥) في ك و ط زيادة : (هذا).

(٦) انظر انجيل يوحنا ، الأصحاح الرابع عشر : ٣ ـ ٣١ ، العهد الجديد : ١٤٣ .

(٧) سفر الخروج ، الأصحاح السابع : ١ العهد القديم : ٧٩ .

(٨) مزامير داود ، المزمور الثاني والثمانون : ٦ العهد القديم : ٦٩٦ .

فقد شهد أشعياء بصحة نبوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ووصفه بأخص علاماته وأوضحها ، وهي شامته ، فلعمري [١] لم تكن الشامة لسليمان ، ولا للمسيح ، وقد وصفه بالجلوس على كرسي داود ، يعني أنه سيرث بني أسرائيل ، نبوتهم وملكهم ، ويبتزهم [٢] رياستهم .

---

(١) اللام في (لعمري) لام الأبتداء ، والعمر :ـ بفتح العين وضمها ـ: البقاء ، والزموا الفتح القسم ، ويجوز حذف اللام ، وقال أبو الهيثم : لعمرك : لدينك الذي يعمر ، وأنشد :

أيها المنكح الثريا سهيلا عمرك الله كيف يلتقيان

أي عبادتك الله . وقال ابن الأعرابي : عمرت ربي : أي عبدته ، فعلى هذا لعمري : لعبادتي . وقال بعض أصحاب المعاني : لا يجوز أن يضاف الى الله ، لأنه لا يقال : لله ـ تعالى ـ عُمْر ، وإنما يقال هو أول أزلي ، وكأنه يوهم أن العُمْر لا يقال الا فيما له انقطاع ، وليس كذلك ، العَمْر والعُمْر : البقاء .

وقد روى ابن جرير بإسنادين أن ابن عباس يعتبر هذا قسما ، ثم روى بإسناده عن النخعي قال : " كانوا يكرهون أن يقول الرجل لعمري يرونه كقوله : وحياتي ". قلت : وهذا لا يخفى ـ قطعا ـ على الشيخ المؤلف ـ ويظهر أنه لم يجد ذلك ثابتا عن ابن عباس والنخعي ، أو أن رجح خلاف ما ذهبنا اليه ، بما لديه من أدوات الترجيح . أنظر البحر المحيط ، ٥ : ٤٦٢ وجامع البيان للطبري ١٤ : ٤٤ .

(٢) أي يستلبهم . مختار الصحاح : ٥٠ .

فصل

(بشارة سابعة من أشعياء)

قالوا : وقال أشعياء في وصف أمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " ستمتليء البادية والمدن من أولاد قيدار ، يسبحون ، ومن رؤوس الجبال ينادون، هم الذين يجعلون لله الكرامة ، ويسبحونه في البر والبحر " (١). (٢) وقيدار ، هو ابن أسماعيل باتفاق الناس (٣) ، وربيعة ومضر من ولده (٤)، ومحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ من مضر (٥).

وهذا الامتلاء والتسبيح (٦) ،لم يحصل لهم الا بمبعث محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ (٧).

---

(١) نص الترجمة الحالية : " غنوا للرب أغنية جديدة ، تسبيحة من أقصى الأرض ، أيها المنحدرون من البحر وملؤه ، والجزائر وسكانها ، لترفع البرية ومدنها صوتها ، الديار التي سكنها قيدار ، لتترنم سكان سالع ، من رؤوس الجبال ليهتفوا ، ليعطوا الرب مجدا ، ويخبروا بتسبيحه في الجزائر ، الرب كالجبار يخرج ، كرجل حروب ينهض غيرته ، يهتف ويصرخ ويقوى على أعدائه". سفر أشعياء ، الأصحاح الثاني والأربعون ، ١٠ ـ ١٣ ، العهد القديم : ٨٢٣ .

(٢) في ك و ط زيادة : (قلت).

(٣) أنظر تاريخ الأمم والملوك ١ : ٣١٤ ، والكامل ١ : ٧١ ، والبداية والنهاية ١ : ١٩٣ و ٢ : ١٨٤ .

(٤) أنظر اللباب في تهذيب الأنساب ٣ : ٢٢٢ .

(٥) أنظر جمرة أنساب العرب : ١٢ .

(٦) في ك و ط زيادة : (في البر والبحر).

(٧) في ك و ط زيادة : (والتسبيح : الصلوات الخمس ، وقد جعلت لهم الأرض مسجدا وطهورا ، فهم يصلون الخمس في البر والبحر).

فصـــل

(بشارة ثامنة من أشعياء)

قالوا : وقال أشعياء - والمراد مكة - : " أنا رسمتك على كفي ، وسيأتيك أولادك سراعا ، ويخرج عنك من أراد أن يخيفك ويخونك [١] ، فارفعي بصرك إلى ما حولك ، فإنهم سيأتونك ويجتمعون اليك ، فتسمى باسمى إني أنا الحي ، لتلبسي [٢] الحلل ، وتزيني بالاكليل [٣] ، مثل العروس ، ولتضيقن خراباتك [٤] من كثرة سكانك والداعين فيك ، وليهابَنّ كل من يناوّك ، وليكثرن أولادك حتى تقول : من رزقني [٥] هؤلاء كلهم؟ وأنا وحيدة فريدة ، يرون رقوب [٦] ، فمن ربى لي هؤلاء ، ومن تكفل لي بهم " [٧] ؟

---

(١) في ك و ط : (يخربك).

(٢) في أ (لتلبس) والأصوب ما أثبتناه من ك و ط .

(٣) هو شبه عصابة للرأس تزين بالجوهر ، ويسمى التاج اكليلا. مختار الصحاح : ٥٧٧ .

(٤) الخرابات : المواضع . مختار : ١٧١ .

(٥) في ط (يقول من رزق).

(٦) الرَّقُوب : الذي لا ولد له . مصباح : ٢٣٤ .

(٧) أنظر سفر أشعياء ، الأصحاح الرابع والخمسين : ١ -١٧ ، العهد القديم: ٨٣٥ - ٨٣٦ .

قالـــوا : وذلك ايضـاح من أشـعيـاء بشـأن الكعبة ، فـهي التي ألبســـها اللـه الحلل الديباج الفاخـرة ، ووكل بخدمتها الخلفـاء والملوك ، ومكة : هي(١) التي ربـا (٢) اللـه لـها الأولاد من حجاجهـا ، والقاطنين بها. (٣) وذلـك أن مكـة هي التي أخـرج عنها كل من أراد أن يخيفهـا ويخربها ، فلم تزل عزيـزة مكرمـة محرمـة ، لم يهنهـا أحـد من البشـر قط ، بل أصحـاب الفيل (٤) لمـا قصـدوها ، عذبهم اللـه العـذاب المشـهور ، ولم تـزل عامـرة محجوجـة ، مـن لـدن إبـراهيم الخليـل .

بخـلاف بيت المقدس ، فـإنـه قـد أخـرب مـرة بعـد مـرة ، وخـلا من السكان، واسـتولى العـدو عليـه وعلى أهـله ، وكذلك إخبـاره بـإهانـة كل من يناويها: هـو للكعبـة دون بيت المقدس كما (٥) قـال-تعالى-: ﴿ ... ومن يـرد فيه بـإلحاد بظـلـم نذقـه من عـذاب أليم ﴾ (٦).

---

(١) في ك (وهي).

(٢) في ط (بـارك).

(٣) في ك و ط زيـادة : (قلـت).

(٤) أصحاب الفيل : هم أبرهـة الأشـرم ، ملك اليمن ، وجيشـه الذي غزا البيـت الحرام لتخريب الكعبة ، والفيل أسمه (محمود) بعثه النجاشي ملك الحبشة لأبرهة ، فأهلكهم الله بالحجارة التي تحملها الطيور ، بعد أن رفض الفيـل المذكور مهاجمـة الكعبـة ، ولم يفلح تعذيبهم له بالقيام بتلك المهمـة. أنظر تفسير القرآن العظيم ، سورة الفيل ، ٨ : ٥٠٣-٥٠٦ .

(٥) في ك و ط زيـادة : (كمـا).

(٦) سـورة الحج : ٢٥ .

والحجاج بن يوسف [١] كان معظما للكعبة لم يَرُمْها بمَنْجَنِيق [٢] ، وإنما قصد ابن الزبير [٣] خاصة [٤]. وأما كثرة أولادها ، وهم الذين يحجون إليها [٥] ويستقبلونها في صلاتهم ، فهم أضعاف أضعاف أولاد بيت المقدس .

---

(١) هو ابن الحكم بن ابي عقيل بن مسعود بن عامر بن مُعَتِّب بن قسي - وهو ثقيف - الثقفي ، عامل عبد الملك بن مروان على العراق وخراسان ، وأمه : الفارعة بنت همام بن عروة بن مسعود الثقفي ،مات مريضامسلطا عليه الزمهرير سنة ٩٥ هـ ، وشهد مرضه الحسن البصري ، وله ٥٤ سنة. وفيات الأعيان ١ : ٢٩-٥٤ (١٤٩) ، سير أعلام النبلاء ٤ : ٣٤٣ (١١٧).

(٢) بفتح الميم وكسرها : آلة ترمى بها الحجارة وهي معربة ، أصلها فارسي ، مأخوذة من (جه ، نيك) أي أنا ما أجودني ، يجمع على منجنيقات ، ومجانق ، ومجانيق . ترتيب القاموس ٤ : ٢٨٦ .

(٣) هو عبد الله بن الزبير بن العوام ، القرشي الأسدي ، أبو بكر ، وأبو خبيب ، كان أول مولود في الأسلام بالمدينة من المهاجرين ، تولى الخلافة تسع سنين ، قتل في ذي الحجة سنة ٧٣ هـ في مكة. تقريب التهذيب ١ : ٣٠٥ .

(٤) أي لم يقصدها لذاتها لما رماها بالمنجنيق.

(٥) في ك و ط (أو).

فصل

(بشارة تاسعة من أشعياء)

قالوا : وقال أشعياء ـ حاكيا عن الله ـ تعالى ـ " اشكر حبي [١] وابني أحمد [٢] " . فسماه الله حبيبا وسماه ابنا. وداود ابنا ، غير أن الله خصه عليهم بمزية فقال : " حبي [٣] ابني اشكره " فتعبد أشعياء بشكر [٤] محمد ، ووظّف [٥] عليه وعلى قومه شكره واجلاله ، ليتبين قدره ومنزلته عنده. وتلك منقبة [٦] لم يؤتها غيره من الرسل.

وقال أشعياء : " إنما سمعنا من أطراف الأرض صوت محمد " [٧]. وهذا افصاح من أشعياء باسم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فَلْيُرِنَا أهل الكتاب نبيا نصّت الأنبياء على أسمه صريحا ، سوى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

---

(١) في ك و ط (حبيبي).

(٢) تتبعت سفر أشعياء فما وجدت هذه العبارة ولا قريبا منها.

(٣) في ك و ط (حبيبي)

(٤) في ط (الشكر).

(٥) في ط (ووجب) وقد جاء في أ و ك (ووضف) بالضاد ، وصححناها من المعجم.

(٥) وظف : من الوظيفة : وهي ما يقدر للانسان في كل يوم من طعام أو رزق . مختار : ٧٢٨ .

(٦) في ك و ط (منزلة).

(٦) المنقبة : الفعل الكريم . المصباح : ٦٢٠ .

(٧) أنظر سفر أشعياء ، الأصحاح السادس والستون ، ١٢ ، العهد القديم : ٨٤٦ .

فصـــل

(بشـارة بمحمـد ـ صلى الله عليـــه وسـلم ـ من حبقوق)

قالوا : وقـال حبقوق ـ وسـمى محمد رسـول الله ـ صلى الله عليه وسـلم ـ صريحـا [١] مرتين في نبوته ـ: " إن الله جـاء من التيمن ، والقدوس من جبـــل [٢] فـاران ، لقد أضـأت السـماء من بهاء محمد ، وامتلأت الأرض من حمـده ، شـعاع منظره مثل النور ، يحـــوط بـلاده بعـزه ، تسـير المنايـا أمامـه ، وتصحب سـباع الطير أجنـاده ، قام فمسح [٣] الأرض ، فتضعضعت [٤] لـه الجبـال القديمة ، وانخفضت الروابي ، وتزعزعت [٥] سـتور أهـل مدين " [٦].

---

(١) سـقطت من ك (صريحا) ومن ط (وسـلم ـ صريحا).

(٢) في ك و ط : (جبـال)

(٣) في ك و ط : (فـأم فسـيح ـ هكـذا).

(٤) من تضعضع ؛ أي خضع وذل وافتقـر . ترتيب ٣ : ٢٦ .

(٥) الزعزعة : تحريك الريح للشـجرة ونحوها ، أو كل تحريك شـديد. ترتيـــب ٢ : ٤٥٢ .

(٦) في ك و ط زيـادة : (ولقد حاز المساعي القديمة).

(٦) نص الترجمة الحالية : " الله جاء من تيمـان ، والقدوس من جبال فـــاران ، سِلاه ، جلالـه غطى السـماوات ، والأرض امتـلأت من تسـبيحه ، وكان لمعـان كالنور ، لـه من يـده شـعاع ، وهنـاك استتار قدرتـه ، قدامـه ذهـــب الوبـاء ، وعنـد رجلـيه خرجت الحمى ، وقف وقاس الأرض ، نظـر فرجـــف الأمم ، ودكت الجبـال الدهريـة ، وخسـفت أكـام القـدم ، مسـالك الأزل لـــه ، رأيت خيـام كوشـان تحت بَلِيَّـة ، رجفـت شـقق مديـان " سـفر حبقـوق ، الأصحاح الثالث ، ٣ ـ ٧ ، العهـد القديم : ١٠٤٦ .

ثم قال : « زجرك في الأنهار [١]، واقدام [٢] صوامك في البحار ، ركبت الخيول ، وعلوت [٣] مراكب الايفاد [٤] ، وستنزع [٥] في قسيك [٦] أعراقا [٧] ونزعا ، وترتوي السهام بأمرك يامحمد ارتواء ، ولقد رأتك الجبال فارتاعت ، وانحرف عنك شؤبوب [٨] السيل ، وتغيرت المهاوي تغيرا [٩] ورعبا ، رفعت أيديها وجلا وخوفا ، وسارت العساكر في بريق سهامك ولمعان نيازكك [١٠]، وتدوّخ الأرض غضبا [١١]، وتدوس الأمم

---

(١) زجرك في الأنهار : من زجرت البعير حتى شار ومضى . اللسان : ٤ : ٣١٩ مادة : زجر.

(٢) في ك (واختدام) وفي ط (وأختتام).

(٣) في ط (وعلوق).

(٤) في ك و ط (الايفاد). والايفاد : الإشراف والارتفاع . ترتيب ٤ : ٦٣٦ .

(٥) في ك و ط (وسينزع).

(٦) في ك : (قيسيك) ، وهو جمع قوس وهو آلة الرمي . أنظر ترتيب ٣ : ٧١٤.

(٧) من أعرق في الدلو : إذا جعل الماء فيها دون الملء . ترتيب ٣ : ٢٠٥ .

(٨) الشؤبوب : الدَّفْعَة من المطر . ترتيب ٢ : ٦٦١ .

(٩) في ط : (تعبرت المهاوي تعبرا).

(٩) المهاوي : الجبناء . ترتيب ٤ : ٥٤٨ .

(١٠) النيازك ، هي : الرماح القصيرة . ترتيب ٤ : ٣٥٧ .

(١١) في ط : (غصبا).

زجـرا [١]، لأنـك ظهـرت بخـلاص أمتـك ، وانقـاذ تـراث آبـائـك "[٢].

قالوا : وهـذا تصريح بمحمـد ، ومن رام [٣] صـرف نبـوة حبقوق هـذه عـن محمـد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد رام ستر [٤] النهـار ، وحبـس الأنهـار ، وأنّى يقـدر على ذلك ؟! وقـد سماه باسمه مرتين ، وأخبر بقـوة أمتـه ، وسير المنايـا أمامهم ، واتبـاع جـوارح الطيـر [٥] آثارهم. وهـذه النبـوة لا تليق الا بمحمـد ، ولا تصلـح الا له ، ولا تـدل الا عليـه. فمن حاول صرفهـا عنـه ، فقد حاول ممتنعـا. [٦] وقـد ذكر فيها مجيء نـور الله من التيمـن ، وهي ناحية مكـة والحجـاز ، فإن أنبياء بني اسرائيل كانوا يكونون من ناحية الشـام ، ومحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ جـاء من ناحية اليمن ، وجبـال فـاران هي جبال مكـة ـ كما قد تقدم بيان ذلك ـ ، وهـذا مما لا يمكن النـزاع فيـه.

---

(١) الزجـر : النهي والمنـع . مختـار الصحاح : ٢٦٩ .

(٢) بقية الأصحاح المتقدم كما في الترجمة الحالية : " ... هل على الأنهار حمي يـارب ، هل على الأنهار غضبـك ، أو على البحر سخطك ، حتى أنت ركبـت خيلك مركباتك ، مركبات الخلاص ، عريت قوسك تعرية ، سباعيات سـهام كلمتك . سلاه ، شققت الأرض أنهارا ، أبصرتك ففزعت الجبال ، سـيل المياه طمـا ، أعطت اللجـة صوتهـا ، رفعت يديهـا إلى العلاء ، الشمس والقمر وقفـا في بروجهما ، لنور سهامك الطائرة ، للمعان برق بحدك ، بغضب خطرت في الأرض ، بسخط دست الأمم ، خرجت لخلاص شعبك ، لخلاص مسيحك ، سحقت رأس بيت الشرير ، معريا الأساس حتى العنق ، سـلاه ، ثقب بسهامه رأس قبائلـه ، عصفوا لتشتيتي ، ابتهاجهم كما لأكـل المسكين في الخفيـة ، سلكت البحر بخيلك كوم المياه الكثيرة " سـفر حبقـوق ، الأصحاح الثالث ، ٨ـ١٥ ، العهد القديم : ١٠٤٦ .

(٣) رام الشيء : طلبه . مختار ٢٦٤ .

(٤) في ك (سير).

(٥) جـوارح الطير والسباع : ذوات الصيد. المصدر السابق : ٩٨ .

(٦) في ك و ط زيـادة : (قلت).

وأما امتلاء السماء من بهاء أحمد ، بأنوار [١] الايمان والقرآن التي ظهرت منه ، ومن أمته . وامتلاء الأرض من حمده وحمد أمته في صلواتهم ، فأمر ظاهر ، فإن أمته هم الحامدون ، لابد لهم من حمد الله في كل صلاة و [٢] خطبة ، ولا بد لكل مُصَلٍّ في كل ركعة من أن يقول: " الحمد لله رب العالمين ، الرحمٰن الرحيم ، مالك يوم الدين ... " [٣]. فإذا قال : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ قال الله : حمدني عبدي ، فإذا قال : ﴿ الرحمٰن الرحيم ﴾ قال : أثنى عليَّ عبدي ، فإذا قال : ﴿ مالك يوم الدين ﴾ قال : مجدني [٤] عبدي [٥].

فهم يفتحون القيام في الصلاة بالتحميد ، ويختمونها بالتحميد واذا رفعوا رؤسهم من الركوع ، يقول امامهم : سمع الله لمن حمده، ويقولون [٦] جميعا : ربنا ولك الحمد ، ويختمون صلاتهم بتحميد ، يجعل [٧] التحيات له والصلوات والطيبات ، وأنواع تحميدهم لله [٨] مما يطول وصفه .

---

(١) في ك و ط (فأنوار).

(٢) في ك و ط زيادة : (كل).

(٣) سورة الفاتحة : ١ - ٣ .

(٣) لا أتصور أن أحدا يمكن أن يفهم من كلام الشيخ المؤلف هنا: أنه يمكن الأقتصار على ما أورده الشيخ من سورة الفاتحة. ولا أعلم أحدا قال به من كافة المذاهب ، ولكن الشيخ ذكر الجزء وأراد الكل .

هذا (ويجب قراءة الفاتحة في كل ركعة في الصحيح من المذهب (أي الحنبلي) ، وهذا مذهب مالك والأوزاعي والشافعي . وعن أحمد : أنها لا تجب الا في ركعتين من الصلاة ، ونحوه: عن النخعي والثوري وأبي حنيفة ... ، وعن الحسن : أنه إن قرأ في ركعة واحدة أجزاه ... وعن مالك : أنه إن قرأ في ثلاث أجزاه ، لأنها معظم الصلات) . المغني لأبن قدامة ١:٤٨٥.

(٤) التمجيد : التعظيم والثناء . ترتيب ٤ : ٢٠٤ .

(٥) هذا جزء من حديث قدسي ، رواه مسلم ، كتاب الصلاة ، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ... ١ : ٢٩٦ (٣٩٥). ورواه مالك في الموطا ، كتاب الصلاة ، باب القراءة خلف الأمام ... ١ : ٨٤ . ورواه أبو داود برقم (٨٢١) والترمذي برقم (٢٩٥٣) والنسائي ٢ : ١٣٥ .

(٦) في ك (يقولوا).

(٧) في ك و ط : (بتحميده ، بجعل).

(٨) في ك و ط (تحميدهم فيه والثناء عليه).

فصـــل

(بشارة من حزقيال)

قالوا : وقال حزقيال [١] ـ وهو يهدد اليهود ، ويصف لهم أمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

" وإن الله مظهرهم [٢] عليكم ، وباعث فيهم نبيا ، ومنزل عليهم كتابا ، ومملكهم رقابكم ، فيقهرونكم [٣] ويذلونكم بالحق ، ويخرج رجال بني [٤] قيدار في جماعات الشعوب ، معهم ملائكة على خيل بيض متسلحين ، محيطون [٥] بكم ، وتكون عاقبتكم إلى النار، نعوذ بالله من النار " [٦].

[٧] وذلك أن رجال بني قيدار ، هم (ربيعة)

---

(١) في ك و ط (دانيال).

(١) حزقيال : أسم عبري ، معناه : الله يقوى ، وهو أحد أنبياء بني اسرائيل، ابن بوزي ، ولد ونشأ بفلسطين ، وعاش في السبي ٨ سنوات ، وكان من تلاميذ "أرميا" ولا يعرف أين ومتى وكيف مات . وسفره يقع بين مراثي أرميا ودانيال في العهد القديم العربي . وهناك ملك لبني اسرائيل أسمه (حزقيا) بدون لام ، هو الذي حارب سنجاريب وانتصر عليه . البداية والنهاية ١ : ٣٢ ـ٣٣ . وأنظر سفر حزقيال ، العهد القديم: ٩٢٦-٩٨٨ .

(٢) في ك و ط (يظهرهم).

(٣) في ك و ط (يقهرونكم).

(٤) سقطت (بني) من ك و ط .

(٥) في ك و ط (فيحيطون).

(٦) أنظر سفر حزقيال ، الأصحاح العشرين : ٤٥-٤٩ ، العهد القديم : ٩٤٩ .

(٧) في ك و ط زيادة : (قلت).

و (مضر) أبناء عدنان [١]، وهما جميعا من ولد قيدار بن أسماعيل ، والعرب كلهم من بني عدنان ، وبني قحطان . فعدنان ـ أبو ربيعة ـ ومضر وأنمار من ولد أسماعيل ، باتفاق الناس [٢]. وأما قحطان ، فقيل : هم من ولد أسماعيل ، وقيل : هم من ولد هود [٣]. ومضر ولد الياس بن [٤] مضر [٥]، وقريش ، هم من ولد الياس بن مضر. وهوازن مثل عقيل [٦] ، وكلاب [٧]، وسعد بن بكر ، وبنو نمير [٨]، وثقيف وغيرهم ، هم من ولد الياس بن مضر.

---

(١) عدنان : من سلالة أسماعيل بن أبراهيم ـ عليه السلام ، وقد كره الأمام مالك ـ رحمة الله ـ رفع النسب الى ما بعد عدنان ، ولم يكرهه غيره كابن أسحاق والبخاري وغيرهما ، قال ابن عبد البر : والذي عليه الأئمة في هذا الشأن في نسب عدنان ، قالوا : عدنان بن أدد بن مقوم ابن ناحور بن يترح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن أسماعيل بن أبراهيم الخليل ـ عليهما السلام ـ . البداية والنهاية ٢ : ١٩٣ـ١٩٥ .

(٢) أنظر اللباب في تهذيب الأنساب ٣ : ٢٢٢ و ١٦ . والبداية والنهاية ٢ : ١٥٦ .

(٣) أنظر المصدرين السابقين ، والمواضع ـ نفسها ـ .

(٤) في ط (ابن) وليست في أول السطر .

(٥) أتفقت جميع النسخ على زيادة : (والياس بن مضر) بحيث تكون العبارة هكذا : (ومضر ولده الياس بن مضر ، والياس بن مضر وقريش هم من ولد الياس بن مضر) ، والذي يظهر لي أن تلك الزيادة ليست في محلها ، وربما تكون من النساخ .

(٦) هم بنو عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر ابن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . جمهرة أنساب العرب : ٢٢٥ و ٢٧٣ و ٢٩٠ .

(٧) هم بنو كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار ابن معد بن عدنان . المصدر السابق : ٢٥٥ و ٢٧٣ و ٢٨٢ .

(٨) هم بنو نمير بن عامر بن صعصعة ، وأولاده : ضنة وكعب وعامر والحارث . المصدر السابق : ٢٧٨ .

وهؤلاء انتشروا في الأرض ، فاستولوا على أرض الشام والجزيرة ومصر والعراق وغيرها ، حتى إنهم لما سكنوا الجزيرة بين الفرات (١) ودجلة (٢) ، سكنت (٣) مضر في حران (٤) وما قرب منها ، فسميت ديار مضر ، وسكنت ربيعة في الموصل (٥) وما قرب منها ، فسميت ديار ربيعة (٦).

---

(١) رسمت في أ : (الفراة) ، وهو النهر المعروف وأسمه بالفارسية "فالاذروذ" وهو يخرج من بلاد قاليقلان ثغور ارمينية حتى ينتهي إلى نهر دجلة ثم إلى البحر الحبشي (الخليج العربي). أنظر مراصد الأطلاع ٣ : ١٠٢١ ، ومروج الذهب ١ : ١٠٣ .

(٢) دجلة : هو النهر العظيم المشهور الذي يشق بغداد ثم المدائن ثم إلى واسط ثم يصب في البطائح ثم البحر (الخليج العربي) وطوله ١٢٠٠ كلم . أنظر مراصد ٢ : ٥١٥ ودائرة معارف وجدي ٤ : ١٨ .

(٣) في أ (فسكنت).

(٤) مدينة قديمة بين الرها والرقة ، وهي مهاجر الخليل ـ عليه السلام ـ وكانت منازل الصابئة من الحرانيين . مراصد ١ : ٣٨٩ .

(٥) كانت مدينة مشهورة عظيمة ، باب العراق ، ومفتاح خراسان ، سميت الموصل لأنها وصلت بين الجزيرة والعراق ، أسست قديما ، وهي على طرق دجلة ، وفي وسطها قبر النبي (جرجيس) ـ عليه السلام . معجم البلدان: ٥ : ٢٢٣ .

(٦) في ك و ط زيادة :"وقال (تنزل الملائكة على خيل) ، وهذا مما تواترت به الآثار ، أن الملائكة كانت تنزل على الخيل البيض ، فإنها نزلت يوم (بدر) لنصر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأمته ، ونزلت يوم الأحزاب ، وأحاطت ببني قريظة".

فصل(١)

(بشارتان من دانيال)

وقال دانيال ـ عليه السلام ـ وذكر محمد رسول الله (٢) ـ صلى الله عليه وسلم ـ باسمه ، فقال : " ستنزع في قِسِيك (٣) اغراقا ، وترتوي السهام بأمرك يا محمد ارتواء " (٤).

---

(١) كَتَب البسملة الشريفة قبل كلمة (فصل) في ط ، حيث أن هذا الموضع هو أول الجزء الرابع من طبعة (الكردي) ، والذي تبعه فيه (المدني) في طبعته ـ أيضا ـ ولم أجد لذلك التقسيم (الفني) أي أثر في أ ولا أكسفورد ، بخلاف ك ، حيث جاء فيها بعد هذا الموضع بصفحة تقريبا أشارة إلى بداية الجزء ، وساذكرها في موضعها ـ ان شاء الله ـ تعالى ـ .

(٢) لم ترد جملة (رسول الله) في ك ولا ط .

(٣) في ك (قيسيك) بزيادة ياء بعد القاف .

(٤) النص الذي وجدته في الترجمة الحالية : " كنت أرى في رؤى الليل ، وإذا مع سحب السماء مثل ابن انسان أتى وجاء إلى القديم الأيام ، فقربوه قدامه ، فأعطى سلطانا ومجدا وملكوتا ، لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة ، سلطانه سلطان أبدي . ما لن يزول ، وملكوته ما لا ينقرض " . سفر دانيال ، الأصحاح السابع ، ١٣ ـ ١٤ ، العهد القديم ١٠٠٠ .

فهذا تصريح بغير تعريض [١] ، وتصحيح ليس فيه تمريض [٢].

فإن نازع في ذلك منازع فليوجد لنا [٣] آخر ، اسمه محمد ، له سهام تنزع ، وأمر مطاع لا يدفع.

وقال دانيال النبي ـ أيضا ـ حين سأله بَخْتَ نَصَّر ، عن تأويل رؤيا [٤] رآها ، ثم نسيها : " رأيت أيها الملك صنما عظيما ، قائما بين يديك، رأسه من ذهب ، وساعداه من الفضة ، وبطنه وفخذاه من النحاس ، وساقاه من الحديد ، ورجلاه من الخزف [٥]، ورأيت حجرا لم تقطعه يد انسان ، قد جاء وصك [٦] ذلك الضم فتفتت وتلاشى ، وعاد رفاتا ، ثم نسفته الرياح ، فذهب وتحول ذلك الحجر فصار جبلا عظيما حتى ملاء الأرض كلها ، فهذا ما رأيت أيها الملك ؟ "

---

(١) التعريض : ضد التصريح ، يقال : عَرَّض لفلان وبفلان : إذا قال قولا وهو يعنيه ، ومنه المعاريض في الكلام ، وهي التورية بالشيء عن الشيء ، وفي المثل النبوي : " إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب " أي سعة. مختار الصحاح : ٤٢٥ ، وفتح الباري ١٠ : ٥٩٤ ، وقال : "هذا لفظ حديث أخرجه المصنف ـ أي البخاري ـ في الأدب المفرد ، والطبري في التهذيب ، والطبراني في "الكبير" ورجاله ثقات ... وللمصنف في الأدب المفرد ... عن عمر قال : اما في المعاريض ما يكفي المسلم من الكذب ؟".

(٢) التمريض : التوهين ، خلاف التصحيح الذي هو البراءة من كل عيب . أنظر ترتيب القاموس ٢ : ٧٩٩ و ٤ : ٢٢٩ .

(٣) هكذا في ط (فليوجد لنا) وفي أ و ك (فليوجدنا) والأولى ما أثبتناه من ط .

(٤) الرؤيا : ما يرى في المنام . مختار الصحاح : ٢٢٨ .

(٥) الخزف : كل ما عمل من طين وشوي بالنار حتى يكون فخارا. ترتيب ٢ : ٥٠ .

(٦) صكه : أي ضربه شديدا بعريض،أو عصام . المصدر السابق ٢ : ٨٣٨ .

فقال بَخْتَ نَصَّر : صدقت فما تأويلها ؟

قال دانيال : " أنت الرأس الذي رأيته من الذهب ، ويقوم بعدك ولداك اللذان رأيت من الفضة ، وهما دونك ، ويقوم بعدهما مملكة أخرى هي دونهما (١). وهي شبه (٢) النحاس ، والمملكة الرابعة : تكون قوية مثل الحديد الذي يدق كل شيء. فأما الرّجلان التي رأيت من خزف . فمملكة ضعيفة ، وكلمتها متشتتة (٣). وأما الحجر الذي رأيت قد صلك ذلك الصنم العظيم ففتته ، فهو نبي يقيمه الله ، اله السماء والأرض ، من قبيلة بشريعة قوية ، فيدق جميع ملوك الأرض ، وأممها حتى تمتليء منه الأرض ومن أمته ، ويدوم سلطان ذلك النبي إلى أنقضاء الدنيا ، فهذا تعبير رؤياك أيها الملك " (٤).

(٥) فهذا (٦) نعت محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا نعت (٧) المسيح ، فهو الذي بعث بشريعة قوية ودق (٨) جميع ملوك الأرض وأممها ، حتى امتلأت الأرض منه ومن أمته ، في مشارق الأرض ومغاربها ، وسلطانه (٩) دائم لم (١٠) يقدر أحد أن يزيله ، كما زال ملك اليهود ، وزال ملك النصارى عن خيار الأرض وأوسطها (١١).

---

(١) في ك و ط (دونها) بدون ميم.

(٢) هكذا في أ (شبه) وفي ك و ط (التيتشبه).

(٣) في ك بدل هذه الكلمة رمز غير معروف ، وفي ط (سحيقة).

(٤) هكذا أورده الشيخ المؤلف مختصرا ، وأنظر نص الترجمة الحالية ، سفر دانيال ، الأصحاح الثاني بكامله ، العهد القديم : ٩٩٠ ـ ٩٩٢ .

(٥) في ك و ط زيادة : (قلت).

(٦) في ك و ط (بعث).

(٧) في ك و ط (بعث).

(٨) في ك و ط (دون).

(٩) في ك و ط (وسلطانهم) بالجمع.

(١٠) في ك و ط (لا).

(١١) في ط (وأوساطها).

فصـــل

(بشارة ثالثة من دانيـــال)

(١) وقال دانيال النبي ـ أيضا ـ : ســـألت الله وتضرعت اليه أن يبين لي ما يكون من بنـــي اسرائيل ، وهل يتوب عليهم ، ويرد اليهم ملكهـم ، ويبعث فيهم الأنبياء (٢)* أو يجعل ذلك في غيـرهم ؟ قال دانيال (٣): فظهر لي الملك ، في صورة شاب حسن الوجه ، فقال : السلام عليك يا دانيال ، أن اللـــه ـ تعالى ـ (٤) يقول : « ان بني أسرائيل أغضبونـــي وتمردوا علي ، وعبدوا من دوني آلهة أخرى ، وصاروا من بعد العلم الى الجهل ، ومن بعد الصدق الى الكـذب ، فسلطت عليهم بخت نصر ، فقتل رجالهم ، وســـبى ذراريهم ، وهدم بيت مقدسهم (٥)، وحرق كتبهـم ، وكذلك فعل من بعده بهم ، وأنا غير راض عنهم ، و لا مقيلهم (٦) عشراتهم (٧)، فلا يزالون في ســخطي حتى أبعث مسيحي ابن (٨) العذراء البتول ، فأختم (٩) عليهم عند ذلك (١٠) باللعن والسخط ، فلا يزالـــون ملعونين ، عليهم الذلة والمسكنة (١١) حتى أبعـــث

---

(١) في ك و ط زيادة : (وقالوا).

(٢) من النجمة الى آخر هذا الموضع ـ النجمة الأخرى ، أى الى قوله : في ك بسم الله الرحمن الرحيم ، وبه ثقتي ، ليس في ك ، وهو بمقدار صفحة.

(٣) قال دانيال) ليست في ط

(٤) ليس في ط كلمة التقديس. (٥) في ط (مسجدهم).

(٦) في ط (عشرات) بدون الضمير المتصل.

(٧) من أ قال البيع : اذا فسخه. ترتيب ٣ : ٧٢٦.

(٨) في أ (بن) بدون ألف. (٩) في ط (واختم) بالواو.

(١٠) في ط (ذلك عليهم باللعن). (١١) المسكنة : الخضوع والذل. ترتيب ٢:٥٨٩.

نبي بني اسماعيل الذي بشرت به هاجر ، وأرسلت اليها ملاكي فبشرها [١] وأوحى [٢] الى ذلك النبي ، وأعلمه الأسماء [٣]، وأزينه بالتقوى ، وأجعل البر شعاره ، والتقوى ضميره [٤] ، والصدق قوله ، والوفاء طبيعته ، والقصد سيرته ، والرشد سنته ، أخصه بكتاب مصدق لما بين يديه من الكتب ، وناسخ لبعض ما فيها ، أسري به الي ، وأرقيه من سماء الى سماء حتى يعلو فأدنيه ، وأسلم عليه، وأوحي اليه ، ثم أرده الى عبادي بالسرور والغبطة [٥]، حافظا لما استودع ، صادعا [٦]بما أمر ، يدئو الى توحيدي باللين من القول والموعظة الحسنة ، لا فظ [٧] ولا غليظ ولا صخاب في [٨] الأسواق ، رؤوف بمن والاه ، رحيم بمن آمن به ، خشن على من عاداه ، فيدعو قومه الى توحيدي وعبادتي ، ويخبرهم بما رأى من آياتي ، فيكذبونه ويؤذونه [٩].

* قال الناقل لهذه البشارة : قالوا : * [١٠]ثم سرد دانيال قصة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حرفا حرفا [١١] ، مما [١٢] أملاه

---

(١) في ط (وبشرها) بالواو .

(٢) في ط (وأوحى) بالواو .

(٣) هكذا في ك و ط ، وفي أ (السيما) والأصوب ما في ط ، ولهذا أثبتناه .

(٤) ضمير الأنسان : قلبه وباطنه . المصباح : ٣٦٤ .

(٥) الغبطة : حسن الحال . المصباح : ٤٤٢ .

(٦) في ط (صادقا فيما).

(٧) الرجل الفظ : الشديد الغليظ القلب ، اذا غلظ حتى يهاب في غير موضعه . المصباح : ٤٧٨ .

(٨) في ط (بالأسواق).

(٩) أنظر سفر دانيال ، الأصحاح التاسع بكامله ، العهد القديم : ١٠٠٣-١٠٠٤

(١٠) ما بين النجمتين سقط من ط .

(١١) سقطت (حرفا حرفا) من ط .

(١٢) في ط (بما).

عليه الملك ، حتى وصل [١] آخر أيام أمته بالنفخة [٢] وانقضاء الدنيا ، ونبوته كثيرة [٣] ، وهي [٤] الآن في أيدي [٥] النصارى ، واليهود يقرأونها [٦].

* [٧]ومنها وصفنا مما ذكره الله من وصف هذه الأمة ونبيها ، واتصال مملكتهم بالقيامة ـــ [٨] قلت : فهذه نبوة دانيال فيها البشارة بالمسيح، والبشارة بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وفيها من وصف محمد وأمته بالتفصيل ـــ [٩] ما يطول وصفه ، وقد قرأها المسلمون لما فتحوا العراق ،

---

(١) في ط (أوصل).

(٢) النفخة : قيل هي النفخ في كل صورة إنسان فتحيا ، والصواب أن النفخ: هو في الصور ، والمراد به القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل ـ عليه السلام ـ ، وقد ورد في حديث اسناده فيه ضعيف : أن النفخ في الصور يكون ثلاث مرات ، الأولى : نفخة الفزع ، والناس أحياء ، وتطول هذه النفخة ، وترتج الأرض ، ثم نفخة الصعق ، ثم نفخة البعث . تفسير القرآن العظيم ٣ : ٢٧٧ ـ ٢٧٨ .

(٣) سقطت (نبوته كثيرة) من ط ، والمقصود بها : السفر المنسوب اليه ، من العهد القديم.

(٤) في ط (وهذه البشارة).

(٥) في ط (عند اليهود والنصارى).

(٦) في ط زيادة: (ويقولون : لم يظهر صاحبها بعد).

(٧) من هذه النجمة بداية سقط من ط ، وسأشير الى نهايته ـ بأذنه ـ تعالى ـ .

(٨) من هنا بداية جملة اعتراضية طويلة.

(٩) نهاية الجملة الأعتراضية.

كما ذكر ذلك العلماء ، منهم أبو العالية : ذكر أنهم لما فتحوا (تُسْتَر)[١] وجدوا دانيال ميتا ، ووجدوا عنده مصحفا . *[٢]

قال أبو العالية : أنا [٣] قرأت ذلك المصحف ، وفيه صفتكم [٤] ولحون كلامكم [٥]، وكان أهل الناحية - [٦] اذا اجدبوا [٧] كشفوا عن قبره ، فيسقون [٨]، فكتب أبو موسى [٩] في ذلك الى عمر بن الخطاب ، فكتب اليه عمر :" أن احفر بالنهار ثلاثة عشر قبرا ، وادفنه بالليل في واحد منها ،

---

(١) تُسْتَر : تعريب (شوشتر) كانت أعظم مدينة بخوزستان ، وبها قبر البراء بن مالك الأنصاري - رضي الله عنه - ، وكان يُعمل بها ثياب وعمائم فائقة . معجم البلدان ٢ : ٢٩-٣٠ .

(٢) الى النجمة نهاية السقط من ط .

(٢) المصحف : بضم الميم وكسرها - ، هو ما جمعت فيه الصحف ، مختار: ٣٥٧ .

(٣) في ط (فأنا).

(٤) في ط زيادة (وأخباركم وسيرتكم).

(٥) لحن الكلام : فحواه ومعناه . مختار : ٥٩٥ .

(٦) أي أهل (تستر) وما جاورها ، والناحية : الجهة . ترتيب ٤ : ٣٨٨ .

(٦) في ط زيادة (يعني أرض السوس ، حيث دانيال مدفون بها).

(٧) في أ (أجذبوا) بالذال المعجمة ، والنقطة تحريف ، وفي ط (أجديوا).

(٨) ورد شيء مشابه لهذا بشأن أبي أيوب الأنصاري في ص : ١٤٥ (طبع المدني) وقد قام الشيخ : على صبح المدني بالتعليق عليه تعليقا جيدا ، وسأعرض له في موضعه - باذن الله - تعالى - .

(٩) هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حَضّار الأشعري ، صحابي مشهور ، أمّره عمر ثم عثمان ، وهو أحد الحكمين بصفين ، مات سنة ٥٠ هـ وقيل بعدها . أسد الغابة ٣ : ٢٦٣ - ٢٦٥ ، وتقريب التهذيب ١ : ٤٤١ .

لئلا يفتتن (١) الناس به" (٢).

---

(١) الإفتتان : الضلال والإضلال والاثم . ترتيب ٣ : ٤٤٧ .

(٢) أخرجه البيهقي بمعناه في الدلائل ، باب صفة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في التوراة والانجيل ... ١ : ٣٨١ - ٣٨٢ . ورجال اسناده مُوثَّقون وهم ، أبو عبد الله الحاكم ، عن أبي العباس محمد بن يعقوب بن يوسف الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار العُطاردي ، عن يونس بن بكير ، عن أبي خلدة : خالد بن دينار ، عن أبي العالية ـ رُفَيْع بن مهران .

(٢) ما بعد هذا زيادة في ط فقط بمقدار صفحة من قوله : (فصل قالوا: قال كعب) . ثم أتفقت الزيادة مع ك في قوله : (بسم الله الرحمن الرحيم وبه نثقتي) فقط .

وهذه هي الزيادة بتمامها (فصل . قالوا: قال كعب ـ وذكر صفة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في التوراة ، ويريدبها التوراة التي هي أعم من التوراة المعينة ـ : " أحمد عبدي المختار ، لا فظ ولا غليظ ، ولا سخاب في الأسواق ، ولا يجزي بالسيئة السيئة ، يعفو ويغفر ، مولده بكّا ، وهجرته طابا ، وملكه بالشام ، وأمته الحامدون ، يحمدون ، الله على كل نجد ، ويسبحونه في كل نزلة ، ويغضون أطرافهم ، ويأتزرون على أنصافهم ، وهم رعاة الشمس ، ومؤذنهم في جو السماء ، وصفهم في الجهاد والصلاة سواء ، رهبان بالليل ، أسد في النهار ، لهم دويٌّ كدويِّ النحل ، يصلون الصلاة حيث ما أدركتهم ولو على كُنَاسة " . فصل . قالوا : قال ابن الزناد : حدثني عبد الرحمن بن الحارث ، عن عمر بن حفص ، وكان من خيار الناس ، قال : " كان عند أبي وجدي ورقة يتوارثونها قبل الاسلام . فيها اسم الله وقوله الحق ، وقول الظالمين تبار ، هذا الذكر لأمة تأتي في آخر الزمان ، يتَّزِرون على أوساطهم ، ويرصدون أطرافهم ، ويخوضون البحور الى أعدائهم ، فيهم صلاة لو كانت في قوم نوح ما هلكوا بالطوفان ، وفي ثمود ما هلكوا بالصيحة " . =

. . . . . .

فصل . قالوا : قال أشعياء ـ وذكر قصة العرب ـ فقال : « ويدوسون الأمم دياس البيادر ، وينزل البلاء بمشركي العرب ، وينهزمون بين يدي سيوف مسلولة ، وقسيٍّ موترة من شدة الملحمة » ، وهذا إخبار عما طرأ بعبدة الأوثان من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم بدر ، ويوم حنين ، وفي غيرها من الوقائع .

بسم الله الرحمن الرحيم ، وبه ثقتي [1].

---

(١) والى هنا تنتهي الزيادة في ط أولا ثم في ك .

فصل (١)

قالوا : وقال يوحنا الانجيلي (٢) : قال يسوع (٣) المسيح - في الفصل الخامس عشر من إنجيله - " أن الفارقليط (٤) روح الحق الذي يرسله أبي ، هو يعلمكم كل شيء " (٥).

(ما نقل من بشارات المسيح بمحمد ، والتعليق المفصل عليها)

---

(١) ليس في ك كلمة (فصل) وفي ك و ط زيادة : (في كلمة الإنجيل وتفسيرها).

(٢) ويسمى : التلميذ الحبيب أو (يوحنا الشيخ) . أو (الرسول) وهو ابن زبدي ، من بيت صيدا في الجليل ، وأمه سالومة. وقد أتخذ مهنة الصيد حرفة ، وكان أحد الرسل الثلاثة الذين اصطفاهم المسيح ليكونوا رفقاءه الخصوصيين وهم بطرس ، ويعقوب ، ويوحنا ، وله في العهد الجديد خمسة أسفار منسوبة اليه ، مات في (أفسس) سنة ٩٨ م. قاموس الكتاب المقدس (عندهم) : ١١٠٨ - ١١١٠ .

(٣) يسوع : هذه هي الصيغة العربية للاسم العبري (يشوع) وهو اسم لشخصين في العهد الجديد ، ومعنى الاسم : (يهوه مخلص) : الأول هو : المسيح عيسى بن مريم - عليهما السلام - والمسيح لقبه ويسوع اسمه الشخصي . والثاني : يهودي مسيحي يدعى : (بسطس) ، وكان عاملا مع بولس ورفيقا له في رومية. قاموس الكتاب المقدس (عندهم) : ١٠٦٦ .

(٤) كلمة عبرانية معناها : أحمد - صلى الله عليه وسلم - وقد كتبها - السنصارى - بفتح الفاء - وهي بكسرها - ليكون معناها : المحامي والمؤيد والشفيع والنائب عن غيره ... وهكذا ، وقد جاء بدل هذه الكلمة في الترجمات الحالية كلمة (المُعَزِّي). أنظر أثبات نبوة النبي - صلى الله عليه وسلم - : ١٦٦ لأحمد بن الحسين الزيدي - ٤٢١ هـ ت خليل الحاج ، المكتبة العلمية ، بيروت ، وإظهار الحق : ٥٤٠ هامش رقم (٣٢) د. أحمد السقا.

(٥) أنظر انجيل يوحنا ، الأصحاح ١٤ ، ٢٦ ، العهد الجديد ١٤٣ .

وقال يوحنا ـ التلميذ [١] ـ أيضا ـ عن المسيح ، أنه قال لتلاميذه : " ان كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي وأنا أطلب من الأب أن يعطيكم فارقليطا آخر ، يثبت معكم الى الأبد ، روح الحق الذي لم يطق العالم أن يقتلوه ، لأنهم لم يعرفوه ، ولست أدعكم أيتاما لأني سآتيكم عن قريب " [٢].

وقال يوحنا [٣]: قال المسيح : " من يحبني يحفظ كلمتي ، وأبي يحبه ، واليه يأتي ، وعنده يتخذ المنزل ، كلمتكم بهذا لأني عندكم مقيم ، والفارقليط روح الحق الذي يرسله أبي هو يعلمكم كل شيء ، وهو يذكركم كل ما قلت لكم ، أستودعتكم سلامي [٤]، لا تقلق قلوبكم ولا تجزع ، فاني منطلق وعائد اليكم ، لو كنتم تحبوني . كنتم تفرحون بمضيي الى الأب ، فان أنتم ثبتم في كلامي ، وثبت كلامي فيكم ، كان لكم كل ما تريدون ، وبهذا يمجد أبي " [٥]. وقال ـ أيضا ـ : " اذا جاء الفارقليط الذي أبي أرسله ، روح الحق الذي من أبي ، هو يشهد لي ، قلت لكم هذا ، حتى اذا كان تؤمنوا به ، ولا تشكوا فيه " [٦]. وقال ـ أيضا ـ : " ان خيرا لكم أن أنطلق ، لأني ان لم أذهب لم يأتكم الفارقليط ، فاذا انطلقت أرسلته اليكم ، فهو يوبخ [٧] العالم على الخطيئة [٨]، وان لي كلاما كثيرا ، أريد أن أقوله ، ولكنكم لا تستطيعون حمله ، لكن اذا جاء روح الحق ذاك [٩]

---

(١) هو يوحنا الأنجيلي السابق ـ نفسه ـ ، وهذا لقب آخر له .

(٢) أنظر انجيل يوحنا ، الأصحاح الرابع عشر ، ١٥ ـ ١٩ ، العهد الجديد ١٤٣ .

(٣) هو الانجيلي والتلميذ نفسه .

(٤) في ك و ط (وأمي).

(٥) أنظر انجيل يوحنا ، الأصحاح الخامس عشر ، ٣ ـ ١٤ ، والسادس عشر ٥ ـ ١٦ . العهد الجديد ، ١٤٤ ـ ١٤٥ .

(٦) أنظر انجيل يوحنا ، الأصحاح الخامس عشر ، ٢٦-٢٧ ، العهد الجديد : ١٤٤. وهو بمعناه .

(٧) وبخته : لَمْتُه وعَنَّفْتُه وعتبت عليه ، وقال الفارابي : عيرته . المصباح : ٦٤٦ .

(٨) في أ (الخطبة) هو تحريف . (٩) في ك و ط زيادة : (الذي).

يرشدكم الى جميع الحق ، لأنه ليس ينطق من عنده ، بل يتكلم بما يسمع ، ويخبركم بكل ما يأتي ، ويعرفكم جميع ما للآب " [١]. وقال يوحنا الحواري [٢]: قال المسيح : " ان أركون العالم سيأتي وليس لي شيء " [٣].

وقال مَتّى التلميذ : قال المسيح : " ألم يقرأوا أن الحجر الذي أرذله [٤] البناءون ، صار رأسا للزاوية [٥] من عند الله ، كان هذا - وهو عجيب في أعيننا - ومن أجل ذلك أقول لكم : ان ملكوت [٦] الله سيؤخذ منكم ويدفع الى أمة أخرى ، تأكل ثمرها ، ومن سقط على هذا الحجر ينشرح ، وكل من سقط هو عليه يمحقة " [٧].

وقال يوحنا التلميذ - في كتاب رسائل التلاميذ ، المسمى بفراكسيس - : " يا أحبابي [٨]، اياكم أن تؤمنوا بكل روح ، لكن مَيِّزُوا الأرواح التي من عند الله من غيرها ، واعلموا أن كل روح يؤمن بأن يسوع المسيح قد جاء فكان [٩] جسدانيا ، فهي من عند الله ، وكل روح لا تؤمن [١٠] بأن يسوع المسيح جاء ، وكان جسدانيا ، فليست من عند الله ، بل من المسيح الكذاب، الذي سمعتم به ، وهو الآن في العالم " [١١].

---

(١) أنظر انجيل يوحنا ، الأصحاح السادس عشر ، ٧ - ١٤ ، العهد الجديد: ١٤٥ . وهو بمعناه .

(٢) هو يوحنا المذكور - سابقا - نفسه .

(٣) بحثت عن هذا النص في مضانه فلم أعثر عليه .

(٤) الأرذل : الدون الخسيس ، أو الرديء من كل شيء . ترتيب القاموس ٢ : ٣٢٩

(٥) سميت زاوية البيت لأنها جمعت قطرا منه . المصباح : ٢٦٠ .

(٦) الملكوت : العز والسلطان . ترتيب ٤ : ٢٨٢ .

(٧) يمحقه ، يبطله ويمحوه . المصدر السابق ٤ : ٢٠٩ .

(٧) أنظر انجيل متى ، الأصحاح الحادي والعشرين ، ٤٢ - ٤٤ ، العهد الجديد: ٣٣ - ٣٤ ، وانجيل لوقا ، الأصحاح العشرين : ١٧ - ١٨ ، العهدالجديد:١٠٩

(٨) في ك و ط (يا أخاي) . (٩) في ك و ط (وكان) بالواو .

(١٠) في ك و ط (يؤمن).

(١١) أنظر رسالة يوحنا الأولى ، الأصحاح الرابع ،١-٣ ، العهد الجديد: ٣٢٨ .

وقال شمعون الصفا [١]، رئيس الحواريين ـ في كتاب فراكسيس ـ " انه قد حسن أن يبتديء الحكم من بيت الله ابتداء " [٢].

قلت : وهذا اللفظ ، لفظ الفار قليط ، في لغتهم ذكروا فيه أقوالا: قيل : انه الحماد ، وقيل : انه الحامد ، وقيل : انه المعز ، وقيل: انه الحمد ، ورجح هذا طائفة ، وقالوا : الذي يقوم عليه البرهان في لغتهم انه الحمد ، والدليل عليه قول يوشع : " من عمل حسنة تكون له فار قليط جيد ـ أي حمد جيد ـ وقولهم المشهور في [٣] تخاطبهم : فار قليط ، وفار قليطان ، وما زاد على الجميع ـ أي حمد ـ ومِنْه كما نقول نحن:يدٌ ومِنَّة [٤]. ومن قال : معناه المخلص ، فيحتجون بانها كلمة سريانية ، ومعناها : المخلص ، وقالوا : هو مشتق من قولنا : " راوف "[٥] ويقال بالسريانية " فاروق " فجعل فارق . قالوا : ومعنى " ليط " كلمة [٦] تزاد والتقدير كما يقال في العربية : رجل هو ، وحجر هو ، وبدر هو ، وذكر هو. قالوا : وكذلك [٧] يزاد في السريانية " ليط " .

---

(١) هو شمعون المذكور ص : ٣٠٤ .

(٢) بحثت في سفر شمعون في العهد الجديد ، فلم أهتد اليه .

(٣) في ك و ط (مخاطبتهم).

(٤) في ك و ط (يقول تحويد ومنه) وبعدها زيادة : (هنا رويده يأتي بعد قوله : وواحد منها بقي عبرانيا) وقد وقفت طويلا أمام هذه العبارة حتى تمكنت ـ بحمد الله ـ من حلّها .

(٥) هكذا "راوق" راء فألف فواو فقاف وفي ك (زار) وفي ط (حار) وفي أكسفورد (فاروق).

(٦) في ك و ط (يراد منها التثبت).

(٧) في ك و ط (يراد) بالراء المهملة .

والذين قالوا : هو المعز ، قالوا : هو في لسان اليونان [١]، المعز.

ويعترض على هذين القولين بأن [٢] المسيح لم تكن لغته سريانية ولا يونانية ، بل عبرانية [٣]. ويحاب عنه بأنه تكلم بالعبرانية ، وتُرجم عنه بلغة أخرى ، كما أَمْلوا أحد الأناجيل باليونانية [٤]، والآخر بالرومية [٥]، وواحد [٦] بقي عبرانيا. * [٧] وأكثر النصارى على أنه المخلص ، والمسيح نفسه يسمونه المخلص ، وفي الانجيل الذي بأيديهم أنه قال : " اني لم آت لأزين العالم ، بل لأخلص العالم " [٨] والنصارى يقولون في صلاتهم لقد ولدت لنا مخلصا " * .

---

(١) هكذا في ك و ط وفي أ (اليوناني) وما في ك و ط أولى .

(٢) في ط (بان).

(٣) العبرانية: لغة اليهود ، ويقال : عبرية. وهي من اللغات الشريفة ، أنزل بها الله التوراة والإنجيل . ترتيب القاموس ٣ : ١٣٩ ، ودائرة معارف وجدي ٦ : ٨٩ .

(٤) في ك و ط زيادة (وآخر بالسريانية).

(٥) الرومية : هي اللغة المنسوبة الى جيل من ولد الروم من عيصو . أنظر ترتيب القاموس ٢ : ٤١٦ .

(٦) في ك وط زيادة (منها).

(٧) ما بين النجمتين ـ والذي يقارب الأسطر الثلاثة ـ ليس في ك ولا ط .

(٧) أنظر قاموس الكتاب المقدس (عندهم) : ٤٦٨ ، وراجع الجواب الصحيح (رسالة دكتوراه) جـ ١ م ٢ : ٥٠١-٥٠٣ . وأنظر هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى : ٥٦ .

(٨) أنظر انجيل متى ، الأصحاح التاسع عشر : ٢٣-٢٦ ، العهد الجديد : ٢٠ ، بما يقارب معناه .

وقد اختلف فيه ، فمن [١] النصارى من قال : هو روح نزلت على الحواريين ، وقد يقولون : انه ألسن نارية نزلت من السماء على التلاميذ ، ففعلت الآيات والعجائب ، ولهذا يقول من خبر [٢] أحوال النصارى : انه لم ير أحدا منهم يحسن تحقيق مجيء هذا الفار قليط الموعود به .

منهم من يزعم أنه المسيح نفسه ، لكونه جاء بعد الصلب [٣] بأربعين يوما ، وكونه قام من قبره [٤] . وتفسيره بالروح باطل ، وأبطل منه تفسيره بالمسيح لوجوه :

منها : أن روح القدس مازالت تنزل على الأنبياء والصالحين قبل المسيح وبعده ، وهذا مما اتفق عليه أهل الكتاب : أن روح القدس نزلت على الأنبياء والصالحين قبل المسيح وبعده ، وليست موصوفة بهذه الصفات وقد قال ـ تعالى ـ : ﴿ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد [٥] الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ... ﴾ [٦] .

---

(١) هكذا في ك و ط ، وفي أ (عن) والأظهر ما في ك و ط ولهذا أثبتناه .

(٢) خَبَر : أي علم ، والاسم من الخُبْر . مختار الصحاح : ١٦٨ .

(٣) في ك (أربعين) .

(٣) الصَّلْب : هو تعليق الأنسان على صليب تنفيذاً لحكم القتل فيه ، وكان يتم ذلك بربط اليدين والرجلين بهذا الصليب ، أو بصورة أفضع وذلك بتسمير أجزاء الجسم بالمسامير عن طريق الأجزاء اللحمية ، وكانت هذه الطريقة معروفة لدى أمم كثيرة . أنظر قاموس الكتاب المقدس (عندهم) : ٥٤٥ .

(٤) في أ كتب الناسخ جملة : (وهذا ضعيف) ثم شطبها .

(٥) حاد الله ورسوله : أي يعادون الله ورسوله ويخالفون أمرهما . صفوة التفاسير ، ٢٨ : ٣٤٣ م ٣ .

(٦) سورة المجادلة : ٢٢ .

(٦) بروح منه : أي نصره وتأييده ، لأن به يحيا أمرهم . المصدر السابق ، ٢٨ : ٣٤٤ م ٣ .

وقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لحسان بن ثابت لما كان يهجو المشركين ـ قال : [١] " اللهم أيده بروح القدس " [٢] وقال : " ان روح القدس معك مازلت تنافح [٣] عن نبيه " [٤].

واذا كان كذلك ولم يسم أحد هذه الروح فار قليطا دل على أن الفار قليط أمر غير هذا [٥]. ـ وأيضا ـ فمثل هذه مازالت يؤيدبها الأنبياء والصالحون [٦] وما بشر به المسيح أمر عظيم ، يأتي بعده أعظم من هذا . ـ وأيضا ـ فانه وصف الفار قليط بصفات لا تناسب هذا ، وإنما تناسب رجلا يأتي بعده نظيرًا له ، فإنه قال : " إن كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي ، وأنا أطلب من الآب أن يعطيكم فار قليطا آخر ، يثبت معكم الى الأبد " [٧]. فقوله : (فار قليطاً آخر) دل على أنه ثان لأولٍ كان قبله ، ولم يكن معهم في حياة المسيح الا هو ، لم تنزل عليهم روح ، فعلم أن الذي يأتي بعده نظيرًا له [٨] ، ليس أمرًا معتادًا يأتي للناس .

---

(١) سقطت (قال) من ك و ط .

(٢) هذه الرواية للبخاري ، كتاب الصلاة ، باب الشعر في المسجد ، ١ : ٥٤٨ . (٤٥٣) من فتح البخاري.ومسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل حسان إبن ثابت ـ رضي الله عنه ـ ، ٤ : ١٩٣٢ (٢٤٨٥).

(٣) روح القدس : المراد به هنا جبريل ـ عليه السلام ـ . فتح الباري ١ : ٥٤٨ .

(٣) تنافح : أي تكافح وتخاصم . ترتيب ٤ : ٤١٠ .

(٤) هذه الرواية أخرجها مسلم بلفظ : " ان روح القدس لا يزال يؤيدك ، ما نافحت عن الله ورسوله " . كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل حسان ... ، ٤ : ١٩٣٥-١٩٣٦ (٢٤٩٠).

(٥) في ك و ط (هذه) بالتأنيث .

(٦) هكذا في ك و ط وفي أ (والصالحين) وهو سائغ اذا كان البناء للفاعل والأظهر ما في ك و ط ولهذا أثبتناه.

(٧) أنظر انجيل يوحنا ، الأصحاح الرابع عشر ، ١٥ ـ ١٦ ، العهد الجديد ١٤٢ .

(٨) أي مثيله . مختار : ٦٦٦ .

و ـ أيضا ـ فانه قال : (يثبت معكم الى الأبد) وهذا إنما يكون لما يدوم ويبقى معهم [١] الى آخر الدهر . ومعلوم أنه لم يرد بقاء ذاته ، فعلم أنه بقاء شرعه وأمره ، فعلم أن الفار قليط الأول لم يثبت معهم شرعه ودينه الى الأبد. وهذا يبين أن [٢] الثاني صاحب شرع [٣] (لاينسخ) بخلاف الأول . وهذا انما ينطبق على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

و ـ أيضا ـ فانه أخبر أن هذا الفار قليط الذي أخبر به ، يشهد له ، ويعلمهم كل شيء ، وأنه يذكرهم كل ما قال المسيح ، وأنه يوبخ العالم على خطيئته [٤] فقال : (والفار قليط الذي يرسله أبي ، هو يعلمكم كل شيء ، وهو يذكركم كل ما قلت لكم) [٥]. وقال : (اذا جاء الفار قليط الذي أبي أرسله ، [٦] هو يشهد لي ، قلت لكم هذا ، حتى اذا كان تؤمنوا به ولا تشكوا فيه) [٧].

وقال : (ان خيرا لكم أن أنطلق ، لأني ان لم أذهب لم يأتكم الفار قليط ، فاذا انطلقت أرسلته اليكم ، فهو يوبخ العالم على الخطيئة ، وأن لي كلاما كثيرا ، أريد أن أقوله ، ولكنكم لا تستطيعون حمله ، لكن اذا جاء روح الحق ، ذاك الذي يرشدكم الى جميع الحق ، لأنه ليس ينطق من عند نفسه [٨]، بل يتكلم بما يسمع ، ويخبر [٩] بكل ما يأتي ، ويعرفكم جميع ما للأب) [١٠].

---

(١) في أ (معكم) .

(٢) هكذا في ك و ط زيادة : (هذا).

(٣) هكذا في ك و ط ، وفي الأصل بياض بمقدار كلمة ، ولعلها ما ثبت في ك و ط .

(٤) في ك و ط(الخطيئة) بالتعريف .

(٥) تقدم عزوه في ص : ٣٦٥ .

(٦) في ط ـ فقط ـ بالعطف (وهو) وفيها ـ أيضا ـ سقطت ألف (أرسله).

(٧) تقدم عزوه في ص : ٣٦٦ .

(٨) في ك و ط (من عنده).

(٩) في ك و ط (يخبركم).

(١٠) أنظر انجيل يوحنا ، الإصحاح السادس عشر ، ٧ـ١٤ ، العهد الجديد : ١٤٥ .

فهذه الصفات والنعوت التي تلقوها عن المسيح ، لا تنطبق على شيء في قلب بعض الناس ، لا يراه أحد ولا يسمع كلامه ، وإنما تنطبق على من يراه الناس ويسمعون كلامه ، فيشهد للمسيح ، ويعلمهم كل شيء ، ويذكرهم كل ما قال لهم المسيح ، ويوبخ العالم على الخطيئة ، ويرشد الناس الى جميع الحق ، وهو لا ينطق من عنده ، بل يتكلم بما يسمع ، ويخبرهم بكل ما يأتي ، ويعرفهم جميع ما لرب العالمين .

وهذا لا يكون ملَكا لا يراه أحد ، ولا يكون هدى ولا علما في قلب بعض الناس ، بل لا يكون الا انسانا عظيم القدر ، يخاطب الناس بما أخبر به المسيح ، وهذا لا يكون إلا بشرا رسولا ، بل يكون أعظم من المسيح ، بين أنه يقدر على ما لا يقدر عليه المسيح (١) ، ويعلم ما لا يعلمه المسيح ، ويخبر بكل ما يأتي وبما يستحقة الرب ، حيث قال : (٢) (ان لي كلاما كثيرا ، أريد أن أقوله ، ولكنكم لا تستطيعون حمله ، ولكن اذا جاء روح الحق ، ذاك الذي يرشدكم الى جميع الحق ، لأنه ليس ينطق من عنده ، بل يتكلم بما يسمع ، ويخبركم بما (٣) يأتي ، ويعرفكم جميع ما للآب)(٤).

وهذه الصفات لا تنطبق الا على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وذلك أن الاخبار عن الله بما هو متصف به من الصفات ، وعن ملائكته ، وعن ملكوته ، وعن ما أعده الله في الجنة لأوليائة ، وفي النار لأعدائه ، أمر لا يحتمل عقول كثير من الناس معرفته على التفصيل ، ولهذا قال علي (٥) ـ رضي الله عنه ـ : (حدثوا الناس بما يعرفون ، ودعوا ما ينكرون ، أتر يدون أن يُكَذَّب الله ورسوله ؟) (٦)

---

(١) في ك و ط زيادة (من خطاب الناس في أمور عظيمة لا تحملها عقول أولئك).

(٢) في ك و ط زيادة : واو العطف .

(٣) في ك و ط (يكل).

(٤) أنظر انجيل يوحنا ، الأصحاح السادس عشر ، ١٢ ـ ٢٤ ، العهد الجديد: ١٤٥

(٥) هكذا في ك و ط وفي أ (عليه السلام) وما في ك و ط أولى،ولهذا أثبتناه.

(٦) رواه البخاري معلقا ، كتاب العلم ، باب من خصَّ بالعلم قوما دون قوم.. ، ١ : ٢٢٥ ، من فتح الباري ، وليس فيه (ودعوا ما ينكرون) ولكن قال ابن حجر : وزاد آدم بن أبي إياس في كتاب العلم له ... (ودعوا ما ينكرون) أي يشتبه عليهم فهمه ، وكذا رواه أبو نعيم في المستخرج .

وقال ابن مسعود : (ما من رجل يحدث قوما [١] بحديث لا يبلغه [٢] عقولهم ، الا كان فتنة لبعضهم)[٣]. وسأل رجل ابن عباس عن قوله ـ تعالى : ﴿ خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن ... ﴾ [٤] قال :"ما يؤمنك أن لو أخبرتك بتفسيرها لكفرت؟[٥]، وكفرك بها تكذيبك بها"[٦]. فقال لهم المسيح ـ عليه السلام ـ : (إن لي كلاما كثيرا أريد أن أقوله ، ولكنكم لا تستطيعون حمله) ، وهو الصادق المصدوق في هذا ، لهذا ليس في الانجيل من صفات الله ، وصفات ملكوته ومن صفات اليوم الآخر الا أمور مجملة ، وكذلك التوراة . ليس فيها من ذكر اليوم الآخر الا أمور مجملة ، مع أن موسى كان قد مَهَّد الأمر للمسيح ، ومع هذا فقد قال لهم المسيح : (ان لي كلاما كثيرا أريد أن أقوله ، ولكنكم لا تستطيعون حمله) ، ثم قال : (ولكن اذا جاء روح الحق ، ذلك الذي يرشدكم الى جميع الحق) وقال : (انه يخبركم بكل ما يأتي ، ويعرفكم بجميع ما للرب) .

فدل هذا على أن هذا الفار قليط ، هو الذي يفعل هذا دون المسيح . وكذلك كان محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أرشد الناس الى جميع الحق ، حتى أكمل الله له الدين ، وأتم به النعمة ، ولهذا كان خاتم الأنبياء ، فانه

---

(١) في ك و ط (حديثا).

(٢) في ك و ط (تبلغه).

(٣) رواه مسلم بمثله ، المقدمة ، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع ، ١ : ١١ (٥) ، كما أخرجه في كتاب جامع بيان العلم وفضله : ١٣٤ ، يوسف بن عبد البر النمري القرطبي ـ ٤٦٣ هـ ، ط ١ ، ادارة الطباعة المنيرية ، مصر .

(٤) سورة الطلاق : ١٢ .

(٥) في أ زيادة : (أي لو أخبرتك بتفسيرها لكفرت) ويظهر أنها تصرف من الناسخ.

(٦) هذه مجموع روايتين أخرجهما ابن جرير في جامع البيان ٢٨ : ١٥٣ .

لم يبق شيء يأتي به غيره ، وأخبر محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بكل ما يأتي من أشراط [١] الساعة ، والقيامة ، والحساب [٢]، والصراط [٣] ، ووزن الأعمال ، والجنة وأنواع نعيمها ، والنار وأنواع عذابها ، [٤] ولهذا كان في القرآن من تفصيل أمر الآخرة وذكر الجنة والنار ، وما يأتي من ذلك أمور كثيرة ، لا [٥] توجد لا في التوراة ولا في الانجيل ، وذلك تصديق قول المسيح : (إنه يخبر بكل ما يأتي).

---

(١) أشراط : علامات ، مفرده : شَرَط ، من باب ضرب . أنظر ترتيب ٢ : ٦٩٧ .

(٢) الحساب : كناية عن المجازاة على الأعمال ، اذ كانت ناشئة عنه .وقيل: كناية عن العلم ، وقيل : عن القبول ، وقيل : عن القدرة والوفاء. أنظر البحر المحيط ٢ : ١٠٧ .

(٣) الصراط ـ في اللغة ـ : الطريق الواضح ، وفي الشرع : جسر ممدود على متن جهنم ، يرده الأولون والآخرون ، فهو قنطرة بين الجنة والنار، وخلق من حين خلقت جهنم . وهل هناك صراطان أو صراط واحد ؟ رجح السيوطي أنه صراط واحد ، والقنطرة:هي طرف الصراط مما يلي الجنة ـ نسأله ـ تعالى ـ دخولها. أنظر لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية ، لشرح الدرة المضية ، في عقد الفرقة المرضية ٢ : ١٨٩ ـ ١٩٠ لمحمد بن أحمد السفاريني ـ ١١٨٨ هـ ، ط ٢ ، مؤسسة الخافقين ، دمشق ، ١٤٠٢ هـ .

(٤) في ك و ط (فلهذا) بالفاء .

(٥) هكذا في ك و ط بالتاء ، وأما في أ فبالياء والأول أولى .

ومحمد بعثه الله بين يدي الساعة ، كما قال : (بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بأصابعه [١] ، السبابة والوسطى) [٢]. وكان اذا ذكر الساعة ، علا صوته ، وأحمر وجهه ، واشتد غضبه ، كأنه منذر جيش [٢]. وقال : (اني نذير لكم بين يدي عذاب شديد) [٣].

---

(١) في ط ـ فقط ـ (بأصبعيه).

(٢) رواه البخاري ، كتاب الرقاق ، باب قول النبي ... ، ١١ : ٣٤٧ . (٦٥٠٣ ـ ٦٥٠٥) بنحوه ، من فتح الباري ، ورواه مسلم ، كتاب الفتن ... ، باب قرب الساعة ، ٤ : ٢٢٦٨ ـ ٢٢٦٩ (٢٩٥٠ ـ ٢٩٥١) بنحوه . والترمذي ، كتاب الفتن ، باب ما جاء في قول النبي ... ، ٤ : ٤٩٦ (٢٢١٣ ـ ٢٢١٤) بنحوه ، وابن ماجه ، باب أشراط الساعة ، ٢ : ٣٨٩ (٤٠٨٩) بنحوه .

(٢) رواه النسائي ، كتاب صلاة العيدين ، باب كيف الخطبة ، ٣ : ١٨٨ـ١٨٩ ، بنحوه ، وأصله عند مسلم ، كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة ، ٢ : ٥٩٢ (٨٦٧) بلفظ : (كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ اذا خطب احمرت عيناه ، وعلا صوته ، واشتد غضبه ..).

(٣) بعد هذا في أ جملة (وقال انما مثلي ومثلكم) وفوقها اشارة الى سقط ، ولكن لا يوجد تتمة في الهامش .

(٣) سورة سبأ : ٤٦ .

(٣) الحديث أخرجه البخاري ، كتاب التفسير ، سورة الشعراء ، باب (وأنذر عشيرتك الأقربين) ، ٨ : ٥٠١ (٤٧٧٠) من فتح الباري ، رواه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب في قوله ـ تعالى ـ : (وأنذر عشيرتك الأقربين) ، ١ : ١٩٣ (٢٠٨) .

وقال : (أنا النذير العُرْيان) [١].

فاخبر من الأمور التي تأتي في المستقبل بما لم يأت [٢] به نبي من الأنبياء ، كما نعته به المسيح حيث قال : (إنه يخبركم بكل ما يأتي) ولا يوجد مثل هذا قط عن أحد من الأنبياء قبل محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ [٣]، فضلا عن أن يوجد [٤] شيء نزل [٥] على قلب بعض

---

(١) رواه البخاري بمثله ، كتاب الرقاق ، باب الأنتهاء عن المعاصي ، ١١ : ٣١٦ ، (٦٣٨٢) من فتح الباري ، ومسلم ، كتاب الفضائل ، باب شفقته ـ صلى الله عليه وسلم ـ على أمته ... ، ٤ : ١٧٨٨ (٢٢٨٣).

(١) النذير العريان : رجل من خثعم حمل عليه رجل يوم ذي الخلصة فقطع يده ويد إمرأته ، فانصرف الى قومه فحذرهم ، فضرب به المثل في تحقيق الخبر ، وقيل : بل الأصل فيه : أن رجلا لقي جيشا فسلبوه وأسروه ، فانفلت الى قومه فقال : اني رأيت الجيش فسلبوني ، فرأوه عريانا فتحققوا صدقه ، لأنهم كانوا يعرفونه ، ولا يتهمونه في النصيحة ، ولا جرت عادته بالتعري ، فقطعوا بصدقه لهذه القرائن ، فضرب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لنفسه ولما جاء به ـ مثلا بذلك ، لما أبداه من الخوارق والمعجزات ، الدالة على القطع بصدقه ، تقريبا لأفهام المخاطبين مما يألفونه ويعرفونه. فتح الباري ١١ : ٣١٦ ـ ٣١٧ .

(٢) في ك و ط (يخبر).

(٣) ليس في أ ولا ك الجملة الدعائية.

(٤) في أ و ك زيادة (عن) ويبدو أنها ليست في محلها.

(٥) في ك و ط (ينزل).

الحواريين [١]. و ـ أيضا ـ فقال : (ويعرفكم جميع ما للرب) فبين أنه يعرف الناس جميع ما لله . وذلك يتناول ما لله من الأسماء والصفات ، وما له من الحقوق ، وما يجب من الإيمان به ، وبملائكته ، وكتبه ، ورسله ، بحيث يكون ما يأتي به جامعا لكل ما يستحقه الرب .

وهذا لم يأت به أحد غير محمد ، حيث يتضمن ما جاء به من الكتاب والحكمة ، هذا كله. ومعلوم أن ما نزل على الحواريين ، لم يكن فيه هذا كله ولا نصفه ولا ثلثه ، بل ما جاء به المسيح أعظم مما جاء به الحواريون ، وهذا الفار قليط الثاني جاء بأعظم مما جاء به المسيح.

و ـ أيضا ـ ، [٢] فالمسيح قال : (اذا جاء الفار قليط الذي أرسله أبي ، هو يشهد لي ، قلت لكم هذا ، حتى اذا كان تؤمنوا به ولا تشكوا فيه) [٣]. فبين أنه أخبرهم [٤] به ليؤمنوا [٥] به اذا جاء ولا يشكوا [٦] فيه ، وأنه يشهد له ، وهذه صفة من بشر به المسيح .

---

(١) يقول د . القس لبيب مشرقي :" ان الذي أضفى صفة القانونية على أسفار العهد القديم هم كتّاب الأسفار أنفسهم ، وقد شعروا وهم يكتبون بدافع من الروح القدس أنهم يكتبون قوانين الحياة للشعب ، ثم أظهرت محتويات ما كتبوه صحة رأيهم وصوابه ، فقد كان ما كتبوه قانونا الهيا حقا. وهناك رأي آخر يقول : ان الذي أعطى صفة القانونية لهذه الأسفار هم الكتاب المقودون بالروح القدس ، ومعهم قادة الدين من اليهود والمسيحيين ، الذين قبلوا هذه الأسفار بإرشاد الروح القدس ـ أيضا ـ ، وقد ذكر الكاتب المذكور ما يشابه ذلك بالنسبة للعهد الجديد. قاموس الكتاب المقدس (عندهم) : ٤٦٧ ـ ٤٦٨ . هذا قصارى ما لدى أهل الكتاب من قيمة علمية لكتابهم : ظنون ومشاعر وآراء بشرية.

(٢) في ك و ط زيادة (ان) .

(٣) سبق عزو هذا النص : ٣٦٦ .

(٤) في ك و ط (أخبركم) .

(٥) في ك و ط (لتؤمنوا) .

(٦) في ك و ط (تشكوا) .

ويشهد للمسيح كما قال ـ تعالى ـ ﴿ واذ قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي أسمه أحمد ... ﴾ (١).

وأخبر أنه يوبخ العالم على الخطيئة ، ولم يوجد أحد وبخ جميع العالم على الخطيئة الا محمد ـ (٢) صلى الله عليه وسلم ـ ، فانه أنذر جميع العالم (٣)، من أصناف الناس ، ووبخهم على الخطيئة : من الكفر والفسوق والعصيان ، وبخ (٤) جميع المشركين من العرب والهند والترك وغيرهم ، ووبخ المجوس ، وكانت مملكتهم أعظم الممالك ، ووبخ أهل الكتابين : اليهود والنصارى ، وقال في الحديث الصحيح عنه : "إن الله نظر الى أهل الأرض ، فمقتهم ، عربهم وعجمهم ، الا بقايا (٥) من أهل الكتاب " (٦). لم يقتصر على مجرد الأمر والنهي ، بل وبخهم وقَرَّعهم (٧) وتهددهم.

---

(١) سورة الصف : ٦ .

(٢) في ط (محمدا) بالنصب ، وهو عربي جيد ، والأرجح عند البصريين والكوفيين الإتباع ، إما على البدل أو عطف النسق. أوضح المسالك الى ألفية ابن مالك : ٣٠٨ ـ ٣٠٩ .

(٣) في ك و ط (العالمين).

(٤) في ك و ط (ووبخ).

(٥) مقتهم : من المقت ، وهو أشد البغض ، والمراد بهذا المقت والنظر : ما قبل بعثة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمراد ببقايا أهل الكتاب : الباقون على التمسك بدينهم الحق من غير تبديل . شرح النووي لصحيح مسلم ١٧ : ١٩٧ ـ ١٩٨ م ٩ .

(٦) رواه مسلم ، كتاب الجنة ... ، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار ، ٤ : ٢١٩٧ (٢٨٦٥). وأخرجه الأمام أحمد في مسنده ٤ : ١٦٢ .

(٧) من التقريع : وهو التعنيف . مختار : ٥٣١ .

و ـ أيضا ـ فانه أخبر أنه ليس ينطق من عنده ، بل يتكلم بكل ما يسمع . وهذا اخبار بأن كل ما يتكلم به فهو وحي يسمعه ، ليس هو شيئا تعلمه من الناس ، أو عرفه باستنباطه ، وهذه خاصة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فأن المسيح ومن قبله من الأنبياء ، كانوا يتعلمون من غيرهم ، مع ما كان يوحى اليهم فعندهم علم غير ما يسمعونه من الوحي.

ومحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم ينطق الا بما يسمعه من الوحي ، فهو مبلغ لما ارسل به ، وقد قيل له : ﴿ ... بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس .. ﴾ [1] فضمن الله له العصمة اذا بلغ رسالاته ، فلهذا أرشد الناس الى جميع الحق ، وألقى الى الناس ما لم يمكن غيره من الأنبياء القاءه ، خوفا أن يقتلوه ، كما يذكرون عن المسيح وغيره .

وقد أخبر المسيح بأنه لم يذكر لهم جميع ما عنده ، وأنهم لا يطيقون حمله . وهم معترفون بأنه كان يخاف منهم ، اذا أخبرهم بحقائق الأمور . ومحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أيده الله تأييدا لم يؤيده لغيره ، فعصمه من الناس ، حتى لم يخف من شيء يقوله ، وأعطاه من البيان والعلم ، ما لم يؤته غيره ، فالكتاب الذي بعث به فيه من بيان حقائق الغيب ، ما ليس في كتاب غيره .

وأيد أمته تأييدا أطاقت [2] به حمل ما ألقاه إليهم ، فلم يكونوا كأهل التوراة الذين حُمِّلوا التوراة ، ثم لم يحملوها ، ولا كأهل الأنجيل الذين قال لهم المسيح : (ان لي كلاما كثيرا أريد أن أقوله لكم ، ولكن لا تستطيعون حمله) [3]. ولا ريب أن أمة محمد أكمل عقولا ،

---

(١) سورة المائدة : ٦٧ .

(١) أي يمنعك من أن ينالوك بسوء . وهذا وعد من الله بالحفظ والكلاءة . صفوة التفاسير ٦ : ٣٥٥ .

(٢) أي قدرت عليه . المصباح : ٣٨١ .

(٣) في ك و ط زيادة : (وروي أن المسيح قال « جئتكم بالأمثال وهو يجيئكم بالتأويل) .

وأعظم إيمانا ، وأتم تصديقا وجهادا. ولهذا كانت علومهم وأعمالهم القلبية وإيمانهم أعظم.

وكانت العبادات البدنية لغيرهم أعظم ، قال ـ تعالى ـ ﴿ آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا : سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ﴾ ﴿ لا يكلف الله نفسا إلاّ وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرًا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ﴾ (١).

وقد ثبت في الصحيح عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ان الله قال: "قد فعلت"(٢).

و أيضا فانه أخبر عن الغار قليط أنه يشهد له ، وأنه يعلمهم كل شيء ، وأنه يذكرهم كل ما قال المسيح ، ومعلوم أن هذا لا يكون الا اذا شهد له شهادة يسمعها الناس ، لا يكون هذا شيئا في قلب طائفة قليلة. ولم يشهد أحد للمسيح شهادة سمعها عامة الناس الا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فانه أظهر أمر المسيح وشهد له بالحق ، حتى سمع شهادته له عامة أهل الأرض ، وعلموا أنه صدق المسيح ونزهه عما افترته (٣) عليه اليهود ،وعما غلت (٤) فيه النصارى ، فهو الذي شهد له بالحق . ولهذا لما سمع النجاشي من الصحابة ما شهد به محمد للمسيح قال لهم : " ما زاد عيسى على ما قلتم هذا العود " .

---

(١) سورة البقرة : ٢٨٥ ـ ٢٨٦ .

(٢) رواه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان أن الله ـ سبحانه ـ لم يكلف الا ما يطاق ، ١ : ١١٦ (١٢٦) .

(٣) أي اختلفت عليه من الكذب . أنظر ترتيب القاموس ٣ : ٤٨٦ .

(٤) من غلا في الأمر غلوا : اذا جاوز حده . المصدر السابق ٣ : ٤١٤ .

وجعل الله أمة محمد شهداء على الناس ، يشهدون [١] عليهم بما علموه من الحق ، اذ كانوا وسطا [٢] عدلا [٣]، لا يشهدون بباطل ، فان الشاهد لا يكون الا عدلا [٤] بخلاف من جار في شهادته ، فزاد على الحق أو نقص منه ، كشهادة اليهود والنصارى في المسيح.

و ـ أيضا ـ فان معنى الفار قليط ، ان كان هو الحامد أو الحمّاد أو الحمد أو المعز ، فهذا الوصف ظاهر في محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فإنه وأمته ، الحامدون ، الذين يحمدون الله على كل حال ، وهو صاحب لواء الحمد ، والحمد مفتاح [٥] خطبته ، ومفتاح صلاته. ولما كان حمادا جوزي بوصفه ، فان الجزاء من جنس العمل ، فكان اسمه محمدا وأحمدا [٦]. وأما محمد فهو على وزن مكرم ومُعَظَّم ومقدس [٧] ، وهو الذي يحمد حمدا كثيرا مبالغا فيه [٨] ، ويستحق ذلك ، فلما كان حمادا

---

(١) في أ و ك (يشهدوا) والصواب ما أثبتناه من ط .

(٢) فسرت (وسطا) بعدة تفاسير ، فقيل : عدولا ، وقد تظاهرت به عبارة المفسرين ، قال أبو حيان : " وقد روى ذلك عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ... واذا صح ذلك عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وجب المصير في تفسير الوسط اليه " وأقول : نعم قد ثبت ذلك عند البخاري مرفوعا كما رواه في كتاب الأعتصام ، باب : " وكذلك جعلناكم أمة وسطا " ... ، ١٣ : ٣١٦ ، من فتح الباري ، قال الحافظ ابن حجر :"هو مرفوع من نفس الخبر ، وليس بمدرج من بعض الرواة كما وَهَم فيه بعضهم ." فتح الباري ٨ : ١٧٢ . وانظر البحر المحيط ١ : ٤٢١.

(٣) العدل : ما قام في النفوس أنه مستقيم. ترتيب القاموس ٣ : ١٧١ .

(٤) هكذا في ك و ط وقد سقطت جملة (الا عدلا) من أ حيث أثبتناها من ك وط.

(٥) مفتاح الشيء وفاتحته : أوله . ترتيب ٣ : ٤٤٣ .

(٦) ليس في أ كلمة (أحمد) وقد أثبتناهامن ك و ط ، حيث أن سياق الكلام ناقص بدونها.

(٧) سقطت كلمة (مقدس) من ك و ط .

(٨) في أ جاء اسم الجلالة المعظم بدل كلمة (فيه).

لـه [١] ، كان محمـدا ، وفي شـعر حسـان بن ثابت :

وشـق له من اسـمه ليجلـه فذو العرش محمود وهـذا محمد [٢]

وأما أحمـد ، فهـو أفعل التفضيل : أي [٣] هـو أحمـد من غيـره ، أي أحـق بـأن يكـون محمـودا أكثـر من غيـره ، يقـال هـذا أحمـد من هـذا ، أي هـذا أحـق بـأن يحمـد من هـذا ، فيكـون فيـه تفضيل لـه على غيـره فـي كونـه محمـودا [٤]. فلفـظ (محمـد) يقتضي فضلـه في الكـمية ، ولفظ (أحمد) يقتضي [٥] فضلـه في الكيفيـة. ومن النـاس من يقول : أحمـد ، أي أكثر حمـدا من غيـره. فعلى هـذا يكون بمعنى الحامـد والحمـاد.

وقـال من رجـح ، أن معنى الفـار قليـط في لغتهم هـو الحمـد ـ كما تقدم ـ : فـاذا [٦] كان كذلك فهـو مـا جـاء في القرآن : ﴿ ... ومبشـرا برسـول يـأتي من بعـدي اسـمه أحمـد ... ﴾ [٧] قالوا : ولا شـك عندهم أنـه اسـم مشـتق من الحمـد ، مثل مـا نقول في لغتنـا : ضـارب ومضـروب . وأمـا من فسـره بالمعـز ، فلم يعرف ـ قط ـ نبي أعـز أهل التوحيـد للـه والإيمـان كما أعزهـم محمـد ، فهـو أحـق بـاسـم المعـز من كل إنسـان .

---

(١) في ك و ط (فلما كان أحمـد).

(٢) شـق لـه : من الشـق وهـو نصف الشـيء ، أو الناحية من الشـيء . ليجلـه : أي ليعظمه ، من الجلال . أنظر مختـار الصحاح : ٣٤٣ و ١٠٧ .

(٢) البيت من ثـاني الطويـل ، مطلق مجرد موصول ، والقـافية متـدارك ، والقصيدة لحسان يمدح النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أولهـا :

أغـر عليه للنبـوة خـاتم من الله مشـهود يلوح ويشـهد

والبيت المذكور ليس لحسان ، وانما هو لأبي طالب ، وقد ضمنه حسان شعره . شـرح ديوان حسـان بن ثـابت الأنصاري : ٧٨ ، وضعه وضبطه عبد الرحمـن البرقوقي ، المكتبة التجارية بمصر ، ١٣٤٧ هـ ـ ١٩٢٩ م . والسيرة النبوية لابن كثير ، ١ : ٢١١ .

(٣) سـقطت (أي) من أ و ط . (٤) في ك و ط (محمدا).

(٥) في أ بيـاض بمقدار كلمة ، وظاهـرٌ أن مـا أثبتنـاه من ك و ط هو المقصود.

(٦) في ك و ط (واذا) وقد كانت العبـارة مسـتغلقة تمامـا.

(٧) سـورة الصـف : ٦ .

وأما معنى المخلِّص . فهو أيضا ظاهر فيه ، فان المسيح هو المخلص الأول ، كما ذُكِر في الإنجيل ، وهو معروف عند النصارى أن المسيح ـ صلوات الله عليه ـ [١] سمي مخلِّصا ، فيكون المسيح هو الفار قليط الأول ، وقد بشر بفار قليط آخر ، فانه قال : " وأنا أطلب من الأب أن يعطيكم فار قليطا آخرا ، يثبت معكم إلى الأبد [٢] " فهذه [٣] بشارة بمخلص ثان يثبت معهم الى الأبد ، والمسيح هو المخلص الأول . وأما ما ينزل في القلوب ، فلم يسمه أحد مخلصا ، ولا فار قليطا ، فلا [٤] يجوز أن يفسر كلام المسيح الا بلغته ومعانيه المعروفة [٥] ، التي خاطب بها ، وكذلك سائر الأنبياء ، بل [٦] وسائر الناطقين .

وقد وصف هذا المخلِّص الثاني بأنه يثبت معهم الى الأبد. ومحمد هو المخلص الذي جاء بشرع باق الى الأبد ، لا ينسخ. و ـ أيضا ـ فان في الإنجيل . إنجيل يوحنا ، أن المسيح قال : "[٧] أركون العالم سيأتي ، وليس لي شيء " [٨].

---

(١) في ك و ط زيادة : (قد).

(٢) سبق عزو هذا النص ص : ٣٧١ .

(٣) في ك (فهذ) هكذا ، وفي ط (فهذا).

(٤) في ك و ط (ولا).

(٥) في ك و ط زيادة : (في لغته).

(٦) (بل) زيادة من ك و ط ، واثباتها جيد.

(٧) في ك و ط زيادة (إن).

(٨) ونصه في الترجمة الحالية : " لا أتكلم معكم كثيرا ، لأن رئيس هذا العالم يأتي ، وليس له في شيء " انجيل يوحنا ، الأصحاح الرابع عشر ٣٠ ، العهد الجديد : ١٤٣ .

وقد ذكروا أن الأركون بلغتهم العظيم [١] القدر ، والأراكنة ، العظماء ، وقد كانوا يقولون عن المسيح : (ان أركون الشياطين يعينه) أي عظيم الشياطين . وهو من افتراء اليهود على المسيح. فقول المسيح - عليه السلام - : " أركون العالم " انما ينطبق على عظيم العالم ، وسيد العالم ، وكبير العالم. وقد أخبر أنه سيأتي ، فامتنع أن يكون هذا الأركون المسيح أو أحدا مثله . ولم يأت بعد المسيح من ساد العالم وأطاعه العالم ، غير محمد - صلى الله عليه وسلم - وهذا من بشارة المسيح به .

وقد سئل - صلى الله عليه وسلم - : ما كان أول أمرك ؟ قال : " دعوة أبي ابراهيم ، وبشرى عيسى ، ورؤيا أمي ، رأت حين ولدتني أنه خرج منها نور ، أضاءت له قصور الشام " [٢].

وبالجملة ، فمعلوم باتفاق أهل الأرض [٣]، أنه لم يأت بعد المسيح من ساد العالم ، باطنا وظاهرا ، وانقادت له القلوب والأجساد ، وأطيع في السر والعلانية في محياه وبعد مماته ، في جميع الأعصار ، وأفضل الأقاليم شرقا وغربا [٤]، غير محمد ، فان الملوك يطاعون ظاهرا لا باطنا ، ولا يطاعون بعد موتهم ، ولا يطيعهم أهل الدين طاعة يرجون بها ثواب الله في الدار الآخرة ، ويخافون عقاب الله في الدار الآخرة ، بخلاف الأنبياء.

---

(١) في ط (عظيم).

(٢) في ك و ط زيادة : (ببصرى).

(٣) مسند الأمام أحمد ٥ : ٢٦٢ ، وأورده الهيثمي وقال :"رواه أحمد باسانيد ، والبزار والطبراني بنحوه ... وأحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح ، غير سعيد بن سويد وقد وثقه ابن حبان ." مجمع الزوائد ٨ : ٢٢٣ . وأخرجه ابن إسحاق،كما في السيرة لابن هشام ١ : ١٧٥ .

(٣) في ك و ط زيادة : (والاضطرار).

(٤) في ك و ط زيادة : (أحد).

ومحمد (١) أظهر دين الرسل قبله ، وصدقهم ، ونوه بذكرهم وتعظيمهم ، فبه آمن بالأنبياء والرسل ، قبل (٢) موسى والمسيح وغيرهما أمم عظيمة ، لولا محمد لم يؤمنوا بهم. ومن كان يعرف هؤلاء من أهل الكتاب ، كانوا مختلفين فيهم (٣) كاختلاف أهل الكتاب في المسيح ، وكانوا يقدحون في داود وسليمان وغيرهما ، بما هو معروف عندهم. وأيضا-فانه ذكر لهم من الرسل ما لم يكونوا يعرفونه ، مثل هود وصالح وشعيب وغيرهم.

ومحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ صدق المسيح في أخباره ، بانه أركون العالم ، فقال : " أنا سيد ولد آدم ولا فخر . آدم فمن دونه تحت لوائي ، أنا خطيب الأنبياء اذا وفدوا ، وامام الأنبياء اذا اجتمعوا "(٤).

وهو صاحب لواء الحمد ، وهو صاحب المقام المحمود ، الذي يغبطه به الأولون والآخرون يوم القيامة ، فهو سيد العالمين حقا ، وهذا مطابق لقول المسيح : " انه أركون العالم " فهو أركون الآخرين في الدنيا والآخرة ، وهو أركون الأولين والآخرين في الآخرة.

---

(١) سقطت واو العطف في ط .

(٢) في ك و ط (مثل).

(٣) في ك و ط (فيه).

(٤) أورد الشيخ هذا الحديث بالمعنى ، وهو من عدة روايات ، في سنن الترمذي ، كتاب المناقب ، باب في فضل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ٥ : ٥٨٥ ـ ٥٨٨ . الحديث رقم (٣٦١٠) وقال :" هذا حديث حسن غريب ." ورقم (٣٦١٣). وقال :" هذا حديث حسن". ورقم (٣٦١٥) وقال :" هذا حديث حسن صحيح". ورقم (٣٦١٦) وقال :" هذا حديث غريب".

وقول المسيح : " ان أركون العالم سيأتي ، وليس لي شيء " تضمن الأصلين : اثبات الرسول ، واثبات التوحيد ، وأن الأمر كله لله ، وهو تحقيق شهادة : أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله. وقول المسيح : " ليس لي شيء " تنزيه له مما نسب اليه من الربوبية [١]، وهذا النفي يشترك فيه جميع الخلق ، قال الله - تعالى - لمحمد - صلى الله عليه وسلم - : ﴿ ليس لك من الأمر شيء ... ﴾ [٢] وقال - تعالى - : ﴿ قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم اني ملك ان أتبع الا ما يوحى الي ... ﴾ [٣] وقال : ﴿ قل اني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا * قل اني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا (أي ملجأ وملاذا [٤]) الا بلاغا من الله ورسالاته ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها أبدا ﴾ [٥] وقال - تعالى - : ﴿ قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ﴾ [٦].

---

(١) الربوبية : نسبة الى الرب - على غير قياس في اللغة - والمقصود: هو اشراك المسيح في بعض صفات الرب - سبحانه - من قبل النصارى. أنظر ترتيب القاموس ٢ : ٢٨٢ .

(٢) سورة آل عمران : ١٢٨ .

(٣) سورة الأنعام : ٥٠ .

(٤) أنظر البحر المحيط ٨ : ٣٥٣ .

(٥) سورة الجن : ٢١ - ٢٣ .

(٦) سورة الأعراف : ١٨٨ .

و ـ أيضا ـ ففي نبوة أشعياء أنه وصف محمدا بأنه أركون السِّلم [١]، والسِّلم [٢] والسلام : الاسلام [٣]، فهو يبين أنه سيد دين الاسلام. ولا ريب أن الأنبياء كلهم بعثوا بدين الاسلام ، لكن لم يظهر هذا الدين واسمه ، وانتشر ذكر [٤] دين الاسلام في الأرض ، كما ظهر لمحمد ، فمحمد أركون الاسلام الذي يجمع كل خير وبر ، كما أن ابليس أركون الشر ، قال ـ تعالى ـ : عن نوح : ﴿ يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا الي ولا تنظرون * فان توليتم فما سألتكم من أجر ان أجري الا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين ﴾ [٥]. فهذا نوح : أول رسول بعثه الله الى أهل الأرض ، يَذْكُر أنه أُمر أن يكون من المسلمين .

---

(١) وهو في الترجمة الحالية كما يلي : " أيها العطاش جميعا ، هلموا الى المياه ، والذي ليس له فضة ، تعالوا اشتروا وكلوا هلموا اشتروا بلا فضة وبلا ثمن خمرا ولبنا ، لماذا تَزِنون فضة لغير خبز ، وتعبكم لغير شبع ، استمعوا الي استماعا ، وكلوا الطيب ، ولتتلذذ بالدسم أنفسكم ، أميلوا آذانكم ، وهلموا الي ، اسمعوا فتحيا أنفسكم ، أقطع لكم عهدا أبديا ، مراحم داود الصادقة ، هو ذا قد جعلته شارعا للشعوب ، رئيسا وموصيا للشعوب " سفر أشعياء ، الإصحاح الخامس والخمسون : ١ ـ ٥ ، العهد القديم : ٨٣٦ .

(٢) في ك بدون واو .

(٣) في أ سقطت كلمة (الاسلام) ، وهي ضرورية لاستقامة المعنى ، وفي ك بعطف (الاسلام) وهو خلل أيضا ، ولذلك أثبتنا ما في ط .

(٤) في ك و ط (ذكره من بينهم).

(٥) سورة يونس : ٧١ ـ ٧٢ .

(٥) أجمعوا أمركم وشركاءكم : أي فاعزموا أمركم وادعوا شركاءكم ، ودبروا ما تريدون لمكيدتي . غمة : مستورا. اقضوا الي : أنفذوا ما تريدونه في أمري . تنظروني : تؤخرون . أنظر صفوة التفاسير ١١ : ٥٩٢ م ١ .

وقالت السحرة ـ لما أسلموا ـ وأراد فرعون قتلهم ـ : ﴿ ... ربنا أفرغ علينا صبرا [١] وتوفنا مسلمين ﴾ [٢]، وقال : ﴿ أنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا ... ﴾ [٣]، وقال : ﴿ واذ أوحيت الى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا وأشهد بأننا مسلمون ﴾ [٤].

فان قيل : فقد سمى المسيح الغار قليط روح الحق ، وسماه روح القدس . وقال ـ تعالى ـ عن أبراهيم : ﴿ ومن يرغب عن ملة أبراهيم الا من سفه نفسه [٥] ولقد أصطفيناه في الدنيا [٥] وانه في الآخرة لمن الصالحين ﴿ اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ﴿ ووصى بها أبراهيم بنيه ويعقوب يابني ان الله أصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون ﴾ [٥]، ﴿ وقال موسى لقومه يا قوم أن كنتم آمنتم بالله فعليه

---

(١) أي : أفض علينا صبرا يغمرنا . صفوة التفاسير ٩ : ٤٦٥ م ١ .

(٢) سورة الأعراف : ١٢٦ .

(٣) سورة المائدة : ٤٤ .

(٤) سورة المائدة : ١١١ .

(٤) في ك و ط زيادة قوله ـ تعالى ـ ﴿ فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري الى الله ، قال الحواريون نحن أنصار الله ، آمنا بالله وأشهد بأنا مسلمون ، ربنا آمنا بما أنزلت وأتبعنا الرسول ، فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ سورة آل عمران : ٥٢ ـ ٥٣ .

(٥) سفه نفسه : أي أستخف نفسه وأمتهنها ، أصطفيناه في الدنيا : أي أخترناه من بين سائر الخلق بالرسالة والنبوة والأمامة . صفوة التفاسير ١ : ٩٦ م ١ .

(٥) سورة البقرة : ١٣٠ ـ ١٣٢ .

توكلوا ان كنتم مسلمين ﴾ [١] وقالت بلقيس [٢]: ﴿ رب اني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ﴾ [٣].

[٤]

قيل : قد قال يوحنا في كتاب ، أخبار الحواريين المسمى (افراكيس) : " يا أحبابي ، اياكم أن تؤمنوا بكل روح ، لكن ميزوا الأرواح التي من عند الله من غيرها ، واعلموا أن كل روح تؤمن [٥] بأن يسوع المسيح قد جاء ، فكان جسدانيا [٦] فهي من عند الله ، وكل روح لا تؤمن بأن المسيح [٧] جاء ، وكان [٨] جسدانيا ، فليست من عند الله ، بل من المسيح الكذاب

---

(١) سورة يونس : ٨٤ .

(٢) هي بنت السيرح وهو الهدهاد ـ وقيل شراحيل ـ بن ذي جدن بن السيرح بن الحرث بن قيس بن صيفي بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، كان أبوها من أكابر الملوك . ويقال إنه تزوج بامرأة من الجن اسمها ريحانة بنت السكن ، واسمها تلقمة ، ويقال لها: بلقيس ، وردت قصتها مع سليمان ـ عليه السلام ـ في سورة النمل . قيل : ان سليمان تزوجها،وقيل : بل زوجها بملك همدان ، وقيل إن بلقيس ماتت قبل سليمان ، وأنه دفنها بتدمر وأخفى قبر ها . البداية والنهاية ٢ : ٢١ ـ ٢٤ . والكامل ١ : ١٣٣ .

(٣) سورة النمل : ٤٤ .

(٤) في ك و ط (يومين).

(٤) سألت د. صابر طعيمة عن هذا الأسم ، فأفادني : أنه ربما كان مأخوذا من كلمة (فريز) الآرامية ، والتي تعني : الصفاء والنقاء ، ومن ذلك سميت طائفة (الفريسيون) من النصارى بعد ما حورت الكلمة قليلا . مكالمة هاتفية يوم ١٤٠٦/٦/٢٥ هـ .

(٥) في ك و ط (يؤمن).

(٦) أنظر مادة (جسد) في قاموس الكتاب المقدس (عندهم) : ٢٦٠-٢٦١ .

(٧) في ك و ط زيادة : (قد).

(٨) في ط (فكان).

الـذي هـو الآن في العـالم " [١].

واذا كان كذلك علم أن الـروح ـ عندهم ـ يتنـاول النبي المرسـل ـ مـن البشـر ـ ، وجبريـل الذي نـزل بالوحي على محمـد ، هـو روح القدس ، وهـو روح الحـق كمـا قـال ـ تعالى ـ : ﴿ قل نَزَّلَـه روح القدس من ربـك بالحق ... ﴾ [٢]، وقـال : ﴿ نـزل بـه الـروح الأمين ﴾ على قلبك ... ﴿ [٣] وقـال : ﴿ ... مـن كـان عـدوا لجبريل فانـه نَزَّلَـه على قلبك باذن الله ... ﴿ [٤]، وهـذا الـروح انمـا جـاء بمجيء محمـد ، والكـلام الذي نـزل بـه ، هـو الذي بلَّغـه محمـد ، ولـهـذا قـال اللـه ـ تعالى ـ : ﴿ اللـه يصطفي من الملائكـة رسـلاً ومن الناس ... ﴿ [٥] فـاصطفى اللـه جبريـل من الملائكـة ، واصطـفى محمـدا من البشـر ، ولـهـذا يضـاف [٦] القول الذي هـو القرآن الى قـول [٧] هـذا تـارة [٨]، والى قـول [٧] هـذا تـارة ، كمـا قـال ـ تعالى ـ : ﴿ انـه لقول رسـول كريـم ﴾

---

(١) نص الترجمة الحالية : " أيهـا الأحبـاء : لاتصـدقوا كل روح . بل امتحنوا الأرواح ، هل هي من عند الله ؟ لأن أنبيـاء كذبـة كثيرين قد خرجـوا الى العالم ، بـهـذا تعرفون روح اللـه . كل روح يعترف بيسوع المسـيح أنـه قـد جـاء في الجسد فـهـو من اللـه ، وكل روح لا يعتـرف بيسـوع المسيح أنـه قـد جـاء في الجسد فليس من اللـه . وهـذا هـو روح ضـد المسيح ، الـذي سمعتم أنـه يـأتي، والآن هـو في العالم ". رسـالة يوحنا الأولى ، الأصحاح الرابع ، ١ ـ ٣ ، العهـد الجديد : ٣٢٨ .

(٢) سـورة النحـل : ١٠٢ .

(٣) سـورة الشـعراء : ١٩٣ ـ ١٩٤ .

(٤) سـورة البقـرة : ٩٧ .

(٥) سـورة الحـج : ٧٥ .

(٦) في ك و ط (يشـير).

(٧) في ك و ط (نزول) ، وفي أ كتب كلمة (نزول) ثم شـطبها وأبدلهـا بـ (قـول).

(٨) التـارة : الحيـن والمـرة . ترتيب ١ : ٣٨٥ .

ذي قوة عند ذي العرش مكين [١] * مطاع ثم أمين * [٢] فهذا الرسول هنا جبريل : وقال ـ تعالى ـ في [٣] الآية الأخرى : * انه لقول رسول كريم * وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون * ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون * تنزيل من رب العالمين * [٤] فهذا الرسول هنا محمد ، وأضافه الى كل منهما بلفظ الرسول : لتضمنه أنه بلغه عن مُرْسِله ، لم يقل :"انه لقول ملك ، ولا نبي"بل كفَّر من قال : إنه قول البشر ، كما ذكر [٥] ذلك عن الوحيد [٦] ، وقد قال ـ تعالى ـ في القرآن : * ... قد أنزل الله إليكم ذكرا * رسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور ... * [٧] ومعلوم أن الرسول نفسه لم يُنْزَل [٨] بل أبدل الرسول من الذكر لأن الرسول جاء بالذكر.

ولما كان الرسول الملكي والرسول البشري والذكر المنزل أمورا [٩] متلازمة ، يلزم من ثبوت واحد ، ثبوت الآخرين ، ومن الايمان بواحد الايمان بالآخرين ، فيلزم من كون القرآن حقا : كون جبريل ومحمد حقا ، وكذلك يلزم من كون محمد حقا : كون جبريل والقرآن حقا ، ويلزم من كون جبريل حقا : كون القرآن ومحمد حقا.

---

(١) أي عظيم المكانة شريف المنزلة. أنظر البحر المحيط ٨ : ٤٣٤ .

(٢) سورة التكوير : ٢٠ ـ ٢١ .

(٣) ليس في ك ولا ط (الآية).

(٤) سورة الحاقة : ٤٠ ـ ٤٣ .

(٥) الضمير المستتر هنا يعود الى الباري ـ عز وجل ـ .

(٦) الوحيد : هو المشار اليه في قوله ـ سبحانه ـ : * ذرني ومن خلقت وحيدا * سورة المدثر : ١١ . وهو الوليد بن المغيرة ، وذلك في دار الندوة لمشركي أهل مكة. أنظر جامع البيان للطبري ٢٩ : ١٥٦-١٥٨ .

(٧) سورة الطلاق : ١٠ ـ ١١ .

(٨) في ط (ينزله) بالهاء.

(٩) في أ (أمور) بغير النصب . والصحيح ما أثبتناه من ك و ط .

ولهذا جمع الله بين الايمان بالملائكة [١] * والكتب والرسل في مثل قوله * آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ... * [٢] فتعليم محمد وتذكيره وشهادته هو تعليم روح القدس وروحه ، والأخبار بأن المَلَك ينطق على لسان البشر ، أو الجني ينطق على لسان البشر : كثير ، كما في حديث ابن عمر " كنا نتحدث أن السكينة تنطق على لسان عمر " [٣] ، ويقال : ما ألقى هذا على لسانك الا الشيطان " ويكون مع هذا البشر ينطق بقدرته واختياره ،

---

(١) من هنا سقط من ك و ط بمقدار صفحتين أو أكثر .

(٢) سورة البقرة : ٢٨٥ .

(٣) رواه الامام أحمد في المسند ١ : ١٠٦ ، عن وهب السوائي قال : خطبنا علي ـ رضي الله عنه ـ فقال : مَنْ خير هذه الأمة بعد نبيها ؟ فقلت : أنت يا أمير المؤمنين ! قال : لا ، خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ـ رضي الله عنه ـ وما يبعد أن السكينة كانت تنطق على لسان عمر ـ رضي الله عنه ـ ، وقال الهيثمي في الزوائد ٩ : ٦٦-٦٧ وعن طارق بن شهاب قال : "كنا نتحدث أن السكينة تنزل على لسان عمر" ، رواه الطبراني ورجاله ثقات . وعن ابن عمر قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :" ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه " ، رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح ، غير عبد الله بن صالح ، كاتب الليث ، وقد وثق ، وفيه ضعف ، وأخرجه أحمد ـ أيضا ـ عن علي ـ رضي الله عنه ـ: " ما كنا نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر ". وذلك من طريقين ، أحدهما حسن ، والآخر صحيح . فضائل الصحابة : ٣٥٨ (٥٢٣ ـ ٥٢٤) لأحمد بن حنبل ـ ٢٤١ هـ ت : محمد عباس ، ط ١ ، مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .

ليس هو كالمصروع [١] الذي يتكلم الجني على لسانه وهو لا يدري ما يقول ، فلهذا يقال : هذا قول الرسول البشري ، وهو قول الرسول الملكي .

ويقال : الفار قليط روح الحق وروح القدس يشهد لي وهو يعلمكم ، وهو يذكركم ، ونحو ذلك ، فان الفار قليط يتضمن ذكر جبريل ومحمد جميعا ، وقول أحدهما هو قول الآخر ، ومعروف في اللغة بدل الاشتمال كقوله : ﴿ يسألونك عن الشهر الحرام [٢] قتال فيه، قل: قتال فيه ... ﴾ [٢]

والشهر : ليس هو نفس القتال ، لكن لما أشتمل على القتال أبدل أحدهما من الآخر ، وقوله : ﴿ ... قد أنزل الله اليكم ذكرا رسولا ..﴾[٣] ومن هذا النمط [٤] أبدل الرسول من الذكر لأشتماله عليه ، وهذا: الثاني أشتمل على الأول ، والرسول البشري كان الرسول الملكي يتصل به في الباطن ، فيثقل عليه الوحي حين ينزله .

---

(١) الصَّرع : صرعان : صرع من الأرواح الخبيثة الأرضية . وصرع من الأخلاط الرديئة . والثاني هو الذي يتكلم فيه الأطباء في سببه وعلاجه . وأما صرع الأرواح : فأئمتهم وعقلاؤهم يعترفون به ولا يدفعونه ، ويعترفون بان علاجه بمقابلة الأرواح الشريفة الخيرة العلوية لتلك الأرواح الشريرة الخبيثة ، فتدافع آثارها وتعارض أفعالها وتبطلها ، وقد نص على ذلك "بقراط " في بعض كتبه . زاد العاد في هدي خير العباد ٣ : ٨٤ لمحمد بن ابي بكر بن قيم الجوزية - ٧٥١ هـ ط ١ المطبعة المصرية بمصر ١٣٤٧ هـ - ١٩٢٨ م .

(٢) سورة البقرة : ٢١٧ .

(٣) الألف واللام في كلمة (الشهر) للعهد ، وهو شهر رجب - اتفاقا - ويحتمل أن تكون للجنس فيراد به الأشهر الحرام : وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب . وسميت حرما لتحريم القتال فيها . أنظر البحر المحيط ٢ : ١٤٥ .

(٣) سورة الطلاق : ١١ .

(٤) النمط : يطلق أصطلاحا على الصنف والنوع . المصباح : ٦٢٦ .

وفي الصحيحين عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن الحارث بن هشام [١] قال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ قال : " أحيانا يأتيني في مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي ، فيفصم عني وقد وَعَيْت [٢] ما قال ، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني ، فأعي ما يقول ، قالت عائشة : ولقد رأيته ينزل عليه في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه [٣] ليتفصد [٤] عرقا " [٥].

والفصم : الفك والفصل من الأمور اللينة [٦]، كما قال : " فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد أستمسك بالعروة الوثقى لا أنفصام لها والله سميع عليم " [٧].

---

(١) هو ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، أبو عبد الرحمن القرشي ، المخزومي ، وهو أخو أبو جهل ، شهد بدرا كافرا فانهزم ، وعُيِّرَ بفراره ذلك ، وأسلم يوم الفتح ، وأجارته أم هاني ، وخرج الى الشام مجاهدا أيام عمر بأهله وماله حتى استشهد يوم اليرموك سنة ١٥ هـ . أسد الغابة ١ : ٤٢٠ .

(٢) أي حفظته وعرفته . جامع الأصول ١١ : ٢٨٢ .

(٣) الجبين : ناحية الجبهة ، من محاذاة النزعة (موضع انحسار الشعر عن جانبي الجبهة) الى الصدغ (ما بين العين الى أصل الأذن) ، وهما جبينان ، عن يمين الجبهة وشمالها ، فتكون الجبهة بين جبينين . المصباح المنير : ٩٠ .

(٤) مأخوذ من الفصد ، وهو قطع العِرْق لإسالة الدم . شبه جبينه بالعِرْق المفصود مبالغة في كثرة العرق . فتح الباري ١ : ٢١ .

(٥) الحديث رواه البخاري ، كتاب بدء الوحي ، باب : حدثنا عبد الله بن يوسف ... ، ١ : ١٨ ، ومسلم ، كتاب الفضائل ، باب عرق النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في البرد وحين يأتيه الوحي ، ٤ : ١٨١٦ (٢٣٣٣) بمعناه .

(٦) أنظر فتح الباري ١ : ٢٠ ـ ٢١ .

(٧) سورة البقرة : ٢٥٦ .

وبالقاف : هو الكسر الذي يكون في الأمور الصلبة .

فبين أن الملك حين ينزل الوحي عليه يتصل به ، ويلتبس به (١) ، ثم بعد ذلك ينفصل عنه وينفك عنه ، وهذا الاشتمال والانفصال أبلغ من غيره ، فيحسن معه أن يكون ابدال أحدهما من الآخر أحسن من غيره . فيقال : هذا القرآن بلغه الرسول النبي ، وبلغه جبريل عن الله ، ونظائر هذا متعددة في جميع بشارات المسيح . يذكر أن الأب وهو في لغتهم : الله الذي يرسل الفار قليط . وفي بعضها قال : " أنا أطلب من الأب يعطيكم فار قليطا آخر ، يثبت معكم الى الأبد " ، وفي بعضها " والفارقليط روح الحق الذي يرسله أبي هو يعلمكم كل شيء " فقد بين أن الله يرسله ، وأنه يطلب من الله أن يرسله .

وأما قوله : في بعض الألفاظ : " فاذا انطلقت أرسلته اليكم فيكون معناه : اني أرسله بدعاء أبي ، وطلبي منه أن يرسله . كما يطلب الطالب من ولي الأمر أن يرسل رسولا أو يولي نائبا أو يعطي أحداً ، ويقول : أنا أرسلت هذا ووليت هذا وأعطيت هذا ، أي : كنت سببا في ذلك . ومما ينبغي أن يعلم أن الله اذا قضى ما يُكوِّن الشيء فانه يقدر له أسبابا يكون بها ، ومن تلك الأسباب دعاء طائفة من عباده به ، فيكون في ذلك من النعمة في أجابته دعاء هذا وهذا وهذا .

ومحمد دعا به الخليل ـ عليه السلام ـ فقال : ﴿ ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم ﴾ (٢) .

---

(١) هكذا (يلتبس به) . واللفظ الأنسب هنا (يتلبس) .

(٢) سورة البقرة : ١٢٩ .

مع أن الله قد قضى بأرساله وأعلن باسمه قبل ذلك ، كما قيل لـه يا رسول الله ، متى كنت نبيا ؟ قال : (وآدم بين الروح والجسد) [١] وقال : (اني عند الله لمكتوب خاتم النبيين ، وان آدم لمجدل [٢] في طينته).

---

(١) رواه الترمذي بمثله ، كتاب المناقب ، باب في فضل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ٥ : ٥٨٥ (٣٦٠٩) قال أبو عيسى :"هذا حديث حسن صحيح غريب ، من حديث أبي هريرة ، لا نعرفه الا من هذا الوجه ، وفي الباب عن ميسرة الفجر". ورواه أحمد في المسند ٤ : ٦٦ و ٥ : ٣٧٩ . قال الهيثمي : رواه أحمد والطبراني ورجاله رجال الصحيح . مجمع الزوائد ٨ : ٢٢٣ .

(٢) مجدل : أي ملقى بالجدالة وهي الأرض . اللسان ١١ : ١٠٤ مادة : جدل .

(٣) رواه الأمام أحمد في المسند ٤ : ١٢٧ ـ ١٢٨ . من طرق بالفاظ ، كلها عن عرباض بن سارية بلفظ : (اني عبد الله لخاتم النبيين وان آدم ...) الحديث ، وبلفظ (وخاتم) وبلفظ (اني عبد الله في أم الكتاب لخاتم النبيين ...) الحديث ، وأورده الهيثمي بلفظ (عند الله) بالنون ، وقال : رواه أحمد بأسانيد ، والبزار والطبراني بنحوه ... وأحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح ، غير سعيد بن سويد وقد وثقه ابن حبان . مجمع الزوائد ٨ : ٢٢٣ . كما أخرجه الحاكم في المستدرك ، كتاب التاريخ ، ذكر أخبار سيد المرسلين ... ٢ : ٦٠٠ ، بلفظ (في أول الكتاب ...) ، وقال :"هذا حديث صحيح الأسناد"، ووافقه الذهبي .

وهذا كما أن الله قضى بنصره يوم بدر ، ومن أسباب ذلك أستغاثته بالله ، وكذلك بما يقضيه من انزال الغيث يكون من أسبابه دعاء عباده له ، ونظائره كثيرة. فلا يمتنع أن يكون المسيح سأل ربه بعد صعوده أن يرسل محمدا ، ويكون هذا من أسباب ارساله ، لكن ابراهيم سأل في الدنيا ، فذكر الله ذلك ، بخلاف سؤال المسيح ، فانه كان بعد صعوده الى السماء.

فصـــــل

(براهين قرآنية مستقلة، على نبوته ـ صلى الله عليه وسلم)

والقرآن ـ نفسه ـ قد بين من آيات نبوته وبراهين رسالته أنواعا متعددة ، مع اشتمال كل نوع على عدد من الآيات والبراهيـــن ، مثال ذلك : اخباره لقومه بالغيب الماضـــي ، الذي لا يمكن بشرا أن يعلمه ، إلا أن يكون نبيـــا ، أو يكون ممن تلقـــاه عن نبـــي . وقومه يعلمون أنه لم يتعلـــم ذلك من بشر ولا من أهـــل الكتاب ولا غيرهـــم . وهذا نوعان :

منه : ما كان يسألـــه عنه المشركون وأهل الكتاب ، لينظر هـــل هو نبي أم لا ؟ .

وكان قومه يرسلون الى أهل الكتاب ، البعيدين عنهم ، مثل مـــن كان بالمدينة وغيرها من أهل الكتاب ، يطلبون منهم ما يسألونـــه عنه ، فيرسلون اليهم ليسألوه عن ذلك ، ويمتحنون بذلك هل هـــو نبي أم لا ؟ .

ومنه : ما كان الله يخبره به ابتداء ، ويجعله علما وآيـــة لنبوتـــه ، وبرهانا لرسالتـــه ، مع ما في ذكر هذه القصـــص من الاعتبار لأمور أخرى ، فكان كل من هذيـــن (١) النوعين دليـــلا وعبرة على نبوته ، من طريقيـــن ، فكان دليـــلا وعبرة علـــى نبوته من جهة اخباره بالغيب ، الذي لا يعلمـــه الا نبـــي ، وكانت عبرة بما فيها من أحوال المؤمنين والكافريـــن ، التـــي توجـــب اتباع سبيـــل المؤمنين ، الذين اتبعوا مثلـــه ، وتَجنُّب سبيل الكافريـــن ، الذين خالفوا مثلـــه ، وحكم الشيء

---

(١) رسمها هكذا (هذى) وقد صوبتها .

حكم نظيره . فاذا كان من كان مثلـــه ومثل من اتبعه سعيدا ، وحال من خالف مثلـــه ومثل من اتبعه شقيـــا ، كان في هذا دلالة وعبرة توجب اتباعه وتنهى عن مخالفتـــه ، وهذا ـ أيضـــا ـ دليلا (١) على نبـــوة من قبلـــه من (٢) الأنبيـــاء من وجهين : من جهـــة أنه أخبر بمثـــل ما أخبروا بـــه ، من غير مواطأة (٣) بينهـــم وبينـــــه ، ولا تشاعـــر (٣) ، لم يأخذوا عنـــه ، ولم يأخذ عنهـــم .

---

(١) هكذا ، وربما يكون هذا خطأ نحويا ، أو على توجيه بعيـــد . وأن تكون (دليل) بالرفع أقرب .

(١) الى هنا انتهى السقط من ك و ط الذي بمقدار صفحتين أو أكثر.

(٢) في ك و ط زيادة : (من جهة أنهم أخبروا به قبل أن يبعـــث بسنين كثيرة ، فكان الأمر كما أخبروا ، وهذا آية لنبوتهـــم . واخبارهم بنبوتـــه دليل على نبوتـــه ، فصار ما في الكتـــب المتقدمـــة من خبره دليلا على نبوة من قبلـــه وعلـــى نبوتـــه . وكما أن إخباره هو ـ أيضـــا ـ عنهم ـ مع بعـــد العهد ـ خبرا لم يتعلمـــه من بشـــر ، دليلا على نبوته ، وقد أخبر بنبوتهم ، فثبتت نبوتـــه ونبوتهم ـ على اللـــه عليهم أجمعيـــن ـ . الجهة الثانية :) ويتفقان مع أ مـــن هنا في قولـــه (أنهم أخبروا عنه) .

(٣) المواطأة : ـ على الأمر ـ أي الموافقـــة . والتشاعـــر : من : أشعره فشعر ، أي أدراه فدرى . مختار الصحـــاح : ٧٢٧ و ٣٣٩ .

وكل منهما أخبر عن الله بأخبار مفصّلة ، يمتنع الاتفاق عليها عادة الا بتواطيء فاذا لم يكن تواطؤ وتشاعر ، وامتنع اتفاق ذلك من غير مواطأة ، علم أن كلا من المخبِرَيْن صادق ، قال ـ تعالى ـ : ﴿ لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين ﴾ (١) ، وقص قصته في السورة الى أن قال : ﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون ﴾ (٢) وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ﴿ وما تسألهم عليه من أجر ، ان هو الا ذكر للعالمين ﴿ وكأين من آية (٣) في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون ﴾ ،الى قوله : ﴿ قل : هذه سبيلي ، أدعوا الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ، وسبحان الله ، وما أنا من المشركين ﴿ وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم ، من أهل القرى ، أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ، ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون ﴿ حتى اذا استيأس الرسل ، وظنوا أنهم قد كذبوا ، جاءهم نصرنا ، فنجي من نشاء ، ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين ﴿

---

(١) سورة يوسف : ٧٠

(٢) يمكرون ، أي عندما تآمروا على أخيهم واحتالوا عليه وعلى أبيه . أنظر صفوة التفاسير ١٣ : ٦٩ .

(٣) أي كم من العلامات الدالة على وجود الله ـ جل وعلا ـ ووحدانيته الكائنة في السموات والأرض ، كالشمس والقمر والنجوم والجبال والبحار والأشجار ، وسائر ما فيهما من العجائب . المصدر السابق والموضع نفسه .

لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب (١) ، ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه ، وتفصيل كل شيء ، وهدى ورحمة لقوم يؤمنون (٢) وقال ـ تعالى ـ : ﴿ ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا ﴾ (٣) ، وقال : ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا ﴾ (٤) وقال : ﴿ أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم (٥) كانوا من آياتنا عجبا ﴾ (٥) وقال ـ تعالى ـ لما قص قصة نوح من سورة هود ، وهي أطول

---

(١) أي عضة وتذكرة لأولي العقول النيرة . و(ما كان حديثا يفترى)، أي ما كان هذا القرآن أخبارا تروى أو أحاديث تختلق . المصدر السابق ١٣ : ٧٠ .

(٢) سورة يوسف : ١٠٨ ـ ١١١ .

(٣) سورة الكهف : ٨٣ .

(٤) سورة الاسراء : ٨٥ .

(٥) سورة الكهف : ٩ .

(٥) بقرب البلقاء من أطراف الشام موضع يقال له : الرقيم ، ويزعم بعضهم : أنهم ببلاد الروم . قالوا : هو لوح رصاص كتبت فيه أنسابهم وأسماؤهم ودينهم ومم هربوا . والكهف المذكور الذي فيه أصحاب الكهف : بين عمورية ونيقية ، وبينه وبين طرسوس مسيرة عشرة أيام أو أكثر ـ (حسب سير القدماء) ـ وروى عن ابن عباس : أصحاب الرقيم سبعة ، وأسماؤهم : يمليخا ، مكسلينا ، مشلينا ، مرطونس ، دبريوس ، سرابيون ، افستطيوس . واسم كلبهم : قطمير ، واسم ملكهم دقيانوس ، واسم مدينتهم التي خرجوا منها ، أفسس ، ورستاقها (ناحيتها) : الرس . واسم الكهف : الرقيم ، وقيل غير ذلك في أسمائهم . أنظر معجم البلدان ٣ : ٦٠ ـ ٦١ .

ما قصد في قصة نوح ـ : ﴿ تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ، ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا ، فاصبر ، ان العاقبة للمتقين ﴾ فذكر سبحانه أن هذا الذي أوحاه اليه من أنباء الغيب ، ما كان يعلمه هو ولا قومه من قبل هذا . فاذا لم يكن قومه يعلمون ذلك ، لا من أهل الكتاب ، ولا من غيرهم ، وهو لم يعاشر الا قومه ، وقومه يعلمون ذلك منه ، ويعلمون أنهم لم يكونوا يعلمون ذلك ، ويعلمون ـ أيضا ـ أنه هو لم يكن تعلم ذلك ، وأنه لم يكن يعاشر غيرهم ، وهم لا يعلمون ذلك ، صار هذا حجة على قومه ، وعلى من بلغه خبر قومه . ومثل ما أخبرهم عن قصة آدم ، وسجود الملائكة له ، وتزيين ابليس له حتى أكل من الشجرة ، وهبط هو وزوجه ، وأخبرهم عن قصة نوح ، ومكثه فيهم ألف سنة الا خمسين عاما وهذا في التوراة الموجودة بأيدي أهل الكتاب مقدار لبثه في قومه قبل الغرق وبعده .

---

(١) في ك (ما قصه في القرآن من قصة نوح) وفي ط (ما قصه الله في القرآن من قصة نوح) .

(٢) العاقبة : آخر كل شيء . ترتيب القاموس ٣ : ٢٦٨ .

(٣) سورة هود : ٤٩ .

(٤) هكذا في ط ، وفي أ و ك (إليك) وضمير الغيبة أنسب نظرا لما بعده .

(٥) يعاشر : أي يخالط . مختار : ٤٣٤ .

(٦) في ك و ط زيادة : (هذا) .

(٧) في ط (زوجته) .

(٨) سقطت كلمة (قصة) من ك و ط .

(٩) في ك و ط زيادة (ودعاؤه على قومه) .

وأخبرهم عن قصة الخليل ، وما جرى له مع قومه ، والقائد في النار ، وذبح ولده ، ومجيء الملائكة اليه في صورة ضيفان[١] ، وتبشيره باسحاق ويعقوب ، وذهاب الملائكة الى لوط ، وما جرى للوط مع قومه ، واهلاك الله مدائن قوم لوط ، وقصة إسرائيل[٢] مع بنيه ، كقصة يوسف وما جرى له بمصر ، وقصة موسى مع فرعون ، وتكليم الله اياه مرة بعد مرة ، وآياته كالعصا واليد البيضاء ، والقمّل والضفادع والدم ، وفلق[٣] البحر ، وتظليل الغمام[٤] على بني إسرائيل ، واطعامهم المنّ والسلوى[٥] ، وانفجار الماء من الحجر اثنى عشر عينا لسقيهم ، وعبادتهم العجل ، وقتل بعضهم بعضا لما تاب الله عليهم ، وقصة البقرة ، ونتق الجبل فوقهم[٦] ، وقصة داود ، وقتله لجالوت[٧] ، وقصة الذين خرجوا من ديارهم[٨] وهم ألوف حذر الموت ،

---

(١) جمع : ضيف ، مثل : ضيوف ، وهم الذين ينزلون بدار غيرهم . أنظر مختار : ٣٨٦ .

(٢) في ك و ط (يعقوب) .

(٣) الفلق : من باب ضرب ، هو الشق ، مختار : ٥١١ .

(٤) الغمام : السحاب الأبيض ، الواحدة : غمامة . ظللوا به ليقيهم حر الشمس . تفسير القرآن العظيم ١ : ١٣٤ .

(٥) المن : الظاهر ـ والله أعلم ـ أنه كل ما امتن الله به عليهم من طعام وشراب وغير ذلك ، مما ليس فيه عمل ولا كد . والسلوى : طائر مثل الحمام . المصدر السابق ١ : ١٣٨ .

(٦) أي رفعته الملائكة فوق رؤوسهم . المصدر السابق ٣ : ٤٩٩ .

(٧) هو ملك العمالقة ، قتله داود ـ عليه السلام ـ ،حيث قذفه في القتال بأحجار معه ،فوقع الحجر بين عينيه ،فثقب رأسه فقتله ، ولم يزل الحجر يقتل كل من أصابه ينفذ منه الى غيره فانهزم عسكر جالوت ـ باذن الله ـ . أنظر الكامل ١ : ١٢١ ـ ١٢٤ .

(٨) سقطت (من ديارهم) من أ .

فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم ، وقصة الذي أماته الله مائة عام ، ثم بعثه ، وغير ذلك من أحوال بني اسرائيل .

الى أن ذكر قصة زكريا وابنه يحيى (١) ، وعيسى بن مريم ، وأحوال المسيح وآياته ، ودعائه لقومه ، والآيات التي بعث بها ، وتفاصيل ذلك ، وذكر قصة أصحاب الكهف ، وقصة ذي القرنين ، وغير ذلك من قصص الأنبياء والصالحين والكفار ، مفصلة مبينة بأحسن بيان ، وأتم معرفة ، مع علم قومه ، الذين يعرفون أحواله ، من صغره الى أن ادّعى النبوة : أنه لم يتعلم هذا من بشر ، بل لم يجتمع هو بأحد من البشر يعرف ذلك ، ولا كان عندهم بمكة من يعرف ذلك ، لا يهودي ولا نصراني ولا غيرهم .

فكان هذا من أعظم (٣) الآيات والبراهين لقومه بأن هذا إنما أعلمه به وأنبأه به الله ، ومثل هذا الغيب لا يعلمه الا نبي ، أو من أخذ عن نبي ، فاذا لم يكن هو (٤) أخذه عن نبي ، تعيّن أن يكون نبيا .

ثم سائر أهل الأرض يعلمون أنه لم يتعلم ذلك من بشر ، من طرق :

---

(١) يحيى – نبي الله ،عليه السلام – : وهو الذي يسمونه (يوحنا المعمدان) لأنه كان يعمد الناس – أي يطهرهم عندما يخطئون ثم يتوبون – وذلك بنهر الأردن ، وطريقة هذا التعميد مجهولة الآن ، ويحيى هو الذي عمد المسيح بنهر الأردن عند النبوة كما يذكر أهل الكتاب في كتابهم . أنظر انجيل مرقس،الاصحاح الأول : ١ – ١١ العهد الجديد : ٤٧ ومواضع أخرى في انجيل متى ولوقا ، وقاموس الكتاب المقدس (عندهم): ٦٣٧–٦٣٨ ، وما كتبه د. أحمد السقا في كتابه : يوحنا المعمدان بين الاسلام والنصرانية ، ط ١ ، دار التراث العربي ، القاهرة ١٣٩٩هـ والبداية والنهاية ٢ : ٥٢ – ٥٥ .

(٢) في ك و ط (كان) .

(٣) في ك و ط (عظيم) .

(٤) في ك و ط زيادة : (قد) .

أحدها : أن قومه المعادين له ، الذين هم من أحرص الناس على القدح في نبوته ، مع كمال علمهم ـ لو علموا أنه تعلم ذلك من بشر ـ لطعنوا عليه بذلك وأظهروه (١) ، فانهم ـ مع علمهم ـ بحاله يمتنع أن لا يعلموا ذلك لو كان ، ومع حرصهم على القدح فيه (٢) ، يمتنع أن لا يقدحوا فيه ، ويمتنع أن لا يظهر ذلك .

الثاني : أنه قد تواتر عن قومه أنهم كانوا يقولون : انه لم يكن يجتمع به من يعلمه ذلك .

الثالث : أنه لو كانت هذه القصص المتنوعة قد تعلمها من أهل الكتاب مع عداوته لهم (٣) ، لكانوا يخبرون بذلك ويظهرونه ، ولو أظهروا ذلك ، لنقل ذلك وعرف ، فان هذا من الحوادث التي تتوفر الهمم والدواعي على نقله (٤) .

الرابع : أنه حين بعث ، كان الناس إما مشركا ، وإما كتابيا ، فلم يكن هناك أحد على الدين الذي دعا اليه . وقد علم الناس بالتواتر أن المشركين ـ من قريش وغيرهم ـ لم يكونوا يعرفون هذه القصص ، ولو قدر أنهم كانوا يعرفونها ، فهم أول من دعاهم الى دينه فعادوه وكذبوه ، فلو كان فيهم من علمه ، أو يعلم أنه تعلّم من غيره ، لأظهر ذلك .

الخامس : أن مثل هذا لو كان ، فلابد أن يعرفه ـ ولو خواص الناس ـ ، وكان في أصحابه الذين آمنوا به من يعرف ذلك ، وكان ذلك يشيع ،

---

(١) أي ضربوه ووخزوه بالقول . أنظر ترتيب القاموس ٣ : ٧٩ .

(٢) القدح : الطعن . المصدر السابق ٣ : ٥٦٧ .

(٣) أي بعد قيام دولته وعلو شأنه وامتناعهم عن الاستجابة لدعوته .

(٤) في ط فقط (نقلها) .

ولو تواصوا بكتمانه ، كما شاع ما كتم من أمر الدول الباطنية (١) ، ولكان خواصه في الباطن يعلمون كذبه ، وكان علمهم بذلك يناقض تصديقه في الباطن ، كما عرف في مثل ذلك (٢) .

فكيف ، وكان أخص أصحابه ، وأعلمهم بحاله ، أعظمهم محبة وموالاة ؟ بخلاف حال من يبطن خلاف ما يظهر ، فان خواص أصحابه لا يعظمونه في الباطن .

---

(١) في ك و ط (نظائر ذلك) .

(٢) وهم الذين يزعمون أن لظواهر آيات القرآن بواطن ، والمراد بها : غير ما عرف من معانيها في اللغة ، فرفعوا الشريعة كليا . ويسمون (القرامطة) ، وهم فرقة من الزنادقة الملاحدة ، أتباع الفلاسفة ، من الفرس الذين يعتقدون نبوة (زراد شت) و (مزدك) ، وأكثر ما يفسدون من جهة الرافضة ويدخلون الى الباطل من جهتهم لأنهم أقل الناس عقولا ، ويقال لهم (الاسماعيلية) لانتسابهم الى اسماعيل الأعرج ابن جعفر الصادق ، وانتسابهم - أيضا - الى قرمط بن الأشعث البقار ، فلذلك سمو بالقرامطة ، وهم يظهرون الرفض ويبطنون الكفر المحض ، فلذلك سمو بالباطنية ، ويقال لهم - أيضا - : الجرمية والبابكية والمحمرة والتعليمية ، والسبعية ، ومن دولهم (قلعة شاهدز) ، وصاحبها : أحمد بن عبد الملك بن عطاش ، سنة ٥٠٠ هـ وهي بالقرب من أصبهان ، و (قلعة ألموت) وصاحبها الحسن ابن الصباح الرازي الذي مات سنة ٥١٨ هـ . أنظر البداية والنهاية ١١ : ٦١ - ٦٢ ، والكامل ٨ : ٢٤٢ و ٣١٧ ، واللباب في تبذيب الانساب ١ : ١١٠ .

فانه علم الناس أن قومه الذين كانوا معادين له غاية العداوة ، وكانوا يطلبون القدح في نبوته بكل طريق ، يعلمون[1] أنه لم يكن عندهم بشر يعلمه مثل هذا ، وأنه لم يكن في قومه ولا بلده من يعرف هذا .

علم الناس ما علمه قومه[2] أن هذا[3] أنبأه به الله ، وكان هذا من أعلامه[4] وآياته وبراهينه ، وهذا مما يبين[3] الله في القرآن أنه من آياته ، وأنه حين أخبر قومه بهذا مع تكذيبهم ، وفرط[5] عداوتهم له ، لم يمكن أحدا منهم أن يقول له : بل فينا من كان يعلم ذلك ، وأنت كنت تعلم ذلك ، وقد تعلمته منا أو من غيرنا . فكان اقرارهم بعدم علمه وعلمهم ، مع فرط عداوتهم له ، آية بينة لجميع الأمم أنه لم يكن هو ولا هم يعلمون ذلك .

ولهذا لما كان بعضهم يفتري عليه فرية ظاهرة ، كانوا كلهم يعلمون كذبه ، واذا اجتمعوا وتشاوروا في أمره يعرفون[6] أن هذا كذب ظاهر عليه ، كما كان بعضهم يقول : إنه مجنون ، وبعضهم يقول : إنه كاهن . وبعضهم يقول : إنه ساحر . وبعضهم يقول : إنه[7] ، تعلمه من بشر . وبعضهم يقول : أضغاث أحلام .

---

(١) في ك و ط (يخبرون) .

(٢) في ك و ط زيادة : (من) .

(٣) في ك و ط زيادة : (إنما) .

(٣) في ك و ط (بيّن) .

(٤) جمع علامة وهي السّمة . ترتيب الفاقوس ٣ : ٣٠٢ .

(٤) في ط (إعلامه) بكسر الهمزة .

(٥) من أفرط في الأمر : اذا جاوز فيه الحد ، يقال : إياك والفرط في الأمر . مختار الصحاح : ٤٩٩ .

(٦) في ك و ط (يعترفون) .

(٧) في ك و ط زيادة : (معلّم) .

فحكى الله أقوالهم (١) ، مبينا لظهور (٢) كذب من قال ذلك ، وأنه قول ضال حائر ، قد بهره حال الرسول فحار فلم يدر ما يقول ، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ تبارك الذي نزّل الفرقان (٣) على عبده ليكون للعالمين نذيرا ﴾ الذي له ملك السملوات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدّره تقديرا ﴿ واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا (٣) ﴾ وقال الذين كفروا إن هذا الا إفك (٣) افتراه وأعانه عليه قوم آخرون (٣) فقد جاؤا ظلما وزورا ﴿ وقالوا أساطير الأولين (٣) اكتتبها (٣) فهي تملى عليه بكرة وأصيلا ﴾ قل أنزله الذي يعلم السر في السملوات والأرض انه كان غفورا رحيما ﴿ (٤) فأخبر عمن قال ذلك ، وهم يعلمون أن هذا من أظهر الكذب ، فان هذه القصص المذكورة في القرآن ، لم يكن بمكة من يعرفها ، فضلا عن أن يمليها كما قال : ﴿ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ... ﴾ (٥) وقال : ﴿ ... ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا .... ﴾ ولهذا قال : ﴿ (٧) أنزله الذي يعلم

---

(١) أي نقله . ترتيب ١ : ٦٨٦ .

(٢) في ك و ط (ظهور) .

(٣) الفرقان : القرآن ، لأنه الفارق بين الحق والباطل ، والنشور : بعث الأموات . الإفك : الكذب . والزور : البهتان . أساطير : أحاديث خرافة . اكتتبها : أمر أن تكتب له . أنظر صفوة ١٨:٣٥٤.

(٤) سورة الفرقان : ١ ـ ٦ .

(٥) سورة العنكبوت : ٤٨ .

(٦) سورة هود : ٤٩ .

(٧) في ط زيادة قوله ـ تعالى ـ : (قل) .

السر في السموات والأرض ...* (١) ، فأخبر أن هذا من عِلْم من يعلم السر ، اذ كان البشر لا يعلمون ذلك إلا من جهة أخبار الأنبياء ، وليس بمكنة من يعلم ما أخبرت به الأنبياء .

ثم ذكر ما اقترحوه (٢) فقال : * وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ، لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا * أو يلقى اليه كنز (٣) أو تكون له جنة (٤) يأكل منها وقال الظالمون : ان تتبعون الا رجلا مسحورا * انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا * (٥) ، أمر بالنظر في كيفية ما ضربوه من الأمثال ، حيث شبهوه بمن يظهر الفرق بينه وبينه ظهورا لا يخفى على الناظر ، ولهذا قال : (... فضلوا فلا يستطيعون سبيلا) اذ كان ظاهرا أن هذا ضلال عن طريق الحق ، فلا يستطيع الضال عن طريق الحق (٦) اليه سبيلا .

وقال - تعالى - : * فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم* (٧)

---

(١) سورة الفرقان : ٦ .

(٢) الاقتراح : ارتجال الكلام ، واستنباط الشيء من غير سماع . ترتيب القاموس ٣ : ٥٨٤ .

(٣) الكنز : الذهب والفضة ، أو المال المدفون . المصدر السابق ٣: ٨٧ .

(٤) الجنة : الحديقة ذات النخل والشجر . المصدر السابق ١: ٥٤٣ .

(٥) سورة الفرقان : ٧ - ٦ .

(٦) سقطت كلمة (الحق) من ك .

(٧) الرجيم : من الرجم : وهو القتل ، وأصله الرمي بالحجارة . مختار : ٢٣٦ .

إنه ليس له سلطان[1] على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون * إنما سلطانه على الذين يتولونه[1] . والذين هم به مشركون * واذا بدلنا آية مكان آية - والله أعلم بما ينزل - قالوا : إنما أنت مفتر ، بل أكثرهم لا يعلمون * قل نزله روح القدس من ربك بالحق ، ليثبت الذين آمنوا ، وهدى وبشرى للمسلمين * ولقد نعلم أنهم يقولون : إنما يعلمه بشر ، لسان الذي يلحدون اليه[2] أعجمي ، وهذا لسان عربي مبين[3] * ، فأخبر عما افتراه بعضهم ، من قوله : إنما يعلمه هذا[4] القرآن بشر .

---

(١) سلطان : أي تسلط وقدره . يتولونه : أي يطيعونه ويتخذونه لهم وليا . صفوة التفاسير ١٤ : ١٤٣ .

(٢) أي لسان الذي يزعمون أنه علّمه ، وينسبون اليه التعليم . المصدر السابق ، والموضع نفسه .

(٣) سورة النحل : ٩٨ - ١٠٣ .

(٤) في جميع النسخ (هدى) وهي بالتأكيد اسم اشارة (هذا) مشار به الى القرآن ولكن على طريقة الاملاء القديمة من كتابة الألف الممدودة بألف لينة ، - ولو أحيانا - .

وكان بمكة مولى أعجمي لبعض قريش قيل : إنه مولى لبني الحضرمي (١) ، والنبي لا يحسن أن يتكلم بلسان العجمي (٢) (٣) ، وذاك لا يحسن أن يتكلم بهذا الكلام العربي (٤) (٥) . فلما قالوا : انه افترى هذا القرآن ، وأنه علمه اياه بشر ، قال ـ تعالى ـ : ﴿ ... لسان الذي يلحدون .... ﴾ : أي يضيفون اليه هذا التعليم ، وينسبونه اليه ، وعبّر عنه بلفظ الالحاد (٦) ، لما فيه من الميل ، فقال (٧) : لسان هذا الشخص الذي قالوا : إنه يعلمه القرآن ، لسان أعجمي ، وهم لم يمكنهم أن يضيفوا هذا التعليم الى رجل عربي ، بل الى هذا لأعجمي (٨) ، لكونه كان يجلس ـ أحيانا ـ الى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ (٩) ، وذلك الأعجمي لا يمكنه التكلم بهذا الكلام العربي ، بل هو أعجمي ، ومحمد لا يعرف بالعجمية ،

---

(١) هو جبر الرومي النصراني ، غلام لبعض بني الحضرمي ، وقيل اسمه : يعيش ، وقيل : بلعام . وقيل : كانا غلامين روميين ، يقرآن كتابا لهما بلسانهما . أنظر تفسير القرآن العظيم ٤ : ٥٢٣ ـ ٥٢٤ .

(٢) سقطت (يتكلم) من أ و ك فاثبتناها من ط ، وط تحتاج الى (أن) قبل (يتكلم) ليستقيم السبك .

(٣) في ط (باللسان) .

(٤) في ك و ط (اللسان) .

(٥) في ك (هدي) وفي ط (هدى) .

(٦) أي أعرب عنه وأبان وأفصح . ترتيب ٣ : ١٣٨ و ١٨١ .

(٧) هنا محذوف مقدر من عبارة الشيخ هي: (ما معناه) ، على طريقة ابن جرير الطبري في تفسيره .

(٨) في ك و ط زيادة (ربما) .

(٩) في ك و ط (أن يتكلم) .

لكن غاية ذاك الأعجمي - كعبد بني الحضرمي - : أن يعرف قليلا من كلام العرب ، الذي يحتاج اليه في العادة ، مثل الألفاظ التي يحتاج اليها في غالب الأوقات ، كلفظ الخبز ، والماء ، والسماء ، والأرض ، ولا يعرف أن يقرأ سورة واحدة من (١) القرآن .

فبيّن - سبحانه - ظهور كذبهم فيما افتروه ، ولم يقل أحد منهم ما يمكن أن يكون شبهة من (٢) تعلمه أنباء الغيب ، من علماء أهل الكتاب ونحو ذلك ، وإنما قالوا ما ظهر بطلانه لكل أحد ، ولم يُنقل عن أحد منهم أنه قال قولا يخفى بطلانه ، بل ما يظهر كذبه لكل أحد .

فتبيّن أنه لم يمكنهم أن يقولوا : إنه تعلم أخبار الغيوب من أحد . وهذه القصة : قصة نوح - لا سيما قصته (٣) في سورة هود كما تقدم - لا يعلمها إلا نبي أو من تلقاها عن نبي (٤) . فاذا عرف أنه لم يتلقاها عن أحد علم أنه نبي ، ولهذا قال - تعالى - في آخرها : ﴿ تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين ﴾ (٦) والقول في سائر القصص ، كالقول فيها .

---

(١) في ط و ك زيادة : (سور) .

(٢) في ك و ط (في) .

(٣) في ك و ط زيادة : (المستوفاة) .

(٤) في ط (ينقلها) .

(٥) ليس في أ ولا ك كلمة التقديس .

(٦) سورة هود : ٤٩ .

وكما قال ـ في سورة يوسف ـ : ﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون ﴾ (١) ، وقال ـ في سورة آل عمران ، لما ذكر قصة زكريا ومريم ـ : ﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون ﴾ (٢) ، وقال ـ في قصة موسى ـ : ﴿ وما كنت بجانب الغربي (٣) إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين ﴾ ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا (٤) في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين ﴾ وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك ..... ﴾ (٥) الآية .

والانسان إنما يعلم مثل هذا بمشاهدة أو خبر ، فنبه بقوله : (وما كنت لديهم) على أنه (٦) إنما علمت ذلك بإخبارنا وإيحائنا إليك وإعلامنا لك بذلك ، إذ كان معلوما عند كل من عرفه : أنه لم يسمع ذلك من بشر ، وأنه لم يكن هو ولا قومه يعلمون ذلك .

وقد قال ـ تعالى ـ : ﴿ قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ، ولا أدراكم به ، فقد لبثت فيكم عمرا من قبله ، أفلا تعقلون ﴾ (٧) ؟ بين بذلك أن

---

(١) سورة يوسف : ١٠٢ .

(٢) سورة آل عمران : ٤٤ .

(٣) هو جانب الجبل الغربي ، الذي كلم الله موسى من الشجرة التي هي شرقيه ، على شاطيء الوادي . تفسير القرآن العظيم ٦ : ٢٥٠ .

(٤) أي مقيما . المصدر والموضع السابق .

(٥) سورة القصص : ٤٤ ـ ٤٦ .

(٦) في ك و ط (أنك) .

(٧) سورة يونس : ١٦ .

تلاوته عليهم هذا الكتاب ، وإدراؤهم : أي إعلامهم به ، هو بمشيئة (١)
الله وقدرته ، لا من تلقاء نفسه ، كما قال - تعالى - :
* وإذا تتلى عليهم آياتنا بيّنات قال الذين لا يرجون لقاءنا
ائت بقرآن غير هذا أو بدّله قل ما يكون لي أن أبدله من
تلقاء نفسي (٢) إن أتبع إلا ما يوحى إليّ إني أخاف إن عصيت
ربي عذاب يوم عظيم.قل لو شاء الله ما تلوته عليكم
ولا أدراكم به ..... * (٣) الآية .

فبيّن أنه لبث فيهم عمرا من قبله ، وهو لا يتلو شيئا من ذلك ،
ولا يعلمه (٤) ، ولا يعلمهم به فليس الأمر من جهته ، ولكن من
جهة الله ، الذي لو شاء ما تلاه عليهم ، ولا أدراهم
به ، وتلاوته (٥) عليهم وإدراؤهم به هو من الإعلام بالغيوب الذي
لا يعلمها إلا نبي ، وبيّن أن ذلك من الإرسال (٦) الذي يحبه الله (٧)
ويرضاه ، لا من الكوني الذي قدره (٨) ، وهو لا يحبه ولا يرضاه ،
كإرسال الشياطين ولهذا كان (٩) يعرضون عليه أن يصير ملكا عليهم ،

---

(١) في ك و ط (قبل هذا) .

(٢) أي من قبل نفسي . صفوة التفاسير ١١ : ٥٧٧ .

(٣) سورة يونس : ١٥ - ١٦.

(٤) سقطت (ولا يعلمه) من ك و ط .

(٥) في أ : (تولاته) وهو خطأ نسخي بحت .

(٦) في ك و ط زيادة : (الديني) .

(٧) ليس في أ لفظ الجلالة المعظم .

(٨) في ك و ط زيادة : (وقضاه) .

(٩) في ك و ط (كانوا) .

وأن يعطوه حتى يكون من أغناهم ، وأن يزوجوه ما شاء من نسائهم فيقول : (لو وضعتم الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أدع هذا الأمر ، لم أستطع أن أدعه)(١) وهذه الثلاث هي مطلوب النفوس من الدنيا (السلطان ، والمال ، والنساء)(٢) فيعرض عن قبول الدنيا التي هي غاية أماني طالبها ، ويبيّن(٣) أنه لا يقدر على أن يدع ما أمر به من تبليغ الرسالة .

وقال ـ تعالى ـ : * وإن كادوا ليفتنونك(٤) عن الذي أوحينا اليك لتفتري علينا غيره وإذا لاتخذوك خليلا * ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم(٤) شيئا قليلا ، إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات(٥) ثم لا تجد لك علينا نصيرا ، وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ، ليخرجوك منها ، وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلا *

---

(١) رواه البخاري في التاريخ الكبير بمعناه جـ ٤ ، ق ١ : ١٥ . وأخرجه الطبراني بمعناه ـ أيضا ـ في الأوسط والكبير ، وأبو يعلى ـ بمعناه ـ أيضا ـ ورجال أبي يعلى رجال الصحيح ، كما قال الهيثمي في المجمع ٦ : ١٤ ـ ١٥ . وأخرجه البيهقي في الدلائل ـ بمعناه ـ أيضا ـ ٢ : ١٨٧ ، وهو في السيرة لابن هشام ١ : ٢٨٤ ـ ٢٨٥ .

(٢) في ك (فعرض) ، وفي ط (فأعرض) .

(٣) في ك و ط (وبين) .

(٤) أي يصرفونك . تركن إليهم : تميل إليهم وتسايرهم على ما طلبوا . صفوة التفاسير ١٥ : ١٧١ .

(٥) أي لضاعفنا لك عذاب الدنيا وعذاب الآخرة . يستفزونك : يخرجونك من أرض مكة بمكرهم وإزعاجهم . المصدر والموضع السابق.

سنّة (١) من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا * (٢)
بيّن ـ سبحانه ـ أنهم كادوا (٣) أن يمنعوه بكل طريق ، فإن الإنسان إنما يتم عمله بإرادته وقدرته . فمع الادارة الجازمة ، والقدرة التامة يجب وجود المقدور . وإذا تعذر أحدهما امتنع . فطلبوا تغيير إرادته ليركن إليهم فيغير ما أوحى إليه ، فعصمه الله وثبّته .

ثم طلبوا تعجيزه بأن يستفزوه ويخرجوه ، حتى يعجز عن تبليغ رسالة (٤)
ربه ، ولو كان ذلك لعاجلهم الله بالعقوبة ، أسوة من (٥) تقدمه من الرسل ، فإن الله كان إذا أراد إهلاك أمة ، أخرج نبيها منها (٦) ، ثم أهلكها ، لا يهلكها وهو بين أظهرها ، كما قال ـ تعالى ـ : * وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون * وهذا بعد قوله : * وإذ قالوا : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء ، أو ائتنا بعذاب أليم * (٧) قال ـ تعالى ـ :* وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون * (٨) فلما خرج من بينهم بالهجرة أتاهم الله بعذاب أليم يوم (بدر) وغيره .

---

(١) أي طريقة وعادة . تحويلا : تبديلا أو تغييرا . المصدر والموضع السابق .

(٢) سورة الاسراء : ٧٣ ـ ٧٧ .

(٣) في ك و ط (طلبوا) .

(٤) هكذا في ك و ط ، وفي أ (رسالته) ، وما في ك و ط أصح فلهذا أثبتناه .

(٥) في ط ـ فقط ـ (بمن) .

(٦) في ك و ط (من بينها) .

(٧) سورة الأنفال : ٣٢ ـ ٣٣ .

(٨) سورة الأنفال : ٣٢ .

فقوله : ﴿ إن كادوا ليفتنونك...﴾[1] إشارة إلى سعيهم في إفساد إرادته ، وقوله : ﴿ وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ....﴾[2] إشارة إلى سعيهم في تعجيزه .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون ﴾[3] ، بيّن ـ سبحانه ـ من حاله ما يعلمه العامة والخاصة ، وهو معلوم لجميع قومه الذين شاهدوه ، متواتر عند من غاب عنه وبلغته أخباره من جميع الناس : أنه كان أميا لا يقرأ كتابا ، ولا يحفظ[4] كتابا من الكتب ، لا المنزلة ولا غيرها ، ولا يقرأ[6] شيئا مكتوبا ، لا كتابا منزلا ولا غيره ، ولا يكتب بيمينه كتابا ولا ينسخ شيئا من كتب الناس ، لا المنزلة ولا غيرها[5] .

ومعلوم أن من يعلم من غيره إما أن يأخذ تلقينا وحفظا ، وإما أن يأخذ من كتابه ، وهو لم يكن يقرأ شيئا من الكتب من حفظه ، ولا يقرأ مكتوبا . والذي يأخذ من كتاب غيره ، إما أن يقرأه ، وإما أن ينسخه ، وهو لم يكن يقرأ ولا ينسخ .

وقال[7] ـ تعالى ـ : ﴿ وإنه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين ،

---

(١) سورة الاسراء : ٧٣ .

(٢) السورة السابقة : ٧٦ .

(٣) سورة العنكبوت : ٤٨ .

(٤) في ك و ط (يخط) . وما في أكسفورد موافق لما في أ .

(٥) في ط (غيره) .

(٦) في ط بدون عطف .

(٧) سقطت الواو من ط .

على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربي مبين ، وإنه لفي زبر الأولين (١) ، أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل (٢) * إلى قوله : * وما تنزّلت به الشّياطين ، وما ينبغي لهم وما يستطيعون ، إنهم عن السمع لمعزولون ، فلا تدع مع الله إلهاً آخر ، فتكون من المعذبين ، وأنذر عشيرتك الأقربين ، واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ، فإن عصوك فقل : إني بريء مما تعملون ، وتوكل على العزيز الرحيم ، الذي يراك حين تقوم ، وتقلبك في الساجدين ، إنه هو السميع العليم ، هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ؟ تنزل على كل أفاك أثيم ، يلقون السمع وأكثرهم كاذبون (٣) ، والشعراء يتبعهم الغاوون (٣) ، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون ما لا يفعلون ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وذكروا الله كثيرا ، وانتصروا من بعد ما ظلموا (٤) ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون *

---

(١) أي كتب الأنبياء السابقين . صفوة ١٩ : ٣٩٥ م ٢ .

(٢) سورة الشعراء : ١٩٢ – ١٩٧ .

(٣) أي الضالون . يهيمون : أي يسلكون في المديح والهجاء كل طريق ، يمدحون الشيء بعد أن ذموه ، ويعظمون الشخص بعد أن احتقروه . أيّ منقلب ينقلبون : أيّ مرجع ؟ وأيّ مصير ؟ يرجعون اليه ويصيرون اليه ؟ فإن مرجعهم الى العقاب ، وهو شر مرجع ، ومصيرهم الى النار وهو أقبح مصير . المرجع السابق ١٩ : ٣٩٧ – ٣٩٨ م ٢ .

(٤) سورة الشعراء : ٢١٠ – ٢٢٧ .

فقال ـ تعالى ـ : ﴿ وإنه لفي زبر الأولين ﴾ (١) ، وقال : ﴿ أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني اسرائيل ﴾ (١) ، وعلماء بني إسرائيل (٢) : يعلمون ذكر إرسال محمد ، ونزول الوحي عليه . كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ ... الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل ..... ﴾ (٣) وقال : ﴿ ... والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين ﴾ (٤) ، وقال : ﴿ الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون ﴾ (٥) وقال : ﴿ وإذا يتلى عليهم قالوا : آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين ﴾ (٦) ويعلمون المعاني التي فيه أنها موافقة لأقوال الرسل قبله في الخبر والأمر .

فإنه أخبر عن توحيد الله وصفاته ، وعرشه وملائكته ، وخلقه السموات والأرض وغير ذلك ، بمثل ما أخبرت به الرسل قبله . وأمر بتوحيد الله وعبادته وحده لا شريك له ، وبالعدل والصدق ، والصلاة والزكاة . ونهى عن الشرك والظلم والفواحش ، كما أمرت ونهت الرسل قبله . والسّور المكية نزلت بالأصول الكلية المشتركة ، التي اتفقت عليها الرسل ، التي لابد منها ، وهي الاسلام العام ، الذي لا يقبل الله من أحد من الأولين والآخرين دينا غيره .

---

(١) سورة الشعراء : ١٩٦ ـ ١٩٧ .

(٢) سقطت من أ جملة (وعلماء بني اسرائيل) فأثبتناها من ك و ط .

(٣) سورة الأعراف : ١٥٧ .

(٤) سورة الأنعام : ١١٤ .

(٤) ليس في أ الا كلمة (فلا) وهي ليست في ك ولا ط ، وقد أتممنا الآية مراعاة لما في أ .

(٥) سورة القصص : ٥٢ .

(٦) السورة السابقة : ٥٣ . وقد فصل الشيخ المؤلف بين الآيتين ، مع تجاورهما في المصحف من أجل التنبيه على المعنى الموجود في كل آية منهما ، أو لأي سبب آخر .

وأما السّور المدنية ، ففيها (١) هذا ، وفيها ما يختص به محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الشرعة والمنهاج . فإن دين الأنبياء واحد ، كما ثبت في الصحيح عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : (إنا ـ معشر الأنبياء ـ ديننا واحد) (*) قال الله (٢) ـ تعالى ـ ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ، والذي أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى ، أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾ (٣) ، وقال ـ تعالى ـ : ﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات ، واعملوا صالحا ، إني بما تعملون عليم ﴾ وأن هذه أمتكم أمة واحدة ، وأنا ربكم فاتقون ﴾ فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون ﴾ (٤) ، وقال ـ تعالى ـ : ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ منيبين إليه ، واتقوه ،

---

(١) في أ (فيها) .

(٢) ليس في أ لفظ الجلالة المعظم .

(*) رواه البخاري بلفظ : (... والأنبياء إخوة لعلات ، أمهاتهم شتى ودينهم واحد) ، كتاب الأنبياء ، باب قول الله : ﴿ واذكر في الكتاب مريم .. ﴾ ، ٦ : ٤٧٨ (٣٤٤٣) من فتح الباري . ورواه مسلم ، كتاب الفضائل ، باب فضائل عيسى ـ عليه السلام ٤ : ١٨٣٧ (٢٣٦٥) بمثله .

(٣) سورة الشورى : ١٣ .

(٤) سورة المؤمنون : ٥١ ـ ٥٣ .

وأقيموا الصلاة ، ولا تكونوا من المشركين * من الذين فرّقوا دينهم (١) ، وكانوا شيعا (٢) ، كل حزب بما لديهم فرحون * .

وأما الشرعة والمنهاج ، فقد قال عن أهل التوراة والإنجيل والقرآن : * لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا * (٣) وقال : * ولكل أمة جعلنا منسكا (٤) ، ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ، فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر (٥) ، كذلك سخرناها لكم ، لعلكم تشكرون * لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ، ولكن يناله التقوى منكم ...* (٦) إلى قوله : * لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه ...* (٧) ، وأما القبلة : فلم يجعل ما ابتدعه أهل الكتاب من القبلة ، فلذلك قال : * ولكل وجهة هو موليها ... * (٨) لم يقل : إنا جعلنا لكل وجهة ، كما قال في المنسك والشرعة والمنهاج ، وقال ـ تعالى ـ : *وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أو لم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى * (٩)

---

(١) فرقوا دينهم : أي بدلوه وغيروه ، وآمنوا ببعض ، وكفروا ببعض . شيعا : فرقا ، كل فرقة منها تزعم أنها على شيء . تفسير القرآن العظيم ٦ : ٣٢٣ .

(٢) سورة الروم : ٣٠ ـ ٣٢ .

(٣) سورة المائدة : ٤٨ .

(٤) أي مكانا للذبح تقربا إلى الله . صفوة التفاسير ١٧ : ٢٨٩ .

(٥) القانع : المتعفف . والمعتر : السائل . المصدر السابق ١٧ : ٢٩٠ .

(٦) أي لن يصل إليه ـ تعالى ـ شيء من لحومها ولا دمائها ، ولكن يصل إليه التقوى منكم بامتثال أوامره ، وطلبكم رضوانه . المصدر والموضع السابق .

(٧) سورة الحج : ٣٤ ـ ٦٧ .

(٨) سورة البقرة : ١٤٨ .

(٩) سورة طه : ١٣٣ .

فانه إذا أتاهم ببيان ما في الصحف الأولى ، مع علمهم بأنه لم يعاشر أحدا من أهل الصحف الأولى ، ولا استفاد منهم علما ، كان هذا من أعظم الآيات من الله .

وكما أن إخباره عن أمور الغيب يدل على نبوته ، فإنه يدل على أن النبوة إنباء من الله ، ليس ذلك كما يقوله بعض المتفلسفة ، كابن سينا وأمثاله : (إنه فيض فاض عليه من النفس الفلكية أو العقل الفعال) ويقولون : (إن النفس أو العقل ، هو اللوح المحفوظ وأن من اتصلت نفسه به علم ما علمته الأنبياء) ، ويقولون : (النبوة مكتسبة ، لأن هذه صفتها) ويقولون : (إن سبب علمه بالغيب هو اتصال نفسه بالنفس الفلكية) ، وزعموا (١) أنها اللوح المحفوظ ، وأن تحريكها للفلك هو سبب حدوث الحوادث في الأرض ، فتكون عالمة بما يحدث في الأرض ، لأن العلم بالسبب ، يوجب العلم بالمسبب (٢) . فإن هذا مبني على مقدمات باطلة ، قد بسط الكلام على بطلانها في موضع آخر (٣) .

---

(١) في ك و ط (ويزعمون) .

(٢) راجع ما كتبه (دي بور) في كتابه : تاريخ الفلسفة في الاسلام ، وخاصة الباب الرابع من كتابه المذكور : ١٧٦ وما بعدها ، ثم ما كتبه عن فلسفة ابن سينا - بالأخص - : ٢٥٣ - ٢٦٨ ، ترجمة د. أبي ريده. وكذلك ما أورده الشهرستاني في الملل والنحل ٢ : ١٧٣ - ٢٠١ من مسائل الإلهيات عند ابن سينا .

(٣) راجع ما كتبه الشيخ المؤلف في فساد مذهب الفلاسفة من كتابه القيم درء تعارض العقل والنقل ٨ : ١٦١ وما بعدها . وفي مواضع أخرى منه . وكتاب النبوات - له أيضا - : ١٦٨ وما بعدها . دار الفكر ، بيروت .

منها : إثبات العقل الفعال . ومنها : دعواهم أنه لا سبب للحوادث إلا حركة الفَلَك . ومنها : أن المحرك له هو النفس . ومنها : اتصال نفوسنا بتلك النفس .

والمقصود - هنا - أن هذا لو كان حقا فإنما يفيد علما بالمستقبل الذي تكون الحركة الحاضرة سببا له . أما ما قد مضى (١) بمئين أو ألوف من السنين فليس شيء من حركات الفلك - حين مبعث الرسول - كان سببا له ، وإنما تكون الحركة الموجودة في زمانه سببا للمستقبل ، لا للماضي، وحينئذ فلا يكون تحريك النفس للفلك سببا للعلم بهذه الأمور ، ولا يكون ذلك هو اللوح المحفوظ ، بل القرآن المجيد في لوح محفوظ ، وهو في أم الكتاب ، وهو (٢) : ﴿ في كتاب مكنون ، لا يمسه الا المطهرون ﴾ (٣) وأخبر - سبحانه - أنه : ﴿ نزل به الروح الأمين ﴾ (٤) وقال - في آية أخرى - : ﴿ قل نزله روح القدس من ربك بالحق ﴾ (٥) وقال في موضع آخر : ﴿ قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك باذن الله ..... ﴾ (٦)

---

(١) في ك و ط زيادة : (قيل ذلك) .

(٢) سقطت : (وهو) من ك و ط .

(٣) مكنون : مصون ومحفوظ . المطهرون : الملائكة ، الموصوفون بالطهارة من الشرك والذنوب والأحداث . أنظر صفوة ٢٧ : ٣١٥ .

(٣) سورة الواقعة : ٧٨ - ٧٩ .

(٤) سورة الشعراء : ١٩٣ .

(٥) سورة النحل : ١٠٢ .

(٦) سورة البقرة : ٩٧ .

وقال : ﴿ إنه لقول رسول كريم ﴾ ذي قوة عند ذي العرش مكين (١) ﴿ مطاع ثمّ أمين (٢) ﴿ وما صاحبكم بمجنون ﴾ ولقد رآه بالأفق المبين (٣) ﴿ وما هو على الغيب بضنين (٤) ﴿ وما هو بقول شيطان رجيم ﴾ فأين تذهبون (٥) ﴿ إن هو إلا ذكر للعالمين ﴾ لمن شاء منكم أن يستقيم (٦) ﴿ وقال ـ تعالى ـ : ﴿ الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس (٧) ﴿ فذكر أنه قول رسول اصطفاه من الملائكة ، نزله به على رسول اصطفاه من البشر ، فقال : ﴿ إنه لقول رسول كريم ﴾ وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ﴾ ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون ﴾ تنزيل من رب العالمين ﴾ ولو تقول علينا بعض

---

(١) أي صاحب مكانة رفيعة ، ومنزلة سامية عند الله ـ جل وعلا ـ صفوة التفاسير ٣٠ : ٥٢٥ .

(٢) أي مطاع هناك في الملأ الأعلى ، تطيعه الملائكة الأبرار ، مؤتمن على الوحي الذي ينزل به على الأنبياء . المصدر والموضع السابق .

(٣) أي أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ رأى جبريل ـ عليه السلام ـ على صورته التي خلقه الله عليها وله ستمائة جناح ، ورسول الله على الأرض ، وهذه هي الرؤية الأولى ، وذلك في أوائل البعثة ، في الأبطح بمكة . أنظر تفسير القرآن العظيم ٧ : ٤٢٠ .

(٤) أي متهم أو بخيل ، قرئت متواترة بالضاد والظاء . المصدر السابق ٨ : ٣٦٢ .

(٥) فأين تذهبون : أي فأين تذهب عقولكم في تكذيبكم للقرآن مع ظهوره ووضوحه ، وبيان كونه جاء من عند الله ـ عزل وجل ـ المصدر والموضع السابق .

(٦) سورة التكوير: ١٩-٢٨. وقد زاد في ك و ط الآية الباقية وهي قوله ـ تعالى ـ :﴿ وما تشاؤن الا أن يشاء الله رب العالمين ﴾ .

(٧) سورة الحج : ٧٥ .

(٧) أي يختار رسلا من الملائكة ليكونوا وسطاء لتبليغ الوحي إلى أنبيائه ،ويختار رسلا من البشر لتبليغ شرائع الدين لعباده ،والآية رد على من أنكر أن يكون الرسول من البشر . صفوة التفاسير ١٧: ٢٩٩ .

الأقاويل * لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين (٢) * فما منكم من أحد عنه حاجزين * وإنه لتذكرة للمتقين * وإنا لنعلم أن منكم مكذبين * وانه لحسرة على الكافرين * وإنه لحق اليقين * فسبح باسم ربك العظيم (١) * فنزه كلا من الرسولين عما قد يشتبه به .

نزه المَلَك أن يكون شيطانا ، ونزه البشر أن يكون شاعرا أو كاهنا ، وبيّن برهان ذلك وآيته ، فقال : * وما تنزلت به الشياطين * وما ينبغي لهم وما يستطيعون * إنهم عن السمع لمعزولون (٣) * فبين أنه ما يصلح لهم النزول به ، بل هم منهيون عن ذلك ، وهم ممتنعون عن ذلك ، لا يريدونه (٤) ، لمنافاته لمقصودهم ، وأنهم لو أرادوا (٥) لعجزوا عن ذلك ، فلم يستطيعوه ، اذ كانوا معزولين عن أن يسمعوه من

---

(١) سورة الحاقة : ٤٠ – ٥٢ .

(٢) هو نياط القلب : وهو العرق الذي القلب معلق فيه ، أو هو القلب ومراقه (ما سفل من البطن فما تحته) وما يليه . تفسير القرآن العظيم ٨ : ٢٤٥ .

(٣) سورة الشعراء : ٢١٢ .

(٣) أي بمعزل عن استماع القرآن حال نزوله ، لأن السماء ملئت حرسا شديدا وشهبا ، في مدة إنزال القرآن على رسوله ، فلم يخلص أحد من الشياطين إلى استماع حرف واحد منه ، لئلا يشتبه الأمر ، وهذا من رحمة الله بعباده ،وحفظه لشرعه ، وتأييده لكتابه ولرسوله . المصدر السابق ٦ : ١٧٥ .

(٤) هكذا في ط ، وفي أ (يريدونهم) وفي ك (لا يريدوه) وما أثبتناه أصوب .

(٥) في ك و ط زيادة : (ذلك) .

الملأ الأعلى ، وهم إنما يقدرون (١) على أن ينزلوا بما سمعوه لا بما لم يسمعوه ، وذلك أن الفاعل للفعل إنما يفعله إذا كان مريدا له قادرا عليه .

فبيّن بقوله : ﴿ ... وما ينبغي لهم .... ﴾ : أنهم لا يريدون تنزيله وبقوله : ﴿ ... وما يستطيعون ﴾ : أنهم عاجزون عن تنزيله . أما (٢) كونهم لا يريدون ، فلأنه لا ينبغي لهم ، (وينبغي) : مضارع (٣) بغى يبغي : أي طلب وأراد ، فالذي لا ينبغي للفاعل ، هو الذي لا يطلبه ولا يريده ، إما لكونه ممتنعا من ذلك ، أو لكونه ممنوعا منه . والشيطان إنما يريد الكذب والفجور ، لا يريد الصدق والصلاح .

وما جاء به الرسول ، مناقض لمراد الشياطين غاية المناقضة ، فلم يحدث في الأرض أمر أعظم مناقضة لمراد الشياطين من إرسال محمد ، فنزول (٤) القرآن عليه . فيمتنع أن تفعل الشياطين ما لا يريدون إلا نقيضه ، وهم - أيضا - ممنوعون من ذلك بحيث لا يصلح لهم ذلك ولا يتأتى منهم ، كما أن الساحر لا ينبغي له أن يكون نبيا . والمعروف بالكذب والفجور لا ينبغي له - مع ذلك - أن يكون نبيا (٥) ، ولا أن يكون حاكما (٦) ولا شاهدا ولا مفتيا ، إذ الكذب والفجور يناقض مقصود الحكم والشهادة والفتيا (٧) ، فكذلك ما في طبع الشيطان من ارداة الكذب والفجور يناقض أن تتنزل بهذا الكلام ، الذي هو في غاية

---

(١) هكذا في ك و ط (يقدرون) ، وفي أ (يقدروا) والأصح ما في ك و ط .

(٢) في ط زيادة واو .

(٣) في أ (مطاوع) ، والظاهر أنه تحريف من الناسخ .

(٤) في ك و ط (ونزول) .

(٥) في ك و ط (رسولا) .

(٦) في ك و ط (مقتضى الرسالة والحكم) .

(٧) في ك و ط (الشياطين) .

الصدق والعدل ، لم يشتمل على كَذبة[1] واحدة ، ولا ظلم لأحد .

ثم قال : (... وما يستطيعون) فإنهم عن سمع هذا الكلام لمعزولون ، بما حرست به السماء من الشهب ، كما قال - عن الجن - : ﴿ وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا ، وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع ، فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا ﴾[2] وقد ذكرنا تواتر هذا الخبر وأن السماء حرست حرسا[3] لم يعهده الناس قبل ذلك ، ورأى الناس ذلك بأبصارهم ، فكانوا قد عاينوا ما أخبرهم به من الرمي بالشهب التي يرمىٰ بها لطرد الشياطين ، فعزلوا بذلك عن سمع الملأ الأعلى ، وكان ما عاينه الكفار - من[4] الرمي الشديد العام - الذي انتقضت به العادة المعروفة من[5] رمي الشهب - دليلا[6] على سبب خارق للعادة ، ولم يحدث - اذ ذاك - في الأرض أمر لم تجر به العادة الا ادعاءه للرسالة ، فلم يعرف قبله[7] من نزل عليه الكلام كنزوله عليه . اذ كان موسى - عليه السلام - إنما أنزلت عليه التوراة مكتوبة[8] ، لم

---

(١) كَذبة : بنصب الكاف ، حيث أنه اسم مرّة ، ولو كان اسم هيئة لكسرت . انظر أوضح المسالك ، الى الفية ابن مالك : ٤٤٠ .

(٢) سورة الجن : ٨ - ٩ .

(٣) في ك و ط زيادة : (حين مبعثه) .

(٤) بداية جملة اعتراضية .

(٥) في ك و ط (في) بدلا من (من) .

(٦) نهاية الجملة الاعتراضية .

(٧) في ك و ط زيادة : (ولا بعده) .

(٨) والدليل قوله - تعالى - : ﴿ وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء ... ﴾ الآية . سورة الأعراف : ١٤٥ .

تنزل عليه منجمة (١) مفرقة ، ملقاة إليه حفظا ، حتى تحتاج السماء الى حراستها عن استراق سمعها . والزبور تابع لشرع التوراة ، وكذلك الإنجيل فرع على التوراة . لم ينزل كتاب مستقل (٢) إلا التوراة والقرآن كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين ﴾ (٢) ولهذا يقرن ـ سبحانه ـ بين التوراة والقرآن كثيرا كما في قوله : ﴿ وما قدروا الله حق قدره ، إذ قالوا : ما أنزل الله على بشر من شيء ، قل : من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس ..... ﴾ الى قوله : ﴿ وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه .... ﴾ (٣) وقال : ﴿ أفمن كان على بيّنة من ربه ، ويتلوه (٥) شاهد منه (٤) ، ومن قبله كتاب موسى ، إماما ورحمة ،

---

(١) أي نجما بعد نجم ، وكانت تنزل منه الآية والآيتان . اللسان ١٢ : ٥٦٩ .

(٢) سورة القصص : ٤٩ .

(٢) في ط (مستقبل) .

(٣) الأنعام : ٩١ ـ ٩٢ .

(٤) أي ويتبعه شاهد من الله ، وهو ما أوحاه إلى الأنبياء من الشرائع المطهرة . ولهذا قال ابن عباس وغيره : إنه جبريل ـ عليه السلام ـ وقال علي وغيره : هو محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكلاهما قريب في المعنى ، لأن كلا من جبريل ومحمد ـ صلوات الله عليهما ـ بلّغ رسالة الله ـ تعالى ـ ، فجبريل إلى محمد ، ومحمد إلى الأمة . تفسير القرآن العظيم ٤ : ٢٤٥ .

(٥) أي أنزله الله إلى تلك الأمة إماما لهم ، وقدوة يقتدون بها ، ورحمة من الله بهم ، فمن آمن بها حق الإيمان قاده ذلك إلى الإيمان بالقرآن ولهذا قال ـ تعالى ـ : ﴿ ... أولئك يؤمنون به ..... ﴾ . المصدر السابق ٤ : ٢٤٦ .

أولئك يؤمنون به ، ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده ..... ﴾ [1]
قال [2] سعيد بن جبير وغيره : "والأحزاب [3] هي الملل كلها [4] "، قال : "وهذا تصديق قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : (والذي نفسي بيده لا يسمع بي من هذه الأمة ، يهودي ولا نصراني ، ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار) وقرأ هذه الآية : ﴿ .... ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده ...﴾ [5] ".

---

(١) سورة هود : ١٧ .

(٢) في ط : (وقال) .

(٣) في ك و ط بدون عطف .

(٤) جامع البيان ، ت : شاكر ، ١٥ : ٢٧٩ - ٢٨١ . قال شاكر : (هذه الآثار عن سعيد بن جبير ، والتي روى فيها الخبر مرسلا ، رواه الحاكم في المستدرك ٢ : ٣٤٢ ، موصولا مرفوعا من حديث ابن عباس ، وذلك من طريق عبدالرزاق ، عن معمر ، عن أبي عمرو البصري ، عن سعيد ، عن ابن عباس ، وقال الحاكم : (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه) ووافقه الذهبي .

(٥) سورة هود : ١٧ .

(٥) أخرجه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - إلى جميع الناس ، ونسخ الملل بملته ، ١ : ١٣٤ (١٥٣) بمعناه . وأخرجه الحاكم ، ٢ : ٣٤٢ وأورده الهيثمي وقال : "رواه الطبراني ... وأحمد "، ٨ : ٢٦١ - ٢٦٢ . وهو في المسند للإمام أحمد ، ٤ : ٣٩٦ و ٤ : ٣٩٨ . وكلهم بمعناه .

وقالت الجن : ﴿ .... إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى ...﴾ (١) ، وقال النجاشي ـ لما سمع القرآن ـ : (إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة (٢) واحدة (٣)) .

ـ وأيضا ـ فكان معروفا عندهم إخبار الكهان عن الشياطين التي تسترق السمع ، فلما رأوا أن السماء قد حرست حرسا شديدا خلاف العادة ، علموا أن الشياطين منعوا استراق السمع ، وعلمت الجن ذلك كما تقدم ، وقد قالت الجن : ﴿ وأنّا لمسنا السماء ، فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا * وأنّا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا ﴾ (٥) .

---

(١) سورة الأحقاف : ٣٠ .

(١) في ك و ط زيادة : (الآية) .

(٢) المشكاة : الكوّة (الفتحة) غير النافذة . قال الكلبي :"وهو حبشي معرب". النهر المادّ من البحر المحيط بهامش البحر المحيط ، كلاهما لأبي حيان ، ٦ : ٤٥٣ .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١ : ٢٠١ ـ ٢٠٣ و ٥ : ٢٩٠ ـ ٢٩١ . قال الهيثمي :"رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير ابن اسحاق وقد صرح بالسماع". المجمع ٦ : ٢٧ .

(٤) في ك و ط زيادة : (وقال ورقة بن نوفل للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يا ابن أخي هذا هو الناموس ، الذي كان يأتي موسى) .

(٥) سورة الجن : ٨ ـ ٩ .

(٥) في ك و ط زيادة قوله ـ تعالى ـ : ﴿ وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض ؟ أم أراد بهم ربهم رشدا ؟ ﴾ .

وقد تواترت الأخبار بأنه حين المبعث كثر الرمي بالشهب ، وهذا (١) أمر خارق للعادة ، حتى خاف بعض الناس أن يكون ذلك لخراب العالم ، حتى نظروا ، هل الرمى بالكواكب التي في الفَلَك أم الرمى بالشهب ؟ فلما رأوا أنه بالشهب ، علموا أنه لأمر حدث (٢) . وأرسلت الجن تطلب سبب ذلك، حتى سمعت القرآن ، فعلموا (٣) أنه كان لأجل ذلك (٤) .

---

(١) سقطت (هذا) من أ و ك ، وقد أثبتناها من ط لأنها ضرورية لاستقامة الأسلوب .

(٢) أنظر ما رواه ابن اسحاق في السيرة النبوية لابن هشام ١ : ٢١٩ – ٢٢٠ . وما رواه البيهقي في الدلائل ٢ : ٢٤٠ – ٢٤١ .

(٣) في ك و ط (فعلمت) .

(٤) في ك و ط زيادة بمقدار صفحة أو أكثر كما يلي : (كما جاء في الصحيحين عن ابن عباس قال:"انطلق رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في طائفة من أصحابه ، عامدين إلى سوق عكاظ ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء ، وأرسلت عليهم الشهب ، فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا : ما لكم ؟ قالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء ، وأرسلت علينا الشهب . قالوا:ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا لأمر حدث ، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها ، فانظروا ما هذا الأمر الذي حدث . فانطلقوا فضربوا مشارق الأرض ومغاربها ينظرون ، ما هذا الأمر الذي حال بينهم وبين خبر السماء ؟ قال : فانطلقوا نحو تهامة الى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بنخلة وهو عامد الى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر ، فلما سمعوا القرآن تسمعوا له ، فقالوا : هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء ، فهنالك رجعوا إلى قومهم فقالوا : ﴿ ... إنا سمعنا قرآنا عجبا ﴿ يهدي إلى الرشد ، فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا ﴾ فأنزل الله على نبيه : ﴿ قل أوحى الىّ أنه استمع نفر من الجن ..... ﴾ . وروى الإمام أحمد عن ابن عباس قال : =

.....

= (كان الجن يستمعون الوحى فيسمعون الكلمة ، فيزيدون فيها عشرا ، فيكون ما سمعوا حقا وما زادوه باطلا ، وكانت النجوم لا يرمى بها قبل ذلك . فلما بعث النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان أحدهم لا يقعد مقعده إلا رُمى بشهاب يحرق ما أصاب . فشكوا ذلك إلى إبليس فقال : ما هذا إلا من أمر قد حدث ، فبث جنوده فاذا هم بالنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يصلي بين جبلي نخلة فأتوه فأخبروه ، فقال : هذا الحدث الذي حدث في الأرض".

وروى ابن أبي حاتم بإسناده عن السدى : زعم أن السماء لم تكن تحرس إلا أن يكون في الأرض نبي أو دين لله ظاهر . فكانت الشياطين قبل محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد اتخذت المقاعد في السماء الدنيا يستمعون ما يحدث في السماء من أمر ، حتى لما بعث الله محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ نبيا رُجموا ليلة من الليالي ، ففزع لذلك أهل الطائف ، فقالوا : هلك أهل السماء . لما رأوا من شدة النار في السماء واختلاف الشهب ، فجعلوا يعتقون أرقاءهم ويسيبون مواشيهم ، فقال لهم ، عبديالليل بن عمرو بن عمير : ويحكم يا معشر الطائف ، أمسكوا عن أموالكم ، وانظروا إلى معالم النجوم ،فإن رأيتموها مستقرة في أمكنتها ، فلم يهلك أهل السماء ، إنما هذا من أجل ابن أبي كبشة (يعني محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ) وإن أنتم لم تروها ، فقد هلك أهل السماء . فنظروا فرأوها فكفوا عن أموالهم . وفزعت الشياطين في تلك الليلة ، فأتوا إبليس فحدثوه بالذي كان من أمرهم ، فقال : ائتوني من كل أرض بقبضة من تراب أشمها ، فأتوه فشم ، فقال : صاحبكم بمكة ، فبعث سبعة نفر من جن نَصِيْبِيْن قدموا مكة ، فوجدوا نبي الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قائما يصلي في المسجد الحرام يقرأ القرآن ، فدنوا منه حرصا على القرآن حتى كادت كلاكلهم تصيبه ، ثم أسلموا فأنزل الله ـ عز وجل ـ شأن أمرهم على نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ).

وهذا من أعلام النبوة ودلائلها .

وقبل زمان البعث (*) وبعده ، كان الرمي خفيفا ، لم تمتلىء به السماء ، كما ملئت حين نزول القرآن ، وقال (١) ـ تعالى ـ : ﴿ هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ؟ ﴾ تنزل على كل أفاك أثيم ﴿ يلقون السمع (٢) وأكثرهم كاذبون ﴾ والأفاك : الكذاب . والأثيم : الفاجر (٣) ، كما قال (٤) : ﴿ لنسفعن بالناصية (٥) ﴾ ناصية كاذبة خاطئة ﴿ قال (٦) (٧) في الحديث المتفق على صحته : (عليكم بالصدق ، فإن الصدق يهدي إلى الجنة ، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا ، وإياكم والكذب ، فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن (٨) الفجور يدعو (٩) إلى النار ، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب

---

(١) في ك و ط (وقوله) .

(٢) سورة الشعراء : ٢٢١ ـ ٢٢٣ .

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم ٦ : ١٨٣ .

(٤) لنسفعن بالناصية : أي لنأخذن بالناصية ، والمراد بها جميع الشخص : أي سحبا إلى النار، وقيل : هو من سفعته النار والشمس : إذا غيرت وجهه إلى حال شديد ، وقال التبريزي : قيل : المراد لنسوّدن وجهه ، من السفعة : وهي السواد ، وكَفَت (أي الناصية) من الوجه لأنها في مقدمته . البحر المحيط ٨ : ٤٩٥ .

(٥) سورة العلق : ١٥ ـ ١٦ .

(٦) في ك و ط (وقال) بالواو العاطفة .

(٧) في ك و ط زيادة : (النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ) .

(٨) سقطت (إن) من ط .

(٩) في ك و ط : (يهدي) .

(*) هكذا في سائر النسخ (البعث) و (المبعث) أنسب .

عند الله كذابـــــا)[1] .

فالشياطين تنزل على من يَحْصُل مقصودها بنزولها عليـــه ، وهو المناسب لها في الكذب والفجور[2] . فأما الصادق البار ، فلا يحصل به مقصـــود الشياطين ، فإن الشيطان لا يطلب الصدق والبر ، وإنما يطلب الكـــذب والفجـــور .

ومحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما زال قومه يعرفونه بينهم بالصـــادق الأمين ، لم تُجَرب عليه كَذبـــةٌ واحدة . ولما جاءه الروح بالوحى لـــم يخبر بخبر واحد كذب ، لا عمدا ولا خطأ .

ومن تنزلت عليه الشياطين لابد أن يخبر بالكذب ، فإن الشياطين يلقـــون إليهم السمع ، ولا يلقون اليهم ما سمعوه على وجهه ، بل يكذبون فيـــه كثيرا . اذ كان أكثر الشياطين الذين ينزلون عليهم كاذبين فيما ينزلـون به عليهم .[3] والشياطين وان كان كلهم كاذبا ، فليس كل من ألقـــى

---

(١) الحديث رواه البخاري ، كتاب الأدب ، باب قول الله ـ تعالى ـ : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ... ﴾ وما ينهى عن الكذب ، ١٠ : ٥٠٧ (٦٠٩٤) من فتح الباري ، بمثله ، ورواه مسلـم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب قبح الكذب ... ، ٤:٢٠١٢-٢٠١٣ (٢٦٠٧) بمثله ، ورواه الموطأ معلقا ، كتاب الكلام ، بـاب ما جاء في الصدق والكذب ، ٢:٩٨٩ . بمثله . وأبـو داود ، كتاب الأدب ، باب في التشديد في الكذب ، ٤ : ٢٩٧ (٤٩٨٩) بمثله ، والترمذي ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء فـــي الصدق والكذب ، ٤ : ٣٤٧ (١٩٧١) بمثله ـ أيضا ـ .

(٢) في ك و ط (والإثم) .

(٣) في ك و ط (فإن) .

السمع يكذب فيما يلقيه ، بل قد يصدق أحدهم فيما يلقيه من السمع ويسترقه ، (١) ولكن أكثرهم يكذبون ، والذي يصدق منهم مرة يكذب مرات ، والذي ينزل عليه الشياطين أفاك أثيم (٢) .

فالفرق بين الصادق البار الذي يأتيه المَلَك (٣) ، والكاذب الأثيم الذي يأتيه الشيطان الرجيم ، فرق بيّن (٤) يعرف بأدنى معرفة بحال الاثنين . ولما كان الكاهن الذي يأتيه شيطان قد يخبر ببعض الأمور الغائبة ، بيّن ـ سبحانه ـ أن هذا يكون ـ وإن صدق في بعض الأخبار ـ كاذبا فاجرا ، والذي يأتيه (٥) بالكذب ، فلا يشتبه بمن لا يكذب ولا يفجر ، وهذا مما يبين أن النبي لا يكون إلا بارا معصوما أن يُصِر على ذنب .

---

(١) في ك و ط زيادة (ولو مرة) .

(٢) في ك و ط زيادة : (وفي صحيح البخاري عن عائشة قالت : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : (إن الملائكة تنزل في العنان ـ وهو السحاب ـ ، فتذكر الأمر قضى في السماء ، فيسترق الشياطين السمع فتوحيه إلى الكهان ، فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم) .

(٣) في ك و ط زيادة : (الكريم) .

(٤) في ك و ط (مبين) .

(٥) في ك و ط زيادة : (أيضا يأتيه) .

فصل (١)

(الدلائل القاطعة عند أهل مكة، على صدق الرسول ونبوته)

وقد ذكرنا أن قومه المعادين له غاية العداوة ، مازالوا معترفين بصدقه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وأنهم لم يجربوا عليه كذبا ، بل ومعترفين بأن مايقوله ليس بشعر ولاكهانة ، وأنه ليس بساحر. وكانوا في أول أمره يرسلون الى البلاد التي فيها علماء أهل الكتاب ، يسألونهم عنه ، لأن مكة لم يكن بها ذلك ، ففي الصحيحين عن ابن عباس : أن أبا سفيان بن حرب حدثه قال : " انطلقت إلى الشام في المدة التي كانت بيني وبين رسول الله-صلى الله عليه وسلم ـ قال : فبينما أنا بالشام إذ جيء بكتاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلى ـ إلى هرقل ، قال : وكان دِحية الكلبي جاء به فدفعه إلى عظيم بُصْرى، فدفعه عظيم بصرى إلى هِرَقل . فقال هرقل : هل هينا أحد من قوم هذا الرجل ، الذي يزعم أنه نبي ؟ قالوا : نعم.قال فدعيت في نفر من قريش ، فدخلنا على هرقل ، فأجلسنا بين يديه ، فقال : أيكم أقرب نسبا من هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي ؟ قال أبو سفيان فقلت أنا . فأجلسوني بين يديه ، وأجلسوا أصحابي خلفي ، فدعا بترجمانه ، فقال : قل لهم : إني سائل هذا عن هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي ، فان كذبني فكذبوه ، قال فقال (٢) : وأيم الله لولا مخافة أن يؤثر علي كذب لكذبت عليه . ثم قال لترجمانه : سله (٣) كيف حسبه (٤) فيكم؟

---

(١) سقطت (فصل) من ك .
(٢) في ك و ط (قال أبو سفيان) .
(٣) رسمت في أ هكذا : (ساله) .
(٤) في ك و ط (نسبه) .

قال : قلت : هو فينا ذو حسب (١) ، قال : فهل كان في آبائه من ملك ؟ قلت : لا.قال : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ماقال ؟ قلت : لا . (٢) " وذكر باقي الحديث :

وفي الصحيحين (٣) عن عبد الله بن مسعود ، حديث سعد بن معاذ (٤) ، لما قال لأمية (٥) : إنهم قاتلوك (يعني النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه) وفزع منه لذلك ، وقال لامرأته ذلك ، فقالت : والله مايكذب محمد . وقال هو ـ في رواية أخرى ـ : والله مايكذب محمد ، وعزم أن لايخرج خوفا من هذا ، وقال : والله لاأخرج من مكة . وأراد التخلف عن بدر ، حتى قال له أبو جهل : إنك متى يراك الناس قد تخلفت وأنت سيد هذا الوادي تخلفوا معك.

---

(١) في ط (نسب) .

(٢) رواه البخاري بمعناه ، كتاب بدء الوحي ، باب حدثنا أبو اليمان ... ، ١ : ٣١ ـ ٣٣ (٧) . من فتح الباري . ومسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب كتاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى هرقل ... ، ٣ : ١٣٩٣ (١٧٧٣) .

(٣) هذا ظن من الشيخ المؤلف ـ رحمه الله ـ وصوابه : " الصحيح " .

(٤) هو ابن النعمان الأنصاري الأشهلي ، أبو عمرو ، سيد الأوس ، شهد بدرا ،واستشهد من سهم أصابه بالخندق ، ومناقبه كثيرة . تقريب التهذيب ١ : ٢٨٩ ، وسير .. النبلاء ١ : ٢٧٩ ـ ٢٩٧ .

(٥) هو ابن خلف بن وهب بن حذافة الجمحي ، من جبابرة قريش ،أدرك الاسلام ولم يسلم ، بل مات كافرا في وقعة بدر ، قتله رجل من الأنصار من بني مازن سنة ٢ هـ . انظر السيرة لابن هشام ٢ : ٣٧١ .

فقال : أما إذ غلبتني فلأشترينّ أجود بعير بمكة ـ وذكّرته امرأته بقول سعد ، فقال : ما أريد أن أكون معهم إلا قريبا."(١)

---

(١) القصة رواها البخاري ، كتاب المغازي ، باب ذكر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ مَنْ يُقْتل ببدر ، ٧ : ٢٨٢ (٣٩٥٠) من فتح الباري . ورواها الامام أحمد في المسند ٥ : ٣٠٣ ت : أحمد شاكر ، ورواها البزار وفيها أنه نزل على عتبة بن ربيعة.قال الهيثمي :"رواه البزار ورجاله رجال الصحيح". المجمع ٦ : ٧٢ ـ ٧٣ .

(١) جاءت هذه الرواية في ك و ط هكذا : قال : " انطلق سعد فنزل على أمية بن خلف ، وكان أمية إذا انطلق إلى الشام ، فمر بالمدينة ينزل على سعد ، فقال لسعد : انتظر ، حتى إذا انتصف النهار وغفل الناس ، انطلقَ فطفت ، فبينما سعد يطوف ، إذا أبو جهل . فقال : من هذا الذي يطوف بالبيت ؟ فقال : أنا سعد ، فقال أبو جهل : تطوف بالبيت آمنا وقد آويتم محمدا وأصحابه ؟ قال : نعم ، فتلاحيا بينهما ،فقال أمية لسعد : لاترفع صوتك على أبي الحكم ، فإنه سيد أهل الوادي" ثم قال سعد : والله لان منعتني أن أطوف بالبيت لأقطعن مُتَّجرك بالشام ، قال : فجعل أمية يقول لسعد : لاترفع صوتك ، وجعل يمسكه ، فغضب سعد فقال : دعنا عنك ، فإني سمعت محمداـ صلى الله عليه وسلم ـ يزعم أنه قاتلك ، قال : اياي ؟ قال : نعم ، قال : والله مايكذب محمد إذا حدث ، فرجع الى امرأته فقال : اما تعلمين ماقال أخي اليثربي ؟ قالت : وماقال ؟ : قال زعم أن محمدا يزعم أنه قاتلي ، قالت : فوالله مايكذب محمد . قال : فلما خرجوا إلى (بدر) وجاء الصَّرِيخ ، قالت له أمرأته : أما ذكرت ماقال لك اخوك اليثربي ؟ قال : وأراد أن لايخرج ، فقال له أبو جهل : إنك من أشراف الوادي ، فسر يوما أو يومين ، فسار معهم فقتله رسول الله " .

وفي رواية أنه قال : والله مايكذب محمد ، وعزم أن لايخرج خوفا من هذا ، حتى قال له أبو جهل : إنك متى يراك الناس قد تخلفت وأنت سيد أهل الوادي تخلفوا معك . فقال : أما إذا غلبتني فلأشترين أجود بعير بمكة . وذكرته أمرأته بقول سعد ، فقال : ما أريد أن أكون معهم إلا قريبا .

وكذلك ماذكره أهل المغازي وغيرهم أن أُبَيّ[1] بن خلف[2] لما بلغه أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : أنا أقتله ، ثم طعنه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فخدشه ، وجعل أصحابه يُجَزِّعونه ويقولون : إنما هو خدش وليس بشيء ، فقال : والله لو كان بمضر لقتلهم ، أليس قال : " لأقتلنك "[3] .

وعن مجاهد قال : قال مولاي السائب بن أبي السائب[4] : كنت فيمن بنى البيت ،[5]

---

(١) في ط (أمية) .

(٢) هو ابن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو ، قتله رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بيده يوم أحد سنة ٣ هـ وقد مات بموضع يقال له : سَرْف ـ على ستة أميال من مكة ـ والمشركون قافلون (راجعون) به إلى مكة . انظر السيرة لابن هشام ٣ : ٨٩ و ١٣٥ .

(٣) السيرة لابن هشام ٣ : ٨٩ ، والمغازي للواقدي ١ : ٢٥٢ ، والبداية والنهاية ٤ : ٢٣ و ٣٢ .

(٤) هو ابن جبر المكي ، أبو الحجاج المخزومي المقري ، مولى السائب بن أبي السائب ، قال ابن حبان : مات سنة ١٠٢ أو ١٠٣ وهو ساجد ،بمكة وكان مولده سنة ٢١ هـ . تهذيب التهذيب ١٠ : ٤٢ ـ ٤٤ .

(٥) في جميع النسخ (السائب بن يزيد) وهو خطأ صوابه ما أثبتناه ، أما السائب بن يزيد فهو مولى عطاء من فوق . أسد الغابة ٢ : ١٧٠.

(٥) واسم أبي السائب هيفي بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي ، وقيل اسم أبي السائب " نميلة " وكان شريك النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبل المبعث بمكة ، وقيل غيره ، وقد اختلف في إسلامه ، والراجح أنه من المؤلفة قلوبهم ، وممن حسن إسلامه منهم. وهو مولى مجاهد بن جبر من فوق . المصدر السابق ، ٢ : ١٦٣ ـ ١٦٤ .

وان قريشا اختلفوا في الحَجَر[(١)] ، حين أرادوا أن يضعوه ، حتى كادوا يقع بينهم قتال بالسيوف ، فقالوا : اجعلوا بينكم أول رجل يدخل[(٢)] من الباب ، فدخل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكانوا يسمونه في الجاهلية الأمين. فقالوا : يامحمد قد رضينا بك[(٣)] .

---

(١) وهو الحَجر الأسود ، ويقال له : الركن . لأنه مبني في الركن . السيرة لابن هشام ١ : ٢٠٩ .

(٢) سقطت كلمة (يدخل) من أ ، وأثبتناها من ك و ط .

(٣) انظر المصدر السابق ١ : ٢٠٩ ـ ٢١٠ . ورواه الامام أحمد في المسند بمعناه ، ٣ : ٤٢٥ قال الهيثمي :"رواه أحمد ، وفيه هلال بن خباب وهو ثقة ، وفيه كلام ، وبقية رجاله رجال الصحيح". المجمع ٣ : ٢٩١ ـ ٢٩٢. وقال في موضع آخر :"وهو ثقة". المجمع ٨ : ٢٢٩ .

(٣) في ك و ط زيادة بمقدار نصف صفحة كالتالي : " وقال ابن اسحاق في قصة بناء البيت ، واختلاف قريش فيمن يضع الحجر ، وإنهم مكثوا على ذلك أربع ليال أو خمسا ، ثم اجتمعوا في المسجد ، فتشاوروا وتناصفوا ، فزعم بعض أهل الرواية : أن أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، وكان عامئذ أسن قريش كلهم ، قال : يامعشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب المسجد يقضي بينكم فيه . ففعلوا ، فكان أول داخل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلما رأوه قالوا : هذا الأمين قد جاء ، رضينا . هذا محمد ، فلما انتهى اليهم وأخبروه الخبر ، قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " هَلُم ثوبا " فأُتى به ، فأخذ الركن (يعني الحجر الأسود) فوضعه فيه بيده ، ثم قال : " ليأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا " ، ففعلوا . حتى إذا بلغوا به موضعه ، وضعه هو بيده ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ثم بنى عليه . وكانت قريش تسمى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبل أن ينزل عليه الوحي (الأمين).

وعن عقيل بن أبي طالب[1] قال : "جاءت قريش إلى أبي طالب ، فقالوا له : إن ابن أخيك يأتينا في كعبتنا وناديتنا[2] ، ويسمعنا مايؤذينا ، فإن رأيت أن تكفه عنا[3] فافعل . قال : فقال لي : ياعقيل ، التمس ابن عمك . قال : فأخرجته من كيس من أكياس شِعب أبي طالب ، فأقبل يمشي ، حتى انتهى إلى أبي طالب ،فقال له : يا ابن أخي ، والله ماعلمت إن كنت لي مطيعا وقد جاءني قومك يزعمون أنك تأتيهم في كعبتهم وناديهم ، فتسمعهم مايؤذيهم ، فإن رأيت أن تكف عنهم[4] ؟ قال فحلق ببصره إلى السماء فقال: " والله ما أنا بأقدر على أن أدع مابعثت به من أن يشعل أحدكم من هذه الشمس شعلة من النار " فقال أبو طالب : إنه - والله - ماكذب قط ، فارجعوا راشدين ، رواه البخاري في تاريخه[5] ، وأبو زرعة في الدلائل[6] ، ورواه ابن اسحاق قريبا من هذا اللفظ وقال : " فأخرجته من حِفْش[7] - وهو بيت صغير - وقال فيه : فظن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن قد بدا لعمه ، وأنه خاذله ومُسْلِمه ، وضعف عن القيام معه ، فقال : " ياعم لو وُضِعَت الشمس في يميني ، والقمر في يساري ، ماتركت هذا الأمر حتى يظهره الله ، أو أهلك في طلبه "[8] .

---

(١) هو : ابن عبد مناف بن عبد المطلب ، القرشي الهاشمي ،ابن عم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يكنى أبا يزيد ، أسلم قبل الحديبية ،وهاجر سنة ٨ هـ وشهد غزوة مؤته . ومات في خلافة معاوية سنة ٦٠ هـ وقيل بعدها . أنظر أسد الغابة ٣ : ٥٦٠ - ٥٦٣ ، وتقريب التهذيب ٢ : ٢٩ .

(٢) النادي : هو المجلس يندو (يجلس) فيه من حواليه ولايسمى ناديا حتى يكون فيه أهله ، وإذا تفرقوا عنه لم يكن ناديا . والجمع :الأندية هذا رأي صاحب التهذيب ،والراجح أن النادي : مُجْتَمع القوم وأهل المجلس فيقع على المجلس وأهله . انظر لسان العرب ١٥ : ٣١٧ ، مادة : ندي .

(٣) في ك وط (يكف)

(٤) في ك و ط (نحو) .

(٥) التاريخ الكبير للبخاري ، مجلد ٧ ،القسم الأول من الجزء الرابع من:٥٠ - ٥١ بمثله .

(٦) لم يذكر فؤاد سزكين لابي زرعة الرازي غير كتاب الزهد فقط . تاريخ التراث العربي ، م ١ ، ج ١ : ٢٨٢ ، والاعلام ٤ : ١٩٤ .

(٧) انظر ترتيب القاموس ١ : ٦٧٢ .

(٨) السيرة لابن هشام ، ١ : ٢٨٤ - ٢٨٥ بمعناه .

وفي الصحيحين عن عبد الله بن الصامت (١) قال : قال أبو ذر (٢) : خرجنا من قومنا غفار (٣) ، وكانوا يحلون الشهر الحرام ، فخرجت أنا وأخي أُنيس (٤) وأمنا (٥) ، فنزلنا على خال لنا ، فأكرمنا وأحسن الينا ، فحسدنا قومه ، فقالوا : إنك إذا خرجت عن أهلك خالف اليهم أنيس ، فجاء خالنا فثنا (٦) علينا الذي قيل له ، فقلت له : أما مامضى من معروفك فقد كدرته ولاجماع لك فيما بعد.فقربنا صِرمتنا (٧) ، فاحتملنا عليها ، وتغطى خالنا بثوبه (٨) يبكي ، وانطلقنا حتى نزلنا بحضرة مكة ، فنافر أنيس (٩) رجلا عن (١٠)

---

(١) هو الغفاري البصري ، قال العجلي : بصري تابعي ثقة ، وذكره البخاري في (التاريخ) الأوسط،في فصل من مات بين السبعين إلى الثمانين ، وهو من الطبقة الثالثة . تهذيب التهذيب ٥ : ٢٦٤ .

(٢) هو الغفاري ، الصحابي المشهور ، اسمه : جندب بن جنادة على الأصح ، تقدم اسلامه وتأخرت هجرته ، فلم يشهد بدرا ، ومناقبه كثيرة جدا ، مات سنة ٣٢ هـ في خلافة عثمان ـ رضى الله عنهما ـ . تقريب التهذيب ٢ : ٤٢٠ ، وسير النبلاء ٢ : ٤٦ ـ ٧٨ .

(٣) هم بطن ضخم ، وهم ينتسبون إلى غفار بن مُلَيْل بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن مَعَد بن عدنان . انظر جهرة انساب العرب : ١٨٦ و ١٨٠ و ١٢ .

(٤) هو ابن جنادة الغفاري ، وقد اختلف في نسبه اختلافا كثيرا . الاصابة ١ : ١٥٧ .

(٥) لم اقف لأم أبي ذر على ترجمة .

(٦) خالف : أي ذهب كل واحد إلى خلاف ماذهب اليه الآخر وهو ضد الاتفاق . ومرادهم : أن أنيس يريد بهم الفساد . ثنا : من الثني،وهو الأمر يعاد مرتين . المصباح : ١٧٩ و ٨٧ .

(٧) كدرتَه : أي أزلتَ صفاءه . لاجماع لك : أي لن نجتمع بك بعد هذا . الصّرمة : هي الناقة التي لالبن لها . انظر المصدر السابق ١ :١٠٩ و ٢ : ٥٢٧ . واللسان ١٢ : ٣٣٧ مادة : صرم.

(٨) في ك و ط : (ثوبه) .

(٩) نافر : اي غالب . ترتيب ٤ : ٤١٢ .

(١٠) سقطت (رجلا) من أ .

صرمتنا وعن مثلها ، فأتينا (١) الكاهن (٢) فخير أنيسا ، فأتى بصرمتنا ومثلها معها . قال : وقد صليتُ يا ابن أخي قبل أن ألقىٰ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بثلاث سنين . قلت : لمن ؟ قال : لله . قلت : فأين توجه ؟ قال : أتوجه حيث يوجهني ربي ، أصلى عشاء ، حتى إذا كان من آخر الليل أُلقِيتُ كأني خِفَاء (٣) ، حتى تعلوني الشمس . فقال أنيس : ان لي حاجة بمكة فاكفني . فانطلق أنيس حتى أتى مكة فراث على (٤) (٥) ، ثم جاء فقلت : ماصنعت ؟ قال : لقيت رجلا بمكة على دينك ، يزعم أن الله أرسله . قلت : فما يقول الناس ؟ قال : يقولون : شاعر ، كاهن ، ساحر . وكان أنيس أحد الشعراء ، قال أنيس : لقد سمعت قول الكهنة (٦) ، فما هو بقولهم ، ولقد وضعت قوله على أقراء الشعراء ، فما يلتئم (٧) على لسان أحد يقري (٨) بعدي أنه شعر ، والله إنه لصادق وإنهم لكاذبون . قال : قلت : فاكفني حتى أذهب فأنظر ، قال (٩) : فأتيت مكة فضعُفت (١٠) رجلا منهم فقلت : أين هذا الذي تدعونه الصابيء ؟

---

(١) في ك و ط :(فأتيا) .
(٢) انظر هامش رقم ٦ .

(٣) الخفاء : هو الكساء الذي يغطى به السقاء (القربة) . مختار : ١٨٣
(٣) في ط (خفا)
(٤) في أ و ط (فرات) والصواب ما أثبتناه من ك .
(٥) أي أبطأ علي اللسان ٢ : ١٥٧ مادة : ريث .
(٦) الواحد منهم : كاهن وهو الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان ، ويدعي معرفة الأسرار . المصدر السابق ١٣ : ٣٦٣ ، مادة (كهن).
(٧) يلتئم ، من الملاءمة ، وهي الموافقة ، أي لايتوافق مع الشعر على لسان أي شاعر . انظر اللسان ١٢ : ٥٥٨ ، مادة : لوم .
(٨) سقطت (يقرى) من أ .
(٩) في ك و ط زيادة :" قال : نعم ، وكن على حذر من أهل مكة ، فانهم قد سبقوا له وتجهموا " .
(١٠) في ط : (فضفت) وهو تحريف ، ومعنى : استضعفته : أي وجدته ضعيفا فألقيت عليه السؤال . انظر المصدر السابق ٩ : ٢٠٣ . مادة : ضعف .

فأشار الى فقال : الصابىء ،فمال عليَّ أهل الوادي بكل مَدَرة[1] وعظم حتى خررت مغشيا على..." وذكر الحديث وصفة إسلامه ـ رضى الله عنه ـ بلفظ مسلم[2] .

وفي حديث البخاري عن ابن عباس : أن أبا ذر أرسل أخاه وقال : اعلم لي علم هذا الرجل ، الذي يزعم أنه يأتيه الخبر من السماء ، فاسمع من قوله ثم ائتني ، فانطلق الآخر حتى قدم مكة ، وسمع من قوله ، ثم رجع إلى أبي ذر فقال : رأيته يأمر بمكارم الأخلاق ، وكلاما ماهو بالشعر .

فقال : ماشفيتني[3] فيما أردت ، فتزود وحمل شَنة[4] له فيها ماء حتى قدم مكة ، فأتى المسجد[5] ..." وذكر تمام الحديث .

وعن جابر بن عبد الله قال : قال الملأ[6] وأبو جهل[7] : لقد غَلَبَنا أمر محمد ، فلو التمستم رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر ، فأتاه فكلمه ،وأتانا[8] ببيان من أمره .

---

(١) كان يقال للرجل اذا أسلم في زمن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ (صبأ) عنوا أنه : خرج من دين الى دين ، المدرة : واحدة المدر ، وهو قطع الطين اليابس ، المصدر السابق ١ : ١٠٧ مادة صبا ، و ٥ : ١٦٢مادة :مدر.

(٢) رواه البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب اسلام ابي ذر ... ، ٧ :١٧٣ (٣٨٦١) من فتح الباري ، بمعناه . ورواه مسلم ، كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل ابي ذر ، ٤ : ١٩١٩ (٢٤٧٣) .

(٣) أصل استعمال الشفاء في البرء من المرض ، ثم نقل من شفاء الأجسام إلى شفاء القلوب والنفوس . اللسان ١٤: ٤٣٧ . مادة : شفى .

(٤) أي قربة خَلَقٌ (بالية) صغيرة . ترتيب ٢ : ٧٦٦ .

(٥) سبق تخريجه في الحديث الذي قبله .

(٦) هو ابن عمرو بن حرام ، الأنصاري ثم السَّلمى ، صحابي ابن صحابي ، غزا تسعة عشرة غزوة ، ومات بالمدينة بعد السبعين وله ٩٤ سنة . تقريب التهذيب ١ : ١٢٢ ، وسير ... النبلاء ٣ : ١٨٩ ـ ١٩٤ .

(٧) هم أشراف القوم ، سمو بذلك لملأتهم ،بمايلتمس عندهم من المعروف وجودة الرأي ، أو لأنهم يملأون العيون أبهة والصدر هيبة ، والجمع " أملاء" المصباح : ٥٨٠

(٨) في ك و ط (فأتانا) .

قال (١) عتبة (٢) بن ربيعة : والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر ،وعلمت من ذلك علما ، فما يخفى علىّ إن كان كذلك . فأتاه فلما خرج اليه قال أنت ـ يامحمد ـ خير أم هاشم (٣) ؟ وأنت (٤) خير أم عبد المطلب ؟ أنت خير أم عبد الله (٥) ؟ فيم تشتم آلهتنا وتضلل آباءنا ؟ فان كنت انما بك الرياسة عقدنا لك الرياسة ، فكنت رأسنا مابقيت . وان كان بك الباه (٦) ، زوجناك عشر نسوة تختار من اي بنات قريش شئت . وإن كان بك المال ، جمعنا لك ماتستغني به أنت وعقبك من بعد ، ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ساكت لايتكلم ، (٧) فلما فرغ قرأ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ حم ﴿ تنزيل من الرحمن الرحيم ﴾ كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون ﴿ ـ الى قوله ـ : (فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ﴾ (٨) فأمسك عتبة على فيه ، وناشده بالرحم (٩) أن يكف ، ورجع الى أهله (١٠) ،

---

(١) في ط : (وقال) .

(٢) هو ابن عبد شمس بن عبد مناف ، قتل مشركا ببدر سنة ٢ هـ ، قتله عبيدة ابن الحارث بن عبد المطلب ، قال ابن هشام : اشترك فيه هو وحمزة وعلي . السيرة لابن هشام ٢ : ٣٦٦ .

(٣) هو ابن عبد مناف بن قصي من كلاب أبو نضلة . وأمه : عاتكة بنت مرة بن هلال ، تولى السقاية والرفادة ، ومات بغزة وله ٢٠ سنة وقيل : ٢٥ سنة ، وهو أول من مات من بني عبد مناف ، وكان موسرا جوادا . الكامل ١ : ٢٦٧ و ٢ : ١٠ ، والبداية والنهاية ٢ : ٢١٠و٢٥٣.

(٤) في ك و ط (أنت) .

(٥) أي والد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ، وأمه : فاطمة بنت عمرو ابن عائذ بن عمران بن مخزوم . مات وأم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حامل به . السيرة لابن هشام ١ : ١١٤ و ١٦٧ .

(٦) الباه : النكاح والجماع . انظر ترتيب ١ : ٣٤٥

(٧) في ك و ط (بعدك) .

(٨) سورة فصلت : ١ ـ ١٣ .

(٩) من (نَشَدتك) الله ، وبالله (أنشدك) ذكّرتك به واستعطفتك ،أوسألتك به مقسما عليك . المصباح : ٦٠٥ .

(١٠) الرحم : موضع تكوين الولد ، ثم سميت القرابة والوُصْلَة من جهة الولاء (رَحِما) ، فالرحم : خلاف الأجنبي ، وهو أنثى في المعنيين . المصدر السابق : ٢٢٣ .

فلم يخرج الى قريش ، فاحتبس عنهم عتبة ، فقال أبو جهل : يامعشر قريش ، والله مانرى عتبة إلا قد صبأ(١) الى محمد وأعجبه طعامه ، وماذاك إلا من حاجة أصابته ، فانطلقوا بنا اليه ، فأتاه أبو جهل فقال : ياعتبة ماحبسك عنا إلا أنك صبوت إلى محمد وأعجبك أمره ، فإن كانت بك حاجة جمعنا لك من أموالنا مايغنيك عن طعام محمد ، فغضب ، وأقسم أن لايكلم محمدا أبدا ، وقال : لقد علمتم أني من أكثر قريش مالا ، ولكني أتيته وقصصت عليه القصة فأجابني بشيء والله ماهو بشعر ولاكهانة ولاسحر : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ حم ﴿ تنزيل من الرحمن الرحيم ﴾ كتاب فصلت آياته ... ﴿ الى قوله -: ﴿... أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ﴾(٢) فأمسكت بفيه ، وناشدته الرحم أن يكف ، وقد علمتم أن محمدا إذا قال شيئا لم يكذب ، فخفت أن ينزل بكم العذاب " رواه أبو بكر أحمد بن مردوية(٣) ، في كتاب التفسير(٤) عن محمد بن فضيل عن الأجلح(٥) عن الذيال(٦) بن حرملة(٧) عنه ، ورواه يحيى

---

(١) في ط (صبى) .

(٢) سورة فصلت : ١ - ١٣ .

(٣) هو أحمد بن موسى بن مردويه بن فُوْرَك بن موسى بن جعفر الأصبهاني ، أبو بكر . الحافظ المجود العلامة ، محدث أَصْبهان ولد سنة ٣٢٣ هـ ومات سنة ٤١٤ هـ . له كتاب التفسير الكبير والتاريخ والأمالي والمستخرج على صحيح البخاري . سير أعلام النبلاء ١٧ : ٣٠٨ - ٣١١ .

(٤) لم يذكر د. سزكين شيئا عن تفسير ابن مردوية سوى قوله : " ومنه نقول في الاصابة لابن حجر ... " ثم ذكر مواضعها هناك . تاريخ التراث العربي ، م ١ ، ج ١ : ٤٦٣ (٣٠٣) .

(٥) محمد بن فضيل ، هو ابن غزوان بن جرير الضبي مولاهم ، أبو عبد الرحمن الكوفي ، صدوق عارف ، رمي بالتشيع ، من الطبقة التاسعة ، مات سنة ٢٩٥ هـ تقريب ٢ : ٢٠٠ : ٢٠١ ، وتهذيب ٩ : ٤٠٥ - ٤٠٦ .

(٦) الأجلح هو عبد الله بن حجيَّه ، ويقال : معاوية ، الكندي ، أبوحجية ، ويقال ، اسمه يحيى ، والأجلح : لقب ، وثقه ابن معين وغيره وضعفه آخرون ، مات سنة ١٤٥ هـ تهذيب ١ : ١٨٩ .

(٧) الذيال بن حرملة ، هو الأسدي ، كوفي ، وثقه ابن حبان ، قال ابن حجر: نسبه البخاري . تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة : ١٢٢ ، لأحمد إبن علي بن حجر العسقلاني - ٨٥٢ هـ دار الكتاب العربي ، بيروت .

(٧) في ك و ط (الدبال) .

ابن معين عن محمد بن فضيل (١) ، ورواه أبو يعلى الموصلي (٢) في مسنده (٣) ، ورواه عبد بن حميد (٤) عن شيخ أبي يعلى ابن أبي شيبة (٥) .

وفي بعض الطرق : " ان كنت تزعم أن هؤلاء خيرا (٦) منك فقد عبدوا الآلهة . وإن كنت تزعم أنك خيرا (٧) منهم فتكلم حتى نسمع " ورواه ابن إسحاق قال: حدثني يزيد بن زياد مولى لبني هاشم (٨) عن محمد بن كعب (٩) قال : حُدثت أن عتبة بن ربيعة وكان سيدا حليما .." وذكر الحديث إلى أن قال - : "لما جلس إليهم قالوا : ماوراءك يا أبا الوليد (١٠) ؟ قال : ورائي اني - والله - قد سمعت قولا ماسمعت بمثله قط ،والله ماهو بالشعر ولاالسحر ولاالكهانة ،يامعشر قريش أطيعوني ، واجعلوها بي ، خلوا بين هذا الرجل وبين ماهو فيه (١١) ،

---

(١) هو ابن عون الغطفاني ،مولاهم ، أبوزكريا البغدادي ، ثقة حافظ مشهور ، إمام الجرح والتعديل ، مات بالمدينة النبوية سنة ٢٣٣ هـ وله بضع وسبعون سنة . تقريب ٢ : ٣٥٨ .

(٢) هو أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي الموصلي، الامام الحافظ ،الثقة ، محدث الجزيرة . شيخ الاسلام . ولد سنة ٢١٠ هـ وتوفى سنة ٣٠٧ هـ أُثني عليه وعلى مسنده كثير من الأئمة. انظر سير أعلام النبلاء ١٤ : ١٧٣ - ١٨٢ ، وطبقات الحفاظ : ٣٠٩ .

(٣) مسند أبي يعلى بدأ في الآونة الأخيرة يخرج من عالم الكتب الخطية حيث قام كل من د . فالح الصغير والشيخ مسفر بن سعيد بن دماس والشيخ عبد الله بن حمود التويجري بالعمل على تحقيق أكثر المسند المذكور،على هيئة رسائل دكتوراه . ولعلهم أو بعضهم يكملونه ، وقد قامت إحدى دور النشر بنشر عدة أجزاء منه بشيء من التحقيق .

(٤) عبد بن حُمَيد هو ابن نصر الكِسّي ،أبو محمد ، قيل اسمه : عبد الحميد. ثقة ،حافظ ، مات سنة ٢٤٩ هـ تقريب ١ : ٥٢٩ ، وتهذيب ٦:٤٥٥.

(٥) هو عثمان بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العَبْسي ،أبو الحسن بن أبي شيبة الكوفي ، ثقة ، حافظ شهير ، وله أوهام ، وقيل كان لايحفظ القرآن من الطبقة العاشرة . مات سنة ٢٣٩ هـ وله ٨٣ سنة . تقريب ٢ : ١٤،وسير النبلاء ١١ : ١٥١ - ١٥٤ .

(٦) في ط (خير) .

(٧) في ط (خير)

=

.....

= (٨) ويقال : ابن أبي زياد ، ويقال : يزيد بن زياد بن أبي زياد ، المدني ، مولى عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي ، ويقال اسم أبي زياد : ميسرة ، ويقال : انهما اثنان . قال النسائي : ثقة ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال البخاري : لايتابع على حديثه . تقريب ٢ : ٣٦٤ ، وتهذيب ١١ : ٣٢٨ .

(٩) محمد بن كعب ، هو ابن سليم بن أسد ، أبو حمزة القرظي المدني ، وكان قد نزل الكوفة مدة ، ثقة عالم ، من الطبقة الثالثة ، ولد سنة ٤٠ هـ قال البخاري : ان أباه كان ممن لم ينبت من بني قريظة ، مات سنة ١٢٠ هـ وقيل قبل ذلك . تقريب ٢ : ٢٠٣ ، وتهذيب ٩ : ٤٢٠ – ٤٢٢ .

(١٠) سقطت الف (أبا) من أ .

(١١) في ك و ط (واجعلوني) .

واعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ ، فان تصيبه العرب[1] فقد كُفيتموه بغيركم ، وان يظهر على العرب فملكه ملككم ، وعزه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به . فقالوا : سحرك[2] ـ والله ـ يا أبا الوليد بلسانه ، قال : هذا رأيي لكم ، فاصنعوا مابدا لكم[3] . ثم ذكر شعر أبي طالب يمدح عتبة فيما قال[4] .

---

(١) من رماه فاصابه . المصباح ١ : ٣٥٠ .

(٢) في ط : (أسحرك) .

(٣) السيرة لابن هشام ١ : ٣١٣ ـ ٣١٤ .

(٤) في السيرة لابن هشام لم يذكر الشعر بعد الرواية ، ولعل فيما يقصده الشيخ المؤلف قصيدة أبي طالب التي في السيرة ١ : ٢٩١ ـ ٢٩٩ وفيها قوله :

وسائل أبا الوليد ماذا حبوتنا ... بسعيك فينا معرضا كالمخاتل

وكنت امرأ ممن يعاش برأيه ... ورحمته فينا ولست بجاهل

فعتبة لاتسمع بنا قول كاشح ... حسود كذوب مبغض ذي دغاول

وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال : قدم ضماد[1] مكة وهو رجل من أزد شنوءة ، وكان يرقى من هذه الريح[2] ، فسمع سفهاء[3] من أهل مكة يقولون: إن محمدا مجنون ، فقال : لو أني رأيت هذا الرجل ، لعل الله أن يشفيه على يدي ،قال: فلقيت محمدا ، فقلت : إني أرقي من هذه الريح ، وإن الله يشفي على يدي من شاء،فهلم[4] . فقال محمد[*] : " إن الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه[5] ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلاهادي له ، أشهد أن لا اله إلا الله وحده لاشريك له ، وأن[6] محمدا عبده ورسوله ، أما بعد"قال: فقال : أعِدْ عَلَيّ كلماتك[7] هؤلاء . فأعادهن عليه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ،ثلاث مرات ،فقال : والله لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء ، فما سمعت بمثل كلماتك هؤلاء ، ولقد بلغن ناعوس[8] البحر .

---

(١) ضماد : هو ابن ثعلبة الأزدي ، كان صديقا للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الجاهلية ، وكان رجلا يتطبب ويرقي ويطلب العلم ، أسلم أول الاسلام . أسد الغابة ٢ : ٤٣٨ .

(٢) المراد بالريح هنا : الجنون ومس الجن ، وفي غير رواية مسلم :"يرقى من الأرواح"، أي الجن ، سموا بذلك لأنهم لايبصرهم الناس ، فهم كالروح والريح . شرح النووي لمسلم ٩ : ١٥٧ . م ٣ .

(٣) ليس في ك و ط (من) .

(٤) هلم : تعال ، مختار : ٦٩٨ .

(٥) في ط زيادة (ونسترشده) .

(٦) في ك وط زيادة (أشهد) .

(٧) سقطت (قال) قبل (فقال) من ك و ط .

(٨) في أ (ناموس السحر) هكذا ، وفي ك و ط " ناموس البحر " وقد أثبتنا مافي متن صحيح مسلم ، كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة ، ٢ : ٥٩٣ (٨٦٨) ومافي شرح النووي له ٦ : ١٥٧ م ٣ . قال النووي هنا : ضبطناه بوجهين : أشهرهما : ناعوس ـ بالنون والعين ، هذا هو الموجود في أكثر نسخ بلادنا ، والثاني : قاموس ـ بالقاف والميم ـ وهذا الثاني هو المشهور في روايات الحديث في غير صحيح مسلم ،وقال القاضي عياض : أكثر نسخ صحيح مسلم وقع فيها : قاعوس ـ بالقاف والعين ـ وفي غيرها : ناعوس ـ بالنون والعين ـ وقاموس البحر ـ وسطه أولُجته أو قعره الأقصى .

(*) هكذا في سائر النسخ ، والذي في متن مسلم (رسول الله) .

قال : فقال : هات يدك أبايعك على الإسلام ، قال : فبايعه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : " وعلى قومك " فقال : وعلى قومي (١) ، الحديث .

وعن ابن عباس . أن الوليد (٢) بن المغيرة جاء الى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقرأ (٣) عليه من القرآن : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ، يعظكم لعلكم تذكرون (٤) ﴾ قال : أعد ، فأعاد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال :" والله إن له الحلاوة ، وإن عليه لَطَلاوة (٥) ، وان أعلاه لمثمر ، وان أسفله لمغدق (٦) ، وما يقول هذا البشر" .

وفي لفظ (٧) : أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقرأ عليه القرآن ، فكأنّه رق له ، فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه فقال :

---

(١) رواه مسلم بمثله ، كتاب الجمعة ، باب تخفيق الصلاة والخطبة ، ٢ : ٥٩٣ ـ ٥٩٤ (٨٦٨) .

(٢) هو ابن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، أبو عبد شمس ، من قضاة العرب في الجاهلية ،ومن زعماء قريش ومن زنادقتها ، كان قد حرم الخمر في الجاهلية ، وضرب ابنه هشاما على شربها ، وأدرك الاسلام وهو شيخ هَرِم فعاداه وقاوم دعوته ، وهو والد سيف الله خالد بن الوليد ، مات بعد الهجرة بثلاثة أشهر ، وله ٩٥ سنة . انظر الأعلام ٨ : ١٢٢ لخير الدين الزِّركلي ـ ١٣٩٦ هـ ،ط ٥ ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٠م .

(٣) في ك و ط زيادة : (فقال إقرأ علي) .

(٤) سورة النحل : ٩٠ .

(٥) الطَّلاوة ـ بفتح الطاء وضمها ـ : الرونق والحسن والبهجة والقبول في النامي وغير النامي ، والضم اللغة الجيدة . وهو الأفصح . انظر لسان العرب ١٥ : ١٤ مادة : طلي .

(٦) المغدق : المطر الكبار القطر . المصدر السابق ١٠ : ٢٨٣ مادة : غدق .

(٧) في ك و ط زيادة : (قال ابن عباس) .

يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا . قال : ولم ؟ قال : ليعطوكه ، فإنك أتيت محمدا لتعوض مما قِبَلَه . قال : قد علمت قريش أني من أكثرها مالا . قال : فقل فيه قولا (١) يبلغ قومك أنك منكر لها (٢) وأنك كاره له . قال : وماذا أقول ؟ فوالله (٣) مافيكم رجل أعلم بالأشعار مني ، ولا أعلم برجزه (٤) ولا بقصيده (٥) مني ،والله مايشبه الذي يقول شيئا من هذا ، ووالله إن لقوله الذي يقول لحلاوة ، وإن عليه لَطَلاوة ، وإنه لمثمر أعلاه ،مغدق أسفله ، وإنه ليعلو ومايعلى ، وإنه ليَحْطِم (٦) ماتحته . قال : لاترضى عنك قومك حتى تقول فيه . قال : فدَعْنِي حتى أفكر فيه . فلما فكر قال :

---

(١) في ك و ط (ولاتبلغ) بدل قوله : (قولا يبلغ) .

(٢) في ك و ط (منكر له) .

(٣) في ط (والله) .

(٤) الرَّجَز : ضرب من الشعر ، وزنه : مستفعلن ، ست مرات ، سمي بذلك لتقارب أجزائه وقلة حروفه . وزعم الخليل : أنه ليس بشعر وإنما هو أنصاف أبيات ، وأثلاث ، والأُرجُوزة : القصيدة منه ، جمعه : أراجيز . ترتيب القاموس ٢ : ٣٠٦ .

(٥) هكذا في ط ، وفي أ و ك (قصيدة) وما أثبتناه أولى .

(٥) القصيد : ماتم شطر أبياته ، وليس إلا ثلاثة أبيات فصاعدا ، أو ستة عشر فصاعدا ، ترتيب ٣ : ٦٢٩ .

(٦) من الحَطْم ، وهو الكسر . ترتيب ١ : ٦٦٦

هذا سحر يؤثر ، يَأْثره عن غَيره . فنزلت : * ذرني ومن خلقت وحيـــــدا *[1]
رواه عبد الرزاق عن مَعْمَر[2] [3] [4] عن أيوب[5] عن عكرمة[6] عنه .

وفي رواية أخرى " أن الوليد بن المغيرة اجتمع ونفر من قريش ، وكان ذا سن فيهم ، وقد حضر الموسم فقال : إن وفود العرب ستقدم عليكم فيـــه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا ،فأجمعوا[7] فيه رأيا واحدا ولاتختلفوا ،فيكذب بعضكم بعضا[8] ، ويرد بعضكم قول بعض ، فقالوا : فأنت يا أبا عبد شمس فقل،

---

(١) سورة المدثر : ١١ .
(١) رواه ابن جرير في جامع البيان ٢٩ : ١٥٦ ، بنحوه .
(٢) عبد الرزاق : هو ابن همام بن نافع الحِمْيَري ، مولاهم ، أبو بكـــر الصنعاني ، الثقة ، الشيعي ، حافظ مصنف شهير ، عمي في آخر عمـــره فتغير ، مات سنة ٢١١ هـ وله ٨٥ سنة . سير .. النبلاء ٩ : ٥٦٣ - ٥٨٠. تقريب ٢ : ٥٠٥ .
(٣) معمر ، هو ابن راشد الأزدي ، مولاهم ، البصري ، أبو عروة ، نزيـــل اليمن ، ثقة ثبت فاضل ، إلا أن في روايته عن ثابت والأعمش وهشام بـن عروة شيئا ، وكذا فيما حدث به بالبصرة ، مات سنة ١٥٤ هـ وله ٥٨سنه. تقريب ٢ : ٢٦٦ ، وتهذيب ١٠ : ٢٤٣ .
(٤) أيوب ، هو ابن أبي تميمة - كيسان - السختياني، أبو بكر البصري ، ثقة ثَبْت حجة ، من كبار فقهاء العُبَّاد . مات سنة ١٣١ هـ وله ٦٥ سنة ، تقريب ١ : ٨٩ ، وتهذيب ١ : ٣٩٧ .
(٥) عكرمة ، هو ابن عبد الله القرشي ، مولاهم ، أبو عبد الله ، المدنـــي البربري الأصل ، الحافظ المفسر العلامة ، مات سنة ١٠٧ هـ سير .. النبلاء ، ٥ : ١٢ - ٣٦ ، وتقريب ٢ : ٣٠ ، وتهذيب ٧ : ٢٦٣ .
(٦) اي عن ابن عباس - رضى الله عنهما - .
(٦) تتبعت المصنف لعبد الرزاق فلم أوفق في العثور على هذا الحديث فيه .
(٧) أجمعوا ، أي اتفقوا ، من الإجماع . ترتيب ١ : ٥٣٠ .
(٨) هي كنية الوليد بن المغيرة .

وأقم لنا رأيا نقوم به . فقال : بل أنتم فقولوا وأنا أسمع ، فقالوا: نقول كاهن ، فقال : ماهو بكاهن ، لقد رأيت الكهان ، فما هو بزمزمة(١) الكهان . فقالوا : نقول مجنون . فقال : ماهو بمجنون ، لقد رأينا المجنون وعرفناه ، فما هو بخنقه(٢) ولاتخالجه(٣) ولا وسوسته(٤) . قالوا : فنقول شاعر ، فقال : ماهو بشاعر ، قد عرفنا الشعر برجزه(٥) وهزجه(٦) وقريضه ومقبوضه(٧) ومبسوطه ، فما هو بالشعر . قالوا : فنقول ساحر ، قال : فما هو بساحر قد رأينا السُّحار وسحرهم،فما هو بنَفْثه(٨) ولاعَقْده . فقالوا : مانقول

---

(١) الزمزمة : الصوت البعيد له دوى ، وتراطن العلوج على أكلهم وهم صُمُوت ، لايستعملون لسانا ولاشفة ، لكنه صوت تديره - أي العلوج - في خياشيمها وحلوقها فيفهم بعضها عن بعض . ترتيب ٢: ٤٧٦ .

(٢) من الخَنَاق ، وهو داء أوريح يأخذ الناس والدواب في الحلوق . اللسان ١٠: ٩٢ مادة : خنق .

(٣) من تخلج المجنون في مشيته ، أي تجاذب يمينا وشمالا ، المصدر السابق ، ٢ : ٢٥٨ ، مادة : خلج .

(٤) من الوَسْوَسة وهي الصوت الخفي . المصدر السابق ٦ : ٢٥٤ مادة : وسس .

(٥) الهزج : كل كلام متدارك متقارب ، وبه سمي جنس من العروض . ترتيب ٤ : ٥٠٧ .

(٦) القريض : اسم عام للشعر . انظر مختار الصحاح : ٥٢٩ .

(٧) المقبوض : من القبض في زحاف الشعر ، وهو حذف الحرف الخامس الساكن من الجزء ، نحو النون في فعولن ، أينما تصرفت ، ونحو الياء من مفاعيلن ، وكل ماحذف خامسه فهو مقبوض ، وإنما سمى مقبوضا ليفصل بين ماحذف أوله وآخره ووسطه . والمبسوط : هو البسيط : جنس من العروض ، سمي به لانبساط أسبابه ، قال أبو اسحاق : انبسطت فيه الأسباب ، فصار أوله مستفعلن ، ففيه سببان متصلان في أوله . لسان العرب ٧ : ٢١٥ و ٢٦٠ ، مادة : قبض ،و : بسط .

(٨) النفث والعقد : فعل السحرة ، عندما يعقدون عقدا في خيوط أو غيرها وينفثون عليها ويرقون الرقى السحرية . أنظر البحر المحيط ٨ : ٥٣١ .

يا أبا عبد شمس؟ قال : والله إن لقوله حلاوة ، وإن أصله لَغَدِق ، وإن فرعه لَجَنَى[١] ، فما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا عرف أنه باطل ،وإن أقرب القول أن تقولوا : ساحر يفرق بين المرء وبين أبيه ، وبين المرء وبين أخيه ، وبين المرء وزوجته ، وبين المرء وعشيرته . فتفرقوا عنه ، فجعلوا يجلسون للناس حين قدموا الموسم ، لايمر بهم أحد إلا حذروه إياه ، وذكروا له أمره[٢] . فأنزل الله - تعالى - في الوليد بن المغيرة ، وذلك من قوله : ﴿ ذرني ومن خلقت وحيدا ﴾ الى قوله : ﴿ سأصليه سقر﴾[٣] ، وأنزل في النفر الذين كانوا معه ﴿ الذين جعلوا القرآن عضين ﴾ أي أصنافا[٤] .

وروى ابن اسحاق ، عن شيخ من أهل مصر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قام النضر بن الحارث[٥] فقال : " يامعشر قريش ، والله لقد نزل بكم أمر ،ما ابتليتم[٦] بمثله ، لقد كان محمد فيكم غلاماحدثا ، أرضاكم فيكم ،

---

(١) الجنى : على وزن الحصى ، وهو مايجنى من الشجر مادام غَضّا . المصباح: ١١٢ .

(٢) انظر السيرة لابن هشام ١ : ٢٨٨ .

(٣) سورة المدثر : ١١ - ٢٦ .

(٣) سبب النزول ، أخرجه الحاكم في المستدرك ٢ : ٥٠٧ ، وقال:"صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه"، وأقره الذهبي .

(٤) أخرجه البيهقي في الدلائل ٢ :١٩٩ - ٢٠١ . وانظر لسان العرب ١٥ : ٦٨ مادة : عضا .

(٥) النضر بن الحارث : هو ابن علقمة بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار ،يكنى: أبا قائد ، وكان أشد قريش في تكذيب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والأذى له ولأصحابه ، وكان ينظر في كتب الفرس ، ويخالط اليهود والنصارى ، أسره المقداد يوم بدر ، وأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بضرب عنقه فقتله على بن أبي طالب صبرا بالأَثِيل (واد بنواحي المدينة) أو بالصفراء سنة ٢ هـ . انظر السيره لابن هشام ٢ : ٣٦٧ ، والكامل ٢ : ٤٩ .

(٦) من الابتلاء ، وهو الامتحان . المصباح : ٦٢ .

وأصدقكم حديثا ، وأعظمكم أمانة ، حتى إذا رأيتم في صدغه الشيب ،وجاءكم بما جاءكم به ، قلتم : ساحر ، لا ـ والله ـ ماهو بساحر ، قد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم ، وقلتم :كاهن ، لا والله ماهو بكاهن ، قد رأينا الكهنة وسمعنا سجعهم (١) ، وقلتم : شاعر ، لا والله ماهو بشاعر ، لقد روينا الشعر ، وسمعنا أصنافه كلها ، هزجه (٢) ورجزه وقريضه ، وقلتم : مجنون، ، ولا ـ والله ـ ماهو بمجنون ، لقد رأينا المجنون ، فما هو بخنقه ولا تخليطه (٣) ، يامعشر قريش ، انظروا في شأنكم ، فإنه ـ والله ـ لقد نزل بكم أمر عظيم (٤) " . وكان النضر بن الحارث من شياطين قريش ، وممن يؤذي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وينصب له العداوة (٥) .

---

(١) من سجع الرجل كلامه ـ كما يقال نظمه ـ : إذا جعل لكلامه فواصل كقوافي الشعر ، ولم يكن موزونا . المصباح : ٢٦٧ .

(٢) في ك و ط (مخرجه) .

(٣) من التخليط في الأمر ، أي الافساد فيه . اللسان ٧ : ٢٩٢ . مادة : خلط .

(٤) أورده ابن هشام في السيرة ١ : ٣٢٠ ، بمثله .

(٥) المصدر السابق ١ : ٣٢١ .

قال (١) : وحدثني الزهري (٢) قال : حُدثت أن أبا جهل وأبا سفيان ،والأخنس ابن شريق (٣) ، خرجوا ليلة ليسمعوا من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو يصلي بالليل في بيته ، وأخذ كل رجل منهم مجلسا ليستمع فيه ، وكل لايعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا أصبحوا وطلع الفجر ، تفرقوا ، فجمعتهم الطريق ، فتلاوموا ، وقال بعضهم لبعض : لاتعودوا ،فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئا ، ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثانية ، عاد كل رجل منهم إلى مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعتهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض مثل ماقال أول مرة ،ثم انصرفوا ، فلما كانت الليلة الثالثة ، فعلوا كذلك ، ثم جمعتهم الطريق فتعاهدوا أن لايعودوا ، فلما أصبح الأخنس بن شريق ، أخذ عصاه ، ثم أتى أبا سفيان في بيته ، فقال : أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد . فقال : يا أبا ثعلبة ، والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف مايراد بها ، فقال الأخنس : وأنا ، والذي حلفت به . ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل ، فدخل عليه بيته فقال : يا أبا الحكم ، مارأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال : ماذا سمعت ، تنازعنا نحن وبنو عبدمناف (٤) الشرف ،

---

(١) أي ابن اسحاق .

(٢) الزهري ، هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري ، أبو بكر ، الفقيه الحافظ ، متفق على جلالته واتقانه ، وهو من رؤوس الطبقة الرابعة ، مات سنة ١٢٥ هـ ، أو قيل ذلك بسنة أو سنتين . تقريب ٢ : ٢٠٧ ،وسير النبلاء : ٥ : ٣٢٦ ـ ٣٥٠ .

(٣) اسمه : أُبَيّ بن عمرو بن وهب الثقفي أبو المغيرة أو أبو ثعلبة ، حليف بني زهرة بن كلاب ، قال ابن هشام : وانما سمي الأخنس لانه : خنس بالقوم يوم بدر ، وهو من بني عِلَاج ، وهو علاج بن أبي سلمة بن عوف بن عقبة . وتنسب له أبيات في رثاء عثمان بن عفان نسبها اليه : سيف بن عمر . السيرة لابن هشام ٢ : ٣٠١ و ٣ : ٣٣٧ ، والبداية والنهاية ٧ : ١٩٦ .

(٤) هم بنو عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب ابن فهر بن مالك بن النَّضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن مَعَدّ بن عدنان . جمرة أنساب العرب : ١٢ ـ ١٤ .

أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، ثم إذا تجاثينا على الرُّكَب ، وكنا كَفَرسي رهان ،قالوا : منا نبي يأتيه الوحي من السماء ، فمتى ندرك هذه ؟ والله لانؤمن به ولا نصدقه أبدا "(١) .

وكذلك روي عن المغيرة بن شعبة ، أن أبا جهل قال له مثل ذلك ،وقال: إني لأعلم أن مايقول حق ، ولكن بني قصي(٢) قالوا : فينا الندوة(٣) ، فقلنا : نعم ، فينا الحجابة(٤)،فقلنا : نعم،فينا السقاية(٥) ، فقلنا : نعم ، وذكر نحوه(٦) .

وقد كانوا يرسلون(٧) إلى أهل الكتاب ليسألوهم عن أمره - صلى الله عليه وسلم .

---

(١) السيرة لابن هشام ١ : ٣٣٧ . وقد أخرجها البيهقي في الدلائل ٢ : ٢٠٦ عن ابن اسحاق بهذا الإسناد - أيضا -

(٢) هم بنو عبد مناف بن قصي بن كلاب ، وهم عمرو وهاشم ، والمطلب وعبدشمس ونوفل،وأولادهم.أنظر جمرة أنساب العرب : ١٢ : ١٤

(٣) من النادي ، وهو المجلس الذي يندو - أي يجتمع - اليه من حواليه ، ولذلك سميت دار الندوة بمكة ، كان إذا حدث بهم أمر نَدَوْ اليها ، فاجتمعوا للمشاورة ، فكان بنو قصي بمثابة رؤساء لمجلس الشورى أو (البرلمان) في مكة آنذاك . انظر معجم البلدان ٥ : ٢٧٩ .

(٤) أي حجابة الكعبة المعظمة ، وهي سدانتها وتولي حفظها ، وهم الذين بايديهم مفاتيحها . لسان العرب ١ : ٢٩٨ مادة " حجب " .

(٥) هي الموضع الذي يتخذ فيه الشراب في المواسم وغيرها ، ويسقى الحاج منه .اللسان ١٤ : ٣٩٢ مادة : سقي .

(٦) أخرجها البيهقي في الدلائل ٢ : ٢٠٧ ، وقد أوردها ابن كثير في السيرة ١ : ٥٠٧ ، ولم يعلق على إسنادها .

(٧) في ط (يرسلونه) .

قال : محمد بن اسحاق : حدثني شيخ من أهل مصر ، قدم منذ بضع وأربعين سنة ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، عن ابن عباس قال : " بَعَثَت قريش النضر بن الحارث ، وعُقْبة بن أبي معيط (١) إلى أحبار يهود بالمدينة ، فقالوا لهم : اسألوهم (٢) عن محمد ، وصفوا لهم صفته ، وأخبروهم بقوله ، فإنهم أهل الكتاب الأول (٣) ، وعندهم عِلْمُ ماليس عندنا من علم الأنبياء ، فخرجا حتى قدما المدينة ، فسألوا أحبار يهود عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ووصفوا لهم أمره وبعض قوله ، وقالا : إنكم أهل التوراة ، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا ، قال : فقالت لهم أحبار يهود: سلوه عن ثلاث ، نأمركم بهن ، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل ، وإن لم يفعل ، فالرجل متقول (٤) ، فروا فيه رأيكم ، سلوه عن فتية (٥) ذهبوا في الدهر الأول ، ماكان من أمرهم ؟ فإنه قد كان لهم حديث عجيب . وسلوه عن رجل طواف (٦) ، بلغ مشارق الأرض ومغاربها ماكان نبؤه . وسلوه عن الروح ، ماهو؟ فإن أخبركم بذلك فإنه نبي فاتبعوه ، وإن هو لم يخبركم ، فهو رجل متقول فاصنعوا في أمره مابدا لكم". فأقبل النضر وعقبة ، حتى قدما مكة على قريش ، فقالا : يامعشر قريش قد جئناكم بفصل مابينكم وبين محمد ،قد أمرنا أحبار يهود أن نسأله عن أمور ، فأَخْبَرُوهم بها . فجاؤا رسول الله

---

(١) هو ابن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، قتله عاصم ابن ثابت بن أبي الأقلح أخو بني عمرو بن عوف ـ صبرا (وهو مأسور) وذلك يوم بدر ، سنة ٢ هـ كافرا . ويقال : قتله علي بن أبي طالب . السيرة لابن هشام ٢ : ٣٦٥ ـ ٣٦٦ .

(٢) سقطت الألف من (اسألوهم) في أ .

(٣) يقصدون التوراة .

(٤) أي متكذب وقائل قولا باطلا . انظر جامع البيان للطبري ٢٩ : ٦٦

(٥) جمع فتى ، وهو الشاب الحدث ، وهذا جمع قلة . وأما جمع الكثرة فهو (فتيان) . المصباح : ٤٦٢ .

(٦) صيغة مبالغة من (طاف) بالشيء ، أي استدار به . المصدر السابق : ٣٨٠ .

ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فقالوا : يامحمد : خبّرنا ، فسألوه عما أمروهم به . فقال لهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : أخبركم ، وجاءه(١) جبريل من الله بسورة الكهف ، فيها خبر ماسألوه عنه ، من أمر الفتية ، والرجل الطواف ، وقول الله : ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾(٢) قال ابن اسحاق : بلغني أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ افتتح السورة فقال : ﴿ الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ﴾(٣) يعني محمداً ، أنك رسولي في تحقيق ماسألوه عنه من نبوته ﴿ ولم يجعل له عوجا قيما ﴾(٤) أي أنزله قيما : أي معتدلا ،لا اختلاف فيه ،وذكر تفسير السورة الى قوله : ﴿ أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا ﴾(٥) أي وماقدروا من قدري ، وفيما صنعت من أمر الخلائق ، وماوضعت على العباد من حجتي ، ماهو أعظم من ذلك(٦) .

قال(٧) مجاهد: "ليس بأعجب"(٨) من آياتنا ماهو أعجب من ذلك"(٩) .

---

(١) في ط (جاء) .

(٢) سورة الاسراء : ٨٥ .

(٣) سورة الكهف : ١ .

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان ١٥ : ١٩١ ـ ١٩٢ بالإسناد نفسه .

(٥) سورة الكهف : ٩ .

(٦) أخرجه ابن جرير في جامع البيان ١٥ : ١٩٧ ، حدثنا ابن حميد ،قال: ثنا سلمة ، عن ابن اسحاق ، وذكره بنحوه .

(٧) في ك و ط زيادة : (قال) ثانية .

(٨) في ك و ط زيادة : (آياتنا) قبل قوله : (من آياتنا) .

(٩) السيرة لابن هشام ١ : ٣٢١ ـ ٣٢٤ ، وبعضه بمعناه . وقد أورد بعضه ابن كثير في تفسيره ، ٥ : ١٣٢ ـ ١٣٤ . وأخرجه البيهقي في الدلائل ٢ : ٢٦٩ ـ ٢٧١ .

وفي تفسير العوفي[1] عن ابن عباس :"الذي آتيتك من العلم والسنة والكتاب ، أفضل من شأن أصحاب الكهف"[2] .

قلت[3] : والأمر على ماذكره السلف ، فإن قصة أصحاب الكهف هي من آيات الله ، فان مكثهم نياما لايموتون ، ثلاثمائة سنة ، آية دالة على قدرة الله ومشيئته ، وأنه يخلق مايشاء ، ليس كما يقوله أهل الالحاد . وهي آية على معاد الأبدان كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ وكذلك أعثرنا عليهم ، ليعلموا أن وعد الله حق ، وأن الساعة لاريب فيها ...﴾[4] وكان الناس قد تنازعوا في زمانهم: هل تعاد الأرواح دون الأبدان ،

وإخبار النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقصتهم من غير أن يُعَلِّمه بشر ، آية على نبوته ، فكانت قصتهم آية على أصول الإيمان الثلاثة ، الإيمان بالله ، واليوم الآخر ، والإيمان برسوله[5] ، ومع هذا فليسوا من آيات الله بعجب ، بل من آيات الله ماهو أعجب من ذلك .

---

(١) العوفي : هو عطية بن سعد بن جنادة الجدلي ، الكوفي ، أبو الحسن تابعي شهير ، ضعيف ، صدوق ، يخطيء كثيرا ، كان شيعيا مدلسا ، من الطبقة الثالثة ، مات سنة ١١١ هـ تقريب التهذيب ٢ : ٤٢ ، وميزان الاعتدال ٣ : ٧٩ .

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان ١٥ : ١٩٨ وأورده ابن كثير في تفسيره ٥ : ١٣٥ .

(٢) أخرجه ابن جرير ، في جامع البيان ١٥ : ١٩٨ ، حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه عن ابن عباس ، وذكره .

(٣) سقطت (قلت) من أ .

(٤) سورة الكهف : ٢١ .

(٥) في ط (رسله) .

وقد ذكر الله ـ تعالى ـ سؤالهم له عن الآيات التي كانوا يسألونه[1] عنها ، ليعلموا[2] : هل هو نبي صادق أم كاذب ؟ فقال ـ تعالى ـ :﴿ ويسألونك عن ذي القرنين ..﴾[3] وقال : ﴿ لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين ﴾ الى قوله : ﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وماكنت لديهم اذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون ﴾ الى قوله : ﴿ وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون ومايؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون ـ الى قوله ﴿ أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ، ولدار الآخرة[4] خير للذين اتقوا ، أفلا تعقلون ؟ ﴿ حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا ، جاءهم نصرنا ، فنجي من نشاء ، ولايرد بأسنا عن القوم المجرمين ﴿ لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب ، ماكان حديثا يفترى ، ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون[5] ﴿ وقال ـ تعالى ـ لما ذكر قصة أهل الكهف التي سألوه عنها ﴿ ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا[6] ﴿ أي يسألونك[7] عن ذاك ، ويسألونك عن هذا .

---

(١) في ك (يسألوه)
(٢) في أ (ليعملوا) وهو تحريف نسخي . (٣) سورة الكهف : ٨٣ .
(٤) في ك و ط نقص في الآيات ، وسقطت كلمة (الى قوله) .
(٥) سورة يوسف : ٧ ـ ١١١ .
(٦) سورة الكهف : ٨٣ .
(٧) سقطت (عن) من ط .

والقرآن مملوء من اخباره عن الغيب الماضي ، الذي لايعلمه أحد من البشر، الا من جهة الأنبياء ، الذين أخبرهم الله بذلك ، ليس هو الشيء الذي تزعمه ملاحدة المتفلسفة ، فإن هذه الأمور الغيبية المعينة المفصلة ، لايؤخذ خبرها قط الا عن نبي كموسى ومحمد ، وليس أحد ممن يدعى المكاشفات(١) ، لا من أولياء الله(٢) ، ولا من غير أولياء الله يخبر بشيء من ذلك ، ولهذا كان هذا من أعلام الأنبياء وخصائصهم التي لايشركهم فيها غيرهم .

وأهل الملل متفقون على مادل عليه العقل الصريح ، من أن هذا لايعلم الابخبر نبي . فإذا كان محمد(٣) قد أخبر من ذلك بما أخبر به موسى وغيره من الأنبياء ، وأخبر بما يعلمونه ، مما لايعلمه أحد الا بالتعلم منهم ، وقد عرف أن محمدا لم يتعلم هذا من بشر ، كان هذا آية(٤) وبرهانا قاطعا على نبوته(٥) . ثم العلم بأن محمدا لم يتعلم هذا من بشر يحصل في حياته . أما قومه المباشرون له ، الخبيرون بحاله فكانوا(٦) يعلمون أنه لم يتعلم هذا من بشر ، فقامت عليهم الحجة بذلك ، وأما من لم يعرف حاله الابالسماع فيعلم ذلك بطرق :

---

(١) قال عماد الدين الأموي "... ومنها الكشف : وهو عبارة عن بيان مايستتر عن الفهم فيكشف للعبد عنه حتى كأنه يراه رأي العين " . حياة القلوب في كيفية الوصول إلى المحبوب، لعماد الدين الأموي بهامش قوت القلوب ٢ : ٢٧٣.

(٢) أولياء الله ، أي المطيعون لله . المصباح : ٦٧٣ .

(٣) في أ و ك (محمدا) وقد صوبناه من ط .

(٤) في ك و ط زيادة : (بينة) .

(٥) في ك و ط (بوجوه) .

(٦) في ك و ط (وكانوا) .

منها : تواتر[1] أخباره ، وكيف كان ؟ من حين ولد ، إلى أن مات ، كما هي مستفيضة[2] مشهورة متواترة ، يعلمها من كان[3] له خبرة بذلك ، أعظم مما يعلم به حال موسى وعيسى ، فإن محمدا ظهر أمره ، وانتشرت أخباره ، وتواترت أحواله ، أعظم من جميع بني آدم ، فما بقي مادون هذا من أحواله يخفى على الناس ، فكيف مثل هذا ؟!

ومنها أنه[4] أخبر في القرآن بما لايوجد عند أهل الكتاب ، مثل قصة هود ، وصالح ، وشعيب ، وبعض التفاصيل في قصة ابراهيم وموسى وعيسى ، مثل تكليم المسيح في المهد[5] . ومثل نزول المائدة ، فإن هذا لايعرفه أهل الكتاب ، ومثل إيمان امرأة فرعون وغير ذلك ، فيمتنع أن يقال : إن هذا تعلمه[6] من أهل الكتاب ، وقومه لم يكونوا يعلمون ذلك ، بل قد ، أراهم وغيرَهم آثار المنذَرين ، الذين عاقبهم الله لما كذبوا الرسل ، كقوم عاد وثمود وغيرهم .

---

(١) الخبر المتواتر ، هو مانقله من يحصل العلم بصدقهم ضرورة ، بأن يكونوا جميعا لايمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم من أول الإسناد إلى آخره . تدريب الراوي ٢ : ١٧٦ .

(٢) قيل هما بمعنى واحد ، اي المستفيض والمشهور ، وهو الخبر الذي تزيد نَقَلَتُه على ثلاثة ، سمى بذلك لوضوحه أو لانتشاره . المصدر السابق ٢ : ١٧٣ .

(٣) سقطت (كان) من ك و ط

(٤) في ك و ط زيادة : (قد) .

(٥) المهد : فراش الصبي . مختار الصحاح : ٦٣٨ .

(٦) في ك و ط (رأواهم) .

فيستدل الناس بالآثار الموجودة على صدق الرسل ، وعقوبة الله لمن يكذبهم . ويستدل قومه وغيرهم (١) على صدقه فيما أخبر به من هذه الأمور ، التي لم يتعلمها من أهل الكتاب ، بتصديق أهل الكتاب له فيما وافقهم فيه ، مع علمهم أنه لم يتعلم ذلك منهم ، ويكون هذا مما يدل على أنه لم يتعلم (٢) من أهل الكتاب شيئا (٣) ، كما قد يظنه بعضهم ، وذلك من الوجهين كما تقدم .

ومنها : أن أكثر قومه كانوا من أعظم الناس عداوة له ، وحرصا على تكذيبه والطعن فيه ، وبحثا عما به يقدحون فيه . فلو كان قد تعلم هذه الأخبار من بشر ، لكانوا يعلمون ذلك ، ويقدحون به فيه ، ويظهرونه ،ولكان هذا مما يظهر أعظم مما ظهر غيره . فلما لم يقع ذلك دل على أنهم لم يكونوا يعلمون ذلك ولم يتمكنوا من القدح به فيه ، مع علمهم بحاله ، ورغبتهم في القدح به (٤) . ومع كمال الداعي والقدرة يجب وجود المقدور.فلما كان داعيهم تاما ، ولم يقدحوا ، علم أن ذلك لعجزهم . وعجزهم عن القدح مع علمهم بحاله : دليل على أنهم علموا أنه لم يتعلمه من بشر .

ومنها : أن يقال : مثل هذا لو وقع ، لكان من أعظم ماتتوفر الهمم (٥) والدواعي على نقله (٦) ، بل كان المتبعون له المؤمنون به ، إذا اطلعوا على ذلك فلا بد أن يشيعوه ويعلنوه ، فكيف المخالفون له المكذبون له ؟! فإن القوم المتفرقين الذين لم يتواطأوا ، كما لايجتمعون على تعمد الكذب ،فلا يجتمعون على كتمان مثل ذلك ، بل يجتهد الملوك والرؤساء في اخفاء مايبطنونه من أمر ملكهم الذي بنوه عليه ، ويُحَلِّفون أولياءهم على كِتمان

---

(١) في أ (وغيره) والصواب ما أثبتناه من ك و ط .
(٢) في ك و ط زيادة : (ذلك) .
(٣) سقطت (شيئا) من ك و ط .
(٤) في ك و ط (فيه) .
(٥) من هم بالشيء ، يَهِمُّ هَمّا : نواه وأراده وعزم عليه . اللسان ١٢ : ٦٢ مادة : همم .
(٦) في ك و ط زيادة كلمة : (ويشيع) .

ذلك ، ويبذلون لهم الرغبة والرهبة في ذلك ، ثم يظهر ذلك ، كما فعل القرامطة الباطنية[١] ، من أهل البحرين[٢] وبنى[*] عبيد الله بن ميمون القداح[٣] ، وكما عرف الناس أن النصيرية[٤] لهم خطاب يسرونه إلى أوليائهم وإن لم يعلم أكثر الناس ماذلك الخطاب الذي يسرونه .

---

(١) هم من الاسماعيليه ،وهم أصحاب قِرمط ، وكان ظهوره سنة ٢٧٠ هـ ،وقيل إن قرمط اسم لقرية من قرى واسط ، منها (حمدان) الذي اخترع ماعليه القرامطة ، وهو قرمطي ، واتباعه كذلك ، وكان ظهوره فيها ، ومذهبهم: ان اسماعيل بن جعفر ، خاتم الأئمة ، وهو – في زعمهم – حي لايموت ، ويقولون باباحة المحرمات – قاتلهم الله – . انظر التحفة الاثنى عشرية: ٠١٧

(٢) البحرين : اسم جامع لبلاد على ساحل البحرين بالبصرة وعُمان من جزيرة العرب ، وعُمان : آخرها ومدينتها هَجَر ، وبينها وبين البصرة ١٥ يوما ، وبينها وبين عُمان مسيرة شهر . أي ٥٠٠ كلم في الأول و ١٠٠ كلم تقريبا وهي منطقة الأحساء حاليا . انظر مراصد الاطلاع ١ : ١٦٧ .

(٣) هم الفاطميون – الأدعياء الكذبة – ،والقداح ،هو أبو محمد ، المدعي أنه علوي ، وتلقب بالمهدي ، وقد اختلف في نسبه اختلافا كثيرا جدا، حتى قيل : إن أباه يهودي ، صباغ بسلمية ، وإنما لقب بعبيد الله: زوج أمه ، الحسين بن أحمد بن ميمون القداح ، وقد بنى المهدية ،ومات بها سنة ٣٢٢ هـ ، وله ٦٣ سنة ، وكانت ولايته على أفريقية ٢٤ سنة ، ولما مات قام بأمر الخلافة من بعده ولده : أبو القاسم ، الملقب بالخليفه القائم بأمر الله ، وكتم موت أبيه لمدة سنة . انظر البداية والنهاية ١١ : ١٧٩ – ١٨٠ .

(٤) هم أتباع (نصير) غلام علي بن أبي طالب ،الذين ألهوا عليا – رضى الله عنه – وعلى هذا فهم طائفة من غلاة الشيعة ،حيث زعموا أن الروح الالهية ظهرت في علي – رضى الله عنه – كما ظهر جبريل – عليه السلام – بصورة بشر ، وكما ظهر الشيطان بصورة انسان ، ويزعمون أن عليا يسكن السحاب ، ويرون التخميس والحجاب والباب ، وحب ابن ملجم ، وتناسخ الأرواح وتعظيم الخمر وشجرة العنب ، وبينهم الخطاب السري ، ويبيحون الزواج من البنات والأخوات والأمهات ، ويعتقدون بالاسم والمعنى والأيتام الخمسة . دراسات في الفرق : ٣٨ – ٤٦ ، د. صابر طعيمة ، مكتبة المعارف بالرياض ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣م .

(*) (بنى) معطوف على المجرور (أهل) .

لاسيما والذين آمنوا بمحمد واتبعوه ـ أولا ـ من المهاجرين ، كانوا مؤمنين به باطنا وظاهرا ، هجروا لأجله الأوطان والأهل والمال ، وصبروا على أنواع المكاره والأذى : طائفة كبيرة(١) ذهبت إلى الحبشة ، مهاجرة بدينها لما عذبها المخالفون له حتى يرجعوا عن دينه(٢) . وطائفة كانوا بمكة يُعذبون: هذا يقتل(٣) ، وهذا يخرج به إلى بطحاء مكة في الحر ، وتوضع الصخرة على بطنه حتى يكفر(٤) ، وهذا يمنع رزقه ويترك جائعا عريانا(٥) .

ثم انهم هجروا أحب البلاد اليهم ، وأفضلها عندهم مكة ـ أم القرى ـ إلى مدينة كانوا فيها محتاجين إلى أهلها ، وتركوا أموالهم بمكة، قال ـ تعالى ـ : ﴿ للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم ،يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، وينصرون الله ورسوله ، أولئك هم الصادقون(٦) ﴾ وقال ـ تعالى ـ : ﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وإن الله على نصرهم لقدير ﴿ الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا : ربنا الله ... ﴾(٧) وقال ـ تعالى ـ : ﴿ ... فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم ، وأوذوا في سبيلي ، وقاتلوا ، وقتلوا ، لأكفرن عنهم سيئاتهم ، ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ، ثوابا من عند الله ، والله عنده حسن الثواب ﴾(٨) وقوله(٩) : ﴿... يخرجون الرسول وإياكم ... ﴾(١٠) وجميع المهاجرين والأنصار آمنوا به طوعا واختيارا ، قبل أن يؤمر أحد بقتال(١١) .

---

(١) في ك و ط (فطائفة) .

(٢) منهم : عثمان بن عفان وامرأته رقية بنت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والزبير بن العوام ، ومصعب بن عمير ـ رضى الله عنهم ـ . السيرة لابن هشام ١ : ٣٤٤ .

(٣) كما قتلت سمية أم عمار بن ياسر . المصدر السابق ١ : ٣٤٢ .

(٤) في ك و ط زيادة : (فلا يكفر) وانظر المصدر السابق ١ : ٣٤٣ .

(٥) في ط (عربانا) وهو خطأ مطبعي .

(٦) سورة الحشر : ٨.

(٧) سورة الحج : ٣٩ ـ ٤٠

(٨) في أ اتصلت الآية اللاحقة بالسابقة بدون فصل عند قوله : ﴿ ... من ديارهم ... ﴾

(٩) سورة آل عمران : ١٩٥ .

(١٠) سورة الممتحنة : ١. (١١) في ك و ط : (وقال) .

فإنه مكث بمكة بضع عشرة سنة ، لايقاتل أحدا ، ولم يؤمر بقتال ، بل كان لايكره أحدا على الدين كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ لاإكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ...﴾ (١) وكانوا خلقا كثيرا ، ومعلوم أن الخلق الكثير الذين اتبعوا شخصا ، قد جاء بدين لايوافقه عليه أحد (٢) ، وطلب منهم أن يؤمنوا به ويتبعوه ، ويفارقوا دين آبائهم ، ويصبروا على عداوة الناس لهم وأذاهم ، ويهجروا (٣) لأجله ماترغب النفوس فيه ، من الأهل ، والمال ، والوطن وهو ـ مع ذلك ـ لم يعط أحدا منهم مالا ، ولاكان له مال يعطيهم إياه ، ولا ولى أحدا ولاية (٤) ، ولم يكن عنده ولاية يوليهم إياها ، ولا أكره أحدا ولابقرصة في جلده ، فضلا عن سوط أو عصا ، أو سيف . وهو ـ مع ذلك ـ يقول عما يخبرهم به من الغيب : " الله أخبرني به ، لم يخبرني بذلك بشر (٥) " .

فلو كانوا ـ مع ذلك ـ يعلمون أنه تعلمه من بشر ، لكان هذا مما يقوله بعضهم لبعض . ويمتنع (٦) في جِبِلَّة (٧) بني آدم وفطرهم ، أن يعلموا أنه كاذب ، وأنه قد تعلم هذا من بشر ، وليس فيهم من يخبر بذلك ، مع أنهم كانوا كثيرين ، لايمكن تواطؤهم على الكذب والكتمان ، بل ولاداعي لهم ، يدعوهم إلى ذلك . ويمتنع أن لايعلموا ذلك ، وهم بطانته (٨) المطلعون على أحواله ، وهم يسمعون كلام أعدائه المطلعين على حاله .

---

(١) سورة البقرة : ٢٥٦ .

(٢) في ك و ط زيادة : (في زمانه) .

(٣) في ك و ط (هجروا) .

(٤) أي : لم يقلد أحدا عملا ولاحكما ولاامارة . انظر مختار الصحاح : ٧٣٧.

(٥) هذا معنى ماورد في الكتاب والسنة ، من إثبات نبوته ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإيحاء الله ـ تعالى ـ له ، ونفي تلقيه عن غيره ـ عز وجل ـ.

(٦) في ط (وتمتنع) .

(٧) أي خِلْقَة . مختار : ٩٢ .

(٨) هم ولَبِيجَته وخواصه . مختار : ٥٧ .

والقرآن كان ينزل شيئا فشيئا ، لم ينزل جملة ، بل كانوا يسألونه عن الشيء بعد الشيء من الغيب ، بين الذين آمنوا به ، وباطنوه ، واطلعوا على أسراره ، وهو لايعلم شيئا من ذلك ، ثم يخبرهم به (١) ، وهم مطلعون على أمره ، خبرا بعد خبر ، وسؤالا بعد سؤال ، وهذا كان بمكة ، وليس بها أحد من علماء أهل الكتاب ، لا اليهود ولا النصارى ، ثم هاجر إلى المدينة وبها خلق كثير من اليهود : قينقاع (٢) والنضير (٣) وقريظة ، ولعلهم كانوا بقدر نصف أهلها ، أو أقل أو أكثر ، وهم - أيضا - يسألونه عن الغيوب التي لايعلمها إلا نبي ، فيخبرهم بها ، ويتلو عليهم ماسأله عنه المشركون من الغيب ، وما أخبرهم به ، ويتلو عليهم هذا الغيب الذي أوحاه الله (٤) إليه ، ويبين أن الله أعلمه ذلك ، لم يعلمه إياه بشر ، فآمن به طائفة من أهل الكتاب وكفرت به طائفة أخرى ، والطائفتان ليس فيهم من يقول : إن هذا تعلمه منا ، أو من إخواننا ، أو نظرائنا ، ولاانك قرأته في كتبنا ، مع أنه لو كان قد تعلم ذلك منهم ، لكان شيوخه منهم ، وشيوخهم إذا علموا أنه كاذب تعلمه منهم يمتنع أن يصدقوه باطنا وظاهرا ، بل تصديقهم الكتاب الأول ،وعلمهم بكذب من ادعى نزول كتاب ثان ، وقد تعلم منهم ، يدعوهم إلى أن يبينوا أمره ويظهروا كذبه ، ويقولوا للناس : تعلم منا ونحن أخبرناه بذلك. لاسيما مع مافعله باليهود ، من القتل والحصار والجلاء (٥) والسبي ،وغير ذلك .

---

(١) سقطت (به) من ط .

(٢) في ط (يهود بني قينقاع) .

(٣) الذي في ط تقديم (قريظة) على (النضير) .

(٤) لم يرد لفظ الجلالة المعظم في أ ولا ك .

(٥) الجلاء : هو الخروج من البلد والإخراج - أيضا - مختار : ١٠٨ .

وهذا لو وقع ، لكان من أعظم ماتتوفر الهمم والدواعي على نقلـــه ، ينقله الموافق والمخالف . فلما لم يقل (١) ذلك أحد ، ولم ينقله أحد مـــع ما أظهره من الأخبار (٢) المتواترة ، التي علمها الخاص والعام ، بأن هذا مما أنبأني الله ، لم يخبرني به بشر ، كان هذا دليلا قاطعا بينا ،في أن هذه الأخبار الغيبية ، التي لايعلمها إلا نبي ، أعلمه الله بها ، أو من تعلمهـــا من نبي (٣) : هي مما أنبأه الله به ، ولم يُعَلِّمه ذلك بشر ، وهذا من الغيـب ، الذي قال الله فيه ، في السورة التي (٤) فيها استماع الجن للقرآن ، وإنـــذار قومهم به حيث قال : ﴿ قل أوحى إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا : إنـا سمعنا قرآنا عجبا ﴿ يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحـــدا ﴿ وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة (٥) ولا ولدا ﴾ إلى قوله : ﴿ وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا (٦) ﴿ قل إنما أدعو ربي ، ولا أشـرك به أحدا﴿ قل إني لاأملك لكم ضرا ولارشدا ﴿ قل إني لن يجيرني من اللـــه أحد ، ولن أجد من دونه ملتحدا (٦) ﴿ الا بلاغا (٦) من الله ورسالاته ، ومن يعـص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا ﴿ حتى إذا رأوا مايوعدون فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقل عددا ﴿ قل إن أدري أقريب ماتوعـــدون أم يجعل له ربي أمدا (٧) ﴿ عالم الغيب ، فلا يظهر على غيبه أحدا ، الا مـــن ارتضى من رسول ، فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا (٧) ﴿ ليعلم أن قـد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا (٨) ﴿ فقولـــه

---

(١) في ك و ط (ينقل)
(٢) في ك و ط زيادة : (المستفيضة) .

(٣) في ك و ط زيادة : (أعلمه الله بها) علاوة على العبارة الأولى المشابهة

(٤) في ك و ط زيادة : (ذكر) .

(٥) تعالى جدربنا : أي تعالت عظمة ربنا وجلاله . صاحبة : أي زوجة . صفوة التفاسير ٢٩ : ٤٥٨ .

(٦) لبدا : أي كاد يركب بعضهم بعضها من شدة الازدحام . ملتحدا : أي ملجأ ونصيرا . بلاغا : أي إلا إذا أبلغت رسالة ربي ، ونصحتكـــم وأرشدتكم ، فحينئذ يجيرني ربي من العذاب . المصدر السابق ٢٩ : ٤٦١

(٧) أمدا : أي بعيد له مدة طويلة . رصدا : أي ملائكة وحرسا . المصدر السابق ٢٩ : ٤٦١ – ٤٦٢ .

(٨) سورة الجن من ١ – ٣ ، من ١٩ – ٢٨ .

ـ تعالى ـ (١) : ﴿ ... فلا يظهر على غيبه ... ﴾ (٢) يبين أنه غيب يضاف اليه يختص به ، لايعلمه أحد إلا من جهته ، بخلاف مايغيب عن بعض الناس ويعلمه بعضهم ، فإن هذا قد يتعلمه بعضهم من بعض (٣) .

فمما سأله عنه أهل الكتاب في المدينة مسائل ، وهي غير المسائل التي كان يسأل عنها وهو بمكة ، كما كان مشركوا قريش يرسلون الى اليهود (٤) بالمدينة ، يسألونهم (٥) عن محمد ، فيرسل اليهود بمسائل ، يمتحنون بها نبوته ، وذلك مثل مافي صحيح البخاري عن أنس قال : " جاء عبد الله بن سلام الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مَقْدَمَه (٦) المدينة فقال : إني سائلك عن ثلاث لايعلمهن إلا نبي ؛ ما أول أشراط (٧) الساعة ؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة ، والولد ينزع الى أمه تارة (٨) والى أبيه (٩) . قال : " أخبرني جبريل آنفا " قال عبد الله : ذاك عدو اليهود من الملائكة ـ " أما أول أشراط الساعة : فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب . وأما أول طعام يأكله أهل الجنة : فزيادة كبد حوت (١٠) . وأما الولد : فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة ، نزع الولد الى أبيه ، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع الولد الى أمه " فقال : أشهد أن لااله إلا الله ، وأشهد أنك رسول الله " قال : يارسول الله : إن اليهود قوم بُهْت (١١) ، فإن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم عني بهتوني عندك .

---

(١) ليس في ط كلمة التقديس .

(٢) في ط زيادة قوله ـ تعالى ـ : (أحدا) .

(٣) في ك و ط زيادة : إتمام السورة الكريمة . ثم جاء بعدها : فهذه أنباء الغيب ، التي أوحاها إليه ، هي من الغيب الذي لايظهر الله عليه أحدا ، إلا من أرتضى من رسول ، فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ، يرصدون من يأتيه من إنسي وجني ، فيدفعونه ، ﴿... ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم ...﴾

(٤) في أ و ك (يسألوهم) والصواب ما أثبتناه من ط .

(٥) في أ (يرسلون) وفي ك (يرسلوا) والأولى ما أخترناه من ط .

(٦) مقدمه : وقت مجيئه من الهجرة الى المدينة . انظر مختار : ٥٢٤ .

(٧) أشراط : جمع شرط ، وهو : العلامة . ينزع : أي يذهب في الشبه . مختار : ٣٣٤ ـ ٦٥٤ .

=

.....

= (٨) في ط زيادة : (تارة) مرة ثانية

(٩) الزيادة ، هي : القطعة المنفردة المعلقة في الكبد ، وهي في المطعم غاية في اللذة . فتح الباري ٧ : ٢٧٣ .

(١٠) في ك و ط (كبدالحوت) .

(١١) بُهْت : جمع بهيت ، وهو الذي يبهت السامع بما يفتريه عليه من الكذب .

فجاءت اليهود ، فقال لهم النبي (١) ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " أي رجل عبد الله فيكم ؟ " قالوا : خيرنا وابن خيرنا ، وسيدنا وابن سيدنا ، وعالمنا وابن عالمنا . قال : " أرأيتم إن أسلم عبد الله " ؟ قالوا أعاذه (٢) الله من ذلك . فخرج اليهم عبد الله فقال : أشهد أن لااله الا الله ، وأشهد أن محمدا رسول الله . فقالوا: " شرنا وابن شرنا " وتنقصوه . قال (*) : فهذا ما كنت أخاف وأحذر (٣) .

وروى مسلم ـ في صحيحه ـ عن ثوبان قال : "كنت قائما عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فجاء حَبْر من أحبار اليهود وقال (٣) : السلام عليك يا محمد . فدفعته دفعة كاد يصرع منها ، فقال : لم تدفعني ؟ قال : قلت ألا تقول ، يا رسول الله ؟ قال : إنما سميته بإسمه الذي سماه به أهله . فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : إن إسمي الذي سماني به أهلي محمد . فقال اليهودي : جئت أسألك ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ " ينفعك شيء إن حدثتك " قال : أسمع بأذني ، فنكت (٤) بعود معه . فقال له : " سل " . فقال اليهودي : أين الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ؟ فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " في الظلمة دون الجِسْر (٥) " قال : فمن أول الناس اجازة (٥) ؟ قال : " فقراء المهاجرين " . فقال اليهودي : فما تحفتهم (٦) حين يدخلون ؟ قال : " زيادة كبدنون " . قال : وما غذاؤهم على إثْره؟ قال : " ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها" . قال: فما شرابهم عليه؟ قال:" من عين فيها تسمى سلسبيلا " . قال صدقت .

---

(١) في ك و ط (رسول الله) . (٢) أي عصمه . اللسان ٣:٤٩٩ مادة : عوذ.
(*) في ك و ط (فقال) . (٣) في ط (واحذره) .
(٣) رواه البخاري . كتاب مناقب الأنصار ، باب ، حدثني حامد بن عمر .. ، ٧:٢٧٢ (٣٩٣٨) من فتح الباري . وأخرجه الامام أحمد في المسند ٣:١٠٨ .
(٤) في أ (نكث) ، وقد أثبتنا ما في الصحيح .
(٥) أي الصراط . اجازة : أي عبورا وجوازا . تحفة : ما يخص به الرجل ويهدى اليه ويلاطف . شرح النووي لمسلم ٣ : ٢٢٧ .
(٦) أي الحوت ، وجمعه : نينان . المصدر والموضع السّابق .

قال : وجئت أسألك عن شيء لايعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان.
قال : " ينفعك إن حدثتك " . قال : أسمع بأذني . قال : جئت أسألك عن الولد ؟ قال : " ماء الرجل أبيض ، وماء المرأة أصفر ، فإذا اجتمعا فعلا منى الرجل منى المرأة أذكرا (١) بأذن الله ، واذا علا مني المرأة (٢) منى الرجل آنثا بإذن الله " فقال اليهودي : صدقت وإنك لنبي ، ثم انصرف . فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : " إنه سألني هذا الذي سألني عنه ، وما أعلم شيئا منه حتى أتاني به الله - تعالى - ". وروى أبو داود الطيالسي (٣) (٤) ، حدثنا عبد الحميد بن بهرام (٥) ، عن شَهْر بن حوشب (٦) ، عن ابن عباس قال : حضرت عصابة

---

(١) في ط (ذكرا) .
(٢) هكذا في ك و ط وقد سقطت كلمتا (مني المرأة) من أ فأكملناه منهما.
(٣) في ك و ط زيادة : " رواه عبد بن حميد في تفسيره عن أحمد بن يونس ، عن عبد الحميد ، عنه " .
(٣) مسلم ، كتاب الحيض ، باب بيان صفة مني الرجل والمرأة ... ١ : ٢٥٢ (٣١٥)
(٤) هو سليمان بن داود بن الجارود ، الفارسي ثم الأسدي ثم الزبيري ، مولى آل الزبير بن العوام ، الحافظ الكبير ،البصري ، صاحب المسند ، أثنى عليه كثير من الأئمة ، وآخذ عليه عدم التحديث من أصله - أي من كتاب - وأنه غَلَطَ في عدة أحاديث ، وقد استشهد به البخاري في موضع واحد من كتابه ، مات سنة ٢٠٤ هـ بعدما عمر طويلا . سير ... النبلاء ٩ : ٣٧٨ - ٣٨٤ ، وتقريب التهذيب ١ : ٣٢٣ .
(٥) هو الفزاري المدائني ، صاحب شهر بن حوشب ، وثقه أبو داود ويحيى بن معين ، مات قبل سنة ١٧٠ هـ.سير ... النبلاء ٧ : ٣٣٤ - ٣٣٥ . وتقريب ١ : ٤٦٧ .
(٦) هو أبو سعيد الأشعري الشامي ، مولى الصحابية أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية ، كان من كبار علماء التابعين ، قرأ القرآن على ابن عباس ، وثقه الامام أحمد والعِجْلي ويحيى بن معين ، مات سنة ١٠٠ هـ وله ٨٠ سنه.سير .. النبلاء ٤ : ٣٧٢ - ٣٧٨ ، وتهذيب التهذيب ٤ : ٣٦٩ .

من اليهود يوما الى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالوا : يارسول الله ، حدثنا عن خِلال نسألك عنها ، لايعلمها إلا نبي . فقال : " سلوني عم شئتم ، ولكن اجعلوا لي ذِمّة(١) الله ، وما أخذ يعقوب على بنيه(٢) ، إن أنا حدثتكم بشيء تعرفونه صدقا ، لتتابعوني على الاسلام " . قالوا : لك ذلك . قال : " فسلوني عم شئتم " قالوا : أخبرنا عن أربع خلال " : أخبرنا عن الطعام الذي حَرّم إسرائيل على نفسه من قبل أن تُنَزّل التوراة . وأخبرنا عن ماء الرجل : كيف يكون الذكر منه حتى يكون ذكرا ، وكيف يكون الأنثى حتى يكون أنثى . وأخبرنا كيف هذا النبي في النوم ومن وليك(٣) من الملائكة ؟ قال : " فعليكم عهد الله وميثاقه ، لئن أنا حدثتكم لتتابعوني " . فأعطوه ماشاء من عهد وميثاق . قال . " أنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى ، هل تعلمون أن إسرائيل ـ يعقوب ـ مرض مرضا شديدا ، طال سقمه فيه ، فنذر لله نذرا لئن شفاه الله من سقمه ، ليحرمن أحب الشراب اليه ، وأحب الطعام اليه ، وكان أحب الشراب اليه : البان الإبل ، وأحب الطعام اليه : لحوم الإبل " . قالوا : اللهم نعم . فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " اللهم اشهد عليهم " . قال : " فأنشدكم بالله ، الذي لاإله إلا هو ، الذي أنزل التوراة على موسى : هل تعلمون أن ماء الرجل غليظ أبيض ،وأن ماء المرأة رقيق أصفر ، فأيهما علا كان الولد والشبه له ـ بإذن الله ـ ".قالوا: اللهم نعم.فقال:" اللهم اشهد" قال:" أنشدكم بالله ، الذي لا إله إلا هو، وأنزل التوراة على موسى،هل تعلمون أن هذا النبي تنام عيناه ولا ينام قلبه".قالوا: اللهم نعم .قال :"اللهم اشهد "(٤) . قالوا : أنت الآن : حدثنا من وليك من(٥)

---

(١) ذمة : عهد . ترتيب ٢ : ٢٦٨

(٢) لعله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يقصد ماذكره ـ تعالى ـ : ﴿ قال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتنني به ، إلا أن يحاط بكم ، فلما آتوه موثقهم،قال : الله على مانقول وكيل ﴾ يوسف : ٦٦.

(٣) في ك و ط (الأمي في التوراة ومن وليه) .

(٤) من أ (قالوا) وهو تحريف نسخي .

(٥) أي نصيرك . ترتيب ٤ : ٦٥٨ .

الملائكة ، فعندها نجامعك[1] أو نفارقك . قال : " وليي جبريل ـ عليه السلام ـ ولم يبعث الله نبيا قط الا وهو وليه " قالوا : فعندها نفارقك ، لو كان غيره لاتبعناك وصدقناك قال : " فما يمنعكم أن تصدقوا[2] ؟ "قالوا: إنه عدونا من الملائكة ، فأنزل الله ـ عز وجل ـ : ﴿ ... من كان عدوا[3] لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقا[4] ...﴾ إلى قوله : ﴿... فإن الله عدو للكافرين[5] ﴾ .

ففي هذه الأحاديث أن علماء اليهود كعبد الله بن سلام وغيره ، كانوا يسألونه عن مسائل يقولون فيها : لايعلمها إلا نبي : أي ومن تعلمها من الأنبياء ، فإن السائلين كانوا يعلمونها كما جاء ـ أيضا[6] ـ : " لايعلمها إلا نبي أو رجل أو رجلان " .فكانوا[7] يمتحنونه بهذه المسائل ، ليتبين: هل يعلمها ؟ وإذا كان يعلم مالا يعلمه إلا نبي كان نبيا . ومعلوم أن مقصودهم بذلك إنما يتم إذا علموا أنه لم يعلم[8] هذه المسائل من أهل الكتاب ومن تعلم منهم . وإلا فمعلوم أن هذه المسائل كان تعلمها بعض الناس ، لكن تعلمها هؤلاء من الأنبياء .

---

(١) نجامعك : أي نجتمع بك ونتفق معك . أنظر المصدر السابق ١ : ٥٣٠ .

(٢) في ط (تصدقوا به) .

(٣) في ك و ط زيادة : (قل) .

(٤) في ك و ط زيادة : (لما بين يديه) .

(٥) سورة البقرة : ٩٧ ـ ٩٨ .

(٥) رواه أبو داود الطيالسي في مسنده : ٣٥٦ (٢٧٣١). مصور عن الطبعة الأولى بحيدر آباد الدكن بالهند ، ١٣٢١ هـ ، دار الكتاب اللبناني ودار التوفيق بيروت . وإسناد هذا الحديث رجاله موثقون ، كما مربنا في تراجمهم .

(٦) أي في الحديث السابق عند الطيالسي .

(٧) في ك و ط (وكانوا) .

(٨) في ك و ط (يتعلم) .

وهذا يبين أن هؤلاء السائلين له من أهل الكتاب ، كانوا يعلمون أن أحدا من البشر لم يُعَلِّمه ماعند أهل الكتاب من العلم ، إذلو جوزوا (١) ذلك عليه ، لم يحصل مقصودهم من امتحانه . هل هو نبي أم لا (٢) ؟ فإنهم إذا جوزوا أن يكون تعلم مالا يعلمه إلا نبي من أهل الكتاب ، كان من جنسهم ، فلم يكن في علمه بها (٣) وإجابتهم (٤) عنها دليلا (٥) على نبوته .

فلابد أن يكون هؤلاء السائلون يقطعون بأنه لم يتعلم من أهل الكتاب . وهذا كان بالمدينة بعد أن أقام بمكة بضع عشرة (٦) سنة . وانتشر أمره ، وكذبه قومه ، وحرصوا على إبطال دعوته بكل طريق يقدرون عليه . فلو كان بمكة أو بالمدينة أحد من أهل الكتاب يتعلم منه ، أو لقي أحدا من أهل الكتاب في طريق فتعلم منه ، لكان ذلك يقدح في مقصود هؤلاء السائلين .

فتبين أنه كان معلوما عند أهل الكتاب أنه لم يتعلم شيئا من الغيب من بشر – لاسيما – ولو كان قد تعلمه من أهل الكتاب – وقد كذبهم وحاربهم – لأظهروا ذلك ، ولشاع في أهل الكتاب ، فكان (٧) إذا أجابهم ، قالوا : هذا تعلمته من فلان ، وفلان منا ، أو هذا علمكه بعض أهل ديننا وهذا كما كانوا يرسلون الى قومه ، من قريش ، ليسألوه عن مسائل ،ويقولون : ان أخبركم بهن فو نبي مرسل ، وإلا فهو متقول . ويقولون : سلوه عن مسائل لايعلمها الا نبي .

---

(١) في أ (جوزو) وهو نقص إملائي .
(٢) في ط (أولا) .
(٣) في ك و ط (علمهم بها) بدون (في) .
(٤) في ك و ط (أحاديثهم) .
(٥) في أ و ك (دليل) والأصوب ما أثبتناه من ط .
(٦) في ك و ط (عشر) .
(٧) في ك و ط (وكان) .

فهذا من أهل المدينة ، ومن قريش قومه ، يبين أن قومه المشركين وأهل الكتاب كانوا متفقين على أنه لم يتعلم شيئا من ذلك من البشر ، إذ لوجوزوا ذلك لم يحصل مقصودهم بذلك ، ولم يجز أن يقولوا : لايعلمها إلا نبي (١) . فإنهم كانوا جميعا يعلمون أن من أهل الكتاب من يعلم هذه المسائل ، وبذلك يعرف هل يجيب فيها بما قالته الأنبياء ، أو بخلاف ذلك ؟ ويعلمون أن من كان تعلمها (٢) من أهل الكتاب ، ومن تعلم منهم ، لايدل جوابه عنها على نبوته ، كما لو أجاب عن تلك المسائل بعض أهل الكتاب ، وكما لو سأل في زماننا بعض الناس لبعض (٣) المسلمين عن تلك المسائل أو غيرها من أنباء الغيب ، التي لايعلمها إلا نبي ، فإن ذلك لايدل على نبوته ، لأنه قد تعلم ذلك من الأنبياء .

فدل على أن مرادهم بقولهم : لايعلمها إلا نبي : أي لايعلمها ابتداء بدون تعليم من (٤) بشر إلا نبي ويدل على أن المشركين وأهل الكتاب ،كانوا جميعا متفقين على أنه لم يتعلم من بشر ، مع انتشار أخباره . ومع اطلاع قومه على أسراره ، ومع ظهور ذلك ،لو وجد ، ومع أنهم لو جوزوا تجويزا أن يكون قد تعلمها من بشر في الباطن ، لم يجز أن يُستدل بها على نبوته ، فدل على أنهم كانوا قاطعين بأنه لم يتعلم ذلك من بشر ، لافي الباطن ، ولا في الظاهر ، وهذا طريق بين ، يدل على أنه لم يتعلم ذلك من بشر ،سوى الطرق المذكورة هنا .

---

(١) في ك و ط (تعلم) .

(٢) في ك و ط (يعلمها) .

(٣) زيادة اللام في (بعض) تدل على أن الشيخ المؤلف ـ رحمه الله ـ يرى جواز تعدية الفعل بالجار ولو كان متعديا ، حيث أن الفعل (سأل) متوفرة فيه علامتا المتعدي وهما : صحة اتصاله بهاء ضمير غيرالمصدر ، وإمكان أن يبنى منه اسم مفعول تام . انظر أوضح المسالك الى ألفية ابن مالك : ٢٧٥ .
هذا مع احتمال أن تكون اللازم زيادة نسخية ، بالرغم من اتفاق جميع النسخ عليها ، حتى نسخة أكسفورد .

(٤) ليس في ك و ط (من) .

فصـــل

(جلاء آيـــات النبـوة وتنوعهـــا وكثرتهـــا)

ولما كان محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ رسولا إلى جميع الثقلين : جنهم وإنسهم ، عربهم وعجمهم . وهو خاتم الأنبياء ـ لانبي بعده ـ كان من نعمة الله على عباده، ومن تمام حجته على خلقه ، أن تكون آيات نبوته ، وبراهين رسالته ، معلومة لكل الخلق ، الذين بعث اليهم، وقد يكون عند هؤلاء من الآيات والبراهين على نبوته ماليس عند هؤلاء .

وكان يظهر لكل قوم من الآيات النفسية والأفقية، مايبين به أن القرآن حق ،كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ قل أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو في شقاق (١) بعيد ﴾ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم،حتى يتبين لهم أنه الحق،أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد (٢) ﴾ أخبر ـ سبحانه ـ أنه سيري عباده (٣) الآيات في أنفسهم ، وفي الآفاق ، حتى يتبين لهم أن القرآن حق ، فإن الضمير عائد إليه ، إذ هو الذي تقدم ذكره ، كما قال : ﴿ قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به ، من أضل ممن هو في شقاق بعيد (٤) ﴾ والضمير في (كان) عائد إلى معلوم .

---

(١) شقاق : عداوة . الآفاق : أقطار السموات والأرض . شهيد : مطلع على كل شيء لاتخفى عنه خافية . صفوة التفاسير ٢٤ : ١٢٨ ـ ١٢٩

(٢) سورة فصلت : ٥٣ : ٥٤ '

(٣) في ك و ط (العباد) .

(٤) سورة فصلت : ٥٣ .

يقول : أرأيتم إن كان القرآن من عند الله ، ثم كفرتم به ، من أضل ممن هو في شقاق بعيد . فإنه على هذا التقدير ، يكون الكافر[1] في شقاق بعيد ، قد شاق الله ورسوله ، ولا أحد أضل ممن هو في مثل هذا الشقاق ، حيث كان في شِق[2] ، والله ورسوله في شِق ، كما قال - تعالى - : ﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا، وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط[3]، وما أوتي موسى وعيسى ، وما أوتي النبيون من ربهم ، لانفرق بين أحد منهم، ونحن له مسلمون ﴾ فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم[4] ﴾ بين أن من تولى عن ذلك ، لم يكن متبعا للحق قاصدا له ، فإن هذا الذي قلتموه ، لايتولى عنه من أهل الكتاب من قَصْدُه الحق ، وإنما يتولى عنه من قصده المشاقة والمعاداة ، لهوى نفسه ، وهذا يكفيك الله أمره .

---

(١) سقطت (الكافر) من أ.

(٢) أي جانب . ترتيب ٢ : ٧٣٨.

(٣) جمع سبط ، وهم القبيلة من اليهود . وهم أولاد يعقوب النبي - عليه السلام - وسموا بذلك من السَّبْط : وهو التتابع ، أو من السَّبَط : وهو الشجر، مفرده : سبطة ، شبهوا بالشجر لكثرتهم ، وعددهم اثنا عشر قبيلة من اثنى عشر ولدا ، هم أولاد يعقوب ، وهم ستة أشقاء : رأوبين وشمعون ولاوى ويهوذا ويساكر وزبولون ، وأما يوسف وبنيامين ، وكذلك : دان ونفتالى ، وكذا : جاد وأشير فكل اثنان منهم شقيقان . ترتيب القاموس ٢ : ٥١٠ ، وسفر التكوين ، الاصحاح التاسع والعشرون : ٣١ - ٣٥ والاصحاح الثلاثون : ١ - ٢٤ العهد القديم : ٤٢ - ٤٣ . والبداية والنهاية ١ : ١٩٥ .

(٤) سورة البقرة : ١٣٦ - ١٣٧ .

والقرآن إن كان من عند الله ، ثم كفر به من كفر ، فلا أحد أضل ممن هو في مثل حاله ، إذ هو في شقاق بعيد . وان قُدِّر أنه لم يعلم أنه حق ، فهو ضال . والشقاق قد يكون مع العناد ، وقد يكون مع الجهل ، فان الآيات إذا ظهرت ، فأَعْرَض عن النظر الموجب للعلم ، كان مشاقا ، ولهذا قال عقب ذلك (١) : ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم ، حتى يتبين لهم أنه الحق ... ﴾ (٢) فأخبر أنه سيُرى عباده من الآيات الأفقية والنفسية ، مايبين أنه حق ، ثم قال ﴿ أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ﴾ (٣) فان شهادته وحده كافية بدون ماينتظر من الآيات ، كما قال - تعالى - : ﴿ .. قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ، ومن عنده علم الكتاب ﴾ (٤) وشهادته للقرآن ولمحمد ، تكون بأقواله التي أنزلها قبل ذلك على أنبيائه كما قال - تعالى - عن أهل الكتاب - : ﴿ .. ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله ﴾ (٥) وتكون بأفعاله (٦) وهو مايحدثه من الآيات والبراهين ، الدالة على صدق رسله ، فإنه صدقهم بها فيما أخبروا به عنه ، وشهد لهم بأنهم صادقون .

والقرآن - نفسه - هو قول الله ، وفيه شهادة الله بما أخبر به الرسول، وانزاله على محمد - صلى الله عليه وسلم - (٧) واتيان محمد به هو آية وبرهان، وذلك من فعل الله ، إذ (٨) كان البشر لايقدرون على مثله: لا (٩) يقدر عليه أحد من الأنبياء ، ولا الأولياء ولا السحرة ولاغيرهم ، كما قال - تعالى - : ﴿ قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، لايأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا (١٠) ﴾ .

---

(١) في ك و ط (عقيب) .

(٢) سورة فصلت : ٥٤ .

(٣) سورة فصلت : ٥٤

(٤) سورة الرعد : ٤٣ .

(٥) سورة البقرة : ١٤٠ .

(٦) في ك وط زيادة : (وتكون بأقواله ، التي أنزلها على محمد - صلى الله عليه وسلم - ، فإن القرآن نفسه آية بينة ، ومعجزة قاهرة) .

(٧) لم ترد الجملة الدعائية في أ .

(٨) في أ (اذا) والأصوب مافي ك وط ، وهو ما أثبتناه .

(٩) في ط زيادة الواو (ولا) .

(١٠) سورة الاسراء : ٨٨.

(١٠) ظهيرا : اي معينا . ترتيب ٢ : ١٣٢ .

ومحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أخبر بهذا في أول أمره، إذ كانت هذه الآية في سورة (سبحان)[1] وهي مكية ، صَدَّرها[2] بذكر الاسراء الذي كان بمكة باتفاق الناس . وقد أخبر خبرا وأكده بالقسم ، عن جميع الثقلين ، إنسهم وجنهم ، أنهم إذا اجتمعوا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، لايأتون بمثله ، بل يعجزون عن ذلك ، وهذا فيه آيات لنبوته :

منها اقدامه على هذا الخبر العظيم ، عن جميع الانس والجن ، إلى يوم القيامة ، بأنهم لايفعلون هذا ، بل يعجزون عنه[3] : هذا لايقدم عليه من يطلب من الناس أن يصدقوه ، إلا وهو واثق بأن الأمر كذلك ، اذ لو كان عنده شك في ذلك لجاز أن يظهر كذبه في هذا الخبر ، فيفسد عليه ماقصده ، وهذا لايقدم عليه عاقل ، مع أتفاق الأمم : المؤمن بمحمد ، والكافر به ، على كمال عقله ومعرفته وخبرته ، اذ ساس العالم سياسة[4] لم يَسُسْهم أحد بمثلها .

ثم جَعْلُه هذا في القرآن ، المتلو المحفوظ إلى يوم القيامة ، الذي يقرأ به في الصلوات ، ويسمعه[5] العام والخاص ، والولى والعدو دليل على كمال ثقته بصدق هذا الخبر ، والا لو كان شاكا في ذلك ، لخاف أن يظهر كذبه عند خلق كثير ، بل عند أكثر من اتبعه ومن عاداه ، وهذا لايفعله من يقصد أن يصدقه الناس ، فمن يقصد أن[6] يصدقه الناس ، لايقول مثل هذا ، ويظهره هذا الاظهار ، ويشيعه هذه الاشاعة ، ويخلده هذا التخليد ، إلا وهو جازم عند نفسه بصدقه .

ولايتصور أن بشرا يجزم بهذا الخبر الا أن يعلم أن هذا مما يعجز عنه الخلق ، إذ عِلْم العالِم بعجز جميع الانس والجن الى يوم القيامة ، هو من أعظم دلائل كونه معجزا ، وكونه آية على نبوته ، فهذا من دلائل نبوته في أول الأمر ، عند من سمع هذا الكلام ، وعلم أنه من القرآن الذي أمر ببلاغه إلى جميع الخلق ، وهو ـ وحده ـ كاف في العلم بأن القرآن معجز .

---

(١) هذه أول كلمة شريفة من سورة الاسراء ، وانظر البرهان في علوم القرآن ١ : ٢٦٩ ـ ٢٧٢ لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ـ ٧٩٤ هـ ت : محمد أبو الفضل أبراهيم ، دار أحياء الكتب العربية ، مصر ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٧م.

(٢) مثل : صدر النهار ، أي أوله ومتقدمه . المصباح : ٣٣٥ .

(٣) في ط زيادة الواو (وهذا) .

(٤) وهي الأمر والنهي والادارة بصفة عامة . انظر ترتيب ٢ : ٦٤٦ . وتجدر الاشارة هنا إلى كتاب الشيخ المنشور بعنوان : السياسة الشرعية ، في اصلاح الراعي والرعية ، ط ٤ ، دار المعرفة ، بيروت ١٩٦٩م .

(٥) في ك و ط (وسمعه) .

(٦) في ك (قصد) ، وفي ط سقطت (يقصد أن)وجاءت في السطر الثاني ، قبل كلمة (ويخلده) .

دع ماسوى ذلك من الدلائل الكثيرة ، على أنه معجز ، مثل عجز جميع الأمم عن معارضته ، مع كمال الرغبة والحرص على معارضته . وعدم الفعل مع كمال الداعي يستلزم عدم القدرة . فلما كان دواعي العرب وغيرهم على المعارضة تامة علم عجز جميع الأمم عن معارضته ، وهذا برهان شان (١) يعلم به صدق هذا الخبر وصدق هذا الخبر آية لنبوته ، غير العلم بأن القرآن معجز، فإن ذلك (٢) آية مستقلة لنبوته ، وهي آية ظاهرة باقية إلى آخر الدهر، معلومة لكل أحد ، وهي من أعظم الآيات .

فإن كونه معجزا يعلم بأدلة متعددة ، والإعجاز فيه (٣) وجوه متعددة ، فتنوعت دلائل اعجازه ، وتنوعت وجوه اعجازه ، وكل وجه من الوجوه ، هو دال على (٤) اعجازه وهذه جمل ، لبسطها تفصيل طويل ، ولهذا قال - تعالى - : ﴿ وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه ، قل إنما الآيات عند الله ، وإنما أنا نذير مبين ﴾ أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يُتلى عليهم ، إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون ﴾ (٥) فهو كاف في الدعوة والبيان ، وهو كاف في الحجة (٦) والبرهان .

---

(١) في ك (بان) وفي ط (بين) .

(٢) في ك و ط (فلذلك) بدون (فان) .

(٣) في ك و ط زيادة (من) .

(٤) في ك و ط (فهو دليل اعجازه) .

(٥) سورة العنكبوت : ٥٠ - ٥١.

(٦) في ك و ط (الحجج) .

فصل (١)

(التحقيق في أسم المعجزة والآية والكرامة وإطلاقهن)

والآيات والبراهين الدالة على نبوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ كثيرة متنوعة ، وهي أكثر وأعظم من آيات غيره من الأنبياء ، ويسميها من يسميها من النظار (معجزات) وتسمى (دلائل النبوة) ، و (أعلام النبوة (٢)) .

وهذه الألفاظ إذا سميت بها آيات الأنبياء ، كانت أدل على المقصود من لفظ المعجزات ، ولهذا لم يكن لفظ (المعجزات) موجودا في الكتاب والسنة ، وإنما فيه لفظ (الآية) و (البينة) و (البرهان) كما قال ـ تعالى ـ في قصة موس ـ :﴿ .. فذانك برهانان من ربك ..﴾ (٣) في العصا واليد ، وقال الله (٤) ـ تعالى ـ في حق محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ (٥) : ﴿ يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم ، وأنزلنا اليكم نورا مبينا ﴾ (٦) وقد قال في مطالبة أهل الدعاوى الكاذبة بالبرهان : (وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى ، تلك أمانيهم ، قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾ (٧) (٨) وقال ـ تعالى ـ : ﴿ أم من يبدؤ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أإله مع الله ؟ قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾ (٩) وقال : ﴿ ومن يدع مع الله الها آخر لابرهان له به ، فإنما حسابه عند ربه ، إنه لايفلح الكافرون ﴾ (١٠) (١١) وقال ـ تعالى ـ : ﴿ ويوم يناديهم فيقول : أين شركائي الذين كنتم تزعمون * ونزعنا من كل أمة شهيدا ، فقلنا هاتوا برهانكم ، فعلموا أن الحق الله ، وضل عنهم ماكانوا يفترون ﴾ (١٢) .

---

(١) في ك و ط زيادة : (في اظهار معجزاته) .
(٢) في ك و ط زيادة (ونحو ذلك) .
(٣) سورة القصص : ٣٢ .
(٤) لم يرد لفظ الجلالة المعظم في أ .
(٥) لم ترد الجملة الدعائية في ك و لا ط .
(٦) سورة النساء : ١٧٤ . (٧) سورة البقرة : ١١١ .
(٨) لم ترد كلمةالتقديس في أ . (٩) سورة النمل : ٦٤ .
(١٠) سورة المؤمنون : ١١٧ . (١١) لم ترد كلمة التقديس في أ .
(١٢) سورة القصص : ٧٤ ـ ٧٥ .

وأما لفظ (الآيات) فكثير في القرآن ، كقوله ـ تعالى ـ ﴿ وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها (١) ، ومايمكرون إلا بأنفسهم ، ومايشعرون ، واذا جاءتهم آية قالوا : لن نؤمن حتى نؤتي مثل ما أوتي رسل الله ، الله أعلم حيث يجعل رسالته (٢) ﴾ وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات (٣) ... ﴾ (٤) وقال ـ تعالى ـ : ﴿ وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء (٥) آية أخرى ﴾ (٦) وقول فرعون له : ﴿ ... فأت به إن كنت من الصادقين ﴾ (٧) وقال قوم صالح له : ﴿ ... فأت بآية إن كنت من الصادقين (٨) ﴾ قال : هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم (٩) ﴾ وقال : ﴿ هذه ناقة الله لكم آية (١٠) ﴾ وقال المسيح : ﴿ قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير ، فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله ، وأبريء الأكمه والأبرص (١١) ، وأحيي الموتى ـ بإذن الله ـ ، وأنبئكم بما تأكلون وماتدخرون

---

(١) أي ليفسدوا فيها ويفسقوا . صفوة التفاسير ٨ : ٤١٦ م١ .

(٢) سورة الأنعام : ١٢٣ ـ ١٢٤ .

(٣) لم ترد كلمة التقديس في أ .

(٤) سورة الاسراء : ١٠١ .

(٤) في ك وط زيادة : (... فاسأل بني اسرائيل إذ جاءهم ...) .

(٤) ذكر الله ـ عز وجل ـ للآيات التسع لموسى ـ عليه السلام ـ لايقدح في ثبوت غير التسع من الآيات ، وقد عدّ أبو عبد الله الفخر الرازي منها ست عشرة آية ، مذكورة في القرآن الكريم ، ثم قال : (وقد اتفقوا على سبع منها ، وهى : العصا واليد والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ، وبقى الاثنان ، ولكل واحد من المفسرين قول آخر فيهما ...) . انظر التفسير الكبير للرازي ٢١ : ٦٥ .

(٥) لم ترد كلمة التقديس في أ .

(٦) سورة النمل : ١٢ .

(٧) سورة الشعراء : ٣١ .

(٨) سقطت (له) من ك و ط .

(٩) سورة الشعراء : ١٥٤ ـ ١٥٥ .

(٩) أي تشرب ماءكم يوما ، ويوما تشربون أنتم الماء . صفوة التفاسير ١٩ : ٣٩١ .

(١٠) سورة الأعراف : ٧٣ .

(١١) أي أشفي الذي ولد أعمى ، كما أشفي المصاب بالبرص ـ باذن الله ـ . والبرص : بياض يظهر في ظاهر البدن لفساد مزاج . المصدر السابق ٣ : ٢٠٣ وترتيب القاموس ١ : ٢٥٠ . وتسهيل المنافع : ١٨١ .

في بيوتكم ، إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين (١) * وقال في حق محمد : * وماتأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين * فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ماكانوا به يستهزؤن (٢) * وقال : * اقتربت الساعة وانشق القمر . وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر (٣) * وقال : * ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة (٤) أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا ، وان يروا كل آية لايؤمنوا بها ، حتى اذا جاؤك يجادلونك ، يقول الذين كفروا : إن هذا إلا أساطير الأولين (٥) * وقال ـ تعالى ـ : * وقالوا لولا ياتينا بآية من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين * أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون (٦) * وقال : * سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق (٧) * وقال ـ تعالى ـ (٨) * قد كان لكم آية في فئتين التقتا ، فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة ، يرونهم مثليهم رأي العين ، والله يؤيد بنصره من يشاء ، إن في ذلك لعبرة لأولى الأبصار (٩) * وقال ـ تعالى ـ : * وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ، قال الذين لايرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أوبدله ، قل مايكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي (١٠) * وقال ـ تعالى ـ : * قل انظروا ماذا في السموات والأرض وماتغني الآيات والنذر عن قوم لايؤمنون (١١) * وقال ـ لما ذكر قصص الأنبياء في سورة الشعراء ـ

---

(١) سورة آل عمران : ٤٩ .
(٢) سورة الأنعام : ٥ .
(٢) في ك و ط زيادة قوله ـ تعالى ـ : * أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني اسرائيل * سورة الشعراء : ١٩٧ .
(٣) سورة القمر : ١ ـ ٢ .
(٤) أكنة : أغطية . وقرا : ثقلا وصمما يمنع من السمع . صفوة ٧ : ٣٨٥ .
(٥) سورة الأنعام : ٢٥ .
(٦) سورة العنكبوت : ٥٠ ـ ٥١ .
(٧) سورة فصلت : ٥٣ .
(٨) لم ترد كلمة التقديس في أ .
(٩) سورة آل عمران : ١٣ .
(١٠) سورة يونس : ١٥ .
(١١) سورة يونس : ١٠١ .

قال في آخر كل قصة : ﴿ ان في ذلك لآية وماكان أكثرهم مؤمنين ﴾ وان ربك لهو العزيز الرحيم ﴾ (١) وقال : ﴿ لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين ﴾ – الى أن قال في آخرها – : ﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وماكنت لديهم ، اذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون ﴾ الى قوله : ﴿ وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنهامعرضون ﴾ (٢) وقال – تعالى – (٣) : ﴿وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها ، فعجل لكم هذه ، وكف أيدي الناس عنكم،ولتكون آية للمؤمنين ﴾ (٤) وقال : ﴿ وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين ﴾ (٥) .

وأما لفظ المعجز ، فانما يدل على أنه أعجز غيره ، كما قال – تعالى – ﴿... وماهم بمعجزين ﴾ (٦) وقال : ﴿ وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء ...﴾ (٧) . ومن لايثبت فعلا إلا لله ، يقول : المعجز هو الله ، وانماسمى غيره معجزا مجازا . وهذا اللفظ لايدل على كون ذلك آية ودليلا الا (٨) اذا فُسر المراد به ، وذُكر شرائطه ، ولهذا كان كثير من أهل الكلام لايسمى معجزا الا ماكان للأنبياء فقط ، وماكان للأولياء ان أثبت لهم خرق عادة سماها كرامة .

والسلف – كأحمد وغيره – كانوا يسمون هذا وهذا معجزا ، ويقولون لخوارق الأولياء : انها معجزات ، اذا (٩) لم يكن في اللفظ مايقتضي اختصاص الأنبياء بذلك . بخلاف ماكان آية وبرهانا على نبوة النبي ، فان هذا يجب اختصاصه .

---

(١) سورة الشعراء : ٨ – ٩ و ٦٧ – ٦٨ و ١٠٣ – ١٠٤ و ١٢١ – ١٢٢ و ١٣٩ – ١٤٠ و ١٥٨ – ١٥٩ و ١٧٤ – ١٧٥ و ١٩٠ – ١٩١ .

(٢) معرضون أي لايفكرون فيها ولايعتبرون . صفوة ١٣ : ٦٩ .

(٣) سورة يوسف : ٧ – ١٠٥ .

(٤) لم ترد كلمة التقديس في أ .

(٥) سورة الفتح : ٢٠ . (٥) سورة المؤمنون : ٥٠ .

(٥) ربوة : أي مكان مرتفع من أرض بيت المقدس . ذات قرار ومعين : مستوية يستقر عليها ،وماء جار ظاهر للعيون . صفوة ١٨ : ٣١٠ .

(٦) سورة الزمر : ٥١ . (٧) سورة الشورى : ٣١ .

(٨) سقطت (الا) من ك و ط .

(٩) هكذا في جميع النسخ ، والذي يظهر لي أنها (اذ) .

وقد يسمون الكرامات آيات ، لكونها تدل على نبوة من اتبعه الولي ، فان الدليل مستلزم للمدلول (١) ، يمتنع ثبوته بدون ثبوت المدلول ، فكذلك ما كان آية وبرهانا وهو الدليل والعَلَم على نبوة النبي يمتنع أن يكون لغير النبي (٢) (٣) . وبسط هذا له موضع آخر .

والمقصود هنا أن دلائل نبوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ كثيرة متنوعة (٤) ، كما قد تكلمنا على ذلك في غير هذا الكتاب ، وبينا أن من يخصص دلائل النبوة بنوع فقد غلط ، بل هي أنواع كثيرة ، لكن الآيات نوعان: منها : ماضى وصار معلوما بالخبر ، كمعجزات موسى وعيسى .

ومنها : ماهو باق إلى اليوم ، كالقرآن الذي هو من أعلام نبوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكالعلم والايمان الذي في أتباعه (٥) ، فإنه من أعلام نبوته ، وكشريعته التي أتى بها ، فإنها أيضا من أعلام نبوته ، وكالآيات التي يظهرها الله وقتا بعد وقت من كرامات الصالحين من أمته (٦) ، ووقوع ما أخبر بوقوعه (٧) ، كقوله " لاتقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك (٨) " وقوله: " لاتقوم الساعة حتى

---

(١) في ك (المدلول) وفي ط (للدلول) .

(٢) في ك و ط زيادة: "وقد يقال : إنهم سموها معجزات لأن كرامات الأولياء دليل على نبوة النبي الذي اتبعوه ، ولهذا سموها آيات-أيضا-، أو لأنها تعجز غيرهم ، وهي آية على صحة طريقهم " .

(٣) انظر الجواب الصحيح (رسالة دكتوراه) ج ١ م ١ : ٤٠٩ ومابعدها . وانظر كتاب النبوات : ٢ ـ ١٤ و ٢٨ ومابعدها .

(٤) انظر كتاب النبوات : ٣٠ .

(٥) في ك و ط (اللذين) .

(٦) هكذا في ك و ط ، وفي أ زيادة : (به) ولا أرى لها محلا ممكنا .

(٧) هكذا في ك و ط ، وقد سقطت كلمة (الساعة) من أ.

(٨) رواه البخاري ، كتاب الجهاد ، باب قتال الترك ، ٦ : ١٠٤ (٢٩٢٨) من فتح الباري ، ومسلم ، كتاب الفتن ... ،باب لاتقوم الساعة حتى يمر الرجل ... ، ٤ : ٢٢٣٣ (٢٩١٢) .

تخرج نار من (١) أرض الحجاز تضيء (٢) لها أعناق الابل ببصرى " وقد خرجت هذه النار سنة خمس وخمسين وستماية ، وشاهد الناس أعناق الابل ببصرى (٣) (٤) . وظهر (٥) دينه وملته بالحجة والبرهان ، واليد والسنان (٦) ، وَمَثَلُ (٧) المثلات والعقوبات التي تحيق (٨) بأعدائه ، وغير ذلك ، وكنعته الموجود في كتب الأنبياء قبله ، وغير ذلك .

---

(١) في ك و ط (بأرض) .

(٢) رواه البخاري بمثله ، كتاب الفتن ، باب خروج النار ، ١٣ : ٧٨ (٧١١٨) من فتح الباري ، ومسلم ، كتاب الفتن ... ، باب لاتقوم الساعة حتى تخرج نار ... ، ٤ : ٢٢٢٧ (٢٩٠٢) . وقد عجبت من قول ابن كثير : "تفرد به البخاري " يعني هذا الحديث . البداية والنهاية ٦ : ٢٥٣ . وقد استدرك وعزاه إلى مسلم - ايضا - في النهاية ١ : ١٨٠ .

(٣) في ك و ط زيادة " في ضوء النار " .

(٤) وقد ظهرت في يوم الجمعة الخامس من جمادي الآخرة سنة ٦٥٤ هـ واستمرت شهرا ، أو اكثر ، وكان هذا في شرقي المدينة ، من ناحية وادي شظا ، مقابل جبل أحد ، وقد زلزلت المدينة بسببها ، وسمع أهلها أصواتا مزعجة ، قبل ظهورها بخمسة أيام ، وقد شاهد غير واحد من الأعراب ببصرى صفحات أعناق إبلهم ، كما نقل ذلك القاضي صدر الدين علي بن أبي قاسم التيمي الحنفي عن والده الشيخ صفي الدين . أحد مدرسي بصرى . وقد لجأ أهل المدينة في هذه الأيام إلى المسجد النبوي ، وتابوا إلى الله من ذنوب كانوا عليها . انظر المصدر السابق ٦ : ٢٥٣ - ٢٥٤ .

(٥) في ك و ط (وظهور) .

(٦) هكذا في ك و ط ، وفي أ (واللسان) والأولى ما أثبتناه من ك و ط .

(٧) المثلات : هي العقوبات لأمثال المكذبين . صفوة ١٣ : ٧٥ .

(٨) تحيق : من الحوق ، وهو الاحاطة . ترتيب ١ : ٧٤١ .

فصل (١)

(بحث في الإعجاز القرآني)

والقرآن (٢) كلام الله ، وفيه الدعوة والحجة ، فله به أختصاص على غيره ، كما ثبت عنه في الصحيح أنه قال : " مامن نبي من الأنبياء إلا وقد أوتى من الآيات ما آمن على مثله البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله الىّ ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة " (٣) . والقرآن يظهر كونه آية وبرهانا له من وجوه ؛ جملة وتفصيلا . أما الجملة ، فإنه قد عَلِمَت الخاصة والعامة من عامة الأمم ، علما متواترا أنه هو الذي أتى بهذا القرآن ، وتواترت بذلك الأخبار ، أعظم من تواترها بخبر كل أحد من الأنبياء والملوك والفلاسفة وغيرهم .

والقرآن-نفسه- فيه تحدي الأمم بالمعارضة ، والتحدي (٤) هو أن يحدوهم : أي يدعوهم فيبعثهم (٥) الى أن يعارضوه، فيقال فيه : حداني على هذا الأمر : أي بعثني عليه ، ومنه سمى حادى العِيْس ، لأنه بحداه يبعثها على السير (٦) .

وقد يريد بعض الناس بالتحدى دعوى النبوة (٧) ، ولكن أصله الأول ، قال ـ تعالى ـ في سورة الطور : ﴿ أم يقولون تقوله بل لايؤمنون ﴾ فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين (٨) ﴿

---

(١) سقطت (فصل) من أ ، وفي ك و ط زيادة : (في معجزات القرآن) .
(٢) في ط (القرآن) .
(٣) رواه البخاري بمثله ، كتاب فضائل القرآن ، باب كيف نزل الوحي .... ، ٩ : ٣ (٤٩٨١) من فتح الباري .
(٤) في ك و ط (والمتحدي) .
(٥) في ك و ط (ويبعثهم) بالواو بدلا من الفاء .
(٦) انظر اللسان ١٤ : ١٦٨ ، مادة : حدا .
(٧) في أ (دعوة) وما أثبتناه من ك و ط أصح .
(٨) سورة الطور : ٢٣ ـ ٢٤ .

فهنا قال : ﴿ فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين ﴾[1] في أنه تقوله ، فإنه إذا كان محمد قادراً[2] على أن يتقوله ، كما يقدر الانسان على أن يتكلم بما يتكلم به ، من نظم ونثر ، كان هذا ممكنا للناس ، الذين هم من جنسه فأمكن الناس أن يأتوا بمثله .

ثم إنه تحداهم بعشر سور مثله فقال ـ تعالى ـ : ﴿ أم يقولون افتراه ؟[3] قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ، وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾[3] ثم تحداهم بسورة واحدة منه فقال ـ تعالى ـ : ﴿ وماكان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ، ولكن تصديق الذي بين يديه ، وتفصيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين * أم يقولون افتراه ؟ قل فأتوا بسورة مثله ، وادعوا من استطعتم من دون الله ، ان كنتم صادقين ﴾[4] فطلب منهم أن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات ، هم وكل من استطاعوا من دون الله ، ثم تحداهم بسورة واحدة ، هم ومن استطاعوا قال : ﴿ فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لااله الا هو ﴾[5] وهذا أصل دعوته ، وهو الشهادة بأنه لااله الا الله[6] ، والشهادة بأن محمدارسول الله .

---

(١) سورة الطور : ٢٢ ـ ٢٣ .

(٢) في ك و ط (قادرا) بالنصب . وفي أ (قادر) والصواب ما أثبتناه .

(٣) سورة هود : ١٣ .

(٣) أي اختلقه وأتى به من عند نفسه . انظر صفوة التفاسير ١٢ : ٩ .

(٤) سورة يونس : ٣٧ ـ ٣٨ .

(٥) سورة هود : ١٤ .

(٦) لم ترد جملة (الشهادة بان لااله الا الله) في ط ـ فقط ـ .

وقال – تعالى – : ﴿ فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله ﴾ (١) كما قال : ﴿ لكن الله يشهد بما أنزل اليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون ﴾ (٢) : أي هو يعلم أنه منزل ، لايعلم أنه مفترى ، كما قال :﴿ وماكان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ﴾ (٣) أي ماكان لأن يفترى ، يقول : ماكان ليفعل هذا . فلم ينف مجرد فعله ، بل نفى احتمال فعله ، وأخبر بأن مثل هذا لايقع ، بل يمتنع وقوعه ، فيكون المعنى : مايمكن ، ولايحتمل ، ولايجوز أن يفترى هذا القرآن من دون الله ، فإن الذي يفتريه من دون الله مخلوق ، والمخلوق لايقدر على ذلك ، وهذا التحدى كان بمكة ، فإن هذه السور مكية (٤) ، سور يونس ، وهود ، والطور .

ثم أعاد التحدي في المدينة بعد الهجرة ، فقال في (البقرة) وهي سورة مدنية : ﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾ ثم قال : ﴿ فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النّار التي وقودها الناس والحجارة ﴾ (٥) فذكر أمرين :

أحدهما : قوله ﴿ فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النّار.. ﴾ يقول: إذا لم تفعلوا فقد علمتم أنه حق ، فخافوا الله أن تكذبوه ، فيحيق بكم العذاب ، الذى وعد به المكذبين ، وهذا (٦) دعاء إلى سبيل ربه بالموعظة الحسنة ، بعد أن دعاهم بالحكمة ، وهو جدالهم بالتي هي أحسن .

---

(١) سورة هود : ١٤ .
(٢) في ك و ط زيادة ﴿ .. وكفى بالله شهيدا ﴾ .
(٢) سورة النساء : ١٦٦ .
(٣) سورة يونس : ٣٧ .
(٤) قيل في تعريف المكي والمدني عدة تعريفات ، أشهرها : أن المكي : مانزل قبل الهجرة ، والمدني : مانزل بعد الهجرة وإن كان بمكة . وقد رجح الزركشي أن المكي : خطابُ المقصود به – أوجُل المقصود به – أهل مكة ... كذلك بالنسبة إلى أهل المدينة . والتعريف الأول أظهر . انظر البرهان في علوم القرآن ١ : ١٨٧ – ١٩١ .
(٥) سورة البقرة : ٢٣ – ٢٤ .
(٥) في ك و ط زيادة : ﴿ .. أعدت للكافرين ﴾ .
(٦) في ط (هذا) .

والثاني : قوله ﴿ ... ولن تفعلوا ..﴾ و (لن) لنفي المستقبل ، فثبت الخبر (١) أنهم فيما يستقبل من الزمان ، لايأتون بسورة من مثله ، كما أخبر قبل ذلك ، وأمره أن يقول في سورة (سبحان) ، وهي سورة مكية ، افتتحها بذكر الاسراء ، وهو كان بمكة بنص القرآن والخبر المتواتر ، وذكر فيها من مخاطبته للكفار بمكة ، مايبين ذلك بقوله : ﴿ قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، لايأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا (٢)) فعم (٣) بالخبر جميع الخلق معجزا لهم ، قاطعا بأنهم إذا اجتمعوا كلهم ، لايأتون بمثل هذا القرآن ، ولو تظاهروا وتعاونوا على ذلك ، وهذا التحدى والدعاء ، هو لجميع الخلق ، وهذا قد سمعه كل من سمع القرآن ، وعرفه الخاص والعام ، وعلم مع ذلك أنهم لم يعارضوه ،ولا أتوا بسورة مثله ، ومن حين بعث ، وإلى اليوم ، الأمر على ذلك ، مع ماعلم من أن الخلق كلهم كانوا كفارا قبل أن يبعث ، ولما بعث إنما تبعه قليل .

وكان الكفار من أحرص الناس على ابطال قوله ، مجتهدين بكل طريق يمكن تارة يذهبون إلى أهل الكتاب فيسئلونهم عن أمور من الغيب ، حتى يسألوه عنها (٤) ، كما سألوه عن قصة يوسف ، وأهل الكهف ، وذي القرنين كما تقدم . وتارة يجتمعون في مَجْمع بعد مجمع على مايقولونه فيه ، وصاروا يضربون له الأمثال (٥) ، فيشبهونه بمن ليس مثله لمجرد شبه ما ، مع ظهور الفرق . فتارة يقولون : مجنون . وتارة يقولون : ساحر . وتارة يقولون : كاهن . وتارة يقولون (٦) : شاعر . إلى أمثال ذلك من الأقوال ، التي يعلمون هم وكل عاقل سمعها ـ أنها افتراء عليه .

---

(١) في ك و ط (للخبر) .
(٢) سورة الاسراء : ٨٨.
(٣) في ك و ط زيادة : (بأمره له أن يخبر) .
(٤) ص : ٤٧٢ وما بعدها من هذه الرسالة .
(٥) في ك و ط (بمثله) .
(٦) في ط (يعلمونها) .

فإذا كان قد تحداهم بالمعارضة (١) ، مرة بعد مرة ، وهي تبطل دعوته ، فمعلوم أنهم لو كانوا قادرين عليها لفعلوها ، فإنه - مع وجود هذا الداعي التام المؤكد - إذا كانت القدرة حاصلة ، وجب وجود المقدور ، ثم (٢) هكذا القول في سائر أهل الأرض .

فهذا القدر ، يوجب علما بينا لكل أحد بعجز (٣) جميع أهل الأرض ، عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، بحيلة وبغير حيلة . وهذا أبلغ من الآيات التي يكرر جنسها كاحياء الموتى ، فإن هذا لم يأت أحد بنظيره ، وكون القرآن أنه معجزة ليس هو من جهة فصاحته وبلاغته فقط ، أو نظمه وأسلوبه فقط ، ولا من جهة اخباره بالغيب فقط ، ولا من جهة صرف الدواعي عن معارضته فقط ، ولا من جهة سلب قدرتهم عن معارضته فقط . بل هو آية بينة معجزة ، من وجوه متعددة ، من جهة اللفظ ، ومن جهة النظم ، ومن جهة البلاغة ، في دلالة اللفظ على المعنى ، ومن جهة معانيه التي أمر بها ، ومعانيه التي أخبر بها عن الله - تعالى - وأسمائه ، وصفاته ، وملائكته ، وغير ذلك . ومن جهة معانيه ، التي أخبر بها عن الغيب الماضي . وعن الغيب المستقبل .ومن جهة ما أخبر به عن المعاد ومن جهة مابين فيه من الدلائل القينية ، والأقيسة العقلية ، التي هي الأمثال المضروبة ، كما قال - تعالى - (٤) : ﴿ ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفورا (٥) ﴾ وقال - تعالى - (٦) : ﴿ ولقد ضربنا في هذا القرآن للناس من كل مثل ، وكان الانسان اكثر شيء جدلا (٧) ﴾ وقال : ﴿ ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ، لعلهم يتذكرون ﴾ قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون (٨) ﴾ .

---

(١) من عارضه في المسير : أي سار حياله . وعارضه بمثل ماصنع ، أي أتى إليه بمثل ما أتى . مختار الصحاح : ٤٢٥ .

(٢) هنا بياض في أ بمقدار كلمة وأكاد أجزم بأنه ليس هناك أي سقط .

(٣) في ك (بعجز عن) وفي ط (يعجز عن) .

(٤) في ك و ط تقدمت آية سورة الكهف على آية سورة الاسراء .

(٥) سورة الاسراء : ٨٩ .

(٦) لم ترد كلمة التقديس في أ .

(٧) سورة الكهف : ٥٤ .

(٨) سورة الزمر : ٢٧ - ٢٨ .

وكل ماذكره الناس من الوجوه في اعجاز القرآن ، هو حجة على اعجازه ، ولاتناقض في ذلك (١) ، بل كل قوم تنبهوا لما تنبهوا له .

ومن أضعف الأقوال ، قول من يقول من أهل الكلام : إنه معجز بصرف الدواعي (٢) مع تمام الموجب لها ، أو بسلب القدرة التامة (٣) ، أو بسلبهم (٤) القدرة المعتادة في مثله سلبا عاما ، مثل قوله - تعالى - لزكريا (٥) : ﴿ ... آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا ﴾ (٦) وهو أن الله صرف قلوب الأمم عن معارضته مع قيام المقتضي التام (٧) * فإن هذا يقال على سبيل التقدير والتنزيل ، وهو أنه إذا قدر أن هذا الكلام يقدر الناس على الاتيان بمثله ، فامتناعهم - جميعهم - عن هذه المعارضة ، مع قيام الدواعي العظيمة إلى المعارضة - من أبلغ الآيات الخارقة للعادات ، بمنزلة من يقول : إني آخذ أموال جميع أهل هذا (٨) البلد العظيم ، وأضريهم جميعهم ، وأجوعهم ، وهم قادرون على أن يشكوا إلى الله ، أو إلى ولي الأمر ، وليس فيهم - مع ذلك - من يشتكي ، فهذا من أبلغ العجائب الخارقة للعادة .

ولو قدر أن واحدا صنف كتابا ، يقدر أمثاله على تصنيف مثله ، أوقال شعرا ، يقدر أمثاله (٩) أن يقولوا مثله ، وتحداهم كلهم ، فقال : عارضوني ، وإن لم تعارضوني فأنتم كفار ، مأواكم النار ، ودماؤكم لي حلال ، امتنع (١٠) في العادة أن لايعارضه أحد . فإذا لم يعارضوه ، كان هذا من أبلغ العجائب الخارقة للعادة .

---

(١) في ك و ط (ولايناقض ذلك) .
(٢) في ك و ط (مع قيام) وفي أ (عن تمام) وقد اخترنا ما في أكسفورد
(٣) في ك و ط (الجازمة) .
(٣) في ك و ط تقدم قوله : (وهو أن الله صرف قلوب الأمم عن معارضته مع قيام المقتضي التام) وسيأتي بعد ذكر الآية .
(٤) في ك و ط (أو سلبهم) بدون باء في أولها .
(٥) لم ترد كلمة التقديس في أ .
(٦) سورة مريم : ١٠ .
(٧) هذه الجملة بين النجمتين تقدمت عن هذا الموضع في ك و ط كما أشرنا .
(٨) في أ (هذه) وتذكير اسم الاشارة هنا أولى .
(٩) سقطت (أمثاله) من ط .
(١٠) سقطت كلمة (أبلغ) من ك و ط .

والذي جاء بالقرآن ، قال للخلق كلهم : أنا رسول الله اليكم جميعا ، ومن آمن بي ، دخل الجنة ، ومن لم يؤمن بي ، دخل النار ، وقد أبيح لي قتل رجالهم وسبى ذراريهم ، وغنيمة أموالهم ، ووجب عليهم - كلهم - طاعتي ، ومن لم يطعني ، كان من أشقى الخلق ، ومن آياتي هذا القرآن ، فإنه لايقدر أحد على أن يأتي بمثله ،وأنا أخبركم أن أحدا لايأتي بمثله .

فيقال : لايخلو اما أن يكون الناس قادرين على المعارضة أوعاجزين. فان كانوا قادرين ، ولم يعارضوه ، بل صرف الله دواعي قلوبهم ، ومنعها أن تريد معارضته مع هذا التحدي العظيم ، أو سلبهم القدرة التي كانت فيهم قبل تحديه (١) - فإن سلب القدرة المعتادة أن يقول رجل : معجزتي أنكم كلكم ، لايقدر أحد منكم على الكلام ولا على الأكل والشرب ، فان المنع من المعتاد (٢) ، كاحداث غير المعتاد - فهذا من أبلغ الخوارق .

وإن كانوا عاجزين (٣) ، ثبت أنه خارق للعادة ، فثبت كونه خارقا على تقدير النقيضين : النفي والاثبات ، فثبت أنه من العجائب الناقضة للعادة في نفس الأمر .

فهذا غاية التنزل ، والا فالصواب المقطوع به ، أن الخلق كلهم عاجزون عن معارضته (٤) ، لايقدرون على ذلك ، ولايقدرمحمد - صلى الله عليه وسلم - نفسه من تلقاء نفسه ، على أن يبدل سورة من القرآن ، بل يظهر الفرق بين القرآن وبين سائر كلامه ، لكل من له أدنى تدبر (٥) ، كما قد أخبر الله به (٦) في قوله : ﴿ قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ،لايأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا (٧) ﴾ .

---

(١) هنا بداية جملة اعتراضية طويلة.
(٢) نهاية الجملة الاعتراضية .
(٣) في ك و ط زيادة : (للعادة) .
(٤) لم ترد الجملة الدعائية في ك و لا ط .
(٥) التدبر في الأمر : التفكر فيه . اللسان ٤ : ٢٧٣ مادة : دبر .
(٦) في ك و ط (آخر في قوله) .
(٧) سورة الاسراء : ٨٨.

وأيضا فالناس يجدون دواعيهم إلى المعارضة حاصلة ، لكنهم يحسون من أنفسهم العجز عن المعارضة ، ولو كانوا قادرين لعارضوه . وقد انْتَدَبَ[1] غير واحد لمعارضته ، لكن جاء بكلام فضح به نفسه ، وظهر به تحقيق ما أخبر به القرآن من عجز الخلق عن الاتيان بمثله ، مثل قرآن مسيلمة الكذاب[2] ، كقوله : (ياضفدع بنت ضفدعين ، نِقِّي كم تَنِقِّيَن ، لاالماء تكدرين ، ولا الشارب تمنعين، رأسك في الماء ، وذنبك في الطين)[3] .

وكذلك - أيضا - يعرفون أنه لم يختلف حال قدرتهم قبل سماعه وبعد سماعه ، فلا يجدون أنفسهم عاجزين عما كانوا قادرين عليه ، كما وجد زكريا[4] عجزه عن الكلام بعد قدرته عليه .

وأيضا فلا نزاع بين العقلاء المؤمنين بمحمد والمكذبين له ، أنه كان قصده أن يصدقه الناس لايكذبوه ، وكان - مع ذلك - من أعقل الناس وأخبرهم وأعرفهم بما جاء به ، ينال مقصوده ، سواء قيل : إنه صادق أو كاذب، فإن من دعى الناس إلى مثل هذا الأمر العظيم ، ولم يزل حتى استجابوا[5] له طوعا وكرها ، وظهرت دعوته ، وانتشرت ملته هذا الانتشار ، هو من عظماء الرجال على أي حال كان . فاقدامه - مع هذا القصد - في أول الأمر وهو بمكة ، واتباعه قليل ،على أن يقول خبرا ، يقطع به أنه لو اجتمع الانس والجن على يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ، لا في ذلك العصر ، ولافي

---

(١) اي استجاب لدواعي المعارضة . انظر مختار : ٦٥١ .

(٢) هو ابن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي ، أبو ثمامة ، من المعمرين ، ولد ونشأ باليمامة في القرية المسماة (الجُبَيْلة) بوادي حنيفة في نجد ، وكان ضئيل الجسم ، قالوا في وصفه : كان رويجلا أصيغرا أخينس ، وقتل سنة ١٢ هـ بعد معركة ضارية بينه وبين خالد بن الوليد - رضي الله عنه - انظر الكامل ٢ : ٢٤٣ - ٢٤٧ ، وشذرات الذهب ١:٢٣ .

(٣) تاريخ الأمم والملوك ٣ : ٢٨٤ ، والكامل ٢ : ٢٤٤ ، والبداية والنهاية ٦ : ٣٢٦ .

(٤) المقصود : هو زكريا النبي - عليه السلام - وراجع سورة آل عمران : ٤١، وسورة مريم : ١٠ .

(٥) سقطت(حتى)من أ وقد أشار الناسخ الى سقط ولكنه لم يثبت شيئا.

سائر الأعصار المتأخرة ، لايكون الا مع جزمه بذلك ، وتيقنه له ، والا فمع الشك والظن لايقول ذلك من يخاف أن يظهر كذبه فَيفتَضِح ، فيرجع الناس عن تصديقه .

وإذا كان جازما بذلك ، متيقنا له ، لم يكن ذلك إلا عن اعلام الله له بذلك . وليس في العلوم المعتادة أن يعلم الانسان أن جميع الخلق لايقدرون أن يأتوا بمثل كلامه ، الا إذا علم العالم أنه خارج عن قدرة البشر . والعلم بهذا يستلزم كونه معجزا ، فإنا نعلم ذلك ، وإن لم يكن علمنا بذلك خارقا للعادة ، ولكن يلزم من العلم ثبوت المعلوم ، وإلا كان العلم جهلا ، فثبت أنه ـ على كل تقدير ـ يستلزم كونه خارقا للعادة (١) .

وأما التفصيل ، فيقال : نفس نظم (٢) القرآن وأسلوبه عجيب بديع ،ليس من جنس أساليب الكلام المعروفة ، ولم يأت أحد بنظير هذا الأسلوب ، فإنه ليس من جنس الشعر ، ولا الرجز ، ولا الخطابة ولا الرسائل (٣) ، ولانظمه نظم شيء من كلام الناس ؛ عربهم وعجمهم ، ونفس فصاحة القرآن وبلاغته هذا عجيب خارق (٤) للعادة ، ليس له نظير في كلام جميع الخلق ، وبسط هذا وتفصيله طويل (٥)، يعرفه من له نظر وتدبر .

ونفس ما أخبر به القرآن في باب توحيد الله وأسمائه وصفاته ، أمر عجيب خارق للعادة ، لم يوجد مثل ذلك في كلام بشر ، لانبي ولاغير نبي .

وكذلك ما أخبر به عن الملائكة ، والعرش ، والكرسي ، والجن ، وخلق آدم ، وغير ذلك ، ونفس ما أمر به القرآن ، من الدين ، والشرائع كذلك ،ونفس ما أخبر به من الأمثال ، وبَيِّنَه من الدلائل هو ـ ايضا ـ كذلك .

---

(١) في ك و ط بعد هذا زيادة وهي : (ولو قال مفتر : بل أنا أقول: الذي أخبر بهذه الغيوب وأتى بهذه العجائب ، كان جاهلا أخرق ، ولايدري مايقول . قيل له : فهذا أبلغ في الاعجاز وخرق العادة أن يكون مجنونا قد أتى بهذه الغيوب والعجائب التي لايقدر عليها أحد من العقلاء ولا المجانين) .

(٢) النظم هو التأليف ، وضم شيء إلى آخر . ترتيب القاموس ٤ : ٣٩٦

(٣) في ك و ط تقدمت (الرسائل) على (الخطابة) .

(٤) في أ (خارقا) بالنصب والاصح مافي ك و ط ولهذا اعتمدناه.

(٥) مع كثرة التفاصيل والتنبيهات والدقائق ، فالشيخ المؤلف ـ رحمه الله ـ تعالى ـ يرى نفسه أنه ينزع إلى الايجاز والاختصار .

ومن تدبر ماصنفه جميع العقلاء في العلوم الالهية ، والخلقية ،والسياسية ،(١) وجد بينه وبين ماجاء في الكتب الالهية : التوراة ، والانجيل ، والزبور، وصحف الأنبياء (٢) ، وجد بين ذلك وبين القرآن من التفاوت (٣) ، أعظم مما بين لفظه ونظمه ، وبين سائر ألفاظ العرب ونظمهم .

فالاعجاز في معناه ، أعظم وأكثر من الاعجاز في لفظه ، وجميع عقلاء الأمم (٤) عاجزون عن الاتيان بمثل معانيه ، أعظم من عجز العرب عن الاتيان بمثل لفظه . ومافي التوراة والانجيل ، لو قدر أنه مثل القرآن ، لايقدح في المقصود ، فإن تلك كتب الله ـ أيضا ـ ، ولايمتنع أن يأتي نبي بنظير آية نبي ، كما أتى المسيح باحياء الموتى . وقد وقع احياء الموتى على يد غيره ، فكيف وليس مافي التوراة والانجيل مماثلا لمعاني القرآن ، لا في الحقيقة ، ولا في الكيفية ، ولا (٥) الكمية ؟ ! بل يظهر التفاوت لكل من تدبر القرآن ، وتدبر الكتب .

وهذه الأمور من ظَهَرت له من أهل العلم والمعرفة ظهر له اعجازه من هذا الوجه . ومن لم يظهر له ذلك ، اكتفى بالأمر الظاهر الذي يظهر له ولأمثاله ، كعجز جميع الخلق عن الاتيان بمثله مع تحدي النبي واخباره بعجزهم ، فإن هذا أمر ظاهر لكل أحد .

---

(١) في أ (والسياسة) والأولى ما اعتمدناه من ك و ط .

(٢) في ك زيادة (تفاوت عظيم ووجد) وهي في ط (تفاوتا عظيما) بالنصب ، وليست هذه الزيادة في أ .

(٣) في ط (التفا ت) .

(٤) في ك و ط (بنى آدم) .

(٥) في ط زيادة : (في) .

ودلائل النبوة من جنس دلائل الربوبية ، فيها الظاهر البين لكل أحد ، كالحوادث المشهودة ، مثل خلق الحيوان والنبات والسحاب وانزال المطر وغير ذلك . وفيها مايختص به مَنْ عَرَفه ، مثل دقائق التشريح (١) ، ومقادير الكواكب وحركاتها وغير ذلك ، فإن الخلق كلهم محتاجون إلى الاقرار بالخالق ،والاقرار برسله ، وما اشتدت الحاجة اليه في الدين والدنيا ، فان الله يجود به (٢) على عباده جوداً عاماً ميسراً .

فلما كانت حاجتهم الى النَّفَس أكثر من حاجتهم إلى الماء ، وحاجتهم إلى الماء أكثر من حاجتهم إلى الأكل ، كان - سبحانه-قد جاد بالهواء جودا عاماً في كل مكان وزمان (٣) ، لضرورة الحيوان إليه ، ثم الماء دونه ، ولكنه يوجد أكثر مما يوجد القوت (٤) وأيسر ، لأن الحاجة إليه أشد .

فكذلك دلائل الربوبية ، حاجة الخلق اليها في دينهم أشد الحاجات ، ثم دلائل النبوة . فلهذا يسرها الله وسهلها أكثر مما لا (٥) يحتاج اليه العامة ، مثل تماثل الأجسام واختلافها ، وبقاء الأعراض أو فنائها ، وثبوت الجوهر الفرد (*) أو انتفاؤه ، ومثل مسائل المستحاضة ، وفوات الحج وفساده ، ونحو ذلك ، مما يتكلم فيه بعض العلماء .

---

(١) التشريح : علم تعرف به جميع أجزاء جسم الانسان . وارتباطها بعضها ببعض ، والمواد المتكونة منها . دائرة معارف وجدي ٥ : ٣٧٤ .

(٢) الجود : العطاء السخي . انظر ترتيب القاموس ١ : ٥٥٢ .

(٣) في ط (زمان ومكان) .

(٤) القوت : مايؤكل ليمسك الرمق (الحياة) . المصباح : ٥١٨

(٥) سقطت (لا) من ك و ط .

(*) الجوهر الفرد: هو الذي ليس له في الحال جزء بالفعل،وفي قوته أن يتجزأ أجزاء غير متناهية كل منها أصغر من الآخر . انظر الملل والنحل ٢:٢٠١.

فصـــل

(شخصية الرسول وشريعته وأمته ،وكرامات الصالحين منها ، كل ذلك من آياتـــه)

وسيرة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ (١) وأخلاقـــه وأقواله وأفعاله وشريعته من آياته ، وأمته من آياته ، وعلم أمته ودينهم من آياته ، وكرامات صالح أمتـــه من آياته ، وذلك يظهر بتدبر سيرته من حين ولـــــد (٢) والى أن بعث ، ومن حين بعث إلى أن مات ، وتدبر نسبـــه وبلده وأصله وفصله (٣) ، فإنه كان من أشرف أهـــل الأرض نسبا : من صميم سلالة إبراهيم ، الذي جعل الله فـــــي ذريته النبوة والكتاب ، فلم يأت نبي (٤) بعد إبراهيـــــم إلا من ذريته ، وجعل له ابنين : إسماعيل وإسحـــاق ، وذكر في التوراة هذا وهذا ، وبشر في التوراة بما يكون من ولد إسماعيل ، ولم يكن في ولد إسماعيل من ظهـــر فيما بشرت به النبوات غيره ، ودعا إبراهيم لذريـــة (٥) إسماعيل : بأن يبعث فيهم رسولا منهم ، ثم من قريـــش صفوة بنى إبراهيم ، ثم من بني هاشم صفوة قريـــش ، ومن مكة أم القرى ، وبلد البيت الذي بناه إبراهيـــم ، ودعا الناس إلى حجه ، ولم يزل محجوجا من عهد إبراهيم مذكورا في كتب الأنبياء بأحسن وصف .

---

(١) في ك و ط زيادة (من آياته) .

(٢) في ك و ط (إلى) .

(٣) من الفصيلة : وهم عشيرة المرء ورهطه الأدنون ، أو أقرب آبائه إليه ـ ترتيب القاموس ٣ : ٤٩٧ .

(٤) في ك و ط زيادة (من) .

(٥) في أ (لذريته) وهو خطأ .

وكان من أكمل الناس تربية ونشأة ، لم يزل معروفا بالصدق والبر والعدل ، ومكارم الأخلاق ، وترك الفواحش والظلم ، وكل وصف مذموم ، مشهودا له بذلك عند جميع من يعرفه قبل النبوة ، وممن آمن به وممن كفر بعد[1] النبوة ، لايعرف له شيء يعاب به ، لافي أقواله ، ولا في أفعاله ، ولافي أخلاقه ، ولاجرب عليه كَذْبة[2] قط ، ولاظلم ، ولافاحشة ، وكان خلقه وصورته من أكمل الصور وأتمها ، وأجمعها للمحاسن الدالة على كماله ، وكان أميا من قوم أميين ، لايعرف ، لاهو ، ولاهم ، مايعرفه أهل الكتاب : التوراة والإنجيل . ولم يقرأ شيئا عن علوم الناس ، ولاجالس أهلها ، ولم يَدَّع نبوة إلى أن أكمل الله له أربعين[3] سنة ، فأتى بأمر هو أعجب الأمور وأعظمها ، وبكلام لم يسمع الأولون والآخرون بنظيره ، وأخبرنا بأمر ، لم يكن في بلده وقومه ، من يعرف مثله .[4]

ثم اتبعه[5] أتباع الأنبياء ، وهم ضعفاء الناس ، وكَذَّبه أهل الرياسة وعادوه ، وسعوا في هلاكه وهلاك من اتبعه بكل طريق ، كما كان الكفار يفعلون بالأنبياء وأتباعهم . والذين اتبعوه لم يتبعوه لرغبة ولا لرهبة[6] ، فإنه لم يكن عنده مال يعطيهم ، ولاجهات يوليهم إياها ، ولا كان له سيف بل كان السيف والمال والجاه مع أعدائه . وقد آذوا أتباعه بأنواع الأذى ،وهم صابرون محتسبون ، لايرتدون عن دينهم لما خالط قلوبهم من حلاوة الايمان والمعرفة .

---

(١) سقطت (ممن) من ك و ط .

(٢) في ك و ط (جرت) بالتاء وفي أ (جرب) بالباء . (٣) في ط : (وهو)

(٤) في ك و ط زيادة: " ولم يعرف قبله ولابعده لافي مصر من الأمصار ، ولا في عصرمن الأعصار من أتى بمثل ما أتى به ، ولاظهر كظهوره ، ولامن أتى من العجائب والآيات بمثل ما أتى به ، ولا من دعا إلى شريعة أكمل من شريعته ،ولامن ظهر دينه على الأديان كلها بالعلم والحجة وباليد والقوة كظهوره ".

(٥) في ك و ط زيادة (إنه) .

(٦) رسمت (لرهبة) في أ هكذا (أرهبه) .

وكانت مكة يحجها العرب من عهد إبراهيم ، فتجتمع في الموسم قبائل العرب ، فيخرج إليهم يبلغهم الرسالة ، ويدعوهم إلى الله صابرا على مايلقاه من تكذيب المكذب ، وجفاء (٢) الجافي ، وإعراض المعرض ، إلى أن اجتمع بأهل يثرب ، وكانوا جيران اليهود ، قد سمعوا أخباره منهم ، وعرفوه ، فلما دعاهم علموا أنه النبي المنتظر ، الذي تخبرهم به اليهود ، وكانوا قد سمعوا من أخباره ماعرفوا به مكانته ،فإن أمره كان قد انتشر وظهر في بضع عشرة سنة ، فآمنوا به وبايعوه (٣) على هجرته وهجرة أصحابه إلى بلدهم ، وعلى الجهاد معه ، فهاجر هو ومن اتبعه الى المدينة ، وبها المهاجرون والأنصار، ليس فيهم من آمن برغبة دنيوية ولا برهبة ، إلا قليلا من الأنصار أسلموا في الظاهر ، ثم حسن إسلام بعضهم ، ثم أُذِنَ له في الجهاد ، ثم أُمِرَ به ، ولم يزل قائما بأمر الله على أكمل طريقة وأتمها من الصدق والعدل والوفاء، لايحفظ له كذبة واحدة ، ولاظُلْمَ لأحد ، ولاغدرَ بأحد ، بل كان أصدق الناس ، وأعدلهم ، وأوفاهم بالعهد ، مع اختلاف الأحوال عليه ، من حرب وسلم ،وأمْنٍ وخوف ، وغِنَىً وفقر ، وقِلَّةٍ وكَثرة ، وظهوره على العدو تارة ، وظهور العدو عليه تارة ، وهو ـ على ذلك (٤) ـ لازم (٥) لأكمل الطرق وأتمها ، حتى ظهرت الدعوة في جميع أرض العرب ، التي كانت مملوءة من عبادة الأوثان ، ومن أخبار الكهان ،وطاعة المخلوق في الكفر بالخالق ، وسفك الدماء المحرمة ، وقطيعة الأرحام ، لايعرفون آخرةً ولامعادًا ، فصاروا أعلم أهل الأرض ، وأَدْيَنهم ، وأعدلهم ، وأفضلهم . حتى أن النصارى لما رأوهم ـ حين قدموا الشام ـ قالوا: ماكان الذين صحبوا المسيح بأفضل من هؤلاء . وهذه آثار علمهم وعملهم في الأرض وآثار غيرهم ، يعرف العقلاء فرق مابين الأمرين .

---

(١) اي غلظته وفظاظته . المصباح : ١٠٤ .
(٢) في ك و ط (تابعوه) .
(٣) في ك و ط زيادة : (كله) .
(٤) في ك (لازما) ، وفي ط (ملازم) .

وهو ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع ظهور أمره ، وطاعة الخلق له ،وتقديمهم له على الأنفس والأموال ـ مات ـ صلى الله عليه وسلم (١) ـ ولم يخلف درهما ولا دينارا ، ولاشاة ولابعيرا له إلا بغلته وسلاحه ، ودرعه مرهونة عند يهودي على ثلاثين صاعا (٢) من شعير ، ابتاعها لأهله (٣) . وكان بيده عقار ينفق منه على أهله ، والباقي يصرفه في مصالح المسلمين ، فحكم بأنه لايورث ، ولا يأخذ ورثته شيئا من ذلك .

وهو في كل وقت يظهر على يديه من عجائب الآيات وفنون الكرامات مايطول وصفه ، ويخبرهم بخبر ماكان ومايكون ، ويأمرهم بالمعروف ،وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث ، ويُشَرع الشريعة شيئا بعد شيء . حتى أكمل الله دينه الذي بعث به ، وجاءت شريعته أكمل شريعة ، لم يبق معروف تعرف العقول أنه معروف إلا أمر به ، ولامنكر تعرف العقول أنه منكر إلا نهى عنه ، لم يأمر بشيء فقيل : ليته لم يأمر به ، ولا نهى عن شيء فقيل (٤) : ليته لم ينه عنه ، وأحل الطيبات ، لم يحرم شيئا منها كما حُرِّم في شرع غيره ، وحرم الخبائث ، لم يحل منها شيئا كما استحله غيره . وجمع محاسن ماعليه الأمم ، فلايُذكر في التوراة والانجيل والزبور نوع من الخبر عن الله وعن ملائكته وعن اليوم الآخر ، إلا وقد جاء به على أكمل وجه (٥) ، وأخبر بأشياء ليست في الكتب (٦) .

فليس في الكتب إيجاب لعدل ، وقضاء بفضل ، وندب الى الفضائل ، وترغيب في الحسنات ، الا وقد جاء به وبما هو أحسن منه .

---

(١) الجملة الدعائية ليست في أ و لا ك .

(٢) في جميع النسخ "وسقا" . وقد رجحنا أنها خطأ وصوبناها من صحيح البخاري وغيره .

(٣) رواه البخاري ، كتاب الجهاد ،باب ماقيل في درع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ٠٠٠ ، ٦ : ٩٩ (٢٩١٦) من فتح الباري بلفظ :" توفى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعا من شعير" وقال يعلى : حدثنا الأعمش :"درع من حديد" ورواه مسلم ،بمعناه ، كتاب المساقاة ،باب الرهن ٠٠ ، ٣ : ١٢٢٦ (١٦٠٣) ورواه الترمذي برقم (١٢١٤) وابن ماجه برقم (٢٤٦٤) وأحمد في المسند ١ : ٣٠٠ .

=

.....

= (٤) في أ (قيل) .

(٥) في ك و ط زيادة : (هذه) .

(٦) في ك و ط زيادة : (تلك) .

وإذا نظر اللبيب في العبادات التي شرعها ، وعبادات غيره من الأمم ، ظهر فضلها ورجحانها ، وكذلك في الحدود والأحكام وسائر الشرائع .

وأمته أكمل الأمم في كل فضيلة ، فإذا قيس علمهم بعلم سائر الأمم ظهر فضل علمهم ، وإن قيس دينهم وعباداتهم (١) وطاعتهم لله بغيرهم ، ظهر أنهم أدْيَنُ من غيرهم . وإذا قيس شجاعتهم وجهادهم في سبيل الله ، وصبرهم على المكاره في ذات الله ، ظهر أنهم أعظم جهاداً وأشجع قلوباً . وإذا قيس سخاؤهم وبذلهم وسماحة أنفسهم بغيرهم ، تبين أنهم أسخى وأكرم من غيرهم . وهذه الفضائل به نالوها ، ومنه تعلموها وهو الذي أمرهم بها لم يكونوا قبله متبعين لكتاب جاء هو (٢) بتكميله ، كما جاء المسيح بتكميل شريعة التوراة .

فكانت فضائل أتباع المسيح وعلومهم ، بعضها من التوراة ، وبعضها من الزبور ،وبعضها من النبوات ، وبعضها من المسيح ، وبعضها ممن بعده كالحواريين ، (٣) وقد استعانوا بكلام الفلاسفة وغيرهم ، حتى أدخلوا ـ لَمَّا غيروا دين المسيح ـ في دين المسيح أمورا من أمور الكفار المناقضة لدين المسيح .

---

(١) في ك و ط (عبادتهم) .
(٢) سقطت (هو) من ط .
(٣) في ك و ط زيادة : (ومن بعد الحواريين) .

وأما أمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلم يكونوا قبله يقرؤن كتابا ، بل عامتهم ما آمنوا بموسى وعيسى وداود ، والتوراة والإنجيل والزبور إلا من جهته ، فهو الذي أمرهم أن يؤمنوا بجميع الأنبياء ، ويقروا بجميع الكتب المنزلة من عند الله ، ونهاهم أن يفرقوا بين أحد من الرسل ، فقال ـ تعالى ـ في الكتاب الذي جاء به : * قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا ، وما أنزل الى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ، وما أوتي موسى وعيسى ، وما أوتى النبيون من ربهم ، لانفرق بين أحد منهم ، ونحن له مسلمون * فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا ، وإن تولوا فإنما هم في شقاق ، فسيكفيكهم الله ، وهو السميع العليم (١) * وقال ـ تعالى ـ : * آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لانفرق بين أحد من رسله ، وقالوا سمعنا وأطعنا ، غفرانك ربنا ، وإليك المصير * لايكلف الله نفسا إلا وسعها (٢) ، لها ماكسبت وعليها ما اكتسبت ، ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولاتحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولاتحملنا مالا طاقة لنا به ، واعف عنا ، واغفر لنا ، وارحمنا ، أنت مولانا ، فانصرنا على القوم الكافرين (٣) * .

وأمته لايستحلون أن يأخذوا شيئا من الدين من غير ماجاء به ، ولايبتدعون بدعة ما أنزل الله بها من سلطان ، فلا (٤) يشرعون من الدين مالم يأذن به الله .

---

(١) سورة البقرة : ١٣٦ ـ ١٣٧ .

(٢) اي لايكلف المولى ـ سبحانه ـ أحدا فوق طاقته . صفوة التفاسير ٣ : ١٨١ .

(٣) سورة البقرة : ٢٨٥ ـ ٢٨٦ .

(٤) في ك و ط (ولا) .

لكن ماقصه عليهم من أخبار الأنبياء وأممهم ، اعتبروا به ، وماحدثهم أهل الكتاب[١] ، موافقا لما عندهم : صدقوه ، ومالم يعلموا صدقه ولاكذبه ، أمسكوا عنه ، وماعرفوا أنه باطل : كذبوه ، ومن أدخل في الدين ماليس منه ، من أقوال متفلسفة الهند أو[٢] الفرس أو اليونان أو غيرهم ، كان - عندهم - من أهل الالحاد والابتداع ، وهذا هو الدين الذي كان عليه أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والتابعون ، وهو الذي عليه أئمة الدين[٣] الذين لهم في الأمة لسان صدق ، وعليه جماعة المسلمين وعامتهم ، ومن خرج عن ذلك، كان مذموما مدحورا عند الجماعة ، وهو مذهب أهل السنة والجماعة ، الظاهرون[٤] إلى قيام الساعة ، الذين قال فيهم النبي - صلى الله عليه وسلم - :" لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ، لايضرهم من خالفهم ولا من خذلهم ، حتى تقوم الساعة "[٥] . وقد تنازع بعض المسلمين ، مع اتفاقهم على هذا الأصل الذي هو دين الرسل عموما ، ودين محمد خصوصا .

ومن خالف[٦] في هذا الأصل كان - عندهم - ملحدا مذموما ،ليسوا كالنصارى الذين ابتدعوا دينا ، قام به أكابر علمائهم وعبادهم ، وقاتل عليه ملوكهم، ودان[٧] به جمهورهم ، وهو دين مبتدع ، ليس هو دين المسيح ، ولادين غيره من الأنبياء .

---

(١) في ك و ط زيادة : (به) .
(٢) في ك و ط بالعطف بالواو .
(٣) في ك و ط (المسلمين) .
(٤) في ك و ط زيادة : (وهم) .
(٥) سبق تخريجه ص : ١٧٧ .
(٦) سقطت (في) من ك و ط .
(٧) في ك و ط (وكان) .
(٧) أي تعبدوا به . المصباح : ٢٠٥ .

والله ـ سبحانه وتعالى (١) ـ أرسل رسله بالعلم النافع والعمل الصالح، فمن اتبع الرسل ، حصل له سعادة الدنيا والآخرة . وإنما دخل في البدع من قصر في اتّباع الأنبياء ، علما وعملا .

ولما بعث الله محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ (٢) بالهدى ودين الحق ، تلقى ذلك عنه المسلمون أمته .

فكل علم نافع وعمل صالح عليه أمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أخذوه عن نبيهم ، مع مايظهر لكل عاقل : أن أمته أكمل الأمم ، في جميع الفضائل العلمية والعملية . ومعلوم أن كل كمال في الفرع المتعلم ، هو (٣) من الأصل المعلم . وهذا يقتضي أنه كان أكمل الناس علما ودينا ، وهذه الأمور توجب العلم الضروري بأنه كان صادقا في قوله : ﴿ ... إني رسول الله اليكم جميعا ... ﴾ (٤) لم يكن كاذبا مفتريا ، فإن هذا القول لايقوله إلا من هو من خيار الناس وأكملهم ، إن كان صادقا ، أو هو من شر الناس وأخبثهم ، إن كان كاذبا .

وماذكر من كمال علمه ودينه ، يناقض الشر والخبث والجهل ، فتعين أنه متصف بغاية الكمال في العلم والدين ، وهذا يستلزم أنه كان صادقا في قوله : ﴿ ... إني رسول الله ﴾ لأن الذي لم يكن صادقا : إما أن يكون متعمدا للكذب أو مخطئا ، والأول : يوجب أنه كان ظالما غاويا ، والثاني : يقتضي أنه كان جاهلا ضالا . وكمال علمه ينافي جهله ، وكمال دينه ينافي تعمد الكذب ، فالعلم بصفاته يستلزم العلم بأنه لم يكن متعمدا للكذب ، ولم يكن جاهلا يكذب بلا علم ،وإذا انتفى هذا وذاك ، تعين أنه كان

---

(١) ليس في أ كلمة التقديس .
(٢) ليس في أ الجملة الدعائية .
(٣) في ك و ط (فهو) .
(٤) سورة الأعراف : ١٥٨ .

صادقا عالما بأنه صادق ، ولهذا نزهه الله عن هذين الأمرين بقوله - تعالى - : ﴿ والنجم إذا هوى ﴾ (١) ﴿ ماضل صاحبكم وماغوى ﴾ (٢) ﴿ وماينطق عن الهوى ﴾ (٣) ﴿ إن هو إلا وحي يوحى ﴾ وقال - تعالى - عن المَلَكِ الذي جاء به : ﴿ إنه لقول رسول كريم ﴾ (٤) ﴿ ذي قوة عند ذي العرش مكين ﴾ ﴿ مطاع ثم أمين ﴾ ثم قال عنه : ﴿ وماصاحبكم بمجنون ﴾ ولقد رآه بالأفق المبين ﴾ وماهو على الغيب بضنين ﴾ (٥) أي بمتهم ، أو بخيل ، كالذي لايُعَلِّم إلا بجُعْل ، أو لمن يكرمه : ﴿ وماهو بقول شيطان رجيم ﴾ فأين تذهبون ﴿ إن هو إلا ذكر للعالمين ﴾ (٤) وقال - تعالى - : ﴿ وإنه لتنزيل رب العالمين ﴾ نزل به الروح الأمين ﴾ على قلبك لتكون من المنذرين ﴾ بلسان عربي مبين ﴾ - إلى قوله - : ﴿ هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ﴾ تنزل على كل أفاك أثيم ﴾ يلقون السمع وأكثرهم كاذبون ﴾ (٦) بين - سبحانه - أن الشيطان إنما ينزل على من يناسبه ليحصل به غرضه ، فإن الشيطان يقصد الشر : وهو الكذب والفجور لايقصد الصدق والعدل ، فلا يقترن إلا بمن فيه كذب (٧) ، إما عمدا وإما خطأ ، فإن الخطأ في الدين هو (٨) من الشيطان - أيضا - كما قال ابن مسعود - لما سئل عن مسألة - : " أقول فيها برأيي (٩) فان يكن صوابا فمن الله ، وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان ، والله ورسوله بريئان منه " (١٠) .

---

(١) أي وما اعتقد باطلا قط ، بل هو في غاية الهدى والرشاد . صفوة التفاسير ٢٧ : ٢٧٢ .

(٢) أي لايتكلم عن رغبة نفسية ولا عن رأي شخصي . انظر المصدر والموضع السابق .

(٣) سورة النجم : ٤ . (٤) سورة التكوير : ١٩ - ٢٧ .

(٥) من الجعالة : وهي تعيين مبلغ مالي لمن يعمل له عملا ، من رد آبق أو ضالة أو بناء أو خياطة وسائر مايستأجر عليه من الأعمال . انظر الكافي في فقه الأمام ... ابن حنبل ، ٢ : ٣٣٢ .

(٦) سورة الشعراء : ١٩٢ - ٢٢٣ . (٧) في ط زيادة : (فجور) .

(٨) سقطت (هو) من ك و ط . (٩) في جميع النسخ (برأي) وقدصوبناه من الأصول

(١٠) رواه أبو داود بمعناه ، كتاب النكاح ، باب فيمن تزوج ولم يُسَمِّ صداقا حتى مات ، ٢ : ٢٣٧ (٢١١٦) . والنسائي ، بمثله ، كتاب النكاح ، باب إباحة التزوج بغير صداق ٦ : ١٢٢ ، والدارمي عن أبي بكر ، كتاب الفرائض ، باب الكلالة ٢ : ٣٦٥ - ٣٦٦ والإمام أحمد في المسند ٤ : ٢٧٩ . والحاكم في المستدرك ، كتاب النكاح ، من تزوج ولم يفرض صداقا ٢ : ١٨٠ بمثله وقال : "هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه" ، ووافقه الذهبي .

فالرسول بريء من تنزّلِ الشيطان عليه في العمد والخطأ ، بخلاف غير الرسول ، فإنه قد يخطىء ويكون خطؤه (١) من الشيطان ، وإن كان خطؤه مغفورا له ، فإذا لم يُعْرَف له خبر آخبر به كان فيه مخطئا ، ولا أَمْرَ (٢) أَمَرَ به كان فيه فاجرا . عُلم أن الشيطان لم ينزل عليه ، وإنما ينزل عليه مَلَكٌ كريم ، ولهذا قال في الآية الأخرى عن النبي : ﴿ إنه لقول رسول كريم ، وماهو بقول شاعر قليلا ماتؤمنون * ولابقول كاهن قليلا ماتذكرون * تنزيل من رب العالمين ﴾ (٣) .

---

(١) في أ رسمت (خطاه) وفي ك(وخطاوه) .

(٢) سقطت (أمر) من ك و ط .

(٣) سورة الحاقة : ٤٠ – ٤٣ .

(٣) في ك و ط ذكر الآية الأولى " إنه لقول رسول كريم " فقط ثم عقب عليها بجملة : " إلى آخر الآية " .

فصل (١)

(نَقْل الناس لصفاته ـ عليه السلام ـ الدالة على كماله)

وقد نقل الناس صفاته الظاهرة(٢) الدالة على كماله ، ونقلوا أخلاقه ، من حلمه وشجاعته وكرمه وزهده وغير ذلك . ونحن نذكر بعض ذلك :

ففي الصحيحين عن البراء بن عازب(٣) قال : " كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أحسن الناس وجها ، وأحسنهم خَلْقا(٤) ، ليس بالطويل الذاهب ، ولا بالقصير "(٥)

وعنه قال : " كان بعيد مابين المنكبين ، عظيم الجُمَّة(٦) الى شحمة أذنيه ، عليه حلة(٧) حمراء ، مارأيت شيئا قط أحسن منه(٨) " .

---

(١) في ك و ط زيادة (في صفاته) .

(٢) في ك و ط (الطاهرة) بالطاء المهملة .

(٣) هو ابن الحارث بن عدي الانصاري الأوسي ، صحابي ، ابن صحابي ، نزل الكوفة ، استصغر يوم بدر ، وكان هو وابن عمر لِدَة ـ قرين ـ مات سنة ٧٢ هـ . تقريب التهذيب ١ : ٩٤ ، وأسد الغابة ١ : ٢٠٥ .

(٤) رواه البخاري ، كتاب المناقب ، باب صفة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ٦ : ٥٦٤ (٣٥٤٩) من فتح الباري . ورواه مسلم بمثله ، كتاب الفضائل ، باب في صفة النبي ... ، ٤ : ١٨١٩ (٢٣٣٧) .

(٥) في ك و ط زيادة : (رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ) .

(٦) الجمة : الشعر الذي نزل الى المنكبين . شرح النووي لصحيح مسلم ١٥ : ٩١ . م ٨ .

(٧) والحلة : ثوبين من جنس واحد . المصباح : ١٤٨

(٨) رواه مسلم ، واللفظ له ، كتاب الفضائل ، باب في صفة النبي .. ، ٤ : ١٨١٨ (٢٣٣٧) . ورواه البخاري بمثله . كتاب المناقب ، باب صفة النبي ... ، ٦ : ٥٦٥ (٣٥٥١) من فتح الباري .

وفي البخاري : وسئل البراء : أكان وجه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مثل السيف ؟ قال :" لا ، بل مثل القمر "[1] .

وفي الصحيحين من حديث كعب بن مالك[2] قال : " كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا سُرَّ[3] ، استنار وجهه ، حتى كأنه فِلْقة[4] قمر "[5].

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك قال : " كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ضخم الرأس والقدمين ، لم أَرَ قبله ولا بعده مثله ، وكان بَسِيطَ[6] الكَفين ، ضخم اليدين " .

---

(١) رواه البخاري ، كتاب المناقب ، باب صفة النبي .... ٦ : ٥٦٥(٣٥٥٢) من فتح الباري .

(٢) هو ابن أبي كعب ، الانصاري ، السُّلَمي المدني ، صحابي مشهور ،وهو أحد الثلاثة الذين خُلفوا في غزوة تبوك ، مات في خلافة علي . انظر تقريب التهذيب ٢ : ١٣٥ ، وأسد الغابة ٤ : ١٨٧ ـ ١٨٩ .

(٣) من السرور ، وهو الفرح والبهجة ، ضد الحزن . انظر المصباح ٢٧٤

(٤) فِلْقة : قطعة . المصباح : ٤٨١

(٥) رواه البخاري بمثله ، كتاب المناقب ، باب صفة النبي ... ٦ : ٥٦٥ (٣٥٥٦) من فتح الباري ومسلم ، بمثله ، كتاب التوبة ، باب حديث توبة كعب ... ، ٤ : ٢١٢٧ (٢٧٦٩) .

(٦) في ك و ط " بسيط " و بسط الكفين : ليونتهما ، وهو وصف لخلقهما . فتح الباري ١٠ : ٣٥٩ .

وسئل عن شعره فقال : " كان شَعِرا رَجِلا ، ليس بالجعد ولا بالسَّبْط (١) ، بين أذنيه وعاتقه (٢) " .

وفي الصحيحين عن سِمَاك بن حرب (٣) عن جابر بن سمرة (٤) قال : " كان رسول الله (٥) - صلى الله عليه وسلم - ضليع الفم ، أشكل العينين ، منهوس العَقِبَين (*) " وفسرهما سماك بن حرب فقال : واسع الفم ، طويل شق العين ، قليل لحم العقب (٦) .

وفي الصحيحين عن أنس (٧) قال : " كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ليس بالطويل البائن (٨) ، ولا بالقصير ، وليس بالأبيض الأمهق (٩) ، ولا بالآدم (٩) ، ولا بالجعد القَطِط (٩) ، ولا بالسَّبْط (١٠) " .

---

(١) في ط " البسط " .

(١) رجلا : أي اذا مشط فكان بين السبوطة والجعودة. والسبط : هو الذي يسترسل فلا ينكسر منه شيء كشعور الهنود . والجعد : هو الذي يتجعد . أي يلتوي ويتقبض كشعور السودان . المصدر السابق ١٠ : ٣٥٧ - ٣٥٨ .

(٢) العاتق ، هو مابين المنكب (الكتف) والعنق . ترتيب القاموس ٣ : ١٥٠ .

(٢) رواه البخاري بمثله وليس فيه " ضخم الرأس " كتاب اللباس ، باب الجعد ، ١٠ : ٣٥٦ - ٣٥٧ (٥٩٠٥ - ٥٩١٢) . وروى مسلم آخره بمثله ، كتاب الفضائل ، باب صفة شعر النبي ... ، ٤ : ١٨١٩ (٢٣٣٨) . ورواه البيهقي في الدلائل بلفظ : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم - ضخم الرأس واللحية " ١ : ٢١٦ .

(٣) هو ابن أوس بن خالد الذهلي البكري ، الكوفي ، أبو المغيرة ، صدوق تغير بآخره فكان ربما يلقن مات سنة ١٢٣ هـ تقريب ١ : ٣٣٢ .

(٤) جابر بن سمرة : هو ابن جُنَادة ، السُّوائي ، صحابي ابن صحابي ، نزل الكوفة ومات بها بعد سنة سبعين هـ . تقريب ١ : ١٢٢ .

(٥) رواه مسلم بمثله ، كتاب الفضائل ، باب في صفة فم النبي - صلى الله عليه وسلم - وعينيه وعقبيه ، ٤ : ١٨٢٠ (٢٣٣٩) . ولم يروه البخاري في صحيحه . ورواه الترمذي في كتاب المناقب ، باب في صفة النبي ٥ : ٦٠٣ (٣٦٤٧) .

(٦) المصدران والموضعان السابقان .

(٧) في ك و ط زيادة : (ابن مالك) .

(٨) اي المفرط في الطول مع اضطراب القامة . فتح الباري ٦ : ٥٦٩ .

(٩) في ك و ط " الأبهق " بالباء وفي أ بالميم .

(*) في ط (فسرهما بن سماك) .

=

.....

= (٩) الأمهق ، الأبيض الشديد البياض ، الذي لاتخالطه حمـــــــرة ٠والآدم: الأسمر ٠ والقطط : شديد الجعودة كشعر الزنجي ٠ المصدر والموضـــــع السابق،والمصباح : ٥٠٨ ٠

(١٠) في ط (ولابالبسط) ٠

(١٠) رواه البخاري ، بمثله ، كتاب المناقب ، باب صفة النبـــــــــي ، ٦ : ٥٦٤ ٠ (٣٥٤٨) من فتح الباري،ورواه مسلم بمعناه ، كتـــــاب الفضائل ، باب في صفة النبي ٠٠ وباب في صفة شعر النبي ٠٠ ، ٤ : ١٨١٨ – ١٨١٩ (٢٣٣٧ – ٢٣٣٨) ٠ ورواه في الموطأ ، كتاب صفـــــة النبي – صلى الله عليه وسلم – باب ماجاء في صفة النبي ٠٠٠ ، ٢ : ٩١٩ ٠

وفي الصحيحين عنه قال : " كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أزهر اللون (١) ، كأن عرقه اللؤلؤ (٢) ، اذا مشى تكفأ (٣) ، وما مست ديباجة (٤) ولاحريرا ألين من كف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا شممت مسكا ولاعنبرة (٥) ، أطيب من رائحة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ " .

---

(١) أزهر اللون : هو الأبيض المستنير ، وهو أحسن الألوان . شرح النووي لصحيح مسلم ١٥ : ٨٦ م ٨ .

(٢) أي في الصفاء والبياض . المصدر والموضع السابق .

(٣) أي يتمايل الى قدام ، كما تتكفأ السفينة في جريها . لسان العرب ١ : ١٤٢ مادة: كفأ .

(٤) في ك و ط (حريرة) بالتاء المربوطة .

(٥) رواه مسلم بنحوه ، كتاب الفضائل ، باب طيب رائحة النبي .. ، ٤ :١٨١٥ (٢٣٣٠) . وروى البخاري بعضه ، كتاب المناقب ، باب في صفة النبي ٦ : ٥٦٦ (٣٥٦١) .

وروى الدارمي[(١)] عن ابن عباس قال : " كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أفلج[(٢)] الثنيتين[(٣)] ، إذا تكلم رئي النور يخرج من ثناياه[(٤)] " .

وروى عن ابن عمر قال :"مارأيت أحدا أنجد[(٥)] ولاأجود ولاأشجع[(٦)] ولاأضوأ[(٧)] من رسول الله-صلى الله عليه وسلم-" .

---

(١) الدارمي : هو عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام السمرقندي أبو محمد ، الحافظ ، صاحب المسند ، ثقة فاضل متقن ، مات سنة ٢٥٥ هـ وله ٧٤ سنة . سير ... النبلاء ١٢ : ٢٢٤ - ٢٣٢ . وتقريب ١ : ٤٢٩ .

(٢) في ك و ط (أبلج) .

(٣) هن أربعة أضراس في مقدم الفم ، ثنتان من فوق وثنتان من أسفل . ترتيب القاموس ١ : ٤٢٤ .

(٤) رواه الدارمي في سننه ، المقدمة ، باب في حسن النبي ... ١ : ٣٠ . قال الهيثمي :"رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه عبد العزيز بن أبي ثابت وهو ضعيف"المجمع ٨ : ٢٧٩ . وأخرجه الترمذي في الشمائل المحمدية ٣٠ - ٣١ (١٤) ط ١،ت:محمد عفيف الزعبي ، جدة ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣م والبيهقي في الدلائل ١ : ٢١٥ وكلاهما عن ابن أبي ثابت . وروى الطبراني عن أبي قرصافة حديثا بمعناه ، قال الهيثمي :"وفيه من لم أعرفهم". المجمع ٨ : ٢٧٩ - ٢٨٠ .

(٥) من النَّجْد : وهو الشجاع الماضي فيما يُعْجِز غيره . ترتيب ٤ : ٣٢٦ .

(٦) من الضوء:وهو النور . المصدر السابق ٣ : ٤٣ .

(٧) رواه الدارمي ، المقدمة ، باب في حسن النبي ١ : ٣٠ وفيه زيادة "وأوضأ" من الوضاءة :وهي الحسن والبهجة .

وعن أنس قال : " دخل علينا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال (١) عندنا ، فَعَرِق ، وجاءت أمي بقارورة فجعلت تسلت (٢) العرق فيها ، فاستيقظ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : " أم سليم (٣) ، ماهذا الذي تصنعين؟ " قالت : هذا عرقك نجعله في طيبنا ، وهو (٤) أطيب من الطيب " أخرجاه في الصحيحين (٥) .

---

(١) أي نام للقيولة ـ وهي الظهيرة ـ . مختار الصحاح : ٥٥٩ .

(٢) السَّلْت : هو التنحية والإزالة . المصباح : ٢٨٤ .

(٣) هي بنت مِلْحَان بن خالد بن زيد بن حرام بن جُندَب بن عامر بن غَنَم ابن عدي بن النجار ، الأنصارية الخزرجيةالنجارية ، أم أنس بن مالك ، قيل:اسمها "سهلة"، وقيل غير ذلك ، كانت زوجة لمالك بن النضر ، والد أنس بن مالك ، ثم تزوجها أبو طلحة الأنصاري فولدتله أبا عمير ثم عبد الله فولد له إسحاق واخوته التسعة كلهم حمل عند العلم . ومناقبها كثيرة شهيرة . أسد الغابة ٦ : ٣٤٥ .وتهذيب التهذيب ١٢ : ٤٧٢ .

(٤) في ك و ط (وأنه) .

(٥) سقطت (في الصحيحين) من ك و ط .

(٥) رواه مسلم بنحوه ، كتاب الفضائل ، باب طيب عرق النبي ... ، ٤ :١٨١٥ (٢٣٣١) . ورواه البخاري بمعناه/كتاب الاستئذان ، باب من زار قوما فقال عندهم ، ١١ : ٧٠ (٦٢٨١) من فتح الباري .

وروى الدارمي عن جابر قال : " كان رسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لايسلك طريقا فيتبعه أحد ، إلا عرف أنه قد سلكه من طيب عرقه "(١).

وفي حديث أم معبد(٢) المشهور ، لما مربها النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الهجرة ، هو وأبو بكر ، ومولاه ، ودليلهم ، وجاء زوجها(٣) فقال :"صفيه لي يا أم معبد " فقالت : " رأيت(٤) رجلا ظاهر الوضاءة(٥) ، حلو المنطق(٦) ، فصل لانزر ولاهذر(٧) ، كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن(٨) " .

---

(١) رواه الدارمي في سننه ،المقدمة ، باب في حسن النبي ١ : ٣٢ . ورواه البيهقي في الدلائل بنحوه ٦ : ٦٩ وبالاسناد نفسه . وبه ـ ايضا ـ أخرجه أبو نعيم في الدلائل ٢ : ٥٧١ بمثله ، ت عبد البر عباس ومحمد رواس قلعة جي ط ١ المكتبة العربية ، حلب ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢م .

(٢) هي عاتكة بنت خالد بن خفيف بن منقذ بن ربيعة الخزاعية ، وهي أخت حبيش بن خالد ، له صحبة ورواية ، ويقال له : الأشعر وكان منزل أم معبد بقديد ، وذكر الواقدي أنها عاشت إلى عام الرمادة في عهد عمر . الطبقات الكبرى ١ : ٢٣٠ والروض الأنف ٢ : ٢٣٥ والاصابة ٤ : ٤٩٨ .

(٣) هو الخزاعي ، مختلف في اسمه قيل : اسمه حبيش . وتوفى أبو معبد في حياة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .أسد الغابة ٥ : ٢٩٢ .

(٤) سقطت (رأيت) من ك و ط .

(٥) أي لذيذ الكلام . انظر مختار : ٦٦٦ .

(٦) من قول فصل ، أي حق ليس بباطل . لسان العرب ١١ : ٥٢١ مادة : فصل .

(٧) النزر : القليل الذي يدل على العِيّ . والهذر : الكثير . أسد الغابة ١ : ٤٥٣ .

(٨) رواه الحاكم في المستدرك . كتاب الهجرة ، حديث أم معبد في الهجرة . ٣ : ١١٠٩ . وقال:"هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، وساق طرقه ، قال الذهبي :"مافي هذه الطرق شيء على شرط الصحيح". وأخرجه أبو نعيم في الدلائل ٢ : ٤٣٦ ـ ٤٣٨ . والبيهقي في الدلائل ٢ : ٤٩١ ـ ٤٩٣ ، مختصرا ورواه ابن الأثير في أسد الغابة ١ : ٤٥١ ـ ٤٥٢ .

وروى أبو زرعة (١) عن محمد بن عمار بن ياسر (٢) قال : قلت للرُّبَيِّع بنت معوذ بن عفراء (٣) : صفي لي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالت : "يابني لو رأيته رأيت الشمس طالعة" (٤).

---

(١) في ك و ط زيادة : (باسناده) .

(١) أبو زرعة : هو عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ المخزومي مولى عياش بن مطرق ، الرازي ، أحد الأئمة الحفاظ ، أثنى عليه كثير من الأئمة . كان مولده سنة ٢٠٠ هـ ووفاته ٢٦٤ هـ. تهذيب التهذيب ٧ : ٣٠ ـ ٣٣ .

(٢) محمد بن عمار بن ياسر : هو العنسي ، مولى بني مخزوم ، مقبول، روى له أبو داود ، قتل بعد سنة ١٦٠ هـ تقريب ٢ : ١٩٣ .

(٣) الربيع : هي بنت معوذ بن الحارث ـ وعفراء أم معوذ ويعرف بها ـ بن رفاعة بن الحارث بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار ، وعفراء : هي بنت عبيد بن ثعلبة النجارية ، والربيع لها صحبة ، وروى عنها أهل المدينة . كانت من المبايعات تحت الشجرة . أسد الغابة ٤ : ٤٢١ و ٦ : ١٠٧ وتقريب ٢ : ٥٩٨ .

(٤) رواه الدارمي في سننه ، المقدمة ، باب في حسن النبي ... ١ : ٣١ . قال الهيثمي : "رواه الطبراني في الكبير والأوسط ، ورجاله وثقوا" المجمع ٨ : ٢٨٠. ورواه البيهقي في الدلائل ١ : ٢٠٠ .

وفي الصحيحين عن أنس (١) قال : "كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أحسن الناس ، وكان أجود الناس ، وكان أشجع الناس ، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة ، فانطلق ناس قِبَلَ الصوت (٢) ، فتلقّاهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ راجعا (٣) وقد سبقهم إلى الصوت ، وقد استبرأ الخبر (٤) وهو على فرس لأبي طلحة عُرْي (٥) في عنقه السيف وهو يقول : " لن تراعوا " . وقال: "وجدناه بحرا (٦) " وكان الفرس قبل ذلك بطيئا (٧) ، فعادلا لايجارى .

---

(١) زاد في ك و ط : (ابن مالك) .

(٢) قِبَلَ الصوت : أي تجاهه . مختار : ٥١٩ .

(٣) أي طلب آخره لقطع الشبهه . المصباح : ٤٧

(٤) اسمه " المندوب " فتح الباري ٥ : ٢٤٠

(٥) عري : أي ليس عليه سَرْج ولا أداة ، ولايقال في الآدميين بل يقال: عريان . المصدر السابق ، ٦ : ٧٠ .

(٦) أي واسع الجري . فتح الباري ٦ : ٣٥

(٧) أخرجه البخاري ١٢مرة في صحيحه ،بنحوه وبالفاظ مختلفة ، كتاب الجهاد ، باب الشجاعة في الحرب والجبن ، ٦ : ٣٥ و ٧٠ وغيرهما (١٨٢٠و ٢٨٦٧) من فتح الباري ، وأخرجه مسلم بمثله ، كتاب الفضائل ، باب في شجاعة النبي ـ عليه السلام ـ وتقدمه للحرب ، ٤ : ١٨٠٢ ـ ١٨٠٣ (٢٣٠٧) .

وفي الصحيحين عن ابن عباس قال :" كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أجود الناس بالخير ، وكان أجود مايكون في (١) رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن ، فلرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أجود بالخير من (٢) الريح المرسلة " (٣) .

وفي الصحيحين عن البراء بن عازب قال : (كنا إذا احمر البأس (٤) نتقى به (٥) ، وإن الشجاع منا الذي يحاذي به (يعني رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ) (٦) (٧) .

وعن علي بن أبي طالب قال : " لما كان يوم بدر اتقينا المشركين برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان أشد الناس بأسا ، وماكان أحد أقرب إلى العدو منه " (٨) ذكره (٩) البيهقي بإسناد صحيح .

---

(١) في ك و ط زيادة : (شهر) .

(٢) في ط (فرسول) بدون لام .

(٣) رواه مسلم بنحوه ، كتاب الفضائل ، باب كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أجود الناس ... ، ٤ : ١٨٠٣ (٢٣٠٨) . ورواه البخاري بمثله كتاب فضائل القرآن ، باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي .. ، ٩: ٤٣ (٤٩٩٧) . من فتح الباري .

(٤) احمرار البأس : كناية عن شدة الحرب ، واستعير ذلك لحمرة الدماء الحاصلة فيها في العادة ، أو لاستعار الحرب واشتعالها كاحمرار الجمر . شرح النووي لصحيح مسلم ١٢ : ١٢١ م ٦ .

(٥) في ك (يتقي) بالياء في اوله .

(٦) في ك و ط (النبي) .

(٧) رواه مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب في غزوة حنين ، ٣ : ١٤٠١ (١٧٧٦) . والظاهر أنه ليس عند البخاري خلافا لما ذكر الشيخ المؤلف .

(٨) رواه البيهقي في الدلائل ، ٣ : ٦٩ ـ ٧٠ بمثله . ورواه الامام أحمد في المسند ١ : ١٢٦ قال الهيثمي :"رواه أحمد والطبراني في الأوسط وإسناده حسن". المجمع ٩ : ١٢ ـ ١٣ .

(٩) عبر الشيخ المؤلف بكلمة "ذكره" . بدلا من " رواه " أو "أخرجه" إما لمجرد المرادفة ، أو إشارة إلى أن البيهقي وإن كان من المُحَدثين والرواة إلا أنه من المتأخرين فهو من الطبقة الرابعة عشرة من طبقات السيوطي : ٤٢٧ ـ ٤٣٢ .

وفي الصحيحين عن أنس قال : " خدمت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عشر سنين ، والله ماقال لي : "أفا"[1] قط ، ولاقال لي[2] لشيء :"لم فعلت كذا وهلا فعلت كذا "[3] .

وفي رواية في الصحيحين ـ أيضا ـ قال : " خدمته في السفر والحضر ، والله ماقال لي لشيء صنعته : لم صنعت هذا هكذا ؟ ولا لشيء لم أصنعه لم لم تصنع هذا هكذا ؟ وكان أحسن الناس خلقا[4] " * وفي الصحيحين عن جابر قال :"ماسئل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ شيئا فقال لا"*[5] .

---

(١) كلمة " أف " تقال عند تَكَرُّه الشيء ، وعند التضجر من الشيء .

(١) في ك و ط "لم فعلت وهلا فعلت كذا " .

(١) في ك و ط " أف"٠و "أفا " هي في رواية مسلم بالنصب والتنوين، وذكر بعضهم أن فيها لغات كثيرة أوصلها إلى ٣٩ لغة . فتح الباري ١ : ٤٦٠ .

(٢) سقطت " لي " من ك و ط .

(٣) آخر الحديث في أ : ... لم فعلته ، لما فعلت كذا " . وفي ك و ط : " ولاقال لشيء لم فعلت ، وهلا فعلت كذا " وقد أثبتنا ما في صحيح مسلم ، كتاب الفضائل باب كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أحسن الناس خلقا ٤ : ١٨٠٤ (٢٣٠٩) . ورواه البخاري بلفظ آخر ، كتاب الأدب ، باب حسن الخلق .. ، ١٠ : ٤٥٦ (٦٠٣٨) من فتح الباري .

(٤) في أ : " صنعته " . وما أثبتنا هو ما في ك و ط ، وهو ما جاء في صحيح مسلم غير أن قوله : " وكان من أحسن الناس خلقا " . هو في رواية منفصلة . كتاب الفضائل باب كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أحسن خلقا ، ٤ : ١٨٠٤ ـ ١٨٠٥ (٢٣٠٩ ـ ٢٣١٠) ويظهر أن هذه الرواية ليست عند البخاري خلافا لما ذكره الشيخ المؤلف .

(٥) ما بين النجمتين ليس في ك و لاط .

(٥) رواه البخاري بمثله ، كتاب الأدب ،باب حسن الخلق والسخاء ... ،١٠: ٤٥٥ (٦٠٣٤) من فتح الباري ورواه مسلم بنحوه ، كتاب الفضائل ، باب ماسئل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ شيئا قط فقال : لا ، وكثرة عطائه ٤ : ١٨٠٥ (٢٣١١) .

وفي الصحيحين عن أنس[1] قال : " ماسئل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على الاسلام[2] شيئا إلا أعطاه ،قال : فجاءه رجل فأعطاه غنما بين جبلين[3] ، فرجع الى قومه فقال : ياقوم أسلموا فإن محمدا يعطى عطاء من لايخاف الفاقة[4] " .

وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري[5] قال : " كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أشد حياءمن العذراء[6] في خدرها ، وكان إذا كره شيئا عرفناه في وجهه[7] " .

---

(١) في ك و ط (جابر) .

(٢) الظاهر أن معنى قوله : " على الاسلام " بتقدير محذوف هو : على الدخول في الاسلام ، أو على نصرة الاسلام أو نحوذلك .

(٣) أي كثيرة كأنها تملأمابين جبلين . شرح النووي ١٥ : ٧٣ . م ٨ .

(٤) الفاقة : الفقر والحاجة . مختار : ٥١٥ .

(٤) رواه مسلم ، كتاب الفضائل ، باب ماسئل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ شيئا قط فقال : " لا " وكثرة عطائه ، ٤ : ١٨٠٦ (٢٣١٢) . ويبدو أن الحديث ليس عند البخاري ، خلافا لما ذكره الشيخ المؤلف .

(٥) هو سعد بن مالك بن سنان بن عبيد الأنصاري ، له ولأبيه صحبة ، استصغر بأحد ، ثم شهد مابعدها وروى الكثير ، ومات بالمدينة سنة ٦٣ هـ وقيل بعدها . تقريب التهذيب ١ : ٢٨٩ . وأسد الغابة ٢ : ٢١٣ .

(٦) هى الجارية البكر . المصباح : ٣٩٩ .

(٧) رواه البخاري بمثله ، كتاب الأدب ، باب من لم يواجه الناس بالعتاب ، ١٠ : ٥١٣ (٦١٠٢) من فتح الباري . ورواه مسلم ، كتاب الفضائل ، باب كثرة حيائه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ٤ : ١٨٠٩ ـ ١٨١٠ (٢٣٢٠) .

وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمرو ، وذكر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : " لم يكن فاحشا ولا متفحشا[1] " .

وروى البخاري عن أنس قال : " لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ سبابا ولافحاشا[2] ولا لعانا ، كان يقول لأحدنا عند المَعْتَبَة[3] : ماله تربت جبينه[4] " .

وفي صحيح مسلم عن عائشة أنها قالت : " ماخير رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ، مالم يكن إثما ، فان كان إثما كان أبعد الناس منه ، وما انتقم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لنفسه قط ، إلا أن تنتهك حرمة[5] الله[6] " .

---

(١) من الفحش : وهو كل ماخرج عن مقداره حتى يستقبح ، ويدخل في القول ، والفعل والصفة ، لكن استعماله في القول أكثر. والمتفحش هو الذي يتعمد ذلك ويكثر منه ويتكلفه . فتح الباري ١٠ : ٤٥٣ .

(١) رواه البخاري ، كتاب المناقب ، باب صفة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ٦ : ٥٦٦ (٣٥٥٩) من فتح الباري . ورواه مسلم ، كتاب الفضائل ، باب كثرة حيائه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ٤ : ١٨١٠ (٢٣٢١) .

(٢) في أ : " فاحشا " وقد أثبتنا مافي الصحيح ، وهو مافي ك و ط .

(٣) المَعْتَبة : هي مصدر عتب عليه يعتِب عتبا وعتابا ومعتبة ومعاتبة. قال الخليل: العتاب : مخاطبة الادلال ، ومذاكرة المَوْجِدة . المصدر والموضع السابق.

(٤) أي خَرَّ لوجهه فأصاب التراب جبينه ،وهذا من الكلام الذي يجري على اللسان ولايراد حقيقته . انظر المصدر والموضع السابق .

(٤) رواه البخاري ، كتاب الأدب ، باب : لم يكن النبي فاحشا ولامتفاحشا ، ١٠ : ٤٥٢ (٦٠٣١) من فتح الباري .

(٥) في ك و ط (محارم) .

(٦) حرمة الله : أي حرمات الله . فتح الباري ٦ : ٥٧٥ .

(٦) رواه البخاري ، كتاب المناقب ، باب صفة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ٦ : ٥٦٦ (٣٥٦٠) من فتح الباري ، بمثله ، ورواه مسلم ، بمثله ، كتاب الفضائل ، باب مباعدته ـ صلى الله عليه وسلم ـ للآثام .. ، ٤ : ١٨١٣ (٢٣٢٧) فالحديث متفق عليه.

وعنها قالت : " ماضرب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بيده شيئا (١) قط ، لاامرأة ولاخادما ، إلا أن يجاهد في سبيل الله ، ومانِيل منه شيء قط (٢) فينتقم من صاحبه ، إلا أن ينتهك شيء من محارم الله فينتقم لله " .

وروى مسلم في صحيحه عنها وقد سئلت عن خلق (٣) رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالت :"كان خلقه القرآن " (٤) .

وروى أبو داود الطيالسي عن شعبة (٥) ، حدثنا أبو أسحاق (٦) ، حدثنا أبو عبد الله الجَدَلي (٧) قال : سمعت عائشة ، وسألها عن خلق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالت : " لم يكن فاحشا ولا متفحشا، ولاسخابا في الأسواق ، ولايجزي بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، أو يغفر " شك أبوداود (٨) .

---

(١) هكذا في ط ، وفي أ و ك (شيئا) بالنصب والأصوب مافي ط ولهذا أثبتناه .

(٢) رواه مسلم بمثله ، كتاب الفضائل ، باب مباعدته ـ صلى الله عليه وسلم ـ للآثام ... ، ٤ : ١٨١٤ (٢٣٢٨) .

(٣) سقطت (خلق) من ط .

(٤) رواه مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ،باب جامع صلاة الليل ... ، ١ : ٥١٣ (٧٤٦) . ورواه أبو داود ، كتاب الصلاة ، باب في صلاة الليل ٢ : ٤٠ (١٣٤٢) . والنسائي ، كتاب قيام الليل وتطوع النهار باب قيام الليل ٣ : ١٩٩ . وابن ماجه ، أبواب الأحكام ، الحكم فيمن كسر شيئا ٢ : ٤٢ (٢٣٥٥) . والدارمي ، كتاب الصلاة ، باب صفة صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ ، ١ : ٣٤٤ ـ ٣٤٥ . وأحمد في المسند ٦ : ٩١. والحاكم في المستدرك ٢ : ٦١٣ .

(٥) شعبة :هو ابن الحجاج بن الورد العتكي ، مولاهم ، أبو بِسْطام الواسطي ، ثم البصري ، ثقةحافظ متقن ، وهو أول من فتش بالعراق عن الرجال ، وذب عن السنة وكان عابدا ، مات سنة ١٦٠ هـ . تقريب ١ : ٣٥١ .

(٦) ابو إسحاق : هو عمرو بن عبد الله الهَمْداني السَّبِيعي ، مكثر ، ثقة عابد ، اختلط بآخره ، مات سنة ١٢٩ هـ أو قبلها . تقريب ٢ : ٧٣ تهذيب ٨ : ٦٣ .

(٧) في أ " الهذلي " وصوابه ماأثبتناه من الأصول وك و ط .

(٧) هو عبد ، أو عبد الرحمن بن عبد ، الكوفي ، وثقه أحمد وابن معين وذكره ابن حبان في الثقات . وقال العجلي . بصري تابعي ثقة . تهذيب التهذيب ١٢ : ١٤٨ ـ ١٤٩ .

(٨) مسند الطيالسي : ٢١٤ (١٥٢٠) ورواه الترمذي ، بمثله ، كتاب البروالصلة ، باب ماجاء في خلق النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ٤ : ٣٦٩ (٢٠١٦) وقال: "هذا حديث حسن صحيح".

ورواه الحاكم[١] في مستدركه على الصحيحين[٢] .

وفي الصحيحين عن علقمة[٣] قال : سألت عائشة : كيف كان عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ وهل كان يخص شيئا من الأيام ؟ قالت : " لا، كان عمله ديمة[٤] ، وأيكم يستطيع ماكان رسول الله صلى الله عليه وسلم - يستطيع " .

---

(١) هو محمد بن عبد الله الضبي النسابوري ، أبو عبد الله ، الحافظ ،صاحب التصانيف ، إمام صدوق ، ولكنه يصحح في مستدركه أحاديث ساقطة ،ثم هو شيعي مشهور بذلك من غير تعرضه للشيخين مات سنة ٤٠٥ هـ ميزان الاعتدال ٣ : ٦٠٨ ، ولسان الميزان ٥ : ٢٣٢ ، وشذرات الذهب ٣ : ١٧٦ .

(٢) المستدرك على الصحيحين ، كتاب التاريخ ، ذكر أخبار سيد المرسلين ، كان أجود الناس بالخير من الريح المرسلة ، ٢ : ٦١٤ ، والحديث بلفظ : " ان رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - مكتوب في الانجيل ، لافظ ولاغليظ ولاسخاب بالأسواق ولايجزي بالسيئة مثلها بل يعفو ويصفح " قال الحاكم :"هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي .

(٣) هو ابن قيس بن عبد الله النخعي الكوفي ، ثقة ثبت ، فقيه عابد ، ولد في حياة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومات بعد الستين وقيل بعد السبعين ، تقريب ٢ : ٣١ ، وتهذيب ٧ : ٢٧٦ .

(٤) رواه البخاري ، كتاب الرقاق ،باب القصد والمداومة على العمل ، ١١:٢٩٤ (٦٤٦٦) ، من فتح الباري ، ومسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضيلة العمل الدائم ... ١، ١ : ٥٤١ (٧٨٣) .

وروى مسلم في صحيحه عن سعد بن هشام (١) ، وقد سأل عائشة ـ رضي الله عنها (٢) ـ عن خلق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالت : " ألست تقرأ القرآن ؟ قال : بلى . قالت : " فإن خلق نبي الله القرآن (٣) " .

وفي صحيح الحاكم عن أبي هريرة أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال " بعثت لأتمم صالح (٤) الأخلاق (٥) " .

وفي الصحيحين عن المغيرة بن شعبة قال : " قام رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى تورمت قدماه ، فقيل : يارسول الله : أليس قد غفر الله لك (*) ماتقدم من ذنبك وماتأخر ؟ قال : أفلا أكون عبدا شكورا (٦) " .

---

(١) سعد بن هشام : هو ابن عامر ، الأنصاري المدني ، ابن عم أنس بن مالك ثقة ، قتل بأرض مُكران بالهند غازيا . تهذيب التهذيب ٣ : ٤٨٣ .

(٢) لم ترد الجملة الدعائية في أ .

(٣) رواه مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب جامع صلاة الليل ، ١ : ٥١٢ (٧٤٦) .

(٤) في ط (مكارم) .

(٥) رواه في المستدرك ، كتاب التاريخ ، آيات رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ... ، ٢ : ٦١٣ ، وقال :"هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي . ورواه الإمام أحمد في المسند ٢ : ٣٨١ والبزار بمثله ، قال الهيثمي :"رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ،ورواه البزار ... ورجاله كذلك غير محمد بن رزق الله الكلوداني وهو ثقة". المجمع ٩ : ١٥ . ورواه الطبراني في الأوسط بلفظ : " إن الله بعثني بتمام مكارم الأخلاق وكمال محاسن الأفعال " .وفيه عمر بن إبراهيم القرشي ، وهو ضعيف". المجمع ٨ : ١٨٨ .

(٦) رواه البخاري بمثله ، كتاب التفسير ، سورة الفتح ، باب " ليغفر لك الله..." ٨ : ٥٨٤ (٤٨٣٦) من فتح الباري . ورواه مسلم بمثله ، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، باب إكثار الأعمال ... ، ٤ : ٢١٧١ ـ ٢١٧٢ (٢٨١٩) .

(*) سقطت (لك) من ط .

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال : " ماعاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ طعاما قط ، إن اشتهاه (١) أكله ، وإلا تركه "(٢).

وروى الامام أحمد ، وأبو داود ، والترمذي ، وأبو الشيخ الأصبهاني (٣) من حديث بَهْز بن حكيم (٤) ، عن أبيه (٥) عن جده (٦) أن أخاه أتى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : " جيراني على ما أخذوا (٧) " فأعرض عنه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : " إن الناس يزعمون أنك نهيت عن الغي (٨) ، ثم تستخلي (٩) به فقال: لان كنت أفعل ذلك انه لعلي وماهو عليهم ، خلوا له جيرانه (١٠) " .

---

(١) في ط (اشتهاء) .

(٢) رواه البخاري بنحوه ، كتاب الأطعمة ، باب ماعاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ طعاما ، ٩ : ٥٤٧ (٥٤٠٩) . من فتح الباري . ورواه مسلم ، بنحوه ، كتاب الأشربة ، باب لايعيب الطعام ، ٣ : ١٦٣٢ (٢٠٦٤).

(٣) أبو الشيخ الاصبهاني : هو أبو محمد ، عبد الله بن محمد بن جعفر ابن حَيّان ، الإمام الحافظ الصادق ، محدث أصْبَهان ، وله سنه ٢٧٤ هـ أثنى عليه كثير من الأئمة ، إلا أنه كان ينقل كثيرا من الأخبار الواهية في كتبه ، مات سنة ٣٦٩ هـ انظر سير ... النبلاء ١٦ : ٢٧٦ ـ ٢٧٩ . وطبقات الحفاظ : ٣٨٢ (٨٦٤) .

(٤) بَهْز بن حكيم : هو ابن معاوية القشيري ، أبو عبد الملك ، صدوق ، مات سنة ١٦٠ هـ تهذيب ١ : ٤٩٨ .

(٥) أبوه : هو حكيم بن معاوية بن حَيْدَة القشيري ، وثقة العجلي ، وقال النسائي :" لابأس به"، وذكره ابن حبان في الثقات . تهذيب ٢ : ٤٥١ .

(٦) جده : هو معاوية بن حَيْدَة بن كعب القشيري ، صحابي ، نزل البصرة ، ومات بخراسان.وذكر البخاري أنه سمع من النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ. الاصابة ٣ : ٤٣٢ . تهذيب ١٠ : ٢٠٥ .

(٧) الأخذ : الأسر والحبس . انظر المصباح : ٧٠.

(٨) في ك و ط (البغي) .

(٩) تستخلي به : اي تفعل الغي بنفسك . انظر المصدر السابق ١ : ١٨١ .

(١٠) رواه الامام أحمد في المسند ٥ : ٤ ، وأبو داود ، كتاب الأقضية ، باب في الحبس في الدين وغيره ٣ : ٣١٤ (٣٦٣١) . بلفظ مختصر . والترمذي كتاب الديات ، باب ماجاء في الحبس في التهمة ، ٤ : ٢٨ (١٤١٧) . مختصرا جدا . وقال :"حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده حديث حسن".

وروى الامام أحمد وأبو داود والترمذي (١) عن أنس بن مالك قال :
" ماكان شخص أحب اليهم من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكانوا إذا رأوه لم يقوموا ، لما يعلمون من كراهته (٢) لذلك " رواه عن عبد الرحمن ابن مهدي : (٣) ثنا حماد بن سلمة (٤) عن حميد (٥) عنه (٦) ،

---

(١) لم يرد في ك و ط : (وأبو داود والترمذي) .

(٢) في ك و ط : " كراهيته " .

(٣) في ط (حدثنا) .

(٣) هو ابن حسان بن عبد الرحمن ، أبو سعيد العنبري ، وقيل الأزدي مولاهم ، البصري اللؤلؤي ، الإمام الناقد المجود سيد الحفاظ ، ولد سنة ١٣٥ هـ ثقة ثبت ، حافظ عارف بالرجال والحديث ، مات سنة ١٩٨ هـ وله ٧٣ سنة . سير ... النبلاء ٩ : ١٩٢ ـ ٢٠٩ . تقريب ١ : ٤٩٩ .

(٤) حماد بن سلمة : هو ابن دينار البصري ، أبو سلمة ، ثقة عابد ، أثبت الناس في ثابت ، وتغير حفظه بآخره ، مات سنة ١٦٧ هـ .تقريب ١ : ١٩٧ .

(٥) حميد : هو ابن أبي حميد الطويل ، أبو عبيدة البصري ، اختلف في اسم أبيه على نحو عشرة أقوال ، ثقة مدلس ، وعابه "زائدة" لدخوله في شيء من أمر الأمراء ، مات سنة ١٤٢ أو ١٤٣ هـ وهو قائم يصلي وله ٥٧ سنة . تقريب ١ : ٢٠٢ تهذيب ٣ : ٣٨ .

(٦) في ك و ط (ورواه أبو داود والترمذي) وفي ط سقطت الواو والعاطفة قبل الجملة المذكورة .

(٦) أي عن أنس ـ رضى الله عنه ـ .

(٦) رواه الامام أحمد في المسند ٣ : ١٣٤ ، ولم يخرجه أبو داود خلافا لما ذكره الشيخ المؤلف ،ورواه الترمذي بنحوه ٥ : ٩٠ (٢٧٥٤) وقال : "هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه ".

وروى عنه (١) أبو نعيم وأبو الشيخ وغيرهما عن ابن عباس " أن الله أرسل إلى نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ مَلَكا من الملائكة معه جبريل فقال الملك : " ان الله خيره بين أن يكون عبدا نبيا وبين أن يكون مَلِكا نبيا ، قال : فالتفت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى جبريل كالمستشير، فأشار جبريل بيده : أن تواضع ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ " لابل أكون عبدا نبيا " رواه (٢) النسائي والبخاري في تاريخه (٣) .

---

(١) سقطت (عنه) من ك و ط . والمقصود : عبد الرحمن بن مهدي .

(٢) في ك و ط (ورواه) .

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده بلفظ آخر ٢ : ٢٣١ قال الهيثمي :"رواه أحمد والبزار وأبو يعلى ورجال الأولين رجال الصحيح". ثم أوردمثل هذا الحديث عن ابن عباس وقال :"رواه الطبراني وفيه بقية بن الوليد وهو مدلس". ورواه عبد الرزاق في المصنف بنحوه ، كتاب الجامع ، باب الكبر ، الأكل متكأ ١٠ : ٤١٧ (١٩٥٥١) . ورواه ابن حبان ، انظر موارد الضمآن للهيثمي ، كتاب علامات نبوة نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ باب في زهده ٥٠٠ : ٥٢٥ (٢١٣٧) .

وفي صحيح مسلم عن أنس قال:كان غلام يهودي يخدم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فمرض ، فأتاه[١] النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال :" أتشهد أن لااله إلا الله ؟ " فنظر الغلام إلى أبيه فقال له أبوه : أطع أبا القاسم ، فأسلم ، فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " الحمد لله الذي أنقذه بي من النار[٢] ".

---

(١) في ك و ط (فعاده) .

(٢) رواه البخاري بنحوه ، كتاب الجنائز ، باب إذا أسلم الصبي ... ، ٣ : ٢١٩ (١٣٥٦) من فتح الباري. ولم أجده عند مسلم . ورواه أبو داود بمثله ، كتاب الجنائز ، باب في عيادة الذمي ، ٣ : ١٨٥ (٣٠٩٥) . ورواه الإمام أحمد في المسند ٣ : ٢٢٧ . والحاكم في المستدرك ٤ : ٢٩١ .

وعن ابن أبي حازم (١) : أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كَلَّم رجلا فأرعد (٢) ، فقال له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ " هون عليك (٣) فإني لست بملِك ، إنما أنا ابن امرأة من قريش ، كانت تأكل القَدِيْد (٤) " رواه ابن الجوزي (٥) من طرق ، بعضها متصلا عن ابن مسعود ، قال ابن الجوزي (٦) "وروى (٧) متصل" والصواب إرساله كما تقدم .

---

(١) سقطت (ابن) من جميع النسخ وسقوطها يوهم بأنه : (أبو حازم الأشجعي) وليس كذلك وإنما هو قيس بن أبي حازم ، واسمه حصين بن عوف ـ وقيل غير ذلك ـ البجلي الأحمسي ، أبو عبد الله الكوفي ، ولأبيه صحبة ، ولم تثبت رؤيته ، أجمعوا على الاحتجاج به ، مات سنة ٨٤ هـ سير ... النبلاء ٤ : ١٩٨ ـ ٢٠٢ ، وتهذيب التهذيب ٨ : ٣٨٦ ـ ٣٨٩ .

(٢) أرعد : من الرِّعْدة : وهي النافض يكون من الفزع وغيره . والارتعاد : الاضطراب والارتجاف . انظر اللسان ٣ : ١٧٩ مادة : رعد .

(٣) من الهَوْن : وهو الرفق والدعة والسكون . لسان العرب ١٣ : ٤٤٠ مادة : هون.

(٣) رواه ابن ماجه بنحوه ، أبواب الأطعمة ، باب القديد ، ٢ : ٢٤٢ (٣٣٥٥) . قال في مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه : "هذا إسناد صحيح ، رجاله ثقات". كما نقله الأعظمي بهامش ابن ماجه .

(٤) القديد : هو اللحم المقدد ، أي ما قُطِع من اللحم وشُرر ، وقيل : ماقطع منه طوالا ، وهو اللحم المملوح المجفف في الشمس ، فعيل بمعنى : مفعول. المصدر السابق ٣ : ٣٤٤ ، مادة : قدد .

(٥) هو عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن حَمَّادي، يصل نسبه بالصديق أبي بكر ـ رضى الله عنه ـ الشيخ العلامة الحافظ المفسر جمال الدين ، أبو الفرج ، البغدادي الحنبلي الواعظ ، ولد سنة ٥١٠ هـ ذكر له الذهبي أسماء ثلاثة وثمانين كتابا ، وأحصيت كتبه قبل موته ٢٥٠ كتابا ، وامتحن في أواخر عمره لمدة خمس سنوات حيث حبس في سفينة ، وتوفى سنة ٥٩٧ هـ سير ... النبلاء ٢١ : ٣٦٥ ـ ٣٨٤ ، وشذرات ٤ : ٣٢٩ .

(٦) في ك وط زيادة : (وجرير) .

(٧) في ط (أوروى) .

(٧) المتصل : هو ما اتصل إسناده بسماع كل واحد من رواته ممن فوقه ، أو إجازته إلى منتهاه ، مرفوعا كان أو موقوفا على من كان . والمرسل : هو قول التابعي الكبير كقيس بن أبي حازم وسعيد بن المسيب قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كذا ، أوفَعَلَه ، تدريب الراوي ١ : ١٨٣ و ١٩٥ .

وفي الصحيح عن أنس (١) ، " أن امرأة كان في عقلها شيء قالت (٢) : يارسول الله ، ان لي اليك حاجة . قال:"يا أم فلان خذي في أي الطرق شئت ، قومي فيه حتى أقوم معك"، فخلا معها يناجيها (٣) حتى قضت حاجتها ". رواه مسلم (٤) .

وعن أنس قال : " كانت الأمة من إماء أهل المدينة ، لتأخذ بيد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فتدور به في حوائجها حتى تفرغ ثم يرجع" رواه البخاري في الأدب (٥) .

---

(١) في ك و ط زيادة : (ابن مالك) .

(٢) في ك و ط (فقالت) .

(٣) من نجوته نجوا ، أي حدثته سرا . انظر مختار : ٦٤٨ .

(٤) رواه مسلم بنحوه . كتاب الفضائل ، باب قرب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الناس وتبركهم به ، ٤ : ١٨١٢ ـ ١٨١٣ (٢٣٢٦) . ورواه أبو داود برقم (٤٨١٨) . وأحمد في المسند ٣ : ٢٨٥ .

(٥) اي في كتاب الأدب من صحيحه ، باب الكبر ، بمعناه ، ١٠ : ٤٨٩ ،(٦٠٧٢) من فتح الباري ، قال الحافظ ابن حجر :"قال حماد : ولم أر في شيء من نسخ البخاري تصريحه عنه بالتحديث"ـ يقصد محمد بن عيسى ـ الراوي عنه البخاري ـ قال الحافظ :"وأخرجه أحمد عن هشيم شيخ محمد بن عيسى فيه ، وإنما عدل البخاري عن تخريجه عن أحمد بن حنبل لتصريح حميد ـ أي الطويل ـ في رواية محمد بن عيسى بالتحديث ، فإنه عنده عن هشيم: " أنبأنا حميد عن أنس " وحميد مدلس ، والبخاري يخرج له ماصرح فيه بالتحديث". ورواه ابن ماجه ، أبواب الزهد ، باب البراءة من الكبر ، والتواضع ، ٢ : ٤٢٢ (٤٢٣٠) . قال الأعظمي :" قال البوصيري في الزوائد :"هذا إسناد ضعيف لضعف علي بن زيد بن جدعان".

وروى عن ابن أبي أوفى[1] قال : " كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يمشي مع الأرملة والمسكين ، فيقضي له حاجته[2] " .

وعنه[3] قال : " كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يكثر الذكر ، ويقل اللغو ، ويطيل الصلاة ، ويُقَصِّر الخُطبة ، ولايستنكف[4] أن يمشي مع العبد ، ولا مع الأرملة[5] حتى يفرغ من حاجتهم " ورواه الدارمي والحاكم في صحيحه[6] .

---

(١) ابن أبي أوفى : هو عبد الله بن علقمة بن خالد بن الحارث الأسلمي ،صحابي، شهد الحديبية ، وعُمر بعد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ومات بالكوفة سنة ٨٧ هـ وهو آخر من مات بها من الصحابة . تقريب ١ : ٤٠٢.

(٢) رواه النسائي بمثله ، كتاب الجمعة ،باب مايستحب من تقصير الخطبة ، ٣ : ١٠٨ ـ ١٠٩ .

(٣) أي عبد الله بن أبي أوفى ـ رضى الله عنه ـ .

(٤) اي لايأنف ولايتنزه ولايتكبر ، انظر تريب القاموس ٤ : ٤٤٠.

(٥) هي المرأة التى لازوج لها . مختار : ٢٥٧ .

(٦) رواه الدارمي ، المقدمة ، باب تواضع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ١ : ٣٥ ، بمثله . ورواه الحاكم بنحوه ، كتاب التاريخ ، كتاب آيات رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ، ٢ : ٦١٤ في روايتين، وقال :"هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه "، ووافقه الذهبي . وأورده الهيثمي بنحوه وعزاه للطبراني ، وقال :"بإسناده حسن" المجمع ٩ : ٢٠ .

وروى أبو داود الطيالسي عن أنس قال : " كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يركب الحمار ، ويلبس الصوف ، ويجيب دعوة المملوك ، ولقد رأيته يوم خيبر على حمار خِطامه ليف "(١) .

وروى مسلم في صحيحه عن أنس قال : " ما رأيت أرحم بالعيال من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ "(٢) .

وروى البخاري عنه قال : " مر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على صبيان فسلم عليهم "(٣).

---

(١) مسند أبي داود الطيالسي وفيه : " من ليف " : ٢٨٥ (٢١٤٨). وإسناد هذا الحديث فيه أبو عبد الله مسلم الأعور ، وهو ضعيف . انظر الضعفاء الكبير ٤ : ١٥٣ (١٧٢٢) لمحمد بن عمرو العقيلي ٣٢٢ هـ ، ت : د. عبد المعطي قلعجي ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب رحمته ـ صلى الله عليه وسلم ـ الصبيان والعيال ... ، ٤ : ١٨٠٨ (٢٣١٦) .

(٣) هذا أقرب إلى لفظ مسلم ، كتاب السلام ، باب استحباب السلام على الصبيان ، ٤ : ١٧٠٨ (٢١٦٨) . ورواه البخاري بمعناه ، كتاب الاستئذان باب التسليم على الصبيان ، ١١ : ٣٢ (٦٢٤٧) من فتح الباري .

وروى ابن عباس قال : " كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يجلس على الأرض ، ويأكل على الأرض ، ويعتقل الشاة[١] ، ويجيب دعوة المطوك[٢] " .

وعن قدامة بن عبد الله[٣] : " رأيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على بغلة شهباء ، لاضرب ولاطرد ، ولا إليك "[٤] رواهما أبو الشيخ .

وعن عائشة قالت : " مارأيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قط مستجمعا[٥] ضاحكا حتى أرى منه لَهَواته[٦] ، إنما كان يتبسم[٧] ، وكان[٨] إذا رأى غيما أو ريحا عرف[٩] في وجهه ، فقلت : يارسول الله ، الناس إذا رأو الغيم فرحوا ، رجاء أن يكون فيه المطر ،وأراك إذا رأيته عُرف في وجهك الكراهية ؟ . قال : " ياعائشة ومايؤمنني أن يكون فيه عذاب ؟ قد عُذب قوم بالرِّيح ، وقد أتى العذاب قوما " وتلا قوله ـ تعالى ـ : ﴿ فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا : هذا عارض ممطرنا ... ﴾[١٠] أخرجاه في الصحيحين[١١] .

---

(١) يقال : اعتقل شاته : إذا وضع رجلها بين ساقه وفخذه فحلبها . اللسان ١١ : ٤٦٢ مادة : عقل .

(٢) أورده الهيثمي بمثله وعزاه إلى الطبراني ، وقال :"إسناده حسن". المجمع ٩ : ٢٠ .

(٣) قدامة بن عبد الله :هو ابن عمار بن معاوية العامري ، من بني نفيل بن عمرو بن كلاب العامري ، ثم الكلابي ، يكنى أبا عبد الله ، أسلم قديما وسكن مكة ولم يهاجر ، وشهد حجة الوداع . وأقام بركبة في البدو من بلاد نجد وسكنها . أسد الغابة ٤ : ٩٣ ، وتقريب التهذيب ٢ : ١٢٤ .

(٤) رواه الترمذي بنحوه ، كتاب الحج ، باب ماجاء في كراهية طرد الناس عند رمي الجمار ، ٤ : ٢٣٨ (٩٠٣) وقال أبو عيسى :"حديث قدامة بن عبد الله حديث حسن صحيح". ورواه النسائي بمثله ، كتاب المناسك ، باب الركوب الى الجمار ... ، ٥ : ٢٧٠ وابن ماجه ، أبواب المناسك ، باب رمي الجمار راكبا ٢ : ١٨٤ (٣٠٧١) .

(٥) أي مبالغا في الضحك لم يترك منه شيئا . فتح الباري ١٠ : ٥٠٦ .

(٦) لهواته : جمع لهاة ، وهي اللحمة التي بأعلى الحنجرة من أقصى الفم . المصدر والموضع السابق .

(٧) في ط : (يبتسم) .

(٨) الغيم : السحاب . مختار : ٤٨٧ .

(٩) (ذلك) زيادة في ك و ط .

=

.....

= (١٠) سورة الأحقاف : ٢٤ .

(١١) رواه البخاري ، بنحوه ، كتاب التفسير ، سورة الاحقاف ، باب : " فلما رأوه عارضا .. "٨ : ٥٧٨ (٤٨٢٨ - ٤٨٢٩) وفي كتاب الأدب ، باب التبسم والضحك ، ١٠ : ٥٠٤ (٦٠٩٢) . من فتح الباري . ومسلم بنحوه ، كتاب صلاة الاستسقاء ، باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم ، والفرج بالمطر ، ٢ : ٦١٦ - ٦١٧ . (٨٩٩) .

وفي الصحيحين ـ أيضا ـ عن أنس قال : " كنت أمشي مع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ،وعليه برد نجراني غليظ الحاشية (١) ، فأدركه أعرابي فجبذ (٢) بردائه جبذا شديدا ، حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد أثرت بها حاشية البُرْد من شدة جبذته ، ثم قال : يامحمد ، مُرْلي من مال الله الذي عندك . قال : فالتفت اليه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فضحك ، ثم أمر له بعطاء (٣) " .

وفي صحيح مسلم عن جابر بن سمرة قال : " كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لايقوم من مصلاه الذي يصلي فيه (٤) حتى تطلع الشمس ،فإذا طلعت ، قام (٥) ، وكانوا يتحدثون في أمر الجاهلية فيضحكون ويتبسم " .

---

(١) هي طرف الثوب مما يلي كَفّته . فتح الباري ١٠ : ٥٠٦

(٢) جبذ ، بمعنى : جذب . المصدر والموضع السابق .

(٣) رواه البخاري بمثله ، كتاب الأدب ، باب التبسم والضحك ، ١٠ : ٥٠٤ (٦٠٨٨) من فتح الباري ، ومسلم ، كتاب الزكاة ، باب اعطاء من سأل بفحش وغلظة ، ٢ : ٧٣٠ ـ ٧٣١ (١٠٥٧) بمثله .

(٤) في ك و ط (يقوم) .

(٥) صحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب فضل الجلوس في مصلاه بعد الصبح ، وفضل المساجد ، ١ : ٤٦٣ (٦٧٠) بمثله . ورواه الترمذي بمعناه ، كتاب الأدب ، باب ماجاء في إنشاد الشعر ، ٥ : ١٤٠(٢٨٥٠). ورواه النسائي ، كتاب السهو ، باب قعود الامام في مصلاه بعد التسليم ٣ : ٨٠ ـ ٨١ ، بمثله . ورواه الامام أحمد بمعناه ٥ : ١٠٥ .

وفي رواية أخرى صحيحة : " كان طويل الصمت ، قليل الضحك ، وكان أصحابه ربما تناشدوا عنده الشعر ، والشيء من أمورهم ، فيضحكون ويتبسم"[1] .

وفي صحيح البخاري عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ وسألها الأسود[2] : ماكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يصنع في أهله ؟ فقالت : " كان يكون في مهنة أهله (تعني خدمة أهله)[3] فإذا حضرت الصلاة خرج "[4] .

ومن[5] رواية عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة[6] قال : " سأل رجل عائشة[7] ، هل كان يعمل في بيته ؟ فقالت[8] : " كان يخصف نعله ، ويخيط ثوبه[9] ، ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته " .

---

(١) هذه الرواية هي للإمام أحمد في مسنده ، ٥ : ٨٦ وإسنادها : حدثنا سليمان بن داود ثنا شريك عن سماك قال : قلت لجابر بن سمرة : أكنت تجالس رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال :"نعم ، فكان طويل الصمت ..." الحديث بنحوه . ورجال إسناد هذه الرواية ثقات ، كما ذكر الشيخ المؤلف رحمه الله ـ تعالى ـ : أنها صحيحة .

(٢) هو ابن يزيد بن قيس النخعي ، أبو عمرو ، أو أبو عبد الرحمن ،مخضرم، ثقة مكثر فقيه ، مات سنة ٧٤ هـ أو ٧٥ هـ . تقريب ١ : ٧٧ .

(٣) هذا من قول آدم بن أبي إياس شيخ الإمام البخاري . فتح الباري ٢ :١٦٣.

(٤) رواه البخاري ، كتاب الأدب ،باب كيف يكون الرجل في أهله ؟ ١٠: ٤٦١ (٦٠٣٩) . من فتح الباري . بمثله والترمذي بمثله . كتاب صفة القيامة ، باب (٤٥) ، ٤ : ٦٥٤ (٢٤٨٩) .

(٥) في ك و ط : " وفي " .

(٦) عروة : هو ابن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي ، أبو عبد الله المدني ، ثقة ، فقيه مشهور ، من الطبقة الثانية . مولده في أوائل خلافة الفاروق مات سنة ٩٤ هـ تقريب ٢ : ١٩

(٧) في ك و ط (قالت) .

(٨) أي يخرز . مختار : ١٧٧ .

(٩) رواه الامام عبد الرزاق في المصنف ، كتاب الجامع ، باب عمل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ، ١١ : ٢٦٠ (٢٠٤٩٢) . قال الحافظ في الفتح ١٠:٤٦١ ؛ "أخرجه أحمد وابن سعد وصححه ابن حبان ".

وروى الطيالسي : ثنا شعبة ، ثنا الأعور[١] قال سمعت أنسا يقول : "كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يركب الحمار ، ويلبس الصوف ، ويجيب دعوة المملوك ، ولقد رأيته يوم خيبر على حمار خُطامه من ليف"[٢] * وروى مسلم في صحيحه عن أنس قال :"مارأيت أحدا أرحم بالعيال من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ".[٣] وروى عنه البخاري قال :"مر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على صبيان فسلم عليهم "[٤] . *

وفي صحيح مسلم عن عائشة ـ رضى الله عنها[٥] ـ قالت : " ماشبع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثلاثة أيام من خبز بُرٍّ تباعا[٦] حتى مضى لسبيله "[٧] .

---

(١) في جميع النسخ " الأُعر " والصواب " الأعور " . كما أثبتناه من مسند الطيالسي وغيره .

(١) الأعور : هو ابن كَيْسان الضبي الكوفي المُلَائي البراد ، أبو عبد الله ، ضعفه الأئمة وقال عنه الدار قطني مرة : مضبوط الحديث ، روى له الترمذي وابن ماجه . ميزان الاعتدال ٤ : ١٠٦ ، وتقريب ٢ : ٢٤٦ ، وتهذيب ١٠ : ١٣٥ .

(٢) مسند أبي داود الطيالسي : ٢٨٥ (٢١٤٨) وتقدم أن أُحد رجال الإسناد الأعور وهو ضعيف .

(٣) سبق تخريجه ص ٥٣٧ .

(٤) سبق تخريجه ص ٥٣٧ .

(٤) مابين النجمتين ليس في ك و لا ط .

(٥) الجملة الدعائية ليست في أ .

(٦) أي ماعدا المتفرقة . انظر فتح الباري ١١ : ٢٩١ .

(٧) أي لحق بالرفيق الأعلى وقبضه الله ـ تعالى ـ . انظر المصدر والموضع السابق .

(٧) رواه مسلم ، بمثله ، كتاب الزهد والرقائق ، المقدمة ٤ : ٢٢٨١ . (٢٩٧٠) .

وعنها قالت : " كنا - آل محمد - صلى الله عليه وسلم - يمر بنا الهلال والهلال ، ما نوقد بنار لطعام ، إلا أنه التمر والماء ، إلا أنه حولنا أهل دور من الأنصار فيبعث أهل كل دار بفريزة(١) شاتهم إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - يشرب(٢) من ذلك اللبن " أخرجاه في الصحيحين(٣) .

وفي صحيح البخاري قال أنس : " ما رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رغيفا مرققا(٤) حتى لحق بالله ، ولا رأى شاة سميطا(٥) بعينه قط "(٦) .

---

(١) من الفَرْز ، وهو عزل الشيء عن الشيء وتمييزه ، والفِرْزة : القطعة مما عزل . انظر ترتيب القاموس ٣ : ٤٦٧ .

(٢) " يشرب " سقطت من أ .

(٣) رواه البخاري بنحوه ، كتاب الرقاق ،باب كيف كان عيش النبي .. ، ١١ : ٢٨٣ (٦٤٥٩) . من فتح الباري . ومسلم بنحوه ، كتاب الزهد والرقائق ، المقدمة ، ٤ : ٢٢٨٣ (٢٩٧٢) .

(٤) هو الملين المحسن . فتح الباري ٩ : ٥٣٠ .

(٥) من المسموط ، وهو الذي أزيل شعره بالماء المسخن ، وشوى بجلده ، أو يطبخ ، وإنما يصنع ذلك في الصغير السن الطري ، وهو من فعل المترفين. المصدر السابق ٩ : ٥٣١ . قلت : وهو الذي يسمى في بلادنا " المندي " حاليا . أو ماشابه ذلك .

(٦) رواه البخاري ، كتاب الأطعمه ،باب شاة مسموطة ... ، ٩ : ٥٥١ - ٥٥٢ . (٥٤٢١) من فتح الباري ، وابن ماجه بنحوه ، أبواب الأطعمة ، باب الرقاق ، ٢ : ٢٤٧ (٣٣٨٢) .

وفي صحيح البخاري عنه : " ما أكل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على خِوان[١] ولا في سُكُرُّجَة[٢] ولا خُبِز له مرقّق[٣] " فقيل له : على ماكانوا يأكلون ؟ قال : على السُّفَر[٤] " .

وفي صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب : أنه خطب وذكر مافُتح على الناس فقال : " لقد رأيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يتلوى يومه من الجوع ، مايجد من الدقَل[٥] ما يملأبه بطنه[٦] " .

وفي صحيح البخاري عن أنس : أنه مشى إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بخبز شعير وإهالة سَنِخة[٧] ، ولقد رهن درعه عند يهودي فأخذ لأهله شعيرا ، ولقد سمعته يقول : "ما أمسى عند آل محمد صاع بُرّ ولاصاع حب " وإنهم يومئذ تسعة أبيات[٨] .

---

(١) هو المائدة (الطاولة) مالم يكن عليها طعام . فتح الباري ٩ : ٥٣١ .

(٢) هى صحاف (أواني) صغار ، يؤكل فيها ، منها الكبير والصغير ،المصدر السابق ٩ : ٥٣٢ .

(٣) في ط (مرفق) بفاء ثم قاف .

(٤) السفرة : أصلها الطعام الذي يعد للمسافر ، ثم استعملت لما يوضع بين الأرض وأواني الطعام . انظر المصدر السابق ٩ : ٥٣١ .

(٤) رواه البخاري ، كتاب الأطعمة ، باب الخبز المرقق ... ، ٩ : ٥٣٠(٥٣٨٦). من فتح الباري .

(٥) هو تمر ردى . شرح النووي ١٨ : ١٠٩ . م ٩ .

(٦) رواه مسلم بنحوه ، كتاب الزهد والرقائق ، المقدمة ، ٤ : ٢٢٨٥ (٢٩٧٨). .

(٧) الإهالة : ما أذيب من الشحم والإلية ، أو كل دسم جامد ، أو مايؤتدم به من الأدهان . والسَنِخة : متغيرة الريح . فتح الباري ٥ : ١٤١ .

(٨) رواه البخاري ، كتاب الرهن ، باب في الزهد في الحضر ، ٥ : ١٤٠(٢٥٠٨) من فتح الباري .

وفيه عن عائشة قالت : " كان فراش رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من أدَم[1] حَشْوُه ليف[2] " .

وفي صحيح مسلم[3] من حديث عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ لما ذكر اعتزال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ نساءه ـ قال : فدخلت على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في خزانته ، فإذا هو مضطجع على حصير ، فأدنى اليه إزاره وجلس ، وإذا الحصير قد أثر بجنبه ، وقلبت عيني في بيته فلم أجد شيئا يرد البصر غير قبضة من شعير وقبضة من قرظ[4] نحو الصاعين ، وإذا أَفِيْق[5] معلقة ، فابْتَدَرَتْ عيناي[6] . فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " مايبكيك يا ابن الخطاب " ؟ فقلت : " يارسول الله ، ومالي لا أبكي وأنت صفوة الله ورسوله ، وخيرته من خلقه ، وهذه خزانتك وهذه الأعاجم[7] كسرى وقيصر في الثمار والأنهار[8] " فقال : " أوفي شك أنت يا ابن الخطاب ؟ أولئك قوم عُجِّلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا " . وفي رواية

---

(١) هو باطن الجلد الذي يلي اللحم . مختار : ١٠ .

(٢) رواه البخاري ، كتاب الرقاق ، باب كيف كان عيش النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه ... ، ١١ : ٢٨٢ (٦٤٥٦) .

(٣) في ك و ط (الصحيحين) .

(٤) في جميع النسخ (قرض) والصواب (قرظ) كما في الصحيح واللسان ، وهو شجر يدبغ به ، وقيل : ورق السَّلم يدبغ به الأَدَم . لسان العرب ، ٧:٤٥٤ مادة : قرظ .

(٥) في ط (أفق) وهو بفتح الهمزه وكسر الفاء : جلد لم يتم دباغه . شرح النووي ١٠ : ٨٣ م ٥ .

(٦) أي سالتا بالدموع . المصدر السابق ، ٤ : ٤٨ مادة " بدر " .

(٧) اسم للموضع الذي يجمع فيه المال . المصدر السابق ١٣ : ١٣٩ مادة "خزن ".

(٨) في ك و ط زيادة : (وفي رواية) .

" أو ماترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة ؟ " قال : بلى ، قال : " فالحمد[1] لله ـ عز وجل ـ " . قال : فقلت : أستغفر الله "[2] .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال :" قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ " اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا[3] " .

وروى الطيالسي بإسناد صحيح عن ابن مسعود قال : " اضطجع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ على حصير[4] فأثر الحصير بجلده ، فجعلت أمسحه عنه وأقول : " بأبي أنت وأمي[5] يارسول الله ، ألا آذنتنا فنبسط لك شيئا يقيك منه تنام عليه ؟ " فقال : " مالي وللدنيا[6] ، ما أنا والدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها[7] " .

---

(١) في ك و ط (فاحمد) .

(٢) رواه مسلم بعدة روايات ، كتاب الطلاق ، باب في الايلاء واعتزال النساء وتخييرهن ... ، ٢ : ١١٠٥ ـ ١١١٣ (١٤٧٩) . ورواه البخاري مختصرا جدا ، كتاب اللباس ، باب ماكان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يتجوز من اللباس والبسط ، ١٠ : ٣٠١ ـ ٣٠٢ (٥٨٤٣) من فتح الباري .

(٣) قوتا : أي كفافا ، وهو الذي لايرهق الى ذل المسألة ، ولاتكون فيه فضول تبعث على الترفه والتبسط في الدنيا . فتح الباري ١١ : ٢٧٥ .

(٣) رواه مسلم ، كتاب الزهد والرقائق ، المقدمة ، ٤ : ٢٢٨١ (١٠٥٥)والبخاري بلفظ : " اللهم ارزق آل محمد قوتا " كتاب الرقاق ، باب كيف كان عيش النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه ... ، ١١ : ٢٨٣ (٦٤٦٠) من فتح الباري . ورواه الترمذي برقم ٢٣٦٣ .

(٤) هو كل مانُسج من جميع الأشياء . ترتيب القاموس ١ : ٦٥٣ .

(٥) في أ (بأبي وأمي أنت) وقد أثبتنا مافي ك و ط لاتفاقه مع المسند

(٦) هكذا في ك و ط وفي أ سقطت (إلا) وقد صححنا ومن ك و ط .

(٦) في ك و ط زيادة " رواه أحمد " .

(٧) المسند لأبي داود الطيالسي : ٣٦ ، (٢٧٧) . وقد حكم الشيخ المؤلف يرحمه الله ـ على الإسناد بالصحة ، حيث أن رواته المسعودي عن عمرو بن مرة عن إبراهيم عن علقمة وكلهم ثقات .

ورواه الحاكم[١] في صحيحه عن ابن عباس أن عمر دخل على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وذكر[٢] نحوه[٣] .

وفي الترمذي عن أنس بن[٤] مالك قال " حج النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ على رحل رث وقطيفة[٥] " ورواه البخاري ـ أيضا ـ عن أنس[٦] في (كتاب الحج) قال : " حج أنس على رحل رث ، ولم يكن شحيحا[٧] ، وحدث أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حج على رحل وكانت زاملته[٨] " .

---

(١) في ك و ط : (وروى) .

(٢) في ك و ط (فذكر) .

(٣) المستدرك لأبي عبد الله الحاكم ، ٤ : ٣٠٩ ، بنحوه ، وقال :" هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه "،ووافقه الذهبي . ورواه الإمام أحمد في المسند ١ : ٤٥ وانظر الفتح الرباني ٢٢ : ٨٣ .

(٤) في ط (ابن) .

(٥) الرحل : رحل البعير ، وهو أصغر من القتب . ويستعمل للركوب عليه . والقطيفة : دثار مُخْمل . مختار : ٢٣٧ و ٥٤٣ .

(٥) رواه الترمذي في الشمائل[*] باب ماجاء في تواضع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ٢٦٤ (٣١٧) : بأتم من هذا ، ويشهد له الحديث بعده .

(٦) في ك و ط (عن أنس ـ أيضا ـ) .

(٧) أي لم يكن بخيلا . المصباح : ٣٠٦ .

(٨) الزاملة : البعير الذي يحمل عليه الطعام والمتاع ، من الزَّمْل ، وهو الحمل . والمراد أنه لم تكن معه زاملة تحمل طعامه ومتاعه ، بل كان ذلك محمولا معه على راحلته ، وكانت هي الراحلة والزاملة . فتح الباري ٣ : ٣٨١ .

(٨) رواه البخاري وليس فيه (رث) كتاب الحج ، باب الحج على الرحل ٣ : ٣٨٠ . (١٥١٧) . من فتح الباري ، ورواه ابن ماجه بلفظ آخر قال ابن حجر في الموضع السابق :" إسناده ضعيف". أبواب المناسك ،الحج على الرحل ٢ : ١٥٤ (٢٩٢٢) . وهو بمثل رواية الترمذي في الشمائل المذكورة هنا ، وهما من رواية الربيع بن صبيح السعدي عن يزيد بن أبان عن أنس .

(*) المقصود هو كتاب الشمائل المحمدية (مجلد واحد) .

وفي صحيح الحاكم[1] عن أنس : أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لبس خشنا ، وأكل خشنا ، ولبس الصوف[2] ، واحتذى المخصوف . قيل للحسن[3] : ماالخشن؟ قال :" غليظ الشعير ، ماكان يسيغه[4] إلا بجرعة ماء "[5] .

---

(١) كان الأولى أن يقول الشيخ المؤلف ـ رحمه الله ـ (مستدرك الحاكم) . فوصف (الصحيح) لاينطبق تماما عليه .

(٢) أي لبس الحذاء الذي هو فيه كترقيع الثوب . المصباح : ١٢٦ و ١٧٦ .

(٣) هو الحسن بن أبي الحسن يسار البصري ، أبو سعيد ، مولى الأنصار،وأمه خيرة مولاة أم سلمة ، ولدلسنتين بقيتا من خلافة عمر ، ونشأ بوادي القرى . وكان فصيحا ، رأى عليا وطلحة وعائشة ، كان جميلا مهيبا . ثقة مأمونا عابدا ناسكا كثير العلم . مات سنة ١١٠ هـ وله ٨٨ سنة . تهذيب التهذيب ٢ : ٢٦٣ ـ ٣٦٦ .

(٤) أي لايسهل مدخله في الحلق . المصباح : ٢٩٥ .

(٥) رواه الحاكم في المستدرك ، كتاب الرقاق ، ٤ : ٣٢٦ . وقال :" هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه"، قال الذهبي : " لم يصح ، نوح ـ أي ابن ذكوان ـ واه ، ويوسف ـ أي ابن أبي كثير ـ مجهل" (هكذا) .

فصل (١)

(فضل أمة محمد على غيرها في الايمان والعمل آية لنبوته)

ومما يبين به فضل أمته على جميع الأمم ـ وذلك مستلزم لكونه رسولا صادقا كما تقدم ، وهو آية وبرهان على نبوته ، فإن كل ملزوم ، فإنه دليل على لازمه .

أن الأمم نوعان : نوع لهم كتاب منزل من عند الله (٢) ، كاليهود والنصارى . ونوع لاكتاب لهم ، كالهند ، واليونان ، والترك ، وكالعرب قبل مبعث محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ومامن أمة إلا ولابد لها من علم وعمل ، بحسبهم ، ويقوم به مايقوم من مصالح دنياهم ـ وهذا من الهداية العامة التي جعلها الله لكل إنسان ، بل لكل حي (٣) ، كما يهدي الحيوان (٤) لجلب ماينفعه بالأكل والشرب ، ودفع مايضره باللباس والكن (٥) ، وقد خلق الله فيه حبا لهذا ،وبغضا لهذا . قال ـ تعالى ـ : ﴿ سبح اسم ربك الأعلى ﴿ الذي خلق فسوى ﴿ والذي قدر فهدى ﴾ (٦) وقال موسى (٧) : ﴿ ... ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ﴾ (٨) وقال في أول ما أنزل على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق،خلق الانسان من علق ﴿ اقرأ وربك الأكرم ﴿ الذي علم بالقلم ﴿ علم الانسان مالم يعلم ﴾ (٩) وقال ـ تعالى ـ : ﴿ ألم نجعل له عينين ﴿ ولسانا وشفتين ﴿ وهديناه النجدين ﴾ (١٠) .

---

(١) في ك و ط زيادة (في المعاد) . (٢) في ك و ط زيادة : (أعلم) .
(٣) في ك و ط (حيوان) . (٤) في ك و ط (إلى) .
(٥) الكِنُّ ، هو وقاء كل شيء وستره ، وهو البيت ـ أيضا ـ لسان العرب ١٣ : ٣٦٠ مادة " كنن " .
(٦) سورة الأعلى : ١ ـ ٣ . (٧) في ك و ط زيادة :(لفرعون) .
(٨) سورة طه : ٥٠.
(٨) بعد هذا زيادة في ك و ط : " وقال الخليل (﴿ الذي خلقني فهو يهدين ﴾ سورة الشعراء : ٧٨ .
(٩) سورة العلق ١ ـ ٥ (١٠) سورة البلد ٨ ـ ١٠
(١٠) النجدان ، هي : الخير والشر . صفوة التفاسير ٣٠ : ٥٦٢ .

ثم الأمم متفاضلون في معرفة الخالق ـ تعالى ـ وفي الاقرار بالمعاد[1] بعد الموت : اما للأرواح فقط ، واما للأبدان فقط ، واما لمجموعهما ، كما هو قول سلف الأمة[2] : المسلمين وأئمتهم وعامتهم أهل السنة والجماعة ، ومتفاضلون فيما يحمدونه[3] ويستحسنونه من الأفعال والصفات ، ومايذمونه ويستقبحونه من ذلك .

لكن عامة بني آدم على أن العدل خير من الظلم ، والصدق خير من الكذب ، والعلم خير من الجهل ، فإن المحسن الى الناس خير من الذي لايحسن اليهم .

وأما المعاد فهو إما للأرواح أو للأبدان ، وإن الناس بعد الموت يكونون سعداء أو أشقياء ، فيقر به كثير من الأمم غير أهل الكتاب ، وإن كان على وجه قاصر ، كحكماء الهند واليونان والمجوس وغيرهم ، وذلك أن أهل الأرض في المعاد على أربعة أقوال :

أحدها : وهو مذهب سلف المسلمين ، من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين المشهورين وغيرهم ، من أهل السنة والحديث ، من الفقهاء والصوفية والنظار : وهو إثبات معاد الأرواح والأبدان[4] جميعا ، وأن الانسان إذا مات كانت روحه منعمة أو معذبة ، ثم تعاد روحه إلى بدنه عند القيامة الكبرى ، ولهذا يذكر الله في كثير من السور أمر القيامتين ، القيامة الصغرى بالموت ، والقيامة الكبرى حين يقوم الناس من قبورهم وتعاد أرواحهم إلى أبدانهم ، كما ذكر الله القيامتين في سورة الواقعة ، حيث قال في أولها :

---

(١) في ك و ط (بمعاد) .

(٢) سقطت (الأمة) من ك و ط .

(٣) في ك و ط (يجدونه) .

(٤) في ك و ط (الروح والبدن) .

* اذا وقعت الواقعة * ليس لوقعتها كاذبة * خافضة رافعة * اذا رجت الأرض رجا * وبست الجبال بسا (١) * فكانت هباء منبثا (٢) * وكنتم أزواجا ثلاثة * فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة * وأصحاب المشئمة ما أصحاب المشئمة * والسابقون السابقون أولئك المقربون (٣) * ثم ذكر سبحانه حال الأصناف الثلاثة في القيامة الكبرى ،وقال في آخر السورة : * فلولا إذا بلغت الحلقوم (٤) * وأنتم حينئذ تنظرون * ونحن أقرب اليه منكم ، ولكن لاتبصرون * فلولا إن كنتم غير مدينين (٥) * ترجعونها إن كنتم صادقين * فأما إن كان من المقربين * فروح وريحان وجنة نعيم (٦) * واما إن كان من أصحاب اليمين * فسلام لك من أصحاب اليمين (٧) * وأما إن كان من المكذبين الضالين (٨) * فنزل من حميم (٩) * وتصلية جحيم (١٠) *. وكذلك في سورة القيامة : * لاأقسم بيوم القيامة ولاأقسم بالنفس اللوامة (١١) ، أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه بلى قادرين على أن نسوى بنانه (١٢) *

---

(١) أي فتت تفتيتا حتى صارت كالدقيق المبسوس - وهو المبلول . صفوة التفاسير ٢٧ : ٣٠٥ - ٣٠٦ م ٣ .

(٢) أي غبارا متطايرا في الهواء ، كالذي يرى في شعاع الشمس اذا دخل النافذة ، والمنبت : المتفرق . المصدر والموضع السابق .

(٣) سورة الواقعة : ١ - ٩ .

(٣) في ك و ط زيادة آية : (في جنات النعيم) .

(٤) هو الحلق ، بعد الفم ، وهو موضع النفس ومجرى الطعام والشراب . المصباح ١٤٦ .

(٥) أي محاسبين ومجزيين . صفوة ، ٢٧ : ٣١٥ م ٣ .

(٦) روح : استراحة . المصدر السابق ٢٧ : ٣١٦ م ٣ .

(٧) النزل : أول شيء يقدم للضيف . المصدر الموضع السابق .

(٨) الحميم : السائل الحار الذي يصهر البطون لشدة حرارته . المصدر والموضع السابق .

(٩) سورة الواقعة كاملة ماعدا الآيتين : ٩٥ - ٩٦ الأخيرتين .

(٩) في ك و ط زيادة الآيتين الاخيرتين (إن هذا لهو حق اليقين . فسبح باسم ربك العظيم) .

(١٠) في ك و ط زيادة : (قال) .

(١١) النفس اللوامة : هي النفس المؤمنة التقية ، التي تلوم صاحبها على ترك الطاعات وفعل الموبقات . المصدر السابق ٢٩ : ٤٨٤ .

(١٢) هو أطراف الأصابع . المصدر والموضع السابق .

بل يريد الانسان ليفجر أمامه (١) يسأل أيان يوم القيامة * فإذا برق البصر (٢) * وخسف القمر * وجمع الشمس والقمر * يقول الانسان يومئذ أين المفر * كلا لاوزر (٣) * الى ربك يومئذ المستقر * ينبؤ الانسان يومئذ بما قدم وأخر * فذكر القيامة الكبرى ، ثم قال - في آخر السورة - : * كلا إذا بلغت التراقي * وقيل من راق (٤) * وظن أنه الفراق * والتفت الساق بالساق * إلى ربك يومئذ المساق (٥) * ولبسط هذا (٦) موضع آخر ، فإن ذكر (٧) ماينال الروح عند فراق البدن من النعيم والعذاب كثير في النصوص النبوية .

وأما وصف القيامة الكبرى في الكتاب والسنة ، فكثير جدا ، لأن محمدا (٨) - صلى الله عليه وسلم - خاتم الأنبياء ، وقد بعث بين يدى الساعة ، فلذلك وصف القيامة بما لم يصفها به غيره ، كما ذكر المسيح - في صفته - فقال : " إنه يخبركم بكل مايأتى ، ويعرفكم جميع ماللرب (٩) " .

---

(١) أي يستمر على الفجور ، ويقدم على الشهوات والآثام . المصدر والموضع السابق .

(٢) أي زاغ البصر وتحير ، وانبهر من شدة الأهوال والمخاطر . المصدر السابق ٢٩ : ٤٨٥ م ٣ .

(٣) أي لاملجاء له ولامغيث من عذاب الله . المصدر والموضع السابق .

(٤) التراقي : أعالي الصدر . من راق : من يُطِب ويشفى هذا المريض . المصدر السابق ٢٩ - ٤٨٧ .

(٥) سورة القيامة ١ - ٣٠ .

(٦) في ك و ط (وبسط هذا له) .

(٧) في ك و ط (تناله) .

(٨) في أ سقطت الالف من (محمدا) وقد صححناه من ك و ط .

(٩) انظر الاصحاح السادس عشر : ١٣ - ١٥ ، من انجيل يوحنا ، العهد الجديد : ١٤٥ .

والقول الثاني : قول من يثبت معاد الأبدان فقط ، كما يقول ذلك كثير من المتكلمين الجهمية ، والمعتزلة المبتدعين من هذه الأمة . وبعض المصنفين يحكى هذا القول عن جمهور متكلمي المسلمين ، أو جمهور المسلمين ، وذلك غلط ، فإنه لم يقل ذلك أحد من أئمة المسلمين ، ولا هو (١) قول جمهور نظارهم ، بل هو قول طائفة من متكلميهم المبتدعة ، الذين ذمهم السلف والأئمة .

والقول الثالث : المعاد للنفس الناطقة بالموت فقط ، وأن الأبدان لاتعاد . وهذا لم يقله أحد من أهل الملل ، لا المسلمين ، ولااليهود ، ولاالنصارى . بل هؤلاء كلهم متفقون على اعادة الأبدان ، وعلى القيامة الكبرى .

ولكن من تفلسف من هؤلاء ، فوافق سلفَه من الصابئة والفلاسفة المشركين ، على أن المعاد للروح وحده ، فإنه يزعم أن الأنبياء خاطبوا الجمهور بمعاد الأبدان ، وإن لم يكن له حقيقة ، وخاطبوهم باثبات الصفات لله وليس له (٢) حقيقة ، وأن الأنبياء لم يظهروا الحقائق للخلق ، وأنه لايستفاد من أخبارهم معرفة شيء من صفات الله ، ولامعرفة شيء من أمر المعاد .

وحقيقة قولهم أن الأنبياء كذبوا للمصلحة ، وهؤلاء (٣) ملاحدة كفار عند المتبعين للأنبياء ، من المسلمين ، واليهود ، والنصارى . وإن كان هؤلاء كثيرين موجودين فيمن يتظاهر بأنه من أهل الملل ، لظهور أديانهم ، وهو في الباطن على هذا الرأي . وهؤلاء القائلون بمعاد الأرواح فقط ، منهم من يقول : بأن الأرواح تتناسخ ، اما في أبدان الآدميين ، أو أبدان الحيوان مطلقا ، أو في موضع (٤) الأجسام النامية . ومنهم من يقول بالتناسخ (٥) للأنفس الشقية فقط، وكثير من محققيهم ينكر التناسخ .

---

(١) في ك و ط زيادة : (من) .
(٢) في ك و ط (لها) .
(٣) في ط (هولاء) .
(٤) في ك و ط (جميع) .
(٥) في ك و ط (في) بدلا من اللام .

والقول الرابع : انكار المعادين جميعا ، كما هو قول أهل الكفر من العرب ، واليونان ، والهند ، والترك وغيرهم ، والمتفلسفة أتباع (أرسطو) كالفارابي وأتباعه ، لهم في معاد الأرواح ثلاثة أقوال : قيل : بالمعاد للنفس (١) العالمة والجاهلة . * وقيل : بالمعاد للعالمة دون الجاهلة (٢) *وقيل: بانكار الاثنين ، والفارابي ـ نفسه ـ قد قال الأقوال الثلاثة. وبسط الكلام على هذه الأمور له موضع آخر (*)، إذ المقصود هنا أن كل ماعند أهل الكتاب ، بل وسائر أهل الأرض من علم نافع وعمل صالح ، فهو عند المسلمين .

وعند المسلمين ماليس عند غيرهم في جميع المطالب التي تنال بها السعادة والنجاة . وعقلاء جميع الأمم تأمر بالعدل ومكارم الأخلاق، وتنهى عن الظلم والفواحش ، ولهم علوم الهية ، وعبادات بحسبهم ، ويعظمون أهل العلم والدين منهم . والهند واليونان والفرس (٣) في ذلك أكمل من كفار الترك ،والبربر ونحوهم ، مع أن هؤلاء ـ أيضا ـ فيهم (٤) قسط من ذلك (٥) .

---

(١) في ك و ط (للأنفس) بالجمع .

(٢) مابين النجمتين سقط من ك و ط وقد وضعت ط للجملة السابقة رقم ١ و ٢ جميعا .

(٣) في ك و ط تقدمت (الفرس) على (اليونان) .

(٤) في ك و ط تقدمت (فيهم) على (قسط) .

(٥) في ك و ط زيادة " بحسبهم " .

(*) أنظر مجموع الفتاوي ٤ : ٢٦٢ وما بعدها .

ومعلوم عند الاعتبار أن الأمم الذين لهم كتاب ، كاليهود والنصارى ، أكمل من الأمم الذين لا كتاب لهم ، في الفضائل العلمية والعملية ، فإن مالم يأخذه الناس عن الأنبياء يعلم بالعقل والاعتبار (١) ، أو بالمنام (٢) والالهام (٣) ، وأخبار الجن ونحو ذلك من طرق الأمم (٤) .

وكل طريق صحيح من الطرق العقلية والالهامية وغيرها ، شارك (٥) أهل الكتاب فيه مَنْ لاكتاب له . ويمتاز أهل الكتاب بعلوم وأعمال أخذوها عن الأنبياء ، ليس في قوة من ليس بنبي أن يعلمها ، وهذا ظاهر في الأخلاق والسياسات المنزلية (٦) والمدنية . فإن جنس أهل الكتاب ولو كان منسوخا مبدلا ، أحسن حالا (٧) ممن لاكتاب له .

---

(١) الاعتبار ،هو التدبر والنظر والمقايسة . أنظر لسان العرب ٤ : ٥٣٠ مادة : عبر .

(٢) في ك و ط بالعطف بدلا من (أو) .

(٣) الالهام : مايلقى في الروع ـ النفس ـ فيبعث على الفعل أو الترك . وهو نوع من الوحي يخص الله به من يشاء من عباده . المصدر السابق ، ١٢ : ٥٥٥ مادة " لهم " .

(٤) في ك و ط (العلم) .

(٥) في ك و ط (يشارك) .

(٦) في ك (المكية) وفي ط (الملكية) .

(٧) في ك و ط زيادة : (هم) .

وأما في[1] العبادات والإيمان بالله واليوم الآخر ،فرجحانهم فيه ظاهر .

وأما علوم وأعمال يكون ضررها راجحا ، كالسحر والطلسمات[2] ومايتوسل به من الشرك إلى استخدام الشياطين ونحو ذلك ، فهذا وإن كان غير أهل الكتاب أقْوَمَ[3] به ، فإنما ذاك لاستغناء أهل الكتاب بما هو أنفع لهم في الدنيا والآخرة .

ولهذا لما ذكر الله ـ سبحانه[4] ـ في قصة سليمان براءته عن ذلك ، وكانت الشياطين قد كتبت[5] كُتُبَ كفر وسحر ، ودفنتها تحت كرسي سليمان ، فلما مات أظهروا ذلك ، وقالوا : إنما كان يسخر الجن بهذه الأسماء والعزائم ، فصدقهم فريقان . فريق قدحوا في سليمان بل كفروه ، من أهل الكتاب ، وقال[6] : من فعل ذلك فهو كافر . وفريق قالوا : نحن نقتدي بسليمان، ونفعل كما كان يفعل ، وهم أهل العزائم والطلاسم التي يستخدمون بها الجن ،

---

(١) في ك و ط (أما) .

(٢) من (طلسم الساحر) أي كتب الطلاسم ، و(الطِلَسّم) و (الطِلّسم) هو فيما يزعمون ـ تسلط القوى السماوية الفعالة على القوى الأرضية المنفعلة ، بواسطة خطوط وأوفاق معينة ، وقد اشتغل المصريون القدماء والبابليون والكلدانيون والسريانيون بعلم الطلاسم ، وكان له عندهم المؤلفات الكثيرة ، ولكن لم يترجم منها الا القليل ، وقد اشتغل به في المشرق جابر بن حيان ـ كبير السحرة ـ وبعده مسلمة بن أحمد المجريطي في الأندلس . انظر دائرة معارف وجدي ٥ : ٧٧٠ .

(٣) من قام بالأمر : إذا تكفل به واعتنى بشأنه . انظر المصدر السابق ١٢:٥٠٣ مادة " قوم " .

(٤) في ك و ط وردت كلمة التقديس (تعالى) .

(٥) سقطت (قد) من ك و ط .

(٦) في ك و ط (وقالوا) .

ويقولون : إن سليمان كان يستخدمهم بها ، حتى يقولوا : إن هذه الأسماء كانت مكتوبة على تاجه ، وهذا صورة خاتمه ، وهذا كلام (آصف بن برخيا)[1] إلى أمثال ذلك مما يضيفونه اليه ، وهو كذب على سليمان[2] .

وقد ذكر ذلك علماء المسلمين في تفسير قوله ـ تعالى ـ : ﴿ ولما جاءهم رسول من عند الله ، مصدق لما معهم ، نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم ، كأنهم لايعلمون ﴾ واتبعوا ماتتلوا الشياطين على ملك سليمان ، وماكفر سليمان ، ولكن الشياطين كفروا ، يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هارون وماروت[3] ، ومايعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة ، فلا تكفر ، فيتعلمون منهما مايفرقون به وبين المرء وزوجه ، وماهم بضارين به من أحد ـ الا باذن الله ـ ويتعلمون

---

(١) هو ابن خالة النبي سليمان ـ عليه السلام ـ ، وهو الذي أحضر عرش بلقيس من بلاد اليمن إلى بيت المقدس ، في طرفة عين ، وهو من الصِّديقين ، وكان لايُرد عن أبواب سليمان ، أي ساعة أراد دخول شيء من بيوته دخل ـ حاضرا كان سليمان أو غائبا ـ وقيل : هو رجل من مؤمني الجان كان ـ فيما يقال ـ يحفظ الاسم الأعظم ، وقيل : هو رجل من بني اسرائيل من علمائهم . انظر تاريخ الأمم والملوك ١ : ٤٩٧ ، والبداية والنهاية ٢ : ٢٣ ـ ٢٤ .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ١ : ١٩٣ ـ ١٩٦ .

(٣) هما من الملائكة المنصوص على أسمائهم في القرآن . في قول جماعة كثيرة من السلف ، وقد ورد في قصة هاروت وماروت ، وماكان من أمرهما آثار كثيرة غالبها اسرائيليات ، ومن الناس من قرأ (الملِكين) بكسر اللام ـ ويجعلهما ـ عِلجين من أهل فارس ، قاله الضحاك . ومنهم من يقول : بأنهما ملكان من السماء ، ولكن سبق في قدر الله لهما ماذكره من أمرهما ـ إن صح به الخبر ، ويكون حكمهما كحكم ابليس ـ ان قيل انه من الملائكة ـ خلافا للراجح ، وقد روى ابن مندة أن مجاهدا ـ المفسر ـ لايسمع باعجوبة الا ذهب اليها ، وأنه ذهب إلى حضرموت فرأى بئر هوت ، وذهب إلى بابل فرآها ـ أيضا ـ انظر البداية والنهاية ١ : ٤٨ ـ ٤٩ و ٩ : ٢٢٦ .

مايضرهم ، ولاينفعهم ، ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق[1]، ولبئس ماشروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون * ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير ، لو كانوا يعلمون[2] * فذم - سبحانه - من عدل عن اتباع كتاب الله ورسله ، واتبع ماتتلوه الشياطين على عهد سليمان ، وبين - سبحانه - أن سليمان لم يكفر ، ولكن الشياطين كفروا ، وانهم يعلمون الناس السحر ، وما أنزل على الملكين ببابل ، وأن الملكين[3]: هاروت وماروت ، مايعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر .

وأخبر - سبحانه - أنهم لايضرون به أحدا - الا باذن الله - وأنهم يتعلمون مايضرهم ولاينفعهم ، ثم قال : * ... ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق ... *:أي من[4] نصيب ، أي هؤلاء يعلمون أن صاحبه لانصيب له في الآخرة ، وإنما يطلبون أنهم يقضون به أغراضهم الدنيوية لما لهم في ذلك من الهوى[5] ، وذلك ضار لهم لانافع ، كما قال في المشرك[6] : * يدعو لَمَن ضره أقرب من نفعه ... * قال - تعالى - : * ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله ، خير لو كانوا يعلمون[7] * فبين - سبحانه -

---

(١) خلاق : أي نصيب ، أوجهة عند الله ، أو دين . انظر تفسير القرآن العظيم ١ : ٢٠٧ .

(٢) سورة البقرة : ١٠١ - ١٠٢ .

(٣) في ك و ط تقدم ذكر (هاروت وماروت) على كلمة (وان الملكين) .

(٤) سقطت (من) من ك و ط .

(٥) الهوى : محبة الانسان الشيء ، وغلبته على قلبه . لسان العرب ١٥ : ٢٧٢ مادة : هوا .

(٦) في أ لم تتضح الميم فصارت كانها (الشرك) .

(٧) سورة الحج : ١٣ .

(٨) سورة البقرة : ١٠٢ .

أنه (١) بالايمان والتقوى ، يحصل من ثواب الله ماهو خير لهم من هذا،فانهم انما يطلبونه لما يرجون به من الخير لهم ،وهذا خير لهم ، وهذا كقوله : ﴿ ... إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا (٢) إلى ذكر الله وذروا البيع ، ذلكم خير لكم ... ﴾ (٣) فإن ماتطلبه النفوس فيه لها لذة ، يجعل (٤) خيرا بذلك الاعتبار ، لكن إذا كان الألم زائدا على اللذة ، كان شره أعظم من خيره .

والشرائع جاء بتحصيل المصالح وتكميلها ، وتعطيل المفاسد وتقليلها ، فهي تأمر بما تترجح (٥) مصلحته ، وإن كان فيه مفسدة مرجوحة كالجهاد، وتنهى عما ترجحت مفسدته ، وإن كان فيه مصلحة مرجوحة ، كتناول المحرمات من الخمر وغيره . ولهذا أمر تعالى أن نأخذ بأحسن ما أنزل الينا من ربنا. فالأحسن ، اما واجب ، واما مستحب ، قال ـ تعالى ـ : ﴿ ... فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها ... ﴾ (٦) وقال : ﴿ واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم ... ﴾ (٧) فأمر باتباع الأحسن والأخذ به . وقال ـ تعالى ـ : ﴿ فبشر عباد* الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله ... ﴾ (٨) فاقتضى أن غيرهم لم يهده ، وهذا يقتضى وجوب الأخذ بالأحسن ، وهو مشكل ،

---

(١) في أ تقدمت (انه) قبل (سبحانه) والأصوب تأخيرها كما في ك و ط وهو ما أثبتناه .

(٢) أي امضوا الى سماع خطبة الجمعة وأداء الصلاة ، والسعى هنا بمعنى المشى لابمعنى الجري ،وفسره الحسن : بالسعي بالقلوب والنية والخشوع . صفوة التفاسير ٢٨ : ٣٨١ .

(٣) سورة الجمعة : ٩ .

(٤) في ك و ط (فجعل) .

(٥) في ك و ط (ترجح) .

(٦) سورة الأعراف : ١٤٥ .

(٧) سورة الزمر : ٥٥ .

(٨) سورة الزمر : ١٧ ـ ١٨ .

وقد تكلم الناس فيه ، ونظيره قوله ـ تعالى ـ : ﴿ وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم ... ﴾ (١) وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ ادفع بالتي هي أحسن السيئة ... ﴾ (٢) مع قوله ـ تعالى ـ في موضع آخر : ﴿ ... ويدر ؤن بالحسنة السيئة ... ﴾ (٣) وقال ـ تعالى ـ ﴿ ... وجادلهم بالتي هي أحسن ... ﴾ (٤) وقال : ﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن ... ﴾ (٥) وقال ـ تعالى ـ : ﴿ ولاتقربوامال اليتيم الا بالتي هي أحسن ... ﴾ (٦) في موضعين (٧) .

---

(١) سورة الاسراء : ٥٣ .

(١) أي يفسد ويهيج بين الناس الشر ، ويشعل نار الفتنة بالكلمة الخشنة يفلت بها اللسان . صفوة ١٥ : ١٦٤ .

(٢) سورة المؤمنون : ٩٦.

(٣) سورة الرعد : ٢٢. وسورة القصص : ٥٤ .

(٤) سورة النحل : ١٢٥ .

(٥) سورة العنكبوت : ٤٦ .

(٦) لم ترد كلمة التقديس في ك و لا ط .

(٧) سورة الأنعام : ١٥٢ وسورة الاسراء : ٣٤ .

وقد يقال هذا نظير قوله ـ تعالى ـ ﴿ ... فاسعوا إلى ذكر الله (١) وذروا البيع ذلكم خير لكم ... ﴾ وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ ... الله خير أما يشركون ﴾ (٢) وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ تالله إن كنا لفى ضلال مبين ﴾ إذ نسويكم برب العالمين ﴾ (٣) وقوله : ﴿ ... والله خير وأبقى ﴾ (٤) وقوله : ﴿ والآخرة خير وأبقى ﴾ (٥) وقوله : ﴿ ... فردوه إلى الله والرسول ، إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا ﴾ (٦) وقوله : ﴿... أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا ﴾ (٧) وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله ، وهو محسن ، واتبع ملة ابراهيم حنيفا ، واتخذ الله ابراهيم خليلا ﴾ (٨) وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ ... اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾ (٩) وقوله : ﴿ ولو أنهم فعلوا مايوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيا ﴾ (١٠) ونظائر هذا كثيرة ، مما يذكر فيه أن المأمور به خير وأحسن من المنهي عنه، وان كان الأول واجبا ، والثاني محرما .

---

(١) سورة الجمعة : ٩.

(٢) سروة النحل : ٥٩ .

(٣) سورة الشعرء : ٩٧ ـ ٩٨ .

(٤) سورة طه : ٧٣ .

(٥) سورة الأعلى : ١٧ .

(٦) سورة النساء : ٥٩.

(٦) تأويلا : عاقبة ومآلا . صفوة ٥ : ٢٨٤ .

(٧) سورة مريم : ٧٣ .

(٧) نديا : مسكنا وعيشا ومئتدى ومجلسا . صفوة ١٦ : ٢٢٥ .

(٨) سورة النساء : ١٢٥ .

(٨) الحنيف : هو المائل عن الاديان كلها ، المستقيم على الاسلام . البحرالمحيط ١ : ٤٠٦ .

(٩) سورة المائدة : ٨.

(١٠) سورة النساء : ٦٦ .

وذلك لأن المأمور به قد يشتمل على (١) * مفسدة مرجوحة ، والمنهي عنه يشتمل على * مصلحة مرجوحة ، فيكون باعتبار ذلك في هذا خير وحسن . وفي هذا شر وسيء ، لكن هذا خير وأحسن وإن كان واجبا (٢) . فقوله - تعالى - : * واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم ... * (٣) هو أمر بالأحسن من فعل المأمور أو ترك المحظور ، وهو يتناول الأمر بالواجب والمستحب ، فإن كلاهما (٤) أحسن من المحرم والمكروه . لكن يكون الأمر أمر ايجاب ، وأمر استحباب ، كما أمر بالاحسان في قوله - تعالى - : * ... وأحسنوا إن الله يحب المحسنين * (٥) والاحسان منه واجب ، ومنه مستحب .

---

(١) مابين النجمتين سقط من ط .

(٢) جاءت هذه العبارة في ط هكذا (لكن لما كان هذا خيرا وأحسن كان واجبا) .

(٣) سورة الزمر : ٥٥ .

(٤) في ط (كليهما) .

(٥) سورة البقرة : ١٩٥ .

فصل (١)

(توسط المسلمين واعتدالهم في التوحيد والنبوات ، والحرام والحلال وغير ذلك) .

وإذا كان جنس أهل الكتاب أكمل في العلوم النافعة والأعمال الصالحة ، ممن لاكتاب له ، فمعلوم أن أمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم (٢) ـ أكمل من طائفتي أهل الكتاب : اليهود والنصارى ، وأعدل ، وقد جُمع لهم محاسن مافي التوراة ومافي الانجيل . فليس عند أهل الكتاب فضيلة علمية وعملية الا وأمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أكمل منهم فيها .

فأما العلوم ، فهم أحذق في جميع العلوم ، من جميع الأمم ، حتى العلوم التي ليست بنبوية ولا أخروية ،كعلم الطب ـ مثلا ـ والحساب ، ونحو ذلك ، هم أحذق فيها من الأمتين ، ومصنفاتهم فيها أكمل من مصنفات الأمتين ، بل أحسن علما وبيانا لها من الأولين (٣) الذين كانت هي غاية علمهم . وقد يكون الحاذق فيها من هو عند المسلمين منبوز (٤) بنفاق والحاد ، ولاقدر له عندهم ،لكن حصل (٥) له بما يعلمه من المسلمين من العقل والبيان (٦) ما أعانه على الحذق في تلك العلوم ، فصار حثالة (٧) المسلمين أحسن معرفة وبيانا لهذه العلوم من أولئك المتقدمين .

---

(١) في ك و ط زيادة : (في وجوب العدل ، ومقصود العبادات وصفاتها).

(٢) في ك و ط (أمته) . فلم يذكر الاسم الشريف ولا الجملة الدعائية .

(٣) في ك و ط (الأوائل) .

(٤) في ط (منبوذ) والمعنى : مُلَقَّب بنفاق والحاد ، فيقال : فلان المنافق والملحد. اللسان ٥ : ٤١٣ مادة : نبز .

(٥) في ك و ط (يحصل) .

(٦) في أ (أما) ويظهر أن الألف قبل الميم زيادة من الناسخ ولهذا صححناه من ك و ط .

(٧) الحثالة : الرديء من كل شيء ، وحثالة الناس : رُذالتهم . اللسان ١١ : ١٤٢ مادة " حثل " .

وأما العلوم الالهية والمعارف الربانية وما أخبرت به الأنبياء من الغيب ، كالعرش والملائكة ، والجن ، والجنة ، والنار ، وتفاصيل المعاد ، فكل (١) من نظر في كلام المسلمين فيها ، وكلام علماء اليهود والنصارى ، وجد كلام المسلمين فيها أكمل وأتم . ومعلوم أن علم أهل الكتاب والملل بذلك أتم من علم غيرهم وأما العبادة ، والزهد ، والأخلاق ، والسياسة المنزلية (٢) والمدنية (٣) فالكلام فيها مبني على أصل ، وهو معرفة المقصود بها ، ومابه يحصل المقصود .

فنقول : للناس في مقصود العبادات مذاهب :

منهم من يقول : المقصود بها تهذيب أخلاق النفوس وتعديلها ، لتستعد (٤) بذلك للعلم ، وليست هي مقصودة في نفسها ، ويجعلونها من قسم الأخلاق ،وهذا قول متفلسفة اليونان ، وقول من اتبعهم من الملاحدة والاسماعيلية (٥) وغيرهم ، من المتفلسفة الاسلاميين ، كالفارابي وابن سينا وغيرهما ، ومن سلك طريقهم (٦) من متكلم ، ومتصوف ، ومتفقه . كما يوجد مثل ذلك في كتب أبي حامد ، والسهروردي المقتول ،وابن رشد الحفيد ، وابن عربي ، وابن سبعين . لكن أبو حامد يختلف كلامه ، تارة يوافقهم ، وتارة يخالفهم .

---

(١) في آ (وكل) وما أثبتناه من ك و ط أجود .
(٢) في ك (المكية) وفي ط (الملكية) .
(٣) سقطت (به) من ط .
(٤) في ك و ط (ليستعد) .
(٥) هم الذين يعتقدون الامامة إلى جعفر بن اسماعيل بن جعفر الصادق ،سابع الأئمة ، وزعموا أن الامامة بعده إلى ابنه اسماعيل ، وهم فرقتان. الأولى : فرقة منتظرة لاسماعيل المذكور ، مع اتفاق المؤرخين على موت اسماعيل في حياة أبيه . الثانية : فرقة جعلوا الامامة إلى جعفر ثم جعلوها بعده في ابنه موسى ، وزعموا أنه حي لم يمت ، وأنه هو المهدي المنتظر وتسمى " الموسوية " و " الممطورة " . انظر الفرق بين الفرق : ٦٢ – ٦٤ . والملل والنحل ١ : ١٩١ – ١٩٢ .
(٦) في ك و ط (طريقتهم) بزيادة تاء بعد القاف .

وهذا القدر ، فعله ابن سينا وأمثاله ممن رام[١] الجمع بين ماجاءت به الأنبياء وبين فلسفة المشائين ـ أرسطو وأمثاله ـ ولهذا تكلموا في الآيات وخوارق العادات ، وجعلوا لها ثلاثة أسباب : القوى الفلكية ، والقوى النفسانية ، والطبيعية ، إذ[٢] كانت هذه هي المؤثرات في هذا العالم عندهم. وجعلوا ماللأنبياء وغير الأنبياء من المعجزات والكرامات ، وماللسحرة من العجائب ، هو من قوى النفس. لكن الفرق بينهما أن ذلك قصده الخير ، وهذا قصده الشر.وهذا المذهب من أفسد مذاهب العقلاء ، كما قد بسط الكلام عليه في موضع آخر[٣] . فإنه مبنى على انكار الملائكةوانكار الجن ، وعلى أن الله لايعلم الجزئيات ، ولايخلق بمشيئته وقدرته ، ولايقدر على تغيير العالم .

ثم أن هؤلاء لايقرون من المعجزات الا بما جرى على هذا الأصل ، وأمكن أن يقال فيه هذا ، مثل نزول المطر ، وتسخير السباع ، وإمراض الغير وقتله ،ونحو ذلك. وأما[٤] قلب العصاحية ، واحياء الموتى ، واخراج الناقة من الهضبة ، وانشقاق القمر وأمثال ذلك ، فلا يقرون به . وقد علم بطرق متعددة مايكون من الخوارق[٥] ، بسبب أفعال الجن ، وبسبب أفعال الملائكة .

---

(١) من رام الشيء : إذا طلبه وبابه قال . مختار الصحاح : ٢٦٤

(٢) في أ (اذا) والأصوب ما أثبتناه من ك و ط .

(٣) في ك و ط " في غير هذا الموضع " .

(٣) انظر في هذه الرسالة ، ص : ٤٨٨ ـ ٤٨٩ .

(٤) في ك و ط ،(فأما) .

(٥) هي خوارق العادات ، من خرق الثوب ، إذا شقه ، وخرق الأرض جابها. انظر مختار الصحاح : ١٧٣ .

وأحوال الجن معلومة عند عامة الأمم ، مسلمهم وكافرهم ، لايجحد ذلك الا من هو من أجهل الناس ، وكذلك من فسرها بقوى النفس ، وهذا غير اخبار الله عنهم فيما أنزله من الكتب .

وأما الملائكة فأمرهم أجلّ(١) ، وهم رسل الله في تدبير العالم كما قال - تعالى - : ﴿فالمدبرات أمرا﴾(٢) وقال(٣) : ﴿فالمقسمات أمرا﴾(٤) وقد ذكر الله - تعالى - في كتبه من أخبارهم وأصنافهم مايطول وصفه ،(٥) وآثارهم موجودة في العالم ، يعرف ذلك بالاعتبار ، كما قد بسط في موضعه(٦) . إذ المقصود هنا ذكر مذاهب الناس ، في العبادات . وهؤلاء غاية ماعندهم في العبادات ، والأخلاق ، والحكمة العملية ، أنهم رأوا النفس ، فيها شهوة وغضب ، من حيث القوة العملية ، ولها نظر من جهة القوة العلمية . فقالوا : كمال الشهوة في العفة ، وكمال الغضب في الحلم والشجاعة ، وكمال القوة النظرية في العلم . والتوسط في جميع ذلك بين الافراط والتفريط هو العدل .

---

(١) أي اعظم . المصباح : ١٠٠ .

(٢) سورة النازعات : ٥ .

(٣) هكذا في ك و ط (قال) وليست في أ ، وقد أثبتناها فاصلا بين الايتين حيث انهما من سورتين .

(٤) سورة الذاريات : ٤ .

(٥) لم ترد كلمة التقديس في أ .

(٦) انظر هذه الرسالة ص : ١٠٩- ١١٠ . وانظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام ١٧ : ٣٢٢ - ٣٤٠ وذلك ضمن حديث الشيخ - رحمه الله - في تفسير سورة الاخلاص ، فقد توسع في تفسيرها ، وتفسير المعوذتين واستغرق ذلك مجلدا كاملا من مجموع الفتاوى ، وهو الجزء الرابع من كتاب التفسير .

وماذكروه من العمل متعلق بالندب،لم يثبتوا خاصية النفس التي هي (١) محبة الله وتوحيده ،بل ولاعرفوا (٢) ذلك ، كما لم يكن عندهم من العلم بالله (٣) الا قليل ، مع كثير من الباطل ، كما (٤) بسط الكلام عنهم في موضعه (٥) .

ومحبة الله وتوحيده ، هو الغاية التي فيها صلاح للنفس ، وهو عبادة الله وحده لاشريك له . فلا صلاح للنفس ، ولاكمال لها الا في ذلك ، وبدون ذلك تكون فاسدة ، لاصلاح لها ، كما قد بسط الكلام على ذلك في موضع آخر . ولهذا كان هذا (٦) هو دين الاسلام الذي اتفقت عليه الرسل ، (٧) ،قال الله - تعالى - : (٨) * ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ... * ، وقال : * وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لااله الا أنا (٩) فاعبدون (١٠) * . وقال : * ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ... *

---

(١) في ك و ط (الذي هو) .

(٢) في ك و ط زيادة : (كمال) .

(٣) في ك و ط (مشتمل على) .

(٤) في ك و ط زيادة : (قد) .

(٥) في ك و ط (عليهم في موضع آخر) . وانظر درء تعارض العقل والنقل ٣ : ٢٧٣ وما بعدها .

(٦) سقطت (هذا) من ك و ط .

(٧) في ك و ط زيادة : (وهو جماع دعوة المرسلين) .

(٨) سورة النحل : ٣٦.

(٨) الطاغوت : كل معبود من دون الرب كالشيطان والكاهن والصنم ، وكل من دعا الى الضلال . صفوة ١٤ : ١٢٦ .

(٩) سورة الأنبياء : ٢٥ .

(١٠) سورة آل عمران : ٨٥ .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يُعبدون ﴾ (١) وقال ـ تعالى ـ ﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم ﴾ وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون ﴾ فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا (٢) كل حزب بما لديهم فرحون ﴾ (٣) وقال ـ لما ذكر قصص الأنبياء ـ : ﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ﴾ وتقطعوا أمرهم بينهم كل الينا راجعون ﴾ (٤) وقال ـ تعالى ـ : ﴿ شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا ، والذي أوحينا اليك ، وماوصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ، أن أقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه.. ﴾ (٥) وقال ـ تعالى ـ : ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لاتبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لايعلمون ﴾ (٦) منيبين اليه واتقوه ، وأقيموا الصلاة ولاتكونوا من المشركين ﴾ من الذين فرقوا دينهم ، وكانوا شيعا ، كل حزب بما لديهم فرحون ﴾ (٧) وقد قال ـ تعالى ـ : ﴿ وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ﴾ (٨) ، فالغاية الحميدة التي بها يحصل كمال بنى آدم وسعادتهم ونجاتهم ، عبادة الله وحده ،

---

(١) سورة الزخرف : ٤٥ .

(٢) زبرا : أي فرقا عديدة ، وأديانا مختلفة ، هذا مجوسي وهذا يهودي وهذا نصراني بعدما أمروا بالاجتماع . صفوة ١٨ : ٣١٢ .

(٢) زبرا : جمع زبور : أي كتبا مختلفة ، يعني جعلوا دينهم أديانا ، وزبرا : قطعا ، استعيرت من زُبَر الفضة والحديد ... أي كل فرقة من فرق هؤلاء المختلفين المتقطعين دينهم ، فَرِحٌ بباطله ، مطمئن النفس معتقد أنه على الحق . الكشاف ٣ : ٣٤ .

(٣) سورة المؤمنون : ٥١ ـ ٥٣ .

(٤) سورة الأنبياء : ٩٢ ـ ٩٣ .

(٥) سورة الشورى : ١٣ .

(٥) أقيموا الدين ، أي اجعلوه قائما محفوظا من غير خلاف فيه ولا اضطراب. صفوة ٢٥ : ١٣٥ .

(٦) اي خلقة الله التي خلق الناس عليها ، وهو فطرة التوحيد. المصدر السابق ٢١ : ٤٧٨ .

(٧) سورة الروم : ٣٠ ـ ٣٢ .

(٨) سورة الذاريات : ٥٦ .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يُعبدون ﴾ (١) وقال ـ تعالى ـ ﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم ﴾ وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون ﴾ فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا (٢) كل حزب بما لديهم فرحون ﴾ (٣) وقال ـ لما ذكر قصص الأنبياء ـ : ﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ﴾ وتقطعوا أمرهم بينهم كل الينا راجعون ﴾ (٤) وقال ـ تعالى ـ : ﴿ شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا ، والذي أوحينا اليك ، وماوصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ، أن أقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه .. ﴾ (٥) وقال ـ تعالى ـ : ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التي فطر الناس عليها ، (٦) لاتبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لايعلمون ﴾ منيبين اليه واتقوه ، وأقيموا الصلاة ولاتكونوا من المشركين ﴾ من الذين فرقوا دينهم ، وكانوا شيعا ، كل حزب بما لديهم فرحون ﴾ (٧) وقد قال ـ تعالى ـ : ﴿ وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ﴾ (٨) ، فالغاية الحميدة التي بها يحصل كمال بنى آدم وسعادتهم ونجاتهم ، عبادة الله وحده ،

---

(١) سورة الزخرف : ٤٥ .

(٢) زبرا : أي فرقا عديدة ، وأديانا مختلفة ، هذا مجوسي وهذا يهودي وهذا نصراني بعدما أمروا بالاجتماع . صفوة ١٨ : ٣١٢ .

(٣) زبرا : جمع زبور : أي كتبا مختلفة ، يعني جعلوا دينهم أديانا ، وزبرا : قطعا ، استعيرت من زُبَر الفضة والحديد ... أي كل فرقة من فرق هؤلاء المختلفين المتقطعين دينهم ، فَرِحٌ بباطله ، مطمئن النفس معتقد أنه على الحق . الكشاف ٣ : ٣٤ .

(٣) سورة المؤمنون : ٥١ ـ ٥٣ .

(٤) سورة الأنبياء : ٩٢ ـ ٩٣ .

(٥) سورة الشورى : ١٣ .

(٥) أقيموا الدين : أي اجعلوه قائما محفوظا من غير خلاف فيه ولا اضطراب . صفوة ٢٥ : ١٣٥ .

(٦) اي خلقة الله التي خلق الناس عليها ، وهو فطرة التوحيد . المصدر السابق ٢١ : ٤٧٨ .

(٧) سورة الروم : ٣٠ ـ ٣٢ .

(٨) سورة الذاريات : ٥٦ .

وهى حقيقة قول القائل (لااله الا الله) ولهذا[1] بعث الله جميع الرسل ، وأنزل جميع الكتب[2] ، ولاتصلح النفس وتزكو وتكمل الا بهذا ، كما قال ـ تعالى ـ * ... وويل للمشركين * الذين لايؤتون الزكاة ... *[3] أي لايؤتون ماتزكو به نفوسهم من التوحيد والايمان[4] .

وكل من لم يحصل له هذا الاخلاص لم يكن من أهل النجاة والسعادة كما قال تعالى[5] : * إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء .. * في موضعين من كتابه ، وهذا أول الكلمات العشر التي أنزلها الله على موسى حيث قال[6] : " أنا الله * لا اله الا أنا الهك الذي أخرجتك من أرض مصر ، من التعبد ، لايكون لك اله غيري ، لاتتخذ صورا ولاتمثالا ، مافي السموات من فوق ، ومن في الأرض من أسفل ، ومافي الماء من تحت الأرض ، لاتسجد لهن ولاتعبدهن ، إني أنا ربك العزيز "[7] .

---

(١) في ك و ط (وبهذا) بالباء في أوله .

(٢) في ك و ط (فلا تصلح جميع النفوس) .

(٣) سورة فصلت : ٦ .

(٤) انظر تفسير الكشاف ٣ : ٤٤٣ .

(٥) سورة النساء : ٤٨ و ١١٦ .

(٥) في ط زيادة : (وهذا) .

(٦) من هذه النجمة بياض بنسخة أ بقدر ماوجدنا في ك و ط . والذي أكملناه منهما .

(٧) نص الترجمة الحالية مايلي :"وراء الرب الهكم تسيرون ، واياه تتقون ، ووصاياه تحفظون ، وصوته تسمعون ، واياه تعبدون ، وبه تلتصقون ، وذلك النبي أو الحاكم ذلك الحلم يُقْتل ، لأنه تكلم بالزيغ من وراء الرب الهكم ، الذي أخرجكم من أرض مصر وفداكم من بيت العبودية لكي يطوحكم عن الطريق التي أمركم الرب الهكم أن تسلكوا فيها فتنزعون الشر من بينكم " سفر التثنية ، الاصحاح الثالث عشر ٤ ـ ٥ ، العهد القديم : ٢٢٦ .

وقد شهد المسيح-عليه السلام-أن هذا هو أعظم وصية في الناموس (١) * فعبادة الله وحده لاشريك له ، وأن يكون الله أحبَ إلى العبد من كل ماسواه ، هو أعظم وصية وكلمة جاء بها المرسلون ، كموسى ، والمسيح ، ومحمد - صلوات الله عليهم أجمعين - وضد هذا هو الشرك الذي لايغفره (٢) الله - تعالى - ،قال - تعالى - : * ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا (٣) يحبونهم كحب الله ،والذين آمنوا أشد حبا لله ... * (٤) وقد بسط الكلام على هذا في غير هذا الموضع (*) ، وبُين أن النفس ليس لها نجاة ولاسعادة ولا كمال ، الا بأن يكون الله معبودها ومحبوبها ، الذي لاأحب اليها منه ، ولهذا كثر في الكتب الالهية الأمر بعبادة الله وحده . ولفظ (العبادة) يتضمن كمال الذل بكمال الحب . فلا بد أن يكون العابد محبا للاله المعبود كمال الحب ، ولابد أن يكون ذليلا له كمال الذل . فمن أحب شيئا ولم يَذِل له لم يعبده ، ومن خضع له ولم يحبه لم يعبده - وكمال الحب والذل (٥) لايصلح الا لله وحده ، فهو الاله المستحق للعبادة ، التي لايستحقها الا هو ، وذلك يتضمن كمال الحب والذل ، والاجلال والاكرام ، والتوكل والعبادة .

---

(١) إلى هنا انتهى البياض بالأصل .

(٢) في أ سقطت هاء (يغفره) .

(٣) سورة البقرة : ١٦٥ .

(٤) أي رؤساء وأصناما . صفوة ٢ : ١١١ .

(٥) تقدمت كلمة (الذل) على كلمة (الحب) في ك و ط .

(*) أنظر درء تعارض العقل والنقل ٣ : ٢٦٩ وما بعدها . وانظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام (المؤلف) ١١ : ٤٠١ وما بعدها .

فالنفوس محتاجة إلى الله من حيث هو معبودها (١) ومنتهى مرادها وبغيتها (٢) ، ومن حيث هو ربها وخالقها . فمن آمن بالله (٣) رب كل شيء وخالقه ، ولم يعبد إلا الله وحده (*) ، بحيث يكون الله أحب اليه من كل ماسواه ، وأخشى عنده من كل ماسواه ، وأعظم عنده من كل ماسواه ، وأرجى عنده من كل ماسواه ، بل من سوى بين الله وبين بعض المخلوقات في الحب : بحيث يحبه مثل مايحب الله ، ويخشاه مثل مايخشى الله ، ويرجوه مثل مايرجو الله ، ويدعوه مثل مايدعوه ، فهو مشرك (٤) الشرك الذي لايغفره الله . ولو كان مع ذلك عفيفا في طعامه ونكاحه ، وكان حكيما (٥) شجاعا .

فما ذكره المتفلسفة من الحكمة العملية ، ليس فيها من الأعمال ماتسعد به النفوس ، وتنجو من العذاب ، كما أن ماذكروه من الحكمة النظرية ، ليس فيها الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر . فليس عندهم من العلم ماتهتدى به النفوس ، ولا من الأخلاق ماهو دين حق ، ولهذا لم يكونوا داخلين في أهل السعادة في الآخرة المذكورين في قوله - تعالى - (٦) : ﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر، وعمل صالحا ، فلهم أجرهم عند ربهم ، ولاخوف عليهم ، ولاهم يحزنون ﴾ (٧) وهذه الفضائل الأربع (٨) التي ذكرها (٩) المتفلسفة ، لابد (١٠) منها في كمال النفس وصلاحها وتزكيتها .

---

(١) في ك و ط زيادة (الذي هو محبوبها) .
(٢) سقطت العاطفة من أ .
(٣) في ك و ط (فمن أقر بأن الله) .
(٤) في أ (شرك) .
(٥) في ك و ط (حليما) .
(٦) ليس في أ كلمة التقديس .
(٧) سورة البقرة : ٦٩ .
(٨) أي العفة في الطعام والنكاح والحكمة والشجاعة .
(٩) في ك و ط (ذكرتها) .
(١٠) سقطت (بُدَّ) من أ .
(*) سقطت (إلا) من أ و ك و ط ، وقد أثبتناها من إكسفورد .

والمتفلسفة لم يَحُدّوا[1] مايحتاج اليه بحد يبين مقدار ماتحصل به النجاة والسعادة . ولكن الأنبياء بينوا ذلك ، وقد قال ـ سبحانه ـ : ﴿ قل إنما حَرّم ربي الفواحش ماظهر منها ومابطن ، والاثم والبغي بغير الحق ، وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا[2] ، وأن تقولوا على الله مالاتعلمون﴾[3] فهذه الأنواع الأربعة هى التي حرمها[4] تحريما مطلقا ، لم يُبِح منها شيئا لأحد من الخلق ، ولا في حال من الأحوال . بخلاف الدم والميتة ولحم الخنزير ، وغير ذلك ، فإنه يحرم في حال ، ويباح في حال . وأما الأربعة فهي محرمة مطلقا .

فالفواحش متعلقة بالشهوة . والبغي بغير الحق يتعلق بالغضب ، والشرك بالله فساد أصل العدل ، فإن الشرك ظلم عظيم ، والقول على الله بلا علم ، فساد في العلم[5]،فقد حرم ـ سبحانه ـ هذه الأربعة ، وهى فساد الشهوة ، والغضب ، وفساد العدل والعلم .

وقوله ﴿ ... وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا ...﴾[6] يتضمن تحريم أصل الظلم[7] في حق الله ،وذلك يستلزم ايجاب العدل في حق الله ـ تعالى[8] ـ وهو عبادته وحده ، لاشريك له ، فإن النفس لها القوتان : العلمية والعملية ، وعمل الانسان عمل اختياري ، والعمل الاختياري انما يكون بارادة العبد .

---

(١) حَدُّ كل شيء : نهايته . مختار : ١٢٦ .

(١) في جميع النسخ (يجدوا) والظاهر ان المعنى لايستقيم الا بالحاء كما أثبتنا .

(٢) أي حجة وبرهانا . صفوة ٨ : ٤٤٤ .

(٣) سورة الأعراف : ٣٣ .

(٤) في ك زيادة اسم الجلالة المعظم .

(٥) سقطت (في) من ك و ط .

(٦) سورة الأعراف : ٣٣ .

(٧) في أ (العلم) وهو خطأ نسخي ظاهر .

(٨) لم ترد في أ كلمة التقديس .

وكل انسان له ارادة وعمل بارادته ، فإن الانسان حساس ، يتحرك[1] بالارادة ، ولهذا قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " أصدق الأسماء حارث وهمام[2] " . والارادة لابد لها من مراد ، وكل مراد فاما أن يراد لنفسه ، واما أن يراد لغيره ـ والمراد لغيره لابد أن ينتهي إلى مراد لنفسه .

---

(١) في ك و ط : (متحرك) .

(٢) رواه أبو داود . كتاب الأدب ، باب في تغيير الأسماء ٤ : ٢٨٧ (٤٩٥٠) والامام أحمد في المسند ٤ : ٣٤٥ ، والبخاري في الأدب المفرد ، انظر فضل الله الصمد ٢ : ٢٧٧ ـ ٢٧٨ (٨١٤) لفضل الله الجيلاني ، ط ٢ المطبعة السلفية ، القاهرة ١٣٨٨ هـ قال الحافظ ابن حجر : "وكأنّ المؤلف ـ رحمه الله ـ لَمّا لم يكونا ـ أي هذا الحديث وحديث عند مسلم ـ على شرطه ، اكتفى بما استنبطه من أحاديث الباب"ـ أي باب من سمى بأسماء الأنبياء . فتح الباري ١٠ : ٥٧٨ قال الجيلاني في الموضع المذكور آنفا ـ مامعناه : ورجال هذا الحديث ثقات غير أحمد بن الروتنيسي وعقيل بن شبيب وقد ذكرهما ابن حبان في الثقات ، وهو من رواية عبيدالله ابن عبيد الكلاعي ، وله صحبة في قول الاكثرين . خلافا لمن قال بأنه مرسل .

(٢) الحارث : الكاسب ، وهمام : فعال من هَم يَهم فهو هَام ، وإنما كان همام أصدق الأسماء ، لأن الانسان كاسب وهمام بالطبع ، ولايكاد يخلو من كسب وهم . جامع الأصول ١ : ٣٥٩ .

فالقوة العملية تستلزم أن يكون للانسان مراد ، وذلك المراد لنفسه ، هو علة فاعلة للعلة الفاعلة (١) (٢) ، ولهذا قيل : العامة تقول : " قيمة كل امريء مايحسنه " (٣) والعارفون يقولون : " قيمة كل امريء مايطلب " وفي بعض الكتب المتقدمة : " إني لاأنظر إلى كلام الحكيم ، وانما أنظر إلى هِمّته " .

وهؤلاء المتفلسفة (٤) لم يذكروا هذا في كمال النفس ، وإنما جعلوا كمالها العملي في تعديل الشهوة والغضب ، بالعفة والحلم ، وهذا غايته ترك الاسراف في الشهوة والغضب ، والشهوة : هى جلب ماينفع البدن ويبقى النوع ، والغضب دفع مايضر البدن (٥) . ولم يتعرضوا لمراد الروح الذي يحبه لذاته . مع أنهم انما تكلموا (٦) فيما يعود إلى البدن ، وجعلوا ذلك اصلاحا للبدن ، الذي هو آلة (٧) للنفس ، وجعلوا كمال النفس في مجرد العلم .

---

(١) في ك و ط زيادة : " المحبوب لنفسه ،وهو الاله الذي يستحق أن يكون محبوبا لذاته ، وهذا هو العلة الغائية الذي هو " .

(٢) في ك و ط (فاعلية للعلة الفاعلية) .

(٣) في ك و ط (يحسن) بدون هاء .

(٣) هذا من الحكم المنسوبة للامام علي ، نهج البلاغة ٤ : ١٨ لمحمد بن الحسين بن موسى ، الشريف الرضي – ١٤٠٦ هـ دار الهدى الوطنية ، بيروت .

(٤) في ك و ط (كلامها) .

(٥) في ك و ط (كدأبه) .

(٦) في ك (نظروا) .

(٧) في ك و ط (النفس) .

وقد بسطنا غلطهم في هذا الأصل (١) ، من وجوه ، في غير هذا الموضع ، وبينا أن النفس لها كمال في العمل (٢) والارادة ، كما أن لها كمالا في العلم ، وأن العلم المجرد ليس كمالا لها ولاصلاحا ، ولو كان كمالا ، لم يكن ماعندهم من العلم ماهو كمال النفس (٣) ، وبينا غلط الجهمية (٤) الذين قالوا : " الإيمان هو مجرد العلم (٥) " وأن الصواب قول السلف والأئمة : " إن الايمان قول وعمل (٦) " أصله : قول القلب وعمل القلب ، المتضمن علم القلب وارادته (٧) .

---

(١) انظر كتاب النبوات : ٧٧ ـ ٩٢ فقد عقد الشيخ المؤلف ـ رحمه الله ـ هناك فصلا كاملا حيث ناقش هؤلاء وغيرهم ، وجاء فيه ذكر كثير من أعلامهم ، كالطرسوسي والمازري وابن عقيل وأبو البيان وابن حمدين ورفيق أبي حامد أبو نصر المرغيناني وابن عربي وابن سبعين وغيرهم " .

(٢) في ك و ط (العلم) .

(٣) سقطت (ما) من أ وط وأثبتناها من ك .

(٤) في ك و ط : " للنفس " .

(٥) انظر مقالات الاسلاميين ، واختلاف المصلين : ١٣٢ لأبي الحسن علي بن اسماعيل الاشعري ـ ٣٢٤ هـ ، تصحيح هلموت ريتر ، ط ١ دار احياء التراث العربي : بيروت .

(٦) انظر شرح العقيدة الطحاوية : ٣٧٣ لمحمد بن على بن أبي العز الحنفي ٧٩٢ هـ ط ٦ ، المكتب الاسلامي بيروت ١٤٠٠ هـ .

(٧) في ك و ط (عمل) .

وإذا كان لابد للنفس من مراد محبوب لذاته لاتصلح الا به ، ولاتكمل الا به ، وذلك هو الإلهها ، فليس لها اله يكون به صلاحا[1] الا الله ، ولهذا قال الله[2] ـ تعالى ـ * ... لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ...*[3] وليس ذلك للانسان فقط ، بل وللملائكة والجن ، فإنهم كلهم أحياء عقلاء ناطقون ، لهم علم وعمل اختياري ، ولا صلاح لهم الا بمرادهم المحبوب لذاته ، وهو معبودهم ، ولايجوز أن يكون معبودا محبوبا لنفسه الا الله ، فلو كان في السموات والأرض الله الا الله لفسدتا . فلهذا كان دين جميع الرسل عبادة الله وحده لاشريك له .

وهؤلاء المتفلسفة لايعرفون ذلك ، فليس عندهم من صلاح النفس وكمالها في العلم والعمل ماتنجو به من الشقاء ، فضلا عما تسعد به . ومما يبين ذلك أن (أرسطو) معلمهم الأول ، هو وأتباعه ، إنما أثبتوا العلة الأولى بالحركة الفلكية ، فقالوا : " الحركة الدورية حركة اختيارية نفسانية فقوامه بحركته الاختيارية ، وفساده بعدمها ، وقوام حركته بما يتحرك لأجله ، فإن الفاعل بالاختيار إنما قوامه بعلته الغائية ، التي يتحرك لأجلها ، وغايته التي يتحرك لأجلها ، هو العلة الأولى فإنه يتحرك للتشبه بها"[4].

---

(١) في ك و ط (صلاحها) .

(٢) لم يرد اسم الجلالة المعظم في أ ولا ك .

(٣) سورة الأنبياء : ٢٢.

(٤) انظر الملل والنحل ٢ : ١٢٠ .

فجعلوا قوام العالم (١) كله بالعلة الأولى من حيث هو متشبه بـــــه ، لأن المتحرك باختياره لابد له من مراد . ومعلوم أن الحركة الارادية تطلب (٢) مرادا محبوبا لنفسها (٣) ، وتستلزم ذلك أعظم من استلزامها مشبها بـــه ، فإن كل متحرك بالارادة لابد له من مراد محبوب لنفسه ، فإن الارادة لابد لها من مراد ،والمراد يكون اما مرادا (٤) لنفسه (٥) ، واما لغيره ، والمراد لغيره انما يراد لذلك الغير (٦) ، فلابد أن يكون ذلك الغير مرادا لنفسه ، أو منتهى إلى مراد لنفسه ، والا لزم التسلسل في العلل الغائية ، وذلك باطل ، كبطلان التسلسل في العلل الفاعلية ، بصريح العقل واتفاق العقلاء . وبسط هذا له موضع آخر (٧) .

وإذا كان الفاعل باختيار يستلزم مرادا لنفسه (٨) محبوبا ، فلابد أن يكون لما يتحرك في السموات بارادته سواء كان هؤلاء ، الملائكة ، أو مايسمونـــه – هم – نفسا ، من محبوب مراد لذاته ، يكون هو الاله المعبود المراد بتلك الحركات ، وكذلك نفس الانسان ، حركتها بالارادة (٩) من لوازم ذاتها ، فلابد لها من محبوب مراد لذاته وهو الاله ،وهذا المحبوب المراد لذاته هو الله – تعالى – ويمتنع أن يكون غيره ، كما قد بسط هذا في موضع آخر ، وبُين أنه يمتنـــع (١٠) أن يكون موجودا بغيره ، بل هو واجب الوجود بنفسه ، فيمتنع أن يكـــون مرادا لغيره بل مراد لنفسه .

---

(١) في أ (العلم) وقد اخترنا مافي ك و ط .
(٢) في ك و ط (لنفسه) .
(٣) في ك (متشبها) وفي ط (تشبها) .
(٤) في أ (مراد) بغير النصب .
(٥) في ك و ط زيادة : (مرادا) قبل كلمة (لغيره) .
(٦) في ك و ط (ينتهى) .
(٧) سقطت كلمة " آخر " من أ أثبتناها من ك و ط . وانظر درء التعارض ٨:٢١٦–٢٣٨.
(٨) سقطت الواو من أ وأثبتناها من ك و ط .
(٩) هكذا في ك و ط وفي أ " بالارادية " بزيادة ياء والأظهر مافي ك و ط ولهذا أثبتناه .
(١٠) في ك و ط (أنه كما يمتنع) .

وكما[1] يمتنع أن يكون للعالم ربّان قادران ، يمتنع أن يكون للعالم الهان معبودان ، فإن كون أحدهما قادرا[2] ، يناقض كون الآخر قادرا[3] ، لامتناع اجتماع القادرين على مقدور واحد ، وامتناع كون أحدهما قادرا على الفعل حين يكون الآخر قادرا عليه ، وامتناع ارتفاع قدرة أحدهما بقدرة الآخر مع التكافؤ[4] .

كذلك يمتنع أن يكون الهان معبودان محبوبان لذاتهما ، لأن كون أحدهما هو المعبود لذاته ،يناقضه أن يكون غيره معبودا لذاته ، فإن ذلك يستلزم أن يكون بعض المحبة والعمل لهذا ،وبعض ذلك لهذا ، وذلك يناقض كون الحب والعمل كله لهذا ،فإن الشركة نقص في الحب[5] ، فلا تكون حركة المتحرك بارادته له ، فلايكون أحدهما معبودا معمولا له الا إذا لم يكن الآخر كذلك، فإن العمل لهذا يناقض أن يكون له شريك ، فضلا عن أن يكون لغيره .

وكل من أحب شيئين فانما يحبهما لثالث غيرهما ، والا فيمتنع أن يكون كل منهما محبوبا لذاته ، إذ المحبوب لذاته هو الذي تريده النفس وتطلبه وتطمئن اليه ، بحيث لايبقى لها مراد غيره ، و[6] هذا يناقض أن يكون له شريك.

---

(١) سقطت (كما) من أ وقد أثبتناها من ك و ط لدواعي السياق .

(٢) في أ (كونه) ولا نرى مبررا لزيادة الهاء .

(٣) في أ (امتناع) والصواب ما أثبتناه من ك و ط .

(٤) رسمت في النسخ كلها (التكافي) والأصح ما أثبتناه .

(٥) في ك و ط (ولا) .

(٦) في ك و ط (ولهذا) .

والقول الثاني (١) : قول من يقول (٢) : إن الله عوض الناس (٣) بالتكليف بالعبادات ليثيبهم على ذلك بعد الموت ، فإن الانعام بالثواب لايحسن بدون التكليف ، لما فيه من الاجلال والتعظيم ، الذي لايستحقه الا مكلف ، كما يقول ذلك القدرية (٤) ، من المسلمين وغيرهم .

وهؤلاء قد يجعلون الواجبات الشرعية لطفا في الواجبات العقلية . وقد يقولون إن الغاية المقصودة التي بها يحصل الثواب هو العمل ، والعلم ذريعة اليه ، حتى يقولوا (٥) مثل ذلك في معرفة الله ـ تعالى ـ يقولون : انما وجبت لأنها لطف (٦) في آداء الواجبات العقلية العملية .

---

(١) تقدم القول الأول ص ٥٦٤ .

(٢) في ك و ط زيادة : (في مقصود العبادات) .

(٣) في ك و ط (عرض) .

(٤) في ك و ط زيادة : (كالمعتزلة ومن وافقهم من الشيعة وأهل الكتاب) .

(٤) هم الذين ينكرون اضافة الخير والشر إلى القدر ، وقد حدثت هذه البدعة في آخر أيام الصحابة على يد معبد الجهني وغيلان الدمشقي ويونس الأسواري وتبعهم واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد ، وقد زاد الأخير على الذي قبله في مسائل القدر . الملل والنحل ١ : ٣٠ ومقالات الاسلاميين: ٥٥٠ ، والفرق بين الفرق : ١١٤ ـ ١١٥ .

(٥) في أ (يقولوا) والصواب ما أثبتناه من ك و ط .

(٦) سقطت كلمة (لطف) من ط .

والقول الثالث : قول من يقول : بل الله أمر بذلك لالحكمة مطلوبة ، ولا بسبب بل لمحض المشيئة ، وهذا قول الجبرية (١) المقابلين (٢) للقدرية (٣) ، كالجهم ، والأشعري (٤) ، وخلق كثير من المتكلمين والفقهاء والصوفية وغيرهم .

---

(١) هم الجهمية ، أتباع جهم ، الذي قال بالجبر والاضطرار إلى الأعمال ، وأنكر الاستطاعات كلها ، وأنه لافعل لأحد ـ في الحقيقة ـ الا لله وحده ، وأنه هو الفاعل ، وأن الناس انما تنسب اليهم أفعالهم على المجاز كما يقال : تحركت الشجرة ، ودار الفلك وانما فعل ذلك بهما الله ـ تعالى ـ الا انه خَلَق للانسان قوة كان بها الفعل ، وخلق له ارادة واختيارا ، كما خلق له طولا ولونا . انظر الفرق بين الفرق : ١١٤ ـ ١١٥ و ٢١١ ، ومقالات الاسلاميين : ٢٧٩ .

(٢) لم تظهر الميم في كلمة (المقابلين) في أ كما في ك و ط .

(٣) هو ابن صفوان ، السمرقندي الضال المبتدع ، رأس الجهمية ، هلك في زمان صغار التابعين ، وكان من موالي بني راسب ، وكَتَب للحارث ، قتل سنة ١٢٨ هـ بأمر نصر بن سيار . انظر لسان الميزان ٢ : ١٤٢ .

(٤) هو ابو الحسن ، علي بن اسماعيل بن اسحاق بن سالم بن اسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن عامر بن أبي موسى الأشعري ، صاحب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ اليه تنسب الطائفة الأشعرية ، مولده سنة ٢٧٠ هـ كان معتزليا ثم تاب ، وصنف الكتب في الرد على أهل البدع ، وكان فيه دعابة ومزاح كثير ، مات سنة ٣٣٠ هـ . انظر وفيات الأعيان ٣ : ٢٨٤ ـ ٢٨٥ وتبيين كذب المفترى ، فيما نسب إلى .... الاشعري : ٣٤ و ١٤٦ لعلي بن الحسن بن عساكر ـ ٥٧١ هـ دار الكتاب العربي ، بيروت ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩م .

القول الرابع : قول سلف الأمة وأئمتها ، وهو أن نفس معرفة الله - تعالى - ومحبته مقصودة لذاتها ، وأن الله - سبحانه - محبوب مستحق للعبادة لذاته ، لااله الا هو ، ولايجوز أن يكون غيره محبوبا معبودا لذاته (١) ، وأنه - سبحانه - يحب عباده الذين يحبونه ويرضى عنهم ، ويفرح بتوبة التائب ، ويبغض الكافرين ويمقتهم ويغضب عليهم (٢) ويذمهم ، وأن في ذلك (٣) من الحكم البالغة ، وكذلك (٤) من الأسباب مايطول وصفه في هذا * الخطاب ، كما (٥) قد بسط في موضعه ، إذ المقصود - هنا التنبيه على أن المسلمين * في هذا أكمل من غيرهم في العلوم النافعة والأعمال الصالحة .

وإذا عرف (٦) مذاهب الناس في مقاصد العبادات ، فهم - أيضا - مختلفون (٧) في صفاتها . فمن الناس من يظن أن كل ماكان أشق على النفس وأشد اماتة (٨) لشهوتها فهو أفضل . وهذا مذهب كثير من المشركين ، الهند (٩) وغيرهم ،

---

(١) تقدمت (معبودا) على كلمة (محبوبا) في ك و ط .

(٢) في ك و ط زيادة : (ويلعنهم) .

(٣) سقطت الواو من أ .

(٤) مابين النجمتين سقط من أ ، وقد أثبتناه من ك و ط حيث أنه بمقدار سطر ولانه ظاهر أن في السياق بترا وانقطاعا .

(٥) سقطت (في هذا) من ك و ط .

(٦) في ط (عرفت) .

(٧) في أ : رسمت هذه الكلمة هكذا (كلمنا) ويظهر أن النون زيادة من الناسخ .

(٨) في أ (أمانة) وهو نقص نسخي .

(٩) في ك و ط (والهند) .

وكثير من أهل الكتاب اليهود ، والنصارى ، وكثير من مبتدعة المسلمين .

والثاني : قول من يقول (١) : ان أفضلها ماكان أدعى إلى تحصيل الواجبات العقلية .

والثالث : قول من يقول : فَضْلُ بعضها على بعض لاعلة له ، بل يرجع إلى محض المشيئة . والرابع : وهو الصواب - أن أفضلها ماكان لله أطوع وللعبد أنفع . فما كان صاحبه أكثر انتفاعا به ، وكان صاحبه أطوع لله به (٢) من غيره ، فهو أفضل ، كما جاء في الحديث (٣) : " خير العمل أنفعه " .

وعلى كل قول ، فعبادات المسلمين أكمل من عبادات غيرهم . أما عن الأول : فأولئك يقولون : " كلما كانت الأعمال أشق على النفس فهي أفضل " . ثم هؤلاء قد يفضلون الجوع والسهر والصمت والخلوة ونحو ذلك ، كما يفعل ذلك من يفعله من المشركين (٤) الهند وغيرهم ، ومن النصارى ، ومبتدعة هذه الأمة ، ولكن يقال لهم : الجهاد أعظم مشقة من هذا كله ، فإنه بَذْل النفس وتعريضها للموت ، ففيه غاية الزهد المتضمن لترك الدنيا كلها ، وفيه جهاد النفس في الباطن ، وجهاد العدو في الظاهر (٥) " .

---

(١) في ك و ط زيادة : (القول) .

(٢) سقطت (به) من ك و ط .

(٣) أورده في المقاصد الحسنة بلفظ : " خير العمل مانفع ، وخير الهدى ما أتبع ، وخير الناس انفعهم للناس " عن زيد بن خالد، مرفوعا ، وعزاه للطبراني ، ولم أجده في المجمع . انظر المقاصد الحسنة ، في بيان كثير من الاحاديث المشتهرة على الألسنة : ٢٠١ لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي - ٩٠٢ هـ تصحيح عبد الله الصديق ، ط ١ ، دار الكتب العلمية . بيروت ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩م .

.....

= (٤) في ط زيادة : (في) ٠

(٥) في ك و ط زيادة : (وتلك العبادات توجد من الضعفاء) ٠

ومعلوم أن المسلمين أعظم جهادا من اليهود والنصارى . فإن اليهود خالفوا موسى في الجهاد وعصوه ، والنصارى لايجاهدون على دين . (١)

وأما على قول من يجعل العبادات الشرعية لطفا في الواجبات العقلية ، فلا ريب أن عبادات المسلمين ـ كصلاتهم وصيامهم وحجهم ـ أدعى إلى العدل الذي هو جماع الواجبات العقلية ، من عبادات غيرهم التي ابتدعوها ، فإنها متضمنة للظلم المنافي للعدل .

وأما على قول نفاة التعليل ، ورد ذلك إلى مشيئة الله : فيكون الأمر في ذلك راجعا إلى محض مشيئة الله وتعبده للخلق (٢) . وحينئذ فمن تكون عباداته تابعة لأمر الله ، الذي جاء به الرسل ، يكون متعبدا بما أمر الله به . بخلاف من تكون عباداته قد ابتدعها أكابرهم ، من غير أن يأتيهم بها رسول الله (٣) من عند الله .

وأما على القول الرابع : فإن عِلْم (٤) : أن الله أمر به ، يتضمن طاعة الله . وهذا انما يكون في عبادات أمر الله بها ، وهى عبادات المسلمين دون من ابتدع كثيرا من عباداتهم أكابرهم (٥) .

وأما انتفاع العباد بها ، فهذا يعرف بثمراتها ونتائجها وفوائدها ، ومن ذلك آثارها في صلاح القلوب . فليتدبر الانسان عقول المسلمين وأخلاقهم وعدلهم (٦) ، يظهر له (٧) الفرق بينهم وبين غيرهم .

---

(١) سقطت (العقلية) من أ .

(٢) في ط (وتعبد) .

(٣) لم يرد لفظ الجلالة المعظم في ك و لا ط .

(٤) في ك و ط (فانما) .

(٥) (اكابرهم) بدل من (من ابتدع) بدل كل من كل .

(٦) كررت (عدلهم) في أ مرتين وهو خطأ نسخي ظاهر .

(٧) هكذا في ك و ط وفي أ (لهم) والاصح مافي ك و ط ولهذا اعتمدناه .

ثم صفات عباداتهم فيها من الكمال والاعتدال ، كالطهارة ، والاصطفاف ، والركوع ، والسجود ، واستقبال بيت ابراهيم ، الذي هو امام الخلائق ، والامساك فيها عن الكلام ، ومافيها من الخشوع ، وتلاوة القرآن ، واستماعه ، الذي يظهر الفرق بينه وبين غيره من الكتب ، لكل متدبر منصف ، إلى أمثال ذلك من الأمور التي يظهر بها فضل عبادات المسلمين على عبادات غيرهم .

وأما حكم المسلمين في الحدود والحقوق ، فلا يخفى على عاقل فضله . حتى إن النصارى في طائفة من بلادهم ، ينصبون لهم من يقضي بينهم بشرع المسلمين ، إذ لم يكن لهم شرع (١) يحكم به الناس . وليس في الانجيل حكم عام ، بل عامته (٢) وانما فيه الأمر بالزهد ومكارم الأخلاق ، وهو مما يأمر به المسلمون-أيضا-.

وقد ذكرنا في كون المسلمين معتدلين ، متوسطين بين اليهود والنصارى ، في التوحيد ، والنبوات والحلال والحرام (٣) ، وغير ذلك ، مما يبين أنهم أفضل (٤) من الأمتين ، مع أن دلائل هذا كثيرة جدا ، وانما المقصود ، التنبيه على ذلك ، وحينئذ ففضل الأمة ، يستلزم فضل متبوعها .

---

(١) في ك و ط زيادة : (تمام) .

(٢) سقطت (وانما فيه) من ك و ط .

(٣) في ط تقدمت (الحرام) على(الحلال) .

(٤) في ك و ط (أكمل) .

فصـــل

(أقسام مدعي النبوة ، ودلالة ذلك على صدقه - عليه السلام -)

ومما يبين أمر محمد - صلى الله عليه وسلم - أن من دعا إلى مثل ما دعا إليه لا يخلو من ثلاثة أقسام :

إما أن يكون نبيا صادقا ، مرسلا من الله ، كما أخبر عن نفسه ، بمنزلة نوح وإبراهيم ، وموسى وعيسى ، وداود وسليمان ، وغيرهم من الأنبياء ، الذين ذكرهم الله . في قوله - تعالى - (١) : * إنا أوحينا إليك ، كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده ، وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل ، وإسحاق ويعقوب ، والأسباط وعيسى وأيوب ، ويونس وهارون وسليمان ، وآتينا داود زبورا * ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ، ورسلا لم نقصصهم عليك ، وكلم الله موسى تكليما * رسلا مبشرين ومنذرين ، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، وكان الله عزيزا حكيما * لكن الله يشهد بما أنزل إليك ، أنزله بعلمه ، والملائكة يشهدون ، وكفى بالله شهيدا * (٢)

وإما أن يكون ملكا مسلما (٣) عادلا ، وضع ناموسا سياسيا (٤) ، وقانونا عدليا (٥) ، ينفع به الخلق ويحملهم به على السيرة (٦)

---

(١) ليس في ك ولا ط كلمة التقديس .

(٢) سورة النساء : ١٦٢ - ١٦٦ .

(٣) سقطت كلمة (مسلما) من ك و ط .

(٤) أي علما ونظاما سياسيا . أنظر لسان العرب ٦ : ٢٤٤ مادة : نمس .

(٥) قانون : قيل: هي فارسية، وقيل: رومية ، وهو مقياس كل شيء وطريقه ، جمعه : قوانين . قال ابن سيده : (وأراها دخيلة) . أنظر المصدر السابق ١٣ : ٣٤٩ مادة : قنن .

(٦) في ك و ط (ينتفع) .

العادلة بمبلغ[1] علمه ، كما كان للأمم من يضع لهم النواميس ، مثل واضعي النواميس من اليونان ، والهند ، والفرس وغيرهم . وإن كان واضع الناموس مختصا بقوة قدسية[2] ، ينال بها العلم بسهولة و قوة نفسية[3] ، يتصرف فيها تصرفات خارجة عن العادة ، ويكون له قوة تخييلية ، تمثل له في نفسه أشكالا نورانية ، وأصواتا يسمعها في داخل نفسه ، فإن هذه الخواص الثلاثة هي التي يقول (ابن سينا) وأمثاله من المتفلسفة : إنها خواص النبي ، ومن قامت به كان نبيا . والنبوة مكتسبة عندهم .

ولكن لما كانت هذه موجودة لكثير من الخلق ، ولم يصل بها إلى قريب من درجة الصديقين ، أتباع الأنبياء ، كالخلفاء الراشدين ، وحواريي عيسى ، وأصحاب موسى ، جعلناها من هذا القسم ، إذ صاحب هذا قد يكون فيه عدل وسياسة ، بحسب ما معه من العلم والعدل ، فهذا القسم الثاني . وإما أن يكون رجلا كاذبا ، فاجرا أفاكا أثيما يتعمد الكذب والظلم ، أو يتكلم بلا علم ، فيخطيء خطأ من يتكلم بلا علم .

---

(١) في ك و ط (ليبلغ) .

(٢) في ك (له وقوة) وفي ط (وله قوة) .

(٣) في ط (ينصرف) .

ومن يظن الكذب صدقا ، والباطل حقا ، والضلال هدى ، والغي رشدا ، والظلم عدلا ، والفساد صلاحا ، وكل من دعا الخلق إلى متابعته وطاعته على سبيل الحتم والايجاب ، بأن يصدقوه بما (١) أخبر ، ويطيعوه فيما أمر به وأوجبه (٢) باطنا وظاهرا ، من غير أن يخبر (٣) أحدا في (٤) اتباعه وتصديقه وطاعته ، ولا يسوغ له مخالفته بوجه من الوجوه ، لا في الباطن ولا في الظاهر . لم يخرج عن هذه الأقسام الثلاثة .

وذلك لأنه ، إما أن يكون قصده الإثم والعدوان ، أو قصده البر والعدل . فإن كان قصده الأول ، فهو ظالم فاجر ، ومثل هذا لا يكون إلا كاذبا عمدا أو خطأ . وإن كان قصده البر والعدل ، فلا يخلو - مع ذلك - إما أن يكون عالما بكل ما يخبر به من الغيوب ، جازما بصدق نفسه جزما لا يحتمل النقيض ، عالما بأن ما يأمر به (٥) عدل ، لا يجوز لمن أمره أن يعصيه بوجه من الوجوه ، وإما أن لا يكون جازما بذلك . فإن كان جازما بذلك ، كان هذا هو النبي المعصوم ، الذي لا يخبر إلا بحق (٦) ، ولا يأمر إلا بعدل * وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم * (٧) .

---

(١) في ك وط (فيما) .

(٢) في ك و ط (أوجبه وأمر به) وسقطت (به) من أ .

(٣) في ك (يخبر) .

(٤) في ك و ط (على) .

(٥) في ك و ط زيادة : (هو) .

(٦) في ك و ط زيادة : (وصدق) .

(٧) سورة الأنعام : ١١٥ .

بخلاف القسم الذي يتحرى العدل والصدق باجتهاده ورأيه ، فان هذا قد يأمر بأشياء يجوز أن تكون المصلحة والعدل والصدق (١) في خلافها (٢) ، ويخبر بأشياء باجتهاده ، يجوز أن يكون الأمر فيها بخلاف ذلك ، ولابد أن يَغْلِط في بعض ما يخبر به من العلميات وما يأمرهم (٣) به من العمليات ، فانه لا معصوم الا الأنبياء ، ولهذا لم يجب الايمان بكل ما يقوله بشر ، الا أن يكون نبيا ، فان الايمان واجب بكل ما يأتي به النبي .

قال ـ تعالى ـ : ﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ، وما أوتى موسى وعيسى ، وما أوتى النبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ، ونحن له مسلمون ﴾ (٤) وقال ـ تعالى ـ : ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب (٥) ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ﴾ (٦) الآية . واذا كان الأمر (٧) كذلك فمعلوم بالتواتر أن محمدا ذكر أنه رسول كإبراهيم وموسى وعيسى . بل أخبر أنه سيد ولد آدم (٨) ، وأن آدم فمن (٩) دونه تحت لوائه يوم القيامة ، وأنه لما

---

(١) سقطت (والصدق) من ك و ط .

(٢) في ك و ط زيادة : (ويخبر بأشياء باجتهاده ، يجوز أن تكون المصلحة والعدل في خلافها) .

(٣) في ك و ط (يأمر) .

(٤) سورة البقرة : ١٣٦ .

(٥) أي جهة المشرق أو المغرب . صفوة التفاسير ٢ : ١١٧ .

(٦) سورة البقرة : ١٧٧ .

(٧) سقطت (الأمر) من ك و ط .

(٨) في أ (إبراهيم) .

(٩) في ك و ط (ومن) .

أسري به وعرج الى ربه ، علا على الأنبياء كلهم ، على ابراهيم ، وموسى وهرون ويحيى ، وعيسى (١) ، وغيرهم ، وأخبر أنه لا نبي بعده ، وأن أمته هم الآخرون في الخلق ، السابقون يوم القيامة ، وأن الكتاب الذي أنزل اليه ، أحسن الحديث ، وأنه مهيمن (٢) على ما بين يديه من الكتب (٣) ، مع تصديقه لذلك .

وحينئذ فان (٤) كان عالما بصدق نفسه ، فهو نبي رسول ، ومن قال هذا القول وهو يعلم أنه كاذب ، فهو من أظلم الناس وأفجرهم : ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى اليّ ولم يوح اليه شيء ... ﴾ (٥) . وان كان يظن صدق نفسه وليس كذلك ، فهو مخطيء غالط ملبوس عليه، واذا كان كذلك ، فلابد أن يخطيء فيما يخبر به من الغيوب ، ويظلم فيما يأمر به من العدل ولا يتصور استمراره على هذا ، بل لابد أن يتبين له ولغيره أنه صادق أو كاذب .

فان من ظن صدق نفسه في مثل هذه الدعوى وليس بصادق ، يكون من أجهل الناس وأظلمهم وأبعدهم عن التمييز بين الحق والباطل ،

---

(١) في ك و ط تقدم ذكر (عيسى)على (يحيى)-على نبينا وعليهما الصلاة والسلام-.

(٢) أي أنه أمين وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله ، فجمع الله فيه محاسن ما قبله وزاده من الكمالات ما ليس في غيره ، وتكفل - تعالى - بحفظه بنفسه الكريمة . أنظر تفسير القرآن العظيم ٣ : ١١٩ .

(٣) سقط النصف الأول من هذه الكلمة من آ ، وقال الناسخ في الهامش : لعله : (لذلك) .

(٤) في ك و ط (فإذا) .

(٥) سورة الأنعام : ٩٣ .

والصدق والكذب والخير والشر ، فان هذا بمنزلة من اشتبه عليه النبي الصادق بالمتنبي الكذاب (١) ، وهذا من أجهل الناس .
اذا اشتبه عليه حال غيره (٢) ، فكيف بمن اشتبه عليه حال نفسه ولم يعلم ما يقوله ، أصدق هو (٣) أم كذب ؟

ومن كان جاهلا مع هذه الدعوى العظيمة ، التي لم يدع بشر مثلها ، ومع كثرة ما يخبر به من الغيوب الماضية والمستقبلة ، ويأمر به وينهى عنه ، من الأمور (٤) الكلية ، والسنن العامة (٥) ، والشرائع والنواميس ، فلابد أن يكون فيها من الضلال والغي ما يبين لأكثر الخلق .
فاذا كانت (٦) اخباره عن الماضي والمستقبل ، يصدق بعضها بعضا ، والذي يأمر به هو الطريق الأقوم ، والكتاب الذي جاء به ، كتاب متشابه مثاني ، يشبه بعضه بعضا في الصدق ، قال ـ تعالى ـ : ﴿ أفلا يتدبرون

---

(١) في ك و ط (بالنبي الكاذب) .

(٢) في ك و ط زيادة واو العطف .

(٣) في ك و ط جاء الضمير هو في الموضع الأول وسقط في الموضع الثاني وجاء في ك في الموضع الأخير (أو) بدلا من (أم) .

(٤) هكذا في ك و ط وفي أ (عن) والأولى ما في ك و ط ولهذا أثبتناه منهما .

(٥) هذه الكلمة رسمت في أ وكأنها (العامية) أو (العلمية) ويمكن قراءتها أيضا (العامة) كما هي في ك و ط .

(٦) في ك و ط (كان) .

القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا (١) * فانه لو كان من عند غير الله ، لوجب أن يكون فيه تناقض ، لامتناع قدرة البشر على أن تخبر بهذه الأخبار ، وما فيها من الغيوب ، ويأمر بهذه الأوامر ، مع سلامة ذلك من التناقض . ولهذا لا يوجد بشر غير نبي يسلم من ذلك .

واذا (٢) كان محمد - صلى الله عليه وسلم - قد عُلم بالاضطرار من سيرته أنه كان يتحرى الصدق والعدل ، وأنه ما جربت (٢) عليه كَذبة قط وعلم أنه كان جازما بما يخبر به مع عظم الأخبار وكثرتها ، (٣) - وهو وحده - قام يدعو الناس الى ما جاء به ، ومن عادة طالب المُلْك والرياسة - ولو كان عادلا - أن يستعين بمن يعينه ، كأقاربه وأصدقائه ونحوهم ، وأن يبذل للنفوس من العاجل ، ما يرغبها به ، كالمال والرياسة ، ويُرْهب من خالفه .

ومحمد - صلى الله عليه وسلم - دعا الناس وحده وهو بمكة ، فآمن به المهاجرون ، ثم آمن به الأنصار بالمدينة ، ثم آمن به أهل البحرين (٤) ، ولم يعط أحدا منهم درهما ، ولا كان معه ما يخيفهم به ، لا سيف ، ولا غيره . بل مكث (٥) بمكة بضع عشرة سنة ، هو (٦) والمؤمنون به ، مستضعفين (٧) ، لم يكن له مال يبذله لهم ، ولا سيف يخيفهم به .

---

(١) سورة النساء : ٨٢ .

(٢) في ك و ط (جرت) .

(٢) في ك و ط (فإذا) .

(٣) في ك و ط زيادة (أنه) .

(٤) وهي منطقة الأحساء حاليا . أنظر معجم البلدان ١ : ٣٤٧ .

(٥) في ك و ط (أقام) .

(٦) في ك و ط (وهو) .

(٧) في ك و ط (مستضعفون) .

وكان أعظم من آمن بـــه ، أبو بكر الصديـــق ، مع كمـــال عقلـــه وخلقـــه ودينـــه في قومـــه ، ومحبتهم له وعلو قدره فيهم ، أنفق مالـــه كله في سبيـــل الله ، حتى قال له النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (ما تركت لأهلك ؟) قال : (تركت لهم الله ورسولـــه) (١) ولم يعطه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ درهما واحدا يخصه بـــه ، ثم تولى الأمر بعده ، وترك ما كان معه للمسلميـــن ، واكتفى كل يـــوم بدرهمين له ولعيالـــه ، ومات وهو فقير من فقراء المسلميـــن . وتولى بعده عمر بن الخطاب ، وفتح أعظم ممالك العالـــم ، مملكة فارس والروم ، فقهر الروم على بلاد الشـــام والجزيرة ومصـــر .

---

(١) أورده البخاري معلقا حيث قال : (كفعل أبي بكر ـ رضي اللـــه عنه ـ حين تصدق بماله) كتاب الزكاة ، باب لا صدقة الا عـــن ظهر غنى ، ٣ : ٢٩٤ من فتح الباري ، ورواه أبو داود ، كتـاب الزكاة ، باب الرخصة في ذلك ـ أي الخروج من المال ، ٢: ١٢٩. (١٦٧٨) . والترمذي ، كتاب المناقب ، باب في مناقب أبي بكـر وعمر كليهما ، ٥ : ٦١٤ (٣٦٧٥) وقال :"هذا حديث حسن صحيح". والدارمي ، كتاب الزكاة ، باب الرجل يتصدق بجميع ما عنـــده ١ : ٣٩١ . والحاكم في المستدرك ١ : ٤١٤ ، وقال :"هذا حديـــث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبـــي .

وأميره الكبير (أبو عبيدة)[١] أزهد الخلق في الأموال[٢] ، وأعبدهم للخالق ، وأرحمهم للمخلوق ، وأبعدهم عن هوى النفس ، ولهذا قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيه : (ان لكل أمة أمينا ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح)[٣] . وأميره على فارس (سعد بن أبي وقاص)[٤] الذي كان مستجاب الدعوة ، وكان من أزهد الناس[٥] ، وكان آخر من بقي من أهل الشورى ، والناس يتنازعون في الولاية وهو معتزل في قصره بالعقيق[٦] ، لا يزاحم أحدا .

---

(١) هو عامر بن عبدالله بن الجراح بن هلال ، الفهري المكي ، أحد السابقين الأولين ، وشهد له النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وسماه أمين الأمة ، ومناقبه شهيرة جمة ، توفي سنة ١٨هـ وله ٥٨سنة . سير ... النبلاء ، ١ : ٥ ـ ٢٣ ، وتقريب ١ : ٣٨٨ .

(٢) في ك و ط زيادة : (ولايته) .

(٣) رواه البخاري بمثله ، كتاب المغازي ، باب قصة أهل نجران ، ٨ : ٩٤ (٤٣٨٢) من فتح الباري ، ومسلم بمثله ـ أيضا ـ ،كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل أبي عبيدة ... ، ٤ : ١٨٨١ (٢٤١٩).

(٤) هو سعد بن مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤي ، أبو اسحاق ، القرشي الزهري المكي ، أحد العشرة وأحد السابقين الأولين ، شهد بدرا والحديبية ، توفي بقصره بالعقيق ـ على سبعة أميال من المدينة ، وحمل اليها سنة ٥٥ هـ وله ٨٢ سنة . سير .. النبلاء ، ١ : ٩٢ ـ ١٢٤ ، وتقريب ١ : ٢٩٠ .

(٥) في ك و ط (الخلق) .

(٦) هو واد من أودية المدينة لربيعة ، وقد كان فيه نخل كثير وسيوح (مياه جارية) وآبار . صفة جزيرة العرب : ٢٦٤ و ٢٩٧ للحسن بن أحمد الهمداني ـ ٣٤٤ هـ ت : محمد بن على الأكوع الحوالي ، دار اليمامة ، الرياض ١٣٩٤ هـ = ١٩٧٤م .

فقال له ابنه (١) عمر : (تركت الناس يتنازعون (٣) المُلك وجلست ههنا ؟) فقال : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : (إن الله يحب العبد التقي الغني (٤) النقي الخفي (٥)) .

---

(١) في ك و ط (ابن) .

(٢) هو ابن سعد بن أبي وقاص ، أمير السرية الذين قاتلوا الحسين ـ رضي الله عنه ـ ثم قتله المختار ، وكان ذا شجاعة وإقدام ، قتل هو وولداه صبرا . سير .. النبلاء ٤:٣٤٩-٣٥٠ .

(٣) في ك و ط زيادة : (في) .

(٤) ليس في أ (الغني) وفي ك و ط (النقي) وما أثبتناه هو ما في الصحيح .

(٥) رواه مسلم ، كتاب الزهد والرقائق ، المقدمة ، ٤ : ٢٢٧٧ (٢٩٦٥) وأخرجه أحمد في المسند ١ : ١٦٨ .

فصـــل

(من آيات النبو

: قصة الفيـــ

وحراسة السماء

ومن آيات محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ودلائل نبوتـــه التي (١) في القرآن ، قصة الفيـــل ، قال ـ تعالى ـ : ﴿ ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيـــل * ألم يجعل كيدهم في تضليل * وأرسل عليهم طيرا أبابيـــل (٢) * ترميهم بحجارة من سجيل (٣) * فجعلهم كعصـــف مأكـــول (٤) (٥) ﴾ .

وقد تواترت قصـــة أصحاب الفيـــل ، وأن أهل الحبشة : النصارى ساروا بجيش عظيـــم ، معهم فيـــل ، ليهدمـــوا الكعبة ، لما أهان بعض العرب كنيستهم ، التي باليمن ، فقصـــدوا إهانة الكعبة ، وتعظيم كنايسهم (٦) . فأرسل الله عليهم طيرا أهلكهم وكان ذلك عام مولد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان جيـــران البيت مشركين يعبدون الأوثان ، ودين النصارى خير من دينهم .

---

(١) سقطت (التي) من ط .

(٢) أبابيل : جماعات متتابعة ، بعضها في إثر بعض . صفوة ٣٠ : ٦٠٥ .

(٣) سجيل : طين متحجر . المصدر والموضع السابق .

(٤) كعصف مأكول : ورق الشجر الذي عصفت به الريح ، وأكلته الدواب ثم خرج منها . أنظر المصدر والمرجع السابق .

(٥) سورة الفيل كاملـــة .

(٦) في ك و ط زيادة : (عامتهم) .

فعلم بذلك أن هذه الآيـــة لم تكن لأجل جيران البيت حينئـــذ ، بل كانت لأجل البيت ، أو لأجل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، الـــذي ولد به (١) في ذلك العام عند البيت ، أو لمجموعهما ، وأي ذلك كـــان ، فهو من دلائل نبوتـــه .

فإنه إذا قيل : إنما كانت آية للبيت وحفظا لـــه ، وذبا عنه لأنه بيت الله الذي بناه ابراهيم الخليـــل . فقد علم أنه ليس من أهل الملل من يحج إلى هذا البيت ويصلى إليه ، الا أمة ـ محمد صلى اللـــه عليه وسلم ـ ، ومحمد (٢) هو الذي فرض حجه والصلاة إليـــه . فاذا كان هذا البيت عند الله خيـــرا (٣) من الكنائس التي للنصـــارى ، حتـــى إن الله أهلك النصارى أهل (٤) الكنائس لما أرادوا تعظيم الكنائس وإهانـــة البيت . علم أن ديـــن (٥) أهل هذا البيت خيـــر من دين النصـــارى ، والمشركون ليسوا خيرا من النصـــارى . فتعين أن أمة محمد ـ صلى الله عليه وسلـــم ـ خير من النصارى ، وذلك يستلزم أن نبيهم صـــادق، وإلا فمن كانـــوا متبعين لنبي كاذب ، فليسوا خيرا (٦) من النصـــارى ،

---

(١) سقطت (به) من ك و ط .

(٢) لم ترد كلمة (ومحمد) في ط .

(٣) في ك و ط (خير) بالرفـــع .

(٤) سقطت (النصارى أهل) من ك و ط .

(٥) لم ترد كلمة (دين) في ط .

(٦) في أ (خير) بغير النصب والأصح ما في ك و ط . بالنصب ولهذا أثبتناه .

بل هم (١) شرار الخلق ، كأتباع مسيلمة الكذاب ، والأسود العنسي (٢) وغيرهما ، وقال ـ في القرآن ـ : ﴿ ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ﴾ (٣) ﴿ ألم يجعل كيدهم في تضليل ﴾ (٤) ﴿ وأرسل عليهم طيرا أبابيل ﴾ (٥) والأبابيل جماعات في تفرقة ، فوج بعد فوج (٦) (ترميهم بحجارة من سجيل) أي من طين مستحجر ، (فجعلهم كعصف مأكول) كالتبن (٧) الذي أُكِل.وقوله : ﴿ ألم تَرَ ﴾ استفهام في معنى التقرير ، وهذا يقتضي أن هذا قد وقع وعلم به الناس ورأوه ، وقد قررهم على ذلك ، لما فيه من الدلالة والبيان والإنعام على الخلق .

---

(١) في ك و ط زيادة : (من) .

(٢) هو عبهلة بن كعب بن غوث العنسي ، خرج من بلدة باليمن يقال لها (كهف حنان) فاستولى على بلاد اليمن في مدة وجيزة ،وادعى النبوة ، وأنه يوحى اليه ، وقد قتله فيروز الديلمي بعد ثلاثة أشهر أو أربعة من خروجه ، وذلك في آخر شهر ربيع الأول سنة ١١هـ. تاريخ الأمم والملوك ٣ : ٢٢٧ ـ ٢٤٠ . البداية والنهاية ٦:٣٠٧.

(٣) سورة الفيل : ١ ـ ٣ .

(٤) في ط (متفرقة) .

(٥) سقطت كلمة (فوج) الثانية،من ط .

(٦) في ك و ط زيادة بمقدار ثلاثة أسطر بعد هذا ، وهي كالآتي :(وهي كلمة معربة أصلها بالفارسية (سنك) و (كل) بالفارسية هي الطين ، ويقولون في الجمع (كيلان) أي أطيان ، لأن الألف والنون في الفارسية للجمع فيقولون (مسلمان ، وفقيهان ، وعالمان) : أي مسلمون وعلماء وفقهاء . ولما عربتها العرب صارت عربية ينطقون بها ويعرفون معناها ، والقرآن نزل بلغتهم العربية ، والمعرب عربي) .

(٧) التبن : ساق الزرع بعد دياسه . المصباح : ٧٢ .

(١) ومن آياته الظاهرة التي في القرآن ، ما ذكره من أن السماء ملئت حرسا شديدا وشهبا ، بخلاف ما كانت العادة جارية به ، قال - تعالى - : ﴿ قل أوحي إليّ أنه استمع نفر من الجن فقالوا : إنا سمعنا قرآنا عجبا * يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا ﴾ - إلى قوله - : ﴿ وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا * وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا * وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا ﴾ (٢) وقال - تعالى - : ﴿ وما تنزلت به الشياطين * وما ينبغي لهم وما يستطيعون * إنهم عن السمع لمعزولون ﴾ (٣) وهذا (٤) كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يقرؤه على الناس وهم يقرؤنه ، ولم ينكره أحد ، ولا ارتاب به مؤمن ، ولا احتج به عليه كافر ، فدل (٥) أن الناس علموا صدق ما أخبرت به الجن ، من أن السماء ملئت حرسا شديدا وشهبا ، وأنهم لم يتمكنوا حينئذ مما كانوا يتمكنون منه قبل ذلك من الاستماع .

---

(١) في ك و ط قبل هذا (فصل) .

(٢) سورة الجن : ١ - ١٠ .

(٣) سورة الشعراء : ١١٠ - ١١٢ .

(٤) في ط (قد) .

(٥) في ك و ط زيادة : (على) .

ومعلوم أن هذا أمر يراه الناس بأبصارهم ، فان إمتلاء السماء بالشهب ، أمر يراه الناس كلهم ، فلو لم يكن كذلك ، لكان الناس يكذبون بهذا ، مؤمنهم وكافرهم ، فان الجماعة العظيمة الذين لم يتواطؤا ، يمتنع اتفاقهم على الكذب ، وعلى التصديق بما يعلمون أنه كذب ، وعلى كتمان ما يعلمونه ، وعلى ترك إنكار ما يعلمون أنه كذب .

وقد سمع القرآن ألوف مؤلفة ، أدركوا مبعثه ، وشاهدوا أحوال السماء ، فلو لم يكن هذا كان موجودا ـ مع أن عامتهم كانوا مكذبين له ، ولما آمنوا كانوا طوائف متباينين ـ يمتنع اتفاقهم على كذب أو كتمان أو سكوت ، فلما لم ينكر ذلك أحد ، بل تظاهرت الأخبار بمثل ما أخبر به القرآن من الرمي العظيم بالشهب ، الذي لم يعهد مثله ، حتى صاروا يشكون : هل ذلك في الكواكب التي في الفلك أو في غيرها ؟ وقالوا : ان كان في كواكب الأفلاك فهو خراب العالم ، فلما رواه فيما دونها ، علموا أنه لأمر حدث .

ففي الصحيحين من حديث ابن عباس قال : (انطلق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في طائفة من أصحابه عامدين (١) الى سوق عكاظ (٢) ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب (٣) ، فرجعت

---

(١) أي قاصدين . فتح الباري ٨ : ٦٧٠ .

(٢) عكاظ : نخل في واد ، بينه وبين الطائف مسيرة ليلة (٤٠ كلم تقريبا) وبينه وبين مكة ثلاث ليال (١٢٠ كلم تقريبا) كانت تقام سوق للعرب بموضع منه يقال له (الأثيداء) وبه كانت حرب الفجار ، وهو أعظم أسواق العرب . مراصد الاطلاع ٢ : ٩٥٣ .

(٣) جمع شهاب : وهو شعلة من نار ساطعة . مختار : ٣٤٩ .

الشياطين الى قومهم فقالوا : ما لكم ؟ قالوا : حيل بيننا وبين السماء ، أرسلت علينا الشهب . قالوا : ما ذاك الا من شيء حدث ، فاضربوا (١) مشارق الأرض ومغاربها ، فانظروا : ما هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء ؟ فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها ، فمر النفر (٢) الذين أخذوا نحو تهامة ، وهي بنخل (٣) ، عامدين الى سوق عكاظ ، وهو (٤) يصلي بأصحابه صلاة الفجر ، فلما سمعوا القرآن ، استمعوا له ، وقالوا : هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء ، فرجعوا الى قومهم ، فقالوا : يا قومنا ﴿ ... انا سمعنا قرآنا عجبا ﴿ يهدي الى الرشد ، فآمنا به ، ولن نشرك بربنا أحدا ﴾ (٥) فأنزل الله ـ عزل وجل ـ على نبيه محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ﴿ قل أوحى الىّ أنه استمع نفر من الجن ..... ﴾ (٦) وفي لفظ البخاري بنخلة قريبا من مكة ، وهو الصواب .

---

(١) الضرب في الأرض : السير فيها لابتغاء الرزق أو غيره . أنظر مختار : ٣٧٨ .

(٢) النَّفَر : عدة رجال من ثلاثة الى عشرة ، ومثله : النّفير والنَّفْر والنَّفْرة . مختار : ٦٧٢ .

(٣) نخل : موضع بنجد ، من أرض غطفان ، وهو في طرف الشام من ناحية مصر ، وقيل : منزل لبني مرّة بن عوف ، أو بني ثعلبة ، على ليلتين من المدينة (٨٠ كلم تقريبا) . وقد رجح الشيخ المؤلف أنه (نخلة) . مراصد الاطلاع ٣ : ١٣٦٤ .

(٤) في ط (وكان الرسول) .

(٥) سورة الجن : ١ ـ ٢ .

(٦) في ك و ط زيادة قوله ـ تعالى ـ : ﴿ فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا ﴾ .

(٦) سورة الجن : ١ .

(٦) رواه البخاري كتاب التفسير، سورة ﴿ قل أوحي الىّ ﴾ ٨:٦٦٩(٤٩٢١) من فتح الباري،ومسلم ، كتاب الصلاة ، باب الجهر بالقراءة في الصبح ... ، ١:٣٣١ ـ ٣٣٢ (٤٤٩) .

وقد ظن بعض الناس أن الشهب لم يكن يرمى بها قبل ذلك بحال ، والصواب : أنه كان الرمي بها[1] ـ كما هو الآن ـ أحيانا ، كما ثبت في صحيح مسلم ، عن ابن عباس ، ورواه ـ أيضا ـ أحمد في مسنده ، أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بينما هو في نفر من الأنصار إذ رمي بنجم فاستنار ، فقال لهم : (ما كنتم تقولون في هذا النجم ، الذي يرمى به في الجاهلية ؟) قالوا : كنا نقول حين رأيناها يرمى بها ، مات مَلِك . وُلِد[2] مولود . فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (ليس ذلك كذلك ، ولكن الله اذا قضى في خلقه أمرا يسمعه أهل العرش فيسبحون ، فيسبح من تحتهم بتسبيحهم ، فيسبح من تحت ذلك ، فلم يزل التسبيح يهبط حتى ينتهي الى السماء الدنيا حتى يقول بعضهم لبعض : لم سبحتم ؟ فيقولون سبح من فوقنا فسبحنا بتسبيحهم . فيقولون : ألا تسألون من فوقكم لم سبحوا ؟ فيسألونهم[3] ، فيقولون : قضى الله في خلقه كذا وكذا ، الأمر الذي كان ، فيهبط به الخبر من سماء الى سماء ، حتى ينتهي الى سماء الدنيا فيتحدثون به ، فتسترقه الشياطين بالسمع على توهم منهم واختلاف ، ثم يأتون به الكهان من أهل الأرض ، فيحدثونهم ، فيخطئون ويصيبون ، فيحدث[4] الكهان[5]) .

---

(١) في ك و ط (يرمى) .

(٢) في ط زيادة واو العطف .

(٣) في ك و ط (فيسألون) .

(٤) في ك و ط (فيتحدث به) .

(٥) رواه مسلم ، كتاب السلام ، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان ، ٤ : ١٧٥٠ ، (٢٢٢٩) . والترمذي ، كتاب تفسير القرآن ، باب ومن سورة سبأ ، ٥ : ٣٦٢ (٣٢٢٤) . وأحمد في المسند ١ : ٢١٨ .

وفي الصحيحين عن عائشة قالت : قلت : يا رسول الله ، ان الكهان قد كانوا يحدثوننا بالشيء فيكون حقا ، قال : (تلك الكلمة من الحق ، يخطفها[1] الجني ، فيقذفها في أذن وليه ، فيزيد فيها أكثر من مائة كذبة[2]) .

وروى البخاري في صحيحه ، عن عائشة أنها سمعت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : (ان الملائكة تنزل في العَنَان ، وهو السحاب ، فتذكر الأمر ، قضى في السماء ، فتسترق الشياطين السمع فتسمعه ، فتوحيه الى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم[3]) .

وفي صحيح البخاري ـ أيضا ـ عن أبي هريرة قال : ان نبي الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (اذا قضى الله الأمر في السماء[4] ضربت الملائكة بأجنحتها خَضَعَانا[5] لقوله ، كأنه سلسلة على

---

(١) الخطف : الأخذ والاستلاب بسرعة . المصباح : ١٧٤ .

(٢) رواه البخاري بنحوه ، كتاب الطب ، باب الكهانة ، ١٠ : ٢١٦ (٥٧٦٢) من فتح الباري . ومسلم ، كتاب السلام ، باب تحريم الكهانة ، وإتيان الكهان ، ٤ : ١٧٥٠ (٢٢٢٨) . واللفظ له .

(٣) رواه البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة ، ٦ : ٣٠٤ (٣٢١٠) . من فتح الباري .

(٤) يفسر ذلك رواية الطبراني : (إذا تكلم الله بالوحي .....) . أنظر فتح الباري ٨ : ٥٣٨ .

(٥) خضعانا : من الخضوع ، وهو مصدر بمعنى : خاضعين . المصدر والموضع السابق .

(٥) في ك و ط (خضعا) .

صفوان[1] ، فاذا فزع[2] عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا للذي قال : (الحق وهو العلي الكبير) فيسمعها مسترقوا السمع ، ومسترقوا السمع هكذا[3] ، بعضهم فوق بعض ، فيسمع الكلمة فيلقيها على لسان الساحر أو الكاهن ، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها ، وربما ألقاها قبل أن يدركه ، فيكذب معها مائة كذبة فيقال : أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا[4] : كذا وكذا . الكلمة التي سمعت من السماء ، فَيُصَدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء[5] .

ورواه محمد بن اسحاق ، عن الزهري ، وقال ـ في آخره ـ : (ثم ان الله ـ عز وجل ـ حجب الشياطين عن السمع بهذه النجوم ، فانقطعت الكهانة[6] ، فلا كهانة) . ورواه مَعْمَر[7] عن الزهري ، وقال :" فقلت للزهري : أو كان يرمى بها في الجاهلية ؟ قال نعم . قلت : يقول الله :

---

(١) في ك و ط (الصفوان) .

(٢) أي زال الفزع والخوف . صفوة التفاسير ٢٢ : ٥٥٣ .

(٣) في ك و ط زيادة : (الى من تحته ، ثم يلقيها الآخر الى من تحته حتى يلقيها) .

(٤) سقطت (كذا) الثانية من أ والصواب اثباتها كما في الصحيح .

(٥) رواه البخاري ، كتاب التفسير ، سورة سبأ ، باب (حتى اذا فزع عن قلوبهم ..) ، ٨: ٥٣٧ ـ ٥٣٨ ،(٤٨٠٠). من فتح الباري . ورواه الترمذي مختصرا ،كتاب تفسير القرآن ، باب من سورة سبأ ، ٥ : ٣٦٢ (٣٢٢٣) .

(٦) السيرة لابن هشام ١ : ٢٢٠ .

(٦) في ط (كهلانة) .

(٧) هو معمر بن راشد الأزدي ،

﴿ وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع .... ﴾ (١) الآية . قال : غلظت واشتد أمرها حين بعث النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ (٢) . وروى الطبري (٢) عن داود (٣) ، ثنا عاصم (٤) بن علي بن عاصم عن عطاء بن السائب (٥)

---

(١) سورة الجن : ٩ .

(١) هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير ، الامام العلم الحافظ ، أبو جعفر ، أحد الأعلام ، وصاحب التصانيف ،قال ابن خزيمة :(ما على أديم الأرض أعلم منه) . كانت ولادته سنة ٢٢٤هـ وتوفي سنة ٣١٠هـ سير .. النبلاء ١٤:٢٦٧ ـ ٢٨٢ ، وطبقات الحفاظ : ٣١٠ .

(٢) المسند للامام أحمد ١: ٢١٨،بإسناد رجاله ثقات ، وأورده الهيثمي مختصرا في المجمع ٧ : ١٢٩ م٤ وقال :"رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح".

(٢) داود : هو ابن علي بن خلف ، أبو سليمان البغدادي ، المعروف بالأصبهاني الحافظ العلامة عالم الوقت ، مولى أمير المؤمنين المهدي رئيس أهل الظاهر ، ولد سنة ٢٠٠ هـ ومات سنة ٢٧٠ هـ سير.. النبلاء ١٣ : ٩٧ ـ ١٠٨ . لسان الميزان ٢ : ٤٢٢ ـ ٤٢٤ .

(٣) في ك و ط زيادة : (ثنا علي) .

(٤) عاصم بن علي بن عاصم : هو ابن صهيب الواسطي التيمي مولاهم ، صدوق يخطيء ويصرّ ، رمي بالتشيع ،مات سنة ٢٠١هـ وله أكثر من ٩٠سنة . تقريب ٢ : ٣٩ وتهذيب ٧ : ٣٤٤ .

(٥) هو أبو محمد ، ويقال : أبو السائب ، الثقفي الكوفي ، صدوق ، اختلط ـ ضعفت ذاكرته ـ مات سنة ١٣٦ هـ تقريب ٢ : ٢٢ ، تهذيب ٧ : ٢٠٣ .

عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : (كان للجن مقاعد في السماء يستمعون الوحي ، وكان الوحي اذا أوحي ، سمعت الملائكة كهيئة الحديدة (١) (٢) (٣) (٤) رمى بها على الصفوان ، فاذا سمعت الملائكة صلصلة الوحي ، خرّ (٥) لجباههم من في السماء من الملائكة ، فاذا نزل عليهم أصحاب الوحى قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قال : فينادون قال ربكم : (٦) * الحق وهو العلي الكبير * . قال : فاذا نزل الى السماء الدنيا ، قالوا : يكون في الأرض كذا وكذا موتا ، وكذا وكذا حياة ، وكذا وكذا جدوبة ، وكذا وكذا خصبا ، وما يريد أن يصنع ، وما يريد أن يبتدى ـ تبارك وتعالى ـ ، فنزلت الجن ، فأوحوا الى أوليائهم من (٧) الانس ما يكون في الأرض . فبينما هم كذلك ، اذ بعث النبي ـ صلى الله (٨) (٩) (١٠) عليه وسلم ـ فزجرت الشياطين ، ورموهم بالكواكب ، فمنعوا ،

---

(١) في ك و ط (يرمى) .

(٢) هو الحجارة الملس ، ويستعمل اللفظ في الجمع والمفرد . المصباح : ٣٤٤ .

(٣) الصلصلة : صفاء صوت الرعد . اللسان ١١ : ٣٨٢ مادة : صلل .

(٤) في ط (خروا) .

(٥) سقطت جملة (من في السماء من الملائكة) من ط .

(٦) سورة سبأ : ٢٣ .

(٧) في ك (مما) وفي ط (بما) .

(٨) في أ (عليه السلام) .

(٩) الزجر : المنع والنهي والانتهار . اللسان ٤ : ٣١٨ مادة : زجر .

(١٠) في ك و ط زيادة : (عن السماء) .

فجعل لا يصعد أحد الا احتـــرق ، وفزع أهل الأرض لما رأوا فـــي الكواكب ، ولم يكن قبل ذلك ، فقالوا : هلك[1] من في السماء . وكـــان أهل الطائف أول من فزع ، فينطلـــق الرجل الى ابله ، فينحر كل يـــوم بعيرا لآلهتهم ، فينطلـــق صاحب الغنـــم ، فيذبح كل يوم شاة ، فينطلق صاحب البقر ، فيذبح كل يوم بقرة ، فقال لهم رجل : ويلكم لا تهلكـــوا أموالكـــم ، فان معالمكـــم[2] من الكواكب التي تهتدون بها ، لم يسقط منها شيء . فاقلعوا[3] ، وقد أسرعوا في أموالهم[4] . وقال[5] ابليـــس : حدث في الأرض حدث ، فأتونـــي[6] من كل[7] مكان في الأرض بتربة ،فجعل لا يؤتى بتربة أرض الا شمهـــا ، فلما أتى بتربة تِهامـــة قال :"ههنا حـــدث الحدث"، فصرف الله اليه نفرا[8] من الجن ، وهو يقرأ القرآن ، فقالـــوا : * ..... إنا سمعنـــا قرآنا عجبـــا[9] * حتـــى ختم الآيـــة ،

---

(١) في ك و ط (أهلك) .

(٢) جمع معلم ، وهو ما جعل علامة وعلما للطرق والحدود ، مثـــل أعلام الحرم ومعالمه المضروبة عليه . اللسان ١٢:٤١٩ مادة:علم.

(٣) الاقلاع عن الأمر : الكف عنه . مختار : ٥٤٨ .

(٤) أي في افنائهـــا .

(٥) في ك (وكان إبليس حدث) وفي ط (وكان إبليس قال) .

(٦) في ك و ط (فأتني) .

(٧) في ط زيادة : (مكان في) .

(٨) هم جماعة الرجال من ثلاثـــة الى عشرة ، وقيل الى سبعة ، ولا يقال (نفر) فيما زاد على العشرة . المصباح : ٦١٧ .

(٩) سورة الجن : ١ .

فولوا ﴿ .... الى قومهم (١) منذرين ﴾ (٢) . ورواه أبو زرعة عن موسى بن اسماعيل (٣) عن حماد بن سلمة عن عطاء بنحوه ، ورواه البيهقي من طرق عن حماد بن سلمة عن عطاء ـ أيضا ـ (٤) .

---

(١) سقطت من ط (الى قومهم) .

(٢) سورة الأحقاف : ٢٩ .

(٣) أورد الحافظ في الفتح ٨ : ٦٧١ أول هذا الأثر وشطرا كبيرا من آخره وعزاه للطبري وابن مردويه وغيرهما بالطريق التي ذكر المؤلف نفسها ، وقد تتبعت مضانه عند الطبري في التفسير والتاريخ فلم أعثر عليه .
ولم يشر السيوطي في الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٥ : ٢٣٦ مصور طبعة بولاق ، دار المعرفة ، بيروت . لم يشر الى رواية الطبري هذه ، وكذلك فعل تلميذه الامام محمد بن يوسف الصالحي الشامي ـ ٩٤٢ هـ في كتابه : سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٢ : ٢٦٤ ـ ٢٧٩ . ت : د.مصطفى عبد الواحد ، المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، القاهرة ١٣٩٤ هـ = ١٩٧٤م . وقبلهما ابن كثير لم يذكر رواية الطبري ، السيرة النبوية ١ : ٤١٥ ـ ٤٢١ .
وقد أخرجها أبو نعيم في الدلائل ١ : ٢٩٣ بالطريق نفسها التي ذكر المؤلف ـ عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ـ وبلفظ مقارب ، وبالطريق نفسها أخرجها البيهقي في الدلائل ٢ : ٢٤٠ بمثله .

(٤) موسى بن اسماعيل : هو المنقري التبوذكي ،مشهور بكنيته وباسمه ، ثقة ثبت ، من صغار الطبقة التاسعة ،ولا التفات الى قول ابن خراش :"تكلم الناس فيه" ، مات سنة ٢٢٣هـ ، تقريب ٢ : ٢٨٠ ، وتهذيب ١٠ : ٣٣٣ ـ ٣٣٥ .

(٤) سقطت (من طرق) من ك و ط .

فقد تبين أنه لما كان في زمن المبعث ، ملئت السماء حرسا شديدا وشهبا ، وقبل ذلك لم يكن الحرس شديدا ، ولا كانت السماء مملوءة حرسا وشهبا - كما هي الآن - يرمى بها أحيانا ، وكانوا يقعدون بها مقاعد للسمع : أي يسترق أحدهم ما يسمعه كما يستمع المستمع الى حديث غيره ، مختفيا بسماعه ، مسترقا له ، فكانت الشياطين تسترق (أى تستمع) ما تقوله الملائكة . فلما بعث محمد - صلى الله عليه وسلم - صار أحدهم اذا سمع وجد الشهاب قد أرصد له ، فلم يستطع أن يقعد ويستمع كما كان قبل ذلك .

---

(١) في ط (بل) .

(٢) سقطت (الآن) من ط .

(٣) في ك و ط (ترمى) .

(٤) في ك و ط (استمع) .

فهرس الموضوعات
للمجلد الاول

فهـرس الموضـوعـات

م	الموضـــــــوع	رقم الصفحة
١	المقـــدمة .	٤
٢	خطة الدراسة والتحقيق .	٧
٣	القسم الثـاني : التحقيق .	٨
٤	القسم الثـالث : الفهارس .	١١
٥	القسم الأول (الفصل الأول) .	١٢
٦	ترجمة موجزة للشيخ : اسمه ونسبه .	١٣
٧	مولده ونشأته .	١٤
٨	شيوخة وتلامذته .	١٥
٩	جهاده ومناقبه .	١٦
١٠	آثاره العلمية .	١٩
١١	نموذج من روايته للحديث .	٢٣
١٢	نموذج من خطه ـ رحمه الله ـ .	٢٤
١٣	وفاته وشيء من ثناء الناس عليه .	٢٥
١٤	الفصل الثاني (عصر الشيخ) .	٣٥
١٥	الحال السياسية .	٣٦
١٦	الحال الاجتماعية .	٣٨
١٧	الحال العقلية والعلمية .	٤١
١٨	الفصل الثالث (دراسة القسم الثالث من الكتاب) .	٤٣
١٩	نهج الشيخ في كتابة هذا القسم .	٤٤
٢٠	عرض موجز لمواضيع الكتاب كله .	٤٩

م	الموضوع	رقم الصفحة
٢١	عرض مفصل لمحتويات القسم الثالث .	٥٥
٢٢	مصادر الشيخ في هذا القسم .	٦٤
٢٣	مآخذ ومقترحات .	٦٦
٢٤	وصف النسخ الخطية لهذا القسم .	٧١
٢٥	لوحات من هذه النسخ .	٧٧
٢٦	رموز مستخدمة في التحقيق .	٨٦
٢٧	القسم الثاني (التحقيق) .	٨٧
٢٨	فصل (مناقشة النصارى في اطلاق لفظ الجوهر على الله ـ تعالى ـ.	٨٨
٢٩	نقض دعواهم : الاستغناء باليهودية والنصرانية من ١٢ وجها .	١٤١
٣٠	اشتراطهم لصحة النبوة تبشير الغير بها والرد عليهم.	٢٢٧
٣١	طرق العلم ببشارة الأنبياء بمحمد ـ عليهم الصلاة والسلام ـ	٢٣٨
٣٢	أهمية شهادات الكتب المتقدمة لمحمد ـ عليه السلام ـ وامثله منها .	٢٧٨
٣٣	بشارة من الزبور وتفسيرها .	٣٠٩
٣٤	بشارة اخرى من الزبور .	٣١٩
٣٥	بشارة ثالثة من داود ـ عليه السلام ـ .	٣٢١
٣٦	بشارة رابعة من داود .	٣٢٧
٣٧	بشارة خامسة من داود .	٣٢٨
٣٨	بشارة من سفر اشعياء.	٣٣١
٣٩	بشارة الكتب المتقدمة بالمسيح ومحمد وانذارهما بالدجال.	٣٣٢
٤٠	بشارة اشعياء بشأن مكة .	٣٣٧

م	الموضوع	رقم الصفحة
٤١	بشارة ثالثة من أشعياء .	٣٣٩
٤٢	شهادة رابعة من اشعياء .	٣٤٠
٤٣	بشارة خامسة من اشعياء .	٣٤١
٤٤	بشارة سادسة من أشعياء .	٣٤٢
٤٥	بشارة سابعة من أشعياء .	٣٤٤
٤٦	بشارة ثامنة من أشعياء .	٣٤٥
٤٧	بشارة تاسعة من أشعياء .	٣٤٨
٤٨	بشارة بمحمد ـ عليه السلام ـ من حبقوق .	٣٤٩
٤٩	بشارة من حزقيال .	٣٥٣
٥٠	بشاراتان من دانيال .	٣٥٦
٥١	بشارة ثالثة من دانيال .	٣٥٩
٥٢	مانقل من بشارات المسيح بمحمد ، والتعليق عليها .	٣٦٥
٥٣	براهين قرآنية مستقلة على نبوته ـ صلى الله عليه وسلم ـ .	٣٩٩
٥٤	الدلائل القاطعة عند أهل مكة على صدق الرسول ونبوته .	٤٣٧
٥٥	جلاء آيات النبوة وتنوعها وكثرتها .	٤٨٠
٥٦	التحقيق في اسم المعجزة والآية والكرامة واطلاقهن .	٤٨٥
٥٧	بحث في الأعجاز القرآني .	٤٩١
٥٨	شخصية الرسول وشريعته وامته وكرامات الصالحين منها كل ذلك من آياته .	٥٠٢
٥٩	نقل الناس لصفاته ـ عليه السلام ـ الدالة على كماله .	٥١٣
٦٠	فضل أمة محمد على غيرها في الايمان والعمل آية لنبوته .	٥٤٩

تابع ـ فهرس الموضوعات (المجلد الأول)

م	الموضـــــــــوع	رقم الصفحة
٦١	توسط المسلمين واعتدالهم في التوحيد والنبوات والحرام والحلال وغير ذلك .	٥٦٣
٦٢	اقسام مدعى النبوة ودلالة ذلك على صدقه ـ عليه السلام ـ .	٥٨٦
٦٣	من آيات النبوة : قصة الفيل ، وحراسة السماء .	٥٩٦

بسم الله الرحمن الرحيم

تنويه

الحمدلله .. وبعد :

فانني آمل من كل أخ كريم يجد أي ملاحظة على هذا البحث - مهما كانت صغيرة - أن يتصل بالباحث على عنوانه :

حمدان بن محمد الحمدان
ص ب : ٥٣١٤٢
الرياض ١١٥٨٣
المملكة العربية السعودية

وأن يحتسب هذا الأخ الأجر والثواب في كتابة وتغليف وإرسال هذه الإفادة ، كما أتعهد من جانبي بأشعاره بوصولها أو إبلاغه برأيي نحوها على عنوانه البريدي ، أو الهاتفي .

والله الموفق ،،

الباحث

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية أصول الدين

الجواب الصحيح

لابن تيمية

دراسة وتحقيق

حمدان بن محمد الحمدان

٢

١٤٠٥/١٤٠٦هـ

المملكة العربية السعودية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية أصول الدين
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

الجواب الصحيح

لمن بدل دين المسيح

لشيخ الإسلام ابن تيمية - ٧٢٨هـ

القسم الثالث والأخير

دراسة وتحقيق

جامعة الملك سعود
مكتبة قسم الدراسات الإسلامية
كلية التربية بالرياض

بحث أعده لنيل درجة الدكتوراه:

الدارس: حمدان بن محمد بن أحمد الحمدان

بإشراف فضيلة الدكتور: عبد السلام محمد عبده

الأستاذ بجامعة الأزهر بالقاهرة

المجلد الثاني

العام الجامعي ١٤٠٥ - ١٤٠٦هـ

المملكة العربية السعودية
جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية
كلية أصول الدين
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح

لشيخ الاسلام ابن تيمية - ٧٢٨ هـ

(القسم الثالث والأخير)

دراسة وتحقيق

بحث أعده لنيل درجة الدكتوراه
حمدان بن محمد الحمدان

بإشراف
فضيلة د. عبد السلام محمد عبده
أستاذ ورئيس قسم العقيدة والفلسفة
بكلية البنات الاسلامية
بجامعة الأزهر بالقاهرة

المجلد الثاني
العام الجامعي : ١٤٠٥-١٤٠٦هـ

فصـــل

(من آيـــات النبوة ما ثبت بالقرآن أو بالتواتر وهـو أكثـــر)

وقد ذكرنا بعض آياته التي في القرآن ،لأن من أهل الكتاب من يقول : لا نصدق الا بما في القرآن ، كما في التـــــوراة والانجيل ، (١) من آيات موسى والمسيح ، اذ كان نقل القرآن عنه متواترا ، لا يسترب فيه أحد ، فنبهنا على بعض ما في القرآن ، مع أن آياته التي ليست في القرآن كثيرة جدا .

وليس من شرط المنقول المتواتر أن يكون في القرآن ، بل كما تواتر عنه من شريعته ما ليس في القرآن ، وهو مـــن الحكمة التي أنزلها الله عليه ـ كذلك ـ وتواتر عنه من دلائل نبوته ما ليس في القرآن ، وهو من براهينه وآياته (٢) ، وقد قال ـ تعالى ـ في غير موضع ـ : ﴿ ... وأنزل الله عليك الكتـــاب والحكمة ... ﴾ (٣) فالحكمة نزلت (٤) عليه ، وهي منقولة في غيـــر القرآن .

---

(١) في ك و ط زيادة : (ما فيهما) .

(٢) في ك و ط تقدمت (آياته) على (براهينه) .

(٣) سورة النساء : ١١٣ وانظر سورة البقرة : ١٢٩ ، وآل عمران : ١٦٤ ، والجمعة : ٢ .

(٤) في ك و ط (منزلة) .

وقد تواتر عنه كون الصلوات (١) خمسا ، والفجر ركعتين (٢) ، والمغرب ثلاثا ، والباقي أربعا (٣) أربعا ، والرباعية في السفر ركعتان ، وتواتر عنه سجود السهو . (٤) كذلك متواتر (٥) عنه أنواع من المعجزات والأخبار المتواترة (٦) في أصناف آياته وبراهينه كثيرة جدا ، لا يمكن احصاؤها ، وهي مشتملة على حنسي : العلم والقدرة ، على أنواع من الإخبار بالغيوب المستقبلة ، مفصلة ، كأنما رآها بعينه ، لم يأت منها خبر إلا كما أخبر به ، وهذا أمر لم يكن قط إلا لنبي .

أما الكاهن والمنجم ونحو هؤلاء ، فيكذبون كثيرا كما يصدقون أحيانا (٧) ، ويخبرون بجمل غير مفصلة .

وأما أهل الولاية والصلاح ، فأعظمهم كشفا (٨) ، يخبر عن ذلك بأمور قليلة (٩) ، لا تبلغ عشر معشار ما أخبر به النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ،

---

(١) في ط (الصلاة) .

(٢) في أ (ركعتان) . وما أثبتناه من ك و ط أصوب .

(٣) في أ و ك (أربع أربع) .

(٤) في ط زيادة الواو العاطفة .

(٥) في ك و ط (تواتر) .

(٦) في ك و ط (المأثورة) .

(٧) سقطت (أحيانا) من أ .

(٨) الكشف : هو عبارة عن بيان ما يستتر عن الفهم ، فيُكشف للعبد عنه كأنه يراه رأي العين . حياة القلوب في كيفية الوصول الى المحبوب بهامش قوت القلوب ٢ : ٢٧٣ .

(٩) ليس في أ ولا ك الجملة الدعائية .

ولا يخبرون بها مفصلة كخبره ، وعلى أنواع من القدرة والتصرف الخارق للعادة والايات . إما من باب العلم والخبر والمكاشفة (١) . وإما من باب القدرة والتاثير والتصرف .

وفي القران من الاخبار بالمستقبلات ، شيء كثير ، كقوله - تعالى - :
﴿ الم * غلبت الروم * في أدنى الأرض (٢) وهم من بعد غلبهم سيغلبون * في بضع سنين * لله الامر من قبل ومن بعد .... ﴾ (٣) فغلبت الروم فارس في بضع سنين ، وقد ذكرنا تفصيل ذلك فيما مضى (٤) ، وكقوله - تعالى - : (٥) ﴿ وعد الله الذين أمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ... ﴾ (٦) وكان كما أخبر .

---

(١) المكاشفة هي الكشف المذكور آنفا .

(٢) أي أقرب أرضهم الى فارس . صفوة ٢١ : ٤٧١ .

(٣) سورة الروم : ١ - ٢ .

(٤) أنظر الجواب الصحيح (ط المدني) ١ : ٨٨ .

(٥) لم ترد كلمة التقديس في ك و لا ط .

(٦) في ك و ط زيادة قوله - تعالى - : ﴿ ... يعبدونني لا يشركون بي شيئا ... ﴾ (سورة النور : ٥٥) .

وروى الدارمي (١) عن أُبَيّ (٢) بن كعب قال : " لما قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه المدينة (٣) وآواهم الأنصار ، رمتهم العرب عن قوس واحدة ، وكانوا لا يبيتون الا في السلاح ، ولا يصبحون الا فيه ، فقالوا: ترون أنا نعيش حتى نبيت مطمئنين ، لا نخاف الا الله - عز وجل - ؟ فنزلت : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا

---

(١) الدارمي هنا : هو أحمد بن سعيد بن صخر بن سليمان الدارمي السرخسي ، الامام الفقيه الحافظ الثبت ، أبو جعفر ، ولد سنة نيف وثمانين ومائة ، وسمع الحديث ، وأكثر التطواف ، وتوسع في العلم ، وبَعُد صيته وتولى قضاء سرخس ، ومات بنيسابور سنة ٢٥٣ هـ . سير .. النبلاء ١٢ : ٢٣٣ - ٢٣٤ ، وطبقات الحفاظ : ٢٤٥ ، وتقريب ١ : ١٥ . وقد كنت أظن أنه الدارمي (عبدالله ابن عبدالرحمن) صاحب السنن ، ثم دلني عليه كتاب أسباب النزول : ٢٤٨ لعلي بن أحمد الواحدي - ٤٦٢ هـ ، عالم الكتب ، بيروت .

(٢) هو ابن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك ابن النجار الأنصاري ، الخزرجي ، أبو المنذر ، سيد القراء ، ويكنى أبا الطفيل - أيضا - من فضلاء الصحابة ، اختلف في سنة موته اختلافا كثيرا قيل سنة ١٩ وقيل سنة ٣٢ هـ وقيل غير ذلك . تقريب ١ : ٤٨ ، وأسد الغابة ١ : ٦١ - ٦٣ .

(٣) في أ (بالمدينة) .

الصالحات (١) ..... ﴾ الى آخر الآيـــة (٢) .

وكان كذلك ، استخلف الله المؤمنين في الأرض ، ومَكَّن لهم دينهم في مشارق الأرض ومغاربهـــا .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كلـــه ، وكفى بالله شهيدا ﴾ (٣) ، وكان كما أخبـــر ووعد . وقال ـ تعالى ـ ﴿ قل لئن اجتمعت الانس والجن ، على أن يأتـوا بمثـل هذا القرآن ، لا يأتون بمثلـــه ..... ﴾ (٤) وكان كما أخبر . وقال ـ تعالى ـ : ﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنـــا على عبدنا فأتـوا بسورة من مثلـــه ... ﴾ الى قوله : ﴿ فـــإن لم تفعلوا ولـــن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين ﴾ (٥) فأخبر أنهم لن يفعلوا ، وكان كما أخبـــر .

وأخبر أنه قال للمسيح : ﴿ .... وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفـروا الى يوم القيامـــة .... ﴾ (٦) وكان كما أخبـــر .

وأنزل في مكة : ﴿ سيهـــزم الجمـــــع ويولـــــون (٧)

---

(١) سورة النور : ٥٥ .

(٢) قال الهيثمي في المجمع ٧ : ٨٣ (رواه الطبراني في الأوسـط ، ورجاله ثقات). ورواه الحاكم في المستدرك ، كتاب التفسيـر ، ٢ : ٤٠١ وقال :(هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه) . ووافقه الذهبي . ورواه البيهقي في الدلائل ٣ : ٦ . وقد عزاه السيوطي ـ أيضا ـ الى ابن المنذر وابن مردويه والضياء في المختارة : الدر المنثور ٥ : ٥٥ .

(٣) سورة الفتح : ٢٨ .

(٤) سورة الاسراء : ٨٨ .

(٥) سورة البقرة : ٢٣ ـ ٢٤ .

(٦) سورة آل عمران : ٥٥ .

(٧) في ك و ط زيادة :قوله ـ تعالى ـ ﴿أم يقولون نحن جميع منتصر ﴾ .

الدبـــر ﴾ (١)

وقال : ﴿ ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار ، ثم لا يجدون وليـــا ولا نصيـــرا ﴾ (٢) فكان كما أخبـــر .

وقال : ﴿ ومن الذين قالوا : إنا نصارى ، أخذنا ميثاقهـم ، فنسوا حظا مما ذكروا به ، فأغرينا (٣) بينهم العداوة والبغضاء ، الـى يوم القيامة ﴾ (٤) وكانوا (٥) كما أخبر .

وقال : ﴿ وقالت اليهود : يد الله مغلولـــة (٦) ، غلت أيديهم ولعنـوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ، ينفق كيف يشاء ، وليزيدن كثيرا منهـم ما أنزل إليك مـن ربـــك طغيانا وكفرا (٧) وألقينا بينهـــم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأهـــا الله ..... ﴾ (٨) وكان كما أخبـــر . وقال : ﴿ لن يضروكـــم الا أذى ،

---

(١) سورة القمر : ٤٥ .

(١) في ك و ط زيادة (فكان كما أخبر هزم الجمع ، وولوا الدبر).

(٢) سورة الفتح : ٢٢ .

(٣) أي ألزمنا وألصقنا بين فرق النصارى العداوة والبغضاء إلـــى قيام الساعة . صفوة ٦ : ٣٣٣ .

(٤) سورة المائدة : ١٤ .

(٥) في ك و ط (كان) .

(٦) يقصد هؤلاء اليهود : أنه ـ تعالى عن قولهم علوا كبيرا ـ بخيل يقتر الرزق على العباد . المصدر السابق ٦ : ٣٥٢ .

(٧) في ك و ط لم يرد قوله ـ تعالى ـ :﴿ وألقينا بينهم العـــداوة والبغضاء ، إلى يوم القيامة ﴾ وجاء فيهما (إلى قوله) .

(٨) سورة المائدة : ٦٤ .

وان يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون * ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا (١) ، الا بحبل من الله وحبل من الناس (٥) ، وباؤا (٣) بغضب من الله ، وضربت عليهم المسكنة (٤) ، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ، ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون * (٢) .

وقال : * ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار ... * (٦) ، وقال : * قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم .... * (٧) وكان كذلك ، فلم يقاتلوهم بعد نزول الآية الا انتصر عليهم المسلمون . وما زال الاسلام في عز وظهور ، حتى ظهر على أهل المشرق والمغرب .

وقال ـ تعالى ـ (٨) خطابا لليهود : * قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ، ان كنتم صادقين * ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم ، والله عليم بالظالمين * ولتجدنهم

---

(١) أي وجدوا . صفوة ٤ : ٢٢٢ .

(٢) سورة آل عمران : ١١١ ـ ١١٢ .

(٣) أي رجعوا . المصدر والموضع السابق .

(٤) أي الفاقة والخشوع . المصدر والموضع السابق .

(٥) أي إلا إذا اعتصموا بذمة الله ـ تعالى ـ وذمة المسلمين . صفوة ٤ : ٢٢٢ .

(٦) سورة الفتح : ٢٢ .

(٧) سورة التوبة : ١٤ .

(٨) ليس في أ كلمة التقديس .

أحرص الناس على حياة ، ومن الذين أشركوا ...﴾ (١) وقال : ﴿ قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ﴾ (٢) . فأخبر عن اليهود أنهم لن يتمنوا الموت أبدا ، وكان كما أخبر ، فلا يتمنى اليهود الموت أبدا . وهذا دليل من وجهين : من جهة إخباره بأنه لا يكون أبدا ، ومن جهة صرف الله لدواعي اليهود عن تمني الموت ، مع أن ذلك مقدور لهم ، وهذا من أعجب الأمور ، الخارقة للعادة ، وهم - مع حرصهم على تكذيبه - لم تنبعث دواعيهم لإظهار تكذيبه ، بإظهار تمني الموت .

وقال - في سورة المدثر - : ﴿ ذرني ومن خلقت وحيدا * وجعلت له مالا ممدودا * وبنين شهودا ﴾ إلى قوله : ﴿ سأصليه سقر (٣) * وما أدراك ما سقر * لا تبقي ولا تذر ﴾ (٤) وقال عن أبي لهب

---

(١) في ك زيادة قوله - تعالى - : ﴿ يود أحدهم لو يعمر ألف سنة ﴾ وفي ط زيادة مما بعدها وهي قوله - تعالى - : ﴿ وما هو بمزحزحه من العذاب ﴾ .

(٢) سورة البقرة : ٩٤ - ٩٦ .

(٢) في ك و ط زيادة قوله - تعالى - : ﴿ ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم ، والله عليم بالظالمين ﴾ .

(٢) سورة الجمعة : ٦ .

(٣) سقر : اسم من أسماء جهنم . أنظر صفوة ٢٩ : ٤٧٧ .

(٤) سورة المدثر : ١١ - ٢٨ .

ـ عمه ـ (١) : ﴿ تبت يدا أبي لهب وتب (٢) ﴾ ما أغنى عنه ماله وما كسب ﴿ سيصلى نارا ذات لهب (٣) ﴾ وكان (٤) كما أخبر به ، مات الوليد كفّارا (٥) ومات أبو لهب كافرا (٦) .

وقال ـ في سورة الفتح ـ : ﴿ وعدكم الله مغانم كثيرة ، تأخذونها ، فعجل لكم هذه ، وكف أيدي الناس عنكم ، ولتكون آية للمؤمنين ... ﴾ (٧) وقال : ﴿ ... لتدخلن المسجد الحرام ـ إن شاء الله ـ آمنين ، محلقين رؤوسكم ومقصرين ، لا تخافون ، فعلم مالم تعلموا ، فجعل من دون ذلك فتحا قريبا ﴾ (٨) .

---

(١) أبو لهب : هو عبد العزى بن عبد المطلب بن هشام ، كنى بأبي لهب لإشراق وجهه ، وهو عم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ . وأمه : لبنى بنت هاجر الخزاعي ، وامرأته أروى بنت حرب (أم جميل) مات بعد سبع ليال من وقعة بدر سنة ٢ هـ بمكة ، وذلك بالقرحة القاتلة وتسمى (العدسة) . أنظر سيرة ابن هشام ١ : ١١٣ و ١١٥ و ٢ : ٣٠٢ والسيرة لابن كثير ١ : ٤٦١ .

(٢) أي هلكت يداه ، وخاب وخسر وضل عمله . صفوة ٣٠ : ٦١٨ .

(٣) سورة اللهب : ١ ـ ٣ .

(٤) في ك و ط (فكان) .

(٥) في ك و ط (كافرا) .

(٦) في أ (كافر) .

(٧) سورة الفتح : ٢٠ .

(٨) سورة الفتح : ٢٧ .

وقال : ﴿ قل للمخلفين من الأعراب (١) : ستدعون الى قوم أولي بأس شديد ، تقاتلونهم أو يسلمون ، فإن تطيعوا : يؤتكم الله أجرا حسنا ، وإن تتولوا كما توليتم من قبل : يعذبكم عذابا أليما (٢) ﴾ ، وهذا كله وقع كما أخبر ، فحصلت لهم الغنائم الكثيرة ، ودخلوا المسجد الحرام آمنين ، ودعيت الأعراب إلى قتال الروم والفرس ، يقاتلونهم أو يسلمون (٣) ، فلابد من القتال أو الاسلام ليس هناك هدنة بلا قتال ، كما كان يكون قبل نزول الآية (٤) .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ اذا جاء نصر الله والفتح * ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا * فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا (٥) ﴾ فدخل الناس في دين الله أفواجا بعد الفتح ، فما مات ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفي بلاد العرب كلها (٦) (٧) موضع لم يدخله الإسلام .

وقال ـ تعالى ـ عن المنافقين ـ : ﴿ ألم تر الى الذين نافقوا ، يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب : لئن أخرجتم لنخرجن معكم ، ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون * لئن أخرجوا

---

(١) جمع أعرابي ، وهو البدوي . اللسان ١ : ٥٨٦ ، مادة : عرب .

(٢) سورة الفتح : ١٦ .

(٣) في ك و ط زيادة : (ولا إسلام) .

(٤) في ك و ط (آية الجزية) .

(٥) سورة النصر كاملة .

(٦) في ك و ط زيادة : (النبي) .

(٧) سقطت (كلها) من ك و ط .

لا يخرجون معهم ، ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ، ولئن نصروهم ليولن الأدبار ، ثم لا ينصرون ﴾ (١) وكذلك كان ، فروى أهل التفسير والمغازي والسير : أن هذه الآية نزلت في المنافقين ، كعبد الله بن أبيّ (٢) ، وعبد الله بن نبتل (٣) ، ورفاعة (٤) بن تابوت (٥) ونحوهم ، كانوا يقولون لبني النضير - وهم اليهود حلفاؤهم - : ﴿ ... لئن أخرجتم لنخرجن معكم .... ﴾ (٦) الآية . فأخبر الله عنهم أنهم لن يفعلوا ذلك . وكذلك كان . وضرب الله لهم مثلا بالشيطان : ﴿ .. اذ قال للانسان : اكفر ، فلما كفر قال : اني بريء منك ، اني أخاف الله ، رب العالمين ﴾ (٧) ، كذلك المنافقون وبنو النضير .

---

(١) سورة الحشر : ١١ - ١٢ .

(٢) عبدالله بن أُبَي : هو ابن مالك بن الحارث بن عبيد الخزرجي ، أبو الحباب ، المشهور بابن سلول ، وسلول جدته لأبيه ، من خزاعة ، رأس المنافقين في الاسلام ، من أهل المدينة ، كان سيد الخزرج ، وكان طويلا جدا ، يركب الفرس فتخط رجلاه في الأرض ، مات سنة ٩ هـ . الأعلام ٤ : ٦٥ .

(٣) في ك و ط (عبيد الله) .

(٤) عبدالله بن نبتل : هو ابن الحارث ، من بني لوذان بن عمرو بن عوف ، هو وأبوه من المنافقين . السيرة لابن هشام ٢ : ١٦٨ - ١٦٩.

(٥) ورد اسمه في السيرة (التابوت) بالتعريف .

(٥) هو رفاعة بن زيد بن تابوت ، أحد بني قينقاع ، وكان عظيما من عظماء يهود وكهفا للمنافقين ، مات أثناء رجوع النبي - صلى الله عليه وسلم - من غزوة بني المصطلق في شعبان سنة ٦ هـ . أنظر المصدر السابق ، ٣ : ٣٠٤ .

(٦) سورة الحشر : ١١ .

(٧) سورة الحشر : ١٦ .

فصـــل

(اخباره ـ عليه السلام ـ بالكثير من الغيوب الماضية والحاضرة والمستقبلة ،من أعظم آيات نبوته)

وآياته ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد استوعبت جميع أنواع الآيات الخبرية(١) والفعلية . واخباره(٢) عن الغيب الماضي والحاضر والمستقبل بأمور باهرة ، لا يوجد مثلها لأحد من النبيين قبله ، فضلا عن غير النبيين . ففي القرآن من اخباره عن الغيوب شيء كثير ـ كما تقدم بعض ذلك ـ وكذلك في الأحاديث الصحيحة ، مما أخبر بوقوعه ، فكان كما أخبر .

ففي الصحيحين عن حذيفة(٣) قال : (قام فينا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مقاما ما ترك شيئا يكون من مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدث به ، حفظه من حفظه

---

(١) في ك و ط تقدمت (الفعلية) على (الخبرية) .

(٢) في جميع النسخ (فاخباره) وما أثبتناه من أكسفورد .

(٣) حذيفة : هو ابن حسل بن جابر العبسي اليماني ، أبو عبدالله ، حليف الأنصار ، من أعيان المهاجرين ومن نجباء أصحاب محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو صاحب السر ، قتل أبوه خطأ في أحد ، وكان يسمى اليمان ، وآخى رسول الله بينه وبين عمار . ولاه عمر على المدائن ، وبقي عليها الى أن مات بعد مقتل عثمان بأربعين ليلة سنة ٣٦ هـ . سير .. النبلاء ٢ : ٣٦١-٣٦٩، والاصابة ١ : ٣١٧ .

ونَسِيه من نسيه ، قد علمه أصحابي هؤلاء وإنه ليكون منه الشيء قد نسيته فأراه (١) فأذكره ، كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ، ثم اذا رآه عرفه (٢) .

وفي صحيح مسلم عن أبي زيد عمرو بن أخطب (٣) قال :"صلى بنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الفجر ، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر ، ثم نزل فصلى بنا ، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر ، ثم نزل فصلى بنا ، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غربت (٤) الشمس"، قال :"وأخبرنا بما كان وما (٥) هو كائن ، فأحفظنا أعلمنا (٦) .

---

(١) في أ (فأداه) وهو خطأ نسخي .

(٢) رواه البخاري ، كتاب القدر ، باب (.. وكان أمر الله قدرا مقدورا) ١١ : ٤٩٤ (٦٦٠٤) من فتح الباري بمعناه ، ورواه مسلم بلفظه ، كتاب الفتن .. ، باب إخبار النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما يكون إلى قيام الساعة ، ٤ : ٢٢١٧ (٢٨٩١) . ورواه أبو داود ، كتاب الفتن والملاحم ، باب ذكر الفتن ودلائلها ٤ : ٩٤ (٤٢٤٠) .

(٣) عمرو بن أخطب : هو الأنصاري الخزرجي ، المدني ، الأعرج ، من مشاهير الصحابة الذين نزلوا البصرة ، وله بها مسجد يعرف به ، وتوفي في خلافة عبد الملك بن مروان . سير .. النبلاء ٣:٤٧٣-٤٧٤، وتقريب ٢ : ٦٥ .

(٤) في ك و ط (غابت) .

(٥) في ك و ط (وبما) .

(٦) صحيح مسلم ، كتاب الفتن .. ، باب إخبار النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما يكون إلى قيام الساعة ، ٤ : ٢٢١٧ (٢٨٩٢) .

وفي صحيح البخاري عن عدي بن حاتم[1] قال : بينا[2] أنا عند النبي - صلى الله عليه وسلم - اذ جاءه[3] رجل فشكى اليه الفاقة[4] ، ثم أتى[5] آخر فشكى اليه قطع السبيل ، فقال : (يا عدي ، هل رأيت الحيرة)؟ فقلت : لم أرها وقد أنبئت عنها ، قال : (فان طالت بك حياة لترين الظعينة[6] ، ترتحل من الحيرة ، حتى تطوف بالكعبة ، لا تخاف أحدا الا الله)، قال : قلت فيما بيني وبين نفسي : فأين دُعّارطى[7] ، الذين

---

(١) عدي بن حاتم : هو ابن عبدالله بن سعد بن الحشرج الطائي ، أبوطريف ، صحابي شهير ، كان ممن ثبت على الاسلام في الردة ، وحضر فتوح العراق وحروب علي ومات سنة ٦٨هـ وله ١٢٠ سنة .وقيل ١٨٠ سنة . سير .. النبلاء ٣ : ١٦٢ - ١٦٥ ، وتقريب ٢ : ١٦ .

(٢) في ط (بينما) .

(٣) في ك و ط (جاء) .

(٤) جاءت في أ (القافة) وهو خطأ نسخي .

(٥) الحِيْرة : مدينة على ثلاثة أميال من الكوفة على النجف ، زعموا أن بحر فارس كان يتصل بها . مراصد الاطلاع ١ : ٤٤١ .

(٦) الظعينة : كل جمل يركب ، ويعتمد عليه ، وهذا هو الأصل ، وإنما سميت المرأة ظعينة لأنها تركبه ، وكان إقبالها وإدبارها به ، فسميت به . غريب الحديث ٤ : ٤٣٧ .

(٧) في ك و ط : (ذعار) بالذال المعجمة .

(٧) دُعّار : جمع داعر : وهو الشاطر الخبيث المفسد . والعامة تقوله بالذال المعجمة ، فكأنهم ذهبوا الى معنى الفزع ، والمعروف الأول ،والمراد قُطّاع الطريق ، وطيئ قبيلة مشهورة منها عدي بن حاتم - رضي الله عنه - المتحدث ، وبلادهم ما بين العراق والحجاز وكانوا يقطعون الطريق على من مر عليهم بغير جوار ، ولذلك تعجب عدي : كيف تمر المرأة عليهم وهي غير خائفة . فتح الباري ٦ : ٦١٣ .

سعروا البلاد[١] ؟"ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى"، قلت : كسرى[٢] بن هرمز[٣] ! قال : (كسرى بن هرمز ! ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة ، يطلب من يقبله عنه[٤] ، فلا يجد أحدا يقبله منه ! ولَيَلْقَيَنَّ اللهَ أحدُكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه تَرْجُمَان يترجم له ، فليقولن[٥] له : ألم أبعث إليك رسولا فيبلغك ؟ فيقول : بلى . فيقول : ألم أعطك مالا وأفضل عليك ؟ فيقول : بلى . فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم ، وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم) قال عدي : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : (اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فمن لم يجد فبكلمة طيبة) . قال عدي : فرأيت الظعينة ، ترتحل من الحيرة ، حتى تطوف بالكعبة ، لا تخاف الا الله ، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ، ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (يخرج الرجل ملء كفه)[٦] .

---

(١) سعروا البلاد : أوقدوا نار الفتنة ، وملؤا الأرض شرا وفسادا ، من استعار النار ، وهو توقدها . المصدر والموضع السابق .

(٢) سقطت من أ جملة (قلت : كسرى) وأتممناها من ك و ط .

(٣) كسرى بن هرمز : هو كسرى أبرويز ابن هرمز بن أنوشروان بن قباذ ابن فيروز بن يزدجرد بن بهرام جور بن يزدجرد الأثيم . كان أشد ملوك الفرس بطشا ، وأنفذهم رأيا ، ثم طغا لكثرة ماله وما فتحه من بلاد العدو ، فاجتمع عليه أعداؤه من رعيته وبمساعدة ابنه فعزلوه ثم قتلوه بعد ملك دام ٣٨ سنة ،وتولى بعده ابنه شيرويه . أنظر الكامل في التاريخ ١ : ٢٥٥ ـ ٢٩٤ .

(٤) في ك و ط (منه) .

(٥) في ك و ط (فيقولن) .

(٦) صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الاسلام ، ٦ : ٦١٠ ـ ٦١١ (٣٥٩٥) بمثله . من فتح الباري .

قلت : وهذا الذي أخبر به من خروج الرجل بملء[1] كفه من ذهب أو فضة فلا يجد من يقبله ، ظهر كما أخبر ، في زمن عمر بن عبد العزيز[2] .

وفي صحيح مسلم عن جابر بن سمرة عن نافع بن عتبة[3] قال : كنا مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في غزوة قال[4] فأتى النبيَّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ قوم من قبل المغرب ،

---

(١) في ك و ط : (ملىء).

(٢) هذا وقد روى الامام مسلم ٢:٧٠١ (١٥٧) في كتاب الزكاة ، باب الترغيب في الصدقة .. ، عن أبي هريرة أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض ، حتى يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد أحدا يقبلها منه ، وحتى تعود أرض العرب مروجا وأنهارا) . ورواه أحمد في المسند ٢ : ٣٧٠ و ٤١٧ و (المروج): هي الرياض والمزارع ، أو الموضع الذي ترعى فيه الدواب ، كما في تعليق عبد الباقي على صحيح مسلم ، وكما قال الشيخ المؤلف ، فقد وقعت الآية الأولى في عهد عمر بن عبد العزيز . أنظر تاريخ الأمم والملوك ٦ : ٥٦٩ ـ ٥٧٠ ، والبداية والنهاية ٩ : ٢٠٣ . أما الآية الثانية ـ المذكورة في حديث مسلم هذا ـ فإنها قد بدأت إرهاصاتها في الظهور ، حيث أن بلادنا وهي أغلب بلاد العرب قد قامت فيها نهضة زراعية كبيرة ـ بحمد الله ـ فأصبح المرء يشاهد المروج الخضراء في طول البلاد وعرضها . وهذا الحديث يجعلنا نتفاءل بازدياد هذه النهضة الزراعية واستمرارها ـ باذن الله ـ تعالى ـ . وأما الأنهار فلا نستبعد أن توجد في بلادنا ـ بلاد العرب ـ وذلك بعون الله ـ سبحانه ـ ثم بما أنتجته الحضارة المعاصرة من أدوات ومعدات ، وبعزيمة الرجال ، وبعد نظرهم ، واخلاصهم .

(٣) نافع بن عتبة : هو ابن أبي وقاص الزهري ، وهو ابن أخي سعد بن أبي وقاص ، وأخو هاشم المِرْقال ، له صحبة ، =

. . . . . .

= وأبوه عتبة هو الذي كسر رباعية رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم أحد ، ومات عتبة كافرا قبل فتح مكة الذي أسلم فيه نافع . أسد الغابة ٤ : ٥٢٨ ، والاصابة ٣ : ٥٤٥ . ، وتهذيب التهذيب ١٠ : ٤٠٨ .

(٤) سقطت (قال) من ك و ط .

عليهم ثياب الصوف ، فوافقوه عند أكمة[(١)] ، فانهم لقيام ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - قاعد ، قال : (فقالت لي نفسي : ائتهم فقم بينهم وبينه لا يغتالونه[(٢)] ، قال : ثم قلت : لعله نَجِيّ[(٣)] معهم ، فأتيتهم فقمت بينهم وبينه ، قال فحفظت منه أربع كلمات أعدهن في يدي ، قال : (تغزون جزية العرب فيفتحها الله ، ثم فارس فيفتحها الله ، ثم تغزون الروم فيفتحها الله ، ثم تغزون الدجال فيفتحه الله)[(٤)] .

---

(١) الأكمة : تل ، وقيل : شرفة كالرابية ، وهو ما اجتمع من الحجارة في مكان واحد وربما غَلُظ ، وربما لم يغلظ . والجمع أكم وأكمات . المصباح ١ : ١٨ .

(٢) أي يقتلونه غِيلة ، وهو القتل في خفاء وغفلة وخديعة . شرح النووي لمسلم ١٨ : ٢٦ م٩ .

(٣) أي يناجيهم ، ومعناه : يحدثهم سرا . أنظر المصدر والموضع السابق .

(٤) في ك، و ط اختلافات عما في الصحيح و أ تركنا ذكرها ، وفي أ لم ترد جملة (ثم فارس فيفتحها الله) وقد أثبتناها من الصحيح .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الفتن ... ، باب ما يكون من فتوحات المسلمين قبل الدجال ، ٤ : ٢٢٢٥ (٢٩٠٠) .

وروى البخاري عن عوف بن مالك[١] قال :" أتيت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في غزوة تبوك[٢] وهو في قبة أَدَم[٣] . فقال :" أعددد ستا[٤] بين يدي الساعة . موتي ، ثم فتح بيت المقدس ، ثم موتان يأخذ فيكم كعقاص الغنم[٥] ، ثم استفاضة[٦] المال ، حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطا ، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته ، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر[٧] ، فيغدرون ، فيأتونكم تحت ثمانين غاية ، كل غاية

---

(١) عوف بن مالك : هو ابن أبي عوف الأشجعي ، أبو عبدالرحمن ، أو غير هذه الكنية ، ممن شهد فتح مكة ، وله جماعة أحاديث ، وكان من نبلاء الصحابة ، مات سنة ٧٣ هـ بدمشق . أسد الغابة ٤ : ١٢ ـ ١٣ ، وسير .. النبلاء ٢ : ٤٨٧ ـ ٤٩٠ .

(٢) وكانت في رجب سنة ٩ هـ وقد صالح فيها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أهل أَيْلة وأهل جرباء وأذرح فأعطوه الجزية . وكتب لهم كتابا ، ثم قفل الى المدينة . السيرة لابن هشام ٤ : ١٦٩ .

(٣) أي بيت مدور من جلد مدبوغ . المصباح : ٩ و ٢ و ٤٨٧ .

(٤) في ك و ط (أعدوا أشياء) .

(٥) هو داء يأخذ الدواب ، فيسيل من أنوفها شيء فتموت فجأة . فتح الباري ٦ : ٢٧٨ .

(٦) أي كثرته . المصدر والموضع السابق .

(٧) هي الصلح على ترك القتال بعد التحرك فيه . وبنو الأصفر : هم الروم . والغاية : الراية ، سميت بذلك لأنها غاية المتبع ، اذا وقفت وقف . المصدر والموضع السابق .

اثنا عشر ألفا)[1] .

قلت : ففتح بيت المقدس بعد موته في خلافة عمر بن الخطاب[2] ، ثم بعد ذلك وقع الطاعون العظيم بالشام[3] (طاعون عَمَواس)[4] في خلافة عمر - أيضا -[5] ، ومات فيه معاذ بن جبل ، وأبو عبيدة ابن الجراح وخلق كثير ، وكان ذلك أول طاعون وقع في الاسلام ، فكان ما أخبر به[6] حيث أخذهم طاعون كعِقَاص الغنم ، ثم استفاض المال في خلافة عثمان بن عفان ، حتى كان أحدهم يعطى مائة دينار فيسخطها ،

---

(١) وقع كثير من التحريفات والاختلافات بين ما في النسخ وبين ما في الصحيح تركنا أكثرها ، وأثبتنا ما فيه .

(١) صحيح البخاري ، كتاب الجزية والموادعة ، باب ما يحذر من الغدر ، ٦ : ٢٧٧ (٣١٧٦) من فتح الباري .

(٢) وكان ذلك سنة ١٥ هـ . الكامل ٢ : ٣٤٨ .

(٣) هو مرض من أنواع الحمى الخبيثة ، سريع العدوى ، وصفه المميز له : ظهور دمل كبير للمصاب ، وخراج وغنغرينة ، وقد علم أنه يتولد من الجراثيم المضرة ، المتسببة من البقايا الحيوانية المتعفنة . دائرة معارف وجدي ٥ : ٧٣٧ .

(٤) عَمَواس : كورة (منطقة) من فلسطين ، قرب بيت المقدس ، على ستة أميال من الرملة على طريق بيت المقدس . معجم البلدان ٤ : ١٥٧ .

(٥) وكان سنة ١٨ هـ وعدة من مات فيه خمسة وعشرين ألفا . الكامل ٢ : ٣٩٠ - ٣٩٢ .

(٦) في ك و ط (مما) .

وكثر المال[١] حتى كانت الفَرَس تُشترى بوزنها ، ثم وقعت الفتنة العامة التي لم يبق بيت من العرب[٢] الا دخلته لما قتل عثمان ، ووقعت الفتنة[٣] بين المسلمين أو الملوك[٤] ، يوم الجمل ويوم[٥] صفين .

وفي الصحيحين عن خباب بن الأرت[٦] قال :"شكونا الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو متوسد بُرْدة[٧] له في ظل الكعبة ، وقد لقينا من المشركين شدة ، فقلنا : ألا تدعو الله لنا ، ألا تستنصر لنا . قال فجلس محمرا وجهه ثم قال : (والله ان من كان قبلكم ليؤخذ الرجل ، فيمشط بأمشاط الحديد ، ما بين لحم وعصب ، ما يصرفه ذلك عن دينه ، ويؤخذ فتحفر له الحفرة[٨] فيوضع المنشار على رأسه ، فيشق باثنتين ، ما يصرفه عن دينه ، وَلَيُتِمَّن الله هذا الأمر ، حتى يسير الراكب

---

(١) سقطت (وكثر المال) من ك و ط .

(٢) في ك و ط تقدمت كلمة (بيت) على الجار والمجرور (من العرب) .

(٣) في ك و ط (اتسعت) .

(٤) سقطت (أو الملوك) من ك و ط .

(٤) لعل الشيخ قصد بكلمة (الملوك) الاشارة الى أن الفتنة انما سببها النزاع والشحناء بين القيادات ، وليست بين عامة المسلمين.

(٥) سقطت (يوم) الثانية من ك و ط .

(٦) خباب بن الأرت : هو التميمي ، أبو عبدالله ، من السابقين الى الاسلام ، وكان يعذب في الله ـ تعالى ـ وشهد بدرا ، ونزل الكوفة ومات بها سنة ٣٧ هـ . تقريب ١ : ٢٢٢ ، وأسد الغابة ١ : ٥٩١ ـ ٥٩٤ .

(٧) هو كساء أسود مربع ، فيه صِغَر ، تلبسه الأعراب . مختار : ٤٧ .

(٨) في ك و ط (الحفيرة) .

من صنعاء (١) الى حضرموت (٢) ، لا يخشى الا الله ـ عز وجل ـ أو الذئب على غنمه ولكنكم تعجلون (٣) . وفي صحيح البخاري (٤) عن أبي هريرة عن النبي (٥) ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال :" لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك ، صغار الأعين ، حمر الوجوه ، ذُلْف الأنف (٦) كأن وجوهَهم المَجَانُّ المُطَرَّقَة (٧) ، ولا تقوم الساعة حتى تقاتلون قوما نعالهم الشعر (٨) .

---

(١) صنعاء : هي العظمى ، باليمن ، وكان اسمها قديما (أزال)وسمتها الحبشة : صنعاء ، ومعناه : الحصينة ، وهي مدينة اليمن وأحسن بلادها ، تشبه دمشق لكثرة فواكهها ـ فيما قيل ـ . مراصد الاطلاع ٢ : ٨٥٤ . وهي الآن عاصمة الشطر الشمالي من اليمن .

(٢) حضرموت : اسمان مركبان،وهي ناحية واسعة ،في شرقي عدن ،بقرب البحر،وحولها رمال كثيرة تعرف بالأحقاف . المصدر السابق ١:٤٠٩ .

(٣) قال الحافظ في الفتح ٦:٦١٩: ويحتمل أن يريد صنعاء الشام والمسافة بينهما أبعد بكثير، أي من المسافة بين صنعاء اليمن وحضرموت . والأول (يقصد صنعاء اليمن) أقرب ،قال ياقوت:"هي قرية على باب دمشق عند باب الفراديس .." قلت :ـ(والقائل هو الحافظ)ـ:"وسميت باسم من نزلها من أهل صنعاء اليمن".

(٣) رواه البخاري بمثله ،كتاب المناقب ،باب علامات النبوة في الاسلام ، ٦:٦١٩(٣٦١٢)من فتح الباري ، والظاهر أنه ليس عند مسلم ، خلافا لقول الشيخ المؤلف . وهو عند أبي داود برقم (٢٦٤٩) وعند النسائي ٨ : ٢٠٤ .

(٤) في ك و ط (وفي الصحيحين واللفظ للبخاري) .

(٥) في أ : (تقاتلون) ولم أجدها في الصحيح بهذا الاعراب .

(٦) ذلف : يروى بالدال المهملة وبالذال المعجمة وهو الأشهر ، قيل : معناه: الصغر ، وقيل : هو الاستواء في طرف الأنف ليس بحد غليظ، وقيل : تشمير الأنف عند الشفة العليا ،وقيل : هو غلظ في الأرنبة ، وقيل : تطامن فيها ، وقيل : ارتفاع طرفه مع صغر أرنبته ،وقيل: قصره مع انبطاحه . فتح الباري ٦ : ٦٠٨ . =

. . . . . .

=

(٧) أي أن وجوههم تشبه الترسة ـ آلة الحرب ـ في بسطها وتدويرها، وبالمطرقة لغلظها وكثرة لحمها ، ومعنى المطرقة : أي التي ألبست الجلود . المصدر السابق ٦ : ١٠٤ و ٦٠٨ .

(٨) نعالهم الشعر : قيل: المراد به : طول شعورهم حتى تصير أطرافها في أرجلهم موضع النعال ، وقيل المراد : أن نعالهم من الشعر المضفور . المصدر السابق ٦ : ٦٠٨ .

(٨) رواه البخاري ، كتاب الجهاد ، باب قتال الترك ، ٦ : ١٠٤ (٢٩٢٨) من فتح الباري . ورواه مسلم في عدة روايات ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون الميت من البلاء، ٤ : ٢٢٣٣ ـ ٢٢٣٤ (٢٩١٢) .

قلت : وهؤلاء الطوائف كلهم قاتلهم المسلمون كما اخبر ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأمر هذه الطوائف معروف ، فان قتال الترك من التتار وغيرهم الذين هذه صفتهم معروف مشهور ، وحديثهم في أكثر من عشرة آلاف نسخة ، كبار وصغار من كتب المسلمين (١) ، قبل قتال هؤلاء الذين ظهروا من ناحية المشرق (١) ، الذين هذه صفتهم ، التي لو كُلف من رآهم بعينه أن يصفهم ، لم يحسن مثل هذه الصفة (٢) .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : (لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز ، تضيء لها أعناق الإبل ببصرى) (٣) . وقد ظهرت هذه النار سنة بضع وخمسين وستمائة (٤) ، ورآها الناس ، ورأوا أعناق الإبل قد أضاءت ببصرى ،وكانت تحرق الحجر ولا تنضج اللحم (٥) .

---

(١) يقصد المغول أو التتر ، جنود جنكيزخان .

(١) هذه احصائية تقريبية لعدد الكتب التي شاهد الشيخ فيها حديث قتال الترك وغيرهم . وذلك شاهد من كلامه ـ رحمه الله ـ تعالى ـ على سعة اطلاعه .

(٢) سقطت (لو) من أ .

(٣) سبق تخريج هذا الحديث الشريف ص : ٤٩٠ .

(٤) هي بالضبط في ليلة الأربعاء بعد العشاء اليوم الثالث من جمادي الآخرة سنة اربع وخمسين وستمائة واستمرت الى ضحى النهار يوم الجمعة فسكنت . كما نقل ابن حجر في الفتح ١٣ : ٧٩ عن القرطبي في (التذكرة) . وقد أشار الشيخ المؤلف إلى ذلك ص : ٤٩٠ .

(٥) ولا يستبعد عدم انضاجها اللحم بالرغم من احراقها الحجر ، فقد يكون أن الله ـ عز وجل ـ قد سلبها خاصية الافادة للناس . وهذه أفران (الأشعة) التي تجعل الماء يغلي في كوب من الورق دون أن يحترق الكوب .

وفي الصحيحين عن أبي سعيد وأسماء[1] ، أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال لعمار بن ياسر[2] : (تقتلك الفئة الباغية[3])[4] .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (هلك كسرى ، ثم لا يكون كسرى بعده ، وقيصر ليهلكن ، ثم لا يكون قيصر بعده ،ولتنفقن كنوزهما في سبيل الله)[5] .

---

(١) هي بنت الصديق ، زوج الزبير بن العوام ، من كبار الصحابة ، عاشت ١٠٠ سنة وماتت سنة ٧٣ أو ٧٤ هـ . تقريب ١ : ٥٨٩، وأسد الغابة ٦ : ٩ ـ ١٠ .

(١) الظاهر أن الصحابية المقصودة هي (أم سلمة) وليست (أسماء) حيث أنها هي الراوي عند مسلم ،وروت عنها أم الحسن البصري ثم الحسن . أنظر صحيح مسلم ٤ : ٢٢٣٦ .

(٢) عمار بن ياسر : هو ابن عامر بن مالك العنسي ، أبو اليقظان ، مولى بني مخزوم ، صحابي جليل مشهور ، من السابقين الاولين ، بدري ، قتل مع علي بصفين سنة ٣٧ هـ . تقريب ٢ : ٤٨ . وأسد الغابة ٣ : ٦٢٦ ـ ٦٣٢ .

(٣) في ط (تقتله) .

(٤) رواه البخاري ، كتاب الصلاة ، باب التعاون في بناء المساجد ، ١ : ٥٤١ (٤٤٧) . بلفظ : (تقتله) . من فتح الباري . ورواه مسلم ، كتاب الفتن ، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل ... ، ٤ : ٢٢٣٦ (٢٩١٦) .

(٥) رواه البخاري ، كتاب الجهاد ، باب الحرب خدعة ، ٦:١٥٧(٣٠٢٧) من فتح الباري . ورواه مسلم ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل ... ، ٤:٢٢٣٦-٢٢٣٧(٢٩١٨) .

وفي الصحيحين عن جابر [(١)] عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : (اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، واذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله [(٢)]) .

وفي الصحيحين عن جابر بن سمرة قال : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : (لتفتحن عصابة [(٣)] من المسلمين)، أو قال (المؤمنين ، كنز آل كسرى الذي في الأبيض [(٤)]) [(٥)] . والأبيض قصر كان لكسرى.

---

(١) في ك و ط زيادة : (ابن عبدالله) .

(١) جابر هنا : هو ابن سمرة ـ رضي الله ـ تعالى ـ عنه .

(٢) رواه البخاري ، كتاب فرض الخمس ، باب قول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (أحلت لكم الغنائم) . ٦:٢١٩-٢٢٠ (٣١٢١) من فتح الباري . ورواه مسلم ، كتاب الفتن .. ، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل ... ، ٤ : ٢٢٣٧ (٢٩١٩) .

(٣) العصابة : جماعة ما بين العشرة الى الأربعين . والعُصْبة والعِصابة جماعة ليس لها واحد . اللسان ١ :٦٠٥ مادة (عصب) .

(٤) والأبيض : من عجائب الدنيا ـ آنذاك ـ لم يزل قائما الى أيام الخليفة العباسي (المكتفي) قريبا من سنة ٢٩٠ هـ ثم نُقِض وبني به التاج بدار الخلافة . مراصد الاطلاع ١ : ٢٢ .

(٤) رواه مسلم ، كتاب الفتن .. ، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل ... ، ٤ : ٢٢٣٧ (٢٩١٩). وقال مسلم : قال قتيبة ـ أي ابن سعيد ـ : (من المسلمين) ولم يشك . والظاهر أنه ليس عند البخاري ، خلافا لقول الشيخ المؤلف .

(٥) في ك و ط زيادة : (وفُتِح هذا الكنز سعد في خلافة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنهما ـ) .

وفي صحيح البخاري وغيره (١) عن أبي بكرة (٢) عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال عن الحسن (٣) : (ان ابني هذا سيد، وسيصلح الله به بين فئتين (٤) عظيمتين من المسلمين) .

---

(١) سقطت (وغيره) من ك و ط .

(٢) أبو بكرة : هو نفيع بن الحارث بن كلدة بن عمرو الثقفي ، صحابي مشهور بكنيته ، وقيل اسمه : مسروح ، أسلم بالطائف ، ثم نزل البصرة ومات بها سنة ٥١ أو ٥٢ هـ . تقريب ٢ : ٣٠٦ . وسير .. النبلاء ٣ : ٥ ـ ١٠ .

(٢) في ك و ط زيادة : (ابن ابنته ، وهو يخطب على المنبر) .

(٣) الحسن : هو ابن علي بن أبي طالب الهاشمي ، سِبْط رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وريحانته ، وقد صحبه وحفظ عنه ، مات شهيدا بالسم سنة ٤٩ هـ وله ٤٧ سنة . تقريب ١ : ١٦٨ . وسير .. النبلاء ٣ : ٢٤٥ ـ ٢٧٩ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الصلح ، باب قول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ للحسن بن علي ... ، ٥ : ٣٠٦ ـ ٣٠٧ (٢٧٠٤) من فتح الباري . ورواه أبو داود ، كتاب السنة ، باب ما يدل على ترك الكلام في الفتنة ، ٤ : ٢١٦ (٤٦٦٢) بمثله . والترمذي ، كتاب المناقب ، باب مناقب الحسن والحسين ... ، ٥ : ٦٥٨ (٣٧٧٣) بمثله . والنسائي ، كتاب الجمعة ، مخاطبة الامام رعيته وهو على المنبر ، ٣ : ١٠٧ .

قلت:فوقع هذا كما أخبر به، بعد موت الرسول (١) بنحو ثلاثين سنة ، وهو سنة أربعين من الهجرة (٢) ، لما أصلح الله بالحسن بين الفئتين العظيمتين اللتين كانتا متحاربتين بصفين (٣) ، عسكر على ، وعسكر معاوية (٤) . وفي الصحيحين عن ابن عباس ، أن رجلا (٥) أتى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : يا رسول الله ، اني رأيت الليلة في المنام ظُلة (٦) تَنْطِف السمن والعسل ، فأرى الناس يتكففون منها بأيديهم ، فمنهم المستكثر والمستقل ، ثم اذا سبب (٧) واصل من الأرض الى السماء ، فأراك أخذت به ، فعلوت ،

---

(١) الشيخ المؤلف ـ رحمه الله ـ يترك الجملة الدعائية أحيانا ، لكي يشعر القارىء أو السامع أنها ليست واجبة .

(٢) أنظر تاريخ الأمم والملوك ٥ : ١٦٢ .

(٣) في ك : (نصف) في الموضعين ، وفي ط : (صف) في الموضعين كذلك.

(٣) صفين : موضع بقرب الرَّقة ، على شاطيء الفرات من الجانب الغربي ، بين الرقة وبالس ، معجم البلدان ٣ : ٤١٤ .

(٤) كانت هذه الوقعة سنة ٣٧هـ غرة صفر ، وقتل في هذه الحرب سبعون ألفا من أصحاب علي خمسة وعشرون ألفا ومن أصحاب معاوية خمسة وأربعون ألفا ، ومدة المقام بصفين مائة يوم وعشرة أيام . المصدر والموضع السابق .

(٤) معاوية : هو ابن ـ أبي سفيان ـ صخر بن حرب بن أمية الأموي أبو عبدالرحمن ، الخليفة ، صحابي ، أسلم قبل الفتح ، وكتب الوحي ، ومات في رجب سنة ٦٠هـ وقد قارب الثمانين . تقريب ٢ : ٢٥٩ وأسد الغابة ٤ : ٤٣٣ ـ ٤٣٦ .

(٥) قال ابن حجر في الفتح ١٢ : ٤٣٣ : لم أقف على اسمه .

(٦) أي سحابة لها ظل ، وتنطف : تقطر . المصدر السابق ١٢ : ٤٣٤ .

(٧) السبب : الحبل . المصدر والموضع السابق .

ثم أخذ به رجل بعـــدك ، فعـــلا ، ثم أخذ به رجل آخر ، فعـــــــلا ، ثم أخذ به رجل آخـــر ، فانقطع ، ثم وصـــل له فعـــلا .

قال أبو بكر : يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي : لَتَدَعَنِّي فلأعْبُرَه فقـــال: (أَعْبِر)(١) فقال أبو بكر : أما الظلـــة فظلـــة الاسلام . وأمـــــا الذي تنطف من السمن والعســـل فهو القرآن : * حلاوته ولينـــــه (٢) . وأما ما يتكفف : فالمستكثـــر من القرآن * والمستقل ، وأما السبـــب الواصل من السماء الى الأرض ، فالحق الذي أنت عليه ، فأخذت به ، فيعليك الله ، ثم يأخذ به رجل من بعدك ، فيعلو ، ثم يأخذ به رجل ، فيعلـــو، ثم يأخذ به رجل آخر ، فينقطع به ، ثم يوصل له ، فيعلو بـــــــه . فأخبرني يا رسول الله : أصبت أم أخطأت ؟ فقال : (أصبت بعضـــــا ، وأخطأت بعضا)(٣) قال : فوالله يا رسول الله ، لتخبرني بالذي أخطـــأت . قال : (لا تقســـم)(٤) .

---

(١) في ط (عبر) .

(١) من التعبير ، وهو التفسير . مختار : ٤٠٩ .

(٢) ما بين النجمتين سقط من أ ، وانبتار السياق واضح فلهـــذا أثبتناه .

(٣) سقطت تاء (أخطأت) من ط .

(٤) رواه البخاري بنحوه ، كتاب التعبير ، باب من لم ير الرؤيـــا لأول عابر اذا لم يصب ، ١٢ : ٤٣١ (٧٠٤٦) من فتح الباري . ومسلم بنحوه ـ أيضا ـ كتاب الرؤيا ، باب في تأويل الرؤيا ، ٤ : ١٧٧٧ (٢٢٦٩) .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال (١) : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : (بينا أنا نائم ، رأيتني على قليب ، عليها دلو (٢) ، فنزعت منها ما شاء الله . ثم أخذها ابن أبي قحافة (٣) ، فنزع منها ، ذنوبا أو ذنوبين (٤) ، وفي نزعه ضعف ، ـ والله يغفر له ـ ثم استحالت غربا (٥) ، فأخذها ابن الخطاب (٦) ، فلم أَرَ عبقريا (٧) من الناس ينزع نزع عمر ، حتى ضرب الناس بعطن (٨)) وفي رواية (فاستحالت الدلو غربا في يد عمر) (٩) قال الشافعي : (رؤيا الأنبياء وحي) (١٠) وقوله : (في نزعه ضعف) قِصَر مدته ،

---

(١) ليست الجملة الدعائية في أ .

(٢) القليب : البئر غير المطوية ، الدلو : آلة استخراج الماء من البئر . أنظر الفتح ١٢ : ٤١٢ .

(٣) هو أبو بكر الصديق .

(٤) الذَّنُوب : الدلو المملوء بالماء . مختار : ٢٢٤ .

(٥) استحالت : أي تحولت ، والغرب : هو الدلو العظيمة المتخذة من جلود البقر . المصدر والموضع السابق .

(٦) في ك و ط (فأخذ) .

(٧) العبقري : السيد ، وكل فاخر من حيوان وجوهر ، والأصل أنها وصف للبساط الجيد ، ثم أطلقوه في كل شيء عظيم في نفسه . المصدر السابق ١٢ : ٤١٣ .

(٨) العَطَن : هو ما يعد للشرب حول البئر من مبارك الإبل ، والضرب : هو بروك الابل ، وهذه اشارة الى كثرة الفتوح واتساع أمر الاسلام واستقرار قواعده . المصدر والموضع السابق .

(٨) رواه البخاري ، كتاب التعبير ، باب نزع الذنوب والذنوبين من البئر بضعف ، ١٢ : ٤١٤ (٧٠٢١) من فتح الباري بمثله . ورواه مسلم بنحوه ، كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل عمر ـ رضي الله عنه ـ ٤ : ١٨٦٠ (٢٣٩٢) . =

. . . . . .

=

(٩) رواه البخاري بلفظ : (ثم أخذها ابن الخطاب من يد أبي بكر ، فاستحالت في يده غربا ....) كتاب التعبير ، باب نزع الماء من البئر حتى يروى الناس .... ، ١٢ : ٤١٢ (٧٠١٩) من فتح الباري .

(١٠) الدلائل للبيهقي ٦ : ٣٤٥ .

وعجلـــة موتـــه ، وشغلـــه بالحرب مع أهل الردة عن الافتتـــاح والتزيـــد[1] الذي بلغـــه عمر في طول مدتـــه .

وفي الصحيحين عن محمد بن جبيـــر بن مطعم ، عن أبيه : أن امـــرأة[2] سألت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ شيئا ، فأمرها أن ترجع اليـه ، فقالت : أرأيت ان جئت فلم أجـــدك[3] يا رسول الله[4] ؟ قال : أي كأنها تعنى الموت[5] . قال : (ان لم تجديـــني[6] ، فائتي أبا بكر) .

---

(١) في ك و ط (المزيد) .

(٢) قال الحافظ في الفتح ٧ : ٢٤ : لم أقف على اسمها .

(٣) قائل هذه العبارة : (أي كأنها تعني الموت) . هو جبير بـن مطعم راوي الحديث ، وهو الظاهر ، وهو ما جزم به القاضـي عياض . المصدر والموضع السابق .

(٤) في ك و ط تقدمت جملة (يا رسول الله) قبل كلمة (أرأيت) .

(٥) في ك و ط (فان) .

(٦) رواه البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، باب قول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لو كنت متخذا خليلا . قاله أبو سعيـــد ، ٧ : ١٧ (٣٦٥٩) . من فتح الباري . ورواه مسلم ، كتـــاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل أبي بكر الصديق ، ٤ : ١٨٥٦ (٢٣٨٦) .

وروى أبو داود الطيالسي عن أبي ثعلبة الخشني (١) ، وعن أبي عبيدة بن الجراح ، ومعاذ بن جبل عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (ان الله بدأ هذا الأمر (٢) نبوة ورحمة وكائنا خلافة ورحمة ، وكائنا (٣) ملكا عضوضا (٤) ، وكائنا عتوة وجبرية (٥) وفسادا في الأمة ، يستحلون الفروج والخمور والحرير ، وينصرون على ذلك ، ويرزقون أبدا حتى يلقوا الله ـ عز وجل ـ (٦)) .

وروى أبو داود (٧) عن سمرة بن جندب (٨) أن رجلا قال :"يا رسول الله ، اني رأيت كأن دلوا دلى (٩) من السماء ، فجاء أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ (١٠) فأخذ بعراقيها (١١) فشرب شربا ضعيفا ثم جاء عمر فأخذ بعراقيها فشرب حتى تضلع (١٢) ، ثم جاء عثمان فأخذ بعراقيها فشرب

---

(١) أبو ثعلبة الخشني : صحابي ، من أهل بيعة الرضوان، لا يكاد يعرف الا بكنيته ، وقيل ان اسمه : جرهم بن ناشم وقيل غيره ، نزل الشام أو داريا أو قرية البلاط وله بها ذرية ، مات وهو ساجد في الصلاة في جوف الليل سنة ٧٥هـ . سير ٠٠النبلاء٢:٥٦٧ ـ٥٧١٠

(٢) أي الولاية العامة على المسلمين .

(٣) الملك العضوض : الشديد ، الذي فيه عسف وعنف ، وبضم العين ـ جمع عض ؛ وهو الخبيث الشرس . اللسان ٧ : ١٩٠ مادة : عضض .

(٤) في ك و ط (عتوة) .

(٤) عنوة ؛ أي قهر أو إذلال ، كالأسر . غريب الحديث ٢:١٨٦ـ١٨٧٠

(٥) جبرية : من الجبر والقهر والعتوّ . اللسان ٤:١١٣ مادة : جبر .

(٦) مسند الطيالسي : ٣١ (٢٢٨) وإسناده عليه ضعف .

(٧) في ك زيادة : (أظنه الطيالسي) وفي ط (الطيالسي) .

(٨) هو ابن هلال الفزاري ،حليف الأنصار،صحابي مشهور،له أحاديث ،مات بالبصرة سنة ٥٨هـ . تقريب ١ : ٣٣٣ .

(٩) دلي : أرسل وأنزل . أنظر المصباح : ١٩٩ .

(١٠) ليس في ك ولا ط الجملة الدعائية .

(١١) عراقي الدلو: هو ماثني منها ثم خرز مثنيا . المصباح: ٤٠٥ .

(١٢) يقال: تضلع الرجل : اذا امتلأ شبعا وريا . مختار : ٣٨٣ .

حتى تضلع ، ثم جاء علي ،فأخذ بعراقيها فانتشطت[1] ، وانتضح[2] عليه منه شيء"[3] .

وفي السنن عن سفينة[4] عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال :(تكون خلافة النبوة ثلاثين سنة ، ثم تصير ملكا)[5] . فكان هذا العام تمام

---

(١) انتُشِطَت : جُذِبَت اللسان ٧:٤١٤ مادة : نشط .

(٢) من النضح ، وهو الرش . ترتيب ٤ : ٣٨٦ .

(٣) سنن أبي داود . كتاب السنة ، باب في الخلفاء ، ٤:٢٠٨-٢٠٩(٤٦٣٠٧). وأخرجه الامام أحمد في المسند ٥ : ٢١ . وقد أورده الحافظ في الفتح ١٢ : ٤١٣ ـ ٤١٤ وعزاه الى أحمد وأبي داود واختيار الضياء ، ولم يعلق على إسناده .

(٤) هو مولى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقيل : مولى أم سلمة زوج النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهي أعتقته ، قيل: اسمه مهران أو رومان أو عبس ، وكنيته : أبو عبد الرحمن ، سمي سفينة لأنه كان مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في سفر فكلما أعيا (تعب) بعض القوم ألقى عليه سيفه وترسه ورمحه حتى حمل شيئا كثيرا ، وهو مشهور ، وله أحاديث . أسد الغابة ٢ : ٢٥٩ ، وتقريب ١ : ٣١٢ .

(٥) رواه أبو داود في سننه ، كتاب السنة ،باب في الخلفاء ،٤:٢١١ (٤٦٤٦-٤٦٤٧)بلفظ :(خلافة النبوة ثلاثون سنة ،ثم يؤتي الله الملك أو ملكه من يشاء)ورواه الترمذي في جامعه ،كتاب الفتن ،باب ما جاء في الخلافة ،٤:٥٠٣ (٢٢٢٦) بلفظ :(الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ، ثم ملك بعد ذلك)قال أبوعيسى:"وهذا حديث حسن ، قد رواه غير واحد عن سعيد بن جمهان ،ولا نعرفه الا من حديث سعيد ابن جمهان"ورواه الامام أحمد في المسند ٥:٢٢٠ والحاكم في مستدركه ٣:٧١ وقال :"وقد أسندت هذه الروايات باسناد صحيح مرفوعا الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ"وسكت عليه الذهبي .

الثلاثين سنة من موته ، ودخل في ذلك خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي (١) .

وفي الصحيحين عنه (٢) ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : (زويت (٣) لي الأرض مشارقها ومغاربها ، وسيبلغ ملك أمتي مازوي لي منها) (٤) .

وفي صحيح مسلم (٥) :(ان الله زوى لي الأرض ، فرأيت مشارقها ومغاربها ، وان أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها وأعطيت الكنزين ،

---

(١) في ك و ط زيادة : وهي (قلت : وتمامها ستة أشهر ، التي استخلف فيها سيدنا الحسن السبط ـ رضوان الله عليه وعلى سائر أصحاب رسول الله ، وأهل بيته الطاهرين ـ) .

(١) أنظر تاريخ الأمم والملوك ٥ : ١٥٨ ـ ١٦١ .

(٢) في ك و ط (عن النبي) .

(٣) زويت بمعنى : جمعت . شرح النووي لمسلم ١٨ : ١٣ م ٩ .

(٤) هذا هو أول الحديث الذي بعده ، وهو ليس عند البخاري ، خلافا لما ذكره الشيخ المؤلف ، وهذا اللفظ قريب من لفظ ابن ماجه عن ثوبان : (زويت لي الأرض حتى رأيت مشارقها ومغاربها .. وقيل لي : ان ملكك الى حيث زوي لك ...) . سنن ابن ماجه ، أبواب الفتن ، باب ما يكون من الفتن ، ٢ : ٣٦٨ (٤٠٠٠) .

(٥) في ك و ط زيادة : (عن ثوبان قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ) .

الأحمر والأبيض (١) ، واني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها (٢) بسنة عامة ، وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم (٣) ، وان ربي قال لي : يا محمد ، اذا قضيت قضاء فانه لا يرد ، واني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة (٤) ، وألا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ، ولو اجتمع عليهم من بين أقطارها (٥) حتى يكون بعضهم يهلك بعضا (٦) .

---

(١) الأحمر والأبيض ، هما : الذهب والفضة ، والمراد كنزي كسرى وقيصر ، ملكي العراق والشام . شرح النووي لمسلم ١٨ : ١٣ .

(٢) في ك و ط : (يهلكهم) .

(٣) أي جماعتهم وأصلهم ، والبيضة ـ أيضا ـ : العز والملك . المصدر والموضع السابق .

(٤) أي لا أهلكهم بقحط يعمهم ،بل ان وقع قحط فيكون في ناحية يسيرة بالنسبة الى باقي بلاد الاسلام . قلت : وهذا ما شهدت به أيامنا هذه سنة ١٤٠٥هـ،حيث وقع القحط (الجفاف) في بعض ديار المسلمين في أفريقيا ،وتضرر بذلك اخوان لنا هناك ، ولكن بقية المسلمين ولله الحمد لم يعمهم ذلك ، مما مكنهم ـ بفضل الله ـ من تقديم العون لاخوتهم . وهذه من وقائع ـ معجزة نبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ المستمرة . انظر المصدر السابق ١٨ : ١٤٠ م٩ .

(٥) جمع : قطر ،وهو الناحية والجانب . اللسان ٥ : ١٠٦ مادة :قطر .

(٦) صحيح مسلم ، كتاب الفتن ... ،باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض ، ٤ : ٢٢١٥ (٢٨٨٩) بمثله . ورواه أبو داود ، بنحوه ، وفيه زيادة ، كتاب الفتن والملاحم ،باب ذكر الفتن ودلائلها ٤:٩٧-٩٨ (٤٢٥٢). والترمذي بمثله ، كتاب الفتن ، باب ما جاء في سؤال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثلاثا لأمته ٤:٤٧٢ (٢١٧٦). قال أبو عيسى :"هذا حديث حسن صحيح".

وهذا أخبر به في أول الأمر ، وأصحابه في غاية القلة ، قبل فتح مكة [١] ، وكان كما أخبر ، فان ملك أمته انتشر في الشرق والغرب ، ولم ينتشر في الجنوب والشمال ، كانتشاره في الشرق والغرب ، اذ كانت أمته أعدل الأمم ، فانتشرت دعوته في الأقاليم [٢] التي هي وسط المعمور من الأرض ، كالثالث ، والرابع ، والخامس ، وقد تقدم قوله : (هلك كسرى فلا يكون كسرى بعده) [٣] وذاك كسرى بن هرمز آخر الأكاسرة المملكين ، ثم ولى بعده [٤]

---

(١) وكان سنة ٨ هـ في شهر رمضان في اليوم الثالث عشر أو العشرين . أنظر السيرة لابن كثير ٣ : ٥٤٢ .

(٢) الأقاليم خطوط وهمية ، وهي التي تعرف الآن بخطوط الطول وخطوط العرض ، فالاقليم الثالث : يبدأ من المشرق فيمر على شمال بلاد الصين الى الاسكندرية ثم البحر المحيط ، والرابع : يبدأ من أرض الصين والتبت ويمر على جبال كشمير الى البحر المحيط على الزقاق ـ المضيق ـ بين الأندلس وبلاد المغرب ، والخامس : يبتدىء من أرض الترك الى بلاد الأندلس والبحر المحيط . انظر معجم البلدان ١ : ٢٥ ـ ٣١ .

(٣) في ط زيادة (إذا) .

(٤) رواه البخاري ، وفيه (ثم لا) بدل (فلا) كتاب الجهاد ، باب الحرب خدعة ، ٦ : ١٥٧ (٣٠٢٧) من فتح الباري .

ولاة متضعفون (١) ، فكان آخرهم (يزدجرد) (٢) واليه الاشارة باللفظ الآخر : (اذا هلك كسرى ، فلا كسرى بعده ، واذا هلك قيصر ، فلا قيصر بعده ، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله) (٣) .

وهذا أخبر به ، وملك كسرى وقيصر أعز ملك في الأرض (٤) ، فصدق الله خبره في خلافة عمر وعثمان ، فهلك كسرى وهو آخر الأكاسرة في خلافة عثمان بأرض فارس ، ولم يبق بعده كسرى ، ولم يبق للمجوس والفرس ملك ، وهلك قيصر الذي بأرض الشام

---

(١) في ط (مستضعفون) .

(٢) يزدجرد : هو ابن شهريار بن كسرى ، وقد مُلك على الفرس وله ٢١ سنة ، وذلك في عهد عمر بن الخطاب ، وقد هزمه المسلمون في (جلولا) وقتله رجل من أهل مرو ، والترك يطلبونه ، فقتلوا الرجل ، وأخذوا منه متاع كسرى ، وذلك سنة ٣١ هـ . أنظر البداية والنهاية ٧ : ٣٠ و ١٢٦ و ١٥٨ .

(٣) رواه البخاري بمثله ، كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الاسلام ، ٦ : ٦٢٥ (٣٦١٨) . من فتح الباري ورواه مسلم ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل .... ، ٤ : ٢٢٣٧ (٢٩١٩) .

(٤) كما لو قال ذلك زعيم دولة من دول المسلمين بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية ، أو الاتحاد السوفيتي في هذه الأيام من سنة ١٤٠٦هـ .

(٥) في ك و ط (وصدق) .

وغيرها[١] ، ولم يبق بعده من هو ملك على الشام ، ولا مصر ، ولا الجزيرة من النصارى ، وهو الذي يُدْعى قيصر[٢] .

قال الشافعي :" كانت قريش تنتاب[٣] الشام انتيابا كثيرا ، وكان كثير من معاشها[٤] منه ، وتأتي العراق فيقال : لما دخلت في الاسلام ذكرت للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ خوفها من انقطاع معاشها[٥] بالتجارة من الشام والعراق ، اذا فارقت الكفر ودخلت في الاسلام ، مع[٦] خلاف ملك الشام والعراق لأهل الاسلام ، فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (اذا هلك كسرى ، فلا كسرى بعده) فلم يبق بأرض العراق كسرى يثبت له أمر بعده . وقال : (اذا هلك قيصر ، فلا[٧] قيصر بعده) فلم يكن بأرض الشام قيصر ، فأجابهم على ما قالوا ، وكان كما قال[٨] ، قطع الله الأكاسرة عن العراق وفارس،وقيصر عن الشام .

---

(١) وهو هرقل بن فوكاس ، وكانت ولايته من سنة ٥٨٣ ـ ٦١٠م . ويقال له : هرقل الأول . وقد مات سنة ٢٠هـ وملك بعده ابنه قسطنطين . الكامل ١:١٩٢ و ٢:١٤٣ ودائرة معارف وجدي ٤ : ٤٦٣ .

(٢) هذا هو لقبه في عُرف العرب ، ويقال لمن ملك الشام مع الجزيرة ـ جزيرة العراق ـ من الروم . السيرة لابن كثير ٣ : ٥١٣ .

(٣) أي تقصده ، وتأتيه مرة بعد مرة . اللسان ١:٧٧٥ مادة : نوب .

(٤) في ك و ط (معايشها) .

(٥) في ك و ط (معايشها) .

(٦) في جميع النسخ : (وخلاف) والذي في الدلائل : (مع خلاف) وهو أظهر وأوضح للمعنى .

(٧) فيأ (ولا) ولا يستقيم المعنى بالواو .

(٨) الذي في الدلائل :" فلم يكن بأرض الشام قيصر بعده ، وأجابهم على ما قالوا له ، وكان كما قال لهم ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقطع الله الأكاسرة عن العراق وفارس ، وقيصر ومن قام بالأمر بعده عن الشام ....." الخ .

وقال – في كسرى – : (مزق الله ملكه)[١] فلم يبق للأكاسرة ملك ، وقال في قيصر : (ثبت ملكه)[٢] فثبت ملكهم ببلاد الروم وتنحى عن الشام . وكل هذا يصدق بعضه بعضا "[٣] .

وفي الصحيحين عن سفيان بن أبي زهير[٤] قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : (تفتح اليمن ، فيأتي قوم يُبِسُّون[٥] فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم ، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون : ثم تفتح الشام ،

---

(١) الذي عند البخاري مرسلا ، يقول الزهري: فحسبت أن ابن المسيب قال : فدعا عليهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – (أن يمزقوا كل ممزق) . صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب كتاب النبي – صلى الله عليه وسلم – الى كسرى وقيصر ، ٨:١٢٦ (٤٤٢٤) من فتح الباري ، قال الحافظ ابن حجر : "وهو موصول – أي عند غير البخاري – بالاسناد المذكور – أي عند البخاري – وفي حديث عبد الله بن حذافة : فلما بلغ ذلك رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم – قال : (اللهم مزق ملكه) . المصدر السابق ٨ : ٢٢٧ . وذكر ابن كثير في السيرة ٣:٥٠٨ أن محمد بن اسحاق روى عن عبد الله بن أبي بكر، عن أبي سلمة أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بعث عبد الله ابن حذافة بكتابه الى كسرى ، فلما قرأه مزقه ، فلما بلغ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : مَزَّقَ ملكَه) .

(٢) الظاهر أن هذه الرواية لم ترد موصولة في أي من مصادر السنة المشهورة ، ولذا قال البيهقي في الدلائل ٤:٣٩٣-٣٩٤ (.. وما روي من قوله في قيصر حين أكرم كتاب النبي – صلى الله عليه وسلم – : (ثَبَت ملكه) . وقد روى باسناده عن عمر بن اسحاق – مرسلا – قال : كتب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الى كسرى وقيصر ، فأما قيصر فوضعه ، وأما كسرى فمزقه ، فبلغ ذلك رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال : (أما هؤلاء فيمزقون ، وأما هؤلاء فستكون لهم بقية) وقد ذكر الحافظ في =

. . . . . .

= الفتح ١ : ٤٤ باسناده عن أحد رجال الملك المنصور قلاوون وهو سيف الدين فليج (أو قلج – اسم تركي) المنصوري أنه أرسل الى الفرنج ، فالتقى بملكهم ، فأخرج له كتابا ، قد زالت أكثر حروفه ، وقد التصقت عليه خرقة حرير فقال : هذا كتاب نبيكم الى جدي قيصر ، وما زلنا نتوارثه الى الآن ، وأوصانا آباؤنا أنه ما دام هذا الكتاب عندنا لا يزال الملك فينا ، فنحن نحفظه غاية الحفظ ونعظمه ونكتمه عن النصارى ليدوم الملك فينا . قال الحافظ : ويؤيد هذا ما وقع في حديث سعيد بن أبي راشد ... أن النبي – صلى الله عليه وسلم – عرض على التنوخي – رسول هرقل – الاسلام فامتنع ، فقال له :"يا أخاتنوخ اني كتبت الى ملككم بصحيفة ، فأمسكها ، فلن يزال الناس يجدون منه بأسا ما دام في العيش خير) . أنظرمسند الامام أحمد ٣: ٤٤١ – ٤٤٢ .

(٣) أخرجه البيهقي في الدلائل ٤ : ٣٩٤ .

(٤) في جميع النسخ : (ابن زهير) : وهو سفيان بن أبي زهير – واسمه الفَرُّد – وقيل : نمير – بن مرارة بن عبدالله بن مالك ابن نصر بن الأزد بن الغوث ، الأزدي الشّنوي ، من أزد شنوءة ، صحابي معدود في أهل المدينة، قال ابن عبدالبر :(وروابة ابن الزبير والسائب بن يزيد عنه تدل على جلالته وقدم مرتبته). الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢ : ٦٧ بهامش الاصابة ، لابي عمر يوسف بن عبد البر القرطبي – ٤٦٣ هـ .

(٥) أي يسوقون دوابهم أو يزينون لأهلهم البلد التي يقصدونها . الفتح ٤ : ٩٢ .

فيأتى قوم يُبِسُّون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم ، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ، ثم تفتح العراق فيأتي قوم فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم ، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون) . وفي رواية (فيخرج من المدينة) .

فأخبر-صلى الله عليه وسلم-بفتح اليمن والشام والعراق قبل أن يكون ، وأخبر أنه يخرج من المدينة أقوام يتحملون بأهليهم ومن أطاعهم الى هذه الأمصار ، ويطلبون الريف وسعة الرزق ، قال : (والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون) .

---

(١) في ك و ط (متحملون) .

(٢) رواه البخاري بمثله ، كتاب فضائل المدينة ، باب من رغب عن المدينة ، ٤ : ٩٠ (١٨٧٥) من فتح الباري . ورواه مسلم بمثله ، كتاب الحج ، باب الترغيب في المدينة عند فتح الأمصار، ٢ : ١٠٠٩ (١٣٨٨) .

(٣) هذه رواية أخرى لمسلم ٢ : ١٠٠٨ (١٣٨٨) . في الكتاب والباب المذكورين .

(٤) في ك (الشريف) وفي ط (الشرف) وهو تحريف .

(٤) ورد التصريح به فيما رواه الامام أحمد في المسند ٢:٣٣٨ و ٣٤٩ بلفظ (تفتح البلاد والأمصار ، فيقول الرجال لاخوانهم : هلموا الى الريف ...) قال الحافظ في الفتح ٤ : ٩٣ ، وفي اسناده ابن لهيعة ولا بأس به في المتابعات .

(٤) الريف : الخصب والسعة في المآكل. وجمعه أرياف فقط ، أو هو ما قارب الماء من جزيرة العرب وغيرها ، والجمع : أرياف وريوف . اللسان ٩ : ١٢٨ مادة : ريف .

وفي صحيح مسلم عن أبي ذر عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : (ستفتح مصر وهي أرض يسمى فيها القيراط (١) ، فاستوصوا بأهلها خيرا (٢)) وفي رواية : (فأحسنوا الى أهلها فان لهم ذمة (٣) ورحما (٤) ، فاذا رأيتم رجلين يقتتلان على موضع لبنة فاخرج منها (٥)) .

فمر أبو ذر بعد فتح مصر بمدة ، بابني شرحبيل (٦) بن حسنة (٧) وهما يتنازعان في موضع لبنة (٨) ، فخرج منها .

---

(١) القيراط : جزء من أجزاء الدينار والدرهم وغيرهما ، وكان أهل مصر يكثرون من استعماله والتكلم به . شرح النووي لمسلم ١٦ : ٠٩٧ م ٨ .

(٢) الروايتان بنحوهما في صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب وصية النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأهل مصر ، ٤:١٩٧٠(٢٥٤٣). ورواه الامام أحمد في المسند ٥ : ١٧٣ ـ ١٧٤ .

(٣) الذمة : هي : بمعنى الذمام ، وهو الحرمة والحق ، والرحم : هو كون هاجر أم اسماعيل منهم . انظر المصدر والموضع السابق .

(٤) في أ (رجلان) والأصوب ما أثبتناه من ك و ط وهو الذي في الصحيح .

(٥) أنظر التخريج السابق .

(٦) ابنا شرحبيل : هما ربيعة وعبدالرحمن . صحيح مسلم ٤:١٩٧٠ .

(٧) حسنة : هي أم شرحبيل ، وهو ابن عبدالله بن المطاع بن عبدالله ابن الغطريف ، الكندي ، أو التميمي ، يكنى أبا عبدالله ، حليف بني زهرة ، أسلم قديما ، وهاجر الى الحبشة هو وأخواه ، جابر وجنادة ، ولاه عمر على بعض نواحي الشام الى أن توفي في طاعون عمواس سنة ١٨ هـ . أسد الغابة ٢ : ٣٦٠ ـ ٣٦١ .

(٨) صحيح مسلم ٤ : ١٩٧٠ .

وفي صحيح البخاري عن سليمان بن صُرَد (١) قال : سمعت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول حين أُجلِيَ (٢) الأحزاب عنه : (الآن نغزوهم ولا يغزونا) (٣) وكذلك كان . وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو (٤) أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (اذا فُتحت عليكم فارس والروم أي قوم أنتم) . قال عبدالرحمن بن عوف (*) : نقول : كما أمرنا الله (٥) . قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (أَوَ غير ذلك ؟ تتنافسون ، ثم تتحاسدون ، ثم تتدابرون ، ثم تتباغضون ، ثم تنطلقون في مساكين المهاجرين ، فتحملون (٦) بعضهم على رقاب بعض) (٧) .

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة : أنه لما أنزل الله : ﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم ، يتلو عليهم آياته ، ويزكيهم ، ويعلمهم

---

(١) هو ابن الجون الخزاعي ، أبو مطرف الكوفي ، صحابي مشهور ، قُتل بعين الوردة سنة ٦٥ هـ . تقريب ١ : ٣٢٦ .

(٢) أُجْلِي الأحزاب ، رجعوا عنه ، وفيه اشارة الى أنهم رجعوا بغير اختيارهم بل بصنع الله ـ تعالى ـ لرسوله . وذكر الواقدي أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال ذلك بعد أن انصرفوا ، وذلك لسبع بقين من ذي القعدة سنة ٤ هـ . الفتح ٧ : ٤٠٥ . وقد راجعت المغازي فلم أظفر بذلك .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ،باب غزوة الخندق ، ٧ : ٤٠٥(٤١١٠) من فتح الباري وفي الحديث زيادة : (نحن نسير اليهم) .

(٤) في ط (عمر) .

(٥) أي نحمد الله ونشكره ،ونسأله المزيد من فضله . شرح النووي لمسلم ١٨ : ٩٦ . م ٩ .

(٦) الذي في الصحيح : (فتجعلون) .

(٧) رواه مسلم بمثله ،كتاب الزهد والرقائق ، المقدمة ، ٤:٢٢٧٤(٢٩٦٢) وابن ماجه بمثله ، أبواب الفتن ، باب فتنة المال ، ٢ : ٣٧٨ (٤٠٤٤) .

(*) هوابن عبدعوف بن عبد بن الحارث بن زهرة القرشي الزهري ، أحد العشرة ، أسلم قديما ، ومناقبه شهيرة ومات سنة ٣٢هـ . تقريب ١:٤٩٤ . وأسد الغابة ٣:٣٧٦ .

الكتاب والحكمة ، وان كانوا من قبل لفي ضلال مبيـــن * وآخرين منهـــم لمّا يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيـــم * (١) .

سئل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن هؤلاء الآخرين ، فقال : (لو كـــان الدين معلقا بالثريا (٢) ، لنالهرجال من أبناء فارس) . وفي لفظ (لـــو كان الايمان) . وفي لفظ (العلم) (٣) وكان كما أخبر ، فانه حصل فـــي التابعين وتابعيهم وهلم جرا (٤) ، من أبناء فارس ، مثل الحسن البصري ، ومحمد بن سيرين (٥) ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة مولى ابن عباس ، ومجاهـــد ابن جبر وأضعاف هؤلاء ،من نالوا ذلك .

---

(١) سورة الجمعة : ٢ ـ ٣ .

(٢) الثريا : من الكواكب ،كثيرة العدد ضيقة المحل ، لا يُتكلم بـــه الا مصغرا،وهو تصغير على جهة التكبير . انظر اللسان ١١٢:١٤ مادة : ثـــرا .

(٣) رواه البخاري بلفظ (الايمان) وباقيه بمعناه ، كتاب التفسير ، سورة الجمعة ، باب قوله : * وآخرين منهم لما يلحقوا بهم * . ٦٤١:٨ (٤٨٩٧) من فتح الباري . ورواه مسلم بلفظ البخاري وبلفظ (الدين) وبقيته بمعناه وفيه زيادة : (حتى يتناوله) . كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل فارس ، ١٩٧٢:٤ (٢٥٤٦) . وأما لفـــظ (العلم) فهي عند الامام أحمد في المسند قال الهيثمي :"قلـــت : هو في الصحيح ـ غير قوله : (العلم). رواه أحمد وفيه شَهْـــر وثقه أحمد وفيه خلاف وبقية رجاله رجال الصحيح".المجمع ١٠ : ٦٤ وأورد رواية هي بلفظ الرواية التي ذكرها الشيخ المؤلف هنـــا ، قال الهيثمي :"وعن قيس بن سعد ـ وذكرها ـ ثم قال : رواه أبو يعلى والبزار والطبراني ، ورجالهم رجال الصحيح".

(٤) معنى هذه الجملة : تعالوا على هيئتكم كما يسهل الوصول عليكم . وأصل ذلك من الجر في السَّوْق ، وهو: أن تترك الإبل والغنم ترعـــى في سيرها. مجمع الأمثال ٣٦٦:٢ لأبي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري المعروف بالميداني ـ ٥١٨هـ طبع عبدالرحمن محمد ١٣٥٢ هـ مصر . =

. . . . . .

=

(٥) محمد بن سيرين : هو أبو بكر الأنصاري الأنسي البصري ، الامام ، شيخ الاسلام ، مولى أنس بن مالك ، كان أبوه من سبى جرجرايا - بين واسط وبغداد - أدرك ثلاثين صحابيا ، وكان حافظا متقنا ، مات سنة ١١٠ هـ بعد الحسن بمائة يوم . أنظر سير .. النبلاء ٤:٦٠٦-٦٢٢ .

ولما نزل قوله ـ تعالى ـ : ﴿ ... فسوف يأت الله بقوم ، يحبهم ويحبونه ، أذلة على المؤمنين ، أعزة على الكافرين ... ﴾ (١) ، سئل عنهم فقال : (هم قوم هذا) وأشار الى أبي موسى الأشعري ، وقال : (إني لأجد نَفَس (٢) الرحمن من قِبَل (٣) اليمن) .

وفي الصحيحين عنه أنه قال : (أتاكم أهل اليمن (٤) ، هم أرق قلوبا وألين أفئدة ، الايمان يماني والفقه يماني (٥) ، والحكمة يمانية (٦)) .

فلما ارتد من ارتد عن الاسلام أتى الله بهؤلاء الذين يحبهم ويحبونه ، فقاتل الصديق بهم أهل الردة ، وغلب بهم أبو بكر وعمر كسرى وقيصر .

---

(١) سورة المائدة : ٥٤ .

(٢) نفس الرحمن : اسم وضع موضع المصدر الحقيقي ، من نفّس تنفيسا ، ونفسا ، أي فرّج تفريجا . اللسان ٦ : ٢٣٦ مادة : نفس .

(٣) رواه الحاكم في المستدرك بمثله ، وليس فيه : (إني لأجد نفس الرحمن ...) . وقال :"هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي ، المستدرك ٢ : ٣١٣ . والفقرة الأخيرة من الحديث وردت في رواية عند الامام أحمد في المسند ٢ : ٥٤١ بلفظ : (وأجد نفس ربكم من قبل اليمن) .

(٤) فسر بعض أهل العلم (اليمن) بغير ظاهرها حيث قالوا : ان المقصود بها مكة ، أو مكة والمدينة ، أو الأنصار ـ لأنهم يمانون في الأصل ـ وقد رد عليهم الامام ابن الصلاح بأن : اتباع ظاهر الحديث أولى ، وهو الذي ترجحه مجموع رواياته ، والحال الذي قيل فيه ـ وهو غزوة تبوك ـ وأنه : لا مانع من اجراء الكلام على ظاهر وحمله على أهل اليمن حقيقة ، لأن من اتصف بشيء وقوي =

. . . . . .

= قيامه به وتأكد اطلاعه منه ينسب ذلك الشيء اليه ، اشعارا بتميزه به وكمال حاله فيه ، وهكذا كان حال أهل اليمن حينئذ في الايمان وحال الوافدين منه في حياة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفي أعقاب وفاته أويس القرني وأبي مسلم الخولاني ـ رحمهما الله ـ وشبههما ممن سلم قلبه وقوى ايمانه ، فكانت نسبة الايمان اليهم لذلك اشعارا بكمال ايمانهم من غير أن يكون في ذلك نفي له عن غيرهم ، ثم المراد بذلك الموجودون منهم حينئذ لا كل أهل اليمن ، في كل زمان ، فان اللفظ لا يقتضيه . أنظر شرح النووي لمسلم ٢ : ٣٢ ـ ٣٣ .

(٥) (والفقه يماني) سقطت من ط .

(٦) أخرجه مسلم من عدة روايات بنحوه ، كتاب الايمان ، باب تفاضل أهل الايمان فيه .. ١، : ٧١ ـ ٧٣ (٥٢) . ورواه البخاري بلفظ : (والسكينة في أهل الغنم ، والايمان يمان والحكمة يمانية). كتاب المناقب ، باب قول الله تعالى : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ... ﴾ ٦ : ٥٢٦ (٣٤٩٩). من فتح الباري.

(٦) هم أرق قلوبا وألين أفئدة : معنى ذلك أن قلوبهم ـ والفؤاد بمعنى القلب ـ أنها ذات خشية واستكانة ، سريعة الاستجابة والتأثر بقوارع التذكير ، سالمة من الغلظ والشدة والقسوة . والفقه : هو الفهم في الدين ، ثم اصطلح على أنه : إدراك الأحكام الشرعية العملية بالاستدلال على أعيانها . والحكمة : هي عبارة عن العلم المتصف بالأحكام ، المشتمل على المعرفة بالله ـ تعالى ـ المصحوب بنفاذ البصيرة وتهذيب النفس وتحقيق الحق والعمل به ، والصد عن اتباع الهوى والباطل . والحكيم : من له ذلك . المصدر والموضع السابق .

وقال لعثمان (١) : (ان الله مقمصك قميصا ، فان أرادوك على خلعه فلا تخلعه) (٢) .

وفي الصحيحين عن أبي موسى قال : (بينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في حائط (٣) من حوائط المدينة ، وهو متكيء ، يركز بعود (٤) في الماء والطين (٥) ، اذ استفتح رجل فقال له : (افتح وبشره بالجنة) فاذا هو أبو بكر ، ففتحت له وبشرته

---

(١) في ك و ط زيادة (ابن عفان) .

(٢) رواه الترمذي بنحوه ، كتاب المناقب ، باب في مناقب عثمان ابن عفان - رضي الله عنه - ، ٥ : ٦٢٨ (٣٧٠٥) وقال : "هذا حديث حسن غريب"، وأحمد في المسند ٦ : ٧٥ و ١٤٩ .

(٣) الحائط ، هنا : البستان . يركز بعود ؛ يضرب بأسفله ليثبته في الأرض . شرح النووي لمسلم ١٥ : ١٧٠ م ٨ .

(٤) في ك و ط : (فقال) .

(٤) قوله : (يركز بعود في الماء والطين) ربما يؤخذ من هذه العبارة وأمثالها مشروعية استخدام (المسبحة) أو (السبحة) من أجل التشاغل والتسلية وإعمال الفكر ، كما يستخدمها الآن أبناء الخليج ، فتجد الكثير منهم لا تفارقه مسبحته في خلوته وجلوته ، واذا أراد الحديث اشتدت حاجته اليها .

(٥) سقطت (له) من ك و ط .

بالجنة ، ثم استفتح رجل آخر فقال لـه[1] : (افتح له وبشره بالجنة[2]) فذهبت فاذا هو عمر ، ففتحت له وبشرته بالجنة ، ثم استفتح رجل آخر فقال له[3] : (افتح له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه[4]) فذهبت فاذا هو عثمان ، ففتحت له[5] وبشرته بالجنة ، فقلت له الذي قال ، فقال : اللهم صبرا ، والله المستعان)[6] .

وفي الصحيحين حديث حذيفة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في الفتن التي تموج موج البحر وقال لعمر : (إن بينك وبينها بابا مغلقا ، يوشك ذلك الباب أن يكسر) فساله مسروق[*] : من الباب ؟ فقال : (عمر)[7] .

(*) هو ابن الأجدع الوداعي الهمذاني التابعي ، أبو عائشة ، عداده في كبار التابعين وفي المخضرمين ، ثقة فقيه عابد ، مات سنة ٦٢هـ . سير .. النبلاء ٤ : ٦٣-٦٩ وتقريب ٢ : ٢٤٢ .

(١) سقطت (له) من ك و ط .

(٢) في أ (فذهب) .

(٣) سقطت (له) من ك و ط .

(٤) سقطت (له) من ك و ط .

(٥) في ك و ط (وقلت) .

(٦) هذا اللفظ مثل لفظ مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل عثمان بن عفان ، ٤ : ١٨٦٧ (٢٤٠٣) . ورواه البخاري بنحوه ، كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب عمر بن الخطاب .. ، ٧ : ٤٣ (٣٦٩٣) من فتح الباري .

(٧) رواه البخاري بنحوه ، كتاب الفتن ، باب الفتنة التي تموج كموج البحر ، ١٣ : ٤٨ (٧٠٩٦) من فتح الباري ، ومسلم ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب في الفتنة التي تموج كموج البحر ، ٤ : ٢٢١٨ (١٤٤) .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (ستكون الفتن[1] ، القاعد فيها * خير من[2] القائم ، والقائم * خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي[3] ، من تشرف لها تستشرفه[4] ، ومن وجد فيها ملجأ فليعذ به[5]) .

---

(١) في ك و ط (فتن) .

(٢) ما بين النجمتين سقط من أ .

(٣) المراد بالقاعد في الفتنة ؛ هو الذي يكون مع النَّظَّارة (المشاهدين) ولا يقاتل . والقائم : المباشر لها . والماشي: الداخل في أسبابها ، والساعي : أعلاهم في ذلك ، بحيث يكون سببا لاثارتها . وقد فسره بعضهم تفسيرا أبعد عن ظاهر الحديث من هذا . أنظر فتح الباري ١٣ : ٣٠ .

(٤) أي من تطلع لها ، بأن يتصدى ويتعرض لها ـ على سبيل الاثارة ، وليس من أجل الإخماد ـ ولا يعرض عنها ، تهلكه ، بأن يشرف منها على الهلاك . المصدر السابق ١٣ : ٣١ .

(٥) أي ليعتزل فيه ، وليسلم من شر الفتنة . المصدر والموضع السابق .

(٥) رواه البخاري ، كتاب الفتن ، باب تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم ، ١٣ : ٢٩ ـ ٣٠ (٧٠٨١ ـ ٧٠٨٢) بمثله ، من فتح الباري . ومسلم ، بلفظ قريب من هذا ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب نزول الفتن كمواقع القطر ، ٤ : ٢٢١١ ـ ٢٢١٢ (٢٨٨٦) .

ورواه (١) أبو بكرة وقال فيه : (فاذا وقعت ، فمن كان له إبل فليلحق بإبله ، ومن كانت له غنم ، فليلحق بغنمه ، ومن كانت له أرض ، فليلحق بارضه (٢)) .

قال : (فقال رجل ، يا رسول الله ، أرأيت إن لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض ؟ قال : (يعمد الى سيفه فيدق على حده بحجر ، ثم لينج إن استطاع النجاء (٣) ، اللهم هل بلغت ؟ اللهم هل بلغت (٤)) .

فقال رجل : يا رسول الله ، أرأيت إن أكرهت حتى ينطلق بي الى أحد الصفين ، أو احدى (٥) الفئتين ، فضربني رجل بسيفه ، أو يجيء سهم (٦) فيقتلني ؟ قال : (يبوء (٧) بإثمه وإثمك ويكون من أصحاب النار (٨)) .

---

(١) في ك و ط (رواه) .

(٢) رواه مسلم ، كتاب الفتن ... ، باب نزول الفتن ... ، ٤ : ٢٢١٢ - ٢٢١٣ (٢٨٨٧) .

(٣) في أ (النجاة) وما أثبتناه من ك و ط وهو ما في الصحيح .

(٤) في ك و ط (اللهم هل بلغت) مرة واحدة .

(٥) في جميع النسخ (أحد) وما أثبتناه من الصحيح .

(٦) في ك و ط (نحى) .

(٧) أي يحتمله . ترتيب القاموس ١ : ٣٣٨ .

(٨) رواه مسلم بمثله ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب نزول الفتن ... ، ٤ : ٢٢١٢ - ٢٢١٣ (٢٨٨٧) .

وفي صحيح أبي حاتم [١] قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

(ويل للعرب ، من شر قد اقترب ، أو فتنة عمياء صماء بكماء ، القاعد فيها خير من الماشي ، والماشي خير من الساعي ، ويل للساعي [٢] فيها من الله يوم القيامة [٣]) .

---

(١) هو ابن حبان البستي ـ رحمه الله ـ .

(٢) في ك و ط (ويل الساعة) .

(٣) موارد الضمان الى زوائد ابن حبان :- ٤٦١ (١٨٦٧) بلفظ (من فتنة) .قلت : وبعد النظر في اسناد هذا الحديث تبين انه اسناد جيّد .

وفي الصحيحين عنه أنه قال : (اني لأرى الفتن ، تقع خلال بيوتكم (١) ، كمواقع القطر (٢) (٣)) .

وفي الصحيحين من غير وجه (٤) أنه لما قال له ذو الخويصرة (٥) : يا محمد، اعدل فانك لم تعدل . فقال : (ويحك قد خبت وخسرت إن لم أعدل) . فقال بعض أصحابه : دعني أضرب عنق هذا المنافق .

---

(١) أي نواحيها . شبه سقوط الفتن وكثرتها بالمدينة . بسقوط المطر في الكثرة والعموم . فتح الباري ٤ : ٩٥ .

(٢) في ط (مواقع) .

(٣) القطر : المطر ، الواحدة : قطرة . المصباح : ٥٠٨ .

(٣) رواه البخاري بمثله ، كتاب فضائل المدينة ، باب آطام المدينة ، ٤ : ٩٤ (١٨٧٨) من فتح الباري .

(٤) أي أكثر من طريق .

(٥) الخويصرة ، تصغير : الخاصرة ، وهي الشاكلة ، وما بين الحرقفة والقصيرى . وذو الخويصرة ، قيل : هو حرقوص بن زهير السعدي التميمي ، ذكره الطبري . كانت له صحبة ، أمره عمر على قتال الهرمزان وعلى ما غلب عليه ، وفتح سوق الأهواز ونزل بها ، وشهد صفين ، ثم صار من الخوارج . ومن أشدهم على علي بن أبي طالب ، وقتل في حروبهم معه سنة ٣٧ هـ . قال ابن حجر :"ذكر الهيثم بن عدي أن الخوارج تزعم أن حرقوص بن زهير كان من أصحاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأنه قتل معهم يوم النهروان". قال : فسألت عن ذلك فلم أجد أحدا يعرفه". أنظر أسد الغابة ٢ : ٢٠ و ١ : ٤٧٤ ـ ٤٧٥ ، والاصابة ١ : ٣٢٠ . ، وترتيب القاموس ٢ : ٠٦٣.

فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (انه يخرج من ضئضيء[1] هذا أقوام ، يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم ، وقراءته مع قراءتهم يقرءون القرآن ، لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية[2] ، آيتهم أن فيهم رجلا مخدّج اليد[3] ، على عضده مثل البضعة من اللحم ، تدردر[4] عليها شعرات[5]) .

---

(١) الضئضيء : النسل والعقب . الفتح ٨ : ٦٩ .

(٢) الرمية : الصيد الذي ترميه فتقصده وينفذ فيه سهمك . اللسان ١٤ : ٣٣٦ مادة : رمي .

(٣) أي ناقص اليد . ترتيب ٢ : ٢٠ .

(٤) في ك و ط (تدور) .

(٤) البضعة : القطعة . تدردر : تضطرب . الفتح ٦ : ٦١٩ .

(٥) رواه البخاري بنحوه ، كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الاسلام ، ٦ : ٦١٧ ـ ٦١٨ (٣٦١٠) من الفتح . ومسلم بنحوه ـ أيضا ـ كتاب الزكاة ، باب ذكر الخوارج وصفاتهم ، ٢ : ٧٤٤ (١٠٦٤) .

وفي رواية في الصحيحين : (تمرق مارقة على حين فرقة من المسلمين ، يقتلهم أدنى[1] الطائفتين الى الحق)[2] .

وهؤلاء ظهروا بعد موته ببضع وعشرين سنة ، في أواخر خلافة علي ، لما افترق المسلمون ، وكانت الفئة بين عسكر علي وعسكر معاوية ، وقتلهم علي بن[3] أبي طالب وأصحابه ، وهم أدنى الطائفتين الى الحق ، والطائفة الأخرى[4] قتلوا عمار بن ياسر ، وهي الطائفة الباغية .

وكان علي قد أخبرهم بهذا الحديث وبعلامتهم ، فطلبوا[5] هذا المخدج فلم يجدوه ، حتى قام علي - بنفسه - ففتش عليه ، فوجده مقتولا ، فسجد شكرا لله[6] .

---

(١) في ط (أدين) .

(٢) هي عند مسلم بنحوها ، كتاب الزكاة ، باب ذكر الخوارج وصفاتهم ، ٢ : ٧٤٥ - ٧٤٦ (١٠٦٤) وعند أبي داود ، كتاب السنة ، باب ما يدل على ترك الكلام في الفتنة ٤ : ٢١٧ (٤٦٦٧) . والظاهر أن البخاري لم يخرجها في الصحيح ، خلافا لماذ ذكره الشيخ المؤلف .

(٣) في أ و ط (ابن) مع أنها في أثنا السطر .

(٤) الطائفة الباغية : هي الظالمة الخارجة عن طاعة الامام العادل . اللسان ١٤ : ٧٨ مادة : بغا .

(٤) وذلك سنة ٣٧ هـ . أنظر تاريخ الأمم والملوك ٥ : ١٠ - ٤٢ و ٦٤ - ٦٦ و ٧٢ - ٩٣ و ١٦٥ - ١٦٦ .

(٥) في ك و ط (وطلبوا) .

(٦) أنظر صحيح مسلم ٢ : ٧٤٨ - ٧٤٩ . والكامل ٣ : ١٧٥ ، والبداية والنهاية ٧ : ٢٨٩ .

وفي الصحيح عنه أنه قال : (ستكون بعدي أمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها ، فصلوا الصلاة لوقتها ، واجعلوا صلاتكم معهم نافلة)[1] . وهؤلاء ظهروا بعده بمدة[2] ، فكانوا يؤخرون الظهر إلى وقت العصر ، ويؤخرون العصر إلى اصفرار الشمس .

---

(١) رواه مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب كراهية تأخير الصلاة عن وقتها المختار ... ، ١ : ٤٤٨ (٦٤٨)بنحوه، وأبو داود ، كتاب الصلاة ، باب اذا أخر الامام الصلاة عن الوقت ، ١ : ١١٧ (٤٣٢) . والترمذي ، أبواب الصلاة ، باب ما جاء في تعجيل الصلاة ... ، ١ : ٣٣٢ (١٧٦) . وابن ماجه ، أبواب اقامة الصلاة ، باب ما جاء في اذا أخروا الصلاة عن وقتها ، ١ : ٢٢٨ (١٢٤٦) .

(٢) ومنهم : زياد بن أبيه ، كما ذكر أبو العالية البرّاء (نسبة إلى بري النبل) ، رواه النسائي ، كتاب الإمامة ، باب الصلاة مع أئمة الجور ، ٢ : ٧٥ .

وفي الصحيحين عنه أنه قال : (انكم ستلقون بعدي أثرة (١) ، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض)(٢) ، فلقوا بعده من استأثر عليهم ولم يعطهم حقهم . وفي الصحيحين عنه أنه قال : (ستكون بعدي أمراء ، يظلمون منكم حقهم ، ويمنعونكم حقكم) . قالوا : فما تأمرنا يا رسول الله ؟ قال : (أدوا اليهم حقهم ، واسألوا الله حقكم)(٣) .

وفي الصحيحين عنه أنه سارّ فاطمة ، فقال لها ـ وهو في مرضه الذي توفي فيه ـ : (اني أقبض ، في مرضي هذا) ثم أخبرها : أنها أول أهله لحوقا به . وفي رواية : (وأخبرها أنها سيدة نساء المؤمنين)(٤) .

---

(١) أي أن الأمر والحكم سيكون في غير المخاطبين ، فيختص الحكام أولئك دونهم بالأموال . أنظر الفتح ٧ : ١١٨ .

(٢) رواه البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب قول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ للأنصار : (اصبروا حتى تلقوني على الحوض) . ١١٧:٧ (٣٧٩٢) بمثله من الفتح . ومسلم بلفظه ، كتاب الامارة ، باب الأمر بالصبر عند ظلم الولاة واستئثارهم ، ١٤٧٤:٣(١٨٤٥).

(٢) الحوض : هو حوض النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم القيامة ، الفتح ٧ : ١١٨ .

(٣) رواه البخاري بمعناه ،كتاب الفتن ،باب قول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ:(سترون بعدي أمورا تنكرونها)،١٣:٥ (٧٠٥٢) من الفتح . ومسلم بمثل لفظ البخاري ، كتاب الامارة ،باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء ،الأول فالأول ١٤٧٢:٣ (١٨٤٣) .

(٤) كلا الروايتين أخرجهما البخاري بمثلهما ،كتاب المناقب ،باب علامات النبوة في الاسلام ،٦٢٧:٦ ـ ٦٢٨ (٣٦٢٣ ـ ٣٦٢٤) من فتح الباري . وهما في صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل فاطمة بنت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عليها الصلاة والسلام ، ٤ : ١٩٠٤ ـ ١٩٠٥ (٢٤٥٠) بنحوهما .

وفي الصحيحين عن عائشة قالت : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (أسرعكن بي لحاقا ، أطولكن يدا) قالت : فكن يتطاولن أيتهن أطول يدا ، فكانت أطولنا يدا زينب (١) لأنها كانت تعمل بيدها (٢) وتصدق .

---

(١) هي أم المؤمنين ، زينب بنت جحش ، زوج النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الأسدية ، من أسد بن خزيمة ، وأمها أميمة بنت عبدالمطلب، عمة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كانت قديمة الاسلام . ومن المهاجرات ، كان اسمها برّة فسماها زينب ، توفيت سنة ٢٠ هـ . أنظر أسد الغابة ٦ : ١٢٥ ـ ١٢٧ .

(٢) رواه مسلم بلفظه الا قوله : (.. بي لحاقا) فهو عند مسلم (لحاقا بي) ، كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل زينب أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ، ٤ : ١٩٠٧ (٢٤٥٢) والبخاري بنحوه الا أن فيه (سودة) بدل (زينب) وقد رجح الحافظ ابن حجر أن ذلك وهم من أبي عوانة أحد رواة الحديث ، قال ابن الجوزي : "والعجب من البخاري كيف لم ينبه عليه". ورواية البخاري له في كتاب الزكاة ، باب ـ بعد ـ باب فضل صدقة الشحيح الصحيح ، ٣ : ٢٨٥ ـ ٢٨٦ (١٤٢٠) من فتح الباري .

وفي صحيح البخاري وغيره عن أم حرام (١) عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : (أول جيش يغزو القسطنطينية (٢) مغفور لهم (٣)) .

وفي صحيح البخاري ، عن أم حرام ـ أيضا ـ ،قالت : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : (أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا) . قالت : قلت : يا رسول الله ، أنا فيهم ؟ قال :

---

(١) في جميع النسخ ، (ابن عمر) وهو غير صحيح ، ولم يرده الشيخ المؤلف ، والدليل على ذلك قوله في الحديث الذي بعده : (عن أم حرام ـ أيضا) .

(١) أم حرام ، هي بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام ، الأنصارية ، خالة أنس بن مالك ، صحابية مشهورة ، ماتت في خلافة عثمان ودفنت بجزيرة قبرص . تقريب ٢ : ٦٢٠ .

(٢) ويقال : قسطنطينة ـ باسقاط ياء النسبة ـ كان اسمها بيزنطة فنزلها قسطنطين الأكبر وبنى عليها سورا ، وسماها باسمه ، وصارت دار ملك الروم ، اسمها الآن ـ اسطنبول . مراصد الاطلاع ٣ : ١٠٩٢ .

(٣) أخرجه البخاري عن أم حرام بلفظ : (أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم ...) كتاب الجهاد والسير ، باب ما قيل في قتال الروم ، ٦ : ١٠٢ (٢٩٢٤) من الفتح . ورواه أحمد في المسند ٤ : ٣٣٥ بلفظ : (لتفتحن القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها ، ولنعم الجيش ذلك الجيش) قال الراوي : فدعاني مسلمة بن عبد الملك فسألني فحدثته ، فغزا القسطنطينية .

(أنت فيهم) قالت : ثم قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم)٠
فقلت : يا رسول الله (أنا فيهم ؟) قال : (لا) (١) ٠
وغزاها المسلمون في خلافة معاوية ، وكان يزيد (٢) أميرهم ، وكان في العسكر (٣) أبو أيوب الأنصاري (٤)

---

(١) رواه البخاري ، كتاب الجهاد والسير ، باب ما قيل في قتال الروم ، ٦ : ١٠٢ (٢٩٢٤) من الفتح ٠

(٢) يزيد : هو ابن معاوية بن أبي سفيان الأموي ، أبو خالد ، مقدوح في عدالته ، ولد في خلافة عثمان ، وبويع له بالخلافة سنة ٦٠هـ وامتنع من بيعته الحسين وابن عمر وابن الزبير ، يروى أن رجلا قال عند عمر بن عبدالعزيز : أمير المؤمنين يزيد ، فضربه عشرين سوطا ، مات سنة ٦٣ هـ وله ٣٨ سنة ٠ لسان الميزان ٦ : ٢٩٤ ٠

(٣) في ك و ط (المعسكر) ٠

(٤) هو خالد بن زيد بن كليب الأنصاري ، من كبار الصحابة ، شهد بدرا ، ثم كان مع علي ومن خاصته ٠ وشهد معه حروبه كلها ، وقيل : الا صفين ٠ مات غازيا بالروم سنة ٥٠ هـ وقيل بعدها ٠ أسد الغابة ٥ : ٢٥ ، وتقريب ١ : ٢١٣ ٠

الذي نـــزل النبي ـ صلى الله عليه وسلـــم ـ في بيته ، لما قـــدم المدينـــة مهاجـــرا ، ومات ودفن تحت سورهـــا ، وذكروا أنهـــم كانوا اذا أجدبـــوا كشفـــوا عن قبره فيسقـــون (١) .

---

(١) روي هذا عن مجاهد . كما روى عنه خلاف ذلك ، وهو ايضاؤه بمحو أثر القبر ، وتنفيذ يزيـــد لهذه الوصيـــة . أنظر أسد الغابة ٢ : ٢٥ ـ ٢٦ . وانظر الكامل ٣ : ٢٢٧ ـ ٢٢٨ ، والبدايـــة والنهايـــة ٧ : ١٥٩ . ولقد كان منتظرا من الشيخ المؤلـــف ـ رحمه الله ـ أن يحذف هذه العبارة الأخيرة (وكانـــوا اذا أجدبوا .....) واذا لم يحذفها من كلامه ، فكان المطلوب منه ـ رحمه الله ـ أن يعلق عليهـــا بما يتفـــق والعقيـــدة الصحيحـــة في منع التوسلات غير المشروعـــة ، حيـــث أن هذا من التوســـل ببدن الانســـان الصالح،وهو خارج عـــن الأنواع الثلاثة المشروعـــة ، ولعلها سبقة قلـــم ، وقد علق عليها الشيخ المدنـــي في طبعته تعليقـــا جيدا في الجـــواب الصحيح (ط المدني) ٤ : ١٤٥ .

ثم غزاها المسلمون مرة ثانية ، في (١) خلافة عبد الملك (٢) ، غزاها ابنه مَسْلَمة (٣) ، وحصروها عدة سنين وبنوا فيها مسجدا (٤) .

وفي الصحيحين عن أنس قال : كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يدخل على أم حرام بنت ملحان ، فتطعمه ، وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت (٥) فدخل عليها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأطعمته ، وجعلت تفلي (٦) رأسه ، فنام ،

---

(١) في ك و ط (وفي) .

(٢) عبد الملك : هو ابن مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي ، أبو الوليد ، المدني ، ثم الدمشقي ، كان طالب علم قبل الخلافة ، ثم اشتغل بها فتغير حاله ، ملك ١٣ سنة استقلالا وفيها ٩ سنين متنازعا مع ابن الزبير، مات سنة ٨٦ هـ وقد جاوز الستين . ميزان الاعتدال ٢ : ٦٦٤ وتقريب ١ : ٥٢٣ .

(٣) مسلمة : هو ابن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، أمير، قائد، من أبطال عصره ، يلقب بالجرادة الصفراء ، كان أولى بالخلافة من سائر اخوته ، خدعه اليون صاحب الروم ، مات بالشام سنة ١٢٠هـ. تهذيب التهذيب ١٠ : ١٤٤. وتاريخ الأمم والملوك ٦ : ٥٣١ .

(٤) الأصوب أن ذلك في عهد سليمان بن عبد الملك سنة ٩٨هـ أنظر المصدر السابق ٦ : ٥٣٠ ـ ٥٣١ والكامل ٤: ١٤٦ ـ ١٤٧ والبداية والنهاية ٩ : ١٧٤ .

(٥) عبادة بن الصامت : هو ابن قيس ، الأنصاري الخزرجي ، أبو الوليد ، المدني ، أحد النقباء ، بدري مشهور ، مات بالرملة ـ بفلسطين ـ سنة ٣٤هـ ، وله ٧٢ سنة ، وقيل : عاش الى خلافة معاوية ، قيل : كان طوله عشرة أشبار . تقريب ١ : ٣٩٥ .

(٦) أي تبحث رأسه عن القمل . اللسان ١٥ : ١٦٢ مادة : فلا .

ثم استيقظ وهو يضحك ، فقالت : مم تضحك ؟ فقال[١] : (عرض على ناس من أمتي ، يركبون ثبج[٢] هذا البحر ، ملوكا على الأسرة ، أو مثل الملوك على الأسرة) فقالت أم حرام : أدع الله أن يجعلني منهم ، فدعا لها ، ثم وضع رأسه فنام ، ثم استيقظ وهو يضحك ، فقالت : مم تضحك ؟ فقال : (عرض علي ناس من أمتي) كما قال في الأولى ، فقالت[٣] : يا رسول الله ، أدع الله أن يجعلني منهم ، قال : (أنت من الأولين) . قال أنس :" فركبت البحر ، زمان معاوية بن أبي سفيان ، فصرعت عن دابتها ، لما خرجت من البحر ، فماتت "[٤] وهذا كان في خلافة عثمان ، ومعاوية نائبه[٥] .

---

(١) في ط (قال) بدون فاء .

(٢) أي وسطه ومعظمه . اللسان ٢ : ٢٢٠ مادة : ثبج .

(٣) في أ (فقال) .

(٤) رواه البخاري بنحوه ، كتاب الجهاد والسير ، باب الدعاء بالجهاد والشهادة للرجال والنساء ، ٦ : ١٠ (٢٧٨٨-٢٧٨٩) من الفتح . ومسلم ، كتاب الامارة ، باب فضل الغزو في البحر ٣ : ١٥١٨ (١٩١٢) بنحوه .

(٥) أنظر الفتح ١١ : ٧٥ .

وكان المسلمون في خلافة عمر لم يغزوا في البحر ، وأول ما غزوا البحر في خلافة عثمان ، وفتحوا جزيرة قبرص ، وجاءوا بسبيها الى دمشق . وكان أبو الدرداء (١) حيا بدمشق ، فجعل يبكي ، فقيل له : ما يبكيك يا أبا الدرداء ، هذا يوم قد أعز الله فيه الاسلام ؟ فقال :" انما أبكي أني رأيت هذه الأمة كانت قاهرة ظاهرة ، فأضاعت أمر الله فيه (٢) ، فأصارها الله الى ما ترون ، ما أهون العباد على الله اذا ضيعوا أمره (٣) ؟" .

وفي الصحيحين عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : (سألت ربي ثلاثا ، فأعطاني اثنتين ، ومنعني واحدة ، سألته أن لا يسلط على أمتي عدوا من غيرهم

---

(١) أبو الدرداء : هو عويمر بن زيد بن قيس الأنصاري ، مختلف في اسم أبيه ، وانما هو مشهور بكنيته ، وقيل : اسمه عامر ، وعويمر لقب ، صحابي جليل ، أول مشاهده أحد ، كان عابدا ، مات في آخر عثمان ، وقيل : عاش بعد ذلك . تقريب ٢ : ٩١ .

(٢) سقطت (فيه) من ك و ط .

(٣) الأثر أخرجه الطبري في تاريخ الأمم والملوك ٤ : ٢٦٢ . وانظر الكامل ٣ : ٤٨ .والبداية والنهاية ٧ : ١٥٣ .

فيجتاحهم (١) ، فأعطانيها ، وسألته أن لا يهلكهم بسنة عامة ، فأعطانيها ، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم ، فمنعنيها (٢) .

وثبت عنه في الصحيحين ، أنه قال : (لا تزال طائفة من أمتي ، ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خالفهم ، ولا من خذلهم ، حتى تقوم الساعة (٣)).

وهذا أخبر به حين كانت أمته أقل الأمم ، فانتشرت الأمة في مشارق الأرض ومغاربها ، وكان كما أخبر به ، فان هذه الأمة ـ ولله الحمد والمنّة (٤) ـ لم يزل فيها طائفة ظاهرة بالعلم والدين والسيف ، لم يصبها ما أصاب من قبلها من بني إسرائيل

---

(١) أي يستأصلهم ويأتي عليهم ويهلكهم . أنظر اللسان ٢ : ٤٣١ . مادة : جوح .

(٢) رواه مسلم بلفظ : (... سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها ، وسألته أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها ، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها) ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض ، ٤ : ٢٢١٦ (٢٨٩٠) ، والترمذي بلفظ أقرب الى المذكور ، كتاب الفتن ، باب ما جاء في سؤال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثلاثا لأمته ، ٤:٤٧١-٤٧٢ (٢١٧٥) قال أبو عيسى :"هذا حديث حسن غريب صحيح . وفي الباب عن سعد وابن عمر". قلت : وهذا رواه من خباب . وابن ماجه بلفظ :"العدو ، والغرق". أبواب الفتن ، باب ما يكون من الفتن ، ٢:٣٦٨ (٣٩٩٩). وأحمد في المسند ٥:٢٤٧ عن معاذ .

(٣) سبق تخريجه ص : ١٧٧ .

(٤) المنّة : الإحسان والإنعام . اللسان ١٣ : ٤١٧ مادة : منن .

وغيرهم ، حيث كانوا مقهورين مع الأعداء ، بل ان غلبت طائفة في قطر من الأرض (١) ، كانت في القطر الآخر أمة ظاهرة منصورة ، ولم يسلط على مجموعها (٢) عدوا من غيرهم ، ولكن وقع بينهم اختلاف وفتن .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (صنفان من أهل النار ، لم أرهما (٣) ، قوم معهم سياط كأذناب البقر ، يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات ، مميلات مائلات ، رءوسهن كأسنمة البخت (٤) المائلة ، لا يدخلن (٥) الجنة ، ولا يجدن (٦) ريحها ، وان ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا (٧)) .

وهؤلاء ظهروا بعده بمدة طويلة ، وظهر النسوة بعد ذلك بسنين كثيرة ،

---

(١) في ك و ط (كان) .

(٢) فتن : محن وابتلاء . المصباح : ٤٦٢ .

(٣) في ك و ط زيادة كلمة (بعد) .

(٤) هي الابل الخراسانية ، وهو معرب عن الفارسية ، وبعضهم زعم أنه عربي ، والبختي واحد البخت ، جمعه : بخاتي وبخات ، وهي الآسيوية ، ذات السنامين ، ويسميها العرب : العوامل . دائرة معارف وجدي ١ : ٣٠ و ٢ : ٥٠ .

(٥) في أ (لا يدخل) .

(٦) في أ (ولا يجد) .

(٧) رواه مسلم ، كتاب اللباس والزينة ، باب النساء الكاسيات العاريات ، المائلات المميلات ، ٣ : ١٦٨٠ (٢١٢٨) .

وعلى رؤوسهن عمائم كأسنمة الجمال البختي ، يسمون العمامة (١) سنام الجمل .

وفي حديث مسلم عن أسماء بنت أبي بكر عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : (سيكون في ثقيف كذاب ومُبِيْر (٢)) . وظهر الكذاب من ثقيف (٣) ، وهو المختار بن أبي عبيد الثقفي ، الذي أظهر

---

(١) في ط (العمائم) .

(٢) المبير : المهلك ، الذي يسرف في اهلاك الناس . اللسان ٤ : ٨٦ مادة : بور .

(٢) رواه مسلم بلفظ : (... أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حدثنا : أن في ثقيف كذابا ومبيرا) . كتاب فضائل الصحابة ، باب ذكر كذاب ثقيف ومبيرها ، ٤ : ١٩٧٢ (٢٥٤٥) . وهو عند الترمذي برقم (٢٢٢٠) و (٣٩٤٤) برواية ابن عمر ، وفي المسند لأحمد ٢ : ٠٢٦ .

(٣) هو المختار بن أبي عبيد بن مسعود بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن عنزة بن عوف بن ثقيف ، الكذاب ، كان من كبراء ثقيف وذوي الرأي والفصاحة والشجاعة والدهاء وقلة الدين . ذكره ابن عبد البر في الصحابة لأن له رؤية فيما يغلب على الظن ، قتله مصعب بن الزبير هو و ٦٠٠٠ ممن استأمن اليه صبرا سنة ٦٧ هـ . أنظر سير .. النبلاء ٣ : ٥٣٨ ـ ٥٤٤ ، وميزان الاعتدال ٤ : ٨٠ ، ولسان الميزان ٦ : ٦ .

التشيع والانتصار للحسين (١) ، وقتل عبيد الله بن زياد (٢) وغيره من قتلة الحسين ، ثم أظهر أنه يوحى اليه ، وأنه ينزل عليه ، حتى قيل لابن عمر (*) وابن عباس (٣) عنه ، قيل لأحدهما : انه يوحى اليه ، وللآخر أنه ينزل عليه . فقال أحدهما : ﴿ وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ﴾ (٤) . وقال الآخر : ﴿ هل أنبئكم على من تنزّل الشياطين * تنزّل على كل أفاك أثيم ﴾ (٥) .

(*) هو عبدالله بن عمر بن الخطاب العدوي ، ابو عبد الرحمن ، ولد بعد المبعث بيسير ، واستصغر يوم أحد وله ١٤ سنة ، وهو أحد المكثرين من الصحابة والعبادلة وكان من اشد الناس اتباعا للأثر ، مات سنة ٧٣هـ تقريب ١:٤٣٥، واسد الغابة ٣: ٢٣٦-٢٤١ .

(١) الحسين : هو الامام الشريف ، سِبط رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وريحانته من الدنيا ومحبوبه ، أبو عبد الله ، الحسين إبن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بن عبد المطلب القرشي الهاشمي ، ولد في شعبان سنة ٤هـ واستشهد يوم عاشوراء سنة ٦١هـ وله ٥٦ سنة . سير .. النبلاء ٣ : ٢٨٠ . تقريب ١ : ١٧٧ .

(٢) هو ابن أبيه ، أبو حفص ، أمير العراق ، كان جميل الصورة ، قبيح السيرة ، قيل : أمه مرجانة ، من بنت ملوك الفرس ، جرت له خطوب ، وأبغضه المسلمون لِما فعل بالحسين ، قُتل على يد المختار الكذاب ، في أول سنة ٦٧هـ بالخازر . سير .. النبلاء ٣ : ٥٤٥ ـ ٥٤٩ .

(٣) في أ (بن) بدون ألف .

(٤) سورة الأنعام : ١٢١ .

(٥) سورة الشعراء : ٢٢١ ـ ٢٢٢ .

(٥) أنظر البداية والنهاية ٨ : ٢٩١ .

وأما المُبِيْر ، فكان هو الحجاج بن يوسف الثقفي ، وكان مبيرا سفاكا للدماء بغير حق ، انتصارا لملك عبد الملك بن مروان ، الذى استنابه .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة أنه قال : لقد قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوما ـ : (أيكم يبسط ثوبه ، فيأخذ من حديثي فيجمعه الى صدره فانه لن ينسى شيئا سمعه) . فبسطت بردة على حتى فرغ من حديثه ، ثم جمعتها الى صدري ، فما نسيت بعد ذلك اليوم شيئا سمعته منه) .(١)

---

(١) هذا لفظ مسلم ، وهو مجموع من روايتين ، كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل أبي هريرة الدوسي ٠٠٠٠ ، ٤ : ١٩٣٩ ـ ١٩٤٠ (٢٤٩٢) . ورواه البخاري بمعناه ، كتاب العلم ، باب حفظ العلم ، ١ : ٢١٥ (١١٩) من الفتح .

وفي الصحيحين عن جابر بن سمرة قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (لايزال الاسلام عزيزا الى اثنى عشر خليفة ، كلهم من قريش)(١) . وفي لفظ (الى اثنى عشر أميرا)(٢) وفي رواية لأبي داود الطيالسي (٣) (كلهم يجتمع عليهم الأمة)(٣) وفي رواية فقالوا : ثم يكون ماذا ؟ قال :

---

(١) رواه مسلم ، كتاب الامارة ، باب الناس تبع لقريش ، والخلافة من قريش ، ٣ : ١٤٥٣ (١٨٢١) واللفظ له ، وأبو داود ، كتاب المهدي ، ٤ : ١٠٦ (٤٢٨٠) . وأحمد في المسند ٥ : ٩٣ و ٩٨ والبخاري ، كتاب الأحكام ، باب الاستخلاف ، ١٣ : ٢١١ (٧٢٢٢) بلفظ : (يكون اثنا عشر أميرا) ـ فقال كلمة لم أسمعها ـ فقال أبي : انه قال : (كلهم من قريش) .

(٢) هذا اللفظ لأحمد في المسند ٥ : ٩٧ ـ ٩٨ و ١٠١ قال الألباني : "وهذا اسناد ـ أي اسناد هذه الرواية ـ صحيح على شرطهما". سلسلة الأحاديث الصحيحة ، ١:١٠٦ (٣٧٦) لمحمد ناصر الدين الالباني ،ط ٢ المكتب الاسلامي ،دمشق ـ بيروت ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م .

(٣) يظهر لي أن كلمة (الطيالسي) مقحمة ، لأن الرواية المذكورة هي عند أبي داود السجستاني ، كتاب المهدي ، ٤ : ١٠٦ (٤٢٧٩) . ولم أجدها عند الطيالسي ، وإنما الذي عنده مثل الرواية الأولى ، وهذه الأخيرة اسنادها فيه لِيْن حيث أن في اسنادها : اسماعيل بن أبي خالد وهو كما قال ابن حجر : (مقبول) أي لين الحديث ، وقد تفرد بهذه الجملة : (كلهم تجتمع عليه الأمة) . أنظر سلسلة الأحاديث الصحيحة ، ١ : ١٠٦ (٣٧٦) .

(ثم يكون الهَـــرْج)[١] .

قال أبو بكر البيهقـــي : (وفي الرواية الأولى بيان العدد ، وفـــي الأخرى[٢] بيان المراد بالعـــدد ، وقد بين وقوع الهـــرج ، وهـــو القتـــل[٣] بعدهـــم[٤]) .

وقد وجد هذا العدد بالصفة المذكورة الى وقت الوليد بن يزيد ابن عبد الملك[٥] ثم وقع الهـــرج والفتنة العظمـــى ، وانمـــا يزيدون على العدد المذكور اذا تركت الصفة المذكورة فيـــه ، أو عد معهم من كان بعد الهـــرج .

---

(١) أبو داود ، كتاب المهدي ، ٤ : ١٠٦ (٤٢٨١) . واسنادها جيد . قال الحافظ في الفتح ١٣ : ٢١١ : (وأخرج البزار هذه الزيادة من وجه آخر) .

(٢) في ك و ط (الثانية) .

(٣) غريب الحديث ٤ : ٧٧ .

(٤) دلائل النبوة للبيهقي ٦ : ٥٢٠ .

(٥) هو ابن مروان بن الحكم ، الخليفة ، أبو العباس الدمشـــقي الأموي ، ولد سنة ٩٠ هـ خلافته سنة وثلاثة أشهـــر ، اتهـــم بالخمـــر واللوطيـــة ، قتل سنة ١٢٦ هـ وله ٣٦ سنة . سير .. النبلاء ٥ : ٣٧٠ – ٣٧٣ .

وفي الصحيحين عن جابر قال : قال لي[(١)] رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (هل لك من أنماط[(٢)] ؟) قلت : يا رسول الله ، وأنى يكون لي أنماط ؟ فأنا أقول اليوم لامرأتي : نحي[(٣)] عنك أنماطك ، فتقول : ألم يقل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (انها ستكون لكم أنماط ؟)[(٤)] .

وفي الصحيحين عن ابن عباس أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (بينا أنا نائم ، أريت أنه وضع في يدى سواران من ذهب ، ففظعتهما[(٥)] فكرهتهما ، فأذن لي فنفختهما[(٦)] ، فطارا ، فأولتهما كذابين يخرجان بعدي)[(٧)] .

---

(١) سقطت (لي) من ك و ط .

(٢) الأنماط ، جمع نمط ، وهو بساط له خمل رقيق . الفتح ٦:٦٣٠ .

(٣) من : نحيت الشيء ، أي عزلته . المصباح : ٥٩٦ .

(٤) رواه البخاري بنحوه ، كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الاسلام ، ٦ : ٦٣٩ (٣٦٣١) من الفتح . ومسلم بمعناه ، كتاب اللباس والزينة ، باب جواز اتخاذ الأنماط ، ٣ : ١٦٥٠ (٢٠٨٣).

(٥) في ك و ط (فقطعتهما) وفي أ (فقطعها) . وما أثبتناه من الصحيح .

(٥) أي اشتد على أمرهما . الفتح ٨ : ٩٣.

(٦) في ك (فأذن لي في نفخهما فنفختهما) وفي ط (فأذن لي في نفختهما) .

(٧) رواه البخاري موصولا ومعلقا بنحوه ، كتاب المغازي ، باب وفد بني حنيفة ، وباب قصة الأسود العنسي ، ٨ : ٨٩ و ٩٢ (٤٣٧٤ ـ ٤٣٧٥ و ٤٣٧٩) .

قال عبيد الله [١] : "أحدهما العنسي الذي قتله فيروز [٢] باليمن ، والآخر مسيلمة" [٣] .

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر قال : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال ـ وهو مستقبل المشرق ـ : (ها ، إن الفتنة ها هنا ، إن الفتنة ها هنا [٤] من حيث يطلع قرن الشيطان) [٥] .

---

(١) عبيد الله : هو ابن عبد الله بن عتبة الهذلي ، أبو عبد الله الهذلي المدني الأعمى ، الامام الفقيه ، مفتي المدينة وعالمها وأحد الفقهاء السبعة ، جده عتبة هو أخو الصحابي عبد الله ابن مسعود ، ولد في خلافة عمر ومات سنة ٩٨ هـ سير .. النبلاء ٤ : ٤٧٥ ـ ٤٧٨ . تقريب ١ : ٥٣٥ .

(٢) في جميع النسخ : (عبد الله) والأصوب ما أثبتناه من الصحيح .

(٢) في ك و ط زيادة (الديلمي) .

(٢) فيروز : هو الديلمي ، أبو عبد الله ، وقيل ، أبو عبد الرحمن ، هو ابن أخت النجاشي ، ويقال له : الحميري ، وهو من فارس ، من فرس صنعاء ، روى عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عدة أحاديث ، وتوفي في خلافة عثمان . أسد الغابة ٤ : ٧١ ـ ٧٢ .

(٣) الفتح ٨ : ٩٢ .

(٤) في ك و ط زيادة (ها) ثانية .

(٥) رواه البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب صفة ابليس وجنوده ، ٦ : ٣٣٦ (٣٢٧٩) من الفتح . ومسلم من عدة روايات ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب الفتنة من المشرق .. ، ٤ : ٢٢٢٨ ـ ٢٢٢٩ (٢٩٠٥) .

(٥) قرن الشيطان : الأمة التي غلبها الشيطان وأضلها وجعلها من أهل الشرور . أنظر الفتح ١٣ : ٤٦ .

وفي بعض طرق البخاري : قام خطيبا ، فأشار بيده نحو مسكن عائشة ، فقال : وذكر الحديث (١) .

فالمشرق عن مدينته فيه البحرين ، ومنها خرج مسيلمة الكذاب ، الذي ادعى النبوة ، وهو أول حادث حدث بعده ، واتبعه خلائق ، وقاتله خليفته الصديق (٢) .

---

(١) هذه الطريق عند البخاري ، كتاب فرض الخمس ،باب ما جاء في بيوت أزواج النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ،، ٦ : ٢١٠ ـ ٢١١ (٣١٠٤) من الفتح .

(٢) في ك و ط (يخرج) .

وروى أبو حاتم في صحيحه ، عن جابر بن عبد الله قال : سمعت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : (ان بين يدي الساعة كذابين ، منهم صاحب اليمامة (١) . ومنهم صاحب صنعاء العنسي (٢) . ومنهم صاحب حمير (٣) . ومنهم الدجال ، وهو أعظمهم فتنة ، وصاحب اليمامة : هو مسيلمة . قال : وقال أصحابي : قال : (هم قريب من ثلاثين كذابا (٤)) .

---

(١) اليمامة : معدودة من نجد وقاعدتها حجر ، وتسمى جوا والعروض ، سميت باليمامة بنت سهم بن طسم ، وبين اليمامة والبحرين عشرة أيام . (٣٥٠كلم) . ويذكر عبد الله بن خميس بأن حدودها الطبيعية من الجنوب الرّمل (الربع الخالي) من تحت نجران ، وشمالا بالثويرات شمال الزلفي ، وما واجه الثويرات شرقا حتى السياريات والدهناء وما واجهها غربا حتى المستوي . وشرقا : الدهناء ، وغربا : هضبة نجد ، أو ما يسمى بالدرع العربي . أنظر معجم البلدان ٤٤٢:٥ والمجاز بين اليمامة والحجاز : ١٢ .

(٢) هو الأسود العنسي .

٣) حمير : من أصول القبائل التي باليمن واسمه : العرنجج بن سبأ وهو عامر بن يشجب بن يعرب بن قحطان . جمهرة أنساب العرب : ٣٢٩ .

(٤) موارد الظمآن الى زوائد ابن حبان ، كتاب الفتن ، باب ما جاء في الكذابين والدجال ، : ٤٦٧ (١٨٩٣) . **قلت: وبعد النظر في اسناد هذا الحديث تبين انه اسناد جيد .**

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون ، دجالون كذابون ، كلهم يزعم أنه رسول الله ، وحتى يفيض المال ، وتظهر الفتن ، ويكثر الهرج) . قالوا: وما الهرج يا رسول الله ؟ قال : (القتل القتل) (١) .

---

(١) هذا الحديث عند مسلم في عدة أحاديث فقوله : (لا تقوم الساعة .... يزعم أنه رسول الله) في كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل ... ، ٤: ٢٢٣٩-٢٢٤٠ (١٥٧) . وقوله : (... حتى يفيض المال) هو بمثله من كتاب الزكاة ، باب الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها ، ٢ : ٧٠١ (١٥٧) وقوله : (وتظهر الفتن) من كتاب العلم ، باب رفع العلم وقبضه ... ، ٤ : ٢٠٥٧ (١٥٧) . وقوله : (ويكثر الهرج .....) هو بمثله من كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب اذا تواجه المسلمان بسيفيهما ، ٤ : ٢٢١٥ (١٥٧) .

وفي صحيح ابن حبان عن أبي ذر قال :"ركب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حمارا ، وأردفني خلفه ، ثم قال : (يا أبا ذر ، أين أنت (١) ان أصاب الناس جوع شديد ، حتى لا تستطيع أن تقوم من فراشك الى مسجدك ، كيف تصنع ؟) فقال : الله ورسوله أعلم ، قال : (تعفف) . قال : (يا أبا ذر أرأيت ان أصاب الناس موت شديد ، حتى يكون البيت بالعبد (٢) ، كيف تصنع ؟) قال : الله ورسوله أعلم . قال : (اصبر) . (يا أبا ذر أرأيت ان قتل الناس بعضهم بعضا ، حتى تغرق حجارة الزيت (٣) ، من الدماء كيف تصنع ؟) قال : الله ورسوله أعلم ، قال : (اقعد في بيتك ، وأغلق عليك بابك) فقال : أريت ان لم أُتْرَك ؟ قال : (فأت من أنت منه ، فكن فيهم) قال : فآخذ (٤) سلاحي ؟ قال : (إذا تشاركهم فيه ، ولكن إن

---

(١) في ك و ط (أرأيت) .

(٢) في ط (بالوصيف) .

(٢) البيت هنا : القبر . والمراد أن الناس يُشْغَلون عن دفن موتاهم ، حتى لا يوجد فيهم من يحفر قبرا لميت ويدفنه إلا أن يعطى عبدا أو قيمته . مختصر سنن أبي داود ومعالم السنن ، وتهذيب ابن قيم الجوزية ٦ : ١٤٦ ت محمد حامد الفقي ، مطبعة السنة المحمدية ، مصر ، ١٣٦٩ هـ = ١٩٤٩م .

(٣) أحجار الزيت : موضع بالمدينة . بذل المجهود في حل أبي داود ١٧ : ١٦٦ . لخليل أحمد السهارنفوري ـ ١٣٤٦هـ ، دار اللواء بالرياض .

(٤) في ك و ط (فإن آخذ) .

خشيت أن يَرُوعَك شُعَاع السيف فأطلق (١) طرف ردائك على وجهك ، يبوء بإثمك وإثمه (٢)) .

وفيه عن ابن مسعود قال : أتيت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو في قبة من أدم ، فيها أربعون رجلا ، فقال : (انكم مفتوحون (٣) ومنصورون (٤) ، فمن أدرك ذلك الزمان منكم فليتق الله ، وليأمر بالمعروف ولينه عن المنكر ، ومن كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار (٥)) .

وأما الفتوح التي فتحت عليهم ، والنصرة التي نصروا ، فقد أخبر به في أوائل مبعثه كما تقدم ذكره ، ووقع ما أخبر به .

---

(١) في ك و ط (فألق) .

(٢) موارد الظمآن الى زوائد ابن حبان ، كتاب الفتن ، باب كيف يفعل في الفتن : ٤٦٠ (١٨٦٢) . ورواه أبو داود ، كتاب الفتن والملاحم ، باب في النهي عن السعي في الفتنة ، ٤ : ١٠١ (٤٢٦١) بنحوه . وابن ماجه ، أبواب الفتن ، باب التثبت في الفتنة ٢ : ٣٧٠ (٤٠٠٦) بنحوه . والحاكم في المستدرك ، كتاب الفتن والملاحم ، ٤ : ٤٢٤ ، بنحوه ، وقال :" هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ..."،ووافقه الذهبي .

(٣) في ط (فاتحون) .

(٤) في الموارد ، زيادة : (ومصيبون) . بعد قوله : (ومنصورون).

(٥) موارد الظمآن ... ، كتاب الفتن ، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : ٤٥٦ (١٨٤٤) .

وروى أبو حاتم في صحيحه عن ابن عباس قال : "مرض أبو طالب فأتته قريش ، وأتاه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعوده ، وعند رأسه مقعد رجل ، فقام أبو جهل فقعد فيه ، فشكوا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى أبي طالب ، فقالوا : ان ابن أخيك يقع في آلهتنا (١) . قال : ما شأن قومك يشكونك يا ابن أخي ؟ قال : (يا عم ، انما أردتهم على كلمة واحدة ، تدين لهم بها العرب وتؤدي اليهم بها العجم الجزية (٢)) فقال : وما هي ؟ (قال لا اله الا الله (٣)). فقاموا ، فقالوا : (أجعل الآلهة الها واحدا ....) ؟ قال : ونزلت ﴿ صٓ والقرآن ذي الذكر ..... ﴾ الى قوله : (... إن هذا لشيء عجاب ﴿٤﴾) .

---

(١) أي يذمها ويعيبها . اللسان ٨ : ٤٠٥ مادة : وقع .

(٢) في ك و ط (لهم) .

(٣) الجزية : المال الذي يعقد الكتابي عليه الذمة ، وهي فعلة ، من الجزاء ، كأنها جزت عن قتله . اللسان ١٤ : ١٤٧ مادة :جزي .

(٣) سورة ص : ١ ـ ٥ .

(٤) موارد الظمآن ... ، كتاب التفسير ، سورة ص : ٤٣٥ (١٧٥٧) .

قلت: وقد تبين لي بعد النظر في اسناد هذا الحديث انه اسناد جيد .

وفي صحيح ابن حبان عن اسماعيل بن (١) أبي خالد (٢) ، عن قيس بن أبي حازم (٣) قال :" لما أقبلت عائشة قربت (٤) ببعض مياه بني عامر (٥) ، طرقتهم ليلا ، فسمعت نباح الكلاب ، فقالت : (أي ماء هذا) ؟ قالوا : ماء الحوأب (٦) ، قالت : (ما أظنني راجعة (٧))

---

(١) في أ (اسماعيل بن أبي قيس قال : لما أقبلت ...) وقد أثبتنا السقط من الأصول ومن ك و ط .

(١) في أ : (ابن) . والأولى حذف ألفها .

(٢) اسماعيل بن أبي خالد : هو الأحمسي ، مولاهم ، البجلي ، ثقة ثبت ، مات سنة ١٤٦هـ تقريب ١:٦٨ ، وتهذيب ١ : ٢٩١ .

(٣) قيس بن أبي حازم : هو البجلي ، أبو عبدالله الكوفي ، ثقة ، مخضرم ، ويقال : له رؤية ، مات بعد سنة ٩٠هـ أو قبلها ، وقد جاوز المائة ، وتغير . تقريب ٢:١٢٧ ، وتهذيب ٨:٣٨٧ .

(٤) في ك و ط (مرت) .

(٥) هم بنو عامر بن ربيعة بن كلاب بن ربيعة بن صعصعة بن معاوية ابن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر . جمهرة أنساب العرب : ٢٧٣ و ٢٨٢ .

(٦) في أ و ك (الحوب) حسب الرسم القديم .

(٦) الحوأب : موضع في طريق البصرة ، محاذي البقرة ، ماء أيضا من مياههم ، وهو من المياه الأعداد (الجارية) وقديم جاهلي ، وحوله جبال سود ، وقد سمي بالحوأب بنت كلب بن وبرة . وهي أم تميم وبكر والغوث . معجم البلدان ٢ : ٣١٤ .

(٧) في ك و ط (الا راجعة) .

(٧) أي لست بمتقدمة . انظر اللسان ٨ : ١٣٠ مادة : رفع .

قالوا: مهلاً يرحمك الله - تقدمين ، فيراك المسلمون ، فيصلح الله بك . قالت : (ما أظنني رافعة[1] ، اني سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : (كيف بإحداكن ينبح عليها كلاب الحوأب[2]) ؟ .

وفيه أيضا عن[3] ابن أبي طالب قال : قال لي عبدالله بن سلام - وقد وضعت رجلي في الغرز[4] وأنا أريد العراق - :" لا تأت[5] العراق ، فانك ان تأتهم أصابك ذنب السيف[6] " .

---

(١) في ك و ط : (الا راجعة) .

(٢) رواه الحاكم في المستدرك بنحوه ، كتاب معرفة الصحابة ، ٣ : ١٢٠ . وأورده الهيثمي وقال :"رواه الطبراني في الأوسط ورجاله وثقوا ، وفي بعضهم ضعف ." المجمع ٨ : ٢٨٩ .
وهو في موارد الظمآن : ٤٥٣ (١٨٣١) .

(٣) في ك و ط زيادة : (علي) .

(٤) الغرز : فراش من جلد ، يوضع فوق الدابة للركوب عليها . أنظر ترتيب القاموس ٣ : ٣٨٢ .

(٥) في الموارد ، زيادة : (أهل) .

(٦) ذنب كل شيء : آخره ، وجمعه : ذناب ، وهو العقب والمؤخر . اللسان ١ : ٣٩٠ مادة : ذنب .

قال علي : (وأيم الله[1] ، لقد قالها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ) قال أبو الأسود[2] : "فقلت ـ في نفسي ـ : ما رأيت كاليوم رجلا محاربا يحدث الناس بمثل هذا"[3] .

وهذا وأمثاله مما أخبر به ـ صلى الله عليه وسلم[4] ـ من المستقبلات ، فوقع بعده كما أخبر ، ورأى الناس ذلك . وأما ما أخبر به ، مما لم يقع الى الآن ، فكثير . وقد أخبر بأشياء من

---

(١) أيم : اسم وضع للقسم ، والتقدير : أيمن الله قسمي . ترتيب ١ : ٢٠٣ .

(٢) أبو الأسود : هو الدؤلي ، ويقال : الديلي ، العلامة الفاضل ، قاضي البصرة ، واسمه : ظالم بن عمرو ـ على الأشهر ـ ولد في أيام النبوة ، قال العجلي : ثقة ، كان أول من تكلم في النحو ، مات في طاعون الجارف سنة ٦٩هـ وله ٨٥ سنة . سير .. النبلاء ٤ : ٨١ ـ ٨٦ .

(٣) موارد الظمآن ، كتاب المناقب ، باب في فضل علي ـ رضي الله عنه ـ : ٥٤٥ (٢٢١٠) . **قلت: وهذا الحديث اسناده جيد .**

(٤) ليس في أ الجملة الدعائية .

المغيبات ، ووقعت في زمانه ، ووجدت[1] كما أخبر ، كما في الصحيحين ، عن سهل بن سعد[2] ، عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال ـ يوم خيبر[3] ـ : (لأعطين هذه الراية غدا رجلا ، يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، يفتح الله على يديه)[4] فكان كذلك .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال :"شهدنا مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حنينا فقال ـ لرجل ممن يدعي الاسلام ـ : (هذا من أهل النار) فلما حضرنا القتال ، قاتل الرجل قتالا شديدا ، فأصابته جراحة ، فقيل : يا رسول الله ، الرجل الذي قلت له آنفا : انه من أهل النار ، فانه قاتل اليوم قتالا شديدا ، وقد مات[5] ، فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (الى النار) فكاد بعض

---

(١) في ط (ووجد) .

(٢) سهل بن سعد : هو ابن مالك بن خالد الأنصاري ، الخزرجي الساعدي ، أبو العباس ، له ولأبيه صحبة مشهورة ، مات سنة ٨٨هـ وقيل : بعدها . وقد جاوز المائة . تقريب ١ : ٣٣٦ .

(٣) وكان يوم خيبر في أول سنة سبع للهجرة . السيرة لابن كثير ٣ : ٣٤٤ .

(٤) رواه البخاري بنحوه ، كتاب الجهاد والسير ، باب فضل من أسلم على يديه رجل ، ٦:١٤٤ (٣٠٠٩) من الفتح . ومسلم بلفظ : (لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ، أو يحبه الله ورسوله) . كتاب الجهاد والسير ،باب غزوة ذي قرد وغيرها ،٣:١٤٤١(١٨٠٧) .

(٥) في ك و ط زيادة : (فأصابته جراحة) .

المسلمين أن يرتاب (١) . فبينما (٢) هم على ذلك ، اذ قيل : فانه لم يمت ، ولكن به جرحا شديدا . فلما كان من الليل ، لم يصبر على الجراح ، فقتل نفسه ، فأخبر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بذلك فقال : (الله أكبر ، أشهد أني عبد الله ورسوله) ثم أمر بلالا فنادى في الناس : انه لا يدخل الجنة الا نفس مسلمة ، وان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر (٣) . وراه سهل بن سعد (٤) .

---

(١) يفسر ذلك رواية الطبراني عن أكثم بن الجون الخزاعي قال : قلنا يا رسول الله ، فلان يجزئ في القتال ! قال : (هو في النار) . قلنا : يا رسول الله ! اذا كان فلان في عبادته واجتهاده ولين جانبه في النار فأين نحن ؟ قال ذلك أخباث النفاق ...) . أنظر الفتح ٧ : ٤٧٢ ـ ٤٧٣ .

(٢) في ك و ط (فبينما) .

(٣) رواه البخاري ، كتاب الجهاد والسير ، باب : ان الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر ،٦:١٧٩ (٣٠٦٢) من الفتح . ومسلم ، كتاب الايمان ،باب غلظ تحريم قتل الانسان نفسه ،١:١٠٦ (١١٢) .

(٤) رواية سهل بن سعد للحديث بلفظ آخر ، هي عند البخاري ، كتاب المغازي ، باب غزوة خيبر ، ٧ : ٤٧١ (٤٢٠٢) من الفتح . وعند مسلم تالية لرواية أبي هريرة في الموضع السابق .

وفي الصحيحين عن علي ـ رضي الله عنه ـ قال : (بعثني رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأبا مرثد الغنوي (١) ، والزبير بن العوام (٢) ، والمقداد (٣) ، وكلنا فارس ، فقال : (انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ (٤) فان بها امرأة (٥) ، معها كتاب من حاطب (٦) الى المشركين) فأدركناها تسير على بعير لها خبب (٧) ، فقلنا لها : أين الكتاب ؟

---

(١) أبو مرثد الغنوي : هو كنّاز بن حصين بن يربوع بن طريف بن قيس عيلان ، حليف حمزة بن عبد المطلب ، وكان تربه ـ أي مثيله في السن ـ شهد هو وابنه مرثد بدرا ، مات سنة ١٢هـ وله ٦٦ سنة ، وكان طويلا كثير الشعر . أسد الغابة ٥:٢٨٢، وتقريب ٢:١٣٦-١٣٧.

(٢) الزبير بن العوام : هو ابن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب ، أبو عبد الله ، القرشي،الأسدي ، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، قتل سنة ٣٦هـ بعد أن انصرف من وقعة الجمل. تقريب ١ : ٢٥٩ .

(٣) المقداد : هو ابن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن قضاعة البهراوي ، المعروف بالمقداد بن الأسود ، أبو معبد ، وقيل : أبو الأسود ، وهو قديم الاسلام من السابقين ، وهاجر الى الحبشة ثم رجع الى مكة فلم يقدر على الهجرة الى المدينة ثم خرج مع المشركين هو وابن غزوان فالتقوا بسرية المسلمين فانحازا الى المسلمين ، شهد بدرا وأحدا والمشاهد كلها ، مات في خلافة عثمان بالجرف وحمل الى المدينة ، وله ٧٠ سنة . أسد الغابة ٤: ٤٧٥ ـ ٤٧٨ .

(٣) جمع أسماء الأربعة علي وأبي مرثد والزبير والمقداد ، مستفاد من مجموع روايات البخاري ، ولم يجتمعوا في رواية واحدة . أنظر الفتح ٧ : ٥٢٠ .

(٤) خاخ : موضع بين الحرمين ، وروضة خاخ بقرب حمراء الأسد من المدينة . مراصد الاطلاع ١ : ٤٤٤ . =

. . . . . .

=

(٥) في ط زيادة : (ظعينة) . واسم المرأة سارة أو أم سارة أو كنود ، وقيل ، انها كانت مولاة العباس . انظر الفتح ٧:٥٢٠ .

(٦) حاطب : هو ابن ـ أبي بلتعة ـ عمرو بن عمير بن سلمة ، من بني خالفة ، بطن من لخم ، أبو عبدالله أو أبو محمد ، توفى سنة ٣٠ هـ وصلى عليه عثمان وله ٦٥ سنة . أسد الغابة ١ : ٤٣١ .

(٧) الخبب : نوع من المشي السريع ، واسع الخطى ، وهو أقل من العنق . المصباح : ١٦٢ .

فقالت : ما معي كتاب ، قال فأنخنا بها (١) ، فالتمسنا الكتاب في رحلها ، فلم نر كتابا ، قال : قلنا : ما كذب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لتخرجن الكتاب أو لنجردنك (٢) . قال : فلما رأت أني أهويت الى حجزتها (٣) وهي محتجزة بكساء ، أخرجت الكتاب من عقاصها (٤) ، فأخذنا الكتاب ، فأتينا به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فاذا فيه : (من حاطب بن أبي بلتعة الى ناس من المشركين بمكة (٥) ، يخبرهم ببعض أمر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ) (٦) . فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (يا حاطب ، ما هذا ؟) (٧) قال : لا تعجل علي ، اني كنت أمرأ ملصقا في قريش ، ولم أكن من أنفسها ، وكان من كان معك من المهاجرين لهم قرابات ، يحمون أهليهم (٨) بمكة ، فأحببت ـ اذ فاتني ذلك من النسب فيهم ـ أن أتخذ يدا (٩) يحمون بها قرابتي ، وما فعلت ذلك كفرا ولا ارتدادا عن ديني ، ولا رضاء بالكفر بعد الاسلام .

---

(١) أي قمنا بأمر البعير بالبروك فبرك . أنظر مختار : ٦٨٤ .

(٢) التجريد : التعرية من الثياب . مختار : ٩٩ .

(٣) أي مد يده الى رباط سراويلها ومعقد ازارها . أنظر مختار : ١٢٤ و ٧٠٣ .

(٤) أي ضفيرة شعرها . مختار : ٤٤٦ .

(٥) في ك و ط (النبي) .

(٦) من هنا تكرار في أ بمقدار سطر .

(٧) في ط زيادة : (حملك على) .

(٨) في ك و ط (أهلهم) .

(٩) اصطناع النعمة والاحسان ، وجمعها : يدي . كعصى . وأيد ـ أيضا ـ . مختار : ٧٤٢ .

فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (انه قد صدقكم) . فقال عمر: دعني أضرب عنق هذا المنافق . فقال : (انه قد شهد بدرا وما يدريك ؟ لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)[1] .

فكان في هذا الكتاب اخبار المشركين بأن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يريد يغزوهم[*] فأعلمه الله بذلك .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال :" نعى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ للناس النجاشي ، في اليوم الذي مات فيه ، فخرج الى المصلى وكبر أربع تكبيرات "[2] . وفي رواية عن جابر قال :" ان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ صلى على أصحمة النجاشي "[3] .

---

(١) رواه البخاري في أكثر من موضع مثل : كتاب المغازي ، باب غزوة الفتح ... ، ٧ : ٥١٩ (٤٢٧٤) من الفتح . ومسلم بنحوه ، كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل أهل بدر ... ، ٤ : ١٩٤١ (٢٤٩٤) .

(*) في ك و ط (غزوهم) .

(٢) رواه البخاري ، كتاب الجنائز ، باب الرجل ينعى الى أهل الميت بنفسه ، ٣ : ١١٦ (١٢٤٥) من الفتح . ومسلم ، كتاب الجنائز ، باب التكبير على الجنازة ، ٢ : ٦٥٦ (٩٥١) .

(٣) رواها البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب موت النجاشي ، ٧ : ١٩١ (٣٨٧٩) من الفتح . ومسلم ، كتاب الجنائز ، باب في التكبير على الجنازة ، ٢ : ٦٥٧ (٩٥٢) .

وفي لفظ من رواية أبي هريرة قال :"قد مات اليوم عبدالله صالح (١) أصحمة (٢) فأمنا وصلى عليه ". وفي رواية عمران بن حصين (٣) قال :" ان أخاكم (٤) قد مات ، فصلوا عليه" يعني النجاشي (٤) .

وروى موسى بن عقبة عن ابن شهاب (٥) ، ورواها عروة بن الزبير ، ومحمد بن اسحاق بمعناه قال :"ثم ان المشركين اشتدوا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كأشد ما كانوا حتى بلغ بالمسلمين الجهد ، واشتد عليهم البلاء ، وأجمعت قريش (٦) في مكرها ، (٧) أن يقتلوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - علانية . فلما رأى أبو طالب عمل القوم ،

---

(١) في أ (عبدالله صالحا) وفي ك (عبدالله صالح) وفي ط (عبدالله الصالح) وقد أثبتنا ما في متن صحيح مسلم .

(٢) رواها البخاري بلفظ : (مات اليوم رجل صالح ، فقوموا فصلوا على أخيكم أصحمة) . كتاب مناقب الأنصار ، باب موت النجاشي ، ٧ : ١٩١ (٣٨٧٧) من الفتح . ومسلم ، واللفظ له ، كتاب الجنائز ، باب في التكبير على الجنازة ، ٢ : ٦٥٧ (٩٥٢) .

(٣) عمران بن حصين : هو ابن عبيد بن خلف الخزاعي ، أبو نجيد ، أسلم عام خيبر ، وصحب ،وكان فاضلا ، وقضى بالكوفة ، مات سنة ٥٢ هـ بالبصرة . تقريب ٢ : ٨٢ .

(٤) في ك و ط (أخا لكم) . وهذا لفظ مسلم .

(٤) رواها مسلم ، كتاب الجنائز ، باب في التكبير على الجنازة ، ٢ : ٦٥٧ (٩٥٣) بمثلها .

(٥) في ك و ط زيادة (قصة الصحيفة) .

(٦) سقطت (في) من ط .

(٧) في ط زيادة : (على) .

جمع بني عبد المطلب ، وأمرهم أن يدخلوا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ شعبهم (١) ، ويمنعوه ممن أراد قتله . فاجتمعوا على ذلك ، مسلمهم وكافرهم ، فمنهم من فعله حمية . ومنهم من فعله ايمانا ويقينا . فلما عرفت قريش أن القوم قد منعوا الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، واجتمعوا على ذلك ، اجتمع (٢) المشركون من قريش ، فأجمعوا (٣) أمرهم أن لا يجالسوهم ، ولا يبايعوهم ، ولا يدخلوا بيوتهم حتى يسلموا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ للقتل ، وكتبوا (٤) في مكرهم صحيفة وعهودا (*) ومواثيق ، لا يقبلوا من بني هاشم أبدا صلحا ، ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموه للقتل . فلبث بنو هاشم في شعبهم

---

(١) الشعب : هو الطريق في الجبل ومسيل الماء في بطن أرض ، والمراد به هنا : شعب بني هاشم بن عبد مناف ، وقد كان منزل بني هاشم . غير مساكنهم ، وهو الذي يعرف بشعب ابن يوسف . سبل الهدى والرشاد ٢ : ٥٠٩ .

(٢) في ك و ط زيادة واو .

(*) في أ و ك (عهود) بغير النصب والأصح بالنصب كما في ط .

(٣) في ط (أجمعوا) .

(٤) الكاتب هو منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف ابن عبد الدار بن قصي ، قال ابن هشام : ويقال : (النضر بن الحارث) والمشهور أنه منصور بن عكرمة ، وهو الذي شلت يده ، فما كان ينتفع بها ، وكانت قريش تقول بينها : انظروا الى منصور بن عكرمة . السيرة لابن هشام ١: ٣٧٦ .والسيرة لابن كثير ٢ : ٤٨ .

ثلاث سنين ، واشتد عليهم البلاء والجهد ، وقطعوا عنهم الأسواق ، فلم يتركوا طعاما يقدم مكة ولا بيعا ، الا بادروهم اليه فاشتروه ، يريدون بذلك أن يدركوا سفك دم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ".

زاد ابن اسحاق في روايته قال :"حتى كان يسمع صوت صبيانهم(١) يتضاغون(٢) من وراء الشِّعب من الجوع ، وعَدَوْا(٣) على من أسلم فأوثقوهم وآذوهم ، واشتد البلاء عليهم ، وعظمت الفتنة ، وزلزلوا زلزالا شديدا".

قال(٣) موسى بن عقبة ـ في تمام حديثه ـ :"وكان أبو طالب اذا أخذ الناس مضاجعهم ، أمر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فاضطجع على فراشه(٥) ، حتى يرى ذلك من أراد مكرا به واغتياله فاذا نوّم الناس أمر أحد بنيه ، أو اخوته ، أو بني عمه ، فاضطجع على فراش رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأمر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يأتي بعض فرشهم فينام عليه . فلما كان رأس ثلاث سنين ، تلاوم رجال من بني عبد مناف ، ومن بني قصي ، ورجال سواهم من قريش ، قد ولدتهم نساء بني هاشم ، ورأوا أنهم قد قطعوا الرحم ،

---

(١) في ك و ط (تسمع أصوات) .

(٢) يتضاغون : يبكون ويصيحون . اللسان ١٤ : ٤٨٥ مادة : ضغا .

(٣) في ك و ط (وغدوا) بالغين المعجمة .

(٣) مفرده : عدا ، أي ظلم وتجاوز الحد ، وهو عاد ، والجمع : عادون . المصباح : ٣٩٧ .

(٤) في ك و ط زيادة (قال) .

(٥) صيغة مبالغة من : نام .

واستخفوا بالحق ، واجتمع (١) أمرهم من (٢) ليلتهم ، على نقض ما تعاهدوا عليه من الغدر والبراءة منه . وبعث الله عز وجل على صحيفتهم التي فيها المكر برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الأرضة (٣) ، فلحست (٤) كل ما كان فيها من عهد وميثاق . ويقال كانت معلقة في سقف البيت ، فلم تترك اسما لله ـ عز وجل ـ فيها الا لحسته ، وبقي ما فيها من شرك أو ظلم أو قطيعة رحم . وأَطْلع الله رسوله ، على الذي صنع بصحيفتهم ، فذكر ذلك رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأبي طالب . فقال أبو طالب : (لا والثواقب (٥) ، ما كذبني (٥)) فانطلق يمشي بعصابة من بني عبد المطلب حتى أتى المسجد ، وهو حافل (٦) من قريش ، فلما رأوهم عامدين (٧) بجماعتهم ، أنكروا ذلك ، وظنوا أنهم أخرجوا (٨) من شدة البلاء ، فأتوهم ليعطوهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ،

---

(١) في أ (واجتمعوا) وما أثبتناه من ك و ط أصح .

(٢) سقطت (من) من ط .

(٣) الأرضة : دودة بيضاء شبه النمل تظهر في أيام الربيع ، وهي ضربان : ١ـ صغار مثل كبار الذر ، وهي آفة الخشب خاصة ، ٢ـ ومثل كبار النمل ذوات أجنحة ، وهي آفة كل شيء من خشب أو نبات غير الرطب . أنظر اللسان ٧ : ١١٣ مادة : أرض .

(٤) من لحس الدود الصوف لحسا ، اذا أكله . المصباح : ٥٥٠ .

(٥) الثواقب : النجوم ، جمع ثاقب ، وهو النجم المضيء . ما كذبني : ما حدثني بحديث كذب . سبل الهدى والرشاد ٢ : ٥١١ .

(٦) أي مجتمعون فيه . المصباح : ١٤٢ .

(٧) عامدين : قاصدين . المصدر السابق : ٤٢٨ .

(٨) في ك و ط (خرجوا) .

فتكلم أبو طالب فقال :" قد حدثت أمور بينكم . لم نذكرها لكم ، فائتوا بصحيفتكم التي تعاهدتم عليها ، فلعله أن يكون بينكم وبيننا صلح ". وانما قال ذلك (١) ، خشية أن ينظروا في صحيفتهم (٢) قبل أن يأتوا بها (٣) . فأتوا بصحيفتهم معجبين بها ، لا يشكون أن الرسول مدفوع اليهم فوضعوها بينهم ، وقالوا : قد آن لكم أن تقبلوا ، وترجعوا الى أمر ، يجمع قومكم ، فانما قطع بيننا وبينكم رجل واحد ، جعلتموه خطرا (٤) ، لهلكة قومكم وعشيرتكم وفسادهم (٥) .

---

(١) سقطت (ذلك) من أ .

(٢) في ك و ط (الصحيفة) .

(٣) في أ و ك (مدفوعا) والصواب الرفع كما في ط وهو ما أثبتناه .

(٤) الخطر : الاشراف على الهلاك . مختار : ١٨٠ .

(٥) في ك (وفسادتكم) وفي ط (وفساد دينكم) .

فقال أبو طالب :" انما أتيتكم لأعطيكم أمرا فيه نصف(١) ، فان ابن أخي أخبرني ولم يكذبني : أن الله ـ عز وجل ـ بريء من هذه الصحيفة ، التي في أيديكم،ومحا كل اسم هو له فيها ، وترك فيها غدركم وقطيعتكم ايانا ، وتظاهركم(٢) علينا بالظلم(٣) ،

---

(١) فيه نصف : فيه عدالة . أنظر مختار : ٦٦٣ .

(٢) تظاهركم : تعاونكم . مختار : ٤٠٦ .

(٣) الذي ورد في رواية ابن اسحاق أن المطعم بن عدي لما قام الى الصحيفة ليشقها فوجد الأرضة قد أكلتها الا (باسمك اللهم) وقال ابن هشام : وذكر بعض أهل العلم : أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال لأبي طالب : (ياعم ، ان ربي الله قد سلط الأرضة على صحيفة قريش ، فلم تدع فيها اسما هو لله الا أثبتته فيها ، ونفت منها الظلم والقطيعة والبهتان ...). وقد جمع الامام محمد ابن يوسف الصالحي بين هاتين الروايتين بأنهم : كتبوا نسخا فأكلت الأرضة من بعض النسخ اسم الله ـ تعالى ـ، اشارة الى أنه ـ تعالى ـ كره فعلهم ذلك فلم تترك اسمه مع ذكر ظلمهم ، وأكلت من بعض النسخ ما عدا اسم الله ـ تعالى ـ اشارة الى أنه ـ تعالى ـ لم يرض هذا الفعل ـ والله أعلم بحقيقة ذلك . السيرة لابن هشام ٢ : ١٦، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ٥٠٨ .

فان كان الحديث الذي قال ابن أخي كما قال ، فأفيقوا (١) ، فوالله لا نسلمه أبدا حتى نموت من عند آخرنا ، وان كان الذي قال باطلا دفعناه اليكم فقتلتموه أو (٢) استحييتموه". قالوا : قد رضينا بالذي تقول ، ففتحوا الصحيفة ، فوجدوا الصادق المصدوق ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد أخبر خبرها ، فلما رأتها قريش كالذي قال أبو طالب . قالوا: والله ان كان هذا الا سحر (٣) من صاحبكم ، فارتكسوا (٤) وعادوا لشر ما كانوا (٥) عليه من كفرهم والشدة على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمسلمين ، وعلى رهطه ، والقيام بما تعاهدوا عليه . فقال أولئك النفر من بني عبد المطلب : ان أولى بالسحر والكذب غيرنا ، فكيف (٦) ترون ؟ فانا نعلم أن الذي اجتمعتم عليه من قطيعتنا أقرب الى الجبت (٧) والسحر من أمرنا ، ولولا أنكم اجتمعتم على السحر ،

---

(١) أفيقوا : استيقظوا وراجعوا عقولكم . أنظر المصباح : ٤٨٤ .

(٢) في أ (واستحييتموه) بالعطف ، والصواب التخيير كما في ك و ط .

(٣) في ط (سحرا) .

(٤) من الركس : وهو رد الشيء مقلوبا ، وبابه نصر . مختار : ٢٥٤ .

(٥) في ط (وعادوا شرا مما كانوا) .

(٦) في ك و ط سقطت الفاء الأولى من (فكيف) .

(٧) الجبت : الصنم والكاهن والساحر ، والسحر ، والذي لا خير فيه . ترتيب القاموس ١ : ٤٣٥ .

(٧) في ك و ط (الخبث) .

لم تفسد صحيفتكم ، وهي في أيديكم ، طمس الله ما كان فيها من اسم ، وما كان فيها من بغي تركه . أفنحن السحرة أم أنتم ؟. فقال عند ذلك النفر من بني عبد مناف ، وبني قصي ورجال من قريش ولدتهم نساء (١) بني هاشم . منهم أبو البختري (٢) ، والمطعم بن عدي (٣) ، وزهير بن أبي أمية

---

(١) في ط زيادة : (من) .

(٢) أبو البختري : هو العاص بن هشام بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤي ، قتل يوم بدر سنة ٢هـ كافرا ، قتله المجذر بن زياد ـ بالذال المعجمة ـ البلوي ـ رضي الله عنه ـ السيرة لابن هشام ١ : ٢٨٣ و ٢ : ٣٦٦ وأسد الغابة ٤: ٢٨٨ ـ ٢٨٩ .

(٣) المطعم بن عدي : هو ابن نوفل بن عبد مناف بن قصي ، هو الذي أجار رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عندما رجع من الطائف ، في المحاولة ـ غير الناجحة ـ لدعوة ثقيف ، مات المطعم قبل الهجرة ، وبكاه حسان بن ثابت : السيرة لابن هشام : ١ : ٢٨٥ و ٢ : ١٤ ـ ٢٠ .

ابن المغيرة (١) ، وزمعة بن الأسود (٢) ، وهشام بن عمرو (٣) ، وكانت الصحيفة عنده ، وهو من بني عامر بن لؤي (٤) في رجال من أشرافهم ووجوههم : نحن براء مما في هذه الصحيفة .

---

(١) زهير بن أبي أمية بن المغيرة : هو ابن عبدالله بن عمرو بن مخزوم ، وأمه : عاتكة بنت عبد المطلب ، وقد أجارته أم هانيء بنت أبي طالب هو والحارث بن هشام يوم الفتح ، وقد بايع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم حنين ، وأعطاه من الغنائم . السيرة لابن هشام ٢ : ١٤ و ٤ : ٥٣ ـ ٥٤ و ١٣٧ ـ ١٣٨ . وأسد الغابة ٢ : ١٠٩ .

(٢) زمعة بن الأسود : هو ابن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، أصيب يوم بدر مع أخويه عقيل والحارث ، وقد قتله ثابت بن الجذع أخو بني حرام ، ويقال : اشترك فيه حمزة وعلي وثابت . السيرة لابن هشام ٢ : ١٥و ١٢٥ و ٣٠٢ و ٣٦٦ .

(٣) هشام بن عمرو : هو ابن ربيعة بن الحارث بن حنيف أو حبيب ابن جذيمة بن مالك بن حِسل بن عامر بن لؤي بن غالب القرشي العامري، ذكره ابن اسحاق في المؤلفة ممن أعطاه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ دون المائة من غنائم حنين ، كان كثر التردد على بني هاشم في الشعب وذكر ابن اسحاق قصته في نقض الصحيفة ومخاطرته في ذلك بنفسه_رحمه الله_. أسد الغابة ٤ : ٦٢٨ ، والاصابة ٣ : ٦٠٥ ـ ٦٠٦ .

(٤) عامر بن لؤي : هو ابن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . جمهرة أنساب العرب : ١٢ .

فقال أبو جهل : هذا أمر قد قضي بليل . وأنشأ أبو طالب يقول في ذلك الشعر في شأن صحيفتهم ، ويمتدح النفر الذين تبرؤا[1] منها ونقضوا ما كان فيها من عهد ، ويمتدح النجاشي[2] . قال موسى بن عقبة : فلما أفسد الله صحيفة مكرهم ، خرج النبي - صلى الله

---

(١) في أ : (تبرأ) وظاهر أن الواو سقطت نسخا .

(٢) وهي اللامية ، وأولها :

خَلِيْلَيَّ ما أذني لأول عاذل ... بصغواء في حق ولا عند باطل

خليلي ان الرأي ليس بشركة ... ولا نهنه عند الأمور البلابل

ولما رأيت القوم لا ود عندهم ... وقد قطعوا كل العرى والوسائل

وقد ذكر منها ابن كثير ٨٣ بيتا ، قال ابن هشام :"هذا ما صح لي من هذه القصيدة ، وبعض أهل العلم بالشعر ينكر أكثرها "، قال ابن كثير :"هذه قصيدة عظيمة بليغة جدا ... وهي أفخل من المعلقات السبع وأبلغ في تأدية المعنى منها جميعا ". وقد انتقده د. مصطفى عبد الواحد على هذا الرأي ، ثم عذره بأنه ليس من أهل النقد أو الخبرة بالشعر ، ثم قال: "والقصيدة تخلو من طابع ذلك العصر في الألفاظ والمعاني والأساليب". السيرة لابن هشام ١ : ٢٩٩ ، وانظر السيرة لابن كثير ١ : ٤٨٦ - ٤٩١ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ٥٠٦ .

عليه وسلم - فعاشوا وخالطوا الناس "(١)(٢).

وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن مسعود(*) قال: " انطلق سعد بن معاذ معتمرا ، فنزل على أمية بن خلف أبي صفوان ، وكان أمية بن خلف اذا انطلق الى الشام فمر بالمدينة ، نزل على سعد بن معاذ . فقال لأمية : (انظر لي ساعة خلوة ، لعلي أن أطوف بالبيت) قال : انتظر . حتى اذا انتصف النهار وغفل الناس انطلقت فطفت . قال : فخرج به قريبا من نصف النهار ، فلقيهما أبو جهل فقال : يا أبا صفوان من هذا معك(٤) ؟ قال : هذا سعد . فقال أبو جهل : (ألا أراك تطوف بالبيت آمنا وقد أويتم الصباة ، وزعمتم أنكم تنصرونهم وتعينونهم ؟ أما والله لولا أنك مع أبي صفوان ما رجعت الى أهلك سالما) . فقال له سعد - وقد رفع صوته عليه - : (لئن منعتني من هذا لأمنعنك ما هو أشد عليك منه ، طريقك على المدينة) .

(*) هو ابن غافل بن حبيب الهذلي ، ابو عبدالرحمن ، من السابقين الأولين ومن كبار العلماء من الصحابة ، مناقبه جمة ، وأمّره عمر على الكوفة ،ومات سنة ٣٢هـ بالمدينة .تقريب١ : ٤٥٠ ،واسدالغابة ٣ : ٢٨٠-٢٨٦.

(١) في ط زيادة : (ومن معه) .

(٢) انظر الدلائل للبيهقي ٢ : ٣١١ - ٣١٥ ، والسيرة لابن هشام ٢ : ١٤ - ١٧ ، وتاريخ الأمم والملوك ٢ : ٣٤١ - ٣٤٣.

(٣) في ك و ط زيادة : (سعد) .

(٤) في ط زيادة : (الذي) .

قال فقال له أمية :"لا ترفع صوتك على أبي الحكم سيد أهل الوادي"[١]. فقال سعد : (دعنا منك يا أمية ، فوالله لقد سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : انه قاتلك . قال : بمكة ؟ قال : (لا أدري) ففزع لذلك أمية فزعا شديدا وقال : (والله ما يكذب محمد) فلما رجع أمية الى أهله قال : (يا أم صفوان ألم تري الى ما قال لي سعد ؟) قالت : وما قال لك ؟ قال : زعم أن محمدا أخبرهم أنه قاتلي ، فقلت له : بمكة ؟ فقال : لا أدري. فقالت[٢] : والله ما يكذب محمد ، فقال أمية : والله لا أخرج من مكة . فلما كان يوم بدر استنصر أبو جهل[٣] * الناس فقال : أدركوا عيركم[٤] ، قال : فكره أمية أن يخرج ، فأتاه أبو جهل * فقال : يا أبا صفوان ، انك متى يراك الناس قد تخلفت ـ وأنت سيد أهل الوادي ـ تخلفوا معك ، فلم يزل أبو جهل حتى قال : اذ غلبتني فوالله لأشترين أجود بعير بمكة[٥] . قال[٦] : يا أم صفوان جهزيني، فقالت له : يا أبا صفوان قد[٧] نسيت ما قال لك أخوك اليثربي ؟ قال : لا ، وما أريد أن أجوز[٨] معهم الا قريبا . قال :

---

(١) في ك زيادة (له) .

(٢) في أ (وقال) والأصوب هو ما في ك و ط وهو المثبت .

(٣) في ك و ط (ستنفر) .

(٤) ما بين النجمتين سقط من أ وقد أثبتناه من ك و ط .

(٥) يعني فاستعد عليه للهرب اذا خفت شيئا . الفتح ٧ : ٢٨٤ .

(٦) في ك و ط زيادة : (أمية) .

(٧) في ك و ط (أوقد) .

(٨) أجوز : أسير . مختار : ١١٧ .

فلما خرج اميـــة جعل لا ينزل منزلا الا عقل بعيره ، فلم يزل كذلك حتى قتله الله ببـــدر (١) .

وعن كعب بن مالك قال : كان أبي بن خلف (٢) أخو بني جمح (٣) ، قد حلف وهو بمكـــة ، ليقتلن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فلما بلغت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حلفته ، قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (بل أنا أقتله ـ ان شاء الله ـ عز وجل ـ) . فأقبل أبي مقنعا (٤) في الحديد ، وهو يقول : لا نجوت ان نجا محمد ، فحمل على رسول اللـــه ـ صلى الله عليه وسلـــم ـ يريد قتلـــه ، فاستقبلـــه مصعـــب بن عميـــر (٥) من بنـــي (٦) عبد الدار (٧) يقي رسول اللـــه

---

(١) أخرجه الامام البخاري بمثله ، في روايتين ، في كتاب المناقب ، باب علامات النبوة ٦٢٩:٦،٠٠ (٢٦٣٢) من الفتح ،وكتاب المغازي . باب ذكر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من يقتل ببدر، ٢٨٢:٧ (٣٩٥٠) من الفتح ،كما أخرج قصة قتله ببدر ، في كتاب الوكالة. باب اذا وكل المسلم حربيا في دار الحرب ٠٠ ،٤٨٠:٤ (٢٣٠١) من الفتح.

(٢) أبي بن خلف : هو ابن وهب بن حذافة بن جمح ،قتله رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بيده ـ كما في هذا الحديث ـ في غزوة أحد سنة ٣هـ . السيرة لابن هشام ٣ : ١٣٥ .

(٣) بنو جمح : بطن من قريش ،وجمح:هو ابن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر . اللباب في تهذيـــب الأنساب ١ : ٢٩١ .

(٤) مقنعا: مغطيا رأسه . انظر مختار :٥٥٣ .

(٥) مصعب بن عمير : هو ابن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي ابن كلاب بن مرة القرشي ،العبدري ،أبو عبدالله ،كان من فضـــلاء الصحابة وخيارهم ،ومن السابقين الى الاسلام ،قتل بأحد شهيدا قتلـه ابن قمئة الليثي ،وله ٤٠ سنة .أسد الغابة ٤٠٥:٤-٤٠٦ والاصابـــة ٣ : ٣٢١ .

(٦) في ك و ط (أخو) .

(٧) عبد الدار هو ابن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالـب ابن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة . جمهرة أنساب العـــرب: ١٢ - ١٤ .

ـ صلى الله عليه وسلم ـ بنفسه ، فقتل مصعب بن عمير ، وأبصر النبي (١) صلى الله عليه وسلم ـ ترقوة (٢) أبي بن خلف من فرجة بين سابغة الدرع (٣) والبيضة (٤) ، فطعنه فيها بحربته (٥) ، فوقع أبي عن فرسه ، ولم يخرج من طعنته دم . فأتاه أصحابه فاحتملوه ، وهو يخور خوار الثور . فقالوا له : ما أجزعك ! انما هو خدش . فذكر لهم قول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :" أنا أقتل أبيا "، ثم قال : والذي نفسي بيده ، لو كان هذا الذي بي بأهل ذي المجاز (٦) لماتوا أجمعون ، فمات الى النار (٧)". ورواه موسى بن عقبة ، عن ابن (٨) شهاب الزهري ، عن سعيد بن

---

(١) في ك و ط (رسول الله) .

(٢) الترقوة : العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق ـ ولا تُضم التاء ـ . مختار : ٧٧ .

(٣) أي الدرع الواسعة . مختار : ٢٨٤ .

(٤) أي الخوذة من الحديد . اللسان ٧٠ : ١٢٧ مادة : بيض .

(٥) الحربة : آلة يقاتل بها . ترتيب ١ : ٦١٠ .

(٦) ذو المجاز : موضع سوق بعرفة بمكة ،على ناحية ماء يقال له : كبكب على مسافة ثلاثة أميال من عرفة ،كانت تقوم به سوق في الجاهلية لمدة ثمانية أيام . انظر معجم البلدان ٥ : ٥٥ .

(٧) انظر الدلائل للبيهقي ،٣:٢٥٨ ـ ٢٥٩ . من رواية عروة بن الزبير. والدلائل لأبي نعيم ٢ : ٦٢٠ ـ ٦٢١ من رواية عروة كذلك .

(٨) سقطت ألف (ابن) في أ .

المسيب (١) (*) ، وذكره الواقدي (٢) باسناده ، وهذا لفظه (٣) . وهو مما ذكره عروة بن الزبير (٤) في مغازيه ، وابن اسحاق (٥) وغيره .

وذكر موسى بن عقبة في مغازية أن عمير بن وهب الجمحي (٦) لما رجع فَلُّ (٧) المشركين الى مكة وقد قتل الله من قتل منهم .

---

(١) وأخرجها ابن سعد في الطبقات الكبرى ٢ : ٤٦ . من رواية سعيد بن المسيب .

(٢) الواقدي : هو محمد بن عمر بن واقد الأسلمي ، مولاهم ، الواقدي ، المدني ، أبو عبد الله ، القاضي ، صاحب التصانيف ، وأحد أوعية العلم ـ على ضعفه ـ كان جوادا مشهورا بالسخاء ، ولي قضاء الجانب الشرقي من بغداد ، ومات وهو على القضاء سنة ٢٠٧ هـ . ميزان الاعتدال ٣ : ٦٦٢ ـ ٦٦٦ ، البداية والنهاية ١٠ : ٢٦١ .

(٣) المغازي للواقدي ١ : ٢٥٠ ـ ٢٥١ .

(٤) السيرة لابن هشام ٣ : ٨٩ .

(٥) في ك و ط (وغيرهما) بالمثنى .

(٥) انظر السيرة لابن كثير ٥ : ٦٣ ـ ٦٤ .

(٦) هو عمير بن وهب بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح القرشي ، أبو أمية ،كان له قدر وشرف في قريش . وهو ابن عم صفوان بن أمية بن خلف ، أسلم ودعا الى الاسلام في مكة ،وشهد غزوة تبوك. أسد الغابة ٣ : ٧٩٧ ، والبداية والنهاية ٥ : ٨ .

(٧) هم المنهزمون . مختار : ٥١٢ .

(*) هو ابن حَزْن (على وزن سهل وبضد معناه) ابن ابي وهب القرشي المخزومي، احد العلماء الأثبات الفقهاء الكبار ، مات سنة ٩٤هـ وله ٧٩ سنة . تقريب ١:٣٠٦ والكاشف ١:٣٧٢ .

أقبل عمير حتى جلس الى صفوان بن أمية[(١)] في الحِجْر[(٢)] . فقال صفوان : قبح الله العيش بعد قتلى بدر . قال : أجل والله ما في العيش خير بعدهم، ولولا دين عليّ لا أجد له قضاء ، وعيال لا أدع لهم شيئا ، لرحلت الى محمد فقتلته ، ان ملأت عيني منه ، فان لي عنده علة اعتل بها ، أقول قدمت على ابني أفدي هذا الأسير[(٣)] . ففرح صفوان بقوله ، وقال له : عليّ دينك ، وعيالك أسوة عيالي في النفقة . فحمله صفوان وجَهَّزه ، وأمر بسيف عمير فصقل وسُمّ ،

---

(١) صفوان : هو ابن خلف بن وهب بن قدامة بن جمح القرشي ، الجمحي ، المكي ، صحابي ، من المؤلفة ، مات أيام قتل عثمان ، وقيل سنة ٤١ هـ أو ٤٢ هـ في أوائل خلافة معاوية ـ رضى الله عنهم ـ . تقريب التهذيب ١ : ٣٦٧ .

(٢) أي حِجْر الكعبة ، وهو ما تركت قريش في بنائها من أساس ابراهيم ـ عليه السلام ـ وحجرت على الموضع ليعلم أنه من الكعبة ، فسمي حجرا لذلك ،
معجم البلدان ٢ :- ٢٢١ .

(٣) في ك و ط (أنني) .

(٣) هو وهب بن عمير بن وهب الجمحي ، شهد بدرا مع المشركين ، ثم أسلم ، وأرسله النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم الفتح الى صفوان بن أمية الجمحي يؤمنه ويدعوه الى الاسلام . قال الحافظ ابن حجر :" والمعروف أن هذه القصة لأبيه . عمير بن وهب .. وذكره البخاري في الصحابة ولم يورد له شيئا ومات وهب بالشام مجاهدا" . اسد الغابة ٤ : ٦٨٦ . الاصابة ٣ : ٦٤٣ .

فأقبل عمير حتى قدم المدينة ، فنزل بباب المسجد ، وعَقَل راحلته ، وأخذ السيف فعمد لرسول[(١)] الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فنظر عمر بن الخطاب اليه[(٢)] وهو في نفر من الأنصار يتحدثون . فقال عمر :"عندكم الكلب ، هذا عدو الله ، الذي حرش بيننا يوم بدر ، وحزرنا للقوم"، ثم قام عمر حتى دخل على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى أن قال : قال[(٤)] رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (ما أقدمك)؟ قال أسيري عندكم ففادونا[(٥)] في أُسرائنا ، فانكم العشيرة والأهل . قال :(فما بال السيف في عنقك ؟) قال عمير : قبحها الله من سيوف ، فهل أغنت عنا شيئا ؟ انما نسيته في عنقي حين نزلت . فقال له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (اصدقني ما أقدمك ؟) قال : ما قدمت الا في أسيري . قال : (فماذا شرطت لصفوان بن أمية في الحِجْر ؟)

---

(١) في ط (الى رسول الله) .

(٢) تقدمت (اليه) قبل (عمر) في ك و ط .

(٣) من الحزر ، وهو التقدير والخرص . مختار : ١٣٣ .

(٤) في ك زيادة :"وذكر الحديث الى أن قال : قاله له" . وفي ط : "وذكر الحديث الى أن قال له" .

(٥) في ك و ط (ففادنا) .

ففزع عمير وقال : ماذا شرطت ؟ قال : (تحملت له بقتلي ، علـــى أن يعول بيتك ويقضي دينك ، والله حائل بينك وبين ذلك) . فقال عمير : أشهد أنك رسول الله ، وأن لا اله الا اللـــه ، كنا نكذبك بالوحي وبما يأتيك من السماء ، وهذا الحديث كان بيني وبين صفوان في الحجـــر ، لم يطلع عليه أحد غيري وغيـــره ، فأخبرك الله بـــه". وذكر بقية الحديـــث (١) .

---

(١) السيرة لابن هشام ٢ : ٣١٦ – ٣١٨ ، مرســلا ، قال ابن حجـــر في الاصابة ٣ : ٣٧ :- وجاء من وجه آخر موصولا ، أخرجه ابن منده من طريق أبي الأزهر ، عن عبد الرزاق عن جعفر بن سليمـــان عن أبي عمران الجوني عن أنس أو غيره ، وقال ابن منـــده : "غريب لا نعرفه عن ابن عمران الا من هذا الوجه". قال الهيثمي: "رواه الطبراني – أي عن محمد بن جعفر بن الزبيـــر – مرسلا واسناده جيد"، ثم أورد له رواية أخرى،وقال بعدهـــا : "رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح". وقد رواها الطبرانـــي عن أبي عمران الجوني ، قال :"لا أعلمه الا عن أنس..." . المجمع ٨ :- ٢٨٦ – ٢٨٧ . وقد حرف فيه اسم (الجونـــي) الى (الحولـــي) وهو عبد الملك بن حبيب الأزدي – ١٢٨ هـ تقريب ١ : ١٥٨ .-

وفي صحيح البخاري عن أنس قال :"بعث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أقواما من بني سُلَيم (١) الى بني عامر (٢) في سبعين (٣) . فلما قدموا قال لهم خالي (٤) : أتقدمكم فان أمنوني حتى أبلغهم عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والا كنتم مني قريبا . فأمنوه (٥) ، فبينما هو يحدثهم عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ اذ أوماوا الى رجل منهم ، فطعنه

---

(١) بنو سليم : نسبة الى سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفه بن قيس عيلان بن مضر ، وهي قبيلة مشهورة ، والمنتسب اليها لا يحصون . اللباب ٢ : ١٢٩ .

(٢) هم بنو عامر بن معصعة بن معاوية بن بكر من هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر . جمهرة أنساب العرب : ٢٧٣ و ٢٨٢ و ٢٨٥ .

(٣) ذكر الحافظ أن هنا وهما : حيث أن المبعوث اليهم بنو عامر ، وأما بنو سليم فغدروا بالقراء وهم السبعون ، والوهم في هذا السياق من حفص بن عمر شيخ البخاري . قال :"ولعل الأصل : (بعث أقواما معهم أخو أم سليم الى بني عامر) . فصارت من بني سليم ، وقد تكلف لتأويله بعض الشراح ...) الفتح ٦ : ١٩ .

(٤) هو حرام بن ـ ملحان ـ مالك بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار الأنصاري النجاري ، شهد بدرا واحدا ، وقتل يوم بئر معونة ـ كما في هذا الحديث ـ سنة ٤ هـ . أسد الغابة ١ : ٤٧٣ والسيرة لابن كثير ٣ : ١٣٩ ـ ١٤٤ .

(٥) في ك و ط زيادة :(فتقدم) .

فانفذه (١) ، قال (٢) :"فزت ورب الكعبـــــة "، ثم مالوا على بقية اصحابه فقتلوهـــم الا رجل (٣) اعرج صعد الجبـــل وآخر معـــــه ، فاخبـــر جبريل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنهم قد لقوا ربهم ، فرضي الله (٤) عنهـــم ، وارضاهم ، فكنا نقرأ : (أن بلغوا عنا قومنا انا لقينـــا ربنا فرضي عنا وأرضانا) ثم نسخ (٥) ، فدعا عليهم اربعين صباحا ، على رِعْـــل (٦) وذكـــوان (٧) ، وبني لِحْيان (٨) وعصيـــــة (٩) الذين عصوا اللـــه ورسوله (٩) . وكان في هؤلاء عامر بن فهيرة (١٠) قال عنه عامر بن الطفيل (١١) ،

---

(١) يفسر ذلك روايتا الطبري عن جبار بن سلمى قال :"٠٠ اني طعنت رجلا منهم يومئذ بالرمح بين كتفيه فنظرت الى سنان الرمح حين خرج من صدره ٠٠٠) وقول أنس : (٠٠٠ فخرج رجل من ظِهر البيت برمح فضرب به في جنبه حتى خرج من الشق الآخر ٠٠٠) تاريـــخ الأمم والملوك ٢ : ٥٤٨ و ٥٥٠.

(٢) في ك و ط (فقال) .

(٣) في ك و ط (رجلا). وما في أ موافق للفظ البخاري . الحديث رقم (٢٨٠١)من الفتح .

(٤) لم يرد اسم الجلالة المعظم في أ .

(٥) في ك و ط زيادة : (بعد) .

(٦) رِعْل :- هم بطن من بني سليم ، ينتسبون الى رعل بن عوف بـــن امرىء القيس من بهتة بن سليم ، والنسبة اليهم :- رعلـــــي. الفتح ٦ : ١٩ ، واللباب ٢ :- ٣١ .

(٧) ذكوان : بطن كبير من سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بـــن قيس عيلان ، وهو ذكوان بن ثعلبة بن بهتة بن سليم . اللباب ١ : ٥٣١ .

(٨) هم بنو لحيان بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار ابن معد بن عدنان . جمهرة أنساب العرب : ١٢ و ١٩٦ . =

. . . . . .

=

(٩) عصية :- هم بطن من امرىء القيس بن بهتة ، وهم بنو عصية ابن خفاف امرىء القيس بن بهتة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان . جمهرة أنساب العرب : ٢٦١ .

(٩) رواه البخاري بمثله ، كتاب الجهاد ، باب من ينكب في سبيل الله ، ٦ : ١٨ - ١٩ (٢٨٠١) من الفتح . ومسلم ، بمعناه ، كتاب الامارة ، باب ثبوت الجنة للشهيد ٣ : ١٥١١ (٦٧٧١) .

(١٠) في ط (لا نظر اليه بين السماء والأرض) .

(١٠) عامر بن فهيرة : هو ابو عمرو ، مولى أبي بكر الصديق ، وكان مولّد من مولدي الأزد ، أسود اللون ،مملوكا لأخي عائشة لأبيها ، كان من السابقين الى الاسلام ، شهد بدرا وأحدا وقتل يوم بئر معونة سنة ٤ هـ وله ٤٠ سنة . أسد الغابة ٣:٣٢-٣٣ .

(١١) لم يذكر نسبه ، ذكره الطبري والترمذي في الصحابة ، وأورده المستغفري في ترجمة عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر الكلابي . وهو خطأ صريح ، فان هذا مات كافرا ، وقصته معروفة ، والظاهر أن المذكور أسلمي ان صح الحديث الذي رواه الطبرى والبغوي في ترجمة عامر بن مالك . قال عبد الله بن بريدة الأسلمى:حدثني عمي عامر بن الطفيل ... . أنظر الاصابة ٢ :- ٢٥١ .

لقد رأيته بعدمـــا قتل رفع الى السماء حتى اني لأنظر الى السمـــاء بينـــه وبين الأرض"(١) .

وفي الصحيحين من حديث أبي حميد الساعدي[٢٨] قال : (خرجنـــا مع رسول اللـــه - صلى اللـــه عليه وسلـــم - في غزوة تبـــوك ،

---

(١) في ط (لأنظر إليه بين السمـــاء والأرض) .

(١) الذي عند البخاري هكذا : (وعن أبي أسامة قال : قال هشـــام ابن عروة فاخبرني أبي قال : "لما قتل الذين ببئر معونة ،وأسر عمرو بن أمية الضمري قال له عامر بن الطفيل : - أي ابن مالك ابن جعفر الكلابي (السفادر) - من هذا ؟ فاشار الى قتيل . فقال له عمرو بن امية - وهو الوحيد الذي لم يقتل - : هـــذا عامر بن فهيرة ، فقال : لقد رأيته بعدما قتل رفع الى السمـــاء حتى اني لأنظر الى السماء بينه وبين الأرض ، ثم وضع) . وهـــذه الرواية في البخاري تابعة للحديث رقم (٤٠٩٣) من بـاب غـــزوة الرجيع ، كتاب المغازي ، ٧ : ٣٨٩ من الفتح .

(٢) ابو حميد الساعدي : هو المنذر بن سعد بن المنذر - او ابـــن مالك - قيل : اسمه ، عبد الرحمن،وقيل : عمرو ، صحابـــــي مشهور شهد احدا وما بعدها ، وعاش الى خلافة يزيد سنة ٦٠هـ تقريب ٢ : ٤١٤ . واسد الغابـــة ٥ : ٧٨ .

فأتينا وادي القرى[١] على حديقة[٢] لامرأة ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (اخرصوها)[٣] فخرصناها ، وخرصها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عشرة أوسق[٤] ، قال : (أحصيها[٥] حتى نرجع اليك - ان شاء الله تعالى[٦] - فانطلقنا حتى قدمنا تبوك ،

---

(١) هو واد بين المدينة والشام ، من أعمال (مناطق) المدينة ، كثير القرى . مراصد الاطلاع ٣ : ١٤١٧ .

(٢) قال البخاري : "قال أبو عبدالله - يعني نفسه - : كل بستان عليه حائط فهو حديقة ، وما لم يكن عليه حائط لم يقل حديقة" الفتح ٣ : ٣٤٤ .

(٣) من الخرص ، وهو حزر ما على النخل من الرطب تمرا . الفتح ٣ : ٣٤٤ .

(٤) الوسق : ستون صاعا ، بصاع النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو خمسة أرطال وثلث . اللسان ، ١٠ : ٣٧٨ مادة : وسق .

(٥) في ك و ط (أحصها) .

(٥) أي احفظي عدد كيلها ، وأصل الاحصاء : العدد بالحصى ، لأنهم كانوا لايحسنون الكتابة ، فكانوا يضبطون العدد بالحصى . الفتح ٣ : ٣٤٥ .

(٦) ليس في ا ولا ك كلمة التقديس .

فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (ستهب عليكم ـ الليلة ـ ريح شديدة ، فلا يقم فيها أحد [١] ، فمن كان له بعير ، فليشد عقاله) فهبت ريح شديدة ، فقام رجل فحملته الريح حتى ألقته بجبل طيء [٢] .

---

(١) في ك و ط زيادة : (منكم) .

(٢) جبل طيء ، هما أجا وسلمى ، بينهما وبين المدينة ثلاث مراحل (٥٠٠ كلم تقريبا) ، وطيء: هو جلهمة بن أود بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبا . معجم البلدان ١ : ٩٤ و ٩٧ .

(٣) رواه البخاري ، بمثله ، كتاب الزكاة باب خرص التمر ، ٣ : ٣٤٣ (١٤٨١) من الفتح . ومسلم بمثله ، كتاب الفضائل باب في معجزات النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ٤ : ١٧٨٥ (١٣٩٢) .

وروى[1] الامام أحمد عن ابن عباس قال :" كان الذي أسر العباس ابن عبد المطلب أبو اليَسَر بن عمرو ، وهو كعب بن عمرو ، أحد بني سلمة[2] . فقال له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (كيف أسرته يا أبا اليَسَر)[3] ؟ فقال : لقد أعانني عليه رجل ما رأيته بعد ولا قبل،هيئته كذا وكذا . فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (لقد أعانك عليه ملك كريم) . وقال للعباس : (يا عباس

---

(١) في أ (ورواه) وهو تحريف ظاهر .

(٢) أبو اليَسَر : هو كعب بن عمرو بن عباد ، السلمي ، الانصاري، صحابي بدري جليل ، مات بالمدينة سنة ٥٥ هـ وقد زاد على المائة . تقريب ٢ : ١٣٥ .

(٣) سبب هذا السؤال ما روي أن ابن عباس قال :" قلت لأبي : كيف أسرك أبو اليسر ، ولو شئت لجعلته في كفك ؟ قال : يا بني لا تقل ذاك ، لقد لقيني وهو أعظم في عيني من الخَنْدَمَة) قال الهيثمي :"رواه الطبراني والبزار ، وفيه علي بن زيد وهو سيء الحفظ ، وبقية رجاله وثقوا". والخندمة : جبل بمكة . وقد كان العباس طويلا جسيما ، وكان أبو اليسر قصيرا . فقد روي عن جابر : أسر العباس فلم يوجد له قميص يقدر عليه) قال الهيثمي :"رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه مسلم بن خالد وهو ضعيف ، وقد وثق" . انظر المجمع ٦ : ٨٥ وأسد الغابة ٤ : ١٨٤ .

افد نفسك ، وابن[1] اخيك عقيل بن ابي طالب ، ونوفل بن الحارث[2] وحليفك عتبة بن حجدم[3] اخو بني الحارث[4] بن فهر[5]) .

قال : (فاني قد كنت مسلما قبل ذلك وانما استكرهوني) . قال : (الله اعلم بشانك ، ان يك ما تدعي حقا فالله يجزيك بذلك ، واما ظاهر امرك فقد كان علينا ، فافد نفسك) وقد كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد أخذ منه عشرين أوقية[6] ذهبا ".

---

(١) في ك و ط (وابني) بالتثنية .

(٢) نوفل بن الحارث : هو ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي ، يكنى أبا الحارث ، وهو ابن عم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان احسن اخوته ، ومن سائر من أسلم من بني هاشم ، آخى الرسول - صلى الله عليه وسلم - بينه وبين العباس ، وكان ممن ثبت يوم حنين، وتوفي بالمدينة سنة ١٥ هـ . أسد الغابة ٤ : ٥٩٤ والاصابة ٣ : ٥٧٧ ، والبداية والنهاية ٧ : ٠٦٢ .

(٣) هو عتبة بن عمرو بن جحدم . السيرة لابن هشام ٣ : ٧ .

(٤) سقط من ط قوله : (وحليفك عتبة بن جحدم اخو بني الحارث) وبقيت (ابن فهر) .

(٥) هم بنو الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة ابن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . جمهرة : ١٢ و ١٧٦ .

(٦) الأوقية سدس الرطل ، وهو جزء من اثني عشر جزءا . اللسان ١٥ : ٤٠٤ مادة : وقي .

فقال : (يا رسول الله ، احسبها لي من فداى . قال : (لا،ذلك شيء أعطانا الله منك) . قال : فانه ليس لي مال . قال : (فاين المال الذي وضعته بمكة ، حين خرجت عند أم الفضل[١] ، وليس معك أحد غيركما ؟ فقلت : إن أصبت في سفري هذا ، فللفضل[٢] كذا ، ولقُثَم[٣] كذا ، ولعبد الله كذا ؟) قال : فو الذي بعثك بالحق ما علم بهذا أحد من الناس غيري وغيرها وانى أعلم انك لرسول الله[٤] .

---

(١) هي لبابة بنت الحارث بن حزن الهلالية ، زوج العباس ، وأخت ميمونة زوج النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال ابن حبان :"ماتت بعد العباس في خلافة عثمان". تقريب ٢ : ٦١٣ .

(٢) الفضل : هو ابن العباس بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي ، ابن عم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وأكبر ولد العباس ، استشهد في خلافة عمر . تقريب ٢ : ١١٠ .

(٣) قثم : هو ابن العباس بن عبد المطلب الهاشمي ، صحابي صغير ، مات سنة ٥٧ هـ . تقريب ٢ : ١٢٣ .

(٤) رواه الامام أحمد في المسند ١ : ٣٥٣ قال الهيثمي :"رواه أحمد ، وفيه راو لم يُسَم ، وبقية رجاله ثقات . ولبعضه شاهد عند أحمد بلفظ : جاء رجل من الأنصار بالعباس قد أسره ، فقال العباس : يا رسول ليس هذا أسرني ، أسرني رجل من القوم أنزع ، من هيئته كذا وكذا ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (قد أزرك الله بملك كريم) . قال الهيثمي :"رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح". المجمع ٦ : ٨٥ ـ ٨٦ .

وفي صحيح البخاري : لما أرسل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الجيش في غزوة مؤتة ، وأمّر عليهم زيد بن حارثة وقال : " ان قتل جعفر (١) فان قتل فعبد الله بن رواحه (٢) " .

---

(١) جعفر : هو ابن أبي طالب الهاشمي ، ذو الجناحين الصحابي الجليل ، ابن عم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ استشهد في غزوة مؤتة سنة ٨ هـ . تقريب ١ : ١٣١ .

(٢) جاء هذا النص في ك و ط مع زيادة في آخره هكذا (عن نافع عن ابن عمر قال : أمر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في غزوة مؤته زيد بن حارثة فان قتل زيد فجعفر ، وان قتل جعفر فعبد الله بن رواحة) . قال ابن عمر : " كنت معهم ففتشته يعني ابن رواحة فوجدنا فيما اقبل من جسده بضعا وسبعين ما بين طعنة ورمية " .

(٣) عبدالله بن رواحة : هو ابن ثعلبة بن امرىء القيس ، الخزرجي الأنصاري ، الشاعر ، احد السابقين ، شهد بدرا ، واستشهد بمؤتة وكان ثالث الامراء بها ، في جمادي الأولى سنة ٨ هـ . تقريب ١ : ٤١٥ ، وسير .. النبلاء ١ : ٢٣٠ ـ ٢٤٠ .

(٢) رواه البخاري ، كتاب المغازي ، باب غزوة مؤتة من أرض الشام ٧ : ٥١٠ (٤٢٦١) من الفتح . ورواه أحمد في المسند ٥ : ٣٠٠ .

فروى (١) البخاري عن أنس بن مالك قال : " نعى (٢) رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ زيدا وجعفرا وابن رواحة للناس ، قبل أن يأتيهم خبرهم ، فقال : (أخذ الراية زيد فأصيب ، ثم أخذها جعفر ، فأصيب ، ثم أخذها عبدالله بن رواحة ، فأصيب ، وان عيني رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لتذرفان ، ثم أخذها خالد بن الوليد (*) ، سيف من سيوف الله ، حتى فتح الله عليهم (٣)) .

(*) هو ابن المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم المخزومي ، يكنى أبا سليمان ، من كبار الصحابة ، وكان اسلامه بين الحديبية والفتح ، وكان أميرا على قتال أهل الردة وغيرها من الفتوح إلى أن مات سنة ٢١ أو ٢٢هـ . تقريب ١ : ٢١٩ . وأسد الغابة ١ : ٥٨٦ ـ ٥٨٧ .

(١) في ك و ط (وروى) .

(٢) أي أخبرهم بموته . الفتح ٧ : ٥١٢ ـ ٥١٣ .

(٣) رواه البخاري ، وليس فيه التصريح بالاسم (خالد بن الوليد) كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب خالد بن الوليد ـ رضي الله عنه ـ ، ٧ : ١٠٠ (٣٧٥٧) وفي المغازي ، باب غزوة موتة من أرض الشام ، ٧ : ٥١٢ (٤٢٦٢) من الفتح .

فصـــل

(آيات النبي المتعلقة بالقدرة والفعل والتأثير)

وآياته (١) ـ صلى الله عليه وسلم ـ المتعلقة (٢) بالقدرة والفعل والتأثير أنواع ، الأول منها : ماهو في العالم العلوي كانشقاق القمر * وحراسة السماء بالشهب الحراسة (٣) التامة (٤) لما بعث ، كمعراجه الى السماء * فقد ذكر الله (٥) انشقاق القمر ، وبين أن الله فعله ، وأخبر به لحكمتين عظيمتين : احد هما (٦) : كونه من آيات النبوة لما سأله المشركون آية ، فأراهم انشقاق القمر .والثانية : أنه دلالة على جواز انشاق الفَلَك (٧) ، وأن ذلك دليل على ما أخبرت به الأنبياء ، من انشقاق السمٰوات ، ولهذا قال ـ تعالى ـ : * اقتربت الساعة وانشق القمر * وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر * وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر * ولقد جاءهم من الأنباء مافيه مزدجر * حكمة بالغة فما تغني النذر * فتول عنهم يوم يدع الداع الى شيء نكر * خشعا أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر (٨) * (٩) .

---

(١) سقطت الواو من ط .
(٢) في ك و ط (المعلقة) .
(٣) مابين النجمتين تقدم في أ فجاء بين كلمة (والتأثير) وكلمة (أنواع).
(٤) في أ (الثابته) .
(٥) لم يرد لفظ الجلالة المعظم في أ .
(٦) في ط (احداهما) .
(٧) أي الاجرام السماوية .
(٨) أي واعظ لهم عن التمادي في الكفر والضلال . صفوة ٢٧ : ٢٨٤ .
(٩) سورة القمر : ١ ـ ٧ .

فذكر اقتراب الساعة وانشقاق القمر ، وجعل الآية في انشقاق القمر[١] دون الشمس وسائر الكواكب ، لأنه أقرب الى الأرض من الشمس والنجوم[٢] ، وكان الانشقاق فيه دون سائر أجزاء الفَلَك[٣] اذ هو الجسم المستنير الذي يظهر فيه الانشقاق ، لكل من يراه ، ظهورا لايُتمارى فيه ، وأنه - نفسه - اذا قبل الانشاق فقبول[٤] محله أولى بذلك ، وقد عاينه الناس وشاهدوه . وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - يقرأ بهذه السورة في المجامع الكبار ، مثل صلاة الجمعة والعيدين ، ليسمع الناس مافيها من آيات النبوة ودلائلها ، والاعتبار بما فيها ، وكل الناس يقر بذلك ولاينكره ، فعلم أن انشقاق القمر كان معلوما عند الناس عامة .

وفي صحيح مسلم : أن عمر بن الخطاب سأل أبا واقد الليثي[٥] : "ماكان يقرأ به[٦] رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الأضحى والفطر"؟ فقال : "كان يقرأ فيهما[٧] بـ (قاف[٨] والقرآن المجيد) واقتربت الساعة وانشق القمر) .

---

(١) سقطت (القمر) من ك .

(٢) فمتوسط بعد القمر عن الأرض مائتين وثمانية وثلاثين الف ميل ،بينما تبعد الشمس عن الارض واحدا وتسعين مليون ونصف مليون ميل . دائرة معارف وجدي ٧ : ٥٠٠ .

(٣) في ط (يظهر الانشقاق فيه) .

(٤) في ط (فقبوله) .

(٥) هو الحارث بن عوف ، من بني ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة الكناني ، اختلف في شهوده بدرا ، يعد في أهل المدينة ،جاور بمكة سنة ومات بها ، ودفن في مقبرة المهاجرين بفَخّ سنة ٦٨ هـ وله ٧٥ أو ٨٥ سنة . أسد الغابة ٥ : ٣٢٥ ، والاصابة ٤ : ٢١٥ - ٢١٦ .

(٦) سقطت " به " من ك .

(٧) في ط فيها بـ (ق) .

(٨) رواه مسلم بمثله ، كتاب صلاة العيدين ، باب مايقرأ به في صلاة العيدين ٢ : ٦٠٧ (٨٩١) .

ومعلوم بالضرورة في مُطَّرِدالعادة أنه لو لم يكن انشق لأسرع المؤمنون به الى تكذيب ذلك ، فضلا عن أعدائه الكفار والمنافقين . ومعلوم أنه كان من أحرص الناس على تصديق الخلق له ،واتباعهم اياه . فلو لم يكن انشق ، لما كان يخبر به ويقرؤه على جميع الناس ، ويستدل به ، ويجعله آية له .

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك قال :" ان أهل مكة سألوا نبي الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر مرتين"(١) .

وعنه قال :" ان أهل مكة سألوا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يريهم آية فانشق القمرفرقتين"(٢) .

---

(١) في ك و ط (فرقتين) .

(١) رواه مسلم ، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، باب انشقاق القمر، ٤: ٢١٥٩ (٢٨٠٢) .وهوبهذا اللفظ ليس عند البخاري خلافا لما ذكر الشيخ المؤلف .

(١) قال الحافظ ابن حجر :"قال العماد ابن كثير : في الرواية التي فيها مرتين نظر ، ولعل قائلها أراد فرقتين . قلت : وهذا الذي لايتجه غيره جمعا بين الروايات ، ثم راجعت نظم شيخنا ـ يقصد : الحافظ أبا الفضل ـ فوجدته ـ يحتمل التأويل المذكور ، ولفظه :

فصار فرقتين فرقة علت وفرقة للطَّوْد منه نزلت
وذاك مرتين بالاجماع والنص والتواتر والسماع

فجمع بين قوله : (فرقتين) وبين قوله : (مرتين) فيمكن أن يتعلق الاجماع بأصل الانشقاق ، لابالتعدد ... وقد أنكر جمهور الفلاسفة انشقاق القمر بحجج لاتستحق أن يلتفت اليها" . انظر الفتح ٧ : ١٨٣ و ١٨٥ .

(٢) رواه البخاري بنحوه ، كتاب مناقب الأنصار باب انشقاق القمر ،٧ : ١٨٢ (٣٨٦٨) من الفتح . ورواه مسلم بنحوه ، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب انشقاق القمر ، ٤ : ٢١٥٩ (٢٨٠٢) .

ورواه الترمذي وزاد فيه (١) : فنزلت ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾ الى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ سحر مستمر ﴾ (٢) (٣) يقول : ذاهب .

وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال :" انشق القمر على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ شِقَّتين (٤) ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ " اشهدوا" (٥) .

وعن ابن مسعود ـ ايضا ـ قال :" رأيت القمر منشقا شقتين بمكة ، قبل مخرج النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ شِقَّة على جبل أبى قُبَيس (٥) ، وشقة على السُّويداء (٦) ، فقال كفار قريش ـ أهل مكة ـ هذا سحر ، سحركم به ابن أبي

---

(١) في ك ز ط (زاد الترمذي) .

(٢) سورة القمر : ١ ـ ٢ .

(٣) سنن الترمذي ، كتاب تفسير القرآن ، باب ومن سورة القمر ، ٥ : ٣٩٧ (٣٢٨٦) بلفظ " مرتين " . قال أبو عيسى :"هذا حديث حسن صحيح".

(٤) الشِّقة : نصف الشيء . مختار : ٣٤٣ .

(٥) رواه البخاري ، كتاب التفسير ، سورة اقتربت الساعة ، باب : " وانشق القمر " وان يروا آية يعرضوا " ، ٨ : ٦١٧ (٤٨٦٤) من الفتح . ومسلم ، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، باب انشقاق القمر ٤ : ٢١٥٨(٢٨٠٠) .

(٦) أبو قُبَيس : هو الجبل المشرف على مكة من شرقيها ، وجهه الى قعيقعان، ومكة بينهما ، وكان يسمى في الجاهلية (الأمين) لأنه استودع فيه الحجر الأسود أيام الطوفان ـ فيما يقال ـ انظر مراصد الاطلاع ١ : ٢٠ .

(٧) قال ابن منظور :"السُّويداء : موضع بالحجاز". وقال ابن حجر :" ناحية خارج مكة عندها جبل". اللسان ٣ : ٢٣١ مادة : سود . والفتح ٧: ١٨٤.

كبشة (١) ، انظروا السُّفار (٢) فان كانوا رأوا مثل مارأيتم ، فقد صدق ، وان لم يكونوا رأوا مثل مارأيتم ، فهو سحر . قال : فسئل السفار ، وقدموا من كل وجه ، فقالوا : (رأينا)،رواه البخاري ومسلم (٣) .

وروى البخاري عن ابن عباس أنه قال :" انشق القمر على زمان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ "(٤).

وروى مسلم عن ابن عمر في قوله ـ تعالى ـ : ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾ (٥) قال : قد كان ذلك على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ انشق القمر فلقتين (٦) ، فلقة من دون الجبل ، وفلقة من خلف الجبل ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ " اللهم أشهد " (٧) .

---

(١) المقصود هو الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأن أبا كبشة أحد أجداده ، وعادة العرب اذا انتقصت نسبت الى جد غامض ، وذكر بعض جماعة من أجداد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من قِبل أبيه ومن قِبل أمه كل واحد منهم يكنى أبا كبشة ، وقيل : هو أبوه من الرضاعة ، واسمه : الحارث بن عبد العزى ، وقيل : هو رجل من خزاعة خالف قريشا في عبادة الأوثان فنسبوه إليه للاشتراك في مطلق المخالفة ، واسمه : وجز بن عامر بن غالب . انظر الفتح ١ : ٤٠ .

(٢) السُّفَّار : جمع مسافر . المصباح : ٢٧٨ .

(٣) بل رواه البيهقي في الدلائل مُفَرَّقا في روايتين كلاهما عن عبد الله ابن مسعود ، الأولى من طريق أبي معمر ، والثانية من طريق مسروق، بمثلهما . انظر الدلائل ٢ : ٢٦٥ و ٢٦٦ ـ ٢٦٧ . ورواه أبو نعيم في الدلائل ١ : ٣٦٩ ـ ٣٧٠ من روايتين كلاهما من طريق مسروق عن ابن مسعود ، ورواه أبو داود الطيالسي في مسنده : ٣٨ (٢٩٥) من طريق أبي الضحى ، قال ابن حجر في مقدمة الفتح : ٥١ :"ورويناها بعلو في (المعرفة) لابن منده ". وليس لهاذين اللفظين أثر عند البخاري ولامسلم خلافا لما ذكره الشيخ المؤلف .

(٤) صحيح البخاري ،كتاب التفسير ،سورة اقتربت الساعة ،باب : " وانشق القمر ..." ٨ : ٦١٧ (٤٨٦٦) من الفتح .

(٥) سورة القمر : ١.

(٦) الفِلْقة : اذا شق القضيب باثنين ،فكل شِق فِلْق ، وفلقة الجَفنة : نصفها ، والكسرة ـ أيضا ـ انظر ترتيب ٣ : ٥٢٠ .

(٧) رواه مسلم بنحوه ، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب انشقاق القمر ٤ : ٢١٥٩ (٢٨٠١) .

وعن جبير بن مطعم قال :" انشق القمر ونحن بمكة ،حتى صار فرقتين على هذا الجبل ، (١) وعلى هذا الجبل . فقال الناس : سحرنا محمد (٢)! قال رجل: ان كان سحركم فلم يسحر الناس كلهم"، رواه الترمذي (٣) .

وكذلك صعوده ليلة المعراج الى مافوق السمٰوات ، وهذا مما تواترت به الأحاديث ، وأخبر به القرآن ، أخبر بمسراه ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ، وهو بيت المقدس ، وفي موضع آخر بصعوده الى السموات فقال ـ تعالى ـ : ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلا ، من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ، الذي باركنا حوله ، لنريه من آياتنا ، انه هو السميع البصير﴾ (٤) فأخبر ـ هنا ـ بمسراه ليلا بين المسجدين ، وأخبر أنه فعل ذلك ، ليريه من آياته .

---

(١) في ك و ط زيادة : (فقال) .

(٢) في ط زيادة الجملة الدعائية . وليست في محل مناسب .

(٢) سنن الترمذي ، كتاب تفسير القرآن ، باب ومن سورة القمر ، ٥ : ٣٩٨ (٣٢٨٩) .

(٣) قال الحافظ ابن كثير عن انشقاق القمر في عهد النبوة : " ... ثبت ذلك في الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة ... وهذا أمر متفق عليه بين العلماء ... وأنه كان احدى المعجزات الباهرات " .تفسير القرآن العظيم ٧ : ٤٤٧ .

(٤) سورة الاسراء : ١.

ومعلوم أن الأرض قد رأى سائر[1] الناس مافيهامن الآيات ، فعلم أن ذلك ليريه آيات لم يرها عموم الناس ، كما قال في السورة الأخرى : * أفتمارونه[2] على مايرى * ولقد رآه نزلة أخرى * عند سدرة المنتهى[3] * عندها جنة المأوى * اذ يغشى السدرة مايغشى * مازاغ البصر وماطغى * لقد رأى من آيات ربه الكبرى[4] * .

وفي الصحيحين عن ابن عباس في قوله ـ تعالى ـ : * ... وماجعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس ...*[5] قال :"هي رؤيا عين ، أريها النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليلة أسريَ به"[6].

---

(١) سقطت (سائر) من ك و ط .

(٢) أفتمارونه : أفتجادلونه . صفوة ٢٧ : ٢٧٣ .

(٣) قال المفسرون : هي التي في السماء السابعة قرب العرش ، والسدرة شجر النبق،تنبع من أصلها الأنهار ، وهي عن يمين العرش ، وسميت سدرة المنتهى لأنه ينتهي اليها علم الخلائق وجميع الملائكة ، ولايعلم أحد ماوراءها إلا الله ـ عز وجل ـ . المصدر والموضع السابق .

(٤) سورة النجم : ١٢ ـ ١٨ .

(٥) سورة الاسراء : ٦٠ .

(٦) رواه البخاري ، كتاب التفسير ، سورة بني اسرائيل (الاسراء) باب : " وماجعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس" ٨٠ : ٣٩٨ .(٤٧١٦) من الفتح . ورواه الترمذي ، كتاب تفسير القرآن ، باب ١٨ ، ومن سورة بني اسرائيل ٥ : ٣٠٢ (٣١٣٤) . والظاهر أنه ليس عند مسلم ، خلافا لما قال الشيخ المؤلف .

فكان[1] في اخباره بالمسرى (لنريه من آياتنا)[2] بيان أنه رأى من آياته مالم يره الناس ، وقد بين ذلك في السورة الأخرى ، فانه[3] رأى جبريل عند سدرة[4] المنتهى * عندها جنة المأوى * اذ يغشى السدرة مايغشى[5] * وأنه رأى بالبصر آيات ربه الكبرى . وذكر في تلك السورة المسرى ، لأنه أمكنه أن يقيم[6] عليه برهانا . فانه لما أخبرهم به ، فكذبه من كذبه ، وتعجبوا من ذلك ، سألوه عن نعته وصفته[7] ، فنعته لهم ، لم يخرِم[8] من النعت شيئا ، وأخبر خبر عيرهم[9] التي كانت في الطريق[10] ، فظهر لهم صدقه[11] ، وكان صدقه في هذا آية على صدقه فيما غاب عنهم ، وكان قطع المسافة البعيدة في الزمان اليسير لأجل ما أراه[12] من الآيات التي تختص برؤيتها الأنبياء .

---

(١) في ك : " وكان " وفي ط : " كان " .

(٢) في ك و ط : " لنريه من آياته " .

(٣) في ك و ط : " وانه " .

(٤) في ك و ط بالتعريف (السدرة) .

(٥) سورة النجم : ١٦ – ١٧ .

(٥) فسرها ابن مسعود بأنه : فَراش من ذهب . وذلك في حديث تفرد به مسلم، كتاب الايمان ، باب ذكر سورة المنتهى ١ : ١٥٧ (١٧٣) . ذكر ذلك الحافظ ابن كثير في تفسيره ٧ : ٤٢٩ .وروى الطبراني حديثا عن أبي هريرة أو غيره – شك أبو جعفر الرازي – أحد الرواة – قال :"... فغشيها نور الخَلاق ، وغشيتها الملائكة أمثال الغربان حين يقعن على الشجر ..." . جامع البيان ٢٧ – ٥٦ .

(٦) في أ (يقم) والصواب ما أثبتناه من ك و ط .

(٧) في ك و ط (صفاته) .

(٨) أي لم ينقص ولم يقطع . مختار : ١٧٤ .

(٩) العِيْر : هى الابل التي تحمل الطعام ، ثم غلب على كل قافلة . المصباح ٢ : ٤٤٠ .

(١٠) سيأتي اثبات ذلك ص : ٧٤٤ .

(١١) في ك (صدقهم) .

(١٢) في ك و ط (مارآه) .

وبهذا تميز عمن يقطع المسافة كرامة لولي ، أو بتسخير(١) الجن ، كما في قصة بلقيس حيث : ﴿ قال عفريت من الجن(٢) أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك(٣) واني عليه لقوي أمين . قال الذي عنده علم من الكتاب : أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك ...﴾(٤) فان قَطْع الجسم للمسافة البعيدة انما كان لِمَا أوتيه سليمان من الملك ، كما كانت الريح : ﴿... تجري بأمره رخاء حيث أصاب﴾(٥) والشياطين كل بناء وغواص﴿ وآخرين مقرنين في الأصفاد﴾(٦) وهذا تسخير ملكي .

وقَطْعُ ـ محمد صلى الله عليه وسلم ـ(٧) كان لما أراه الله من الآيات التي ميّزه بها على سائر النبيين ، وكان ذلك فتنة(٨) : أي محنة وابتلاء للناس ، ليتبين من يؤمن به ممن يكذبه . وأحاديث المعراج ، وصعوده الى

---

(١) في ك و ط (تسخيرا) .

(٢) أي مارد من مردة الجن . صفوة ١٩ : ٤٠٩ .

(٣) اي مجلس الحكم ، وكان يجلس من الصبح الى الظهر في كل يوم ، وكان غَرَضُه أن يأتيه به في أقل من نصف نهار . المصدر والموضع السابق .

(٤) قال المفسرون : هو " آصف بن برخيا " وكان من الصديقين ، يعلم اسم الله الأعظم . وهو الذي اتى بالعرش بلمح البصر . انظر المصدر والموضع السابق .

(٤) سورة النمل : ٣٩ ـ ٤٠ .

(٥) المعنى : تسير بأمره لينة طيبة ، حيث قصد وأراد . المصدر السابق ٢٣ : ٦٠ .

(٦) سورة ص : ٣٦ ـ ٣٨ .

(٧) أي قطعه المسافة في الاسراء .

(٨) اللسان ١٣ : ٣١٧ مادة : فتن .

مافوق السموات ، وفرض الرب عليه الصلوات الخمس حينئذ ، ورؤيته لما رآه من الآيات (١) ، والجنة ، والنار ، والملائكة والأنبياء في السموات ، والبيت المعمور ، وسدرة المنتهى وغير ذلك ، معروف متواتر في الأحاديث ، وهذا النوع لم يكن لغيره من الأنبياء مثله . يظهر به تحقيق قوله - تعالى - : ﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ، منهم من كلم الله ، ورفع بعضهم درجات ، وآتينا عيسى بن مريم ، البينات وأيدناه بروح القدس (٢) ... ﴾ .

فالدرجات التي رُفِعَها محمد ليلة المعراج ، وسيُرْفَعها في الآخرة ، في المقام (٣) المحمود ، الذي يغبطه به الأولون والآخرون ، الذي ليس لغيره مثله (٤) .

ففي الصحيحين من حديث أنس بن مالك ، عن مالك بن صعصعة (٥) ، وأبي ذر

---

(١) البيت المعمور : في السماء السابعة ، يطوف به أهل السماء السابعة كما يطوف أهل الأرض بكعبتهم ، وقد وجد الرسول - صلى الله عليه وسلم - ابراهيم الخليل مسندا ظهره الى البيت المعمور ، وفي كل سماء بيت يصلي اليه أهلها ، والذي في السماء الدنيا يقال له : بيت العزة . انظر تفسير القرآن العظيم ٧ : ٤٠٣ - ٤٠٤ .

(٢) روح القدس : هو جبريل - عليه السلام . تفسير القرآن العظيم ١ : ٤٤٩ .

(٢) سورة البقرة : ٢٥٣ .

(٣) في ك و ط (كالمقام) .

(٤) في ك و ط (مثلها) .

(٥) مالك بن صعصعة : هو ابن وهب بن عدى بن مالك بن عدي بن عامر ابن غنم بن عدي بن النجار ، الأنصاري الخزرجي ، ثم المازني . روى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - حديثين ، وكأنه مات قديما . أسد الغابة ٤ : ٢٥١ ، والاصابة ٣ : ٣٤٦ ، وتقريب ٢ : ٢٢٥ .

ومن رواية ابن عباس ، وأبي[(١)] حبّة الأنصاري[(٢)] وغيرهم .

فروى أنس : أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : " أتيت بالبُرَاق ، وهو دابة أبيض طويل ، فوق الحمار ودون البغل ، يضع حافره عند منتهى بصره " قال : " فركبته حتى أتيت بيت المقدس[(٣)] " قال : " فربطته بالحلقة التي تربط بها الأنبياء " قال : " ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت ، فجاءني جبريل بإناء من خمر ، وإناء من لبن ، فاخترت اللبن ، فقال : جبريل ـ عليه السلام ـ " اخترت الفطرة " ثم عرج بنا إلى السماء ، فاستفتح جبريل ، فقيل من أنت ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال: محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ قيل : وقد[(٤)] بعث اليه[(٥)] ؟ قال : قد بعث اليه . قال : ففتح لنا ، فاذا أنا بآدم ، فرحب بي ودعا لي بخير[(٦)] . ثم عرج بنا الى السماء الثانية ، فاستفتح جبريل ـ عليه السلام ـ فقيل : من أنت ؟ قال:جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ.قيل : و بعث اليه[(٧)] ؟ قال : قد بعث اليه . قال : ففتح لنا ، فاذا أنا بابنَيْ الخالة ، عيسى ويحيى بن زكريا ـ عليهما السلام ـ ، فرحبا بي ، ودعوا لي بخير[(٨)] .

---

(١) في أ (وأبا) والأصوب ما أثبتناه من ك و ط .

(٢) أبو حبة الأنصاري : هو الأوسي البدري ، قيل : اسمه عامر ، وقيل : مالك ، وكذلك وقع الاختلاف في كنيته هل أبو حبة بالباء أم بالنون أم بالياء ، وصوب أبو عمر بن عبد البر أنه بالباء ـ الموحدة التحتية ـ وقد خلط بينه وبين آخر استشهد يوم أحد ، ورُجح أنه غيره ، وأن هذا تأخر الى أيام معاوية . أسد الغابة ٥ : ٦٥ ، وتهذيب التهذيب ١٢ : ٦٦ ـ ٦٧ .

(٣) في أ (القدس) .

(٤) في ط زيادة همزة الاستفهام هكذا (أوقد) .

(٥) سقطت (قد بعث اليه) من أ .

(٦) سقطت (بخير) من ك و ط .

(٧) في ك (قد بعث) وفي ط (أو قد بعث) .

(٨) في ك و ط (الخير) .

ثم عرج بي الى السماء الثالثة ، فاستفتح جبريل : فقيل : من أنت ؟ قال(١) : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ.قيل: وقد(٢) بعث اليه ؟ قال : قد بعث اليه ، ففتح لنا ، فاذا أنا بيوسف ـ عليه السلام ـ واذا هو قد أعطي شطر الحُسن(٣)(٤) ، قال : فرحب بي ، ودعا لي بخير. ثم عرج بنا الى السماء الرابعة ، فاستفتح جبريل ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، قيل : وقد بعث اليه ، قال : قد بعث اليه . ففتح لنا ، فاذا أنا بإدريس ـ صلى الله عليه وسلم ـ فرحب(٥)(٦) ودعا لي بخير : قال الله ـ عز وجل ـ : ﴿ ورفعناه مكانا عليا(٧) ﴾ . ثم عرج بنا الى السماء الخامسة ، فاستفتح جبريل ـ عليه السلام ـ فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، قيل : وقد(٨) بعث اليه ؟ قال : قد بعث اليه ،

---

(١) في أ (قال) والأصوب ما أثبتناه من ك و ط .

(٢) في ط (أوقد) .

(٣) في ط زيادة : (بن) .

(٤) قال ابن حجر : " حمله ابن المنير على أن المراد : أن يوسف أعطي شطر الحسن الذي أوتيه نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ.والذي دعاه الى ذلك ماروواه الترمذي عن قتادة قال :"مابعث الله نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت ، وكان نبيكم حسن الوجه حسن الصوت .." الشمائل المحمدية : ٢٥٤ (٣٠٣) وهو أثر مرسل " قلت : والذي أرجحه أن جمال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحسنه كان معتدلا لم يخرج عن حدوده المألوفة في زمنه ، بخلاف جمال يوسف ـ عليه السلام ـ فقد شبهه نسوة امرأة العزيز بالمَلَك ، وقَطّعن أيديهم . كما في سورة يوسف : ٣١ ، ولم يرد فيما أعلم عن أحد ممن لقى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من العرب أو العجم من وصف حسنه وجماله بذلك . انظر الفتح : ٧ : ٢١٠ .

(٥) في ط (أوقد) (٦) في ط زيادة : (بي) .

(٧) سورة مريم : ٥٧.

(٨) في ك (فقيل) . وفي ط (فقيل أوقد) .

ففتح لنا ،فاذا أنا بهارون ـ صلى الله عليه وسلم ـ (١) فرحب ودعا لي (٢) بخير . ثم عرج بنا الى السماء السادسة ، فاستفتح جبريل ـ عليه السلام ـ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل : قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، قيل : أوقد بعث اليه ؟ قال : قد بعث اليه ، ففتح لنا فاذا أنا بموسى ـ عليه السلام ـ ، فرحب ودعا لي (٣) بخير . ثم عرج بنا الى السماء السابعة ، فاستفتح جبريل ـ عليه السلام ـ ، فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، قيل : وقد بعث (٤) اليه ؟ قال قد بعث اليه ، ففتح لنا ، فاذا أنا بإبراهيم ـ صلى الله عليه وسلم ـ مسند (٥) ظهره الى البيت المعمور ، واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لايعودون اليه . ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى ، فاذا ورقها كآذان الفيلة ، واذا ثمرها كالقِلال (٦) قال : فلما غشيها من أمرالله ما غشى (٧) ، تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها . فأوحى الله إلى (٨) ما أوحى، ففرض على خمسين صلاة في كل يوم وليلة . فنزلت الى موسى ـ عليه السلام ـ فقال : مافرض ربك على أمتك ؟ قلت خمسين صلاة . قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف ، فان أمتك لاتطيق (٩) ذلك ، فاني قد بلوت (١٠) بني اسرائيل وخبرتهم (١١).

---

(١) في ك و ط (عليه السلام). (٢) في ك و ط زيادة (بي) .

(٣) في ط زيادة : (بي) .

(٤) في ط (أوقد) .

(٥) في ط (مسند) بغير النصب .

(٧) في ط (غشيها) .

(٦) القلال : الجرار، يريد أن ثمرها في الكبر مثل القلال ، وكانت معروفة عند المخاطبين فلذلك وقع التمثيل بها . وهي التي وقع تحديد الماء الكثير بها في قوله : " اذا بلغ الماء قلتين " . الفتح ٧ : ٢١٣ .

(٨) لم يرد لفظ الجلالة المعظم في أ .

(٩) في ك و ط (يطيقون) .

(١٠) بلوت : جربت واختبرت.مختار : ٦٥ .

(١١) خبرتهم : علمتهم وعرفتهم : انظر مختار : ١٦٨ .

قال : فرجعت الى ربي فقلت : رب خفف عن أمتي ، فحط عني خمسا . فرجعت الى موسى ـ عليه السلام ـ ، فقلت : حط عني خمس[١] . قال : فان أمتك لايطيقون ذلك ، فارجع الى ربك فاسأله التخفيف . قال : فلم أزل أرجع بين ربي[٢] ـ تبارك وتعالى ـ وبين موسى ـ عليه السلام ـ ، حتى قال لي : يامحمد ، انهن خمس صلوات كل يوم وليلة ، لكل صلاة عشر ، فتلك خمسون صلاة ، ومن هَمّ بحسنة فلم يعملها ، كتبت له حسنة ، فان عملها كتبت له عشرا[٣] ، ومن هم بسيئة فلم يعملها ، لم تكتب شيئا ، فان عملها كتبت سيئة واحدة . قال: فنزلت حتى انتهيت الى موسى ـ عليه السلام ـ فأخبرته . قال : ارجع الى ربك فاسأله التخفيف . فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " فقلت :قد رجعت الى ربى حتى استحييت منه " . وفي رواية : قال : " فأُتيت فانطلق بي الى زمزم فشرح عن صدرى ، ثم غسل بماء زمزم ، ثم أنزلت طست من ذهب ، مملوءة حكما[٤] وايمانا ، فحشى بها صدري " وفي رواية " فشق من النحر الى مراق[٥] البطن " وقال ـ عن البيت المعمور ـ : " فقلت : ماهذا ؟ قال : بناء بناه الله لملائكته يدخل فيه كل يوم سبعون ألف ملك ، يقدسون الله ، ويسبحونه ، لايعودون اليه " وفي حديث أبي ذر : " فنزل جبريل ففرج[٦] صدري ، ثم غسله بماء زمزم ، ثم جاء بطست من ذهب ، ممتليء حكمة وايمانا ، فأفرغها في صدري ،ثم أطبقه ثم أخذ بيدي ، فعرج بي الى السماء الدنيا ، فلماجئنا السماء الدنيا ، قال جبريل لخازن سماء الدنيا : افتح ، قال : من هذا ؟ قال : جبريل[٧] . قال : هل معك أحد ؟ قال : نعم معي محمد[٨] ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلما علونا السماء ، فاذا رجل عن يمينه أسودة ،

---

(١) في ك و ط (خمسا) .
(٢) في ك و ط زيادة : (يدي)
(٣) في ك و ط (عشر) بدون نصب .
(٤) في ك و ط (حكمة) .
(٥) في ط (مرافق) .
(٦) في ط (فشرح) .
(٧) في ك و ط زيادة : " هذا " .
(٨) في ط (رسول الله) .

وعن يساره أسودة ، قال : فاذا نظر عن يمينه ضحك ، واذا نظر عن شماله[(١)] بكى . قال : مرحبا بالابن الصالح ، والنبي الصالح . قال : قلت : ياجبريل من هذا ؟ قال : هذا آدم[(٢)] ، وهذه الأسودة عن يمينه وعن شماله نَسَمُ بَنِيْهِ[(٣)] ، فأهل اليمين أهل الجنة والأسودة التي عن شماله أهل النار[(٤)] " .

قال الزهري :"وأخبرني ابن حزم[(٥)] أن ابن عباس وأبا حبة الأنصاري يقولان : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " ثم عَرَجَ[(٦)] بي حتى ظهرت بمستوى أسمع منه[(٧)] صريف الأقلام[(٨)] " .

---

(١) في ك و ط " قبل " .

(٢) سقطت (هذا) من ك و ط .

(٣) أي نفوسهم وأرواحهم . انظر مختار : ٦٥٨ واللسان ١٢ : ٥٧٣ مادة :نسم.

(٤) لفظ هذا الحديث هو بمثل لفظ مسلم ، مجموع من روايتين ، كتاب الايمان باب الاسراء برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى السماوات وفرض الصلوات ، ١ : ١٤٥ ـ ١٤٩ (١٦٢ ـ ١٦٣) . ورواه البخاري بلفظ آخر ، في كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة ، ٦ : ٣٠٢ ـ ٣٠٣ (٣٢٠٧) وفي كتاب مناقب الانصار ، باب المعراج ، ٧ : ٢٠١ ـ ٣٠٢ (٣٨٨٧) من الفتح .

(٥) ابن حزم : هو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري النجاري المدني ، القاضي ، اسمه وكنيته واحد ، وقيل : انه يكنى ابا محمد ، ثقة عابد مات سنة ١٢٠ هـ وقيل غير ذلك . تقريب ٢ : ٣٩٩ .سيرة النبلاء ٥ : ٣١٣ ـ ٣١٤ .

(٦) الضمير المستتر هنا يعود الى جبريل ـ عليه السلام ـ وضبط الكلمة من الصحيح .

(٧) في ك و ط "فيه".

(٨) ظهرت ، علوت ، المستوى : قيل : المصعد ، وقيل : المكان المستوى . وصريف الأقلام : تصويتها حال الكتابة . انظر شرح النووي لمسلم ٢:٢٢١.

(٨) صحيح مسلم ، كتاب الايمان ، باب الاسراء ... ، ١ : ١٤٩ (١٦٣) .

وفي صحيح مسلم ، عن عبد الله بن مسعود قال : " لما أسري برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ انتهى به الى سدرة المنتهى ، وهي في السماء السابعة ، اليها ينتهي مايعرج به من الأرض ، فيقبض منها ، واليها ينتهي مايهبط به من فوقها ، فيقبض منها قال : ﴿ اذ يغشى السدرة مايغشى ﴾ (١) قال: فَرَاش من ذهب ، قال : فأعطي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثلاثا : أعطي الصلوات الخمس ، وأعطي خواتيم سورة البقرة (٢) ، وغفر لمن لم يشرك بالله شيئا من أمته المقحمات (٣) " . وعنه (٤) في قوله ـ عز وجل ـ: ﴿ فكان قاب قوسين أو أدنى ﴾ (٥) قال (٦) : ان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ رأى جبريل في صورته (٧) له ستمائة جناح (٨) " .

---

(١) سورة النجم : ١٦ .

(٢) في ك و ط (لا) .

(٣) المقحمات : هي الذنوب العظام الكبائر ، التي تهلك أصحابها ، وتوردهم النار وتقحمهم اياها . والتقحم : الوقوع في المهالك . ومعنى هذه الجملة : من مات من هذه الأمة غير مشرك بالله ـ تعالى ـ غفر له المقحمات . والمراد بالغفران ـ هنا ـ فيما يرجح ـ : عدم الخلود في النار بخلاف المشركين ، وليس المراد أنه لايعذب أصلا . شرح النووي لمسلم ٣ : ٠٣ .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الايمان ، باب في ذكر سدرة المنتهى ، ١ : ١٥٧ (٢٧٩) . الا أن فيه تقديم " من أمته " على كلمة " شيئا " .

(٤) أي عن ابن مسعود ـ أيضا ـ .

(٥) سورة النجم : ٠٩ .

(٦) في أ (قال النبي) وفي ط (أن النبي) وقد صوبناهما من ك .

(٧) في ط زيادة الواو هنا .

(٨) رواه مسلم ، كتاب الايمان ، باب في ذكر سدرة المنتهى ، ١ : ١٥٨ (١٧٤) ورواه البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب اذا قال أحدكم أمين ... ، ٦ : ٢١٣ (٣٢٣٢ و ٣٢٣٥) . مجموع من روايتين ، من الفتح .

وفي الصحيحين ،عن جابر بن عبد الله : أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : " لما كذبتني قريش ، قمت في الحِجْر ، فجلّى[1] الله لي بيت المقدس ، فطفقت[2] أخبرهم عن آياته وأنا أنظر اليه[3] " .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " لقد رأيتني في الحِجر . وقريش تسألني عن مسراي، فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها[4] ، فكربت كربة ، ماكربت مثلها[5] قط " قال : " فرفعه الله لي[6] أنظر اليه ، مايسألوني عن شيء الا أنبأتهم به[7] " .

---

(١) أي كشف الحجب بيني وبينه حتى رأيته . الفتح ٧ : ٢٠٠ .

(٢) طفق بمعنى جعل . مختار : ٢٩٤ .

(٣) رواه البخاري ، كتاب مناقب الانصار ،باب حديث الاسراء ، ٧ : ١٩٦ (٣٨٨٦) من الفتح . ومسلم ، كتاب الايمان ، باب ذكر المسيح بن مريم والمسيح الدجال ، ١ : ١٥٦ (١٧٠) .

(٤) أي لم أحفظها ولم أضبطها لاشتغالي بأهم منها . تعليق عبد الباقي على مسلم ١ : ١٥٧ .

(٥) في المتن عند مسلم (مثله) قال الشارح : والضمير في (مثله) يعود على معنى الكربة ، وهو الكرب أو الغم أو الهم أو الشيء ، ... والكربة الغم الذي يأخذ بالنفس . شرح النووي لمسلم ٢ : ٢٣٨ .

(٦) في ك و ط (إلي) .

(٧) صحيح مسلم ، كتاب الايمان ، باب ذكر المسيح بن مريم والمسيح الدجال ، ١ : ١٥٦ ـ ١٥٧ (١٧٢) وبقية الحديث : " ... وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء ... " فذكر موسى وعيسى وابراهيم ، وأنه صلى بهم ثم سلم عليه (مالك) ـ عليه السلام ـ صاحب النار ، وان مالكا ابتدأه بالسلام".

وصعود الأدمي ببدنه الى السماء قد ثبت في أمر المسيح ، عيسى بن مريم - عليه السلام - ، فإنه صعد إلى السماء ، وسوف ينزل إلى الأرض . وهذا مما يوافق النصارى عليه المسلمين ، فإنهم يقولون : إن المسيح صعد الى السماء ببدنه وروحه ، كما يقوله المسلمون ويقولون : إنه سوف ينزل إلى الأرض - أيضا - ، كما يقوله المسلمون ، وكما أخبر به النبي - صلى الله عليه وسلم - في الأحاديث الصحيحة . لكن كثيرا من النصارى يقولون : انه صعد بعدأن صلب ، وأنه قام من القبر . وكثير من اليهود يقولون : إنه صلب ، ولم يصعد ، ولم يقم من قبره . وأما المسلمون ، وكثير من النصارى فيقولون : إنه لم يصلب ، ولكن صعد الى السماء بلا صلب .

والمسلمون ومن وافقهم من النصارى ، يقولون : إنه ينزل إلى الأرض قبل القيامة ، وان نزوله من أشراط الساعة ، كما دل على ذلك الكتاب والسنة . وكثير من النصارى يقولون : إن نزوله هو يوم القيامة ، وانه هو الله الذي يحاسِب الخلق . وكذلك إدريس صعد إلى السماء ببدنه ، وكذلك عند أهل الكتاب أن إلياس صعد إلى السماء ببدنه .

---

(١) في ك و ط زيادة : (قلت) .
(٢) (كثيرا) جاء في أ بغير النصب وكذلك في ك . والأولى ما أثبتناه من ط .
(٣) في ط (كثيرا) .
(٤) سقطت (يصعد ولم) من ك و ط .
(٥) في ك زيادة : (ومن وافقهم) .
(٦) في ط (كثيرا) .

ومن أنكر صعود بدن إلى السماء من المتفلسفة فعُمدته[1] شيئان : أحدهما : أن الجسم الثقيل[2] لايصعد ، وهذا في غاية الضعف ، فإن صعود الأجسام الثقيلة الى الهواء مما تواترت به الأخبار في أمور متعددة ، مثل عرش بلقيس الذي حمل من اليمن الى الشام في لحظة[3] ولما[4] قال سليمان :* يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها ، قبل أن يأتوني مسلمين . قال عفريت من الجن : أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك ، واني عليه لقوي أمين * قال الذي عنده علم من الكتاب : أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال : هذا من فضل ربي ، ليبلوني أأشكر أم أكفر ؟ ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ، ومن كفر فإن ربي غني كريم * قال نكروا لها عرشها ، ننظر: أتهتدي أم تكون من الذين لايهتدون[5] * ومثل حمل الريح لسليمان ـ عليه السلام ـ وعسكره ، لما كان يحمل البساط في الهواء ، وهو جالس عليه بأصحابه ومثل حمل قرى قوم لوط[6] ، ثم إلقائها في الهواء ، ومثل المسرى الى بيت المقدس الذي ظهر صدق الرسول بخبره .

---

(١) عمدته : معتمده ومقصوده الأعظم . المصباح : ٤٢٩ .

(٢) في ط (الصقيل) .

(٣) في أ رسمت (الحظة) بزيادة الف في أولها ، وهو خطأ نسخي .

(٣) اللحظة : أصلها : النظرة بمؤخر العين من جانب الصدغ أو من جانب الأنف ، ثم استعملت في الزمن اليسير جدا . انظر اللسان ٧ : ٤٥٩ مادة : لحظ .

(٤) في ك و ط سقطت الواو العاطفة .

(٥) سورة النمل : ٣٨ ـ ٤١ .

(٥) لم تكمل الآية الأخيرة في ك ، فقد انتهت عند قوله : (أتهتدي) .

(٦) وأعظمها : سدوم ثم صبعة وعمرة ودوما وصعوة ، وكان أهلها أربعمائة الف ، وهم أصحاب الكفر والفاحشة . الكامل ٢ : ٥٧ و ٦٩ .

وبهذا يظهر جوابهم عن أنكارهم انشقاق القمر ، فان عمدتهم فيه : أن الفلك لايقبل الانشقاق ، وقد عرف فساد ذلك عقلا وسمعا ، وتواتر عن[(١)] الأنبياء أنهم أخبروا بانشقاق السموات . وايضاح الرد على هؤلاء ، أن مايثبتونه من أن الحركة لابد لها من جهة ومحدد يحدد الجهات ، انما يدل على الافتقار الى جنس المحدِّد ، لايدل على الاحتياج الى محدَّد معين[(٢)] .

فاذا قدر أنه خُلِق وراء المحدد محددا آخر وخرق الأول ، حصل به المقصود . وهكذا عامة أدلتهم انما تدل على شيء مطلق ، لكن يعينونه بلا حجة ، فيغلطون في التعيين ، كدليلهم على دوام الفاعلية ، أو الحركة ، أو زمانها[(٣)] ، فان ذلك لايدل على الحركة الفلكية ، وأن الزمان هو مقدار الحركة ، بل اذا كان الله قد خلق السموات والأرض ومابينهما في ستة أيام كما أخبرت به الرسل ، لم تكن تلك الأيام التي خلق الله فيها السموات والأرض هي مقدار حركة الشمس التي هى مما خلق في تلك الأيام .

بل وقد أخبر الله ـ تعالى ـ أنه كان عرشه على الماء ، قبل أن يخلق السموات والأرض ، وأخبر أنه خلق السموات من دخان ، وهو بخار الماء . فاذا كان قبل هذه الحركات المشهودة حركات أخر لأجسام غير هذه الأجسام المشهودة لم يكن هذا مناقضا لما دل عليه العقل .

---

(١) في ط (تواترت) .

(٢) بعد هذا في أ كلمتان لم أستطع قراءتهما ، وبعدهما سقط بمقدار نصف صفحة ، وقد اتفقت عليه ك و ط اضافة الى النسختين المساعدتين (اكسفورد) و(المكتبة السعودية بالرياض) فلذلك أثبتناه في الأصل . وسأشير الى نهايته .

(٣) في أكسفورد (زمنها) .

ورجال كثير[١] في زماننا وغير زماننا يحملون من مكان الى مكان في الهواء ، وهذا مما تواتر عندنا ، وعند من يعرف ذلك .

وأيضا فمعلوم أن النار والهواء الخفيف تحرك[٢] حركة قسرية فيهبط ، والتراب والماء الثقيلان ، يحركان حركة قسرية فيصعد ، وهذا مما جرت به العادة .

والشبهة الثانية : ظن بعض المتفلسفة ، كأرسطو[٣] وشيعته ، أن الأفلاك لاتقبل الانشقاق ، وحجتهم على ذلك في غاية الضعف ، فانهم قالوا : لو كانت تقبل الانشقاق ، لكان المحدد للأفلاك ، المحرك لها ، يتحرك حركة مستقيمة ، والحركة المستقيمة تحتاج الى خلاء خارج العالم ، ولاخلاء هناك .

وهذه الحجة فاسدة من وجوه : منها : أنها تدل على ذلك في الفلك الأعلى ، لافيما دونه ، كفلك القمر وغيره ، وهذا مما أجابهم به الرازي[٤] وغيره . ومنها : أن وجود أجسام[٥] خارج الفلك ، كوجود الفلك في حيزه يحتاج الى خلا[٦] . * وقوله بنفي الخلاء خارجه كقوله بنفي الخلاء عن حيزه * فان كان الخلاء عدما محضا ، فهو منتف في الجانبين . وان قيل : انه أمر وجودي ،لزم أن يحتاج اليه في الموضعين ، وحينئذ فيبطل القول بنفيه .

---

(١) في ك و ط (كثيرون) .

(٢) في ك و ط (تحركه) .

(٣) في أ (أرسطوا) بزيادة الف في آخره .

(٤) الرازي المقصود به أبو عبد الله محمد بن عمر الفخر الرازي ، صاحب التفسير الكبير .

(٥) في ك و ط (الاجسام).

(٦) سقطت جملة (يحتاج الى خلاء) من ك و ط .

(٧) العبارة التي بين النجمتين يقابلها في ك و ط : " فقول القائل :ان ذلك يحتاج الى خلا كقوله : ان وجود الفلك في حيزه يحتاج الى خلاء، وقوله بنفي الخلاء عن حيزه " .

وكذلك مايذكرونه في قدم العالم (١) . فليس مع القوم دليل واحد ، عقلي صحيح ، يناقض ما أخبرت به الرسل ، ولكن قد تناقض مايظنه بعض أهل الكلام من دين الرسل (٢) ، كما قد بسط في غير هذا الموضع .

والنوع الثاني (٣) : آيات الجو ، كاستسقائه - صلى الله عليه وسلم - واستصحائه (٤) ، وطاعة السحاب له (٥) ، ونزول المطر بدعائه - صلى الله عليه وسلم - (٦) .

ففي الصحيحين عن أنس بن مالك : أن رجلا دخل المسجد في يوم جمعة (٧) ، من باب كان نحو دار القضاء ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - قائما يخطب ، فاستقبل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قائما ، ثم قال : يارسول الله ، هلكت الأموال وانقطعت السبل ، فادع الله يغيثنا (٨) . قال: فرفع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يديه ، ثم قال : " اللهم أغثنا ،

---

(١) في ط (من) .

(٢) الى هنا نهاية السقط من أ .

(٣) في أ (الثالث) والصواب أنه (الثاني) كما في ك و ط وكما يدل على ذلك السياق (النوع الثاني من آيات النبوة ، المتعلقة بالقدرة والفعل والتأثير : آيات الجو) .

(٤) الاستسقاء : طلب السقيا والمطر . والاستصحاء طلب الصحو ، وهو انكشاف الغيم (السحب) قال السجستاني :"والعامة تظن أن الصحو لايكون الا ذهاب الغيم ، وليس كذلك وانما الصحو تفرق الغيم مع ذهاب البرد". المصباح ١ : ٢٨١ و ٣٣٤ .

(٥) في ك و ط (وطاعة السحاب في حصوله وذهابه) .

(٦) لم ترد الجملة الدعائية في أ .

(٦) بعد هذا في ك و ط (ونزول المطر بدعائه) .

(٧) هي دار مروان بن الحكم بالمدينة ، كانت لعمر بن الخطاب ، فبيعت في دَينه بعد موته ، وقيل : هي دار الامارة بالمدينة . مراصد الاطلاع ٢ : ٥٠٧ .

(٨) في ط : (يغثنا) .

اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا (١) " . قال أنس : فلا والله ، ماترى في السماء من سحاب ولا من قزعة (٢) ، وان السماء لمثل الزجاجة ، ومابيننا وبين سَلْع (٣) من دار ، فو الذي نفسي بيده ، ماوضع يديه حتى ثار السحاب أمثال (٤) الجبال ، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر عن لحيته (٥) " . وفي رواية أخرى : " فطلعت من ورائه سحابة ، مثل الترس (٦) ، فلما توسطت السماء ، انتشرت ، ثم أمطرت ، قال : فلا والله ، مارأينا الشمس سبتا (٧) . قال : ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ، ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قائما يخطب ،فاستقبله قائما فقال : يارسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل ، فادع الله يمسكها عنا (٨) . قال : فرفع سول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يديه ، ثم قال : " اللهم حوالينا ولا علينا ، اللهم على الآكام والظراب (٩) وبطون الأودية ، ومنابت الشجر " . قال : فما يشير بيده الى ناحية الا تفرجت حتى رأيت المدينة في مثل الجَوْبة (١٠) ، وسال الوادي قناة (١١) شهرا ، ولم يجيء أحد من ناحية الا أخبر بجود (١٢) " .

---

(١) في ك و ط (ولا).

(٢) أي سحاب متفرق أو قطع من السحاب رقاق وأكثر مايجيء في الخريف انظر الفتح ٢ : ٥٠٣ .

(٣) سَلْع : جبل بسوق المدينة ، معجم البلدان ٣ : ٢٣٦

(٤) في أ (امثلال) وظاهر أنه خطأ نسخي .

(٥) رواه مسلم بلفظ مثله الى قوله : " ولامن قزعة ..." والباقي بمعناه ، كتاب صلاة الاستسقاء ، باب الدعاء في الاستسقاء ، ٢ : ١١٢ ـ ٦١٣(٨٩٧). ورواه البخاري بنحوه ، كتاب الجمعة ، باب الاستسقاء في الخطبة يوم الجمعة ٢ : ٤١٣ (٩٣٣) من الفتح .

(٦) أي أنها مستديرة ، والترس : هو مايَتَوقى به المقاتل . الفتح ٢ : ٥٠٣ وانظر اللسان ٦ : ٣٢ مادة : ترس .

(٧) في ك و ط (رأيت) . (٨) في ك و ط زيادة (أن) .

(٩) هو الجبل المنبسط ليس بالعالي ، أو الرابية الصغيرة . الفتح ٢ : ٥٠٥.

(١٠) الجوبة : الحفرة المستديرة الواسعة ، والمراد بها هنا : الفرجة في السحاب . الفتح ٢ : ٥٠٦ .

(١١) قناة : علم على أرض ذات مزارع ناحية أحد ، ووادبها أحد أودية المدينة المشهورة . الفتح ٢ : ٥٠٦ .

=

.....

= (١٢) رواها البخاري بنحوها ، كتاب الاستسقاء ، باب من تمطر في المطر حتى يتحادر على لحيته ، ٢ : ٥١٩ (١٠٣٣) من الفتح، ورواها مسلم بمثلها ، كتاب صلاة الاستسقاء ، باب الدعاء في الاستسقاء ٢ : ٦١٤ (٨٩٧) .

ومن هذا الباب ، نَصْر الله (١) بالريح التي قال الله فيها : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم ، اذ جاءتكم جنود ، فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها ، وكان الله بما تعلمون بصيرا ﴾ (٢)

قال مجاهد :"يعنى ريح الصَّبا (٣) ، أرسلت على الأحزاب يوم الخندق ، حتى كفأت قدورهم على أفواهها ، ونزعت فساطيطهم (٤) (وجنودا لم تروها): يعنى الملائكة (٥) ".

وفي صحيح مسلم عن ابن عباس عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: " نصرت بالصَّبا ، وأهلكت عاد بالدَّبُور (٦) " .

وفي المغازي والسير (٧) قصة الأحزاب ، وكيف أرسلت عليهم الريح (٨) والملائكة وانهزموا بغير قتال معروف .

---

(١) في ك و ط زيادة (له) .

(٢) سورة الأحزاب : ٩.

(٣) ومهبها المستوي ان تهب من مطلع الشمس اذا استوى الليل والنهار . ومقابلتها الدبور . اللسان ١٤ : ٤٥١ مادة : صبا .

(٤) جمع فسطاط ، وهو بيت من شعر . مختار : ٥٠٣ .

(٤) في ك و ط زيادة (حتى أظعنتهم) .

(٥) رواه ابن جرير الطبري ، جامع البيان ٢١ : ١٢٨ .

(٦) الدبور : تكون اسما وصفة ، وهى تهب من مسقط النسر الطائر الى مطلع سهيل من التذكرة . اللسان ٤ : ٢٧٢ مادة : دبر .

(٦) رواه البخاري ، كتاب الاستسقاء ، باب قول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ "نصرت بالصبا " ٢ : ٥٢٠ (١٠٣٥) من الفتح . ومسلم ، كتاب صلاة الاستسقاء ، باب في ريح الصبا والدبور ٢ : ٦١٧ (٩٠٠) .

(٧) في ك و ط زيادة : (والتفسير) .

(٨) سقطت الواو من ط .

(تصرفه ـ عليه السلام ـ في الحيوان من آيات نبوته)

والنوع الثالث (١) : تصرفه في الحيوان : الانس والجن والبهائم .

فروى عن عبد الله بن جعفر (٢) قال : " أردفني رسول الله ـ صلى الله عليهم وسلم ـ ذات يوم فأسر إليَّ حديثا لاأحدث به أحدا من الناس " قال : " وكان أحب ما استتر به هدف أو حائش نخل (٣) ، فدخل حائط رجل من الأنصار فاذا جمل (٤) ، فلما رأى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حَنَّ وذرفت عيناه ، فأتاه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فمسح رأسه وذِفرَاه (٥) فسكن (٦) ، قال: " لمن هذا الجمل ؟ " فجاء فتى من الأنصار فقال : هو لي يارسول الله . فقال له رسول الله (٧) ـ صلى الله عليه وسلم ـ " ألا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله اياها ؟ فانه شكا إليَّ أنك تجيعه وتدئبه " (٨) (٩) روى مسلم بعضه (١٠) ، وبعضه على شرطه ، ورواه أبو داود (١١) وغيره (١٢) .

---

(١) في أ (الرابع) والصواب أنه (الثالث) كما هو في ك و ط وكما يدل عليه تتبع السياق ، وقد حصل في عد الانواع خلل في جميع النسخ كما يأتي ـ ان شاء الله ـ .

(٢) عبد الله بن جعفر : هو ابن أبي طالب الهاشمي ، أحد الأجواد ، ولد بأرض الحبشة وله صحبة ، مات سنة ٨٠ هـ وله ٨٠ سنة . تقريب ١ : ٤٠٦ وسير .. النبلاء ٣ : ٤٥٦ ـ ٤٦٢ .

(٣) الهدف : ما أرتفع من الأرض . حائش نخل : حائط النخل ، وهو البستان . ويقال له : حش ـ أيضا ـ . شرح النووي لمسلم ٣ : ٣٥ .

(٣) الى هنا انتهت رواية الامام مسلم ، كتاب الحيض ، باب مايستتر به لقضاء الحاجة ، ١ : ٢٦٨ ـ ٢٦٩ (٣٤٢) .

(٤) في ك و ط (رسول الله) .

(٥) الذفرى : هو الموضع الذي يعرق من البعير خلف الأذان ، وهما ذفريان من الناس ومن جميع الدواب ، وهي مأخوذة من ذفر العرق . انظر اللسان ٤ : ٣٠٧ مادة : ذفر .

(٦) في ك و ط زيادة : (ثم) .

(٧) في ك و ط (النبي) .

(٨) في ك و ط : " تذيبه " .

.....

= (٩) في أ (رواه) والأولى (روى) وهو كما في ك و ط .

(١٠) تم تخريج رواية مسلم أثناء الحديث .

(١١) هو في مسند ابي داود بمثله ، كتاب الجهاد ، باب مايؤمر به من القيام على الدواب والبهائم ، ٣ : ٢٣ (٢٥٤٩) .

(١٢) ورواه أحمد في المسند ١ : ٢٠٤ وبأطول منه ١ : ٢٠٥ . ورواه الحاكم في المستدرك ٢ : ٩٩ ـ ١٠٠ وقال : "هذا حديث صحيح الاسناد ، ولم يخرجاه" ، ووافقه الذهبي .

وروى أحمد (١) (٢) ، والدارمي وغيرهما ، عن جابر قال : أقبلنا مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من سفر ، حتى اذا دفعنا (٣) الى حائط من حيطان بني النجار (٤) (٥) ، اذا فيه جمل لايدخل الحائط أحد الا شد عليه ، فذكروا ذلك للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فجاء حتى أتى الحائط ، فدعا البعير ، فجاء واضعا مشفره (٦) الى الأرض حتى برك (٧) بين يديه . قال : فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " هاتوا خطامه ، فخطمه ودفعه الى صاحبه " . قال : ثم التفت الى الناس فقال : " انه ليس شيء بين السماء والأرض الا يعلم أني رسول الله ، الا عاصي الجن والانس (٨) " .

---

(١) في ك و ط زيادة (الامام) .

(٢) سقطت الواو من أ .

(٣) دفعنا : جئنا. المصباح :١٩٦.

(٤) بنو النجار : هم بنو تيم اللات ـ وانما قيل له : النجار لأنه اختتن بقدوم ، وقيل لأنه ضرب رجلا بقدوم ـ ابن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج . فهم قبيلة من الخزرج ، وفيها بطون وأفخاذ وفصائل . اللباب في تهذيب الانساب ٣ : ٢٩٧ ـ ٢٩٨ .

(٥) شد عليه : حمل عليه يريد البطش به . انظر اللسان ٣ : ٢٣٥ مادة : شدد.

(٦) المشفر للبعير : كالشفة للانسان . اللسان ٤ : ٤١٩ مادة : شفر .

(٧) برك : أي استناخ ، ضد القيام مختار : ٤٩.

(٨) رواه الامام أحمد في مسنده ٣ : ٣١٠ بمثله ، ورواه الدارمي في سننه ، المقدمة ، باب ما أكرم الله به نبيه من ايمان الشجر ١ : ١١ بنحوه قال الهيثمي :"رواه أحمد ، ورجاله ثقات ، وفي بعضهم ضعف". المجمع ٩ : ٧.

وروى الطبراني (١) عن جابر قال : خرجنا في غزوة ذات الرقاع (٢) ، حتى اذا كنا بحرة واقم (٣) ، عرضت امرأة بدوية بابن لها (٤) ، الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فقالت : يارسول الله ، هذا ابني قد غلبني عليه الشيطان . قال : " فأدنيه مني " فأدنته (٥) . فقال : " افتحي فمه " (٦) ، فبصق فيه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (٧) وقال : " اخسأ عدو الله ، وأنا رسول الله" ، (٨) ثلاث مرات ، ثم قال : " شأنك بابنك ، ليس عليه بأس ، فلن يعود اليه شيء مما كان يصيبه " . وذكر قصة الشجرتين ، الى أن قال (٩) : فنزلنا في واد من أودية بني محارب (١٠) ، فعرض له رجل من بني محارب يقال له (غورث بن الحارث) (١١) والنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ متقلد سيفه ، فقال : يامحمد أعطني سيفك هذا ، فسله ، فناوله اياه (١٢) ونظر اليه

---

(١) الطبراني : هو ابو القاسم ، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الطبراني ، كان حافظ عصره ، أقام في الرحلة (في طلب العلم) ثلاثا وثلاثين سنة ، وله ألف شيخ ، مولده سنة ٢٦٠ هـ بطبرية واليها ينسب ، وسكن أصبهان الى أن توفي بها سنة ٣٦٠ هـ كان يقول عن المعجم الاوسط : "انه روحي". لانه تعب عليه . وفيات الأعيان ٢ : ٤٠٧ ، ولسان الميزان ٣ : ٧٣ ، وشذرات الذهب ٣ : ٣٠ .

(٢) كانت في سنة ٤ هـ . وهي بعد غزوة بني النضير ، وسميت بذلك لأنهم رفعوا راياتهم ، أو انها شجرة بالموضع الذي نزلوا فيه ، وقد لقي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ جمعا عظيما من غطفان ، فتقارب الناس ولم يكن بينهم قتال . السيرة لابن هشام ٣ : ٢١٣ ـ ٢١٤ .

(٣) هي الحرة الشرقية من حرتي المدينة ،وفي هذه الحرة كانت الوقعة المشهورة ، في عهد يزيد بن معاوية . مراصد الاطلاع ١ : ٣٩٦ .

(٤) في ك و ط زيادة : (فجاءت) .

(٥) في ك و ط زيادة : (منه) .

.....

= (٦) في ك و ط زيادة " ففتحته " .

(٧) في ك و ط (ثم) .

(٨) في ك و ط زيادة : (قالها) .

(٩) في ك و ط زيادة : " ثم خرجنا فنزلنا منزلا ، صحراء ديمومة ، ليس فيها شجرة ، فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لجابر : " ياجابر انطلق فانظر لي مكانا "، يعني للوضوء ، فخرجت أنطلق فلم أجد الا شجرتين مفرقتين ، لو أنهما اجتمعتا سترتاه . فرجعت الى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقلت : يارسول الله ، والله مارأيت شيئا يسترك الا شجرتين مفرقتين ، ولو أنهما أجتمعتا ، سترتاك . فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ :" انطلق اليهما فقل لهما : ان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: اجتمعا " . قال فخرجت فقلت لهما ، فاجتمعتا حتى كأنهما في أصل واحد . ثم رجعت فأخبرت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فخرج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم حتى قضى حاجته ، ثم رجع فقال: ائتهما فقل لهما : ان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: لكما : " ارجعا كما كنتما كل واحدة الى مكانها " . فرجعت فقلت لهما : ان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول لكما : " ارجعا كما كنتما " فرجعتا ، ثم خرجنا ... " .

(١٠) بنو محارب : هم بنو محارب بن خصَفة بن قيس عيلان بن الياس بن مضر . اللباب في تهذيب الانساب ٣ : ١٧١ ، والفتح ٧ : ٤١٨ .

(١١) جاء في المسند الكبير لمسدد مايصرح بعدم اسلام غورث ، ومنهم من ظنه رجل آخر أسمه دعثور بن الحارث أسلم ، وأسلم على يديه ناس كثير من قومه ، والظاهر أنهما رجلان في قصتين مختلفتين . أسد الغابة ٢ : ٧-٨ ، والاصابة ٣ : ١٨٨ – ١٨٩ .

(١٢) سقطت (اياه) من أ .

ساعة ، ثم أقبل على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : يامحمد من يمنعك مني ؟ فارتعدت يده حتى(١) سقط السيف من يده ، فتناوله(٢) رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم قال : " ياغورث ، من يمنعك مني " ؟ قال : لاأحد . قال : ثم أقبلنا راجعين ، فجاء رجل من أصحاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بِعُش طير يحمله ، وفيه فراخ ، وأبواه يتبعانه ، ويقعان على يد الرجل ، فأقبل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ على من كان معه ، فقال : " أتعجبون بفعل هذا الطير(٣) وبفراخهما ؟ " . زاد في رواية : " فربكم أرحم بكم من هذا الطير(٤) بفراخه " . ثم أقبلنا راجعين ، حتى اذا كنا بحرة واقم ، عرضت لنا المرأة التي جاءت بابنها بوطب(٥) من لبن وشاة(٦) ، فأهدته له . فقال : " مافعل ابنك ؟ هل أصابه شيء مما كان يصيبه ؟ " قالت : لا ، والذي بعثك بالحق ، ماأصابه شيء مما كان يصيبه ، وقبل هديتها . ثم أقبلنا راجعين(٧) حتى اذا كنا بمهبط من الحسرة ، أقبل

---

(١) في أ (على) وفي ك و ط (حتى) وقد صوبناه منهما .

(٢) في ط (فناوله) .

(٣) في ك و ط (هذين الطيرين بفراخهما) .

(٤) في ك و ط (الطائر) .

(٥) الوطب : سقاء اللبن أو اللبن خاصة ، وهو جلد الجذع فما فوقه . اللسان: ١ : ٧٩٧ مادة : وطب .

(٦) في أ : (برطب ولبن وشاة) وفي ط : (برطب ولبن شاة) .

(٧) سقطت (راجعين) من ك و ط .

جمل يرقل (١) ، فقال : " أتدرون ماقال هذا الجمل ؟ " قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : " هذا جمل جاءني يستعدي على سيده ، يزعم أنه كان يحرث عليه منذ سنين (٢) ، حتى اذا أجربه وأعجفه ، وكبر سنه ، أراد نحره ، اذهب معه ياجابر الى صاحبه فائت به " . فقلت : ما أعرف صاحبه يارسول الله . قال : " انه سيد لك عليه " . قال فخرج بين يدي معنِقا (٣) ، حتى وقف بي في مجلس بنى خَطْمة (٤) ، فقلت : أين رب هذا الجمل (٥) ؟ قالوا : فلان . فجئته فقلت : أجب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ، فخرج معي حتى جاء الى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فقال له رسول الله (٦) ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " ان جملك هذا يستعدي عليك ، يزعم أنك حرثت عليه زمانا حتى أجربته (٧) وأعجفته (٨) وكبر سنه ، ثم أردت نحره " . قال (٩) : والذي بعثك بالحق ،

---

(١) في جميع النسخ : (يرفل) بالفاء ، والأصوب أنه بالقاف كما في المجمع ٩ : ٨ ، من أرقلت الناقة ارقالا ، وهو ضرب سريع من السير . المصباح: ٢٣٥ .

(٢) في أ(سنتين) والأصوب ما أثبتناه من ك و ط ، وهو مافي المجمع ٩ : ٨.

(٣) من العَنَق ، وهو ضرب من السير فسيح سريع . المصباح : ٤٣٢ .

(٤) خَطْمة : اسمه عبد الله بن جشم بن مالك بن الأوس بن حارثة بن ثعلبة ابن عمرو ـ مُزَيْقياء ـ ابن عامر بن ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امريء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد . جمهرة أنساب العرب ٣٣٢ و ٣٤٣ .

(٥) رب كل شيء : مالكه ، والرب : اسم من أسماء الله ـ تعالى ـ ولايقال في غيره الا بالاضافة ، وقد قالوه في الجاهلية للمَلِك . مختار : ٢٢٨ .

(٦) في ك و ط (النبي) .

(٧) الجرب : مرض بسبب خِلْط غليظ يحدث تحت الجلد ، من مخالطة البلغم الملح للدم يكون معه بثور . المصباح : ٩٥ .

(٨) من عَجِف الفرس عَجَفا : أي ضعف وهزل المصباح : ٣٩٤ ومختار : ٤١٤ .

(٩) في ك و ط (فقال) .

ان ذلك كذلك (١) . فقال له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " بعنيه "قال: نعم، يا رسول الله. فابتاعه منه، ثم سيبه (٢) في الشجر حتى نصب سناما، فكان اذا اعتل (٣) على بعض المهاجرين والأنصار من نواضحهم (٤) شيء أعطاه أياه، فمكث بذلك (٥) زمانا .

وهذا الحديث له شواهد (٦) ، آخرج (٧) أهل الصحيح منه قصة الشجرتين (٨) ، وقصة الذي شهر السيف على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (٩) وقصة الطير : رواها (١٠) أبو داود الطيالسي (١١) ، وقصة الصبي ، ذكرها غير واحد (١٢) .

---

(١) في ك و ط (لكذلك) .

(٢) سيب : تُرك لايركب ولايحمل عليه . انظر ترتيب ٢ : ٦٥٤ .

(٣) من العلة : وهي المرض . مختار : ٤٥١ .

(٤) جمع ناضح :وهو البعير يستقي عليه . مختار : ٦٦٤ .

(٥) الحديث أورده الهيثمي بروايات بنحوه ، وقال : قال محمد بن طلحة : كانت غزوة ذات الرقاع تسمى " غزوة الأعاجيب " قلت ـ والقائل الهيثمي : "في الصحيح بعضه ، رواه الطبراني في الأوسط ، والبزار باختصار كثير ، وفيه عبد الحكيم بن سفيان ذكره ابن أبي حاتم ، ولم يجرحه أحد ، وبقية رجاله ثقات". المجمع ٩ : ٧ ـ ٩ .

(٦) شواهد الحديث : هي الأحاديث الأخرى التي بمعناه . تدريب الراوي ١ : ٢٤٢ .

(٧) في أ (آخرجاه) والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

(٨) رواها مسلم ، كتاب الزهد والرقائق ، باب حديث جابر الطويل ،وقصة أبي اليسر ٤ : ٢٣٠٦ ـ ٢٣٠٧ (٣٠١٢) .

(٩) أخرجها البخاري في كتاب الجهاد والسير ، باب من علق سيفه بالشجر في السفر عند القائلة ، ٦ : ٩٦(٢٩١٠) من الفتح وفي كتاب المغازي ، باب غزوة ذات الرقاع ... ، ٧ : ٤٢٦ (٤١٣٥ ـ ٤١٣٦) من الفتح ، جاء في هذا الموضع تسمية الرجل ، ولكن في أثر معلق . ورواها مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ،باب صلاة الخوف ١ : ٥٧٦ (٨٤٣) .

(١٠) في ك (رواه) . (١١)مسند أبي داود الطيالسي : ٤٤ (٣٣٦) .

(١٢) رواها أحمد والدارمي والطبراني والبيهقي وابو نعيم عن ابن عباس . الخصائص الكبرى ٢ : ٧٠ .

(١٢) رواها الدارمي في سننه ، المقدمة ،باب ما أكرم الله به نبيه... ،١:١٠. وأحمد في مسنده ، ١ : ٢٥٤ و ٢٦٨ . قال الهيثمي :"رواه أحمدوالطبراني وفيه فرقد السبخي ، وثقه ابن معين والعجلي ،وضعفه غيرهما". المجمع ٩ : ٢.

وروى الامام أحمد في مسنده عن يعلى بن مرة الثقفي (١) قال : "ثلاثة أشياء رأيتهن من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : بينما نحن نسير معه ، اذ مررنا ببعير يُسْنى عليه (٢) ، فلما رآه البعير جرجر (٣) ، ووضع جِرانه (٤) بالأرض ، فوقف عليه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : " أين صاحب هذا البعير ؟ " فجاء ، فقال : " بعنيه " (٥) . فقال : بل نهبه لك (٦) . وهو لأهل بيت ، مالهم معيشة غيره . فقال : " أما اذ ذكرت هذا من أمره ، فانه يشتكي إليَّ كثرة العمل وقلة العلف ،فأحسنوا إليه " . وفي رواية : "أنهم أرادوا نحره " . ثم سرنا فنزلنا منزلا (٧) ، فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " انطلق الى هاتين الشجرتين ، فقل لهما : ان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول كما : أن تجتمعا " . فانطلقت ، فقلت لهما ذلك فانتزعت كل واحدة منهما من أصلها ، فنزلت كل واحدة الى صاحبتها ،فالتفتا جميعا . فقضى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حاجته من ورائهما ، ثم لما فرغ عادت كل واحدة منهما مكانها بأمره . وأتته امرأة بصبي لها به

---

(١) هو يعلي بن مرة بن وهب بن جابر بن عتاب بن مالك بن كعب بن عمرو ابن سعد بن عوف بن ثقيف الثقفي ، أسلم وشهد الحديبية ، وبايع بيعة الرضوان ، وكان من أفاضل أصحاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يكنى أبا المرازم ، سكن الكوفة ، وكان من أصحاب علي . أسد الغابة ٤ : ٧٤٩ .

(٢) اي يستقى عليه الماء من البئر . انظر مختار : ٣١٨ .

(٣) اي كثرت أصواته . ترتيب القاموس ١ : ٤٦٩ .

(٤) جران البعير : مقدم عنقه من مذبحه الى منحره . ترتيب ١ : ٤٨٢ .

(٥) في ط (اهبه) .

(٦) في ك و ط زيادة : (يارسول الله فقال : " لا بل بعنيه" فقال : " بل نهبه لك) .

(٧) في ك (من منزلنا منزلا) وفي ط (من منزلنا ، فقال النبي) .

لمم[1] فقالت : يارسول الله : ان ابني هذا ، به لمم منذ سبع سنين ، يأخذه في كل يوم مرتين . فتفل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في فيه ، وقال : " أخرج عدوَ الله ، أنا رسولُ الله " فبريء .فلما رجعنا ، جاءت أم الغلام بكبشين وشيء من أقط ، قالت : والذي بعثك بالحق مارأينا منه رَيْبا بعدك[2] . فأخذ أحد الكبشين والأقط ، ورد الكبش الآخر[3] .

وروى هذه القصة ، أبو يعلى الموصلي عن أسامة بن زيد ـ رضى الله عنه ـ ورواه الحاكم في صحيحه قال[4] : " سافرت مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فرأيت منه عجبا ..." وذكر الحديث . وفيه أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال ـ للمرأة لما أخرج الشيطان من ابنها ـ : " اذا رجعنا فأعلمينا ماصنع[5] " ورواه الدارمي ـ ايضا ـ .

---

(١) أي طرف من جنون . المصباح : ٥٥٩ .

(٢) أي : لم يبلغنا منه ذلك اللمم ، ولم نتوهمه بعدك . انظر المصباح ٢٤٧ .

(٣) في أ زيادة : (وروى أبو داود الطيالسي عن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ) . وقد أسقط الناسخ هذه العبارة من موضعها ، ثم أعادها في الهامش ـ أيضا ـ وظاهر أنها مقحمة هنا اقحاما لامبرر له .

(٣) المسند للامام أحمد ٤ : ١٧٤ و ١٧٣ وأورده الهيثمي بمثله . وبروايتيه ، وقال :"رواه أحمد باسنادين ، والطبراني بنحوه . وأحد اسنادي أحمد رجاله رجال الصحيح". ثم أورد رواية الطبراني والتي قال فيها الجمل : حتى اذا كبرت أرادوا ان ينحروني " . ثم أورد حديث المرأة و الصبي وقال :"رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح". المجمع ٩ : ٥ ـ ٦.

(٤) في ك و ط زيادة :(فيه) .

(٤) المستدرك للحاكم ، كتاب التاريخ ، ٢ : ٦١٧ وقال :"هذا حديث صحيح الاسناد ، ولم يخرجاه بهذه السياقة"، ووافقه الذهبي .

(٥) سنن الدارمي ، المقدمة ، باب ما أكرم الله به نبيه ٠٠ ، ١ : ١٠ .

وروى الدارمي عن ابن عباس أن امرأة جاءت بابن لها الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالت : يارسول الله ان ابني به جنون ، وانه يأخذه عند غدائنا وعشائنا ، فيخبث علينا ، فمسح رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ صدره ودعا ، فثغ ثغة (١) خرج من جوفه مثل الجِرو (٢) الأسود فشفى (٣) .

وروى أبو داود الطيالسي عن ابن مسعود قال : كنا مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في سفر (٤) ، فدخل رجل غَيْضة (٥) فأخرج منها بيضة حُمَّرة (٦) ، فجاءت الحمرة تَرِف (٧) على رأس رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه (٨) . فقال : " أيكم فجع هذه (٩) " فقال رجل من القوم : أنا أخذت بيضتها (١٠) . فقال : " رده رحمة لها (١١) " .

---

(١) في ك و ط (فثع ثعة) .

(١) أي قاء قيئة . ترتيب ١ : ٤٠٦ .

(٢) الجرو : الصغير من كل شيء ، ولعل المقصود هنا ولد الكلب . انظرترتيب ١ : ٤٨٤ .

(٣) سنن الدارمي ، المقدمة ، باب ما أكرم الله به نبيه ١ : ١١ واسناده ليس بالقوي .

(٤) في ك و ط (النبي) .

(٥) في جميع النسخ بالظاء ، والصواب ما أثبتناه من كتب اللغة والمسند .

(٥) الغيضة : الشجر الملتف . اللسان ٧ : ٢٠٢ مادة : غيض .

(٦) في ك و ط (بيض) .

(٧) الحمّرة : طائر من العصافير . اللسان ٤ : ٢١٤ مادة : حمر .

(٨) من الرفرفة : وهى تحريك الطائر جناحيه وهو في الهواء ، فلا يبرح مكانه . اللسان ٩ : ١٢٥ مادة : رفف .

(٩) من الفجيعة : وهى الرزية الموجعة بما يَكْرُم . اللسان ٨ : ٢٤٥ مادة : فجع .

(١٠) في أ (بيضها) بالجمع ، والأصح الافراد كما في ك و ط ، وهو مافي المسند .

(١١) مسند ابي داود الطيالسي : ٤٤ (٣٣٦) بمثله . ورواه أحمد في المسند بنحوه ، بروايتين ١ : ٤٠٤ . واسناد ابي داود فيه (المسعودي) وقد اختلط قبل موته ، فان كان (ابو داود) سمع منه في غير بغداد فهو قبل الاختلاط ، وبقية رجال الاسناد ثقات . انظر تقريب ١ : ٤٨٧ .

وروى الحاكم في صحيحه عن سَفِيْنة مولى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : " ركبنا البحر في سفينة ، فانكسرت السفينة ، فركبت لوحا من الواحها ، فطرحني في أَجَمَة(١) فيها أسد ، فلم يَرْعَني(٢) الا به . فقلت : يا أبا الحارث(٣) ، أنا مولى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فطأطأ رأسه ، وغمز بمنكبه شِقّي ، فمازال يغمزني ويهديني الطريق حتى وضعني على الطريق ، فلما وضعني على الطريق همهم(٤) فظننت أنه يودعني"(٥).

وروى الامام أحمد في مسنده(٦) ، عن عائشة قالت : " كان لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم وحش(٧) ، اذا خرج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ اشتد ولعب وأقبل وأدبر ، فاذا أحس برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد دخل ربض(٨) ، فلم يترمرم(٩) كراهية أن يؤذيه " ، ورواه أبو نعيم(١٠) .

---

(١) الأجمة : الشجر الكثير الملتف . ترتيب ١ : ١١٨ .

(٢) من الروع : وهوالفزع . المصدر السابق ٢ : ٤١٣ .

(٣) أبو الحارث ، والحارث ، من أسماء الأسد . المصدر السابق ١ : ٦١٢ .

(٤) من الهمهمة : وهي ترديد الصوت في الصدر . مختار : ٦٩٩ .

(٥) رواه الحاكم في المستدرك بنحوه . كتاب معرفة الصحابة ، ذكر سفينة مولى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ٣ : ٦٠٦ وقال الحاكم : "هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه". ووافقه الذهبي .

(٦) في ك و ط زيادة : (وأبو يعلى الموصلي) .
(٦) المسند للامام أحمد ٦ : ١١٢ و ١٥٠ و ٢٠٩ .

(٧) الوحش : حيوان البر ـ مختار : ٧١٢ .

(٨) أي سكن ولم يتحرك ، وأكثر مايستعمل في النفي. اللسان ١٢ : ٢٥٦ . مادة : رمم .

(٩) في ك و ط زيادة : (ولفظه للامام أحمد) .

(٩) الحديث أورده الهيثمي في المجمع ٩ : ٤ وفيه زيادة : " مادام رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في البيت ..." وقال :"رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني في الأوسط ، ورجال أحمد رجال الصحيح".

(١٠) في الدلائل ٢ : ٤٩١ (٢٧٧) مختصرا .

وروى عنها (١) أحمد - أيضا - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان في نفر من المهاجرين والأنصار . فجاء بعير فسجد له فقال أصحابه : يارسول الله تسجد لك البهائم والشجر فنحن أحق أن نسجد لك (٢) . فقال : " لو (٣) كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد ، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها (٤) ، ولو أمرها أن تنقل من جبل أصفر الى جبل أسود ، ومن جبل أسود الى جبل أبيض ، كان ينبغي لها أن تفعله " رواه (٥) أحمد (٦) عن عفان ، وابن ماجه (٧) ، عن ابن (٨) (٩) (١٠)

---

(١) في أ (عنهما) .

(٢) في ك و ط زيادة : " اعبدوا الله ربكم وأكرموا أخاكم " وليس في ك اسم الجلالة المعظم . كما لايوجد في ط جملة :"يارسول الله ، تسجد لك البهائم والشجر فنحن احق أن نسجد لك " .

(٣) في ك و ط (ولو) .

(٤) في ط (تنتقل) .

(٥) في ك و ط زيادة (الامام) .

(٦) المسند للامام أحمد ٦ : ٧٦ بمثله ، وفيه الزيادة التي في ك و ط . وأورده الهيثمي وقال :"رواه أحمد واسناده جيد". المجمع ٩ : ٩٠ وأخرجه أبو نعيم مختصرا في الدلائل ٢ : ٤٩١ (٢٧٨) .

(٧) هو ابن مسلم الباهلي ، أبو عثمان الصفار البصري ،ثقة ثبت ، مات سنة ٢١٩ هـ تهذيب ٧ : ٢٣٠ .

(٨) سنن ابن ماجة ، أبواب النكاح ، باب حق الزوج على المرأة ١ : ٣٤١ (١٨٥٧) وليس فيه قصة البعير .

(٩) في ك و ط زيادة : (بعضه) .

(١٠) في ك و ط زيادة (أبي بكر) .

أبي شيبة (١) عن عفان قال : ثنا حماد بن سلمة ثنا أبي (٢) ثنا علي (٣) بن زيد ثنا سعيد (٤) عن عائشة .

وقصة هذا الجمل رواها جماعة (٥) .

---

(١) هو عبد الله بن محمد بن القاضي أبي شيبة ابراهيم بن عثمان بن خواستى ، الامام العلم ، سيد الحفاظ ، أبو بكر العبسي مولاهم الكوفي ، أخو الحافظ عثمان بن أبي شيبة ، والقاسم بن أبي شيبة الضعيف وعبد الله من اقران الامام أحمد بن حنبل مات سنة ٢٣٥ هـ سير .. النبلاء ١١: ١٢٢ - ١٢٧ .

(٢) هو سلمة بن دينار ، أبو حازم الأعرج ، الأثور التَّمَّار ، المدني القاضي ، مولى الأسود بن سفيان ، ثقة عابد ، مات في خلافة المنصور . تقريب ١ : ٣١٦ .

(٣) هو علي بن زيد بن عبد الله بن زهير بن عبد الله بن جدعان التيمي البصري ، أصله حجازي ،وهو المعروف بعلي بن زيد بن جدعان ينسب أبوه الى جد جده ، واكثر العلماء يرون تضعيفه وقال العجلي :"كان يتشيع،لابأس به"، وقال مرة :"يكتب حديثه وليس بالقوي"وقال مثل هذا يعقوب بن شيبة والترمذي ، مات سنة ١٢٩ هـ أو ١٣١ هـ . تهذيب ٨ : ٣٢٢ - ٣٢٤ .

(٣) في ك و ط " يزيد " .

(٤) هو سعيد بن المسيب - رحمه الله - .

(٥) من الصحابة : جابر بن عبد الله ، وعبدالله بن أبي أوفى ، ، وابن عباس وعائشة ، وأبي هريرة ، وثعلبة بن أبي مالك ، ويعلى بن مرة وغيرهم . ومن الرواة الامام أحمد والبيهقي وأبو نعيم والطبراني والبزار والدارمي وابن أبي شيبة . انظر الخصائص الكبرى ٢ : ٥٦ - ٥٧ المسمى كفاية الطالب اللبيب ، في خصائص الحبيب ، لأبي الفضل عبد الرحمن السيوطي - ٩١١ هـ مصور عن طبعة حيدر آباد سنة ١٣٢٠ هـ بالهند ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

(٥) في ك و ط زيادة : (من الصحابة) .

وروى الامام أحمد في مسنده (١) عن أبي سعيد الخدري قال : عدا الذئب (٢) على شاة فأخذها ، فطلبه الراعي فانتزعها منه ، فأقعى الذئب على ذَنَبه (٣) فقال : " ألا تتقي الله ، تنزع مني رزقا ساقه الله إلي ؟ فقال : ياعجبا ذئب مقع على ذنبه يكلمني كلام الانس ؟ فقال الذئب : " ألا أخبرك بأعجب من ذلك ؟ محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بيثرب ، يخبر الناس بأنباء ماقد سبق " . قال : فأقبل الراعي يسوق غنمه ، حتى دخل المدينة ، فزواها الى زاوية من زواياها ، ثم أتى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأخبره . فأمر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فنودي : (الصلاة جامعة (٤)) ثم خرج فقال للأعرابي : " أخبرهم " فأخبرهم . فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " صدق والذي نفس محمد بيده ، لاتقوم الساعة حتى تكلم السباع الانس ، ويكلم الرجلَ عَذَبَةُ (٥) سوطه وشراك نعله ، ويخبره فَخِذُه ما أحدث أهله بعده " (٦) .

---

(١) المسند للامام أحمد ، بمثله ، ٣ : ٨٣ ـ ٨٤ .

(٢) من قولهم : عدا عليه اللص : اذا سرقه . اللسان ١٥ : ٣٤ مادة : عدا .

(٣) الذئب والكلب يقعى كل منهما على أسته ، مفترشا رجليه ، وناصبا يديه . اللسان ١٥ : ١٩٢ مادة : قعا .

(٤) جامعة : حال من الصلاة ،والمعنى : عليكم الصلاة في حال كونها جامعة الناس . المصباح : ١٠٩ ـ ١١٠ .

(٥) عذبة السوط : طرفه . المصباح ٢ : ٣٩٨ .

(٦) الحديث أورده الهيثمي بنحوه ، وأورد بجانبه رواية أخرى لأبي سعيد ـ راوي هذا الحديث ـ ثم قال :"رواه أحمد والبزار بنحوه ، باختصار، ورجال أحد اسنادي أحمد رجال الصحيح". المجمع ٨ : ٢٩١ .

وروى الترمذي آخره وصححه (١) (٢) ، قال البيهقي :" اسناده صحيح ، وله شاهد من وجه آخر"(٣). ورواه أحمد عن أبي هريرة ، قال : " وكان الراعي يهوديا فأسلم" وقال فيه : " أعجب من هذا رجل في النخلات بين الحرتين يخبركم بما مضى ، وماهو كائن بعدكم "(٤) (٥) .

وفي الصحيحين عن أنس قال : كان بالمدينة فزع فاستعار النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فرسا لأبي طلحة وكان يقطف (٦) فلما رجع قال : " وجدنا فرسكم هذا بحرا (٧) (٨) " وكان بعد ذلك لايجارى (٩) .

---

(١) في آ (رواه) والأولى مافي ك و ط وهو ما أثبتناه .

(٢) سنن الترمذي كتاب الفتن ، باب ماجاء في كلام السباع ، ٤ : ٤٧٦(٢١٨١). قال أبو عيسى : " وفي الباب عن أبي هريرة ، وهذا حديث حسن غريب ، لانعرفه الا من حديث القاسم بن الفضل ، والقاسم بن الفضل ثقة مأمون عند أهل الحديث ، وثقه يحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدي".

(٣) دلائل النبوة للبيهقي ٦ : ٤٢ .

(٤) في ك و ط (بما) .

(٥) المسند للامام أحمد ٢ : ٣٠٦ قال الهيثمي في المجمع ٨ : ٢٩٢ :"هو في الصحيح (يقصد رواية أبي هريرة)باختصار ، رواه أحمد ، ورجاله ثقات".

(٦) في رواية البخاري : " كان يقطف أوكان فيه قطاف ..." على الشك والمراد أنه كان بطيء المشي . الفتح ٥ : ٢٤١ .

(٧) في ك و ط زيادة : (ان) .

(٨) "يقال للفرس بحر اذا كان واسع الجري ، أو لأن جريه لا ينفد كما لاينفد البحر". قاله الأصمعي . المصدر والموضع السابق .

(٩) لايجارى : أي لايسبق في الجري . الفتح ٦ : ٧٠

(٩) رواه البخاري بنحوه ، كتاب الجهاد ،باب الفرس القطوف ، ٦ : ٧٠(٢٨٦٧) من الفتح . ومسلم بنحوه ، كتاب الفضائل ، باب شجاعة النبي ـ عليه السلام ـ وتقدمه للحرب ، ٤ : ١٨٠٣ (٢٣٠٧) .

وفي الصحيحين ،عن سلمة بن الأكوع (١) ، وسهل بن سعد ، عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في غزوة خيبر : أنه أرسل الى علي ، وهو أرمد العين (٢) فقال : " لأعطين الراية (٣) رجلا يحبه الله ورسوله ، ويحب الله ورسوله ، يفتح الله على يديه " فبصق في عينيه فبرأ (٤) ، كأن لم يكن به وجع قط ، وأعطاه الراية ، فقال على : يارسول الله ، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟ قال : " انفذ على رسلك ، (٥) حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم الى الاسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله-تعالى-فيه (٦) ، فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حُمْر النَّعَم (٧) " .

---

(١) هو سلمة بن عمرو بن الأكوع الاسلمي ،أبو مسلم ، وأبو اياس الحجازي المدني ، مات سنة ٩٤ هـ بالمدينة وله قريبا من ٩٠ سنة . سير .. النبلاء ٣ : ٣٢٦ ـ ٣٣١ ، وتقريب ١ : ٣١٨ .

(٢) رمد العين : مرض من أمراض العين ، وهو يكون عن مادة حارة وعن بلغم، وعن سوداء ، ويكثر في البلاد الحارة . تسهيل المنافع في الطب والحكمة : ١٠١ .

(٣) الراية : بمعنى اللواء ،وهو العلم الذي في الحرب ، يعلم به موضع صاحب الجيش ، وقد يحمله أمير الجيش . وقد يدفعه لمقدم العسكر ، وقد صرح جماعة من أهل اللغة بترادفهما . الفتح ٧ : ٤٧٧ .

(٤) في ط (فبريء) .

(٥) أي امضِ على راحة وهون ، انظر الفتح ٧ : ٤٧٨ .

(٦) في ط (فيهم) .

(٧) حُمْر النَّعَم : لون من ألوان الابل المحمودة ، قيل : المراد خير لك من أن تكون لك فتتصدق بها ، وقيل : تقتنيها وتملكها ، وكانت مما تفاخر به العرب . المصدر والموضع السابع .

(٧) رواه البخاري بنحوه ، كتاب المغازي ، باب غزوة خيبر ، ٧ : ٤٧٦ (٤٢١٠) من الفتح . ومسلم بنحوه ، كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل علي ... ، ٤ : ١٨٧٢ (٢٤٠٦) .

وعن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن أبيه قتادة بن النعمان (١) : أنه أصيبت عينه يوم بدر (٢) ، فسألت على وجنته ، فأرادوا أن يقطعوها فسألوا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : " لا " ودعاه ،وغمز حدقته براحته ، فكان لايدرى أي عينيه أصيبت ، فكانت أحسن عينيه وأحدّهما (٣).

وفي رواية " فرفع حدقته ، حتى وضعها موضعها ، ثم غمزها براحته ،وقال : " اللهم أكسبه (٤) جمالا ، فمات ومايدري من لقيه أي عينيه أصيبت " رواه عنه أهل المغازي (٥) . وأنشد ولده (٦) بحضرة عمر بن عبد العزيز ، وهو خليفة ، (اقره من حضر ولم ينكروه :

أنا ابن الذي سالت على الخد (٧) عينه ... وردت بكف المصطفى (٨) أيما رد

فلولا أنه كان معروفا عند التابعين لم يُقِرّوه ، وهم انما تلقوا هذا عن الصحابة .

---

(١) هو قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر ، الأمير المجاهد ، أبو عمر الأنصاري الظفري البدري ، من نجباء الصحابة ، وهو أخو أبو سعيد الخدري لأمه ، توفى سنة ٢٣ هـ بالمدينة وله ٦٥ سنة ونزل عمر في قبره . سير .. النبلاء ٢ : ٣٣١ ـ ٣٣٣ . وتقريب ٢ : ١٢٣ .

(٢) في ك و ط جاء بدلا من قوله (يوم بدر) قوله (في الغزو مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم أحد) .

(٣) أخرجه البيهقي بدون قوله : " فكانت أحسن عينيه وأحدّهما " . في الدلائل ٣ : ٩٩ ـ ١٠٠ . قال ابن حجر في الاصابة ٣ : ٢٢٥ :" واخرج البغوي وأبو يعلى عن يحيى الحمّاني عن ابي الغسيل عن عاصم بن عمر بن قتادة عن قتادة بن النعمان أنه أصيبت ..."وذكر الحديث بنحوه ..ومن طريق يعقوب بن محمد الزهري عن ابراهيم بن جعفر عن أبيه عن عاصم

=

.....

= ابن عمر بن قتادة عن جده وذكر الحديث مختصرا ... قال عاصم: "فحدثت به عمر بن عبد العزيز فقال :

تلك المكارم لاقعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد أبوالا"

قال أبو نعيم في الدلائل ٢ : ٦٢٢

"وفي حديث منصور بن أحمد المعدل : فردها النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بيده ، فكانت أصح عينيه وأحدهما" . وأورد الحديث الهيثمي في المجمع بنحوه ٨ : ٢٩٧ ـ ٢٩٨ وقال :"رواه الطبراني وأبو يعلى وفي اسناد الطبراني من لم أعرفهم ، وفي اسناد أبي يعلى يحيى بن عبد الحميد الحماني وهو ضعيف".

(٤) في ك (اكسه) وفي ط (أكسها) .

(٥) هذه الرواية أوردها بمثلها الذهبي في سير .. النبلاء ٢ : ٣٣٣ برواية عبد الرحمن الغسيل حدثنا عاصم ... الخ . ورواها ابن سعد في الطبقات ١ : ١٨٧ ـ ١٨٨ . وقد جاء من طرق أخرى أن ذلك في غزوة أحد ، كما ذكر ذلك ابن سعد في الطبقات ٣ : ٤٥٣ قال ابن كثير في السيرة ٣ : ٦٦ "وروى الدار قطني بسند غريب . وساقه عن قتادة قال : " أصيبت عيناي يوم أحد ، فسقطتا على وجنتي ، فأتيت بهما رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فاعادهما مكانهما ، وبصق فيهما فعادتا تَبْرُقان " . وأخرج ذلك ابن اسحاق مرسلا كما في السيرة لابن هشام ٣ : ٨٧ ، وأخرجه أبو نعيم في الدلائل ٢ : ٦٢١ ـ ٦٢٢ . قال الهيثمي في المجمع ٦ : ١١٣ :"رواه الطبراني وفيه من لم أعرفه". وقد ذكر ذلك الحاكم في المستدرك ٣ : ٢٩٥ بدون اسناد . ورواه الطبري في تاريخ الأمم والملوك ٢ : ٥١٦ .

=

.....

= (٦) هو عمر بن قتادة بن النعمان الظفري الأنصاري المدني . مقبول ، من الطبقة الثالثة . تقريب ٢ : ٦٢ .

(٧) في أ (الجفن) وظاهر أنه تحريف نسخي .

(٨) في ك و ط (أحسن الرد) وزاد في ك و ط بيتا آخر وهو :

فعادت كما كانت لأحسن حالها فياحسن ماعين وياحسن مارد

وهو في أسد الغابة ٤ : ٩٠ من رواية الاصمعي وفي السيرة لابن كثير ٣ : ٦٧ .

وفي صحيح البخاري عن البراء بن عازب قال :"بعث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى أبي رافع اليهودي (١) رجالا من الأنصار (٢) ، وأمّر عليهم عبدالله ابن عَتِيْك (٣) ، وكان أبو رافع يؤذي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويُعين عليه ، وكان في حصن له بأرض الحجاز (٤) ، فلما دنوا منه ، وقد غربت الشمس ، وراح الناس (٥) ،قال عبد الله لأصحابه :" اجلسوا مكانكم ، فاني منطلق، ومتلطف (٦) للبواب لَعلّي أدخل " .

---

(١) أبو رافع : هو سلاّم بن أبي الحُقيق الأعور ، وهو من بني النضير ،ومن الذين حَزّبوا الأحزاب على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم-.

(١) الذين خرجوا لقتل أبي رافع : هم عبد الله بن عتيك ، ومسعود بن سنان، وعبد الله بن أنيس وأبو قتادة الحارث بن ربعي ، وخزاعي بن أسود حليف لهم من أسلم ، وروي أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حكم لسيف عبد الله بن انيس بأنه الذي قتل أبا رافع . وذلك سنة ٥ هـ . السيرة لابن هشام ٢ : ١٦٠ و ٣ : ٢٨٦ ـ ٢٨٨ .

(٣) عبد الله بن عتيك ، هو الأنصاري ، من بني مالك بن معاوية ، وقد نسبه خليفة بن خياط فقال : عبد الله بن عتيك بن قيس بن الأسود بن مري ابن كعب بن غنم بن مسلمة بن الخزرج ، وقد شهد أحدا ، وقيل أنه شهد صفين مع علي ،وقيل : بل قتل يوم اليمامة . أسد الغابة ٣ : ٢٠٢-٢٠٣.

(٤) يحتمل أن حصنه كان قريبا من خيبر في طرف أرض الحجاز . الفتح ٧:٣٤٢.

(٥) في ك وط زيادة : (بسرحهم) .

(٦) سقطت الواو من أ .

قال : وأقبل (١) حتى دنا من الباب (٢) " وذكر قصة قتله الى أن قال : "ثم وضعت (٣) السيف في بطنه ، حتى أخذ في ظهره ، فعلمت أني قد قتلته ، فجعلت أفتح الأبواب بابا فبابا ، حتى انتهيت الى درجة ، فوضعت رجلي ، وأنا أرى أني قد انتهيت الى الأرض ، فوقعت في ليلة مقمرة ، فانكسرت ساقي ، فعصبتها بعمامتي ،ثم انطلقت ، حتى جلست عند الباب ، فقلت : لا أبرح حتى أعلم ، أقتلته أم لا ؟ فلما صاح الديك ، قام الناعي على السور فقال : أنعى (٤) أبا رافع . قال : (٥) فانطلقت الى أصحابي ،فقلت : النجاة (٦) النجا قد (٧) قتل الله أبا رافع . قال فانتهينا الى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وحدثناه ، فقال : " أبسط رجلك " . فبسطها (٨) فمسحها (٩) فكأنما لم اشتكها (١٠) قط " .

---

(١) في ك و ط (فاقبل) بالفاء .

(٢) في ك و ط ذكر بقية القصة وهي : " ثم تقنع بثوبه ، كأنه يقضي حاجة ، وقد دخل الناس ، فهتف به البواب : ياعبد الله ، ان كنت تريد أن تدخل فأدخل ، فاني أريد أن أغلق الباب ، فدخلت فكمنت . فلما دخل الناس أغلق الباب ثم أغلق الأغاليق علي ودخل . (سقط الحرفان ـ خل ـ من كلمة ودخل " من ك) قال : فقمت الى الأقاليد فأخذتها ، ففتحت الباب ، وكان أبو رافع يسمر عنده ، وكان في علالي له (في ط : عدلي) فلما ذهبت عنه أهل السمرة ، صعدت اليه ، فجعلت كلما فتحت بابا أغلقت عليّ من داخل ،قلت : ان القوم لو نذروا بي ،لم يخلصوا إلي حتى أقتله ، فانتهيت اليه ، فاذا هو في بيت مظلم ، وسط عياله ، لا أدري أين هو من البيت . قلت : أبا رافع . قال : من هذا ؟ فأهويت نحو الصوت ، فضربته ضربة بالسيف وأنا دهش فما أغنت شيئا وصاح . فخرجت من البيت ، فمكثت غير بعيد ، ثم دخلت اليه فقلت : ماهذا الصوت يا أبا رافع ؟ فقال : لأمك الويل ، ان رجلا في البيت ضربني قبل بالسيف . قال: فضربته (وفي ك (فأضربه) والأصح مافي ط وهو ما أثبت) ضربة أثخنته ، ولم أقتله .

=

.....

= (٣) في ك و ط زيادة : (صيب) .

(٤) في ك و ط سقطت (فقال) وفي ط (بنعي) .

(٥) سقطت (قال) من ك و ط .

(٦) في ك و ط (النجاء) .

(٧) سقطت (قد) من ك و ط .

(٨) الذي في صحيح البخاري (فبسطت رجلي) وفي أكسفورد (فبسطتها) ولا أرى مانعا من ورود جميع هذه الألفاظ ، حيث أنه ربما ثقل عليه بسط رجله ، لكونها مكسورة ، فساعده الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ على ذلك ، فأسند الفعل الى الرسول في لفظ ،وأسنده الى نفسه في لفظ آخر ،مع أن الراجح ماجاء عند البخاري ، وهو ماذكرته في أول هذا التعليق .

(٩) في ك و ط (يشكها) .

(١٠) رواه البخاري بمثله ، كتاب المغازي ، باب قتل أبي رافع ـ عبد الله ابن أبي الحقيق ، ويقال : سلام بن أبي الحقيق ... ، ٧ : ٣٤٠ ـ ٣٤١ (٤٠٣٩) من الفتح .

وفي البخاري عن يزيد بن أبي عبيد (١) قال : " رأيت في ساق سلمة بن الأكوع أثر ضربة ، فقلت : يا أبا مسلم ، ماهذه الضربة ؟ قال : هذه ضربة أصابتني يوم خيبر، فقال الناس : أصيب سلمة ، قال : " فأتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فنفث (٢) فيه ثلاث نفثات فما اشتكيت منها حتى الساعة (٣) " .

وفي الترمذي وغيره عن عثمان بن حنيف (٤) : أن رجلا ضريرا أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : ادع الله - تعالى - أن يعافِيَني . قال: " ان شئت صبرت فهو خير لك ، وان شئت دعوت الله (٥) " قال : فادعه . قال : فأمره أن يتوضأ (٦) ، فيحسن الوضوء (٧) ، فيصلي ركعتين ، ويدعو بهذا الدعاء : "اللهم اني أسألك (٨) وأتوجه * اليك بنبيك محمد نبي الرحمة (٩) ، يامحمد * اني أتوجه بك الى ربي (١٠) ، في حاجتي هذه فتقضيها لي (١١) ، اللهم فشفعه في " . وفي رواية قال : " يارسول الله (١٢) ، ليس لي قائد ، وقد شق علَيَّ " وذكرالحديث. فقال عثمان : " والله ماتفرقنا ، ولاطال الحديث بنا ، حتى دخل الرجل ،وكأنه لم يكن به ضر قط " قال الترمذي :"حديث صحيح (١٢)".

---

(١) هو يزيد بن أبي عبيد المدني ، مولى سلمة بن الأكوع ،من بقايا التابعين الثقات ، توفى سنة ١٤٧ هـ سير ٠٠ النبلاء ٦ : ٢٠٦ .

(٢) النفث : شبيه بالنفخ ، وهو أقل من التفل . مختار : ٦٧١ .

(٣) صحيح البخاري ،كتاب المغازي ، باب غزوة خيبر ٧ : ٤٧٥ (٤٢٠٦) من الفتح ورواه ابوداود ، كتاب الطب ، باب كيف الرقى ٤ : ١٢(٣٨٩٤) .

(٤) عثمان بن حنيف : هو ابن واهب الأنصاري ،الأوسي ،أبوعمرو المدني . صحابي شهير،مات في خلافة معاوية - رض الله عنهما - تقريب ٢ : ٨٠

(٥) لم يرد لفظ الجلالة المعظم في أ .

(٦) في ك و ط (ويصلي) . (٧) في أ (ويدعوا)

(٨) سقطت (أسألك من ك و ط) .

(٩) مابين النجمتين سقط من ك وترك له في بياض .

(١٠) سقطت (فتقضيها لي) من ط .

(١١) رواه الترمذي في سننه بمثله ، كتاب الدعوات ، باب ١١٩ حدثنا محمد ابن غيلان ٠٠٠ ، ٥ : ٥٦٩ (٣٥٧٨) وقال :"هذا حديث حسن صحيح غريب . لانعرفه الا من هذا الوجه من حديث أبي جعفر وهو الخطمي ، وعثمان بن حنيف هو أخو سهل بن حنيف". ورواه أحمد في المسند ٠ ٤ : ١٣٨ .

(١٢) أخرجه البيهقي في الدلائل ٦ : ١٦٨ من ثلاثة طرق . وليس عند الترمذي هذه الرواية ولاقول عثمان .

(التأثير في الأشجار والخشب ، من آيات نبوته ـ عليه السلام ـ)

النوع الثالث[1] آثاره في الأشجار والخشب :

ففي الصحيحين[2] عن جابر بن عبد الله قال : " كان المسجد مسقوفا على جذوع النخل ، فكان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ اذا خطب يقوم الى جذع منها ، فلما صُنع المنبر[3] ، فكان عليه ،سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار[4] ، حتى جاء النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فوضع يده عليها فسكنت"[5] وفي رواية : " فصاحت النخلة ، صياح الصبي "[6].وفي الصحيح[7] عن جابر : أن امرأة[8] من الأنصار قالت : يارسول الله ، ألا أجعل لك شيئا تقعد عليه ؟ فان لي غلاما نجارا[9] . قال :"ان شئت "[10] فعملت له المنبر . فلما كان يوم الجمعة ،قعد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ على المنبر الذي صنع له ، فصاحت النخلة التي

---

(١) هذا هو النوع الرابع ـ كما هو واقع السياق ـ وقد سبقه : ١ـ آيات العالم العلوي . ٢ ـ آيات الجو . ٣ ـ تصرفه في الحيوان . وسيستمر العد على هذا النحو الناقص .

(٢) في ط (وفي) .

(٣) في ك و ط (وكان) .

(٤) العشار : جمع عشراء ، وهي الناقة الحامل التي مضت لها عشرة أشهر ، الى أن تلد . اللسان ٤ : ٥٧٢ مادة : عشر .

(٥) رواه البخاري ، كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الاسلام ،٦ : ٦٠٢ (٣٥٨٥) من الفتح . ولم يروه مسلم خلافا لما ذكر الشيخ المؤلف ولكن رواه النسائي بمعناه ، كتاب الجمعة ، باب مقام الامام في الخطبة ٣ : ١٠٢ .

(٦) رواها البخاري ، كتاب المناقب ،باب علامات النبوة في الاسلام ٦ :٦٠١ ـ ٦٠٢ (٣٥٨٤) من الفتح .

(٧) في ك و ط (الصحيحين) .

(٨) رجح الحافظ ابن حجر أن النجار كان مولى لسعد بن عبادة ، فيحتمل أن يكون في الأصل لامرأته ، ونسب اليه مجازا ،واسم امرأته : فكيهة بنت عبيد بن دليم ، وهي ابنة عمه ، أسلمت وبايعت . الفتح ١ : ٤٨٦.

(٩) تعددت الأقوال في تسميته وأقر بها : ميمون . المصدر والموضع السابق .

(١٠) في ك و ط زيادة : (قال) .

كان يخطب عليها ، حتى كادت أن تنشق ،فنزل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فضمها اليه (١) ، فجعلت تئن أنين الصبي الذي (٢) يسكت ، حتى استقرت .

وفي صحيح مسلم من حديث جابر قال:سرنا مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى نزلنا واديا أفيح (٣) ، فذهب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقضي حاجته ، فاتبعته باداوة (٤) من ماء ، فنظر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلم ير شيئا يستتر به فاذا شجرتان بشاطيء (٥) الوادي ، فانطلق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى احداهما ، فأخذ بغصنين من اغصانها ، فقال : " انقادى علي ـ باذن الله ـ " فانقادت معه كالبعير المخشوش (٦) الذي يصانع (٧) قائده ، حتى أتى الشجرة الأخرى فأخذ بغصن من أغصانها فقال : " انقادي عليّ ـ باذن الله ـ " فانقادت معه كذلك ، حتى اذا كان بالمنصف (٨) فيما بينهما فلأم بينهما ، حتى جمع بينهما ، فقال : " التئما على ـ باذن الله ـتعالى ـ " فالتأمتا عليه ، فخرجت أحْضِر (٩) مخافة أن يحس رسول الله ـ

---

(١) في ط زيادة : (أخذ) .

(٢) رواه البخاري وفيه زيادة في آخره : قال : " بكت على ماكانت تسمع من الذكر " . كتاب البيوع ، باب النجار ، ٤ : ٣١٩ (٢٠٩٥) من الفتح قال الحافظ هنا :"يحتمل أن يكون فاعل (قال) رواي الحديث ، لكن صرح وكيع في روايته ، عن عبد الواحد بن أيمن ، بأنه ـ أي فاعل (قال) ـ النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ.أخرجه أحمد وابن أبي شيبة عنه ".

(٣) أفيح : واسعا . شرح النووي لمسلم ١٨ : ١٤٣ .

(٤) الاداوة : المِطْهرة . مختار ١١ .

(٥) شاطئ الوادي : جانبه . شرح النووي ١٨ : ١٤٣ .

(٦) أي الذي يجعل في انفه خشاش ، وهو عود يجعل في أنف البعير اذا كان صعبا ، ويشد فيه حبل ليذل وينقاد . المصدر والموضع السابق .

(٧) من مصانعة الفرس : وهو أن لايعطى جميع ماعنده من السير . أو المداراة . ترتيب ٢ : ٨٦٠ .

(٨) في ط (فلئم) .

(٩) أحضر : أي أعدو وأسعى سعيا شديدا . شرح النووي ١٨ : ١٤٣ .

صلى الله عليه وسلم ـ بقربي ، فيتباعد[(١)] ، فجلست أحدث نفسي ، فحانت مني لفتة[(٢)] ، فاذا[(٣)] برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مقبلا ، واذا الشجرتان[(٤)] قد افترقتا ،فقامت كل واحدة منهما على ساق ، وذكر الحديث .

وعن ابن عباس قال : جاء رجل من بني عامر[(٥)] الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله ، أرني الخاتم الذي بين كتفيك ، فانني من أطب الناس . قال " ألا أريك آية ؟ " قال : بلى . فنظر الى نخلة فقال : " ادع ذلك العذق " فجاءه ينقز[(٦)] حتى قام بين يديه ـ فقال له "أرجع"[(٧)] فرجع .

---

(١) في ك و ط (فتباعدت) .

(٢) اللفتة : النظرة الى جانب . المصدر والموضع السابق .

(٣) في ك و ط زيادة : (أنا) .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الزهد والرقائق ، باب حديث جابر ... ، ٤ : ٢٣٠٦ (٣٠١٢) .

(٥) هم : بنو عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان ، قبيلة كبيرة . منهم لبيد بن ربيعة الشاعر ، له صحبة ، وخلق كثير . اللباب في تهذيب الأنساب ٢ : ٣٠٦.

(٦) في ك و ط : " ينفر " .

(٦) ينقز : من النقز ، وهو كالوثبان معدا في مكان واحد . اللسان ٥ : ٤١٩ مادة : نقز .

(٧) رواه الامام أحمد في مسنده بنحوه وله بقية ، وفيه :"أطيب"بدلا من "أطب"، وأورده الهيثمي بمعناه وقال:"رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير ابراهيم بن الحجاج الشامي وهو ثقة". وفيه تحديد العامري بأنه من عامر بن صعصعة . المجمع ٩ : ١٠.

(٧) في ك و ط زيادة : " فقال العامري يا آل بني عامر ، مارأيت أسحر منه " قال الترمذي :"حديث حسن صحيح"، ورواه الدارمي-أيضا- قال : فجاءت النخلة تنفر بين يديه ثم قال لها : "ارجعي " فعادت الى مكانها " .

وفي رواية الترمذي : جاء أعرابي الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : بم أعرف أنك نبي ؟ قال " ان دعوتُ هذا العذق من هذه النخلة (١) تشهد أني رسول الله " (٢) قال : نعم فدعاها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فجعل ينزل من النخلة حتى سقط الى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم قال : " أرجع " فعاد فأسلم الأعرابي (٣) .

وروى الدارمي عن عبد الله بن عمر قال : كنا مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في سفر فأقبل أعرابي ، فلما دنا منه ، قال له النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " أين تريد ؟ " قال : الى أهلي . قال : " هل لك في خير ؟ " قال : ماهو (٤) ؟ قال : " تشهد أن لااله الا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله " فقال (٥) ومن يشهد على ماتقول ؟ قال : " هذه السَّلَمة (٦) " !

---

(١) في ك و ط (اتشهد) .

(٢) في ط زيادة : الجملة الدعائية ، ولامناسبة لمجيئها هنا وهى اضافة من الطابع حتما .

(٣) سنن الترمذي ، كتاب المناقب ، باب آيات اثبات نبوة النبي ... ٥:٥٩٤، (٣٦٢٨) . قال أبو عيسى :"هذا حديث حسن غريب صحيح".

(٤) في ك و ط :(وما) .

(٥) في ك و ط (قال) .

(٦) السلمة : شجرة ذات شوك يدبغ بورقها وقشرها ، ويسمى ورقها : القَرَظ لها زهرة صفراء فيها حبة خضراء طيبةالريح . اللسان ١٢ : ٢٩٦ مادة : سلم .

فدعاها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهى بشاطيء الوادي ، فأقبلت تَخُد[1] الأرض حتى قامت بين يديه ، فاستشهدها ثلاثا ، فشهدت ثلاثا أنه كما قال ، ثم رجعت الى منبتها ، ورجع الأعرابي اليه[2] فقال : ان اتبعوني اتيتك بهم والا رجعت فكنت معك * ورواه الدارمي[3] ـ أيضا ـ " قال فيه : فجاءت النخلة ، تنقز بين يديه ، ثم قال لها ارجعى فعادت الى مكانها *[4] .

وفي الصحيحين عن معن بن عبد الرحمن[5] قال : سمعت أبي[6] يقول : سألت مسروقا[7] : من آذن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالجن ليلة استمعوا القرآن ؟ فقال : حدثني أبوك (يعني[8] ابن مسعود) أنه قال : آذنته بهم شجرة "[9] .

---

(١) تخد الأرض : من خد السيل الأرض : اذا شقها بجريه . اللسان ٣ : ١٦١ مادة : خدد .

(٢) في ك و ط (الى قومه) .

(٣) سنن الدارمي بنحوه ، المقدمة ، باب ما أكرم الله به نبيه ... ١ : ٩ ـ ١٠

(٤) سنن الدارمي بمثله ، المقدمة ، باب ما أكرم الله به نبيه ، ١ : ١٣

(٤) مابين النجمتين سقط من ك و ط .

(٥) معن بن عبد الرحمن : هو ابن عبد الله بن مسعود الهذلي المسعودي الكوفي، أبو القاسم ، القاضي ،ثقة ، روى له الشيخان . تقريب ٢ : ٢٦٧ .

(٦) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عتيبة بن صاحب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عبد الله بن مسعود ، الهذلي المسعودي ، الكوفي ، أخو أبي العميس ، ولد بعد سنة ٨٠ هـ كان فقيها كبيرا يخدم الدولة وله منزلة وهو صدوق ، اختلط قبل موته ، فمن سمع منه في بغداد فهو بعد اختلاطه . مات سنة ١٦٠ هـ . سير .. النبلاء ٧ : ٩٢ ـ ٩٥ تقريب ١ : ٤٨٧ .

(٧) آذن : بالمد : أعلم . مختار : ١٢ .

(٨) في ك و ط زيادة : (عبد الله) .

(٩) رواه البخاري ، كتاب مناقب الأنصار، باب ذكر الجن ، ٧ : ١٧١ (٣٨٥٩) من الفتح . ومسلم ، كتاب الصلاة ، باب الجهر بالقراءة في الصبح ... ، ١ : ٣٣٣ (٤٥٠) .

وفي الترمذي عن علي قال : كنت مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بمكة ، فخرجنا في بعض نواحيها ، فما استقبله شجر ولاجبل الا وهو يقول: " السلام عليك ، يارسول الله " (١) رواه الحاكم في صحيحه (٢) .

وروى الامام أحمد ، عن أنس بن مالك قال :"جاء جبريل الى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذات يوم ، وهو جالس حزين ، قد خضب بالدماء ،ضربه بعض أهل مكة . فقال له : " مالك (٣) ؟ " قال : فقال " فعل هؤلاء وفعلوا ". فقال له جبريل : " أتحب أني أريك آية ؟ " (٤) فقال : "نعم" (٥) .فنظر الى شجرة من وراء الوادي ، فقال :"أدع تلك الشجرة " فدعاها ، فجاءت تمشي ، حتى قامت بين يديه ،فقال : " مرها فلترجع الى مكانها " . فقال لها : "ارجعي " فرجعت ، حتى عادت الى مكانها،فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " حسبي " (٦) ورواه أبو يعلى الموصلي في مسنده (٧) .

---

(١) سنن الترمذي ، كتاب المناقب ،باب في آيات اثبات نبوة النبي .. " ٥ : ٥٩٣ (٣٦٢٦) وقال :"هذا حديث غريب".

(٢) المستدرك للحاكم ، كتاب التاريخ ، ٢ : ٦٢٠ . وقال :"هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه "، ووافقه الذهبي . وهو في مسند أبي يعلى ٦ : ٣٥٨ ـ ٣٥٩ (٣٦٨٥ ـ ٣٦٨٦) قال المحقق : " واسناده صحيح على شرط مسلم " .

(٣) رسمت في أ هكذا " ملك " .

(٤) في ك و ط زيادة : (قال) .

(٥) في ك و ط (قال) .

(٦) حسبي : بمعنى : يكفيني . مختار : ١٣٥ .

(٦) رواه أحمد في مسنده مختصرا ، ٣ : ١١٣ .

(٧) أورده الهيثمي في المجمع ٩ : ١٠ عن عمر بن الخطاب بمعناه ، وقال : "رواه البزار وأبو يعلى ، واسناد أبي يعلى حسن".

فصل

(تكثير الماء والطعام والثمار من آيات النبوة)

والنوع الرابع [١]: الماء والطعام والثمار الذي كان يكثر ببركته فوق العادة وهذا باب واسع نذكر منه ما تيسر :

أما الماء : ففي الصحيحين عن أنس أن النبي - صلى الله عليه وسلم - دعا بماء ، فأتي بقدح رَجْراح [٢]، فجعل القوم يتوضؤن قال : " فحزرت [٣] ما بين السبعين الى الثمانين " [٤]. وفي رواية عنه : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - خرج في بعض مخارجه ومعه أناس من أصحابه ، فانطلقوا يسيرون ، فحضرت الصلاة ، فلم يجدوا ما يتوضؤن به ، فانطلق رجل من القوم ، فجاء بقدح فيه ماء يسير ، فأخذه النبي - صلى الله عليه وسلم - فتوضأ ، ثم مد أصابعه الأربع على القدح ، ثم قال : " قوموا فتوضؤا " وكانوا سبعين أو نحوه.[٥]

---

(١) هذا هو النوع الخامس - كما يدل عليه واقع السياق - .

(٢) في أ : " رجاج " والصواب من الصحيح ، كما هو في ك و ط .

(٢) رَجراج : هو الواسع القصير الجدار . شرح النووي ١٥ - ٣٨ .

(٣) حزرت : قدرت . المصباح : ١٣٣ .

(٤) رواه البخاري بنحوه ، كتاب الوضوء ، باب الوضوء من التَّور ، ١ : ٣٠٤ (٢٠٠) من الفتح بأطول من هذا. ومسلم ، كتاب الفضائل ، باب في معجزات النبي - صلى الله عليه وسلم - ، ٤ : ١٧٨٣ (٢٢٧٩) وفيه : "ما بين الستين "... بدل " السبعين".

(٥) رواها البخاري بنحوها ، كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الاسلام ، ٦ : ٥٨١ (٣٥٧٤) من الفتح .

وفيهما عن أنس-أيضا-: أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه بالزوراء . (والزوراء بالمدينة ، عند السوق والمسجد ثمة) [١] دعا بقدح فيه ماء ، فوضع فيه كفه فجعل ينبع بين أصابعه ، فتوضأ جميع أصحابه [٢].

وفي الصحيحين عنه قال :"رأيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وحانت صلاة العصر ، فالتمس الناس الوضوء ، فلم يجدوه ، فأُتي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بوضوء ، فوضع في ذلك الاناء يده ، وأمر الناس أن يتوضؤا منه. قال : فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه ، فتوضأ الناس حتى توضؤا من [٣] عند آخرهم ".[٤]

وفي الصحيحين عن جابر قال : قد رأيتني مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد حضرت صلاة العصر ، وليس معنا ماء غير فضلة ، فَجُعِل في اناء فأتى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأدخل يده فيه ، وفرّج

---

(١) هذا من قول أحد الرواة ، ولعله قتادة الراوي عن أنس ، وأنظر مراصد الأطلاع ٢ : ٦٧٤ .

(١) ثمة : بمعنى هناك وهو أسم اشارة للبعيد . مختار : ٨٧ .

(٢) في ك و ط زيادة " قال : قلت : كم كانوا يا أبا حمزة ، قال : " كانوا زهاء الثلاثمائة " . وفي رواية : " بماء لا يغمر أصابعه " .

(٢) رواه مسلم واللفظ له بمثله. والزيادة التي في ك و ط هي تمام الحديث ، كتاب الفضائل ، باب في معجزات النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ٤ : ١٧٨٣ (٢٢٧٩). والبخاري بنحوه ، كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الاسلام ، ٦ : ٥٨٠ (٣٥٧٢) من الفتح .

(٣) من هنا بمعنى الى ، وهي لغة. شرح مسلم ١٥ : ٣٩ .

(٤) رواه البخاري بمثله ، كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الاسلام ، ٦ : ٥٨٠ (٣٥٧٣) من الفتح . ومسلم بمثله ، كتاب الفضائل ، باب في معجزات النبي ... ، ٤ : ١٧٨٣ (٢٢٧٩) .

أصابعه [١] وقال : " حيّ على الوضوء ، والبركة من الله " فلقد رأيت الماء يتفجر من بين أصابعه ، فتوضأ الناس وشربوا فجعلت لا آلو [٢] ما جعلت في بطني منه ، فعلمت أنه بركة " قلت لجابر : كم كنتم يومئذ ؟ قال : " ألفا وأربعمائة "[٣].

وفي صحيح البخاري عن جابر ـ أيضا ـ قال : عطش الناس يوم الحديبية ، والنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بين يديه ركوة [٤] فتوضأ ، فجهش [٥] الناس نحوه ، قال : " ما لكم " ؟ قالوا : ليس عندنا ما نتوضأ ولا نشرب ، الا ما بين يديك . فوضع يده في الركوة ، فجعل الماء يثور بين أصابعه ، كأمثال العيون ، فشربنا وتوضأنا ، قلت : كم كنتم ؟ قال : لو كنا مائة ألف لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة "[٦]

وفي البخاري عن البراء بن عازب قال : " تعدون أنتم الفتح فتح مكة ، وقد كان فتح مكة [٧] فتحا ، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية ، كنا مع رسول الله [٨] ـ صلى الله عليه وسلم ـ أربع عشرة مائة ، والحديبية بئر ، فنزحناها ، فلم نترك فيها قطرة ، فبلغ ذلك النبيَّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأتاها فجلس على شفيرها ، ثم دعا بإناء

---

(١) في ك و ط (ثم).

(٢) لا آلو : أي لا أقصر ، والمراد أنه جعل يستكثر من شربه من ذلك الماء لأجل البركة. الفتح ١٠ : ١٠٢ .

(٣) رواه البخاري ، كتاب الأشربة ، باب شرب البركة والماء المبارك ، ١٠ : ١٠١ (٥٦٣٩) من الفتح ، بمثله. ورواه مسلم مختصرا وفي أكثر من رواية ، كتاب الامارة ، باب استحباب مبايعة الامام الجيش ..... ، ٣ : ١٤٨٤ (١٨٥٦).

(٤) الركوة : دلو صغير. المصباح : ٢٣٨ .

(٥) من الجهش : وهو أن يفزع الانسان إلى غيره ، وهو مع ذلك يريد البكاء ، كالصبي يفزع الى أمه وقد تهيأ للبكاء. مختار : ١١٥ .

(٦) صحيح البخاري ، بنحوه ، كتاب المغازي ، باب غزوة الحديبية ، ٧ : ٤٤١ (٤١٥٢) من الفتح .

(٧) سقطت كلمة " مكة " من أ . (٨) في ك و ط (النبي).

من ماء ، فتوضأ ، ثم تمضمض ودعا [١]، ثم صبه فيها ، فتركناها غير بعيد ، ثم إنها أصدرتنا ما شئنا نحن وركابنا ، وكنا ألفا وأربعمائة ، أو أكثر من ذلك "[٢].

وفي صحيح مسلم عن سلمة بن الأكوع قال :"قدمنا الحديبية مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ونحن أربع عشرة مائة أو أكثر من ذلك [٣] وعليها خمسون شاة لا ترويها ، فقعد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على جَبَا الركية [٤]، فإما دعا ، وإما بصق فيها " قال : " فجاشت [٥] فسقينا واستقينا " . [٦]

وعن ابن عباس قال :"ودعا [٧] النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بلالا ، فطلب بلال الماء ، ثم جاء ، فقال : لا والله ، ما وجدت الماء . فقال النبي [٨] ـ صلى الله عليه وسلم ـ " فهل من شن " [٩] ؟ فأتاه بشن ، فبسط كفيه فيها [١٠]، فانبعثت من [١١] يده عين . قال : فكان

---

(١) سقطت (ودعا) من ط .

(٢) رواه البخاري بنحوه ، وهو هنا مجموع من روايتين ، كتاب المغازي ، باب غزوة الحديبية ، ٧ : ٤٤١ (٤١٥٠ ـ ٤١٥١) من الفتح .

(٣) (أو أكثر من ذلك) سقطت من ك و ط .

(٤) الجبا : هو ما حول البئر ، والركي : هو البئر ، والمشهور في اللغة : ركي بغيرهاء ، ووقع هنا : ركية بالهاء ، وهي لغة حكاها الأصمعي وغيره . شرح النووي ١٢ : ١٧٥ .

(٥) جاشت : ارتفعت وفاضت . المصدر والموضع السابق .

(٦) صحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب غزوة ذي قرد وغيرها ، ٣ : ١٤٣٣ (١٨٠٧) بمثله . وليس فيه : " أو أكثر من ذلك " .

(٧) سقطت الواو من ك و ط .

(٨) لم ترد (النبي) في ط .

(٩) في ط زيادة : (ماء) .

(١٠) في ك و ط (فيه) .

(١١) سقطت (من) من أ ، وعند الدرامي : (تحت يديه) .

ابن مسعود يشرب ، وغيره يتوضأ " . (١)

وعن جابر بن عبد الله قال :"غزونا أو سافر مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ونحن يومئذ بضع عشرة ومائتين ، فحضرت الصلاة ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ:"هل في القوم من طهور"؟ فجاء رجل يسعى بإداوة فيها شيء من ماء ، وليس في القوم ماء غيره ، فصبه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في قدح ، ثم توضأ فأحسن الوضوء ، ثم انصرف وترك القدح ، فركب الناس ذلك القدح وقالوا : تمسحوا تمسحوا ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " على رسلكم " حين (٢) سمعهم يقولون ذلك ، فوضع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كفه في الماء والقدح ، فقال (٣): " بسم الله " ثم قال : " أسبغوا الطهور " . فو الذي ابتلاني ببصري (٤) لقد رأيت العيون عيون (٥) الماء تخرج من بين أصابعه ، فلم يرفعها حتى توضؤا أجمعون " (٦) رواهما الدرامي في مسنده .

---

(١) سنن الدرامي ، بنحوه ، المقدمة ، باب ما أكرم الله به نبيه .... ، ١ : ١٣ . وقد أورده الهيثمي في المجمع ٨ : ٢٩٩ ـ ٣٠٠ م ٤ مطولا وفيه زيادة ، وقال :"رواه الطبراني في الكبير والأوسط باختصار ، والبزار باختصار وأحمد الا أنه قال : " فانفجر من بين أصابعه عيون ". وفيه عطاء بن السائب وقد أختلط". **قلت: واسناد الدارمي لا بأس به .**

(٢) في أ (حتى).

(٣) في ك و ط (وقال).

(٤) يعني أنه عمي في آخر عمره . الفتح ٧ : ٤٤٤ .

(٥) سقطت (عيون) من ط .

(٦) سنن الدرامي ، المقدمة ، باب ما أكرم الله به نبيه ... ، ١ : ١٣-١٤ . **والحديث اسناده جيد .**

وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن مسعود قال : " كنا نعد الآيات بركة ، وأنتم تعدونها تخويفا ، كنا مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في سفر فقل الماء : " فقال اطلبوا فضلة من ماء"، فجاؤا بإناء فيه ماء قليل ، فأدخل يده في الإناء ، ثم قال : " حيّ على الوضوء (١) المبارك ، والبركة من الله " فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ولقد كان نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل " (٢).

وروى مسلم في صحيحه ، عن معاذ بن جبل ، قال : " خرجنا مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عام غزوة تبوك ، فكان يجمع الصلاة ، فصلى الظهر والعصر جميعا ، والمغرب والعشاء جميعا ، حتى إذا كان يوم أخرّ الصلاة ، ثم خرج ، فصلى الظهر والعصر جميعا ، ثم دخل ، ثم خرج بعد ذلك ، فصلى المغرب والعشاء جميعا ، ثم قال : " إنكم ستأتون غدا ـ إن شاء الله ـ عين (٣) تبوك ، وإنكم لن تأتوها حتى يضحي النهار ، فمن جاءها منكم ، فلا يمس من مائها شيئا ، حتى آتي " . فجئناها ، وقد سبقنا إليها رجلان . والعين مثل الشراك : تَبِضُّ (٤) بشيء من ماء ، فسألهما رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " هل مسيتما (٤) من مائها شيئا ؟ " قالا : نعم ، فسبهما رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال (٥) ما شاء الله أن يقول ، (٦): ثم غرفوا بأيديهم ، من العين

---

(١) في ك و ط (الطهر).

(٢) صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الاسلام ، ٦ : ٥٨٧ (٣٥٧٩) من الفتح.

(٣) المقصود بالعين هنا التي يخرج منها الماء . اللسان ١٣ : ٣٠٣ مادة عين .

(٤) في ك و ط (مستما).

(٤) أي أنها ذات ماء قليل جدا كشراك النعل ، تَبِضُّ : تسيل . شرح النووي لمسلم ١٥ : ٤١ . م ٨ .

(٥) في ك و ط زيادة (لهما) (٦) في ك و ط زيادة (قال).

قليلا [١]، حتى اجتمع شيء ، قال : وغسل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيه يديه ووجهه ، ثم أعاده فيها ، فجرت العين بماء منهمر[٢]، أو قال [٣]: غزير [٤]، فسقى [٥] الناس ، ثم قال : " يوشك ـ يامعاذ ، ان طالت بك حياة ـ أن ترى ما هاهنا [٦] قد ملئ جنانا " [٧].

---

(١) سقطت (قليلا) الثانية من أ وقد أثبتناها من ك و ط وهو ما في متن الصحيح .

(٢) منهمر : كثير الصب والدفع : شرح النووي ١٥ : ٤١ .

(٣) هذا الشك هو من أبي علي الحنفي الذي روى عنه الدرامي ، وهو شيخ مسلم.

(٤) هكذا في ك و ط وفي أ (غزيرا) بالنصب والصواب ما في ك و ط ولهذا حذفنا علامة النصب .

(٥) في ك و ط (فاستقى).

(٦) في ط (ماء هاهنا).

(٧) صحيح مسلم بمثله ، كتاب الفضائل ، باب في معجزات النبي .. ..، ٤ : ١٧٨٤ ـ ١٧٨٥ (٧٠٦).

(٧) وها هي نبوّته ـ صلى الله عليه وسلم ـ تتحقق هذه الأيام على أوسع نطاق ـ وان كانت ربما قد تحققت في الماضي بشكل ما ، وذلك بفضل الله ـ تعالى ـ أولا ، ثم نتيجة للخطة الزراعية الحكيمة في بلادنا.

(٧) جنانا : أي بساتين وعمرانا ،جمع (جنة) . شرح النووي ١٥ : ٤١ م ٨ .

وفي صحيح مسلم [١] حديث جابر ، الذي رواه عبادة بن الوليد [٢]، وقد تقدم أوله في قصة الشجرتين وانقيادهما ثم افتراقهما ، ووضع الغصن على القبرين [٢]، وقال في آخره :" فأتينا العسكر ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " يا جابر ، ناد بوضوء " فقال : ألا وضوء ، ألا وضوء . قال : قلت يا رسول الله : ما وجدت في الركب من قطرة ، وكان رجل من الأنصار يبرد لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الماء في أشجاب [٣] له ، فقال لي : " انطلق الى فلان [٤]، فانظر هل في [٥] أشجابه من شيء ؟"قال : فانطلقت إليه ، فنظرت فيها ، فلم أجد فيها [٦] إلا قطرة في عزلاء [٧] شجب ، لو أني أفرغه لشربه يابسه [٨]. فأتيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقلت : يا رسول الله ، لم أجد فيها الا قطرة ، في عزلاء شجب ، لو أني أفرغه لشربه يابسه . قال :

---

(١) في ط زيادة (من).

(٢) هكذا في ك و ط وفي أ (القبر) والأولى ما أثبتناه منها.

(٢) عبادة بن الوليد : هوابن عبادة بن الصامت الأنصاري المدني ، أبو الصامت ، ويقال له : عبد الله ـ أيضا ـ ثقة ، وذكره ابن حبان في الثقات وقال :"كنيته أبو الوليد". تهذيب التهذيب ٥ : ١١٤ .

(٣) أشجاب : جمع شجب : وهو السقاء (القربة) التي قد أخلقت وبليت . وصارت شنا. يقال شاجب : أي يابس . شرح النووي لمسلم ١٨ : ١٤٥.

(٤) في ك و ط زيادة : (الأنصاري).

(٥) سقطت (في) من أ .

(٦) سقطت (فيها) من ط .

(٧) عزلاء شجب : أي فم القربة. أنظر ترتيب ٣ : ٢١٨ .

(٨) شربه يابسه : معناه : أنه قليل جدا ، فلقلته مع شدة يبس باقي الشجب ، لو أفرغه لأذهبه اليابس منه ولم ينزل منه شيء. أنظر المصدر السابق ١٨ : ١٤٦ .

" اذهب فأتني به " ، فأتيته به [١]، فأخذه بيده ، فجعل يتكلم بشيء لا أدري ما هو ، ويغمزه بيده ، ثم أعطانيه ، ثم قال : " يا جابر ناد بحفنة [٢] الركب [٣] " فقلت يا جفنة الركب [٣]، فأُتيت بها تحمل ، فوضعتها بين يديه ، فقال [٤] رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بيده في الجفنة فقال : " خذ يا جابر ، فصُبَّ عليَّ وقل : بسم الله " فصببت عليه ، وقلت : بسم الله ، فرأيت الماء يفور من بين أصابعه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ثم فارت الجفنة ودارت حتى امتلأت . فقال : " يا جابر ، ناد من كانت له حاجة بماء " قال : فأتى الناس ، فاستقوا [٥] حتى رووا . قال : فقلت : هل بقي أحد له حاجة ؟ . فرفع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يده من الجفنة وهي ملأى " [٦].

وفي الصحيحين عن عمران بن حصين قال :"كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم ـ في مسير له ، فأدلجنا [٧] ليلتنا ، حتى اذا كان وجه الصبح ، عَرَّسْنا [٨] ، فغلبتنا أعيننا ، حتى بزغت الشمس ، فكان أول من استيقظ منا أبو بكر الصديق ، وكنا لا نوقظ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

---

(١) سقطت (به) من أ .

(٢) في ك و ط (لجفنة).

(٣) جفنة الركب : الاناء الذي يطبخ فيه ما يشبع الجماعة ، والنداء على تقدير "صاحب" أي يا صاحب جفنة الركب أحضرها. أنظر المصدر السابق ١٨ : ١٤٦ .

(٤) قال هنا : بمعنى فعل .

(٥) في أ (فاسقوا) وقد أثبتنا ما في ك و ط وهو ما في متن الصحيح.

(٦) رواه مسلم بمثله ، كتاب الزهد والرقائق ، باب حديث جابر الطويل .... ، ٤ : ٢٣٠٧ ـ ٢٣٠٨ (٣٠١٣). ومالك في الموطأ مختصرا ، كتاب قصر الصلاة في السفر ، باب الجمع بين الصلاتين في الحضر والسفر ١ : ١٤٣ ـ ١٤٤ .

(٧) الادلاج : سير أول الليل . مختار: ٢٠٩ .

(٨) من التعريس : وهو نزول القوم في السفر من آخر الليل ، يقعون فيه وقعة للاستراحة ثم يرتحلون . مختار : ٤٢٣ .

من منامه حتى يكون هو الذي يستيقظ ، لأنا لا ندري ما يحدث له في نومه ، ثم استيقظ عمر ، فجعل يكبر ، حتى استيقظ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فلما رفع رأسه ، ورأى الشمس قد بزغت ، قال : ارتحلوا ، فسار بنا ، حتى ابيضت الشمس : نزل ، فصلى بنا الغداة : فاعتزل رجل من القوم لم يصل معنا ، فلما أنصرف قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " ما منعك أن تصليَ معنا ؟ " قال أصابتني جنابة ولا ماء ! قال له : " عليك بالصعيد ، فانه يكفيك " فتيمم بالصعيد (١) فصلى ، ثم عجّلني في ركب بين يديه ، يطلب الماء ، وقد عطشنا عطشا شديدا. فبينما نحن نسير اذا نحن بامرأة سادلة رجليها بين مَزَادَتَين (٢)، فقلنا لها : أين الماء ؟ فقالت : إيهاه إيهاه (٣)، لا ماء لكم. فقلت : كم بين أهلك وبين الماء ؟ قالت : مسيرة يوم وليلة ، قلنا : انطلقي إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قالت:وما رسول الله ؟ فلم نملكها من أمرها شيئا ، حتى انطلقنا بها ، (٤) واستقبلنا بها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فسألها ، فأخبرته مثل الذي أخبرتنا ، وأخبرته أنها موتِمة (٥) لها صبيان أيتام. فأمر براو يتها فأنيخت ، فَمَجَّ في العزلاوين (٦) العلياوين ، ثم بعث براويتها فشربنا ، ونحن أربعون رجلا عطاشا ، حتى روينا ، وملأنا كل راوية ، وملأنا كل قربة معنا وإداوة ، وغسلنا صاحبنا ، غير أنا لم نسق بعيرا ، وهي تكاد تتضرج (٧) من الماء يعني المزادتين ، ثم قال : " هاتوا

---

(١) الصعيد : التراب . وقال ثعلب . هو وجه الأرض . مختار : ٣٦٣ .

(٢) سادلة: مرسلة مُدْنِية. والمزادة أكبر من القِربة ، سميت بذلك : لأنه يزاد فيها جلد آخر من غيرها. شرح النووي ٥ : ١٩٠.

(٣) إيهاه : بمعنى هيهات ، والمراد : البعد من المطلوب ، واليأس منه . المصدر السابق ٥ : ١٩١ .

(٤) في ك و ط (فاستقبلنا).

(٥) في ك و ط (مويمة) بالياء بدلا من التاء ، وكلاهما صحيح.

(٦) المج : رَزْق الماء بالفم . والعزلاء : هو المشعب الأسفل للمزادة الذي يفرغ منه الماءويطلق ـ أيضا ـ على فمها الأعلى . شرح النووي ٥ : ١٩١ .

(٧) تتضرج : تتشقق . المصدر الموضع السابق .

(٧) في متن الصحيح : "تنضرج" بتاء ونون ، وليس بتائين كما في جميع النسخ.

ما عندكم " فجمعنا لها من كسر وتمر ، وصر لها صرة ، وقال [١]، اذهبي فاطعمي عيالك ، واعلمي أنا لم نرزأ من مائك [٢] شيئا. فلما أتت أهلها قالت : لقد رأيت أسحر البشر ، أو أنه النبي كما زعم ، كان من أمره ذيت وذيت [٣]. فهدى الله - عز وجل - ذلك القوم بتلك المرأة ، فأسلمت وأسلموا "[٤].

وفي الصحيحين عن أبي قتادة [٥] قال :"خطبنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : " انكم تسيرون عشيتكم وليلتكم ، وتأتون الماء غدا - ان شاء الله - ، فانطلق الناس لا يلوي [٦] أحد على أحد - وذكر حديث النوم في الوادي - فقال : ثم دعا بميضأة ، كانت معي ، فيها شيء من ماء ، فتوضأ منها وضوءا ، دون وضوء ، وبقي فيها شي

---

(١) في ك و ط زيادة : (لها).

(٢) في ط (ماشك).

(٢) أي لم تنقص من مائك شيئا. المصدر السابق ٥ : ١٩٢ .

(٣) في ط (زيت وزيت) بالزاي .

(٣) ذيت وذيت ، بمعنى : كيت وكيت وكذا وكذا . المصدر والموضع السابق .

(٤) رواه مسلم واللفظ أقرب الى لفظه ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب قضاء الصلاة الفائتة ... ، ١ : ٤٧٤ - ٤٧٦ (٦٨٢). والبخاري بنحوه ، كتاب المناقب ، باب علامات النبوة ... ، ٦ : ٥٨٠ (٣٥٧١) من الفتح.

(٥) أبو قتادة : هو الحارث ويقال عمرو أو النعمان بن ربعي بن بُلْدُمة السلمي المدني . شهد أحدا وما بعدها ، ولم يصح شهوده بدرا . ومات سنة ٥٤ هـ على الأصح والأشهر. أسد الغابة : ٢٥٠ - ٢٥١ ، وتقريب ٢ : ٤٦٣ .

(٦) لا يلوي : أي لا يعطف ولا يلتفت . جامع الأصول ١١ : ٣٤٢ .

من ماء ، ثم قال لأبي قتادة : " احفظ علينا ميضأتك ، فسيكون لها نبأ " (١) ، ثم قال :"(٢) أصبح الناس فقدوا نبيهم. فقال : أبو بكر وعمر : ان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعدكم لم يكن ليخلفكم . وقال الناس : إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بين أيديكم ، فإن تطيعوا أبا بكر وعمر ترشدوا." قال : فانتهينا الى الناس ، حين امتد النهار ، وحمي كل شيء ، وهم يقولون:يا رسول الله هلكنا عطشا ، فقال : " لا هُلك عليكم " ثم قال : " أطلقوا لي غُمَري " (٣) قال : ودعا بالميضأة ، فجعل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يصب وأبو قتادة يسقيهم ، فلم يعد أن رأى الناس ما في الميضأة تكابوا عليها. فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " أحسنوا المَلاَء (٤) ، كلكم سيروى " قال : ففعلوا ، فجعل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يصب ، وأسقيهم حتى ما بقي غيري وغير رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ثم صب (٥)

---

(١) النبأ : الخبر ، والمراد : أنها سيكون لها شأن يتحدث به الناس . وفي هذا بحد ذاته معجزة ، وارهاص لمعجزة قادمة ! أنظر جامع الأصول ١١ : ٣٤٣ .

(٢) قبل هذا كلام محذوف ،والقائل هو رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حيث أنه لما صلى بهم الصبح بعد ارتفاع الشمس وقد سبقهم الناس وانقطع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهؤلاء الطائفة اليسيرة عن الناس ، قال لأصحابه :"ما تظنون الناس يقولون فينا ؟ فسكت القوم ، فذكر لهم مواقف الناس هناك من تاخره ومن معه وهو ـ أي التأخر ـ معنى قوله : " أصبح الناس فقدوا نبيهم " . أنظر شرح النووي ٥ : ١٨٨ .

(٣) الغُمَر : القدح الصغير . المصدر والموضع السابق .

(٤) الملاء : الخلق ، وجمعه : أملاء ، وليس الملء من الامتلاء . المصدر والموضع السابق .

(٥) في ك و ط زيادة (رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم).

فقال لي : " اشرب " ، فقلت : لا أشرب حتى يشرب رسول الله ، قال : "ان ساقي القوم آخرهم شربا " فشربت وشرب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : فأتى الناس الماء جامّين رواء "(١).

قال عبد الله بن رباح (٢). " اني لأحدث بهذا الحديث في مسجد الجامع (٣)، اذ قال لي عمران بن حصين : أنظر كيف تحدث . فأنا أحد(٤) الركب تلك الليلة.فقلت : أنت أعلم . فقال : ممن أنت ؟ قلت : من الأنصار. قال : أنتم أعلم بحديثكم. قال عمران : لقد شهدت تلك الليلة ، وما شعرت أن (٥) أحدا حفظه كما حفظتُه " (٦).

---

(١) جامّين : مستريحين من التعب والاعياء . رواء : جمع راو : وهو المستكفي من الماء. المصدر والموضع السابق .

(١) رواه مسلم بمثله ، كتاب المساجد ، باب قضاء الصلاة الفائتة .. .. .. ، ١ : ٤٧٢ (٦٨١) ، ورواه أبو داود مختصرا ، كتاب الصلاة ، باب فيمن نام عن صلاة أو نسيها ، ١ : ١١٩ (٤٣٧). والحديث لم يخرجه البخاري في الصحيح خلافا لما أشار اليه الشيخ المؤلف .

(٢) عبد الله بن رباح : هو الأنصاري ، أبو خالد المدني ، سكن البصرة ، وثقه العجلي وغيره ، أشترك في قتال الأزارقة من الخوارج مع المهلب . توفي في حدود سنة ٩٠ هـ . تهذيب التهذيب ٥ : ٢٠٦ ـ ٢٠٧ .

(٣) مسجد الجامع : هو من باب أضافة الموصوف الى صفته ، فعند الكوفيين يجوز ذلك بغير تقدير ، وعند البصريين لا يجوز الا بتقدير ، وهو هنا: مسجد المكان الجامع . شرح النووي ٥ : ١٨٩ .

(٤) في ط (أحدث).

(٥) سقطت (أن) من ك و ط .

(٦) صحيح مسلم ١ : ٤٧٤ .

وفي مسند الامام أحمد ، ورواه أبو يعلى الموصلي عن البراء بن عازب قال : " كنا مع سول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأتينا على ركي ذمه [١] قال : فنزل ستة ، أنا سابعهم ، أو سبعة أنا ثامنهم . قال : فأدليت الىّ دلو ، ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على شَفَة الركي [٢] ، فجعلنا فيها نصفها أو قريب ثلثيها ، فرفعت الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : فكدت بإنائي أجد [٣] سقيا أجعله في حلقي ، فما وجدت . قال : فغمس رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يديه فيها ، وقال [٤] ما شاء الله أن يقول ، فأعيدت الينا الدلو وما فيها ، قال : فرأيت [٥] آخرنا ، أُخرج بثوب [٦] مخافة الغرق ، قال : وساحت " [٧].

وفي الحديث الذي رواه الأمام أحمد ، والترمذي ، وأبو داود ، وابن

---

(١) في ط (زمة).

(١) ركي ذمة : قال الأصمعي :"الذمة : القليلة الماء". غريب الحديث لأبي عبيد ١ : ٤٢ .

(٢) شفة : شفى كل شيء حرفه . مختار : ٣٤٢ .

(٢) في ط (شفتي).

(٣) في ك و ط (آخذ).

(٤) في ك و ط (فقال).

(٥) في ك و ط (فقد رأيت).

(٦) سقطت (بثوب) من ط .

(٧) في ك و ط (وساخت) بالخاء المعجمة.

(٧) المسند للامام أحمد ٤ : ٢٩٢ . وأورده الهيثمي في المجمع ٨ : ٣٠٠ ، وفي آخره :"ثم ساحت : يعني جرت نهرا " وقال :"هو في الصحيح ، باختصار كثير ، ورواه أحمد والطبراني ، ورجالهما رجال الصحيح".ومسند أبي يعلى الموصلي ،مختصرا ٣ : ٢١٥ ـ ٢١٦ (١٦٥٥) قال المحقق حسين أسد: "واسناده صحيح " . ط ١ ، دار المأمون للتراث ، دمشق ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤م .

ماجه طرف منه ، عن زياد [١] بن الحارث الصدائي [٢] ، قال في آخره : ثم قلنا : يا نبي الله ، إن لنا بئرا إذا كان الشتاء . وسعنا ماؤها ، واجتمعنا عليها ، واذا كان الصيف : قل ماؤها ، فتفرقنا على مياه حولنا ، وقد أسلمنا وكل من حولنا [٣] عدو ، فادع الله في بئرنا أن يسعنا ماؤها ، فنجتمع عليها ولا نتفرق . فدعا بسبع حصيات فعركهن [٤] في يده ، ودعا فيهن ، ثم قال " اذهبوا بهذه الحصيات ، فاذا أتيت [٥] البئر فألقوا واحدة واحدة ، واذكروا اسم الله - عز وجل - " قال الصدائي : ففعلنا ما قال لنا ، فما استطعنا بعد أن ننظر إلى قعرها [٦].

---

(١) في ط (زيادة).

(٢) زياد بن الحارث الصدائي أو الصدائي ، هو حليف بني الحارث بن كعب ابن مذحج ، وصداء:حي في اليمن ، بايع النبي - صلى الله عليه وسلم - وأذن بين يديه ، ونزل مصر. أسد الغابة ٢ : ١١٧ ، وتقريب ١ : ٢٦٦ .

(٣) في ط (حوالينا).

(٤) عَرَك الشيء : دلكه. مختار : ٤٢٨ .

(٥) في ط (أتيتم).

(٦) المسند للامام أحمد ٤ : ١٦٩ ، وسنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب في الرجل يؤذن ويقيم آخر ، ١ : ١٤٢ (٥١٤) ، وسنن الترمذي ، أبواب الصلاة ، باب ما جاء في من أذن فهو يقيم ١ : ٣٨٣ (١٩٩) قال أبو عيسى :"وحديث زياد انما نعرفه من حديث الافريقي ، والافريقي ضعيف عند أهل الحديث". وقد رد المعلق أحمد محمد شاكر ذلك وقال بأنه ثقة وأن من ضعفه فقد أخطأ. وذكر أسباب تضعيف علماء الحديث له وبيان عدم وجاهتها. وأضاف أحمد شاكر قائلا :" وهذه الزيادة موجودة في تهذيب الكمال للحافظ المزي باسناده، ورواه ابن عبد الحكم في فتوح مصر ، وقد ذكر الحافظ ابن حجر في الاصابة ١ : ٥٥٧ أن أحمد أخرج الحديث بطوله ، ولكني لم أجده فيه مطولا ، فلا أدري هل =

. . . . . .

سقط من نسخة المسند التي طبع عليها ، أو سها الحافظ ، فظن أنه في المسند وليس فيه ؟" ورواه ابن ماجه ، أبواب الأذان، باب السنة في الأذان ١ : ١٣٠ (٧٠٢) كلهم رووه مختصرا دون هذه القصة. وقد أورده الهيثمي في المجمع ٥ : ٢٠٣ - ٢٠٤ مطولا جدا ، وقال :"في السنن طرف منه. رواه الطبراني ، وفيه عبد الرحمن بن زياد بن أنعم (يقصد الأفريقي) وهو ضعيف ، وقد وثقه أحمد بن صالح ، ورد على من تكلم فيه. وبقية رجاله ثقات".

وروى الامام أحمد عن ابن عباس قال : " أصبح رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذات يوم ، وليس في العسكر ماء ، فأتاه رجل فقال : يا رسول الله ، ليس في العسكر ماء . قال : " هل عندك شيء " ؟ قال : نعم . قال " فأتني به " قال : فأتاه بإناء فيه شيء من ماء قليل ، قال : فجعل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أصابعه في (١) فم الإناء ، وفتح أصابعه . قال : فانفجرت من بين أصابعه عيون ، وأمر بلالا فقال : " ناد في الناس : الوضوء المبارك " (٢).

---

(١) في ك و ط (على).

(٢) المسند للامام أحمد ١ : ٢٥١ ، وأورده الهيثمي في المجمع بمعناه ٨ : ٢٩٩ ـ ٣٠٠ ثم قال :"رواه الطبراني في الكبير والأوسط باختصار ، والبزار باختصار ، واحمد ... وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط" (ضعفت ذاكرته).

فصل

(قصص تكثير الطعام من أعلام نبوته عليه الصلاة والسلام)

وأما تكثير الطعام ، ففي الصحيحين عن جابر قال :" لما حُفر الخندق رأيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خَمِصا (١)، فانكفأت (٢) الى امرأتي فقلت لها : هل عندك شيء ؟ فاني رأيت برسول(٣) الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خمصا شديدا ، فأخرجت لي جرابا (٤) فيه صاع من شعير ، ولنا بُهيمة داجن (٥) قال : فذبحتُ وطحنتْ ، ففرغت إلى فراغي (٦) فقطعتها في برمتها (٧)، ثم وليت إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ، فقالت : لا تفضحني برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومن معه . قال : فجئت فساررته فقلت : " يا رسول الله ، إنا ذبحنا بُهيمة لنا ، وطَحَنَت صاعا من شعير عندنا ، فتعال أنت ونفر معك ".

---

(١) الخمص : الضامر البطن . جامع الأصول ١١ : ٣٥٥ .

(٢) انكفأت : انقلبت ورجعت . شرح النووي ١٣ : ٢١٥ .

(٣) في جميع النسخ (رسول) وقد أثبتنا ما في الصحيحين .

(٤) جرابا : وعاء من جلد . شرح النووي ١٣ : ٢٢٦ .

(٥) بُهيمة : تصغير بَهِيْمة ، وهي الصغيرة من أولاد الضأن . والداجن : ما ألف البيوت . المصدر والموضع السابق .

(٦) فرغت الى فراغي : أي انصرفت الى فِراغي : والفِراغ : حوض من أدم واسع ضخم ، أي أنه قام بتقطيع الذبيحة في هذا الاناء ، ثم وضعه في البرمة . أنظر اللسان ٨ : ٤٤٥ مادة : فرغ .

(٧) برمتها : قِدْرَها . مختار : ٥٠ .

فصاح رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال : " يا أهل الخندق، إن جابرا قد صنع لكم [١] سورا فحَيَّ هلا [٢] بكم " وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " لا تنزلن برمتكم ، ولا تخبزن عجينكم ، حتى أجيء ". فجئت وجاء رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقدم الناس ، حتى جئت امرأتي فقالت : " بك وبك " [٣] قال : " قد فعلت الذي قلت لي ". فأخرجت له عجينا ، فبصق فيه وبارك ، ثم عمد إلى برمتنا ، فبصق فيها وبارك ، ثم [٤] قال : " ادع [٥] لي خابزة ، فلتخبز معي [٦]، واقدحي من برمتكم ، ولا تنزلوها " وهم ألف . فأُقسم بالله ، لأكلوا حتى تركوه ، وانحرفوا [٧]، وان برمتنا لتغِطُّ [٨] كما هي ، وان عجيننا ليخبز كما هو " [٩].

---

(١) سقطت "لكم" من ك و ط .

(٢) سورا : كلمة فارسية : أي صنع طعاما دعا الناس اليه . حي هلا : أي هلموا مسرعين ، وهي كلمة استدعاء فيها حث . اللسان ٤ : ٣٨٨ ، مادة : سور، والفتح ٧ : ٣٩٩ .

(٣) بك وبك : أي ذمته ودعت عليه ، وقيل : معناه : بك تلحق الفضيحة وبك يتعلق الذم ، وقيل : معناه : جرى هذا برأيك وسوء نظرك وتسببك . شرح النووي ١٣ : ٢١٧ .

(٤) سقطت (ثم) من أ .

(٥) في ط : " ادعي " .

(٦) في ك و ط : "معك ".

(٧) أنحرفوا : مالوا عن الطعام . الفتح ٧ : ٢٩٩ .

(٨) تغط : تغلي وتفور. المصدر والموضع السابق .

(٩) رواه البخاري بمثله ، كتاب المغازي ، باب غزوة الخندق ، ٧ : ٣٩٥-٣٩٦ (٤١٠٢) من الفتح . ومسلم بمثله ، كتاب الأشربة ، باب جواز استتباعه غيره الى دار من يثق برضاه بذلك ... ، ٣ : ١٦١٠ (٢٠٣٩).

وفي رواية ، قال جابر : " انا يوم الخندق نحفر ، فعرضت كدية [١] شديدة ، فجاءوا الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالوا: " هذه كِدْيَة عرضت " فقال : " أنا نازل " . فقام وبطنه معصوب بحجر [٢]، ولبثنا ثلاثا لا نذوق [٣] ذواقا. فأخذ النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ المِعْول [٤]، فضرب ، فعاد كثيبا أَهْيَل [٥]. فقلت : يا رسول الله ، ائذن لي الى البيت ، فقلت لامرأتي : [٦] رأيت من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ شيئا ما في ذلك صبر. قالت : عندي شعير وعناق ، فذبحت

---

(١) كدية : قطعة صلبة صماء. الفتح ٧ : ٣٩٦ .

(٢) فائدة ربط الحجر على البطن أنها ـ أي البطن ـ تضمر من الجوع ، فيخشى انحناء الصلب بواسطة ذلك ، فاذا وضع فوقها الحجر ، وشد عليها العصابة ، استقام الظهر. قال الحافظ ابن حجر نقلا عن الخطابي : "اشكل الأمر في شد الحجر على البطن من الجوع على قوم ، فتوهموا : أنه تصحيف ، وزعموا أنه "الحُجَز" بضم أوله وفتح الجيم بعدها زاي ، جمع الحُجْزة التي يشد بها الوسط . قال : ومن أقام بالحجاز وعرف عادتهم عرف أن الحجر واحدة الحجارة ، وأن المجاعة تعتريهم كثيرا ، فاذا خوى بطنه لم يمكن معه الأنتصاب فيعمد حينئذ الى صفائح رقاق في طول الكف أو أكبر فيربطها على بطنه وتشد بعصابة فوقها فتعتدل قامته بعض الأعتدال . الفتح ٧ : ٣٩٦ و ١١ : ٢٨٤-٢٨٥ .

(٣) في ط (يذوق).

(٤) المعول : المسحاة . الفتح ٧ : ١٩٦ .

(٥) كثيبا أهيل : رملا مجتمعا يسيل ويجري ولا يتماسك . جامع الأصول ١١ : ٣٥٥ والفتح ٧ : ٣٩٧ .

(٦) في ك و ط زيادة : (إني) .

العناق [١]، وطحنت الشعير ، حتى جعلنا اللحم في البرمة . ثم جئت الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والعجين قد انكسر [٢]، والبرمة بين الأثافي [٣]، قد كادت أن تنضج فقلت : طُعَيِّمٌ لي [٤]، فقم أنت يا رسول الله ورجل ورجلان قال : " كم هو ؟ " فذكرت له . قال [٥]: " كثير طيب " . قال : " قل لها ، لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى آتي " قال : " قوموا " فقام المهاجرون والأنصار. فلما دخل على امرأته قال : ويحك جاء النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالمهاجرين والأنصار ومن معهم [٦]، الى أن قال : فلم يزل يكسر ويغرف [٧] حتى شبعوا وبقي بقية . قال : " كل هذا وأهد [٨] فان الناس أصابتهم مجاعة " [٩].

---

(١) العناق : الأنثى من المعز. الفتح ٧ : ٣٩٧ .

(٢) انكسر : أي لان ورطب وتمكن منه الخمير. الفتح ٧ : ٣٩٧-٣٩٨ .

(٣) الاثافي ، الحجارة التي توضع عليها القدر وهي ثلاثة. الفتح ٧ : ٣٩٨.

(٤) طُعَيِّم لي : طعام لي ، على طريقة المبالغة في تقليله . قالوا : من تمام المعروف تعجيله وتحقيره. المصدر والموضع السابق .

(٥) في ك و ط (فقال).

(٦) في ك و ط زيادة : (قالت : هل سألك ؟ قلت : نعم . فقال : ادخلوا ، ولا تضاغطوا) . فجعل يكسر الخبز ، ويجعل عليه اللحم ، ويخمر البرمة والتنور إذا أخذ منه ، ويقرب إلى أصحابه ثم ننزع".

(٧) في ط (يفرق).

(٨) في أ و ك : (وأهدي) والصواب حذف الياء.

(٩) رواه البخاري بمثله ، كتاب المغازي ، باب غزوة الخندق . ٧ : ٣٩٥ (٤١٠١) من الفتح.

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك ، قال :"قال أبو طلحة لأم سليم : قد سمعت صوت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ضعيفا ، أعرف فيه الجوع ، فهل عندك من شيء ؟ فقالت : نعم . فأخرجت أقراصا من شعير ، ثم أخذت خمارا لها ، فلفت الخبز ببعضه ، ثم دسته تحت ثوبي ، وردتني ببعضه ، ثم أرسلتني الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، قال: فذهبت به ، فوجدته جالسا في المسجد ومعه الناس ، فقمت عليهم. فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ:"أرسلك أبو طلحة ؟"فقلت : نعم. فقال: "بالطعام"، فقلت : نعم [1]، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لمن معه : " قوموا " . قال : فانطلق وانطلقت معهم ، حتى جئت أبا طلحة فأخبرته ، فقال أبو طلحة : يا أم سليم ، قد جاء رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالناس ،وليس عندنا ما نطعمهم. فقالت : الله ورسوله أعلم. قال : فانطلق أبو طلحة : حتى لقي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فأقبل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ معه حتى دخل،فقال[2] رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ،[3]: " هلمي يا أم سليم ما عندك " فأتت بذلك الخبز فَفُتَّ ، وعَصَرت عليه أم سليم عُكَّة [4] لها فأدَمَته ،

---

(١) جملة (فقال بالطعام ، فقلت نعم) سقطت من ط .

(٢) سقطت (فقال) من ك و ط .

(٣) في ط زيادة : (وقال).

(٤) العُكَّة : اناء من جلد مستدير يجعل فيه السمن غالبا ، والعسل . الفتح ٦ : ٥٩٠ .

ثم قال فيه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما شاء الله أن يقول ، ثم قال : " ائذن لعشرة " فأذن لهم ، فأكلوا حتى شبعوا ، ثم خرجوا [١] ، ثم قال : " ائذن لعشرة " فأذن لهم ، فأكلوا حتى شبعوا ، ثم خرجوا ، ثم قال : " ائذن لعشرة " فأذن لهم ، حتى أكل القوم كلهم ، وشبعوا ، والقوم سبعون رجلا أو ثمانون " [٢]. وفي طريق البخاري . "ثمانون ."[٣] وقال في رواية : " ثم أكل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأبو طلحة وأم سليم وأنس ، وفضل فضلة ، فأهديناها لجيراننا " [٤].

وفي صحيح مسلم عن سلمة قال :"كنا مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في غزوة خيبر ، فأمرنا أن نجمع ما في أزوادنا ـ يعني من التمر ـ فبسط نِطْعا [٥] فنثرنا عليه أزوادنا ، قال : فتمطيْتُ [٦] وتطاولت [٧]، فنظرت فحزرته كربضة شاة ، ونحن أربع عشرة مائة. قال: " فأكلنا ، ثم تطاولت فنظرته فحزرته كربضة الشاة " [٨].

---

(١) هنا زيادة في ك و ط : (ثم قال : " ائذن لعشرة " فأذن لهم). وفي ط زيادة أخرى : (فأكلوا حتى شبعوا).

(٢) رواه البخاري بمثله ، كتاب المناقب ، باب علامات النبوة ... ، ٦ : ٥٨٦ ـ ٥٨٧ (٣٥٧٨) من الفتح . ومسلم بمثله ، كتاب الأشربة ، باب جواز استتباعه غيره ... ، ٣ : ١٦١٢ (٢٠٤٠).

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الأطعمة ، باب مَنْ أكل حتى شبع ، ٩ : ٥٢٦ـ٥٢٧ ، (٥٣٨١) من الفتح.

(٤) أخرجها مسلم ، كتاب الأشربة ، باب جواز استتباعه غيره ... ، ٣ : ١٦١٤ (٢٠٤٠).

(٥) النِّطع : فراش متخذ من جلد . أنظر المصباح : ٦١١ .

(٦) في ط (فطيت).

(٧) في ك و ط (فتطاولت).

(٨) في ك و ط (شاة).

(٨) صحيح مسلم ، بمثله ، كتاب اللقطة ، باب خلط الازواد اذا قلت والمواساة فيها ٣ : ١٣٥٤ (١٧٢٩).

وفي الصحيحين عن أبي هريرة ، وأبي سعيد ، وسلمة بن الأكوع ، واللفظ لمسلم ، [١] عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال :" كنا مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في مسير ، قال : فنفذت أزواد القوم ، حتى هموا بنحر بعض حمائلهم [٢]، قال : فقال عمر : يارسول الله ، لو جمعت ما بقي من أزواد القوم فدعوت الله عليها . قال ففعل ، فجاء ذو البر ببره ، وذو التمر بتمره ،وذو النوى بنواه . قيل : وما كانوا يصنعون بالنوى [٣] ؟ قال : يمصونه ويشربون عليه الماء ، قال : فدعا عليها حتى ملاء القوم أزوادهم . قال : فقال عند ذلك " أشهد أن لا آله الا الله ، وأني رسول الله ، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيها إلا دخل الجنة " [٤].

وفي لفظ آخر [٥] قال : لما كان يوم غزوة تبوك ، أصاب الناس مجاعة فقالوا : يا رسول الله ، لو أذنت لنا فنحرنا نواضحنا ، فأكلنا وادّهنا ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " افعلوا " . قال :

---

(١) في ط (وعن).

(٢) وردت (حمائلهم) بالحاء والجيم وكلاهما صحيح ، وهو هنا بالجاء وهو جمع حمولة : وهي الابل التي تحمل . وبالجيم جمع جمالة جمع جمل . شرح النووي ١ : ٢٢٣ .

(٣) سقطت (بالنوى) من أ وقد أثبتناها من ك و ط وهو ما في متن الصحيح.

(٤) رواه مسلم ، كتاب الايمان ، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا ، ١ : ٥٥ ـ ٥٦ (٢٧). ورواه البخاري بمعناه ، كتاب الشركة ، باب الشركة في الطعام والنهد والعروض ، ٥ : ١٢٨ (٢٤٨٤) من الفتح .

(٥) سقطت جملة (وفي لفظ آخر) من ك و ط .

فجاء عمر فقال : (يا رسول الله ، ان فعلت قَلَّ الظهر)[١]. وفي رواية ، (ما بقاؤهم بعد إبلهم ، ولكن ادعهم بفضل أزوادهم ، ثم أدع لهم بالبركة ، لعل الله أن يجعل [٢] في ذلك). فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (نعم) فدعا بنطع فبسطه ، ثم دعا بفضل أزوادهم ، قال : فجعل الرجل يجيء بكف ذرة ، وجعل الآخر يجيء بكف تمر ، وجعل يجيء الآخر [٣] بكسرة ، حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير. قال : فدعا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالبركة ، ثم قال " خذوا في أوعيتكم " قال فأخذوا في أوعيتهم ، حتى ما تركوا في العسكر وعاء الا ملأوه[٤]، قال : فأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة " الحديث [٥].

---

(١) المراد بالظهر هنا : الدواب ، سميت ظهرا لكونها يركب على ظهرها ، أو لكونها يستظهر بها ويستعان على السفر. شرح النووي ١ : ٢٢٥ .

(١) أخرجها مسلم ، كتاب الايمان ، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا ، ١ : ٥٦ (٢٧).

(٢) في ط زيادة (البركة) ، قال النووي في شرحه ١ : ٢٢٥ :"هكذا وقع في الاصول التي رأينا ، وفيه محذوف تقديره يجعل في ذلك بركة أو خيرا أو نحو ذلك ...".

(٣) في ك و ط (الآخر يجيء).

(٤) في ط (ملئوه).

(٥) هذه الرواية مجموعة من رواية للبخاري وهو قول عمر :"وما بقاؤهم بعد ابلهم". كتاب الجهاد ، باب حمل الزاد في الغزو ٦ : ١٢٩ (٢٩٨٢) من الفتح . وبقيتها من رواية مسلم ، كتاب الايمان ، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا ـ ومنها الرواية التي قبلها ، ١ : ٥٦ (٢٧).

وروى البخاري [١] من حديث سلمة بن الأكوع [٢] قال :"خرجنا مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في غزوة ، فأصابنا جهد [٣] حتى هممنا أن ننحر بعض ظهرنا ، فأمرنا نبي الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فجمعنا مزاودنا [٤]، فبسطنا له نطعا ، فاجتمع زاد القوم على النطع ، قال فتطاولت لاحزره كم هو ؟ فحزرته كربضة العنز ، ونحن أربع عشرة مائة. قال : فأكلنا حتى شبعنا جميعا ، ثم حشونا [٥] جُرُبَنَا [٦] . فقال نبي الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ [٧]: " هل [٨] من وضوء ؟ " قال: فجاء رجل بأداوة فيها نطفة [٩]، فأفرغها في قدح ، فتوضأنا كلنا ، ندغفقه دغفقة [١٠]، أربع عشرة مائة ، ثم جاء بعد ذلك ثمانية ، فقالوا : هل من طهور ؟ فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " فرغ الوضوء " [١١].

---

(١) هذه الرواية لمسلم وليست للبخاري كما يتضح من التخريج .

(٢) في ك و ط زيادة : (بنحوه).

(٣) جهد : مشقة . مختار : ١١٤ .

(٤) المزاود : جمع مزود ، كمنبر ، وهو الوعاء الذي يحمل فيه الزاد ، وهو ما تزوده المسافر لسفره من الطعام . التعليق على صحيح مسلم ٣ : ١٣٥٤ .

(٥) في ك (حشينا) وفي ط (حشينا جروبا).

(٦) جربنا : جمع جراب : أي الوعاء الذي يجعل فيه الزاد . التعليق على صحيح مسلم ٣ : ١٣٥٥ لعبد الباقي .

(٧) لم ترد الجملة الدعائية في أ .

(٨) في ك و ط (فهل).

(٩) نطفة : قليل من الماء . شرح النووي ١٢ : ٣٤ .

(١٠) في ك و ط (بدغفقة دغفقة).

(١٠) الدغفقة : صب الماء صبا شديدا . المصدر والموضع السابق .

(١١) هذا لفظ مسلم ، كتاب اللقطة ، باب استحباب خلط الأزواد اذا قلت والمواساة فيها ، ٣ : ١٣٥٤ ـ ١٣٥٥ (١٧٢٩) ورواه البخاري بمعناه ومختصرا ، كتاب الشركة ، باب الشركة في الطعام والنهد والعروض ، ٥ : ١٢٨ (٢٤٨٤).

وفي صحيح مسلم عن جابر : أن أم مالك [١] كانت تهدي للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في عكة لها سمنا ، فيأتيها بنوها ، فيسألون الأُدْم [٢] ، وليس عندهم شيء ، فتعمد الى الذي كانت تهدي فيه للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فتجد فيها [٣] سمنا ، قال : فما زال يقيم لها أدم بيتها حتى عصرته ، فأتت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : " عصرتيها ؟ " فقالت : نعم . قال : " لو تركتيها ما زال قائما " . [٤]

وروى مسلم في صحيحه عن جابر ـ أيضا ـ ، قال :"جاء رجل الى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يستطعمه فأطعمه شطر وسق [٥] شعير ، فمازال الرجل يأكل منه وامرأته وضيفهماحتى كاله ، فأتى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : " لو لم تكله لأكلتم منه ، ولقام لكم " . [٦]

---

(١) أم مالك : هي الأنصارية ، لها حديث رواه مسلم . أسد الغابة ٦ : ٣٨٩ . تقريب ٢ : ٦٢٤ .

(٢) الأدم : ما يؤكل مع الخبز ، أي شيء كان . اللسان ١٢ : ٩ مادة أدم.

(٣) في ك و ط (فيه).

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب في معجزات النبي ... ، ٤ : ١٧٨٤ (٢٢٨٠).

(٥) في ط (ونبق).

(٥) الوسق : ستون صاعا ، قال الخليل : الوسق حمل البعير والوقر حمل البغل والحمار . مختار : ٧٢١ .

(٦) قام لكم : بقي حاضرا موجودا . شرحالنووي ١٥ : ٤٠ .

(٦) صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب في معجزات النبي ... ، ٤ : ١٧٨٤ (٢٢٨١).

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك قال :"تزوج النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ زينب فدخل بأهله ، قال : فصنعت أمي (١) أمُ سليم حَيْسا (٢) ، فجعلته في تَوْر (٣) من حجارة ، فقالت : يا أنس ، اذهب بهذا الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقل : بَعَثَت بهذا أمي اليك ، وهي تقرئك السلام ، وتقول : ان هذا لك منا قليل يا رسول الله . قال : فذهبت بها الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقلت : ان أمي تقرئك السلام ، وتقول : ان هذا لك منا قليل . فقال : " ضعه " ثم قال : " اذهب فادع فلانا وفلانا وفلانا ، ومن لقيت " وسمى رجالا . قال فدعوت من سمى ، ومن لقيت ، قال الجعد (٤) وهو الراوي عن أنس : عدد كم (٥) كانوا ؟ قال : كانوا زهاء ثلاثمائة (٦) ، وقال لي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " يا أنس هات التور " قال : فدخلوا حتى امتلأت الصفة والحجرة . فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " ليتحلق عشرة عشرة ، وليأكل كل انسان مما يليه " . قال فأكلوا حتى شبعوا ، قال : فخرجت طائفة ، ودخلت طائفة حتى أكلوا كلهم . فقال : " يا أنس ، ارفع " فرفعت ، فما أدري حين وضعت كان أكثر أم حين رفعت ؟ قال : وجلس طوائف منهم

---

(١) سقطت (أمي) من ك و ط .

(٢) الحَيس : تمر ينزع نواه ويدق مع أقط ويعجنان بالسمن ، ثم يدلك باليد ، وربما جعل معه سويق . المصباح : ١٥٩ .

(٣) التَور : الاناء . اللسان ٤ : ٩٦ مادة : تور.

(٤) الجعد : هو ابن دينار اليشكري ، أبو عثمان الصيرفي البصري . يقال له : صاحب الحلي ، وثقه ابن معين الترمذي وغيرهما. تهذيب التهذيب ٢ : ٨٠ .

(٥) في ط : زيادة : (كم) ثانية.

(٦) زهاء ثلاثمائة : قدر ثلاثمائة . مختار : ٢٧٧ .

يتحدثون ، وذكر نزول آية الحجاب . (١)

وروى البخاري عن أنس ـ أيضا ـ : أن أم سليم عمدت الى مد من شعير ، جشته (٢) وجعلت منه خَطِيفة (٣) ، وعصرت عُكة* عندها ، ثم بعثتني الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأتيته وهو في أصحابه ، فدعوته . قال : " ومن معي ؟ " فجئت فقلت : إنه يقول " ومن معي ؟ " فخرج إليه أبو طلحة ، فقال يا رسول الله ، إنما هو شيء صنعته أم سليم ، فدخل فجيء به وقال : " أدخل عشرة " حتى عد أربعين ، ثم أكل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ثم قام ، فجعلت أنظر ، هل نقص منها شيء ؟. (٤)

وعن سمرة بن جندب قال : (كنا مع رسول الله (٥) ـ صلى الله عليه وسلم ـ نتداول قصعة من غدوة (٦) الى الليل ، يقوم عشرة ، ويقعد عشرة ، فقلنا : ما كان ، يمد (٧) ؟ قال : فمن أي شيء تعجب ؟ ما كانت تمد

---

(١) رواه البخاري بنحوه ، كتاب النكاح ، باب الهدية للعروس ، ٩ : ٢٢٦-٢٢٧ (٥١٦٣) من الفتح . ومسلم في كتاب النكاح ، باب زواج زينب بنت جحش .. ، ٢ : ١٠٥١ (١٤٢٨) واللفظ له .

(١) آية الحجاب المصرح بها في حديث مسلم هي قوله ـ تعالى ـ ﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين إناه ... ﴾ الآية . الأحزاب : ٥٣ .

(٢) جشته : جعلته جشيشا ، وهو الدقيق غير الناعم . الفتح ٩ : ٥٧٤ .

(٣) خطيفة : على وزن عصيدة وبمعناه . قيل : أصله أن يؤخذ لبن ، ويذر عليه دقيق ، ويطبخ ، ويلعقها الناس ، فيخطفونها بالأصابع والملاعق فسميت بذلك . المصدر والموضع السابق .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الأطعمة ، باب من أدخل الضيفان عشرة عشرة .. ، ٩ : ٥٧٤ (٥٤٥٠) من الفتح .

(٥) في ك و ط (النبي).

(٦) الغدوة : ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس . المصباح ٢ : ٤٤٣ .

(٧) في ك و ط (ما كانت تمد) .

(*) العكة: بضم أوله فقط: هي آنية السمن، أصغر من القربة. ترتيب ٣: ٢٨٦.

الا من هينا ، وأشار بيده الى السماء " رواه النسائي [١] والترمذي ، وقال :"حديث حسن صحيح"[٢] ، ورواه الدرامي [٣] والحاكم في صحيحه [٤] .

وفي البخاري عن أبي هريرة : أنه كان يقول : " والله الذي لا إله الا هو ، ان كنت لأعتمد على الأرض [٥] ، من الجوع ، وان كنت لأشد الحَجَر[٦] على بطني من الجوع ، ولقد قعدت يوما على طريقهم الذي يخرجون منه ، فمر أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله ، ما سألته الا ليستتبعني [٧] ، فلم [٨] يفعل ، * [٩] ثم مر عمر ، فسألته عن آية من كتاب الله ، ما سألته الا ليستتبعني ، فمر فلم يفعل * ثم مر بي أبو القاسم ـ صلى

---

(١) لم يرد هذا الحديث في سنن النسائي حسب علمي .

(٢) سنن الترمذي ، كتاب المناقب ، باب في آيات اثبات نبوة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ٥ : ٥٩٢ (٣٦٢٤).

(٣) سنن الدرامي ، المقدمة ، باب ما أكر م النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بنزول الطعام من السماء ، ١ : ٣٠ .

(٤) المستدرك ، كتاب التاريخ ٢ : ٦١٨ وقال :"هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي . ورواه الامام أحمد في المسند ٥ : ١٢ . والبيهقي في الدلائل ٦ : ٩٣ باسنادين قال في أحدهما : "هذا اسناد صحيح". وأبو نعيم في الدلائل ٢ : ٥٥١ .

(٥) لاعتمد على الأرض : أي ألصق بطني بالأرض ، وكأنه كان يستفيد بذلك ما يستفيد من شد الحجر على بطنه ، أو هو كناية عن سقوطه الى الأرض مغشيا عليه . الفتح ١١ : ٢٨٤ .

(٦) في ط (الحجر) بالزاي .

(٧) ليستتبعني : يطلب مني أن أتبعه . الفتح ١١ : ٢٨٥ .

(٨) في ك و ط (فمر ولم يفعل).

(٩) ما بين النجمتين سقط من ك و ط .

الله عليه وسلم ـ فتبسم حين رآني ، وعرف ما في وجهي ، وما في نفسي ، ثم قال : [1] " أباهر " . قلت : لبيك يا رسول الله . قال : " الحق " ومضى ، فاتبعته فدخل ، فاستأذن ، فأذن لي ، فدخلت ، فوجد [2] لبنا في قدح فقال : " من أين هذا اللبن ؟ " قالوا : هدّاه [3] لك فلان أو فلانة . قال : " أباهر " قلت . لبيك يا رسول الله ، قال : " الحق [4] أهل الصفة [5] فادعهم لي " . قال : وأهل الصفة أضياف الاسلام ، لا يأوون الى أهل ولا الى مال ، اذا أتته صدقة [6] بعث بها اليهم ، ولم يتناول منها شيئا ، واذا أتته هدية أرسل اليهم ، وأصاب منها ، وأشركهم فيها ، فساءني ذلك ، فقلت : وما هذا اللبن في أهل الصفة ؟ كنت أحق أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها ، فاذا جاؤا أمرني فكنت أنا أعطيهم ، وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن ؟ ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله بُدٌّ ، فأتيتهم فدعوتهم ، فأقبلوا ، فأذن لهم ، وأخذوا مجالسهم من البيت ، فقال : " يا أبا هر " قلت : لبيك يا رسول الله . قال : " خذ فأعطهم " فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يَرْوىٰ ، ثم يرد عَلَيّ القدح * [7] فأعطيه الآخر ، فيشرب حتى يروىٰ ، ثم يرد على القدح ، فأعطيه الآخر فيشرب حتى يروى ، ثم يرد علي القدح * حتى انتهيت الى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد روي القوم كلهم ، فأخذ القدح ، فوضعه

---

(١) في ط زيادة : (يا) .

(٢) في أ (فوجدت) .

(٣) في ط (أهداه) وأهدى وهدّى بمعنى ، والهدية : ما أتحفت به . اللسان ١٥ : ٣٥٧ ـ ٣٥٨ ، مادة : هدى .

(٤) في ك و ط زيادة : (الى).

(٥) الصفة : من النبيان شِبْه البهو الواسع الطويل السمك ، وهو موضع مظلل في مسجد المدينة . وكان عدد أهل الصفة أربعمائة . اللسان ٩ : ١٩٥ مادة : صفف ، ودائرة معارف وجدي ٥ : ٥٢٣ .

(٦) هكذا في ك و ط ، وفي أ زيادة (قد) وهي زيادة نسخية .

(٧) ما بين النجمتين سقط من ك و ط .

على يده ، فنظر الي فتبسم ، فقال [١] : " أبا هر " قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : " بَقِيْتُ أنا وأنت " قلت : صدقت يا رسول الله . قال : " اقعد فاشرب " فقعدت فشربت ، * [٢] فقال : " اشرب " فشربت * فما زال يقول : " اشرب " حتى قلت : لا والذي بعثك بالحق ما أجد له مسلكا : قال : " فأرني " فأعطيته القدح ، فحمد الله وسمى وشرب الفضلة . [٣]

وفي الصحيحين عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق [٤] قال : كنا مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثلاثين ومائة ، فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " هل مع أحد منكم طعام ؟ " فاذا مع رجل صاع من طعام أو نحوه ، فعجن . ثم جاء رجل مشعان [٥] طويل ، بغنم يسوقها فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " أبيعا أم عطية ؟ " أو قال : " هبة ".

---

(١) في ك و ط : " فقال " وفي ط زيادة : (يا).

(٢) ما بين النجمتين سقط من ك و ط .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب كيف كان عيش النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه ... ، ١١ : ٢٨١-٢٨٢ (٦٤٥٢) من الفتح بمثله . وراه الترمذي ، كتاب صفة القيامة ، باب ٣٦ ، ٤ : ٦٤٨-٦٤٩ (٢٤٧٧).

(٤) هو ابن الصديق ، شقيق عائشة ، آخر اسلامه الى قبيل الفتح ، وشهد اليمامة والفتوح ، ومات في طريق مكة فجأة سنة ٥٣ هـ وقيل بعد ذلك . تقريب ١ : ٤٧٤ .

(٥) سقطت (مشعان) من ط ولكن قبلها زيادة (منفش الرأس ، شائر الرأس) .

(٥) مشعان : منفش الشعر ، شائر الرأس . اللسان ١٣ : ٢٤٠ مادة : شعن . قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٥ : ٢٣٢ :"فسره المصنف (يقصد البخاري) في آخر الحديث في رواية المستملي بأنه الطويل جدا ، فوق الطويل . وزاد غيره : مع أفراد (أي شدة) الطول شعث الرأس".

قال : بل بيع . فاشترى منه شاة ، فصُنعت ، وأمر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بسواد البطن [١] أن يشوى ، وأيْم الله ما في الثلاثين ومائة الا من قد حز له النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حَزة [٢] من سواد بطنها ، ان كان شاهدا [٣] أعطاه ، وان كان غائبا خبأ [٤] له ، فجعل منها قصعة ، فأكلوا أجمعون ، وشبعنا ، ففضلت القصعتان ، فحملناها [٥] على البعير " [٦] أو كما قال . [٧]

---

(١) سواد البطن : هو الكبد ، أو كل ما في البطن من كبد وغيرها . الفتح ٥ : ٢٣٢ .

(٢) الحَزة : القطعة من اللحم تقطع طولا ، والجمع : حُزز . المصباح ١٣٣ .

(٣) الشاهد : الحاضر . المصباح : ٣٢٤ .

(٤) في ك و ط (أخبأ).

(٥) في ك و ط (فحملناه).

(٦) رواه البخاري ، كتاب الهبة ، باب قبول الهدية من المشركين ، ٥ : ٢٣٠ (٢٦١٨) من الفتح بمثله . ومسلم ، كتاب الأشربة ، باب اكرام الضيف ... ، ٣ : ١٦٢٦ (٢٠٥٦) بمثله .

(٧) جملة : (أو كما قال) شك من أحد الرواة عند الشيخين .

فصـــل

(من آيـــات النبوة : تكثير الثمـــــار)

وأما تكثيـر الثمـار ، ففي صحيـح البخـــاري عـن جابـر بن عبد الله أن أبـــاه [١] استشهد وترك دَيْنا ، وترك ست بنـات ، فلما حضـر جـداد [٢] النخل ، قال : أتيت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقلت : قد علمـت أن والـدي قـد استشهد يوم أحـد ، وتـرك دينـــــا كثيرا ، واني أحب أن يـراك الغرماء . قال : " اذهـب فبيـدر [٣] كل تمـر على ناحيـة " ففعلت ، ثـــم دعوتـه ، فلما نظروا اليه ، كأنهم أُغْروا بـــي [٤] تلك السـاعة ، فلما رأى ما يصنعون ، أطـاف حـــول أعظمهـا بيدرا ثـلاث مرات ، ثم جلس عليـه ، ثم قـال لي [٥]: " ادع لي أصحابك " فما زال يكيل لهـم ، حتى أدى الله عن والـدي أمانته ، وأنـا أرضى أن يـؤدىَ

---

(١) أبو جابـر : هـو عبد الله بن عمرو بن حـرام ، الأنصاري الخزرجي السلمي ، أبو جابر ، كان عَقَبِيا بدريـا نقيبـا ، كان نقيب بني سلمة هـــو والبراء بن معـرور ، أستشهد يوم أحد سنة ٣ هـ . أسد الغابـــة : ٣ : ٢٤٢ .

(٢) جِداد : بكسر الجيم وفتحهـا ، وهـو قطع ثمارها. المصباح : ٩٢ .

(٣) بيدر : أي أجعـل التمـر في البيادر ، كل صنف في بيـدر ، والبيدر: هـو الموضع الذي تهيـأ فيه التمـور والحبـوب للحفـظ . أنظر الفتح ٦ : ٥٩٣ ، والمصباح : ٣٨ .

(٤) اغـروابي : هيجـوابي . الفتح ٥ : ٤١٤ .

(٥) سـقطت (لي) من ك و ط .

الله عن والدي أمانته ، ولا أرجع الى أخواتي بتمرة ، فسلم الله البيادر كلها ، حتى اني لأنظر الى البيدر الذي كان عليه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كأنها لم تنقص تمرة واحدة " [١]. وفي رواية : أن أباه ترك عليه ثلاثين وسقا لرجل من اليهود ، فاستنظره [٢] جابر ، فأبى أن ينظره ، فكلم جابر رسول الله [٣] ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليشفع [٤] اليه ، فجاءه وكلم اليهودي ليأخذ تمر نخله بالذي له فأبى ، فدخل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ النخل ، فمشى فيها ، ثم قال لجابر : " جدله فأوف له " فجد له [٥] بعد ما راح رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثلاثين وسقا ، وفضل له سبعة عشر [٦] وسقا ، فجاء جابر ليخبره بالذي كان ، فوجده يصلي العصر ، فلما انصرف أخبره بالفضل . فقال : " اخبر بذلك ابن الخطاب " فذهب جابر الى عمر ، فأخبره ، فقال عمر : " لقد علمت حين مشى فيها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليباركن فيها " [٧].

وروى الأمام أحمد والترمذي وغيرهما ، حديث مزود [٨] أبي هريرة ،

---

(١) صحيح البخاري ، بمثله ، كتاب الوصايا ، باب قضاء الوصي ديون الميت بغير محضر من الورثة ، ٥ : ٤١٣ (٢٧٨١) من الفتح.

(٢) استنظره : طلب منه التأخير في الأمر . ترتيب القاموس ٤ : ٣٩٥ .

(٣) في ك و ط (النبي).

(٤) في ك و ط زيادة : (له).

(٥) في أ : (فجده).

(٦) في ك و ط : (سبع عشرة).

(٧) صحيح البخاري ، كتاب الاستقراض ، باب اذا قاصّ أو جازفه في الدين تمرا بتمر أوغيره ، ٥ : ٦٠ (٢٣٩٦) من الفتح بمثلها.

(٨) المزود : وعاء التمر يعمل من أدم (جلد) . المصباح : ٢٦٠ .

قال ، أحمد : ثنا (١) يونس (٢) ثنا حماد بن زيد (٣) عن المهاجر (٤) ، عن أبي العالية ، عن أبي هريرة قال :" أتيت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بتمرات وقلت : ادع الله لي فيهن بالبركة ، قال : فصفهن بين يديه ، قال : ثم دعا ، فقال لي : " اجعلهن في مزودك ، فأدخل (٥) يدك ولا تنثره " قال: فجعلت منه كذا وكذا وسقا في سبيل الله ، ونأكل ونطعم ، وكان لا يفارق حَقْوي (٦)، فلما قتل عثمان انقطع من حَقْوي فسقط " رواه الترمذي عن عمران بن موسى القزاز (٧)، عن حماد ، بنحوه ، وقال :"حديث حسن غريب

---

(١) ثنا : رمز يستعمله أهل الحديث لكلمة : حدثنا . على سبيل الأختصار وقد يحذفون الثاء ـ أيضا ـ . تدريب الراوي ٢ : ٨٦ .

(٢) يونس : هو ابن محمد بن مسلم البغدادي ، ابو محمد ، المؤدب ، ثقة ثبت ، مات سنة ٢٠٧ هـ . تقريب ٢ : ٣٨٦ .

(٣) حماد بن زيد : هو ابن درهم الأزدي الجهضمي ، أبو اسماعيل البصري ، ثقة ثبت فقيه ، قيل : انه كان ضريرا ، مات سنة ١٧٩ هـ وله ٨١ سنة . تقريب ١ : ١٩٧ .

(٤) المهاجر : هو ابن مَخْلد ، أبو مخلد ، مولى البكرات ، مقبول . تقريب ٢ : ٢٧٨ .

(٥) في ك و ط (وادخل).

(٦) الحَقو : موضع شد الازار من الخاصرة ، ثم توسعوا حتى سموا الازار الذي يشد على العورة حقوا. المصباح : ١٤٥ .

(٧) في ك و ط : (الفرار) وفي التقريب ٢ : ٨٥ (الفزاري).

(٧) عمران بن موسى القزاز : هو أبو عمرو البصري . وثقه النسائي في موضع ، وقال :" لا بأس به" ، في موضع آخر.وقال أبو حاتم :" صدوق" ووثقه مسلمة بن قاسم والدارقطني.مات بعد سنة ٢٤٠ هـ . تهذيب التهذيب ٨ : ١٤١ .

من هـذا الوجـه". (١)

ورواه الحافـظ عبد الغني (٢) وغيره (٣) من طـريق أخـرى ، عن محمـــد ابن سيرين ، عن أبي هريرة قـال :" كـان رسـول الله ـ صلى الله عليه وسـلم ـ في غـزاة ، فـأصـابهم عـوز من الطعـام ، فقـال : " يـا أبـا هـريرة عنـــدك شـيء ؟ " قلت : (٤) شـيء من التمـر في مزود لي (٥)، قـال : " جـيء بـــه " فجئـت بالمزود ، وقـال : " هـات نطعـا " فجئـت بالنطع فبسطه (٦)، فـأدخـل يـده ، فقبض على التمـر ، فـاذا هـو احـدى وعشـرين (٧) تمـرة ، قـال : ثـم قـال : " بسـم الله " فجعـل يضع كل تمـرة ويسـمي ، حتى أتى على التمـــر ، فقـال بـه هكـذا فجمعـه فقـال : " ادع فلانـا وأصحابـه " فـأكلوا وشـــبعوا وخرجوا ، ثم قـال " ادع فلانـا وأصحابـه " فـأكلوا وشـبعوا وخرجوا ، قـال : وفضـل تمـر . قـال : (٨) فقـال لي : " اقعـد " فقعـدت فـأكل وأكلت ، قـال :

---

(١) سـنن الترمذي ، كتـاب المنـاقب منـاقب لأبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ ٥ : ٦٨٥ـ ٦٨٦ (٣٨٣٩). والمسند للأمام أحمد ٢ : ٣٥٢ . والفتح الربـاني ٢٢ : ٥٦ .

(٢) الحافظ عبد الغني : هـو ابن عبد الواحد بن علي بن سـرور المقدســـــي الجمـاعيلي ثم الدمشـقي الصـالحي الحنبلي ، محـدث الاسـلام . تقي الديـــن ، أبو محمـد ، صـاحب التصانيف ولـد سـنة ٥٤١ هـ وكـان عـابدا ورعـــا ماشـيا على قـانون السـلف ، مـات سـنة ٦٠٠ هـ . طبقـات الحفـاظ : ٤٨٧ـ٤٨٨ والبدايـة والنـهاية ١٣ : ٣٨ـ٣٩ .

(٣) كالبيهقي وابي نعيم كما سـيأتي في تخريجـه .

(٤) في ك و ط زيـادة (لا ، الا).

(٥) في ك و ط (مزودي).

(٦) في ك و ط (فبسـط) بدون هـاء.

(٧) في ط (وعشـرون).

(٨) سـقطت (قـال) من ك و ط .

وفضل تمر فأخذه ، فأدخله في المزود فقال : " يا أبا هريرة ، اذا أردت شيئا فأدخل يدك ، [١] ولا تكفأ فيكفأ عليك " قال : فما كنت أريد تمرا الا أدخلت يدي ، فأخذت منه خمسين وسقا في سبيل الله - عز وجل - وكان معلقا خلف ظهري فوقع زمان عثمان ، فذهب . [٢]

ورواه من طريق يزيد بن أبي منصور [٣] عن أبيه [٤] عن أبي هريرة ، قال :" أصبت بثلاث بموت النبي - صلى الله عليه وسلم - وكنت صويحبه وخويدمه ، وبقتل عثمان ، والمزود ، وما المزود !! كنا مع سول الله - صلى الله عليه وسلم - فأصاب الناس مخمصة [٥]، فقال لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " هل من شيء يا أبا هريرة ؟ " فقلت : نعم ، شيء من تمر في مزود . قال : " فأتني به " فأتيته به ، فأدخل [٦] يده ، فأخرج قبضة فبسطها ، ثم قال : " ادع لي عشرة " ، فأكلوا حتى شبعوا ، * [٧] ثم أدخل يده فأخرج قبضة فبسطها ثم قال : " ادع لي عشرة " * فمازال يصنع كذلك حتى أطعم الجيش كلهم وشبعوا ، ثم قال : " خذ ما جئت به ، وأدخل يدك واقبض ، ولا تَكْفِه " قال أبو هريرة :

---

(١) في ك و ط زيادة : (فخذ).

(٢) أخرجه البيهقي في الدلائل ٦ : ١٠٩ وأبو نعيم مجموعا من روايتين ٢ : ٥٥٨ - ٥٥٩ .

(٣) يزيد بن ابي منصور : هو الأزدي ، أبو رَوْح البصري ، لا بأس به ،ووَهَمَ من ذكره في الصحابة. تقريب ٢ : ٣٧١ .

(٤) أبو يزيد : هو الحارث بن منصور الواسطي ، أبو منصور - الزاهد ، ويقال : أبو سفيان ، صدوق يَهِم. تقريب ١ : ١٤٤ .

(٥) المخمصة : المجاعة . مختار : ١٩٠ .

(٦) في ك و ط (فأخذ).

(٧) ما بين النجمتين سقط من ك و ط .

فقبضت [١] على أكثر مما جئت به . ثم قال أبو هريرة : الا أحدثكم عما أكلت منه ؟ أكلت [٢] حياة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأطعمت ـ وحياة أبي بكر وأطعمت ، وحياة عمر وأطعمت وحياة عثمان وأطعمت ، فلما قتل عثمان انتهب بيتي وذهب المزود" [٣].

وروى الامام أحمد في مسنده : ثنا يعلى بن عبيد [٤]، ثنا اسماعيل [٥] عن قيس عن دُكَين بن سعيد المزني [٦] قال :" أتينا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أربعين وأربعمائة نسأله الطعام ، فقال لعمر : " اذهب فأطعمهم " [٧] فقال : يا رسول الله [٨] ما بقي الا آصع [٩] من تمر ما أراه يقيظني [١٠] قال [١١]: قال : " فأطعمهم " ،

---

(١) في ك و ط (قبضت).

(٢) هنا محذوف تقديره : زمن حياة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

(٣) أخرجه البيهقي في الدلائل ٦ : ١١٠-١١١ بنحوه. وأبو نعيم في الدلائل ـ أيضا ـ بمثله ، ٢ : ٥٥٨-٥٥٩ (٣٤٢).

(٤) يعلى بن عبيد : هو ابن أبي أمية ، الكوفي ، أبو يوسف الطنافسي ، ثقة الا في حديثه عن الثوري ففيه لين ، مات سنة بضع ومائتين هـ وله ٩٠ سنة . تقريب ٢ : ٣٧٨ .

(٥) اسماعيل : هو ابن أبي خالد الأحمسي مولاهم ، البجلي ، ثقة ثبت . مات سنة ١٤٦ هـ . تقريب ١ : ٦٨ .

(٦) في جميع النسخ : (المدني) بالدال ، وصوابه (المزني) بالزاي كما في المسند وكتب الرجال . وهو ما أثبتناه .

(٦) دكين بن سعيد المزني : ويقال : الخثعمي ، له حديث واحد ... ، وهو معدود فيمن نزل الكوفة من الصحابة . الاصابة ١ : ٤٧٦ .

(٧) في ك و ط (فأعطهم) .

===

. . . . . .

---

(٨) في أ زيادة الجملة الدعائية ، وهي زيادة نسخية حتما .

(٩) آصع : هذا جمع بالقلب (أي المقلوب) ومفرده صاع الذي جمعه أصواع ، فقد نقلت الهمزة من موضع العين (عين الكلمة) الى موضع الفاء مثل أبار وآبار وقد جعله أبو حاتم من خطأ العوام ورد عليه بذلك ابن الأنباري . المصباح : ٣٥٢ .

(١٠) في ك و ط : " ما أرى تقبضني " .

(١٠) يقيظني : قال وكيع . القيظ في كلام العرب أربعة أشهر . والقيظ : حُمَّارة الصيف الذي يسميه الناس : فصل الصيف . أسد الغابة ٢ : ٩ و مختار : ٥٥٩ والمصباح : ٥٢١ .

(١٠) في جميع النسخ (يقيضني) بالضاد ، والذي في المسند وكتب اللغة (يقيظني) بالظاء وهو ما أثبتناه .

(١١) سقطت أحدكلمتي : (قال) من ك و ط .

قال :"سمع [١] وطاعة " . قال : فأخرج عمر المفتاح من حُجْزته [٢]،ففتح الباب ، فاذا شبه الفَصِيل [٣] الرابض من تمر ، فقال لنا :"خذوا"، فأخذ كل رجل [٤] منا ما أحب ، ثم التفتُّ وكنت من آخر القوم ، وكأنا لم نرزأ [٥] تمرة "[٦]. ورواه أبو داود عن عبد الرحيم بن مطرف [٧] عن عيسى ابن يونس [٨]، عن اسماعيل بن أبي خالد [٩]،عن قيس بن أبي حازم [١٠] ، عن دكين [١١]، قال أبو عبد الله المقدسي [١٢]:"واسناده على شرط الصحيح".

---

(١) في ك و ط (اذهب فأعطهم) قال : (سمعا).

(٢) الحُجْزَة : معقد الازار . مختار : ١٢٤ .

(٣) الفَصِيل : ولد الناقة اذا فصل عن أمه . مختار : ٥٠٥ .

(٤) سقطت (رجل) من ك و ط .

(٥) رزأ الشيء : نقصه . ترتيب ٢ : ٣٣٠ .

(٦) مسند الامام أحمد ٤ : ١٧٤ وأورده الهيثمي في المجمع ٨ : ٣٠٤-٣٠٥ وقال: "روى أبو داود منه طرفا - رواه أحمد والطبراني و رجالهما رجال الصحيح" . ورواه أبو نعيم في الدلائل ٢ : ٥٤٨-٥٤٩ (٣٣٣) .

(٧) عبد الرحيم بن مطرف : هو ابن أنيس بن قدامة الرؤاسي أبو سفيان الكوفي ، نزيل (سروج) ثقة ، مات سنة ٢٣٢ هـ . تقريب ١ : ٥٠٤ .

(٨) عيسى بن يونس : هو ابن أبي اسحاق ، أبو عمرو ويقال : أبو محمد السبيعي ، أخو اسرائيل ، كوفي نزل الشام مرابطا ، ثقة مأمون مات سنة ٨٧ هـ وقيل : ٩١ هـ . تقريب ٢ : ١٠٣ .

(٩) في ك و ط (خلد) بدون ألف حسب الرسم القديم .

(١٠) في أ (أبي حازم) .

(١١) سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب في أتخاذ الغرف ٤ : ٣٦٠ - ٣٦١ ، (٥٢٣٨) بلفظ : (أتينا النبي - صلى الله عليه وسلم - فسألناه الطعام ، فقال : (يا عمر أذهب فأعطهم) ، فارتقى بنا الى عِلِيَّة فأخذ المفتاح من حجزته ففتح) .

(١٢) أبو عبد الله المقدسي : هو محمد بن أحمد بن عبد الهادي المقدسي الحنبلي ، الامام الناقد البارع في فنون العلم ، وخاصة الحديث وفنونه =

. . . . . .

ومعرفة الرجال والعلل ، لازم الشيخ المؤلف مدة وقرأ عليه قطعة من الأربعين في أصول الدين للرازي ، مات مريضا سنة ٧٤٤ هـ عشر جمادى الأولى ودفن بسفح قاسيون بدمشق ، ولم يكمل الأربعين . أنظر البداية والنهاية ١٤ : ٢١٠ ، وشذرات الذهب ٦ : ١٤١ .

فصـــل

(تسخير الأحجار له ـ عليه السلام ـ من أعلام نبوته)

وأما النوع الخامس [١]، تأثيره في الأحجار وتصرفه فيها وتسخيرها له. ففي صحيح البخاري عن أنس قال: "صعد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أحدا، ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم الجبل، فقال: " اسكن " وضربه برجله " فليس عليك الا نبي وصديق وشهيدان " [٢].

وفي الصحيحين عن جابر بن سمرة عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: " اني لأعرف حجرا بمكة، كان يسلم عليّ قبل أن أبعث، اني لأعرفه الآن " . [٣]

وفي الترمذي عن عليٍّ قال: (كنت مع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بمكة، فخرجنا في بعض نواحيها، فما استقبله شجر ولا جبل الا وهو يقول: " السلام

---

(١) هذا هو النوع السادس، حسب واقع السياق.

(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لوكنت متخذا خليلا، ٧: ٢٢ (٣٦٧٥) وفي باب مناقب عمر ابن الخطاب ...، ٧: ٤٢ (٣٦٨٦) وفي باب مناقب عثمان بن عفان بن عمرو ...، ٧: ٥٣ (٣٦٩٧) من الفتح.

(٣) رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ...، ٤: ١٧٨٢ (٢٢٧٧). والترمذي بنحوه، كتاب المناقب، باب آيات اثبات نبوة النبي ...، ٥: ٥٩٢-٥٩٣ (٣٦٢٤). ولم يَرِد عند البخاري خلافا لما أشار اليه الشيخ المؤلف. رحمه الله تعالى.

عليك يا رسول الله " [١] ورواه الحاكم في صحيحه.[٢]

وفي صحيح مسلم عن سلمة بن الأكوع قال [٣]:"غزونا مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حنينا [٤]، فلما واجهنا العدو تقدمته فأعلو ثنية ، فاستقبلني رجل من العدو ، فأرميه [٥] بسهم فتواري عني ، فما دريت ما صنع ، ونظرت الى القوم ، فاذا هم قد طلعوا من ثنية أخرى ، فالتقوا هم وأصحاب النبي [٦]ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فولى أصحاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وارجع [٧] منهزما ، وعلي بردتان ، متزرا باحداهما [٨] مرتديا بالأخرى ، فاستطلق ازاري فجمعتهما **جميعا** ومررت

---

(١) سنن الترمذي ، كتاب المناقب ، باب ٦ ، ٥ : ٥٩٣ (٣٦٢٦) : وقال :"هذا حديث غريب".

(٢) المستدرك للحاكم ، كتاب التاريخ ، ٢ : ٦٢٠ وقال :"هذا حديث صحيح الأسناد ، ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي .

(٣) في ط (فقال).

(٤) غزوة حنين : كانت بعد الفتح سنة ٨ هـ وقعت بين المسلمين بقيادة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبين ثقيف ونصر وجشم وسعد بن بكر وناس من بني هلال ، وكان المسلمون أثنا عشر الفا . السيرة لابن هشام ٤ : ٨٠.

(٥) في ط (فرميته).

(٦) في ك و ط (محمد).

(٧) في ط (فرجعت).

(٨) في أ (باحدهما).

على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ منهزما وهو على بغلته الشهباء [١]، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ " لقد رأى ابن الأكوع فزعا " فلما غشوا النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ نزل عن البغلة ، ثم قبض قبضة من الأرض واستقبل به [٢] وجوههم فقال : " شاهت [٣] الوجوه " فما خلق الله منهم انسانا إلا ملاء عينيه ترابا بتلك القبضة ، فولوا مدبرين ، فهزمهم الله " [٤]

وفي صحيح مسلم عن العباس بن عبد المطلب قال :" شهدت مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم حنين ، فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث [٥]

---

(١) ركوبه ـ صلى الله عليه وسلم ـ البغلة في موطن الحرب ، وعند اشتداد البأس ، هو النهاية في الشجاعة والثبات ، ولأنه ـ أيضا ـ يكون معتمدا يرجع اليه المسلمون ... وانما فعله عمدا والا فقد كانت له أفراس معروفة. شرح النووي ١٢ : ١١٤ ـ ١١٥ .

(١) الشهباء : من الشهب والشهبة : وهو لون بياض ، يصدعة سواد من خلاله. اللسان : ٥٠٨ مادة : شهب .

(٢) في ط (بها).

(٣) شاهت ـ قبُحت . المصدر السابق ١٢ : ١٢٢ .

(٤) صحيح مسلم ، بمثله ، كتاب الجهاد والسير ، باب غزوة حنين ، ٣ : ١٤٠٢ (١٧٧٧).

(٥) في ك و ط (الحرث) .

ابن عبد المطلب [١] رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلم نفارقه ، ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على بغلة له بيضاء [٢] أهداها له فروة بن نفاثة الجذامي [٣]، فلما التقى المسلمون والكفار ، [٤] ولى المسلمون مدبرين، فطفق [٥] رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يَرْكُض بغلته قِبَلَ الكفار، قال العباس : وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أكفها [٦]، وأبو سفيان آخذ بركاب * [٧] رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ * إرادة أن لا تسرع [٨] فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

---

(١) أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب : هو ابن هشام بن عبد مناف القرشي الهاشمي ، ابن عم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأخوه من الرضاعة ، ومن الذين يشبهونه ، وكان شاعرا مطبوعا ، أسلم وحسن اسلامه توفي سنة ٢٠ هـ وهو الذي حفر قبره بنفسه قبل موته بثلاثة أيام. أسد الغابة ٥ : ١٤٥-١٤٧ .

(٢) ورد في حديث سلمة بن الأكوع السابق وصف البغلة بالشهباء وهي واحدة لا يعرف له بغلة سواها ، وهي التي يقال لها : دلدل .

(٣) تعددت الأقوال في اسم والد فروة فقيل عامر وعمرو ونباتة ونعامة ، ورد أنه أرسل رسولا الى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ باسلامه ، وأهدى له تلك البغلة ، وكان يسكن عمان بالشام ، وكان عاملا للروم على من يليهم من العرب ، فلما بلغ الروم اسلامه طلبوه حتى أخذوه فحبسوه عندهم،قال ابن اسحاق : زعم الزهري أنهم لما قَدَّموه ليقتلوه قال :(بلغ سراة المسلمين بأنني سَلْمٌ لربي أعظمي وبناني) أسد الغابة ٤ : ٥٦ ـ ٥٧ .

(٤) في ط (وولى).

(٥) في ط (طفق).

(٦) في ك و ط زيادة : (ارادة أن لا تسرع).

(٧) ما بين النجمتين ليس في أ وقد أكملناه من ك و ط .

(٨) تقدمت جملة (إرادة أن لا تسرع) في ك و ط على قوله (وأبو سفيان آخذ ...).

" أي عباس ، ناد أصحاب الشجرة [١] فو الله لكان عطفتهم [٢] حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها . يا لبيك يا لبيك . قال : فاقتتلوا والكفار ، والدعوة في الأنصار [٣] يقولون : يا معشر الأنصار . ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج [٤] فقالوا : يا بني الحارب بن الخزرج ، فنظر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو على بغلته ، كالمتطاول عليها الى قتالهم ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " هذا حين حمى الوطيس [٥] " ثم أخذ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حَصَيات فرمىٰ وجوه الكفار ، ثم قال : " انهزموا ورب الكعبة " قال فذهبت أنظر ، فإذا القتال على هيئته فيما أرى ، فو الله ما هو إلا أن رماهم بحصياته ، فما

---

(١) في ك و ط (السمرة).

(١) الشجرة : هي الشجرة التي بايعوا تحتها بيعة الرضوان ، والمعنى : ناد أهل بيعة الرضوان يوم الحديبية . وقد ذكر الحازمي أن العباس كان يقف على سَلْع فينادي غلمانه في آخر الليل وهم في الغابة فيُسْمِعهم. قال وبين سلع والغابة ثمانية أميال . شرح النووي ١٢ : ١١٥ .

(٢) في ك و ط (عطفهم).

(٣) أي الاستغاثة والمناداة اليهم . المصدر السابق ١٢ : ١١٦ .

(٤) الحارث بن الخزرج : هو ابن عمرو بن مالك بن الأوس بن حارثة بن ثعلبة ابن عمرو ـ مزيقيا بن عامر ـ ماء السماء بن حارثة ـ الغطريف ـ بن امريء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد. وكان سكنهم بالسُّنح على ميل من مسجد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفيهم كان يسكن أبوبكر الصديق . جمهرة أنساب العرب : ٣٣٢ و ٣٢٨ و ٣٦١ .

(٥) الوطيس : هو شبه التنور يسجر فيه ، ويضرب مثلا لشدة الحرب التي يشبه حرها حره . قالوا : وهذه اللفظة من فصيح الكلام وبديعه الذي لم يسمع من أحد قبل النبي ـ صلى الله عليه وسلم . شرح النووي ١٢ : ١١٦ .

زلت أرى حدهم كليلا [١]، وأمرهم مدبرا ، حتى هزمهم الله [٢]، وقد قال الله ـ تعالى ـ عن يوم بدر ـ : ﴿ ... وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ... ﴾ [٣].

---

(١) كليلا : غير قاطع ، تشبيه بحد السيف الذي هذه صفته ، والمعنى : مازلت أرى قوتهم ضعيفة. أنظر المصباح : ٥٣٨ وشرح النووي ١٢ : ١١٧ .

(٢) صحيح مسلم بنحوه ، كتاب الجهاد والسير ، باب في غزوة حنين ، ٣ : ١٣٩٨ ـ ١٣٩٩ (١٧٧٥).

(٣) سورة الأنفال : ١٧ .

(٣) أورد الهيثمي في المجمع ٦ : ٨٤ قول حكيم بن حزام :"لما كان يوم بدر أُمِر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأخذ كفا من الحصى فاستقبلنا به فرمى بها ، وقال : " شاهت الوجوه "فانهزمنا ، فانزل الله-عز وجل-: ﴿ ... وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ... ﴾ قال الهيثمي : "رواه الطبراني واسناده حسن"، وعن ابن عباس أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال لعلي : " ناولني كفا من حصى " فناوله ، فرمى به وجوه القوم فما بقي أحد من القوم الا أمتلأت عيناه من الحصباء فنزلت ... ، وذكر الاية ، قال الهيثمي :"رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح". وقد ورد عن ابن المسيب والزهري أنها نزلت في شأن قتله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأبي بن خلف يوم أحد كما رواه الحاكم عنهما في المستدرك ٢ : ٣٢٧ وصححه ووافقه الذهبي ، قال الحافظ ابن كثير :"وهذا القول عن هذين الامامين (يقصد ابن المسيب والزهري) غريب جدا، ولعلهما أرادا أن الآية تتناوله بعمومها ، لا أنها نزلت فيه خاصة. تفسير القرآن العظيم ٣ : ٥٧٢ .

وروى ابن إسحاق عن جماعة ، منهم عروة ، والزهري ، وعاصم بن عمر [١] وغيرهم قالوا :"فكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في العريش [٢]، هو وأبو بكر ، ما معهما غيرهما ، وقد تدانى القوم بعضهم من بعض ، فجعل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يناشد [٣] ربه ، ما وعده من نصره ويقول : " اللهم ان تهلك هذه العصابة [٤] لا تعبد " ، وأبو بكر يقول : بعض [٥] مناشدتك ربك ، يا رسول الله ، فان الله سينجز لك ما وعدك من نصره ، وخفق [٦] رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خفقة ثم هَبّ [٧]، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " أبشر يا أبا بكر ، أتاك نصر الله ـ عز وجل ـ ، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه ، يقوده على تنياه [٨] النقع (يقول الغبار) [٩]" ثم خرج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فعبأ أصحابه وهيأهم ، وقال : " لا يعجلن رجل [١٠] منكم بقتال حتى نؤذنه [١١] فاذا أكثبكم القوم (ـ يقول قربوا

---

(١) في أ و ك و ط (عمرو) والصواب ما جاء في نسخة أكسفورد وهو ما أثبتناه ، والمقصود هو عاصم بن عمر بن قتادة .

(٢) العريش : مفرد جمعه عرش وعروش ، وهي المَظالّ التي تسوى من جريد النخل،ويطرح فوقها الشُّمام. اللسان ٦ : ٣١٥ مادة:عرش .

(٣) يناشد : يطالب . ترتيب ٤ : ٣٧١ .

(٤) العصابة : الجماعة من الناس والخيل والطير. مختار : ٤٣٥-٤٣٦ .

(٥) في ط (بعد).

(٦) خفق : اخذته سِنَة من النعاس ، فمال رأسه دون سائر جسده . المصباح : ١٧٦ .

(٧) هب : استيقظ . مختار ٦٨٩ .

(٨) ثناياه : ركبتاه ومرفقاه . اللسان ١٤ : ١٢٣ مادة ثني .

(٩) هذا تفسير من أحد الرواة . وهو في مختار : ٦٧٦ .

(١٠) سقطت (رجل) من ط .

(١١) في ك و ط (يؤذنه) بالياء .

منكم ـ) [١] فانضحوهم [٢] عنكم بالنبل [٣]" ثم تزاحم الناس ، فلما تدانى بعضهم من بعض ، خرج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأخذ حفنة من حصباء [٤]، ثم استقبل بها قريشا ، فنفخ بها وجوههم ، وقال : " شاهت الوجوه " ثم قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " احملوا [٥] عليهم يا معشر المسلمين " فحمل المسلمون ، وهزم الله قريشا ، وقتل من قتل من أشرافهم ، وأسر من أسر منهم "[٦].

وفي حديث ابن أبي طلحة [٧]، عن ابن عباس فقال [٨] له جبريل:" خذ قبضة من تراب " [٩] * فأخذ قبضة من تراب * ورمى بها وجوههم ، فما في [١٠] المشركين من أحد الا وأصاب عينيه ومنخريه وفمه تراب ، من تلك القبضة ، فولوا مدبرين . [١١]

---

(١) وهذا تفسير من أحد الرواة ـ أيضا ـ وهو في اللسان ١ : ٧٠٢ مادة: كثب .

(٢) انضحوهم : أرموهم . ترتيب ٤ : ٣٨٦ .

(٣) النبل : السهام ، وقيل السهام العربية . اللسان ١١ : ٦٤٢ مادة : نبل .

(٤) الحفنة : ملء الكفين . والحصباء : صغار الحصى . المصباح : ١٤٢ و ١٣٨ .

(٥) احملوا : من الحملة : وهي الكرة في الحرب . ترتيب ١ : ٧١٢ .

(٦) السيرة لابن هشام ٢ : ٢٧٩ ـ ٢٨٠ .

(٧) في ك و ط زيادة : (الوالبي).

(٧) ابن أبي طلحة : هو علي بن أبي طلحة سالم بن مخارق ، مولى بني العباس، سكن حمص ، أرسل عن ابن عباس ولم يره ، صدوق قد يخطيء ، مات سنة ١٤٣ هـ . ميزان الأعتدال ٣ : ١٣٤،وتقريب ٢ : ٣٩ .

(٨) في ط (قال).

(٩) ما بين النجمتين سقط من آ ، وقد أكملناه من ك و ط .

(١٠) في ك و ط (من).

(١١) رواه ابن جرير في جامع البيان ٩ : ٢٠٥ ، والبيهقي في الدلائل ٣ : ٧٨-٧٩ وابو نعيم في الدلائل ٢ : ٦٠٤ ، كلهم من طريق علي بن أبي طلحة ، وعلى هذا فهو حديث مرسل .

فصل

(تأييد الله لرسوله بالملائكة : من أعلام نبوته)

النوع السادس (١) من آياته ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (٢)
تأييد الله بملائكته ، قال (٣) الله ـ تعالى ـ : ﴿ اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين (٤) ﴾ ... الآيه ـ وقال ـ تعالى ـ : ﴿ اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين * بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين (٥) ﴾ ، وقال ـ تعالى ـ في الخندق (٦) : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ، اذكروا نعمة الله عليكم ، اذ جاءتكم جنود ، فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها ، وكان الله بما تعملون بصيرا (٧) ﴾ ، وقال ـ تعالى ـ في حنين ، ﴿ ثم أنزل الله سكينته (٨) على رسوله وعلى المؤمنين ،

---

(١) هذا هو النوع السابع حسب واقع السياق .

(٢) ليس في ك و لا ط الجملة الدعائية .

(٣) في أ (فقال) .

(٤) سورة الأنفال : ٩.

(٤) مردفين : متتابعين ، يتبع بعضهم بعضا.صفوة التفاسير ٩ : ٤٩٥ .

(٥) سورة آل عمران : ١٢٤ ـ ١٢٥ .

(٥) مسومين : معلمين على السلاح ومدربين على القتال . صفوة ٤ : ٢٢٨ .

(٦) سورة الأحزاب : ٩.

(٧) أي في غزوة الخندق أو الأحزاب .

(٨) السكينة : السكون والطمأنينة . صفوة ١٠ : ٥٢٦ .

وأنزل جنودا لم تروها ،وعذب الذين كفروا ، وذلك جزاء الكافرين (١) * وقال - تعالى - في الهجرة : * ... ثاني اثنين اذ هما في الغار ، اذ يقول لصاحبه لاتحزن ، إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه ، وأيده بجنود لم تروها ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هي العليا ...) (٢) وقال - تعالى - في بدر : * اذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم ، فثبتوا الذين آمنوا ، سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب ... * (٣) .

وفي الصحيحين - واللفظ لمسلم - عن ابن عباس ، عن عمر بن الخطاب (٤) ، قال : " لما كان يوم بدر ، نظر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الى المشركين ، وهم ألف ، وأصحابه ثلاثمائة وسبعة عشر رجلا ، فاستقبل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - القبلة ، ثم مد يديه وجعل يهتف بربه : "اللهم أنجز لي ماوعدتني ، اللهم آتني ماوعدتني ، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الاسلام لاتعبد في الأرض" ، فما زال يهتف بربه مادّا يديه ، مستقبل القبلة ، حتى أسقط (٥) رداءه عن منكبيه . فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه ،فألقاه على (٦) منكبيه ،ثم التزمه من ورائه (٧) ، فقال : " يانبي الله كفاك (٨) مناشدتك ربك ، فإنه سينجز لك ماوعدك " ، فأنزل الله - عز وجل - : * إذ تستغيثون ربكم ، فاستجاب لكم . أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين (٩) * فأمده الله بالملائكة .

---

(١) سورة التوبة : ٢٦ .
(٢) سورة التوبة : ٤٠ .
(٣) سورة الأنفال : ١٢ .
(٤) في أ (ففي) .
(٥) في ك و ط (سقط) .
(٦) في ط (عن) .
(٧) أي اعتنقه وضمه إلى صدره من ورائه ، ويؤخذ من ذلك مشروعية المعانقة والالتزام من الخلف كما هي من الأمام ، وتلك هيئة لم أشاهدها طيلة حياتي . انظر المصباح : ٥٥٣ .
(٨) في أ (كفاك كذالك) وفي ك (كذاك) وقد أثبتنا مافي ط لأنه أصوب .
(٩) سورة الأنفال : ٩.

قال أبو زُمَيل[١] :"فحدثني ابن عباس قال :"بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه ، اذ سمع ضربة سوط فوقه ، وصوت[٢] الفارس يقول : " أَقْدِم حيزوم[٣] " فنظر الى المشرك[٤] أمامه ، فخر[٦] مستلقيا ، فنظر إليه فاذا قد خطم[٥] أنفه ، وشق وجهه ، كضربة بالسوط ،فاخضر ذلك أجمع . فجاء الأنصاري فحدث ذلك رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : " صدقت ، ذلك من مدد السماء الثالثة " فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين[٧] ..."وذكر الحديث .

وذكر البخاري في هذا الحديث : فخرج ـ يعني النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو يقول : " سيهزم الجمع ويولون الدبر[٨] " .

---

(١) أبو زُمَيل : هو سِماك بن الوليد الحنفي اليمامي ثم الكوفي ، ليس به بأس . سير .. النبلاء ٥ : ٢٤٩ ـ ٢٥٠ ، وتقريب ١ : ٣٣٢ .

(٢) في ط (وسوط) .

(٣) حَيْزوم : فرس جبريل ـ عليه السلام ـ . شرح النووي ١٢ : ٨٥.

(٤) في ط (المشركين) .

(٥) الخَطْم : الأثر على الأنف . المصدر السابق ١٢ : ٨٦ .

(٦) هذا الاخضرار آية أخرى ، حيث يدل على أن الآلة القتالية غير عادية ، والا لو كانت عادية لما أخضر شيء من ذلك أبدا .

(٧) رواه مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب الامداد بالملائكة .. ، ٣:١٣٨٣ (١٧٦٣) .

(٨) سورة القمر : ٤٥ .

(٨) وروى البخاري طرفا من حديث مسلم فيه الجملة المذكورة ، في كتاب الجهاد والسير ،باب ماقيل في درع النبي ٦٠٠٠ : ٩٩(٢٩١٥) من الفتح، وأما قصة الملائكة ففي رواية أخرى مختصرة في كتاب المغازي ، باب شهود الملائكة بدرا ، ٧ : ٣١١ ـ ٣١٢ (٣٩٩٢ ـ ٣٩٩٥) من الفتح .

وقال ابن اسحاق :"حدثني عبد الله بن أبي بكر بن حزم (١) ، عن بعض بني ساعدة (٢) قال :"سمعت أبا أسيد (٣) مالك بن ربيعة (٤) ـ بعدما أصيب بصره ـ يقول :"لو كنت معكم ببدر ـ الآن ـ ، ومعي بصري ، لأخبرتكم بالشعب الذي خرجت منه الملائكة ،لا أشك ولا أتمارى (٥) ، فلما نزلت الملائكة ورآها ابليس ، وأوحى الله اليهم : ﴿ ... أني معكم فثبتوا الذين آمنوا ...﴾ (٦) وتثبيتهم (٧) : ان الملائكة تأتي الرجل ، في صورة الرجل يعرفه (٨) ، وتقول له : " أبشروا ، فانهم ليسوا بشيء، والله معكم ، كروا عليهم " . فلما رأى ابليس الملائكة ، نكص (٩) على عقبيه ، وقال : ﴿ ... اني بريء منكم اني أرى مالا ترون ... ﴾ (١٠)

---

(١) عبد الله بن أبي بكر بن حزم ، هو الامام الحافظ أبو محمد الأنصاري ، صاحب المغازي ، وشيخ ابن اسحاق ، ثقة ، مات سنة ١٣٥ هـ وله سبعون سنة . سير .. النبلاء ٥ : ٣١٤ ـ ٣١٥ ، وتقريب ١ : ٤٠٥ .

(٢) بنو ساعدة : هم بنو ساعدة بن كعب بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة ابن عمرو ـ مزيقياء ـ بن عامر ـ ماء السماء ـ بن حارثة الغطريف ابن امريء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك ابن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . جمهرة أنساب العرب : ٣٢٩ و ٣٣١ و ٣٦٥ . واللباب ٢ : ٩٢ .

(٣) في ك و ط (أسد) بالتكبير .

(٤) أبو أسيد ، مالك بن ربيعة : هو ابن البدن بن عامر بن عوف بن حارثة ابن عمرو بن الخزرج ، مشهور بكنيته ، شهد بدرا وأحدا ومابعدهما ، كان قصيرا أبيض الرأس واللحية كثير الشعر ، مات سنة ٦٠ هـ وله ٧٨ سنة ، وقيل غير ذلك في وفاته وعمره . الاصابة ٣ : ٣٤٤ .

(٥) لم يورد ابن هشام من رواية ابن اسحاق الا الى هذا الموضع فحسب السيرة لابن هشام ٢ : ٢٨٦ .

(٦) سورة الأنفال : ١٢ .

(٧) سقطت : (وتثبيتهم) من جميع النسخ وهى في الدلائل للبيهقي والتفسير والسيرة لابن كثير .

(٨) في ك و ط (تعرفه) .

(٩) نكص : من النكوص : وهو الاحجام عن الشيء يقال : نكص على عقبيه : أي رجع . مختار : ٦٧٩ .

(١٠) سورة الأنفال : ٤٨ .

وهو في صورة سراقة[١] ، وأقبل أبو جهل يحض أصحابه ، ويقول : لايهولنكم[٢] خذلان سراقة إياكم ، فإنه على موعد من محمد وأصحابه ، ثم قال: " واللات والعزى لانرجع حتى نقرن محمدا وأصحابه في الحبال ، فلاتقتلوهم وخذوهم أخذا "[٣]

وفي الصحيحين ، عن سعد بن أبي وقاص قال :"رأيت (يوم أحد) عن يمين النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعن يساره ، رجلين عليهم ثياب بيض ، يقاتلان عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أشد القتال ، مارأيتهما قبل ذلك اليوم ولابعده"[٤] ـ ويعني جبرائيل وميكائيل[٥] ـ عليهما السلام ـ .

وفي الصحيحين عن عائشة قالت :" أصيب سعد يوم الخندق ، رماه رجل من قريش (ابن العرقة)[٦][٧] رماه في الأكحل[٨] ، فضرب عليه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خيمة في المسجد يعوده من قريب . فلما رجع رسول الله

---

(١) في أ (سورة) والصواب ما أثبتناه من ك و ط .

(٢) سراقة : هو ابن مالك بن جعشم بن مالك بن عمرو بن تيم بن مدلج ابن مرة المدلجي ، أبو سفيان ، أسلم بعد حصار الطائف بالجعرانة ، ومات سنة ٢٤ هـ أسد الغابة ٢ : ١٧٩ ـ ١٨١ .

(٣) رواه البيهقي في الدلائل عن ابن اسحاق ٣ : ٥٢ ـ ٥٣ وانظر تفسير القرآن العظيم ٤ : ١٨ والسيرة كلاهما لابن كثير ٢ : ٤٧ .

(٤) في ك و ط : " جبريل " .

(٥) رواه مسلم واللفظ له بمثله ،كتاب الفضائل باب في قتال جبريل ... ، ٤ : ١٨٠٢ (٢٣٠٦) في روايتين . ورواه البخاري مختصرا ، كتاب المغازي باب : " اذ همت طائفتان ..."، ٧ : ٣٥٨ (٤٠٥٤) من الفتح .

(٦) سقطت الف (ابن) في ط .

(٧) ابن العرقة : هو حِبان بن قيس ، أحد بني عامر بن لؤي ،والعرقة : أمه ، واسمها : قلابة بنت سعيد بن سعد بن سهم ، تكنى أم فاطمة ، سميت العرقة لطيب ريحها وهي جدة خديجة أم أمها هالة . الروض الأنف ٣ : ٢٨٠ .

(٨) الأكحل : هو عرق في وسط الذراع . الفتح ٧ : ٤١٣ .

ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الخندق ، وضع[(١)] السلاح ، فاغتسل فأتاه جبريل ـ عليه السلام ـ ، وهو ينفض عن رأسه من الغبار ، فقال : " وضعت السلاح ! والله[(٢)] ماوضعناه ، اخرج اليهم " ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " فأين ؟ " فأشار إلى بني قريظة ، فقاتلهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فنزلوا على حكم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فرد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الحكم فيهم الى سعد ، قال:"اني[(٣)] أحكم فيهم أن يقتل المقاتلة . وأن تسبى الذرية والنساء ، وتقسم أموالهم"[(٤)] . وفي بعض طرق البخاري :"فأتاه جبريل وقد عصب رأسه الغبار"[(٥)] .

وروى البخاري عن أنس قال :"كأني أنظر إلى الغبار ساطعا في زقاق[(٦)] بني غُنْم[(٧)] ، موكب جبريل ـ صلوات الله عليه ـ ، حين سار رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى بني قريظة"[(٨)] .

---

(١) في ك و ط (ووضع) .

(٢) في ك و ط (فوالله) .

(٣) في ك و ط (فإني) .

(٤) رواه البخاري بمثله ، كتاب المغازي ، باب مرجع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الأحزاب ... ، ٧ : ٤١١ (٤١٢٢) من الفتح . ورواه مسلم بمثله ، كتاب الجهاد والسير ، باب جواز قتال من نقض العهد ... ، ٣ : ١٣٨٩ (١٧٦٩) .

(٥) المعنى : أحاط به فصار عليه مثل العصابة . الفتح ٦ : ٣١ .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب الجهاد والسير ، باب الغسل بعد الحرب والغبار، ٦:٣٠ (٢٨١٣) من الفتح .

(٦) الزقاق : السكة . مختار : ٢٧٣ .

(٧) بنو غنم : بطن من الخزرج ، وهم بنو غنم بن مالك بن النجار ، منهم أبو أيوب الانصاري وآخرون ، ووهم من زعم أن المراد بهم هنا بنو غنم ، حي من تغلب . الفتح ٦ : ٣١٠ .

(٨) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب مرجع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الأحزاب ٧ : ٤٠٧ (٤١١٨) من الفتح .

وفي المغازي من غير طريق[1] : أن الصحابة رأوا جبريل في صورة (دحية الكلبي)[*] وأنه معتم بعمامة أرخى طرفها بين كتفيه ، وقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " بعثه الله الى بني قريظة ، يزلزل بهم حصونهم ، ويلقي الرعب في قلوبهم "[2] .

وروى البخاري عن ابن عباس : أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال يوم بدر : " هذا جبريل ، آخذ برأس فرسه ، عليه أداة الحرب "[3] .

وفي الصحيحين عن عائشة أنها قالت لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: " يارسول الله ، هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ قال " لقد لقيت من قومك ، وكان أشد مالقيت منهم ، يوم العقبة ، اذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كُلال[4] ، فلم يجبني الى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي ، فلم أستفق الا وأنا بقرن الثعالب[5] ، فرفعت رأسي ، فاذا أنا بسحابة قد أظلتني ، فنظرت فاذا فيها جبريل ، فناداني فقال :" ان الله قد سمع قول قومك لك ، ومارددوا عليك ، وقد بعث اليك مَلَك الجبال[6] ،

---

(١) سقطت (غير) من ك و ط .

(٢) السيرة لابن هشام ٣ : ٢٤٥ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ،باب شهود الملائكة بدرا ، ٧ : ٣١٢(٣٩٩٥) من الفتح .ورواه الامام أحمد في المسند ١ : ١٤٧ .

(٤) في ك و ط : " كلاب " .

(٤) ابن عبديالليل بن عبد كلال : هو : كنانة ، وقيل : مسعود ، وكان من أكابر اهل الطائف ، جاء كنانة مع وفد الطائف سنة ١٠ هـ . لكن ذكر المديني ان الوفد أسلموا الا كنانة فخرج الى الروم ومات بها بعد ذلك . أسد الغابة ٤ : ٢٠٠ ـ ٢٠١ والفتح ٦ : ٣١٥ .

(٥) قرن الثعالب : هو قرن المنازل ، وهو ميقات أهل نجد ، تلقاء (مقابل) مكة ، على يوم وليلة (٥٠ كلم تقريبا) وأصل القرن الجبل المستطيل المنقطع عن الجبل الكبير . انظر معجم البلدان ٤ : ٣٣٢ .

(٦) الظاهر أنه لم يرد في النصوص تسميته ـ عليه السلام ـ .

(*) دحية: هو ابن خليفة بن فروة بن فضالة الكلبي ، صحابي جليل نزل المزّة ومات في خلافة معاوية . تقريب ١:٢٣٥ ، واسد الغابة ٢:٦ .

لتأمره بما شئت فيهم " قال : " فناداني مَلَك الجبال ، وسلم عليَّ ، ثم قال : " يامحمد ، ان الله قد سمع قول قومك لك ، وماردوا عليك ، وأنا مَلَك الجبال ، وقد بعثني اليك ربك ، لتأمرني بأمرك ماشئت (١) ، ان شئت أن أطبق عليهم الأخشبين (٢) " . فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :" بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ، ولايشرك به شيئا (٣) " .

---

(١) في ك و ط (فيما) .

(٢) في ط زيادة : (لفعلت) .

(٢) الأخشبان : تثنية : الأخشب ، وهما جبلان يضافان تارة الى مكة ، وتارة الى منى ، وهما واحد ، أحدهما : أبو قبيس والآخر قيعقعان . معجم البلدان ١ : ١٢٢ .

(٣) رواه البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب اذا قال أحدكم آمين ... ، ٦ : ٣١٢ ـ ٣١٣ (٣٢٣١) من الفتح بمثله . ومسلم بمثله ، كتاب الجهاد والسير ، باب مالقي النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من أذى المشركين والمنافقين ، ٣ : ١٤٢٠ ـ ١٤٢١ (١٧٩٥) .

(حفظ الله لنبيه : من أعلام نبوته)

النوع السابع (١) : في كفاية الله له أعداءه ، وعصمته له من الناس ،وهذا فيه آية لنبوته من وجوه :

منها : أن ذلك تصديق لقوله - تعالى - : ﴿فاصدع (٢) بما تؤمر وأعرض عن المشركين . انا كفيناك المستهزئين. الذين يجعلون مع الله إلها آخر فسوف يعلمون (٣) ﴾ ، فهذا اخبار الله بأنه يكفيه المشركين المستهزئين .

وأخبر أنه يكفيه أهل الكتاب ، بقوله : ﴿ قولوا آمنا بالله ، وما أنزل الينا ، وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل ، واسحاق ويعقوب والأسباط ، وما أوتي موسى وعيسى ، وما أوتي النبيون من ربهم ، لانفرق بين أحد منهم ، ونحن له مسلمون ﴾ فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا (٤) ، وان تولوا فانما هم في شقاق، فسيكفيكهم (٥) الله (٦) ، وهو السميع العليم ﴾ .

---

(١) هذا هو النوع الثامن ، حسب واقع السياق .

(٢) اصدع : اجهر بتبليغ أمر ربك . صفوة ١٤ : ١١٦ .

(٣) سورة الحجر : ٩٤ .

(٤) شقاق : عداوة وخلاف . صفوة ١ : ٩٩ .

(٥) فسيكفيكهم الله : أي سيكفيك يامحمد شرهم وأذاهم ويعصمك منهم . صفوة ١ : ٩٩ .

(٦) سورة البقرة : ١٣٦ - ١٣٧ .

فأخبره الله (١) أنه يكفيه هؤلاء الشاقين (٢) له ، من أهل الكتاب ، وأخبره أنه يعصمه من جميع الناس بقوله - تعالى - (٣) : * يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ، وان لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس ... (٤) * فهذا خبر عام ، بأن الله يعصمه من جميع الناس .

فكل من هذه الأخبار الثلاثة العامة ،قد وقع كما أخبر ، وفي هذا عدة آيات :

منها : أنه كفاه أعداءه ، بأنواع عجيبة ، خارجة عن العادةالمعروفة .

ومنها : أنه نصره ، مع كثرة أعدائه ، وقوتهم وغلبتهم (٥) ، وأنه كان وحده جاهرا (٦) بمعاداتهم ، وسب آبائهم ، وشتم آلهتهم وتسفيه أحلامهم ، والطعن في دينهم وهذا من الأمور الخارقة للعادة . والمستهزئون كانوا من أعظم سادات قريش ، وعظماء العرب ، وكان أهل مكة أهل الحرم (٧) ، أعز الناس وأشرفهم ، يعظمهم جميع الأمم .

---

(١) ليس في أ اسم الجلالة المعظم .

(٢) في ك و ط " المشاقين " .

(٣) ليس في ك و لا ط كلمة التقديس .

(٤) سورة المائدة : ٦٧ .

(٥) في ك و ط : (وغلبهم) .

(٦) في ك و ط (وجاء هو)

(٧) سقطت (أهل الحرم) من ك و ط .

أما العرب فكانوا يدينون لهم ، وأما غيرهم من الأمم ، فكانوا يعظمونهم به (١) ، لاسيما من حين ماجرى لأهل الفيل ماجرى ، كما كانت الأمم تعظم بني اسرائيل ، لما ظهر فيهم من الآيات ماظهر .

وهؤلاء بنو اسماعيل ابن (٢) خليل الله (٣) ، وهؤلاء بنو اسحاق ابن خليل الله ، وكلاهما ممن وعد الله ابراهيم في التوراة فيهم بما وعده ، من إنعام الله عليه النعمة التي لم ينعم الله بها على غيرهم . فكان أهل مكة معظَّمين، لأنهم جيران البيت ، ولأنهم أشرف بني إسماعيل . فان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل ، واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى (٤) هاشم من قريش ، واصطفى محمدا (٥) من بني هاشم . وكان قد عاداه (٦) أشراف هؤلاء ، كما عادى المسيح أشراف بني اسرائيل .

وبدل هؤلاء وهؤلاء نعمة الله كفرا ، وأحلوا قومهم دار البوار . وكفى الله رسوله المسيح من عاداه منهم ، ولم ينفعهم نسبهم ولافضل مدينتهم . وكذلك كفى الله محمدا من عاداه ، وانتقم منهم ، ولم ينفعهم أنسابهم (٧) ولافضل مدينتهم .

---

(١) الضمير يعود الى الحرم .

(٢) في أ (بنى) والصواب الرفع .

(٣) في أ (بن) .

(٤) في ك و ط زيادة (بني) .

(٥) في أ (محمد) بغير النصب ، والصواب ما أثبتناه من ك و ط .

(٦) في أ (عادوا) والأولى ما أثبتناه من ك و ط .

(٧) في ك و ط (انتسابهم) .

فان الله انما يثيب بالايمان والتقوى ، لابالبلد والنسب ، وقال (١) ـ تعالى ـ : ﴿ وكذب به قومك ، وهو الحق ، قل لست عليكم بوكيل . لكل نبأ مستقر (٢) ، وسوف تعلمون (٣) ﴾ ، وقال : ﴿ وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك ، أهلكناهم فلا ناصر لهم (٤) ﴾ ، وقال : : ﴿ وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة ، يأتيها رزقها رغدا (٥) من كل مكان ، فكفرت بأنعم الله ، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف ، بما كانوا يصنعون . وقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون (٦) ﴾ .

وقد سمى أهل العلم بعض من كفاه الله إياه (٧) من المستهزئين ، وكانوا معروفين مشهورين ـ عند الصحابة ـ بالرياسة والعظمة في الدنيا ، فذكروهم ليعرف هذا الأمر العظيم ، الذي أكرم الله نبيه به .

---

(١) في ك و ط (فقال) .

(٢) لكل نبأ مستقر : أي لكل خبر من أخبار الله ـ عز وجل ـ وقت يقع فيه من غير خلف ولا تأخير . صفوة ٧ : ٣٩٧ .

(٣) سورة الانعام : ٦٦ ـ ٦٧ .

(٤) سورة محمد ـ عليه السلام ـ : ١٣ .

(٥) رغدا : سعة وكثرة . صفوة ١٤ : ١٤٦ .

(٦) سورة النحل : ١١٢ ـ ١١٣ .

(٧) سقطت (اياه) من ك و ط .

ففي الصحيحين عن أبي هريرة قال :"قال أبو جهل : " هل يعفر محمد وجهه (١) بين أظهركم ؟ " قيل : نعم . قال : " واللات والعزى (٢) ، لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته " ،فما فجأهم (٣) منه إلا وهو ينكص على عقبيه ، ويتقي بيديه . فقيل له : مالك ؟ قال : " ان بيني وبينه لخندقا (٤) من نار، وهولا (٥) وأجنحة " ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " لودنا مني ، لاختطفته الملائكة ، عضوا عضوا (٦) " وأنزل الله ـ تعالى ـ : ﴿ أرأيت

---

(١) يعفر محمد وجهه : يسجد ويلصق وجهه بالعَفَر ، وهو التراب . شرح النووي ١٧ : ١٣٩ .

(٢) اللات : اسم صنم كانت تعبده ثقيف ـ والعزى : شجرة سَمُرة كانت لغطفان يعبدونها ، بنوا عليها بيتا وأقاموا لها سدنة فبعث النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ خالد بن الوليد فهدم البيت ، وأحرق السمرة ، ولم تكن قريش تعظم شيئا من الأصنام تعظيمها . مراصد ٣ : ١١٩٣ و ٢ : ٩٣٧ .

(٣) في ط (فاجأهم) .

(٤) في أ (لخندق) والأصوب ما أثبتناه من ك و ط وهو مافي الصحيح .

(٥) في ط : " وهؤلاء أجنحة " .

(٦) عند مسلم بعد هذا قوله : " قال : فأنزل الله ـ عز وجل ـ لاندري في حديث أبي هريرة ، أو شيء بلغه ـ ... " ثم ذكر الآيات ، ثم قال: زاد عبيد الله (يقصد شيخه ابن معاذ) في حديثه قال :"وأمره بما أمره به". وزاد ابن عبد الأعلى (ويقصد شيخه ـ أيضا ـ محمد بن عبد الأعلى القيسي) :"فليدع ناديه يعني : قومه". مسلم ٤ : ٢١٥٥ .

الذي ينهى * عبدا اذا صلى (١) * أرأيت ان كان على الهدى * أو أمر بالتقوى *
أرأيت ان كذب وتولى * ألم يعلم بأن الله يرى * كلا لئن لم ينته لنسفعا
بالناصية (٢) * ناصية كاذبة خاطئة * فليدع ناديه * سندع الزبانية (٣) *
كلا لاتطعه واسجد واقترب (٤) * .

---

(١) أجمع المفسرون على أن العبد المصلي هو محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وان الذي نهاه هو ـ اللعين ـ أبوجهل . صفوة ٣٠ ـ ٥٨٢ .

(٢) لنسفعا بالناصية : أي لنأخذنه بناصيته ـ مقدم شعر الرأس ـ فلنجرنه إلى النار بعنف وشدة ونقذفه فيها . صفوة ٣٠ ـ ٥٨٣ .

(٣) الزبانية : خزنة جهنم ، الملائكة الغلاظ الشداد . المصدر والموضع السابق .

(٤) واقترب : تقرب بالسجود الى ربك . المصدر والموضع السابق .

(٤) سورة العلق : ٩ ـ ١٩ .

(٤) رواه مسلم بنحوه ، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، باب قوله : " إن الإنسان ليطغى . أن رآه استغنى " ٤ : ٢١٥٤ . (٢٧٩٧). ورواه البخاري مختصرا جدا ، كتاب التفسير ، باب : " كلا لئن لم ينته لنسفعن بالناصية ... " ٨ : ٧٢٤ (٤٩٥٨) من الفتح .

وفي الصحيحين من حديث البراء بن عازب ، حديث هجرة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأبي بكر من مكة الى المدينة قال فيه : " واتبعنا (١) سراقة ابن مالك بن جعشم ، ونحن في جَدَد (٢) من الأرض ، فقلت : يارسول الله ، أُتينا (٣) فقال : " لاتحزن إن الله معنا " ، فدعا عليه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فارتطمت فرسه إلى بطنها (٤) فقال : " إني قد علمت أنكما دعوتما على ، فادعوا لي ، والله ، لكما أن أرد عنكما الطلب ، فدعا الله فنجا ، فرجع لايلقى أحدا إلا قال : قد كفيتم ماههنا ، فلا يلقى أحدا إلا رده (٥) " .

وفي لفظ : " فساخ (٦) فرسه في الأرض إلى بطنه ، ووثب عنه ، فقال : يامحمد ، قد علمت أن (٧) هذا عملك ، فادع الله أن يخلصني مما أنا فيه ، ولك عليَّ لأُعَمِّيَنَّ (٨) على من ورائي " .

---

(١) سقطت (واتبعنا) من ط .

(٢) الجَدَدْ : هو المستوي من الأرض . والذي عند مسلم "جلد " وهما روايتان . انظر شرح النووي ١٨ : ١٥٠ .

(٣) في ط (قال) .

(٤) ارتطمت فرسه إلى بطنها : أي غاصت قوائمها في تلك الأرض الجلد (اي الصلبة) والجدد . المصدر والموضع السابق .

(٥) رواه مسلم واللفظ له بمثله ، كتاب الزهد والرقائق ٤ : ٢٣٠٩ ـ ٢٣١٠ (٣٠٠٩) ، ورواه البخاري بنحوه ، كتاب المناقب ،باب علامات النبوة في في الاسلام ، ٦ : ٦٢٢ (٣٦١٥)

(٦) ساخ : بمعنى ارتدام وغاص . انظر شرح النووي ١٨ : ١٥٠ .

(٧) سقطت (أن) من أ .

(٨) لأُعَمين على من ورائي : يعني لأخفين أمركم عمن ورائي ممن يطلبكم وألبس عليهم حتى لايعلم أحد . المصدر والموضع السابق .

(٨) صحيح مسلم ، كتاب الزهد والرقائق ، باب في حديث الهجرة ، ويقال له : حديث الرحْل ، ٤ : ٢٣١٠ (٣٠٠٩) بمثل هذا اللفظ .

وفي الصحيحين عن ابن شهاب ، من رواية سراقة ـ نفسه ـ قال :" جاءنا رسل كفار قريش (١) ، يجعلون في رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأبي بكر ، دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره . فبينما أنا جالس في مجلس قومي بني مدلج (٢) ، إذ أقبل رجل منهم ، حتى قام علينا ونحن جلوس ، فقال : يا سراقة ، إني رأيت آنفا أسودة (٣) بالساحل ، أراهما محمدا وأصحابه (٤) . قال سراقة : فعرفت أنهم هم ، فقلت : ليسوا بهم ، ولكنك رأيت فلانا وفلانا ، ثم لبثت ساعة ، ثم قمت فدخلت بيتي ، فأمرت جاريتي أن تخرج فرسي وهي من وراء أكمة فتحبسها (٥) علي ، وأخذت رمحي ، فخرجت به من ظهر البيت ، فخططت بزجه (٦) الأرض ، وخفضت عاليه ، حتى أتيت فرسي فركبتها ، فرفعتها (٧) تقرب بي (٨) حتى دنوت منهم وعثرت بي فرسي (٩) ، فخررت عنها ،

---

(١) ليس في أ (وأبي بكر) وقد أثبتناها من ك و ط وهو ما في الصحيح .

(٢) بنو مدلج : هم بنو مدلج بن مرة بن عبد مناة بن كنانة ، بطن كبير من كنانة . اللباب ٣ : ١٨٣ .

(٣) أسودة : أشخاصا . الفتح ٧ : ٢٤١ .

(٤) في أ : (وصحابه) .

(٥) في ط (فتجسها) .

(٦) زج الرمح : هو الحديدة التي في أسفل الرمح . الفتح ٧ : ٢٤١ .

(٧) رفعتها . أسرعت بها السير . المصدر والموضع السابق .

(٨) تقرب بي : التقريب : السير دون العدو وفوق العادة ، وقيل : أن ترفع الفرس يديها معا وتضعهما معا . المصدر والموضع السابق .

(٩) في ك و ط (في) .

فقمت (١) ، فأهويت بيدي الى كنانتي (٢) فأستخرجت منها الأزلام (٣) : فاستقسمت بها (٤) : فخرج الذي أكره (٥) ، فركبت وعصيت الأزلام (٦) ، فقربت بي ، حتى إذا سمعت قراءة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو لايلتفت ، وأبوبكر يكثر (٧) الالتفات ، ساخت يدا (٨) فرسى في الأرض ، حتى بلغتا الركبتين ، فخررت عنها ، ثم زجرتها فنهضت ، فلم تكد تخرج يديها ، فلما استوت قائمة اذا لأثر يديها (٩) غبار ساطع في السماء مثل الدخان ، فاستقسمت بالأزلام .

---

(١) في ك و ط زيادة : (عنها) .

(٢) الكنانة : جعبة السهام من أدم (جلد) . المصباح ٢ : ٥٤٢ .

(٣) الازلام : هي عند العرب ثلاثة أنواع ، أحدها : الثلاثة التي يتخذها كل انسان لنفسه في أحدها : أفعل ، وفي الآخر : لاتفعل ، والثالث مُغفَل، فيجعلها في خريطة (كيس) فإذا أراد فعل شيء أدخل يده في الخريطة منسابة وأتمر بما خرج له: الآمر أو الناهي ، وإن خرج الغفل أعاد الضرب . والنوع الثاني : كان سبعة أقداح، عند هبل في جوف الكعبة ،والنوع الثالث : أقداح الميسر وهى عشرة . البحر المحيط ٣ : ٤٢٤ - ٤٢٥ .

(٤) في ك و ط زيادة : (أضرهم أم لا ؟) .

(٥) في ك و ط (فيخرج) .

(٦) فخرج الذي أكره : أي لاتضرهم . الفتح ٧ : ٢٤١ .

(٧) سقطت (يكثر) من أ وقد أثبتناها من ك و ط .

(٨) في أ (يدي) .

(٩) في ك (اذ لأثر يديها) وفي ط (اذ لاتريد بها) هكذا .

فخرج الذي أكره ، فناديتهم بالأمان فوقفوا ، فركبت فرسي حتى جئتهم ، ووقع في نفسي حين لقيت مالقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ..."(١) وذكر تمام الحديث .

---

(١) رواه البخاري معلقا . كتاب مناقب الأنصار ، باب هجرة النبي .... ، ٧ : ٢٣٨ ـ ٢٣٩ (٣٩٠٦) قال الحافظ ابن حجر هنا في الفتح ٧ : ٢٤٠ : "هو موصول باسناد حديث عائشة (يقصد قول البخاري : حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل قال ابن شهاب فاخبرني عروة بن الزبير ان عائشة قالت :"لم اعقل ابوي قط الا وهما يدينان الدين ... " ٧ : ٢٣٠ (٣٩٠٥) من الفتح وقد أفرده البيهقي في الدلائل وقبله الحاكم في الاكليل من طريق ابن اسحاق : حدثني محمد بن مسلم هو الزهري به " . وكذلك أورده الاسماعيلي منفردا من طريق معمر والمعافى في الجليس من طريق صالح بن كيسان كلاهما عن الزهري .

وأخرجه البيهقي في الدلائل ٢ : ٤٨٥ ـ ٤٨٩ موصولا بأكثر من طريق عن الزهري ، وأورد ماقاله سراقة ردا على أبي جهل :

أبا حكم ... لوكنت شاهدا ... لأمر جوادي إذ تسيخ قوائمه
عجِبْت ولم تشكك بأن محمدا ... نبي وبرهان،فمن ذا يقاومه
عليك بكف الناس عنه،لأنني ... أرى أمرَه يوما ستبدو معالمه
بأمر يود النصر فيه بإلبها ... لو أن جميع الناس طُراً تسالمه

والحديث ليس عند مسلم،خلافا لإشارة الشيخ المؤلف ـ رحمه الله ـ تعالى ـ .

وفي الصحيحين عن جابر قال : "غزونا مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ غزاة قبل نجد (١) ، فأدركنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في القائلة (٢) ، في واد كثير العضاه (٣) ، فنزل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تحت شجرة ، فعلق سيفه بغصن من أغصانها ، وتفرق الناس في الوادي يستظلون بالشجر . فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " ان رجلا أتاني ، وأنا نائم ، فأخذ السيف ، فاستيقظت وهو قائم على رأسي ، والسيف صلتا (٤) في يده . فقال : من يمنعك مني ، قلت : الله ، فشام (٥) السيف ،فهاهو ذا جالس" ثم لم يعرض له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان ملك (٦) قومه ،فانصرف حين عفا عنه . فقال : " لأكون في قوم هم حرب لك " .

---

(١) في رواية أخرى : " كنا مع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بذات الرقاع ..." ٧ : ٤٢٦ (٤١٣٦) من الفتح .

(١) تعددت الأقوال في تحديد المراد بنجد ويستخلص منها جميعا : أن ماسال من جبال السروات مشرقا فهو نجد ، وماسال مغربا حتى يفسخ الجبال فهو حجاز ، وخالف الجبل الى البحر فهوتهامة . المجازبين اليمامة والحجاز: ٢١٧ ـ ٢١٨ .

(٢) القائلة : وسط النهار وشدة الحر . الفتح ٧ : ٤٢٧ .

(٣) في ك (الغضاه) وفي ط (الفضاء) .

(٣) العضاه : كل شجر يعظم ، له شوك ، وقيل : هو العظيم من السمر مطلقا . المصدر والموضع السابق .

(٤) صلتا : مجردا من غمده . الفتح ٧ : ٤٢٧ .

(٥) في ك و ط (فسام) بالسين المهملة .

(٥) شام السيف : غَمَده ورده في غمده ، يقال : شام السيف : اذا سله ، واذا أغمده ، فهو من الأضداد ، والمراد هنا : أغمده .شرح النووي ١٥ : ٤٥ .

(٦) رواه مسلم واللفظ له بمثله الى قوله : ثم لم يعرض له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو نهاية الحديث عنده ، كتاب الفضائل، باب توكله على الله ـ تعالى ـ وعصمة الله ـ تعالى ـ له من الناس ، ٤ : ١٧٨٦ ـ ١٧٨٧ (٨٤٣) . ورواه البخاري بنحوه ، كتاب الجهاد والسير ، باب تفرق الناس عن الإمام عند القائلة والاستظلال بالشجر ، ٦ : ٩٧ (٢٩١٣) من الفتح،ورواه البيهقي في الدلائل ٣ : ٣٧٥ ـ ٣٧٦ .

وفي صحيح الحاكم عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق قال :"كان فلان[1] يجلس الى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فاذا تكلم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ اختلج بوجهه[2] ، فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " كن كذلك ، فلم يزل يختلج حتى مات[3] " .

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك قال : كان رجل[4] نصراني فأسلم وقرأ البقرة وآل عمران ، وكان يكتب للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فعاد نصرانيا ، فكان يقول مايدري محمد الا ماكتبت له[5] . فقال : رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " اللهم اجعله آية " فأماته الله ، فأصبح وقد لفظته الأرض فقالوا : هذا فعل محمد وأصحابه ، لما هرب منهم ، نبشوا عن صاحبنا فألقوه ، فحفروا له فأعمقوا ما استطاعوا ، فأصبح وقد لفظته الأرض فقالوا: مثل الأول ، فحفروا له وأعمقوا ، فلفظته الثالثة ، فعلموا أنه ليس من فعل الناس فتركوه منبوذا[6] " .

---

(١) هو الحكم بن أبي العاص ، أبو مروان أمير المدينة . أسد الغابة ١ : ٥١٤ ـ ٥١٥ .

(٢) أختلج بوجهه : حرك شفتيه وذقنه استهزاء وحكاية لفعل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ المصدر والموضع السابق ،مادة : خلج .

(٣) المستدرك للحاكم ، كتاب التاريخ ، ٢ : ٦٢١ وقال :"هذا حديث صحيح الاسناد ، ولم يخرجاه"، ورد عليه الذهبي بأن ضرار بن صرد ـ أحد رواة الحديث ـ واهٍ .وقال الحافظ ابن حجر في التقريب ١ : ٣٧٤ : " ضرار بن صرد التيمي ، أبو نعيم الطحان الكوفي ، صدوق له أوهام ، وخطىء ورمي بالتشيع من العاشرة مات سنة ٢٩ هـ روى له البخاري في خلق أفعال العباد " .
وروى هذا الحديث البيهقي في الدلائل عن شيخه الحاكم ـ ايضا ـ ومن طريق ضرار المذكور ٦ : ٢٣٩ .

(٤) سقطت (رجل) من ط .

(٤) عند مسلم : " كان منا رجل من بني النجار ... " .

(٥) قال الحافظ في الفتح ٦ : ٦٢٥ :"في رواية الاسماعيلي : وكان يقول : ما أرى يحسن محمد الا ماكنت اكتب له".

(٦) رواه البخاري ، كتاب المناقب ، باب علامات النبوة ... ، ٦ : ٦٢٤(٣٦١٧) من الفتح . ورواه مسلم ، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، ٤ : ٢١٤٥ (٢٧٨١) ، وأحمد في المسند ٣ : ٢٢٢ .

وروى الامام أحمد من حديث (١) ابن اسحاق قال : حدثني يحيى بن عروة (٢) عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال :" قلت له : ما أكثر ما رأيت قريشا أصابت من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما كانت تُظْهِر من عداوته ؟ قال : " حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوما في الحِجْر (٣) ، فذكروا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فقالوا : ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط ، قد سفه أحلامنا (٤) ، وشتم آباءنا وعاب ديننا (٥) وفرق جماعاتنا ، وسب آلهتنا ، لقد صبرنا منه على أمر عظيم ، أو كما قالوا . فبينما هم في ذلك ، اذ طلع عليهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فأقبل يمشي حتى استلم الركن ، ثم مر بهم طائفا بالبيت ، فلما أن مر بهم (٦) ، غمزوه ببعض ما يقول . قال : فعرفت ذلك في وجهه ثم مضى ، فلما مر الثانية غمزوه بمثلها ، فعرفت ذلك في وجهه ، ثم مضى فمر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها ، فقال : " تسمعون يا معشر قريش ، أما والذي نفس محمد بيده ،

---

(١) في ك و ط زيادة : (محمد) .

(٢) يحيى بن عروة : هو ابن الزبير بن العوام الأسدي ، أبو عروة ، المدني. أمه ام يحيى بنت الحكم بن أبي العاص ، كان قليل الحديث وثقه النسائي وغيره . تهذيب التهذيب ١١: ٢٥٨ .

(٣) الحِجْر : هو حجر اسماعيل بجوار الكعبة . الفتح الرباني ٢٠ : ٢١٩ .

(٤) سَفّه أحلامنا : نسب عقلاءنا إلى الجهل . المصدر والموضع السابق .

(٥) سقطت (وعاب ديننا) من ط .

(٦) غمزوه ببعض ما يقول : أي أشاروا إلى قوله بأعينهم وحواجبهم استهزاء به . المصدر والموضع السابق .

لقد جئتكم بالذبح (١) " فأخذت القوم كلمته حتى مامنهم رجل (٢) الا كأنما على رأسه طائر واقع ، حتى ان أشدهم فيه وصاة قبل ذلك ، ليرفؤه (٣) بأحسن مايجد من القول ، حتى انه ليقول : " انصرف يا أبا القاسم (٤) ، انصرف راشدا ، فوالله ماكنت جهولا ". فانصرف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، حتى اذا كان من الغد ، اجتمعوا في الحجر ، وأنا معهم ، فقال بعضهم لبعض : ذكرتم مابلغ منكم ومابلغكم عنه (٥) حتى إذا باداكم بما تكرهون تركتموه . فبينما هم في ذلك . طلع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فوثبوا اليه وثبة رجل واحد ، فأحاطوا به ، يقولون له : أنت الذي تقول كذا وكذا ، لما كان يبلغهم عنه من عيب آلهتهم ودينهم ، قال : فيقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " نعم ، أنا الذي أقول ذلك " قال فلقد رأيت رجلا منهم (٦) أخذ بمجمع ردائه ، وقام أبو بكر (٧) دونه يقول ـ وهو يبكي ـ : ﴿ ... أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله ... ﴾ (٨) ؟ (٩) ثم انصرفوا عنه .

---

(١) الذبح هنا مجاز من الهلاك . فانه من أسرع أسبابه . المصدروالموضع السابق.

(٢) في أ (رجلا) .

(٣) ليرفؤه : رسمت في جميع النسخ " ليرفأه " وما أثبتناه أصوب .
ويرفؤه : كيمدحه وزنا ومعنى ، اي يسكنه ويرفق به ويدعو له . المصدر والموضع السابق .

(٤) في ك و ط زيادة (انصرف) ثانية .

(٥) سقطت (عنه) من ك و ط .

(٦) هو عقبة بن أبي معيط كما يستفاد من حديث عبد الله بن عمرو عند البخاري . كتاب فضائل الصحابة ، باب قول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ " لوكنت متخذا خليلا " ٧ : ٢٢ (٣٦٧٨) من الفتح .

(٧) في ك و ط زيادة : (الصديق) .

(٨) سورة غافر : ٢٨ .

(٩) رواه أحمد في المسند ٢ : ٢١٨ ، وأورده الهيثمي في المجمع ٦ : ١٥ـ ١٦ وقال:" في الصحيح طرف منه (كما هو مذكور هنا) رواه أحمد ، وقد صرح ابن اسحاق بالسماع ، وبقية رجاله رجال الصحيح".

وذكر البخاري بعد حديث عروة ، عن عبد الله بن عمرو ،قال : " وقال (١) (٢) (٣) (*)
عبدة عن هشام عن أبيه ، قيل لعمرو بن العاص " .

وروى سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قوله ـ تعالى ـ: * انا (٤)
كفيناك المستهزئين * قال : والمستهزؤن (الوليد بنالمغيرة) و (الأسود (٥) (٦)
ابن عبد يغوث الزهري) و (الأسود بن المطلب) أبو زمعة ، من بني أسد (٧) (٨) (٩) (١٠)
ابن عبد العزى ، و (الحارث بن عيطل السهمي) و (العاص بن وائل)

---

(١) عَبْدة : هو ابن سليمان الكلابي الكوفي ، أبو محمد ، الحافظ الحجة القدوة ، ثقة ثبت ، مات سنة ١٨٨ هـ سير ... النبلاء ٨ : ٥١١ ،وتقريب ١ : ٥٣٠ .

(٢) هشام : هو ابن عروة بن الزبير بن العوام الأسدي الزبيري المدني ،أبو المنذر القرشي ، الامام الثقة ، شيخ الاسلام ، ولد سنة ٦١ هـ وتوفى سنة ١٤٦ هـ ببغداد وصلى عليه المنصور وله ٨٧ سنة . سير .. النبلاء ٦ : ٣٤ ـ ٤٧ ، وتقريب ٢ : ٣١٩ .

(٣) أي أنه في رواية أخرى معزوا الى عمرو بن العاص ـ نفسه ، وهو في رواية أحمد من حديث عبد الله بن عمرو ، ومعنى ذلك أن هشام ابن عروة خالف أخاه يحيى بن عروة في الصحابي راوي الحديث ،ويرجح رواية يحيى ، ويحتمل ان يكون عروة سأل عمرا مرة وعبد الله بن عمرو سأل أباه أخرى . انظر الفتح ٧ : ١٦٩ وصحيح البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ،باب ماسقي النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه من المشركين بمكة ، ٧ : ١٦٥ ـ ١٦٦ (٣٨٥٦) من الفتح .

(٤) سورة الحجر : ٩٥ .

(٥) الاسود بنعبد يغوث : هو ابن وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب . السيرة لابن هشام ١ : ٣٠١ .

(٦) في ك و ط (عبد المطلب) .

(٧) الاسود بن المطلب : هو ابن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤي : المصدر السابق ١ : ٢٨٣ واللباب ١ : ٥٢ ـ ٥٣ .

(٨) رسمت في أ و ك : " الحرث " هكذا ،هنا ومابعده . وهو رسم املائي قديم.

(٩) الحارث بن عيطل : الظاهر أنه (ابن عيطلة) فقد روى ابن جرير باسناده في جامع البيان ١٤ : ٧١ عن أبي بكر الهذلي قال : قلت للزهري : ان سعيد بن جبير وعكرمة اختلفا في رجل من المستهزئين فقال سعيد: هو الحارث بن عيطلة . وقال عكرمة : هو الحارث بن قيس ،فقال : صدقا ،كانت أمه تسمى عيطلة ، وأبوه قيس . وفي السيرة لابن هشام ٢ : ٣٧١ هو ابو العاص بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم . قتله على بن أبي طالب ،ويقال: النعمان بن مالك القوقلي ، ويقال : أبو دجانة ، يوم بدر سنة ٢ هـ .

(١٠) العاص بن وائل : هو ابن هاشم أو ابن هشام بن سعيد بن سهم . من بني سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب . المصدر السابق ٢ : ٥٢ .

=

فأومأ[1] جبريل الى أكحل الوليد بن المغيرة ، فقال له النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " ماصنعت " ؟ قال : كفيته ، وأومأ الى الاسود بن[2] المطلب الى عينيه ، فقال : " ماصنعت " ؟ فقال كفيته . وأومأ الى رأس الأسود بن عبديغوث فقال : " ماصنعت " ؟ قال : كفيته " وأومأ الى الحارث السهمي الى بطنه ، فقال : " وماصنعت " ؟ قال :" كفيته "، وأومأ الى اخمص العاص بن وائل ، فقال : " ماصنعت " ؟ قال : " كفيته " . فأما الوليد فمر برجل من خزاعة[3] وهو يريش نبله[4] فأصاب أكحله فقطعها . وأما الأسود بن[5] المطلب ، فَعَمِي.فمنهم من يقول : عَمِي هكذا ، ومنهم من يقول : نزل تحت سَمُرة ، فجعل يقول : يابني ألا تدفعون عني ؟ ويقولون : مانرى شيئا . فجعل يقول :هلكت هاهو ذا أطعن في عيني بالشوك . فجعلوا يقولون : مانرى شيئا . فلم يزل كذلك حتى عميت عيناه . وأما الأسود فخرج في رأسه قروح فمات منها . وأما الحارث بن عيطل فأخذه الماء الأصفر[6] في بطنه ، حتى خرج خُرؤه[7] من فيه فمات.

= (*) عمرو بن العاص : هو ابن وائل السهمي ، الصحابي المشهور ، أسلم عام الحديبية وهو الذي فتحها ، مات بعد سنة ٤٠هـ تقريب ٢ : ٧٢ واسد الغابة ٣ : ٧٤١ .

(١) رسمت في كل النسخ :"فأومى" هنا وما بعده والأصوب ما أثبتناه .

(٢) في ط زيادة (عبد) .

(٣) في ط : " خذاعة " .

(٤) يريش نبله : يعمل له ريشا ويلزقه عليه. اللسان ٦:٣٠٨ مادة :ريش .

(٥) في ط (عبد المطلب) .

(٦) ويسمى (الصفر) وهو داء في البطن ، يصفر منه الوجه . اللسان ٤:٤٦٠ . مادة : صفر .

(٧) الخُرء ـ بضم الخاء ـ : العذرة . المصباح : ١٧١ .

وأما العاص بن وائل فركب الى الطائف على حمار (١) ، فربض به في شبرقة يعني شوكة (٢) ، فدخلت في اخمص قدمه (٣) فمات،وقيل : دخلت في رأسه شبرقة فمات (٤) . رواه ابن أبي حاتم (٥) في تفسيره،قال (٦) ثنا يونس بن حبيب ، ثنا أبو داود (٧) ، ثنا أبو عوانة (٨) ، ثنا أبو بشر (٩) ، عن سعيد . وروى باسناده عن الربيع بن أنس (١٠) ،قال : أراد صاحب اليمن (١١) أن يؤي النبي (١٢) ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأتاه الوليد : فزعم أن محمدا ساحر. وأتاه العاص بن وائل:

---

(١) في أ : " شرقه " في هذا الموضع والذي يليه ، والصواب ما أثبتناه من ك و ط .

(١) الشبرقة : هو المعروف بالحسك . وهو نبات تعلق ثمرته بصوف الغنم ، ورقه كورق الرجلة وأدق، وعند ورقه شوك ملزز صلب ذو ثلاث شعب . جامع البيان ١٤ : ٧٠ وترتيب القاموس ١ : ٦٤١ .

(٢) الأخمص : مادخل من باطن القدم فلم يصب الأرض . مختار : ١٩٠ .

(٣) أخرجه البيهقي بنحوه في الدلائل ٢ : ٣١٦ ـ ٣١٨ .

(٤) ابن أبي حاتم :هو عبد الرحمن بن محمد بن ادريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي ، الامام الحافظ الثبت الناقد ، شيخ الاسلام . أبو محمد، ووالده الحافظ الكبير محمد بن ادريس ، له كتاب الجرح والتعديل ، وكتاب التفسير ، مات سنة ٣٢٧ هـ ميزان الاعتدال ٢ : ٥٨٧ ، وطبقات الحفاظ : ٣٤٦ .

(٥) سقطت (قال) من ك و ط .

(٦) يونس بن حبيب : هو العجلي مولاهم الأصبهاني ، وثقه ابن أبي حاتم ، مات سنة ٢٦٧ هـ سير .. النبلاء ١٢ : ٥٩٦ ـ ٥٩٧ ، والبداية والنهاية ١١ : ٤٢ .

(٧) أبو داود : هو الطيالسي .

(٨) أبو عوانة : هو وضاح بن عبد الله اليشكري الواسطي البزاز ، الحافظ ، مشهور بكنيته ، مولى يزيد بن عطاء ، ثقة ثبت متقن الكتابة ، مات سنة ١٧٦ هـ . الكاشف ٣ : ٢٣٥ ، وتقريب ٢ : ٣٣١ .

(٩) في ط (أبو سير) هكذا .

(٩) أبو بشر : هو جعفر بن اياس بن أبي وحشية اليشكري الواسطي ، بصري الأصل ،ثقة ، من أثبت الناس في سعيد بن جبير ، وضعفه شعبة في حبيب ابن سالم وفي مجاهد ، توفى سنة ١٢٥ هـ الكاشف ١ : ١٨٣ ، وتقريب ١ : ١٢٩ .

=

.....

= (١٠) الربيع بن أنس هو البكري أو الحنفي ، بصري ،نزل خراسان ، صدوق له أوهام ، رمي بالتشيع ، مات سنة ١٤٠ هـ أو قبلها ، قال ابن أبي داود : حبس بمرو ثلاثين سنة . الكاشف ١ : ٣٠٣ ، وتقريب ١ : ٢٤٣ .

(١١) صاحب اليمن : هو الحارث بن عبد كلال الحميري ، كتب اليه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كتابا وبعث به المهاجربن أبي أمية المخزومي ، يعد في أهل اليمن ، وليست له صحبة ، السيرة لابن هشام ٤ : ٢٥٥ ، واسد الغابة ١ : ٤٠٤ .

(١٢) في ك و ط :"يأوي " .

فأخبره أن محمدا تعلم أساطير الأولين . وأتاه آخر : فزعم أنه كاهن وآخر زعم (١) أنه شاعر . وآخر قال : (٢) انه مجنون . فأهلكهم الله ، كل منهم أصابه عذاب سوى عذاب صاحبه . وذكر تفصيل عذابهم . وروى مثله عن عكرمة .

---

(١) سقطت (زعم) من ط .

(٢) في ك و ط (زعم) .

وقال محمد بن اسحاق: حدثنا يزيد بن رومان (١)، عن عروة (٢) وغيره (٣) من العلماء، أن جبريل أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - وهم يطوفون بالبيت فقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الى جانبه، فمر به الأسود بن المطلب (٤) فرمى في وجهه بورقة خضراء فعمي، ومر به الأسود بن عبد يغوث، فأشار إلى بطنه فاستسقى (٥)، فمات منها. ومر به الوليد بن المغيرة، فأشار الى جرح بأسفل كعبه، كان أصابه لما مر برجل يريش نبلا له، فخدش رجله، وليس بشيء، فانتقض فمات. ومر به العاص بن وائل، فأشار الى إخمص قدمه، فذكر مثل ماتقدم من رواية ابن عباس. ورواه أبو زرعة من طرق كثيرة عن (٦)

---

(١) يزيد بن رومان: هو الأسدي، أبو روح المدني، مولى آل الزبير، ثقة، من الطبقة الخامسة، مات سنة ١٣٠ هـ الكاشف ٣: ٢٧٧، وتقريب ٢: ٣٦٤، وتهذيب ١١: ٣٢٥.

(٢) في ك و ط (عكرمة).

(٣) الذي في السيرة: "أو غيره".

(٤) في ك و ط زيادة: (عبد).

(٥) من الاستسقاء: وهو أن ينتفخ البطن وغيره من الأعضاء ويدوم عطش صاحبه. تسهيل المنافع في الطب والحكمة: ٦٥ لأبراهيم بن عبد الرحمن ابن أبي بكر الازرق، طبع عبد الحميد حنفي بمصر، ١٣٥٦ هـ.

(٦) السيرة لابن هشام بنحوه، ٢: ٥١ - ٥٢. واسناد هذه الرواية اسناد جيد.

جماعة من التابعين ومن المشهور عند[(١)] أصحاب السير وغيرهم دعوته على عتيبة[(٢)] بن أبي لهب ، وكان أبو لهب لما عادى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمر ابنيه[(٣)] أن يطلقا ابنتي النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، رقية[(٤)] وأم كلثوم[(٥)] قبل الدخول ، وقال عتيبة لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :كفرت بدينك وفارقت ابنتك لاتحبني ولاأحبك[(٦)] ، ثم تسلط عليه بالأذى ، وشق قميصه فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " اللهم سلط عليه كلبا من كلابك"[(٧)]

---

(١) في أ (عن) .

(٢) عتيبة : ـ بالتصغير ـ ابن أبي لهب : وأبو لهب اسمه : عبد العزى ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي ، ابن عم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، تزوج أم كلثوم ثم طلقها فعوضها الله بعثمان ابن عفان ، وقتل الأسد عتيبة وهو ذاهب الى الشام ـ كما تذكر هذه الرواية .. الروض الأنف ٣ : ٦٨ ، والاصابة ٤ : ٤٨٩ ـ ٤٩٠ .

(٣) وهما عتيبة المذكور وعتبة وقد أسلم عام الفتح هو وأخوه معتب وشهدا الطائف وحنين وكانا فيمن ثبت وأقام بمكة ولم يأتيا المدينة : ولهما عقب . الروض الانف ٣ : ٦٨ ، وأسد الغابة ٣ : ٤٦٥ .

(٤) رقية بنت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمها خديجة ، تزوجها عثمان بمكة وهاجرت معه إلى الحبشة وولد له هناك ولدا سماه عبدالله ، وكان عثمان يكنى به فبلغ الغلام ٦ سنين ثم مات بسبب نقرة ديك سنة ٤ هـ وماتت رقية بالحصبة بعد بدر سنة ٤ هـ انظر أسد الغابة ٦:١١٣ـ ١١٤ .

(٥) أم كلثوم بنت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمها خديجة . تزوجت عثمان بعد رقية ، ولم تلد منه ، وتوفيت سنة ٩ هـ . أسد الغابة ٦ : ٣٨٤ ، والاصابة ٤ : ٤٨٩ ـ ٤٩٠ .

(٦) في ط (لاتجيبني ولاأجيبك) .

(٧) قال ابن منظور :"وفي الحديث : " أما تخاف أن يأكلك كلب الله ؟..." اللسان ١ : ٧٢٢ مادة : كلب .

فخرج في نفر من قريش ، حتى نزلوا في مكان من الشام (١) ، يقال له : (الزرقاء) ليلا ، فأطاف بهم (٢) الأسد تلك الليلة ، فجعل عتيبة يقول : ياويل (٣) أخي ، هو والله آكلي ، كما دعا محمد على ، قتلني وهو بمكة وأنا بالشام (٤) ، فعدا عليه الأسد من بين القوم ، وأخذ برأسه فذبحه (٥) " وفي رواية هشام بن عروة عن أبيه قال : " لما طاف الأسد بهم تلك الليلة (٦) ، وانصرف عنهم ، قاموا وجعلوا عتيبة في وسطهم ، فأقبل الأسد يتخطاهم ، حتى أخذ برأس عتيبة فقدغه (٧) ."

---

(١) الزرقاء ، موضع بالشام بناحية (معان) وهو نهر عظيم يجري في أرض فيها شجر ورمال كثيرة ، وفيه سباع كثيرة مذكورة بالضراوة ، وهو يصب في الغور . انظر مراصد الاطلاع ٢ : ٦٦٢ .

(٢) أطاف بهم : ألم بهم وقاربهم . مختار : ٤٠٠ .

(٣) في ك و ط (ويل) بدون (ياء) الندبة .

(٤) عدا : وثب . ترتيب ٣ : ١٧٤ .

(٥) رواه البيهقي في الدلائل ٢ : ٣٣٨ - ٣٣٩ .

(٦) في جميع النسخ بدون عطف ، وهو ضروري لاستقامة السبك .

(٧) فدغه : شدخه . ترتيب ٣ : ٤٥٨ .

(٧) أخرجها البيهقي - أيضا - في الدلائل ٢ : ٣٣٩ . وقد أخرج هذه القصة أبو نعيم في الدلائل ٢ : ٥٨٥ - ٥٨٩ من عدة روايات : اثنتان من طريق ابن اسحاق واثنتان من طريق الواقدي .

وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال :"بينما رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يصلي عند البيت ، وأبو جهل وأصحاب له جلوس ، وقد نحرت جزور (١) بالأمس ، فقال أبو جهل : أيكم يقوم الى سلى (٢) جزور بني فلان ، فيأخذه فيضعه في كتفي محمد اذا سجد . فانبعث أشقى القوم (٣) فأخذه ، فلما سجد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وضعه بين كتفيه ، قال : فاستضحكوا ، وجعل بعضهم يميل على بعض (٤) ، وأنا قائم أنظر، لو كانت لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، والنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ساجد مارفع (٥) رأسه ، حتى انطلق إنسان إلى فاطمة ، فجاءت وهي جويرية (٦) فطرحته (٧) ثم أقبلت عليهم تسبهم ، فلما قضى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ صلاته ، رفع صوته ، ثم دعا عليهم ، وكان اذا دعا دعا ثلاثا ،واذا سأل سأل ثلاثا ، ثم قال : " اللهم عليك بقريش " ثلاث مرات ، فلما سمعوا صوته ،

---

(١) الجزور : الناقة التي تنحر . المصباح : ٩٨ .

(٢) في جميع النسخ رسمت (سلا) والأصوب ما أثبتناه .

(٢) السلى : هى الجلدة التي يكون فيها الولد ، يقال ذلك من البهائم ، أما من الآدميات فالمشيمة ، وقيل : إنه يقال فيهن ـ ايضا ـ : سلى . الفتح ١ : ٣٥٠ .

(٣) في رواية عند مسلم : "... اذ جاء عقبة بن أبي معيط بسلى جزور فقذفه على ظهر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ..." ٣ : ١٤١٩ .

(٤) المعنى : حملوا أنفسهم على الضحك والسخرية ، ثم أخذهم الضحك جدا ، فجعلوا يضحكون ، ويميل بعضهم على بعض من كثرة الضحك . تعليق عبد الباقي على متن مسلم ٣ : ١٤١٨ .

(٥) في ك (مايرفع) وفي ط (لايرفع) .

(٦) في ك و ط زيادة : (عنه) .

(٧) في أ (جورية) .

ذهب عنهم الضحك وخافوا[1] دعوته ، ثم قال : " اللهم عليك بأبي جهل بن[2] هشام ، وعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة[3] ، والوليد بن عتبة[4] ، وأمية ابن خلف ، وعقبة بن أبي معيط " وذكر السابع لم أحفظه ، فو الذي بعث محمدا بالحق ، لقد رأيت الذي سمى صرعى يوم بدر ، ثم سحبوا الى القليب قليب بدر"[5] .

وعنه قال:"استقبل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ القبلة ، ودعى على ستة نفر"، فذكره[6] وفي رواية :"غير أن أمية بن خلف ، كان رجلا ضخما ، فقطعت أوصاله ، فلم يلق في البئر"[7]. وقال :" غيرتهم الشمس ، وكان يوما حارا"[8] .

---

(١) في أ (أخافوا) .

(٢) في أ : "ابن " وهى في أثناء السطر .

(٣) شيبة بن ربيعة : هو ابن عبد شمس بن عبد مناف ،قتل مشركا يوم بدر سنة ٢ هـ قتله حمزة بن عبد المطلب . السيرة لابن هشام ٢ : ٣٦٦ .

(٤) الوليد بن عتبة : هو ابن ربيعة من بني عبد شمس بن عبد مناف ، قتل يوم بدر كافرا مبارزة مع علي فقتله علي . المصدر السابق ٢ : ٢٧٧ و ٣٦٥ ـ ٣٦٦ .

(٥) رواه مسلم واللفظ له بمثله ، كتاب الجهاد والسير ، باب مالقي النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من اذى المشركين والمنافقين ، ٣ : ١٤١٨(١٧٩٤). ورواه البخاري بنحوه ، كتاب الوضوء ، باب اذا ألقى عن ظهر المصلي قذر أوجيفة لم تفسد صلاته ، ١ : ٣٤٩ (٢٤٠) من الفتح .

(٦) صحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب مالقي النبي ... ، ٣ : ١٤٢٠ (١٧٩٤) . وصحيح البخاري ، كتاب المغازي ،باب دعاء النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ على كفار قريش ، ٧ : ٢٩٣ (٣٩٦٠) من الفتح

(٧) صحيح البخاري ، ولفظه : " ... قبل أن يلقى في البئر " كتاب الجزية والموادعة ،باب طرح جيف المشركين في البئر ، ولايؤخذ لهم ثمن ،٦:٢٨٢ ـ ٢٨٣ (٣١٨٥) من الفتح . واللفظ المذكور عند مسلم ، كتاب الجهاد والسير، باب مالقى النبي ... ، ٣ : ١٤١٩ (١٧٩٤) .

(٨) صحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب مالقي النبي ... ، ٣ : ١٤٢٠ (١٧٩٤) .

ويدخل في هذا الباب مالم يزل الناس يرونه[1] ويسمعونه ، من انتقام الله ممن يسبه ويذم دينه ، بأنواع من العقوبات[2] ، وفي ذلك من القصص الكثيرة ، مايضيق هذا الموضع عن بسطه ،وقد رأينا وسمعنا من ذلك مايطول وصفه ، من انتقام الله ممن يؤذيه بأنواع من العقوبات العجيبة ، التي تبين كلاءة[3] الله لعرضه ، وقيامه بنصره ، وتعظيمه لقدره ، ورفعه لذكره ،ومامن طائفة من الناس الا وعندهم من هذا الباب مافيه عبرة لأولى الألباب ، ومن المعروف المشهور المجرب عند عساكر المسلمين بالشام ، اذا حاصروا بعض حصون أهل الكتاب أنه يتعسر عليهم فتح الحصن ، ويطول الحصار الى أن يسب العدو الرسول[4] ـ صلى الله عليه وسلم ـ فحينئذ يستبشر[5] المسلمون بفتح الحصن،وانتقام الله من العدو ، فانه يكون ذلك قريبا ،كما قد جربه المسلمون غير مرة تحقيقا لقوله ـ تعالى ـ : ﴿ ان شانئك هو الأبتر[6] ﴾ . ولما مزق كسرى كتابه مزق الله ملك الأكاسرة كل ممزق ، ولما أكرم هرقل والمقوقس كتابه بقي لهم ملكهم .

---

(١) في ط (يروونه) .
(٢) في أ (عقوبات) .
(٣) الكلاءة : الحفظ . مختار : ٥٧٥ .
(٤) في أ و ك و ط (لرسول الله) وقد أثبتنا الصواب من نسخة أكسفورد .
(٥) في أ (يستبشروا) والأصوب ما أثبتناه من ك و ط .
(٦) الأبتر : المنقطع من كل خير . صفوة ٣٠ : ٦١١ .
(٦) سورة الكوثر : ٣.

(إجابة دعواته ـ عليه السلام ـ من أعلام نبوته)

النوع الثامن[1] : في اجابة دعوته ، واجابة الدعاء: منه ماتكون إجابته معتادة لكثير من عباد الله ، كالاغناء والعافية ونحو ذلك . ومنه مايكون المدعو به من خوارق العادات : كتكثير الطعام والشراب كثرة خارجة عن العادة ، واطعام النخل في العام مرتين[2] ، مع أن العادة في مثله مرة ، ورد بصر الذى عمي[3] ، ونحو ذلك مما يأتى وماتقدم من أدعيته .

ومعلوم أن من عوّده الله إجابة دعائه ، لايكون إلا مع صلاحه ودينه ، ومن ادعى النبوة : لايكون إلا من أبر الناس ، إن كان صادقا ، أو من أفجرهم إن كان كاذبا ، وإذا عوده الله إجابة دعائه ، لم يكن فاجرا بل برا ، واذا لم يكن مع دعوى[4] النبوة الا برٌ أتعين أن يكون نبيا صادقا ، فان هذا يمتنع أن يتعمد الكذب ،ويمتنع أن يكون ضالا يظن أنه نبي ، وأن الذي يأتيه مَلَك ، ويكون ضالا في ذلك ، والذي يأتيه الشيطان ،فان هذا حال من هو

---

(١) هو النوع التاسع والأخير ،حسب واقع السياق .

(٢) روى الترمذي قول أبي العالية :"... وكان له بستان يحمل في السنة الفاكهة مرتين ... " وقال :"هذا حديث حسن". سنن الترمذي كتاب المناقب ، باب مناقب لأنس بن مالك ٥ : ٦٨٣ (٣٨٣٣) . ورواه البيهقي في الدلائل ٦ : ١٩٥ .

(٣) وهو حبيب بن فديك أو فويك السلاماني ، وقتادة بن النعمان الذي اصيبت عينه يوم بدر أو أحد . وحديث حبيب المذكور أورده الهيثمي في المجمع ٨ : ٢٩٨ وقال :"رواه الطبراني ، وفيه من لم أعرفهم". وانظر أسد الغابة ١ : ٤٤٧ .

(٤) في أ (دعوة) والصواب ما أثبتناه من ك و ط .

جاهل بحال نفسه ، وحال من يأتيه ، ومثل هذا لايكون أضل منه ، ولا أجهل منه ، لأن الله ـ تعالى ـ جعل بين الملائكة والشياطين ، وبين الأنبياء الصادقين (١) ، وبين المتشبهين بهم من الكذابين من الفرق مالا يحصيه غيره من الفروق (٢) ، بل جعل بين الأبرار والفجار من الفروق أعظم مما بين الليل والنهار، ولأن مايأتي به الأنبياء من الأخبار والأوامر مخالف (٣) من كل وجه لما يأتي به الشيطان ، ومن استقرأ أحوال الرسل وأتباعهم وحال الكهان والسحرة ، تبين له مايحقق ذلك .

والشيطان الذي يقول لمن ليس بنبي (٤) إنك نبي صادق ، والله أرسلني اليك ، يكون من أعظم الناس كذبا ، والكذب يستلزم الفجور ، فلابد أن يأمره بماليس برا بل اثما (٥) . ويخبره بما ليس صدقا بل كذبا ، كما هو الواقع ، ممن تضله الشياطين من جهلة العباد ، وممن يزين (٦) له أنه نبي أو أنه المهدي أو خاتم الأولياء ، وكل هؤلاء لابد أن تأمره الشياطين بإثم ، ولابد أن يكذب في بعض ماتخبره به ، تحقيقا لقوله ـ تعالى ـ : ﴿هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم (٧) ﴾ .

---

(١) سقطت (بين) من أ .

(٢) سقطت (من الفروق) من ك و ط .

(٣) في ك و ط (مضادة) .

(٤) في أ (نبي) .

(٥) سقطت من ط جملة (بما ليس برا بل اثما ، ويخبره) .

(٦) وأقرب شاهد على قول الشيخ المؤلف ما وقع من بعض أبناء المسلمين المغرورين من الفتنة العظيمة في الحرم المكي الشريف في أول أيام سنة أربعمائة وألف هجرية ، حيث انتهكت حرمة المسلمين والبيت العتيق ، ثم انتهت تلك الفتنة ، وانتهت معها حياة تلك الفئة وحياة أناس غيرهم من المسلمين ـ نسأل الله العافية والسلامة في الدنيا والآخرة ... .

(٧) سورة الشعراء : ٢٢١ ـ ٢٢٢ .

وحينئذ : فمثل هذا لايكون ـ مع دعوى النبوة ـ من الأبرار ، الذين عودهم الله اجابة دعائهم إجابة خارجة عن العادات ،بل لايكون مع دعوى النبوة إلا من الأفّاكِين الفجار ، وإذا كان صادقا في دعوى النبوة ، عالما بأنه صادق ثبت أنه نبي .

والأنبياء معصومون من الإقرار على الخطأ ـ فيما يُبَلِّغونه عن الله ـ باتفاق الناس ، وحينئذ : فكل مايبلغه عن الله فهو حق ، وهو المطلوب ، ومن كان يأتيه صادق وكاذب ، مثل (ابن صياد) (١) ومثل كثير من العباد الذين لهم الهام من الملك ، ووسواس من الشيطان بأنه نبي ، ويقول أنا أرسلني الله فلابد أن يتبين كذبه ، ولو ببعض الوجوه ، مثل : أن يخبره بكذب ، فان مثل هذا الشيطان الذي قال له : انه نبي ، لابد أن يكذب فيما يخبره به .

---

(١) ابن صياد : هو صاف بن صياد : كان من اليهود أو دخيلا في جملتهم في المدينة ، وكان يَبْلُغ رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خبرُه ومايدّعيه من الكهانة ويتعاطاه من الغيب ، فامتحنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بذلك ليُزَور به أمره ، ويَخْبُر شأنه ،فلما كلمه علم أنه مبطل ، وأنه من جملة السحرة أو الكهنة ، أو ممن يأتيه رئي من الجن ، أو يتعاهده شيطان ، فيلقي على لسانه بعض مايتكلم به ، وقد كان فتنة ، امتحن الله به عباده المؤمنين ، كما أمتحن قوم موسى في زمانه بالعجل ، وقد كان ابن صياد دجالا من الدجاجلة ،والظاهر أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يوحَ إليه في أمره بشيء ، وإنما أُوحي اليه بصفات الدجال ، وكان في ابن صياد قرائن محتملة ، فلذلك كان ـ صلى الله عليه وسلم ـ لايقطع في أمره بشيء ، والقطع بأنه هو الدجال ـ كما فعل بعض الصحابة ـ اجتهادا منهم ـ يتعارض مع قصة الجَسّاسة التي رأى فيها تميم الداري ـ رضي الله عنه ـ الدجال الحقيقي في جزيرة من جزائر البحر موثقا بالحديد ، يستفهم عن خبر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ هل خرج أم لا ؟ وقد توهم بعضهم أن حديث مسلم في قصة تميم

=

.....

= الداري هو حديث غريبٌ فَرْدٌ، وليس كذلك ، فقد رواه مع فاطمة بنت قيس ـ التي روته في صحيح مسلم ـ أبو هريرة وعائشة وجابر ، وأخرجه أحمد وأبو داود مختصرا وابن ماجه وأبو يعلى ، هذا وقد أسلم ابن صياد وولد له أولاد ، وسافر مع أبي سعيد الخدري وغيره إلى مكة حاجا ـ ثم مات بالمدينة ، وصلوا عليه بها ، وكشفوا عن وجهه ، كما تقول رواية مرجوحة في نظر ابن حجر نظرا لتعارضها مع رواية أبي داود باسناد حسن . ويرى الحافظ ابن حجر : أن ابن صياد شيطان تبدى في صورة الدجال في تلك المدة الى أن توجه الى أصبهان فاستتر مع قرينه ، إلى أن تجيء المدة التي قدر الله ـ تعالى ـ خروجه فيها . والذي يظهر لي أن رأي ابن حجر وجيه ، ولكنني أرجح : أن صاف بن صياد رجل عادي كان يهوديا أو مع اليهود ، وكان يتعاطى الكهانة وأنه قد وجدت فيه ـ على سبيل الاتفاق والمصادفة ـ بعض أوصاف الدجال الشكلية الخِلْقية ، ثم انه أسلم وحج ـ وأنه لم يَحْسُن إسلامه ، بدليل قوله لأبي سعيد الخدري :" أما والله إني لاعلم الآن حيث هو ، وأعرف أباه وأمه" (يقصد الدجال الحقيقي) قال : وقيل له : أيسرك أنك ذاك الرجل ؟ قال:فقال : لو عرض علي ماكرهت . ثم انه مات ـ كما تقول الرواية المرجوحة في نظر ابن حجر ـ وشهد عليه الناس بالموت . وبذلك يتم الجمع بين النصوص وتتضح المسألة ـ في رأيي ـ تماما . وقد أطلت التعليق عليها لأهميتها ـ في نظري ـ وكثرة النصوص فيها والاختلاف عليها من الصحابة الى عصر ابن حجر . انظر المصادر حسب تسلسلها : معالم السنن للخطابي بهامش مختصر سنن ابي داود ٦ : ١٨٢ ـ ١٨٣ والفتح ١٣ ـ ٣٢٧ ـ ٣٢٨،وصحيح مسلم ، كتاب الفتن ... ، باب ذكر ابن صياد ، ٤ : ٢٢٤١ ـ ٢٢٤٢ (٢٩٢٧) وجامع الأصول ١٠ : ٣٦٢ ـ ٣٧٥ (٧٨٥٩ ـ ٧٨٦٩) .

ومثل اخبار الصادق له : بأن هذا كذب (١) ، فاذا أتاه الشيطان بالكذب لابد أن يخبره الصادق الذي يأتيه بما يخالف ذلك ،بخلاف الاخبار بأمور جزئية ، اذ اخباره بأنه نبي صادق مع أنه ليس كذلك : يهلكه هلاكا عظيما ، ويفسد على الصادق جميع مايأتيه به . لأن ذلك يستلزم أن يُصَدِّق ذلك الكاذب في كل مايخبره به ، اذ قد اعتقد أنه نبي ،وحينئذ فلا يكون عنده كاذبا ، ولايعرف أنه كاذب .

فلا يكون مثل ابن صياد ونحوه ، ممن يعرف أنه يأتيه صادق وكاذب ، بل أضل من هؤلاء (٢) : يظن أن كل مايأتيه فهو صادق ، ولهذا كل من كان يأتيه إخبار ملَكي صادق ، وإخبار شيطاني كاذب ، فلابد أن يعرف أنه يأتيه كاذب ، لأنه تبين له الكذب فيما يخبره به الشيطان الكاذب ـ كما هو الواقع ـ .

ولهذا يوجد الكهان يعرفون كذب من يخبرهم كثيرا ، وكذلك العُبَّاد (٣) الذين لهم خطابات ومكاشفات ، بعضها شيطاني ، وبعضها ملَكي ، يتبين لهم (٤) الكذب فيما يأتيهم به الشيطان ـ كما هو الواقع ـ فلا يوجد شيخ عابد له حال شيطاني الا ولابد أن يخبره بكذب ، يظهر له أنه كذب ، وحينئذ : فاذا صَدَّق هذا الكاذب في اخباره النبوة كان مصدقا للكاذب ، ولأن الصادق الذي يأتيه مخبرا له بالصدق ، ناصحاً له ، لابد أن يبين له ذلك ، فلا يصر على اعتقاد (٥) أن من يأتيه صادق ـ وهو في نفس الأمر كاذب ، ولايعلم أنه كاذب ـ الا من هو أفاك أثيم ، والله ـ تعالى ـ يقول : ﴿ هل أنبئكم على من تنزل الشياطين * تنزل على كل أفاك أثيم (٦) ﴾ . فتنزلها (٧) على الأفاك الأثيم ، وأما نزول الشيطان مرة أو مرتين ، فقد يكون على من ليس بأفاك أثيم ، فان من لم يكن مدعيا للنبوة * (٨) لم يكن من هذا الباب ، وان كان مدعيا للنبوة * فيمتنع أن يقره الصادق الذي يأتيه على ذلك ، بل لابد أن يبين له هذا، إن جُوِّز ذلك .

---

(١) في ك و ط (كاذب) .
(٢) في ط زيادة : (من) .
(٣) سقطت (بعضها) من أوقد أثبتناها من ك و ط .
(٤) في ك و ط (له).
(٥) في ك و ط (اعتقاده) .
(٦) سورة الشعراء : ٢٢١ ـ ٢٢٢ .
(٧) أفاك أثيم : كذاب فاجر ،مبالغ في الكذب والعدوان . صفوة ١٩ : ٣٩٧ .
(٧) في ط (فينزلها) .
(٨) مابين النجمتين سقط من ك و ط .

فان الناس تنازعوا : هل يجوز أن يلقي الشيطان على لسان النبي ماينسخه الله ويمحاه أم[1] لايجوز ذلك ؟ وعلى كل حال يمتنع أن يُقَرَّ على خطأ .

والمقصود هنا ذكر بعض أدعية النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ التي شوهد إجابتها ، وقد تقدم ذكر بعض أدعيته ، مثل دعائه على الملإ من قريش ، فقتلوا (يوم بدر) وألقوا في القليب . ومثل : دعائه على (عتيبة بن أبي لهب) ومثل دعائه على الذي كَذَبَ عليه بأن يجعله آية . ومثل دعائه لما قَلَّ الزاد وجمعوه على نطع ، فكثره الله ببركة دعوته حتى كفى الجيش العظيم في (غزوة تبوك) ، ومثل دعائه في (غزوة الخندق) فكفى الطعام ، وهو صاع من شعير لألف نفر[2] ، وكذلك دعاؤه لما نُزِحَت (بئر الحديبية) فكثر ماؤها ، حتى كفى الركب ، وهم ألف وخمسمائة وركابهم[3] .

وقد تقدم دعاؤه للذي ذهب بصره فأبصر ، ودعاؤه في الاستسقاء ،فمارد يديه إلا والسماء قد أمطرت ، ودعاؤه في الاستصحا ، وإشارته إلى السحاب فتقطع[4] من ساعته ، ودعوته على (سراقة بن جعشم) لما تبعهم في الهجرة ، فغاصت فرسه في الأرض ، ودعاؤه (يوم بدر) و (يوم حنين) وقال الله له يوم بدر : ﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردِفين[5] ﴾ وأمثال ذلك .

---

(١) في ط (يمحوه أو) .

(٢) استعمل الشيخ المؤلف ـ رحمه الله ـ كلمة (نفر) هنا للواحد ، كما نستعملها في العامية هذه الأيام ، والمعروف في اللغة انها بمعنى: عدة رجال من ثلاثة الى عشرة . انظر مختار : ٦٧٢ .

(٣) في أ (وركبانهم) والصواب ما أثبتناه من ك و ط .

(٤) في ك و ط (فقطع) .

(٥) سورة الأنفال : ٩.

وفي الصحيحين عن جابر قال :" لما نزل : ﴿ قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم ... ﴾ قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ :" أعوذ بوجهك"، ﴿ ... أو من تحت أرجلكم ﴾ قال :" أعوذ بوجهك" ﴿ ... أو يلبسكم شيعا (١) . ويذيق بعضكم بأس بعض ... ﴾ (٢) قال : " هاتان أهون أو أيسر " (٣) .

وفي الصحيحين : عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : " سألت ربي ثلاثا ، فأعطاني اثنتين ، ومنعني واحدة . سألته أن لايهلك أمتي بسنة عامة (٤) فأعطانيها ، وسألته أن لايسلط عليهم عدوا من غيرهم ، فيجتاحهم ، فأعطانيها ، وسألته أن لايجعل بأسهم بينهم ، فمنعنيها ، فلن يزال الهرج (٥) إلى يوم القيامة (٦) " .

---

(١) يلبسكم شيعا : يخلطكم فرقا متحزبين ، على أهواء شتى فينشب القتال بينكم . صفوة ٧ : ٣٩٧ .

(٢) سورة الأنعام : ٦٥ .

(٣) رواه البخاري ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب قول الله ـ تعالى ـ : " أويلبسكم شيعا" ١٣ : ٢٩٥ ـ ٢٩٦ (٧٣١٣) من الفتح . ورواه الترمذي بنحوه ، كتاب تفسير القرآن ، باب ومن سورة الأنعام ٥ : ٢٦١ـ ٢٦٢ (٣٠٦٥) . ولم يخرجه مسلم ، خلافا لما أشار اليه الشيخ المؤلف ـ رحمه الله ـ تعالى ـ .

(٤) سنة عامة : قحط يعمهم . بل ان وقع القحط كان في ناحية يسيرة بالنسبة الى باقي بلاد الاسلام ـ فلله الحمد والشكر على جميع نعمه . شرح النووي ١٨ : ١٤ .

(٥) في المختار : ٦٩٤ : الهرج : الفتنة والاختلاط . وفسره النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في أشراط الساعة بالقتل . كما هو عند البخاري، كتاب الفتن ، باب ظهور الفتن ، ١٣ : ١٣ ـ ١٤ (٧٠٦١ ـ ٧٠٦٧) من الفتح وقال الحافظ هنا ١٣ : ١٨ ـ ١٩ :" وأخطأ من قال : " نسبة تفسير الهرج

=

.....

= بالقتل للسان الحبشة وَهْمٌ من بعض الرواة والا فهى عربية صحيحة" فهي لاتستعمل في اللغة العربية الا على طريق المجاز ، لكون الاختلاط مع الاختلاف يفضي كثيرا الى القتل ... واستعمالها في القتل بطريق الحقيقة هو بلسان الحبشة ... " .

(٦) رواه مسلم بنحوه وفيه " الفرق " بدل " العدو " كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض ٤ : ٢٢١٦(٢٨٩٠) والأقرب لمعنى ماذكره الشيخ الرواية التي قبل هذا عند مسلم ، فكأن الحديث مجموع من الروايتين ، وليس فيهما : " فلن يزال الهرج ..." ورواه الترمذي ، بنحوه ، كتاب الفتن ،باب ماجاء في سؤال النبي . صلى الله عليه وسلم ـ ثلاثا لأمته ٤ : ٤٧١ (٢١٧٥). وعنده الرواية الأخرى كما عند مسلم . ورواه النسائي بنحوه ،كتاب قيام الليل وتطوع النهار ،باب إحياء الليل ، ٣ : ٢١٧ . ورواه ابن ماجه بنحو رواية مسلم ، أبواب الفتن ،باب مايكون من الفتن ، ٢ : ٣٦٨ (٣٩٩٩) . ورواه مالك في الموطأ بنحوه ، كتاب القرآن ، باب ماجاء في الدعاء ، ١ : ٢١٦ (٣٥) وقوله : " فلن يزال الهرج الى يوم القيامة". موقوف على ابن عمر كما هو الشأن في الحديث كله . ولم يَرو البخاري هذا الحديث خلافا لما أشار اليه الشيخ المؤلف .

وفي صحيح مسلم من حديث سلمة بن الأكوع ، قال :"جعل عمي يرتجز[1]، ويقول :

تاالله لولا الله ما اهتدينا ولاتصدقنا ولا صلينا

ونحن من فضلك ما استغنينا فثبت الأقدام ان لاقينا

وانزلن سكينة علينا

فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " من[2] هذا ؟"قالوا عامر. قال[3] : " غفر لك ربك . " قال : وما استغفر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لانسان يخصه الا استشهد . قال : فنادى عمر بن الخطاب ـ وهو على جمل له ـ : يانبي الله لولا متعتنا بعامر ؟ . قال فلما قدمنا خيبر خرج ملكهم[4] (مَرْحَب)[5] يَخْطِر[6] بسيفه ، ويقول :

قد علمت خيبر أني مرحب شاكي السلاح[7] بطل مجرَّب

اذا الحروب اقبلت تلهب

قال:وبرز له عمي عامر، فقال :

قد علمت خيبر أني عامر شاكي السلاح بطل مغامر[8]

---

(١) في ك و ط " يرجز " .

(١) عم سلمة : هو عامر بن ـ الأكوع ـ سنان بن عبد الله بن قشير بن خزيمة إبن مالك بن سلامان بن أسلم بن أفصى ، كان شاعرا ، أصاب نفسه يوم خيبر فدفن في غار في جبل هو ومحمود بن مسلمة في مكان يسمى الرجيع . طبقات ابن سعد ٢ : ١٠٧ و ٤ : ٣٠٣ ـ ٣٠٤ .

(٢) من هنا اختلف الخط في ك .

(٣) في ك زيادة كلمة التقديس بعد اسم الجلالة المعظم .

(٤) مَرْحَب : هو اليهودي ، صاحب حصن خيبر بارزه عامر بن الأكوع ثم علي فقتله ، وجاء برأسه الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ.البداية والنهاية ٤ : ١٨٠ ـ ١٨٩ .

(٥) في ط (يخط) .

(٥) يَخْطِر بسيفه : يرفعه مرة ويضعه أخرى . شرح النووي ١٢ : ١٨٤ .

(٦) في ك و ط زيادة : (هو) .

(٧) شاكي السلاح : ذو شدة وشوكة وحدة في سلاحه.جامع الأصول ٨ : ٣٢٣ .

(٨) المغامر : الذي يقتحم المهالك . المصدر والموضع السابق .

قال : فاختلفا ضربتين ، فوقع سيف (مرحب) في تُرْس عامر ،وذهب عامر يسل سيفه ، فرجع سيفه على نفسه ، فقطع أكحله ، وكانت فيها نفسه .

قال سلمة : فخرجت في نفر من أصحاب النبي ـ صلى الله ـ تعالى ـ عليه (١) وسلم ـ يقولون (٢) : بطل عمل عامر ، قتل نفسه . قال : فأتيت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأنا أبكي،فقلت : يارسول الله ، بطل عمل عامر . قال رسول الله ـ صلى الله تعالى عليه (٣) وسلم ـ :"من قال ذلك ؟ " قلت ناس من أصحابك. قال :"كذب من قال ذلك ، بل (٤) له أجره مرتين " (٥) .

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك قال :قالت أم سليم : يارسول الله ، خادمك أنس :أدع الله له . فقال : " اللهم أكثر ماله وولده ، وبارك له فيما أعطيته " (٦) .

---

(١) ليس في أ كلمة التقديس .

(٢) في أ (يقول) .

(٣) ليس في أ كلمة التقديس .

(٤) سقطت (بل) من أ .

(٥) رواه مسلم بنحوه ، كتاب الجهاد والسير ، باب غزوة ذي قَرَد وغيرها ٣ : ١٤٤٠ ـ ١٤٤١ (١٨٠٧) .

(٦) رواه البخاري ، كتاب الدعوات ، باب دعوة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لخادمه بطول العمر وبكثرة ماله ، ١١ : ١٤٤ (٦٣٤٤) من الفتح . ورواه مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل أنس ابن مالك ـ رضى الله عنه ـ ، ٤ : ١٩٢٨ (٢٤٨٠) .

وروى البخاري قال:دخل النبي ـ صلى الله ـ تعالى ـ عليه وسلم ـ على أم سُليم ، فأتته بتمر وسمن ، فقال : " أعيدوا سمنكم في سقائه ، وتمركم في وعائه " ، ثم قام إلى ناحية البيت ، فصلى غير مكتوبة ، فدعى لأم سليم وأهل بيتها . فقالت أم سليم : يارسول الله ، ان لي خُوَيْصَّة فقال :" ماهي؟" قالت : خادمك أنس ، قال : فما ترك آخرة ولادنيا إلا دعا (١) به " اللهم ارزقه مالا وولدا وبارك له فيه " . فأني (٢) أكثر الأنصار مالا ،وحدثتني ابنتي أُمَيْنَة (٣) أنه دفن لصلبي (٤) إلى مقدم الحجاج البصرة بضع وعشرون ومائة (٥)." وفي رواية لمسلم :"دعا لي بثلاث دعوات ، قد رأيت منها اثنتين ، وأنا أرجو الثالثة في الآخرة (٦)".

---

(١) في ط رسمت (دعى) .

(٢) في ك و ط زيادة " لمن " .

(٣) أُمينة : هى بنت أنس بن مالك الأنصارية ، لها ذكر في صحيح البخاري.. وروى عنها أبوها في الطاعون ... ولها ذكر آخر في الأدب ، وهي مقبولة ، من الطبقة الثالثة . تهذيب ١٢ : ٤٠١ ، وتقريب ٢ : ٥٩٠ .

(٤) لصلبي : أي اولاده شخصيا دون أولاد أولاده .

(٥) رواه البخاري ، كتاب الصوم ، باب من زار قوما فلم يفطر عندهم ، ٤ : ٢٢٨ (١٩٨٢) من الفتح بنحوه .

(٦) صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ ٤ : ١٩٢٩ (٢٤٨١) بنحوه .

وفي الترمذي وحسنه ، عن أبي خلدة (١) : قال :" قلت لأبي العالية : سمع أنس من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ؟ . قال خدمه عشر سنين ، ودعا (٢) له النبي ـ صلى الله ـ تعالى (٣) ـ عليه وسلم ـ ، وكان له بستان يحمل في السنة (٤) الفاكهة مرتين ، وكان فيها ريحان يجيء منه ريح المسك (٥)".

وفي صحيح مسلم ، عن أبي هريرة ، قال :"كنت أدعو أمي (٦) إلى الاسلام ، وهي مشركة ،فدعوتها يوما ، فأسمعتني في رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما أكره ، فأتيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأنا أبكي ، فقلت : يارسول الله ، إني كنت أدعو أمي إلى الاسلام ، وتأبى عليَّ ، فدعوتها اليوم ، فأسمعتني فيك ما أكره ، فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة . فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " اللهم أهد أم أبي هريرة " . فخرجت مستبشرا بدعوة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فصرت الى الباب فاذا هو مجاف (٧) فسمِعَتْ أمي خَشْف (٨) قدمي ، فقالت : مكانك يا أبا هريرة ،وسمعت

---

(١) أبو خلدة : هو خالد بن دينار التميمي السعدي ، مشهور بكنيته ،البصري، الخياط ، صدوق ، من الطبقة الخامسة ، مات سنة ١٥٢ هـ الكاشف ١ : ٢٦٨ تقريب ١ : ٢١٣ .

(٢) في ط (دعى) .

(٣) ليس في أ كلمة التقديس .

(٤) في ط (كان) .

(٥) سنن الترمذي ، كتاب المناقب ، باب مناقب لأنس بن مالك ، ٥ : ٦٨٣ (٣٨٣٣) .

(٦) أم أبي هريرة : اسمها : أميمة ، ويقال : ميمونة . أسد الغابة ٦ : ٤٠٦ .

(٧) مجاف : مردود (ومغلق) . ترتيب ١ : ٥٥٩ .

(٨) الخشف :الحركة والحس والصوت ، وقيل : الحس الخفي . اللسان ٩ : ٧١ مادة: خشف .

خضخضة الماء فاغتسلت ولبست درعها[1] وعجلت عن خمارها[2] ، ففتحت البـــاب فقالت : يا أبا هريرة ، أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول اللـــه[3] . فأتيته وأنا أبكي من الفرح ، فقلت : يارسول الله ، أبشر فقد استجاب الله دعوتك ، وهدى أم أبي هريرة ،فحمد الله ، وقال خيرا ،فقلت : يارسول الله أدع الله أن يحببني وأمي إلى عباده المؤمنين ، ويحببهم إلينا . فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " اللهم حبب عبدك هذا ـ يعني أبا هريرة ـ وأمه الى عبادك المؤمنين ، وحبب اليهما المؤمنين " فما خلق الله مؤمـــن يسمع بي ولايراني إلا أحبني[4] " .

وفي الصحيحين عن أنس أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ رأى على عبدالرحمن ابـــن عوف أثر صفرة[5] ، فقال : " ماهذا ؟ " قال : يارسول الله إنـــي تزوجت امرأة . قال : " كم سُقْت اليها ؟ " قال : وزنَ نواة من ذهب . قال : " فبارك الله لك ، أَوْلِم ولو بشاة[6] ".

---

(١) درع المرأة : قميصها . مختار : ٢٠٣ .

(٢) الخمار : غطاء رأس المرأة . اللسان ٤ : ٢٥٧ مادة : خمر .

(٣) في ك و ط زيادة : (أشهد) .

(٤) صحيح مسلم ، بنحوه ، كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل أبي هريرة الدوسي ـ رضي الله عنه ـ ٤ : ١٩٣٨ ـ ١٩٣٩ (٢٤٩١) .

(٥) المراد بالصفرة : صفرة الخلوق ،والخلوق : طيب يصنع من زعفران وغيره . الفتح ٩ : ٢٣٣ .

(٦) رواه البخاري ، كتاب النكاح ، باب كيف يدعى للمتزوج ، ٩ : ٢٢١ (٥١٥٥) من الفتح بنحوه . ومسلم بنحوه ، كتاب النكاح ، باب الصـــداق وكونه تعليم قرآن وخاتم حديد ... ، ٢ : ١٠٤٢ (١٤٢٧) .

وفي الصحيحين : أنه لما قَدِمَ آخىٰ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري (١) ، فَعَرَض عليه سعد (٢) أن يناصِفَه أهلَه ومالَه ، فقال له عبد الرحمن : بارك الله لك في أهلك ومالك ، دلني على السوق (٣) . فظهرت بركة دعوة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فبلغ من مال عبد الرحمن ماقاله الزهري : أنه تصدق بأربعمائة ألف دينار ، وحمل على خمسمائة فرس في سبيل الله ، وخمسمائة بعير في سبيل الله . قال: وكان عامة ماله من التجارة (٤) (٥) " وقال محمد بن سيرين : اقتسم نساء عبد الرحمن ابن عوف (٦) ثُمنهن فكان ثلاثمائة وعشرين ألفا (٧) (٨) " .

---

(١) سعد بن الربيع : هو ابن عمرو بن عدي ، يكنى أبا الحارث ويعرف بابن الحنظلية ، استُصغر يوم أحد ، وهو أخو سهل بن الحنظلية وهما من بني حارثة من الأنصار ، استشهد يوم الخندق . أسد الغابة ٢ : ١٩٧ الاصابة ٢ : ٢٧ .

(٢) في ك و ط زيادة (ابن الربيع) .

(٣) في ك و ط زيادة : (فما انقلب الابسمن وأقط ، ثم تابع الغد . وذكر الحديث) .

(٣) رواه البخاري ، بنحوه ، كتاب مناقب الأنصار ، باب إخاء النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بين المهاجرين والأنصار ، ٧ : ١١٢ (٣٧٨٠) من الفتح . ورواه الترمذي ، كتاب البر والصلة ، باب ماجاء في مواساة الأخ ، ٤ : ٣٢٨ (١٩٣٣) . ولم يخرجه مسلم ، خلافا لما أشار اليه الشيخ المؤلف .

(٤) سقطت (من) من ك و ط .

(٥) رواه أبو نعيم في الحلية ١ : ٩٩. وأورده الذهبي في سير ... النبلاء ١ : ٨١ قال المعلق عليه :"ورجاله ثقات ، لكنه منقطع بين الزهري وابن عوف".

(٦) فقد مات عن ثلاث نسوة ، احداهن : تماضر بنت الأصبغ بن عمرو بن ثعلبة ابن حصن بن ضمضم ، من كلب ،وهى أول كلبية نكحها قرشي . وقد ذكر له ابن سعد ثلاث عشرة أمرأة ممن ولدن له ، من أزواج وأمهات أولاد . طبقات ابن سعد ٣ : ١٢٧ ـ ١٢٨ .

(٧) في أ (عشرون) .

(٨) سير ... النبلاء ١ : ٩١. والبداية والنهاية ٧ : ١٦٤ وفيه : وكان نساؤه أربعا ، فصولحت احداهن من ربع الثمن بثمانين ألفا .

وقال الزهري : أوصى عبد الرحمن لمن شهد بدرا ،فوجدوا مائة ، لكل رجل منهم أربعمائة دينار"(١) .

وقال عبد الله بن جعفر(٢) ، حدثتني أم بكر(٣) بنت المسور(٤) ، أن عبد الرحمن باع أرضا بأربعين ألف دينار(٥) ، فقسمها في فقراء بني زهرة ، وفي المهاجرين وأمهات المؤمنين(٦) .

---

(١) سير ... النبلاء ١ : ٩٠ ، وأسد الغابة ٣ : ٣٨٠ ، والاصابة ٢ : ٤١٧ .

(٢) عبد الله بن جعفر : هو ابن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة بن نوفل ابن أهيب بن عبد مناف الزهري المخزومي ، أبو محمد المدني ، وثقه أحمد وغيره ، مات سنة ١٧٠ هـ وله بضع وسبعون سنة . تهذيب التهذيب ٥ : ١٧١ - ١٧٢ .

(٣) في أ (بكير) والصواب ما أثبتناه من ك و ط ، ومن المسند والمستدرك وكتب التراجم .

(٤) ام بكر : هى بنت المسور بن مخرمة ، مقبولة ، من الطبقة الرابعة . تقريب ٢ : ٦١٩ .

(٥) هم بنو زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر ابن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر ابن نزار بن معد بن عدنان . جمهرة أنساب العرب : ١٢ - ١٤ ، ١٢٨ .

(٦) رواه أحمد في المسند ٦ : ١٠٣ - ١٠٤ و ١٣٥ والحاكم في المستدرك ٣ : ٣١٠ - ٣١١ وقال :"هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه"، وقال الذهبي :"ليس بمتصل".

وقال محمد بن عمرو[١]: عن[٢] أبي سلمة[٣] أن عبد الرحمن أوصى لأمهات المؤمنين بحديقة فقومت مائة[٤] ألف[٥]. وفي الترمذي وصححه ورواه ابن حبان

---

(١) محمد بن عمرو : هو ابن علقمة بن وقاص ، الليثي المدني ، صدوق ، له أوهام ، من الطبقة السادسة ، مات سنة ١٤٥ هـ تقريب ٢ : ١٩٦ الكاشف ٣ : ٨٤ .

(٢) في ك و ط (ابن ابي سلمة) .

(٣) أبو سلمة : هو ابن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني قيل : اسمه عبد الله . وقيل : إسماعيل ، ثقة مكثر إمام ، مات سنة ١٩٤ هـ . تقريب ٢ : ٤٣٠ ، والكاشف ٣ : ٣٤٢ .

(٤) في ك و ط (قومت بأربعمائة) .

(٥) رواه الترمذي في سننه ، كتاب المناقب ، باب مناقب عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ـ ٥ : ٦٤٩ (٣٧٥٠) بلفظ : " أوصى بحديقة لأمهات المؤمنين يبعث بأربعمائة ألف " وقال :"هذا حديث حسن غريب". وفي الحديث الذي قبله : " ... وكان قد وصل أزواج النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بما يقال : يبعث بأربعين ألفا " . وقال :"هذا حديث حسن صحيح غريب".

ورواه الحاكم في المستدرك ٣ : ٣١١ بلفظ :"... أوصى لأمهات المؤمنين بحديقة بيعت بأربعين ألف دينار " وقال :"هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه ، وله شاهد صحيح على شرط الشيخين". ووافقه الذهبي .

في صحيحه عن ابن عمر أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال :" اللهم أعز الاسلام بأحب الرجلين اليك : بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل بن هشام "(١) فكان عمر بن الخطاب أحبهما إلى الله ، فأسلم عمر . وروي أن الدعوة كانت في يوم الأربعاء فأسلم يوم الخميس(٢) ، وأعز الله به الاسلام ، قال عبد الله ابن مسعود :"مازلنا أعزة منذ أسلم عمر " رواه البخاري(٣) . وظهر من عز الاسلام في امارته شرقا وغربا ، وفتح الشام والعراق ومصر ، وكسر عساكر كسرى وقيصر ، ماتحقق به اجابة الدعوة .

---

(١) سنن الترمذي ، كتاب المناقب ، باب في مناقب عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ ٥ : ٦١٧ (٣٦٨١) بمثله ، قال أبو عيسى :"هذا حديث حسن صحيح غريب ..."وموارد الظمآن ، كتاب المناقب ، باب فضل عمر ... : ٥٣٤ ـ ٥٣٥ (٢١٧٩) .

(٢) في ك و ط (وكان) .

(٣) انظر طبقات ابن سعد ٣ : ٢٦٨ قال الهيثمي :"وعن أنس بن مالك أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ دعا عشية الخميس ... فأصبح عمر يوم الجمعة فأسلم . رواه الطبراني في الاوسط ، وفيه القاسم بن عثمان البصري وهو ضعيف ." المجمع ٩ : ٦٢ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب عمر بن الخطاب .... ، ٧ : ٤١ (٣٦٨٤) من الفتح .

وفي الصحيحين أن ابن عباس وضع للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما أتى الخلاء وضوءا ، فقال لما خرج : " من وضع هذا ؟ " فقيل : ابن عباس . فقال: "اللهم فقهه في الدين ، وعلمه التأويل "(١) . وفي رواية ، قال : " ضمني رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى صدره ، وقال : " اللهم علمه الكتاب " . وفي رواية : " الحكمة "(٢) وظهرت اجابة دعوته حتى كان يسمى البحر "(٣) .

---

(١) رواه البخاري ، دون قوله : " وعلمه التأويل " كتاب العلم ،باب قول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ :"اللهم علمه الكتاب " ١ : ١٧٠ (٧٥) من الفتح ، قال الحافظ هنا :"وذكر الحميدي في المجمع أن أبا مسعود ذكره في أطراف الصحيحين بلفظ : " اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل" . قال الحميدي :"وهذه الزيادة ليست في الصحيحين"، قلت : وهو كما قال . نعم هي في رواية سعيد بن جبير ... عند أحمد وابن حبان والطبراني ورواها ابن سعد من وجه آخر عن عكرمة مرسلا ، وأخرج البغوي في معجم الصحابة : ... : "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل " . ووقع في بعض نسخ ابن ماجه ... بلفظ : " اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب " وهذه الزيادة مستغربة ... وقد وجدتها عند ابن سعد " .
ورواه مسلم بلفظ: " اللهم فقهه " . كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ٤ : ١٩٢٧ (٢٤٧٧) .

(٢) كلا الروايتين في صحيح البخاري ، كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ٧ : ١٠٠ (٣٧٥٦) من الفتح . قال البخاري: "والحكمة الإصابة في غير النبوة ".

(٣) رواه الحاكم في المستدرك ، كتاب معرفة الصحابة ، ٣ : ٥٣٥ ، عن مجاهد، وأبو نعيم في الحلية ١ : ٣١٦ .

وقال فيه ابن مسعود: "لو أدرك ابن عباس أسناننا لماعشره منا أحد"[1] وكان عمر يقدمه ويدخله مع كبراء الصحابة[2]، وعِلْم ابن عباس مشهور في الأمة[3].

وفي الصحيحين عن جابر قال: "كنت أسير على جمل قد أعيا[4] وأردت أن أُسَيبه[5] قال: فلحقني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فضربه، ودعا له، فسار سيرا لم يسر مثله[6]". وفي رواية: فقال لي: "مالبعيرك؟" فقلت: عليل. قال: فتخلف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فزجره[7] فدعا[8] له، فمازال يسير بين يدي الابل قدامها. فقال: "كيف ترى بعيرك" قلت: بخير، قد أصابته بركتك. قال فتبعنيه..." وذكر الحديث[9][10][11].

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٢ : ٣٦٦ والحاكم في المستدرك، كتاب معرفة الصحابة ٣ : ٥٣٧، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي.

(٢) في ك و ط (أكابر).

(٣) طبقات ابن سعد ٢ : ٣٦٩ - ٣٧٠، والبداية والنهاية ٤ : ٣٢١ و ٨ : ٢٩٩.

(٤) أعيا : تعب. الفتح ٥ : ٣١٥.

(٥) أسيبه : اتركه وسومه يسيب حيث شاء. اللسان ١ : ٤٧٨ مادة : سيب.

(٦) رواه مسلم واللفظ له بنحوه، كتاب المساقاة، باب بيع البعير واستثناء ركوبه، ٣ : ١٢٢١ (٧١٥).
ورواه البخاري بنحوه، كتاب الشروط، باب اذا اشترط البائع ظهر الدابة إلى مكان مسمى جاز، ٥ : ٣١٤ (٢٧١٨) من الفتح.

(٧) في أ : (في حرة) وفي ك و ط : (في حيزه) وقد أثبتنا الصواب من متن الصحيح.

(٨) في ط رسمت (فدعى).

(٩) في ك و ط (برىء) بدلا من (كيف ترى).

(١٠) في ك و ط (فبعنيه).

(١١) رواها مسلم بمثلها، كتاب المساقات، باب بيع البعير واستثناء ركوبه، ٣ : ١٢٢١ - ١٢٢٢ (٧١٥).

وفي الترمذي وغيره (١) ، قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " اللهم استجب لسعد اذا دعاك " (٢) وفي لفظ : " اللهم أجب دعوته (٣) ، وسدد رميته " فكان سعد لايرمي إلا يصيب (٤) ، ولايدعو الا أجيب (٥) .

---

(١) في ط زيادة الواو .

(٢) سنن الترمذي ، كتاب المناقب ، باب مناقب سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ، ٥ : ٦٤٩ (٣٧٥١) . ورواه الحاكم في المستدرك ٣ : ٤٩٩ ، كتاب معرفة الصحابة ، وقال :"هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي .

(٣) رواه الحاكم في المستدرك ، كتاب معرفة الصحابة ، ٣ : ٥٠٠ وقال :"هذا حديث تفرد به يحيى بن هاني بن خالد الشجري ، وهو شيخ ثقة من أهل المدينة". ووافقه الذهبي .

(٤) فقد قال علي بن أبي طالب :"سمعته (اي الرسول ـ صلى الله عليه وسلم) يقول (أي لسعد) يوم أحد : " ارم فداك أبي وأمي " . رواه الترمذي في سننه ، كتاب المناقب ، باب مناقب سعد ... ، ٥ : ٦٥٠ (٣٧٥٥) وقال :"هذا حديث صحيح".

(٥) فقد دعا على الرجل الذي كان يشتم عليا فساخت به دابته فرمته على هامته فانفلق دماغه ومات . رواه الحاكم في المستدرك ، كتاب معرفة الصحابة ، ٣ : ٥٠٠ وقال :"هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي .

وروى الحاكم في صحيحه عن علي ـ رضي الله عنه ـ قال :"مرضت فعادني رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأنا أقول : اللهم ان كان أجلي قد حضر فأرحني ، وان كان متأخرا فارفعني ، وان كان بلاء فصبرني " فقال :"اللهم أشفه ، اللهم عافه " ثم قال لي (١) " قم " فقمت فما عاد إليَّ ذلك الوجع بعد"(٢).

وفي الصحيحين عن أم خالد (٣) ، قالت : أُتي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بثياب فيها خميصة (٤) سوداء صغيرة ، فقال : " من ترون نكسوه هذه الخميصة ؟ " فسكت القوم ، فقال : " ائتوني بأم خالد " فأتي بي رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فألبسنيها فقال : " أَبلي وأَخلِقي (٥) " مرتين ، فجعل ينظر الى علم الخميصة ويشير بيده إليَّ ، ويقول : " يا أم خالد ، هذا

---

(١) سقطت " لي " من ك و ظ .

(٢) المستدرك للحاكم ، كتاب التاريخ ٢ : ٦٢٠ ـ ٦٢١ وقال :"هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي .

(٣) أم خالد : هي بنت خالد بن سعيد بن العاص بن أمية القرشية الأموية . اسمها : أَمة . صحابية بنت صحابي ، ولدت بأرض الحبشة ، فتزوجها الزبير بن العوام ، وعُمِّرت حتى لَحِقها موسى بن عقبة . أسد الغابة ٦ : ٣٢٥ ، تقريب ٢ : ٥٩٠ .

(٤) الخميصة : كساء أسود ، له علم (طراز) فان لم يكن له علم فليس بخميصة . جامع الاصول ١٠ : ٦٧٧ .

(٥) أَبلي : أمر بالابلاء ، وأَخلِقي ، أمر بالاخلاق ، وهما بمعنى قال الخليل : "أبل وأخلق : معناه عش وخرق ثيابك وارقعها ،واخلقت الثوب : أخرجت باليه ولفقته". ووقع في رواية .. الفَرَبْري : " وأخلفي" بالفاء ،وهي أوجه من التي بالقاف ، لأن الأولى تستلزم التأكيد اذ الابلاء والإخلاق بمعنى ... ويؤيدها ما أخرجه ابو داود بسند صحيح :"... نبلي ويخلف الله " . الفتح ١٠ : ٢٨٠ .

سَنَا " . والسنا بلسان الحبشة " الحسن " ، فبقيت حتى دكن (١) ، وعن أبي يزيد عمرو بن آخطب الأنصاري قال : قال لي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " أدن مني " فمسح بيده على رأسي ولحيتي ، ثم قال : " اللهم جمله ، وأدم جماله " . قال الراوي عنه (٢) : فبلغ بضعا وثمانين سنة ، ومافي لحيته بياض الا نزر يسير ، ولقد كان منبسط الوجه ولم يتقبض وجهه حتى مات ، رواه الامام أحمد، (٣) وقال البيهقي : اسناده صحيح (٤) ، ورواه الترمذي (٥) ،وقال : مسح رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يده على وجهي فدعا لي . قال عزرة (٦) : انه عاش مائة وعشرين سنة ، وليس في رأسه الا شعرات بيض ، وقال حديث حسن (٧) .

---

(١) في ط " دكت " بالتاء .

(١) رواه البخاري بنحوه ، كتاب اللباس ، باب مايدعى لمن لبس ثوبا جديدا ، ١٠ : ٣٠٣ (٥٨٤٥) من الفتح وقوله : فبقيت حتى دكن " من الدكن وهو لون يضرب الى السواد ،وهذه الجملة من قول الراوي وهي في رواية أخرى عند البخاري في كتاب الأدب ، باب من ترك صبية غيره حتى تلعب به أو قبلها أو مازحها ، ١٠ : ٤٢٥ (٥٩٩٣) من الفتح والراوي هو عبد الله بن المبارك ـ رحمه الله ـ شيخ حبان شيخ البخاري وهي بلفظ: " فبقيت حتى ذكر". يعنى من بقائها .. والتقدير : ذكر الراوي زمنا طويلا ، وقال الكرماني :" المعنى صار شيئا مذكورا عند الناس بخروج بقائه عن العادة". قال الحافظ ابن حجر :" قلت : وكأنه قرأه " ذكر " بضم أوله ، لكن لم يقع عندنا في الرواية الابالفتح، ووقع في رواية ابن السكن :" حتى ذكر دهرا ..." وفي رواية أبي ذر ـ المحدث ـ عن الكشميهني " حتى دكن " أي صار أدكن : أي أسود ... وقد جزم جماعة بأن رواية الكشميهني تصحيف". انظر الفتح ١٠ : ٤٢٥ ـ ٤٢٦. وقد روى هذا الحديث ابو داود في كتاب الأدب ، باب فيما يدعى لمن لبس ثوبا جديدا ، ٤ : ٤٢ (٤٠٢٤) بمثله ، ولم يروه الامام مسلم خلافا لما أشار اليه الشيخ المؤلف .

=

.....

= (٢) الراوي المقصود : هو علباء بن أحمر ، التابعي ، الراوي عن أبي زيد .

(٣) المسند للامام أحمد ٥ : ٧٧ و ٣٤١ .

(٤) الدلائل للبيهقي ٦ : ٢١١ .

(٥) في ك و ط (ودعا) .

(٦) في جميع النسخ : " عروة ، وهو تحريف ،وعَزْرة : هو ابن ثابت ابن أبي زيد بن أخطب ، الأنصاري ، بصري ثقة ، من الطبقة السابعة . تقريب ٢ : ٢٠ .

(٧) سنن الترمذي ، بمثله ، كتاب المناقب ، باب رقم ٦ ، ٥: ٥٩٤ (٣٦٢٩) وقال أبو عيسى :"هذا حديث حسن غريب".

وقال البخاري في تاريخه : " ثنا (١) يعقوب بن اسحاق (٢) ، عن حنظلة بن حنيفة بن حذيم (٣) ، قال حِذْيَم (٤) : يارسول الله ، إني رجل ذو سن ، وهذا أصغر بني ، فَسَمِّت عليه (٥) ، قال : " تعال ياغلام " فأخذ بيدي ، ومسح برأسي، وقال : " بارك الله فيك ـ أو بورك فيك " فرأيت حنظلة يؤتى بالانسان الوارم فيمسح بيده ، ويقول : " بسم الله " ، فيذهب الورم . وفي رواية : والشاة والبعير (٦) .

---

(١) سقطت : (ثنا) من أ و ك وقد أثبتناها من ط .

(٢) يعقوب بن اسحاق : هو ابن زيد الحضرمي مولاهم، أبو محمد المقري ، النحوي ، صدوق من صغار الطبقة التاسعة ، مات سنة ٢٠٥ هـ تقريب ٢:٣٧٥.

(٣) في ط ، (حزيم) في الموضعين .

(٣) حنظلة بن حنيفة بن حذيم : هو المالكي ، أبو عبيد ،وقيل إنه : حنظلة إبن حذيم بن حنيفة ، فقيل : انه من بني حنيفة ـ وقيل : هو التميمي السعدي ، وفد مع أبيه وجده وهو صغير على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ. أسد الغابة ١ : ٥٤٠ ـ ٥٤١ ، وتقريب ١ : ٢٠٦ .

(٤) حِذْيَم : هو ابن عمرو السعدي ، من بني سعد بن عمرو بن تميم ، صحابي ، له حديث . سكن البصرة . أسد الغابة ١ : ٤٧٠ ، وتقريب ١ : ١٥٦ .

(٥) سَمِّت عليه : من التسميت : أي ذكر الله ـ تعالى ـ على الشيء. ترتيب ٢ : ٦٠٨ .

(٦) التاريخ الكبير للبخاري ، القسم الأول من الجزء الثاني ، ص : ٣٧ ، وليس فيه الرواية الثانية (الشاة والبعير) .

ويُذكر عن أبي سفيان ، واسمه مدلوك[١] أنه ذهب[٢] الى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأسلم فدعا له النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ومسح رأسه بيده ودعا له بالبركة ، فكان مقدم رأسه موضع يد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أسود وسائره أبيض ، ذكره أيضا البخاري في تاريخه[٣] .

وروى أحمد في مسنده ، باسناده عن أبي العلا[٤] قال : كنت عند قتادة ابن ملحان[٥] ، في مرضه الذي مات فيه ، فمر رجل في مؤخر الدار ، فرأيته في وجه قتادة . قال : كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مسح وجهه . قال : وكنت قبل مارأيته الا ورأيته كان على وجهه الدهان[٦] .

---

(١) أبو سفيان ، مدلوك : أو مدرك الفزاري ، مولاهم ، أسلم مع مواليه حين قدموا على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ . الاستيعاب بهامش الاصابة ٣ : ٤٨٩ .

(٢) في ك و ط زيادة (به) .

(٣) قال ابن حجر في الاصابة ٣ : ٣٩٥ (٧٨٦٠) وروى البخاري في التاريخ ، وابن سعد ، والبغوي ، والطبراني ، من طريق مطر بن العلاء الفزاري ، حدثتني عمتي آمنة أو أمية بنت أبي الشعثاء ، وقطبة مولاة لنا ، قالتا : سمعنا أبا سفيان ، زاد البغوي في روايته : مدلوكا ، يقول: "ذهب بي مولاي الى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأسلمت ، فدعا لي بالبركة ، ومسح رأسي بيده . قالت : فكان مقدم رأس أبي سفيان أسود ،ماسه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وسائره أبيض"، واخرجه ابن منده وأبو نعيم من وجه آخر ، عن مطر .." قال الهيثمي في المجمع ٩ : ٤٠٩:"رواه الطبراني ، وفيه من لم أعرفهم".

(٤) في ط رسمت هكذا (العلى) .

(٤) أبو العلا : هو حيان بن عمير القيسي الجريري ، البصري ، ثقة ،مات قبل المائة . تقريب ١ : ٢٠٨ .

(٥) قتادة بن ملحان : هو القيسي من بني قيس بن ثعلبة . له صحبة ،يعد في البصريين . له حديث . الاصابة ٣ : ٢٢٥ ، والاستيعاب بهامشه ٣:٢٥١ وأسد الغابة ٤ : ٨٩ .

(٦) المسند للامام أحمد ٥ : ٢٧ و ٨١ وأورده الهيثمي في المجمع ٩ : ٣١٩ وقال :"رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح".

وفي صحيح البخاري أن عبد الله بن هشام[١] كان يخرج الى السوق فيتلقاه ابن الزبير وابن عمر فيقولان: "أشركنا فان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد دعا[٢] لك بالبركة"[٣]، فيشركهم، فربما أصاب الراحلة كما هي فيبعث بها[٤] إلى المنزل.

---

(١) عبد الله بن هشام: هو ابن زهرة بن عثمان التيمي، صحابي صغير، مات في خلافة معاوية، وكان مولده سنة ٤ هـ. أسد الغابة ٣: ٣٠٦، وتقريب ١: ٤٥٨.

(٢) في ك و ط زيادة: (له).

(٣) رسمت في ط (دعى).

(٤) معنى الحديث: أن ابن الزبير وابن عمر يطلبان من ابن هشام أن يدخلهما شريكين معه عندما يَتَسَوق الطعام حرصا على البركة التي تكون فيما يشتريه ويكون من جهته بدعوته ـ صلى الله عليه وسلم ـ له، كما يخبران بذلك ـ رضى الله عنهم أجمعين ـ.

(٤) رواه البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء للصبيان بالبركة، ومسح رؤسهم، ١١: ١٥١ (٦٣٥٣) من الفتح.

وفي مسند الامام أحمد عن عروة بن أبي الجعد (١) قال: "عرض للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ جلب (٢) فأعطاني دينارا ، وقال : " أي عروة ، ائت الجلب ، فاشتر شاة" فأتيت الجلب ، فساومت صاحبه ، فاشتريت منه شاتين بدينار ، فجئت (٣) أسوقهما فلقيني رجل ، فساومني، فأبيعه (٤) شاة بدينار ، فجئت بالدينار وجئت بالشاة ، فقلت : يارسول الله ، هذا دينارك وهذه شاتك" قال : " وصنعت كيف ؟ " فحدثته الحديث ، فقال : " اللهم بارك له في صفقة يمينه " . فلقد رأيتني أقف بكناسة الكوفة (٥) ، فأربح أربعين الفا ، قبل أن أصل الى أهلي " ورواه الامام أحمد . وفي لفظ (٦) :"فكان لو اشترى التراب لربح فيه (٧) " رواه البخاري عن أهل داره (٨) عنه (٩) .

---

(١) سقطت (الجعد) من ك و ط .

(١) عروة بن أبي الجعد : هو البارقي ، ويقال : ابن الجعد ، ويقال : اسم أبيه عياض ، صحابي ، سكن الكوفة ، وهو أول قاض بها . تقريب ٢ : ١٨٠ وأسد الغابة ٣ : ٥٢٣ ـ ٥٢٤ .

(٢) الجلب : مايجلب للبيع من كل شيء ، ويقال له ايضا ـ : الجلوبة .الفتح الرباني ٢٢ : ٣٢٦ .

(٣) في ك و ط زيادة : (بهما) .

(٤) في ك و ط : " فاتبعته " .

(٥) الكناسة : محلة بالكوفة ، حصلت عندها واقعة بين يوسف الثقفي وزيد إبن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب . والكوفة هي المصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق ، ويسميها قوم : خد العذراء ، وسميت بالكوفة لاستدارتها أو لاجتماع الناس بها . معجم البلدان ٤ : ٤٨١ و ٤٩٠ .

(٦) في ك و ط زيادة :(وآخر ، قال الراوي عنه) .

=

.....

= (٧) المسند للامام أحمد ٤ : ٣٧٦ من ثلاثة طرق ، ورواه أبو داود ، كتاب البيوع ، باب في المضارب يخالف ، ٣ : ٢٥٦ (٣٣٨٤ - ٣٣٨٦) والترمذي في ، كتاب البيوع ، باب (٣٤) ، ٣ : ٥٥٠ (١٢٥٨) . وابن ماجه ، أبواب الأحكام ، باب الأمين يتجر فيه فيربح ٢ : ٥٥ (٢٤٢٥) وقد تكلم المنذري على إسناد هذا الحديث وقال عن أحد طرقه :"... وهو من هذه الطريق حسن .. " مختصر سنن أبي داود ، ٥ : ٥٠ - ٥١ .

وقال أحمد البنا :"قال المنذري والنووي :"إسناده صحيح لمجيئه من وجهين " . الفتح الرباني ٢٢ : ٣٢٦ .

(٨) في ك و ط (الدار) .

(٨) الذي عند البخاري لفظ (الحي) وهم قبيلة عروة ، منسوبون الى بارق : جبال باليمن ، نزله بنو سعد بن عدي بن حارثة بن عمرو ابن عامر - مزيقيا - ، فنسبوا اليه . واضاف الحافظ قائلا :"وهذا يقتضي أن يكون سمعه من جماعة أقلهم ثلاثة". الفتح ٦ : ٦٣٢ - ٦٣٤ .

(٩) أخرجه البخاري في كتاب المناقب ، باب ٢٨ ، ٦ : ٦٣٢ (٣٦٤٢) من الفتح . قال ابن القيم :"وقد استدرك عليه (يقصد البخارى) روايته عن أهل الحي ، وهم غير معروفين ، وماكان كذلك فليس من شرط كتابه " . مختصر سنن أبي داود ٥ : ٤٩ .

وفي صحيح مسلم عن سلمة بن الأكوع ، أن رجلاً أكل عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بشماله ،فقال له : " كل بيمينك " . قال لا أستطيع . قال: "لا استطعت " مامنعه الا الكبر . قال : فما رفعها إلى فيه "(١).

وروى مالك في موطئه عن زيد بن أسلم (٢) عن جابر بن عبد الله (٣) السلمي ،قال :"خرجنا مع رسول الله-صلى الله عليه وسلم-في غزوة بني أنمار(٤)" قال جابر :"فبينما أنا نازل تحت شجرة إذا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم- فقلت : هلم يارسول الله الى الظل ، قال : فنزل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، قال جابر : فقمت الى غِرارة (٥) لنا ، فالتمست فيها ، فوجدت فيها

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الأشربة ، باب آداب الطعام والشراب وأحكامها ٣ : ١٥٩٩ (٢٠٢١) .

(٢) زيد بن أسلم : هو أبو عبد الله العدوي العمري المدني الفقيه ، الامام الحجة القدوة ، والده مولى عمر بن الخطاب ،وكان له حلقة للعلم في مسجد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مات سنة ١٣٦ هـ.سير ... النبلاء ٥ : ٣١٦ ، وتقريب ١ : ٢٧٢ .

(٣) في ك وط (عن) .

(٤) هى غزوة ذات الرقاع وكانت سنة ٥ هـ . شرح المواهب اللدنية ٢ : ٨٦ ـ ٨٧.

(٤) بنو أنمار : هم بنو أنمار بن بغيض بن ريث بن غطفان . اللباب ١:٩١.

(٥) الغِرارة : شبه العِدل (الكيس الذي يحمل على الدابة) . انظر المصباح ٤٤٥ .

جرو قِشّا(١) فكسرته ، ثم قربته الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : " من أين لكم هذا ؟ " قلنا : خرجنا به من المدينة ، قال : وعندنا صاحب لنا نجهزه ، يذهب يرعى ظهرنا ، قال : فجهزته ، ثم أدبر ، يذهب إلى الظهر، وعليه ثوبان له قد خَلِقا(٢) ، فنظر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال: " أما له ثوبان غير هذين ؟ " فقلت : بلى يارسول الله ، ثوبان في العَيْبة(٣)، كسوته إياهما . قال : " أدعه فليلبسهما " ثم ولى يذهب(٤) فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " ماله ضرب الله عنقه ، أليس هذا خير له ؟" فسمعه الرجل ، فقال : يارسول الله ، في سبيل الله . فقال : " في سبيل الله " فقتل الرجل في سبيل الله "(٥). ورواه أبو زرعة عن سعيد بن سليمان(٦) ، عن الليث(٧) ، عن هشام بن سعيد(٨) ،عن زيد بن أسلم(٩) ، عن عطاء ، عن جابر .

---

(١) في ط (جرد قنا) .

(١) الجرو : صغير كل شيء ، حتى الحنظل والبطيخ ونحوه . ترتيب ١ : ٤٨٣ .

(٢) خلقا : بليا ، من باب سهل . مختار : ١٨٧ .

(٣) العيبة : زبيل من أدم (جلد) . ترتيب ٣ : ٣٥١ .

(٤) في ك جاء في العبارة هكذا (فدعوته فلبسهما ، ثم ولى يذهب) وفي ط (ثم ولى يذهب ، فدعوته فلبسهما) .

(٥) رواه مالك في الموطأ ، كتاب اللباس ، باب ماجاء في لبس الثياب والتجمل بها ، ٢ : ٩١٠ ، ورواه الحاكم بمعناه في المستدرك ، كتاب اللباس ٣ : ١٨٣ وقال :"هذا حديث صحيح على شرط مسلم ... الا أن الحديث عند مالك عن زيد بن أسلم عن جابر (يقصد أنه منقطع)". وسكت عليه الذهبي . وقال عبد القادر الأرناؤط :"وقد وصله الحاكم .. واسناده حسن ."جامع الأصول ١٠ : ٦٦١ .

=

فصـــــل
في الطرق التي تبين بها ان هذه الاخبار تفيد العلم

(ست طرق كبرى للقطع بنبـــوة محمد ـ عليـــه السلام)

وهذه الأخبار : منها ما هو في القرآن . ومنها ما هـــو متواتـــر : يعلمه العامة والخاصة ، كنبع الماء من بين أصابعه ، وتكثير الطعام ، وحنين الجذع ، ونحو ذلك فإن كلا (١) من ذلـــك تواترت به الأخبار ، واستفاضت ، ونقلته الأمة جيلا بعد جيـــل ، وخلفا عن سلف ، فما من طبقة من طبقات الأمة الا وهذه الآيـــات منقولة مشهورة مستفيضة فيها ، ينقلها أكثر ممن ينقل كثيرا من القرآن ، وقد نقلها وسمعها من الأمة أكثر ممن سمع ونقل كثيـــرا من آيات القرآن ، وأكثر ممن سمع ونقل (٢) أنه كان يسجد فـــي الصلاة سجدتي السهو ، وممن سمع ونقل نُصُب الزكاة وفرائضهـــا . بل مواقيت الصلاة وأعدادها انما شاع نقلها للعمل الدائم بها .

وأما هذه الآيات : فنقلها أكثر ممن (٣) نقل مواقيـــت الصلاة ، من جهة الاخبار المعينة ، وذلك ان آيات الرسول كـــان كثيرا منها يكون بمشهد من الخلق عظيم ، فيشاهدون تلك الآيات ، كما شاهد (٤) أهل الحديبية وهم ألف وخمسمائة نبع الماء من بيـــن أصابعه ، وظهور الماء الكثير من بئر الحديبيـــة لمـــا نزحوها ، ولم يتركوا فيها قطرة ، فكثـــر حتى روى العسكر ، وكما شاهـــد العسكر فـــي (غـــزوة ذات الرقـــاع)

---

(١) في أ (كل) والصواب ما أثبتناه من ك و ط .

(١) في ك و ط (يبين) .

(٢) سقط : (سمع ونقل) من أ وقد أثبتناها من ك و ط .

(٣) في ط (ممل) .

(٤) في أ (شاهدوا) .

.....

= (٦) سعيد بن سليمان : هو الضبي ، أبو عثمان الواسطي ، نزيل بغداد ، البزار ، ... ثقة حافظ ... مات سنة ٢٥٥ هـ وله ١٠٠ سنة . تقريب ١ : ٣٩٨ .

(٧) الليث : هو ابن سعد بن عبد الرحمن الفَهْمى ، أبو الحارث المصري ، ثقة ثبت فقيه ، إمام مشهور ، مات سنة ١٧٥ هـ . تقريب ٢:١٣٨ . والكاشف ٣ : ١٣ .

(٨) هشام بن سعيد : هو الطالقاني ، أبو أحمد البزاز ، نزيل بغداد ، صدوق ، لم يعمر . تقريب ٢ : ٣١٨ .

(٩) عطاء : هو ابن يسار الهلالي ، أبو محمد المدني ، مولى ميمونة ، ثقة فاضل صاحب مواعظ وعبادة ، مات سنة ٩٤ هـ وقيل بعد ذلك . تقريب ٢ : ٢٣ . وسير ... النبلاء ٤ : ٤٤٨ – ٤٤٩ .

الماء اليسير لما صبه جابر في الجفنة وامتلأت ، وملأ منها جميع العسكر ، وكما شاهد الجيش في رجوعهم من (غزوة خيبر) المزادتين مع المرأة ، وقد ملؤا كل وعاء معهم ، وشربوا وهي ملأى كما هي .

وكما شاهد أهل خيبر[1] ـ وهم ألف وخمسمائة ـ الطعام ، الذي كان كربضة الشاة ، فأشبع الجيش كلهم ، وكما شاهد الجيش العظيم وهم نحو ثلاثين ألفا[2] في تبوك العين لما كانت قليلة الماء فكثر ماؤها[3] ، حتى كفاهم ، وشاهدوا الطعام الذي جمعوه على نطع ،فأخذوا منه حتى كفاهم. وكما شاهد أهل الخندق ـ وهم أكثر من ألف ـ كثرة الطعام في بيت جابر ، بعد أن كان صاعا من شعير وعناقا ، فأكلوا كلهم بعد الجوع ، حتى شبعوا ، وفضلت فضلة .

---

(١) في أ (شاهدوا) .

(٢) في أ (ألف) والصواب ما أثبتناه من ك و ط .

(٣) سقطت (ماؤها) من أ .

وكما شاهد الثمانون نفسا كثرة الطعام لما[1] اكلوا في بيت أبي طلحة . وكما شاهد الثلاثمائة كثرة الماء ، لما توضؤا من قدح ، والماء ينبع من بين أصابعه ، حتى كفاهم للوضوء[2] ، وكذلك وليمة زينب ، كانوا[3] ثلاثمائة ، فاكلوا من طعام في تَوْر[4] من حجارة ، وهو بناق ، فظن انس أنه ازيد مما كان ، وكانوا يتداولون قصعة من غدوة الى الليل ، يقوم عشرة ويقعد عشرة ، كما في حديث سمرة بن جندب[5] ، وأهل الصفة لما شربوا كلهم من اللبن القليل[6] وكفاهم ، وفضل ، وكانوا ينقلون ذلك بينهم وهو مشهور ، ينقله بعض من شاهده الى من غاب عنه ، فكان[7] استفاضة آياته وشهرتُها وتواترُها في الأمة ، أعظمَ من تواتر سجود السهو في الصلاة ، فان هذا انما كان مرات قليلة ، ولم يحضره الا المصلون خلفه لتلك الصلاة ، وكذلك نقلهم لنصب الزكاة ، وفرائضها ، فان هذا انما سمعه منه طائفة قليلة ، ونقلوه .

---

(١) في ط (كما) .

(٢) في ك و ط (الوضوء) .

(٣) في ط (كانت) .

(٤) التور : اناء يشرب فيه . مختار : ٨٠ .

(٥) حديث سمرة بن جندب مر بنا ص :- ٨١١ .

(٦) سقطت (القليل) من أ .

(٧) في ك و ط (وكان) .

وكذلك حكمه (١) بالشُّفعة (٢) فيما لا يُقْسَم ، وقضاؤه بأن دية الخطأ على العاقلة (٣) ، وقضاؤه بأن الولد للفراش (٤) ، وللعاهر الحَجَر ، ونهيه عن نكاح الشِّغار (٥) ، وتحريمه لطلاق الحائض ، وطلاق الموطوءة قبل أن يتبين حملها ، وأن المعتقة تحت عبد يثبت لها الخيار ، وتوريث الجدة السدس ، ونهيه أن تنكح المرأة على عمتها وخالتها ، وقوله : (فيما سقت السماء العشر ، وما سقى بالدوالي (٦) والنواضح نصف العشر) (٧) وأمثال ذلك . انما (٨) سمعها طائفة من الأمة ، هم أقل بكثير ممن شاهدوا آياته ، ثم ان الأمة متفقة على نقل ذلك ، وهذه الأحكام متواترة عنه ، معلومة بالاضطرار من دينه .

---

(١) في ط : (حكمة) .

(٢) الشفعة : هي انتزاع ملك المشتري بغير رضاه منه ، واجبار له على المعاوضة . وقد أثبتها الشرع ـ على خلاف الأصل ـ لمصلحة راجحة . المغني لابن قدامة ٥ : ٣٠٨ .

(٣) العاقلة : عصبة الرجل . وهم الذين يرثون الرجل عن كلالة من غير والد ولا ولد . ترتيب ٣ : ٢٧٩ و ٢٣٦ .

(٤) معنى الفراش هنا : الزوج الرسمي أو السيد .

(٥) الشغار : نكاح كان في الجاهلية ، وهو أن تُزَوِّج الرجل امرأة ما كانت ، على أن يزوجك أخرى بغير مهر ، وخص بعضهم به القرائب ، فقال : لا يكون الشغار الا أن تنكحه وليتك على أن ينكحك وليته . اللسان ٤ : ٤١٧ مادة : شغر .

(٦) الدوالي : هي الدلو ونحوها . المصباح : ١٩٩ .

(٧) رواه البخاري بلفظ آخر ،كتاب الزكاة ،باب العشر فيما يسقى من ماء السماء وبالماء الجاري ، ٣ : ٣٤٧ (١٤٨٣) من الفتح . ورواه مسلم ،بلفظ مختلف ـ أيضا ـ كتاب الزكاة ،باب ما فيه العشر أو نصف العشر ، ٢ : ٦٧٥ (٩٨١) .

(٨) في ك و ط (وانما) .

(٩) في ك و ط (شاهد) .

فاذا كان مثل هذه الأمور تواتر في الأمة ، واتفقت على نقله ، فكيف بما كان أشهر وأظهر عند من عاينه ، وكان علم الذين رأوه به ، أظهر من علمهم بهذه الأحكام وقد نقلوا ذلك الى من غاب عنهم ، فانه - قطعا - يجب أن يكون تواتر هذه الآيات في الأمة أعظم وأظهر ، ولهذا لا يكاد يوجد مسلم الا وقد عرف كثيرا من هذه الآيات ، وسمعها ونقلها الى غيره ، بخلاف كثير (١) من الأحكام المتواترة عنه ، المتفق على نقلها عند العلماء ، فان كثيرا من الناس لا يعرفها ، ولا سمعها .

واذا قال القائل : هذه مما تتوفر الهمم والدواعي على نقلها ، فلو كانت موجودة لتوفرت الهمم والدواعي على نقلها ، ولو كان كذلك لتواترت . قلنا :وكذلك هو (٢) - ولله الحمد - توفرت الهمم والدواعي على نقلها ، أكثر مما توفرت الهمم والدواعي على نقل أكثر آيات الأنبياء قبله ، وأكثر مما (٣) توفرت الهمم والدواعي على نقل الأخبار العجيبة من سِيَر الملوك والخلفاء ، فان من تدبر نقل هذه الآيات ، وَجَد شهرتها في كل زمان ، وظهور الأخبار بها أعظم من شهرة ما نقل من أخبار (٤) الأنبياء وسير الملوك والدول التي جرت العادة بتوفر الهمم والدواعي على نقلها ، فان مثل هذا لا (٥) يجب في كونه متواترا أن يتواتر عند كل أحد ،من الناس .

---

(١) في أ (كثيرا) والأصوب ما اعتمدناه من ك و ط .

(٢) في ط (هي) .

(٣) في أ (ما) والصواب ما في ك و ط وهو المثبت هنا .

(٤) في ك وط (ينقل من آيات) .

(٥) سقطت : (لا) من ط .

فان أكثر ما تواتر عند كل أمة من أحوال متقدميها ، قد لا يسمعه كثير من الأمم من غيرهم ، فضلا عن تواتره عندهم ، حتى ان كثيرا من الأمم الذين لا يعرفون الأنبياء ، قد لا يكونوا قد سمعوا[1] بأسماء الأنبياء ، ولا بأخبارهم ، فضلا عن تواترها عندهم .

وأكثر أتباع الأنبياء لم يتواتر عندهم من اخبار الملوك وسيرهم ما تواتر عند غيرهم ، حتى ان أكثر المسلمين ، لم يسمعوا بأسماء خلفاء بني امية[2] وبني العباس[3] وأسماء وزرائهم ونوابهم وقوادهم ، وبالحروب التي جرت بينهم ، ولا يعرفون الوقائع العظيمة من

---

(١) في ك و ط (يكونون سمعوا) .

(٢) بنو امية : نسبة الى امية بن عبد شمس بن عبد مناف ، الذين ولوا الخلافة ، منهم عثمان بن عفان وغيره . اللباب ١ : ٨٥ .

(٣) نسبة الى العباس بن عبد المطلب ـ رضي الله عنه ـ فالسفاح وأبو جعفر كلاهما اسمه : عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس . الكامل ٤ : ٣٤٧ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٥٨ .

الحروب التي كانت بين المسلمين وأعدائهم مثل يوم أجنادين (١) ، ويوم مَرْج الصُّفر (٢) ، ويوم فِحْل (٣) ، ومثل يوم الحرة (٤) ،

---

(١) يوم أجنادين : كان سنة ١٥هـ بين المسلمين بقيادة عمرو بن العاص والروم بقيادة أرطبون ،ولم يكن فيها نصر ولا هزيمة بعد قتال شديد وكثير من القتلى . وأجنادين موضع بالشام من فلسطين من كورة (منطقة) بيت جبرين . البداية والنهاية ٧ : ٥٤ - ٥٥ ، ومراصد الاطلاع ١ : ٣٣ .

(٢) مرج الصفر : المرج : مرعى الدواب ، ويوم مرج الصفر كان في سنة ٦١٤هـ بين المسلمين والافرنج ، حيث غلب الافرنج ولم يقدر على النجاة منهم الا القليل من أهل بيسان وما حولها ، وقد نهب الافرنج البلاد من بيسان الى بانياس ، وقد أسروا كثيرا وقتلوا وأحرقوا وأهلكوا . و (مرج الصفر) ناحية بدمشق . مختار:٦٢٠، والكامل ٩ : ٣١٤ - ٣١٥ ، ومراصد ٣ : ١٢٥٤ .

(٣) فحل : موضع بالغور (غور الأردن بالشام بين بيت المقدس ودمشق) وقد وقعت به معركة بين المسلمين ، وعليهم : شرحبيل بن حسنة وبين الروم ، وعليهم : سقلاب بن مخراق ، فنصر الله - سبحانه - المسلمين ، وقتلوا من الروم قريبا من ثمانين ألفا ، وكانت سنة ١٣هـ . مراصد ٣ :- ١٠١٨ و ٢ :- ١٠٠٤ ، والبداية والنهاية ٧: ٠٢٥.

(٣) في ك و ط زيادة : (ويوم اليرموك) .

(٤) يوم الحرة : كان سنة ٦٣ هـ بين أهل المدينة وعليهم عبدالله بن حنظلة الغسيل بن أبي عامر وبين أهل الشام وعليهم مسلم (مسرف) بن عقبة ، وقد هَزَم أهل المدينة واستباحها ثلاثة أيام ينهبها الجند ، وقتل من أهل المدينة عشرة آلاف وسبعمائة وقيل انه : حبلت ألف امرأة في تلك الأيام من غير زوج . انظر تاريخ الأمم والملوك ٥ : ٤٨٠ - ٤٩٦، والبداية والنهاية ٨: ٢١٧ - ٢٢١ .

ويوم مرج راهط[١] ، وفتنة ابن[٢] المهلب[٣] ، وفتنة ابن الأشعث[٤] ، والقراء مع الحجاج[٥] ، وحرب مصعب بن الزبير[٦] مع المختار بن أبي عبيد[٧] ، وفتنة المنصور[٨] مع محمد بن

---

(١) مرج راهط : بنواحي دمشق ، وهو أشهر المروج في الشعر ، وراهط اسم رجل من قضاعة ، وقد كان به المعركة بين أنصار ابن الزبير بقيادة : الضحاك بن قيس ، وبين مروان بن الحكم انتصر فيها مروان وقتل الضحاك . وذلك سنة ٦٤هـ . تاريخ الأمم والملوك ٥: ٥٣٥ – ٥٤٠ ، ومعجم البلدان ٣ : ٢١ و ٥ : ١٠١ .

(٢) جاءت في أ و ك : (بن) والصواب اثبات الألف كما في ط .

(٣) وقد كانت بين يزيد بن المهلب ويزيد بن عبد الملك حيث أن يزيد قد حبس بأمر عمر بن عبد العزيز وبقي فيه حتى هرب منه في مرض عمر ، فجمع أنصاره وهجم على البصرة فاستولى عليها ثم تقابل مع جيش يزيد بن عبد الملك بقيادة مسلمة بن عبد الملك فهزم ابن المهلب وقتل وانصرف اخوه المفضل ومن معه الى واسط ثم الى كرمان . وكان ذلك سنة ١٠٢ هـ فطلبهم مسلمة وأسرهم وقتل المفضل وبعث برأسه الى يزيد بدمشق . الكامل ٤ : ١٥٧ – ١٧٥ .

(٤) في أ و ك سقطت الألف من (ابن) .

(٤) ابن الاشعث : هو عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، ولاه الحجاج امرة الجيش الذي وجهه الى رتبيل ملك الترك فانتصر عليه وصالحه ثم بايعه جنده بالولاية العامة وخَلْع الحجاج ثم عبد الملك بن مروان ثم استولى على البصرة وقاتله الحجاج طويلا فهزمه الحجاج ففر الى رتبيل فأكرمه ثم غدر به وقتله وأرسل رأسه الى الحجاج فطيف به في العراق ثم بالشام ثم بمصر سنة ٨٥هـ . انظر البداية والنهاية ٩ : ٣١ – ٥٤ .

(٥) وقد كانت سنة ٨٢هـ وهي تابعة لفتنة ابن الأشعث ، وبقيادته ، في مكان يقال له ، الزاوية وأوشك القراء على هزيمته ثم انتصر الحجاج وقتل جمعا كبيرا في القراء وانصرف ابن الاشعث =

. . . . . .

=

الى الكوفة ، تاريخ الأمم والملوك ٦: ٣٤٢ – ٣٤٣ .

(٦) مصعب بن الزبير ، هو ابن العوام القرشي الأسدي ، أمير العراقين أبو عيسى وأبو عبدالله . كان فارسا شجاعا ، جميلا وسيما ، سفاكا للدماء ، وقتل سنة ٧٢ هـ وله ٤٠ سنة . سير ... النبلاء٤:١٤٠ – ١٤٣ .

(٧) وكانت سنة ٧٦هـ بعدما استولى المختار على الكوفة سار اليه مصعب فتقابلا فهزم المختار وكان ذلك بحروراء ثم تحصن بالقصر ثم خرج فقاتل حتى قتل . ثم قتل مصعب جميع أنصاره صبرا تبعا لرضى العامة . تاريخ الأمم والملوك ٦ : ٩٣ – ١١٦.

(٨) المنصور : هو عبدالله بن محمد بن علي الهاشمي العباسي – أمه سلامة البربرية ولد سنة ٩٥هـ وضرب في الآفاق ورأى البلاد وطلب العلم ،كان يسمى قبل الخلافة (عبدالله الطويل)وبعدها : أبا الدوانيق ، مات سنة ١٥٨ هـ ودفن قريبا من مكة ، وله ٦٤ سنة . سير.النبلاء ٧ : ٨٣ – ٨٩ ، وفوات الوفيات ٢ : ٢١٦ – ٢١٧ .

عبد الله بن حسن بن حسن[1] بالمدينة ، ومع اخيه ابراهيم[2] بالبصرة ، ومثل جسر أبي عبيد[3] ، ويوم اليرموك[4] ويوم القادسية[5] ،

---

(١) في ك و ط (حسين) .

(١) محمد بن عبدالله بن حسن بن حسن : هو ابن علي بن أبي طالب خرج بالمدينة وقاتله العباسيون فهزمهم أول الأمر ثم تفرق عنه أصحابه فقتل بالمدينة سنة ١٤٥ هـ وأرسل رأسه الى المنصور . الكامل ٥ : ٢ - ١١ .

(٢) في جميع النسخ (محمد بن ابراهيم) والصواب (ابراهيم) كما في كتب التاريخ .

(٢) ابراهيم : هو ابن عبدالله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب . اختفى من المنصور خمس سنين ثم ظهر بالبصرة سنة ١٤٥هـ. ثم قتل بعد هزيمة جنده على يد حميد بن قحطبة سنة ١٤٥هـ بالكوفة وله ٤٨ سنة . الكامل ٥ : ١٥ - ١٩ .

(٣) في ط (أبي عبيدة) بتاء مربوطة .

(٣) أبو عبيد : هو ابن مسعود بن عمرو بن عمير بن عوف .. الثقفي ، والد المختار وصفية امرأة ابن عمر ، أسلم في عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - واستعمله عمر سنة ١٣ هـ فسيره في جيش كثيف فيهم جماعة من أهل بدر ، واليه ينسب الجسر ... ، وانما نسب اليه لأنه كان أمير الجيش في الوقعة التي كانت عند الجسر فقتل أبو عبيد ذلك اليوم شهيدا ، وكانت الوقعة بين الحيرة والقادسية ، وتعرف الوقعة - أيضا - بيوم قسّ الناطف ، ويوم المروحة ، وكان أمير الفرس مراد نشاه بن بهمن ، واستشهد معه من الناس ألف وثمانمائة .. ، وكان المسلمون قد قطعوا جسرا هناك ، فلما انهزموا رأوا الجسر مقطوعا ... وحمل المثنى بن حارثة الشيباني الناس حتى نصب الجسر فعبر من سلم عليه . اسد الغابة ٥ : ٢٠٥ =

. . . . . .

=

(٤) سقطت (ويوم اليرموك) من ك و ط .

(٤) يوم اليرموك : وكان سنة ١٣ هـ وكان عدد المسلمين ستة وأربعين ألفا وكانوا بقيادة عدة أمراء ثم أمروا عليهم خالد بن الوليد وكان الروم بقيادة باهان وانتصر المسلمون فيها نصرا عظيما ، وأصيب من الروم مائة وعشرين ألفا ومن المسلمين ثلاثة آلاف . انظر تاريخ الأمم والملوك ٣ : ٣٩٤ - ٤٠٦ .

(٥) في ك و ط زيادة : (بل وحربهم مع أهل الردة ، مع أتباع طليحة الأسدي ، ووفد براحة ، ومثل حديقة الموت ، مع أتباع مسيلمة الكذاب) .

(٥) يوم القادسية : وكان سنة ١٤هـ بين المسلمين بقيادة سعد بن ابي وقاص والفرس بقيادة رستم وقد قتل رستم بعد ثلاثة أيام من القتال وهزم الجيش الفارسي شر هزيمة . انظر الكامل ٢ : ٣٠٩ - ٣٣٧ .

ولا يعرفون أن المسلمين فتحوا قبرص ، ولا غزوا[١] القسطنطينية مرتين : مرة في زمن معاوية[٢] ومرة في زمن بني مروان .

وكذلك الفتن التي كانت بين المسلمين . لا[٣] بل أكثر العامة لم يسمعوا بأبي مسلم[٤] صاحب الدعوة[٥] ، وبعبد الله بن علي بن عبدالله بن عباس[٦] ، وما جرى لهما من الحروب مع عساكر مروان[٧] آخر

---

(١) في ك و ط (حاصروا) .

(٢) بنو مروان : نسبة الى مروان بن الحكم بن أبي العاصي بن أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف . جمهرة أنساب العرب : ٨٧.

(٣) محيت (لا) من أ .

(٤) أبو مسلم : هو عبد الرحمن بن مسلم الخرساني ، صاحب الدعوة العباسية ، وهو شر من الحجاج ، وفي آخر امره قتله أبو جعفر المنصور سنة ١٣٧ هـ . وفيات الأعيان ٣ : ١٤٥ – ١٥٤ ، ولسان الميزان ٣ : ٤٣٦ – ٤٣٧ ، وشذرات الذهب ١ : ٢٠٥.

(٥) أي الدعوة الى ولاية رجل من بني هاشم هو ابراهيم الامام ثم عبدالله السفاح أخيه الى أن وصلت اليهم الخلافة . وفيات الأعيان ٣ : ١٤٧ .

(٦) عبدالله بن علي بن عبدالله بن عباس : هو ابن عبد المطلب ، عم المنصور والسفاح ، أحد دهاة الأرض ، وكان من الشجعان الأبطال ، سجنه المنصور في بيت أساسه ملح فسقط عليه ومات سنة ١٤٧ هـ . فوات الوفيات ٢ : ١٩٢ .

(٧) في ك و ط زيادة (ابن محمد) .

(٧) مروان : هو ابن محمد ، آخر خلفاء بني أمية ، الملقب الحمار والجعدي ، نسبة الى مؤدبه الجعد بن درهم ولد سنة ٧٢ هـ ، واشتهر بالفروسية والاقدام والدهاء ، ومات سنة ١٣٢ هـ وله ٦٢ سنة . فوات الوفيات ٤ : ١٢٧ – ١٢٨ .

خلفاء بني أمية ، ولم يسمعوا – أيضا – بدخول عبدالرحمن بن هشام[١] الى الأندلس وما جرى له فيها ، ولا بالفتنة التي بين ابني الرشيد[٢] ، الأمين[٣] والمأمون[٤] . مع أن هذه الأمور هي متواترة عند أهل العلم بالسير وأخبار الناس والتواريخ .

---

(١) عبدالرحمن : هو ابن معاوية بن هشام بن عبدالملك بن مروان الأموي ، الداخل الى الأندلس . كان يخطب (يعلن الخضوع) للمنصور أعواما ثم ترك الخطبة ولم يتعرض لبني العباس ولم يتعرضوا له ، وكان من أهل العلم على سيرة جميلة من العدل في قضاياه . مات سنة ١٧٢ هـ . فوات الوفيات ٢ : ٣٠٢ – ٣٠٣ .

(٢) الرشيد : هو هارون بن محمد بن المنصور – أبي جعفر عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس الهاشمي العباسي ، كان من أنبل الخلفاء وأحشم الملوك ذا حج وجهاد وغزو وشجاعة ورأي ، وأمه خيزران أم ولد ، مات سنة ١٩٣ هـ وله ٤٥ سنة . سير النبلاء ٩ : ٢٨٦ – ٢٩٥ .

(٣) الأمين : هو محمد الأمين بن هارون الرشيد بن المهدي ، كان ولي العهد بعد أبيه ، وكان من أحسن الشباب صورة ذا قوة مفرطة وبطش وشجاعة وفصاحة وأدب وبلاغة ولكنه كان سيء الرأي كثير التبذير أرعن ، خُلع ثم أسر وقتل صبرا سنة ١٩٩ هـ وله ٢٧ سنة . فوات الوفيات ٤ : ٤٦ – ٤٨ .

(٤) المأمون : هو عبدالله بن هارون ، أمير المؤمنين أبو العباس ، ولد سنة ١٧٠ هـ وتوفي سنة ٢١٨ هـ قرأ العلم في صغره وسمع الحديث وبرع في الفقه والعربية وأيام الناس ، ولما كبر عني بعلوم الأوائل ومهر في الفلسفة فَجَره ذلك الى القول بخلق القرآن ، وكان من رجال بني العباس حزما وعزما وعلما وحلما ورأيا ودهاء وشجاعة وسؤددا وسماحة . فوات الوفيات ٢ : ١٣٥ – ١٣٩ .

وظهور هذه الآيات ، التي هي دلائل النبوة وأعلامها ، مشهورة بين الأمة عامتها وخاصتها في كل زمان أعظم من ظهور هذه الأخبار المتواترة ، فهي أحق أن تجعل متواترة من هذه ، ونقلة هذه الآيات من الخاصة [١] : أهل العلم ، وكتب الحديث والتفسير والمغازي والسير ، وكتب الأصول والفقه ، التي توجد [٢] فيها هذه الأخبار أصح نقلا باتفاق أهل العقل والعلم من كتب التواريخ المرسلة ، فان تلك كثير من أخبارها منقطع الاسناد [٣] ، وفيها [٤] من الأكاذيب ما لا يحصيه الا الله ، وان كان أصل القصة قد يكون متواترا ، وهذه الآيات المشهورة في الأمة كثير من أجناسها متواتر عند أهل العلم [٥] ، وكثير من آحادها متواتر عند الخاصة [٦] .

---

(١) في ط (خاصة) .

(٢) في ك (يوجد) .

(٣) منقطع الاسناد : هو ما لم يتصل اسناده على أي وجه كان انقطاعه . تدريب الراوي ١ : ٢٠٧ .

(٤) سقطت الواو من ط .

(٥) في ك و ط (العامة) .

(٦) في ك (عند الخاصة : أهل العلم) وفي ط : خاصة أهل العلم) .

بل وكثير من[١] الفقهاء والمتكلمين أو أكثرهم لا يعرفون عدد مغازي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ التي قاتل فيها أعداءه ، وهي وقائع مشهورة ، كل منها متواتر تواترا ظاهرا عند أهل العلم ، مثل يوم بدر ، ويوم أحد ، ويوم الخندق ، وغزوة بني المصطلق[٢] ، وغزوة خيبر ، وفتح مكة ، ويوم حنين ، وحصار الطائف[٣] .

---

(١) في ك (بل كثير من الفقهاء) وفي ط (بل الفقهاء والمتكلمون).

(٢) غزوة بني المطلق : وهي بين المسلمين بقيادة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبين بني المصطلق بقيادة الحارث بن ضرار أبو جويرية بنت الحارث ـ رضي الله عنها ـ وذلك عند ماء لهم يقال له : المريسيع من ناحية قديد على الساحل ، وهزم الله بني المصطلق ، وكان ذلك سنة ٦هـ . السيرة لابن هشام ٣ : ٣٠٢.

(٢) بنو المصطلق : هذه النسبة الى المصطلق واسمه جذيمة بن سعد بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر ، بطن من خزاعة . اللباب ٣ : ٢١٩ ـ ٢٢٠ .

(٣) حصار الطائف كان في شوال سنة ٨ هـ وكانت بعد غزوة حنين ، واستمر بضعا وعشرين ليلة ثم انصرف المسلمون عنهم ، ولم يؤذن فيهم (أي بالقتال) فقدم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ المدينة فجاءه وفدهم في رمضان فأسلموا . السيرة لابن كثير ٣ : ٦٥٢ ـ ٦٦٣ .

فكثير من أهل العلم فضلا عن العامة ، وان كانوا سمعوا بهذه الأسماء أو بعضها ، فلا يعرفون أيها كان[1] قبل الآخر ؟ ولا يعرفون بأي بقعة كانت تلك الغزاة ؟ بل ولا يعرفون من كان العدو فيها ؟ ولا كيف كانت ؟ بل أكثر العامة لا يميزون بين بدر وحنين ، بل يقول قائلهم : يوم بدر وحنين ، ويظنون أن ذلك يوم واحد ، وأنها غزاة واحدة ، ولا يعرفون أنهما غزاتان ، بينهما نحو ست سنين ، كانت بدر في السنة الثانية من الهجرة ، وكانت حنين في السنة الثامنة بعد فتح مكة ، وأن بدرا[2] : مكان بين مكة والمدينة ، شامي مكة ، ويماني المدينة[3] ، وحنين : واد قريب من الطائف[4] ، شرقي مكة ، وانما قرن بينهما في الاسم ، لأن الله أنزل فيهما[5] الملائكة وأيد بها[6] نبيه والمؤمنين ، حتى غلبوا عدوهم ، مع قوة العدو في بدر ، ومع هزيمة أكثر المسلمين أولا بحنين ، وامتن[7] الله بذلك في كتابه في قوله : ﴿ ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون ﴾[8] ،

---

(١) في ك (أنها) بالنون بدلا من الياء ، وفيها وفي ط (كانت) بالتاء .

(٢) في أ (بدر) والصواب النصب .

(٣) معجم البلدان ١ : ٣٥٧ .

(٤) المصدر السابق ٢ : ٣١٣ .

(٥) في ط (فيها) .

(٦) في أ (بهما) .

(٧) امتن : أنعم . ترتيب ٤ : ٢٨٨ .

(٨) سورة آل عمران : ١٢٣ .

وفي قوله : ﴿ ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم ، فلم تغن عنكم شيئا ، وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ، ثم وليتم مدبرين * ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ، وأنزل جنودا لم تروها .... ﴾ (١) .

حتى بعض أكابر أئمة الفتيا المشهورين ، قال له صاحبه ـ لما أنكر عليه طَلَبَ علم السير ـ : " تسكت ، والا سألتك قدام الناس أيهما كانت قبل ، بدر أو أحد ، فاني أعلم أنك لا تعلمه (٢) " . مع أنه من المتواتر الذي لا يستريب فيه من له أدنى (٣) معرفة بالأخبار ، أن أحدا كانت بعد بدر ، وفي بدر انتصر المسلمون على الكفار ، ويوم أحد استظهر الكفار . بل وكثير من علماء المسلمين الأكابر : لا يعلمون ما هو متواتر عند أهل الكتاب ، بل وعند غيرهم من علماء المسلمين ، مثل : خراب بيت المقدس مرتين ، ومجيء بخت نصر الى بيت المقدس (٤) ، والله ـ سبحانه ـ قد (٥) ذكر في القرآن المرتين ، فقال : ﴿ وقضينا الى بني اسرائيل (٦) في الكتاب ، لتفسدن في الأرض مرتين ، ولتعلن علوا كبيرا * فاذا جاء وعد

(١ـ التواتر العام

٢ـ والتواتر الخاص

طريقان قطعيا للعلم بالنبوة

---

(١) سورة التوبة : ٢٥ ـ ٢٦ .

(٢) في ك و ط : (لا تعلم ذلك) .

(٣) سقطت (أدنى) من أ .

(٤) في ك و ط زيادة : (أولا) .

(٥) سقطت (قد) من ك و ط .

(٦) أي أعلمهم الله وأخبرهم . أنظر جامع البيان ١٥ : ٢٠ .

أولاهما ، بعثنا عليكم عبادا لنا ، أولي بأس شديد ، فجاسوا خلال الديار (١) ، وكان وعدا مفعولا (٢) * ثم رددنا لكم الكرة عليهم (٣) وأمددناكم بأموال وبنين ، وجعلناكم أكثر نفيرا (٤) * ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم ، وان أسأتم فلها ، فاذا جاء وعد الآخرة ، ليسوؤا وجوهكم ، وليدخلوا المسجد ، كما دخلوه أول مرة ، وليتبروا ما علوا تتبيرا (٥) * وكانت الأولى بعد سليمان ، وكانت الثانية بعد زكريا ويحيى والمسيح لما قتلوا يحيى بن زكريا ، الذي يسميه أهل الكتاب يوحنا المعمداني (٦) .

---

(١) أي طافوا وسط البيوت يروحون ويغدون للتفتيش عنكم ، واستئصالكم بالقتل والسلب والنهب ، لا يخافون من أحد . صفوة ١٥ : ١٥٢ .

(٢) أي كان ذلك التسليط والانتقام جزما حتما لا يقبل النقض والتبديل . المصدر والموضع السابق .

(٣) الكَرّة : الدولة والغلبة . المصدر والموضع السابق .

(٤) أكثر نفيرا : أكثر عددا ورجالا من عدوكم لتستعيدوا قوتكم وتبنوا دولتكم . المصدر السابق ١٥ : ١٥٣.

(٥) أي ليدمروا ويهلكوا ما غلبوا عليه تدميرا . المصدر والموضع السابق .

(٥) سورة الاسراء : ٤ - ٧ .

(٦) في ط (المعمدان) .

(٦) أنظر قاموس الكتاب المقدس (عندهم) : ١١٠٦ - ١١٠٨ .

وكثير من المذكورين بالعلم يظن أن (بخت نصر) هو الذي قدم الشام لما قتل يحيى بن زكريا [١] ، وهذا عند أهل العلم من أهل الكتاب وعند من له خبرة من علماء المسلمين : باطل . والمتواتر : أن (بخت نصر) هو الذي قدم في المرة الأولى [٢] . وكذلك كون شعيب - النبي - كان حمو [٣] موسى - عليه السلام - كما تقوله طائفة من الجهال [٤] ، والمتواتر عند أهل الكتاب ، وعند [٥] المسلمين من الصحابة والتابعين ،

---

(١) أنظر جامع البيان ١٥ : ٢١ - ٢٢ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك ١ : ٥٣٨ ، ومروج الذهب ١ : ٢٢٨ ،والكامل ١ : ١٤٧ - ١٥١ . والبداية والنهاية ٢ : ٣٤ - ٣٩.

(٣) الحمو : كل من كان من قبل أحد الزوجين كالأخ والأب . أنظر مختار : ١٥٣ .

(٤) ورد هذا في رواية لابن أبي حاتم عن مالك بن أنس : أنه بلغه أن شعيبا - عليه السلام - هو الذي قص على موسى القصص . الدر المنثور ٥ : ١٢٦ .

(٤) بين الشيخ المؤلف - رحمه الله - في أول هذا الكتاب (١:٢٨٧-٢٨٨ ط المدني) أن هذا القول غلط عند علماء المسلمين ، مثل : ابن عباس والحسن البصري وابن جريج وغيرهم .. ولم يثبت ذلك عن أحد من الصحابة والتابعين .

(٥) في ك و ط زيادة : (علماء) .

وغيرهم ، خلاف ذلك (١) ، وعند النصارى من أخبارهم وأخبار علمائهم وملوكهم ، المتواترة * (٢) ما لا يعرفه المسلمون واليهود ، وعند المسلمين من أخبار علمائهم وملوكهم المتواترة * ما لا يعرفه أكثر الأمم .

بل عند كل طائفة من المسلمين من أخبار شيوخهم وأمرائهم وبلادهم المتواترة ما لم تسمع من (٣) غيرهم ، وليس هذا بمنزلة من ادعى خبرا لم يكن يعرف في الذين شاهدوا تلك القضية ، كما لو ادعى مدع أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حج بعد الهجرة أكثر من حجة ، وأنه كان يصوم شهر رمضان بمكة ، وأنه كان بمكة أذان ، أو أنه كان في عساكره وعساكر خلفائه دبادب وبوقات (٤) . أو أنه كان

---

(١) جاء عن الحسن أنه قال :"يقول ناس انه شعيب وليس بشعيب ولكن سيد الماء يومئذ . وقيل : كان أثرون ابن أخي شعيب ـ عليه السلام ـ وقيل : اسمه يثربي ، وقيل : يثرب . وقيل : كانت صاحبة موسى : صفيرا بنت يثرون ، وقيل : صفورا بنت رعاويل ، وقيل : هو يثرون كاهن مدين . والكاهن : الحبر . أنظر الدر المنثور ٥ : ١٢٦ .

(٢) ما بين النجمتين سقط من أ وقد أثبتناه من ك و ط .

(٣) في ك و ط (يسمع به) .

(٤) دبادب : جمع دبداب وهو الطبل . والبوقات : جمع بوق : وهو الذي ينفخ فيه ويزمر ، وهو قديما شبه منقار الطائر ملتوي الخرق . اللسان ١ : ٣٧٢ مادة : دبب و ١٠: ٣١ مادة : بوق والمصباح : ٠٦٦.

يؤذن للعيدين ، أو[(١)] كان يخطب للعيدين قبل الصلاة ، أو أنه كان يصلي بالمدينة أكثر من عيد . أو أنه كان يصلي في السفر أربعا ، أو أنه صلى بمنى صلاة عيد النحر.أو أنه نص على علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه[(٢)] ـ أو غيره بالخلافة نصا ظاهرا مشهورا . أو أنه عزل أبا بكر عن الامارة في الحجة وولى عليا ، أو أنه صلى[(٣)] في مرض موته غير أبي بكر ، ونحو ذلك من الأخبار التي يعرف أنها كذب[(٤)] باطل ، لتواتر نقيضها ، ولأنها لو كانت صحيحة لكانت مما تتوفر الهمم والدواعي على نقله واشتهاره ، ومع أنه لم يكن له ذكر في الزمن المتقدم .

---

(١) في ط زيادة (أنه) .

(٢) ليس في أ الجملة الدعائية .

(٣) في ك و ط زيادة : (بهم) .

(٤) في ك و ط (وباطل) بالعطف .

وكذلك ما ينقله كثير من أهل الجهل ، مثل ما يجعلونه من معجزات الرسول أو غيره ، ولا يوجد منقولا عند أهل العلم بأحواله ، بل يكذبون ناقله ، مثل قول كثير من العامة أن الغمام كان يظله دائما ، فهذا لا يوجد في شيء من كتب المسلمين ، المعروفة عند علمائهم ، ولا نقله عالم من علمائهم ، بل هو كذب عندهم ، وان كان كثير (١) من الناس ينقله (٢) ، وانما نقل أن الغمامة أظلته لما كان (٣) صغيرا ، فقدم مع عمه الى الشام تاجرا ، ورآه بحيرا الراهب - ومع هذا - فهذا لا يجزم بصحته ، وكذلك ما ينقله بعضهم من أنه كان اذا وطيء أثر قدمه في الحجر ، وفي الرمل لم يكن يؤثر ، فهذا لم ينقله أهل العلم بأحواله ، ولا واحد منهم بل هو كذب عليه .

وكذلك ما ينقله طائفة من الناس ، من كثرة القتل بحروبه ، أو المغازي (٤) الكثيرة الذي (٥) يذكر مثلها صاحب الكتاب الذي

---

(١) في أ (كثيرا) .

(٢) في ط (بنقله) .

(٣) السيرة لابن هشام ١ : ١٩١ - ١٩٣ والدلائل لابن نعيم ١:٢١١-١١٧ وللبيهقي ٢ : ٢٤ - ٢٥ . وطبقات ابن سعد ١ : ١٣٠ من طريق الواقدي وهو متروك كما في التهذيب ٩: ٣٦٣ - ٣٦٨ عند أكثر العلماء وروي عن مصعب الزبيري توثيقه وكذلك عن ابن نمير وأبي عبيد .

(٤) في ط (والمغازي) بالعطف .

(٥) في ك و ط (التي) .

سماه (بنقلات الأنوار) ويقال له البكري[١] ، فهذه[٢] لما كان أكثرها لا يوجد في كتب المسلمين المعروفة ، ولا نقلها علماؤهم ، بل قد تواتر ما يخالفها ، كانت كذبا ظاهرا عند أهل العلم بأحواله ، وان كان كثير[٣] من الناس الجهال بأحواله ، قد يصدق بها .

ومثل ما ينقله طائفة[٤]، أنه كان في غزوة[٥] خيبر ، نصب علي[٦] ابن أبي طالب يده ليمر الجيش عليها ، وأن البغلة مرت عليها ، فقال : (قطع الله نسلك) فانقطع نسلها . فهذا ليس في شيء من كتب أهل العلم بأحواله ، ولا نقل ذلك

---

(١) البكري هذا : لعله أبو عبيد عبدالله بن عبد العزيز بن محمد البكري ، من أهل شلطيس ، وسكن قرطبة ، وقد أجاز له أبو عمر ابن عبد البر الحافظ وغيره ، وتوفي سنة ٤٨٧هـ وقد جمع كتابا في أعلام نبوة نبينا ـ عليه الصلاة والسلام ـ أخذه الناس عنه فلعله ما أشار اليه الشيخ المؤلف ، والأمر يحتاج الى مزيد بحث . أنظر كتاب الصلة ١ : ٢٧٧ ـ ٢٧٨ ، لأبي القاسم خلف بن عبد الملك المعروف بابن بشكوال ـ ٥٧٨ هـ مكتب نشر الثقافة الاسلامية ، القاهرة ١٣٧٤ هـ = ١٩٥٥م .

(٢) في ط (فهذا) .

(٣) في أ (كثيرا) بالنصب .

(٤) في ك و ط زيادة : (من الناس) .

(٥) في ك و ط (غزاة) .

(٦) في ك و ط زيادة : (لها) .

واحد منهم ، وانما ينقل ذلك من هو معروف بالكذب ، أو جاهل،ولهذا كان هذا من الكذب الذي يقطع بكذبه علماء المسلمين ، ويعلمون أنه تواتر نقيضه ، وأنه لم يكن في غزوة خيبر بغلة واحدة ، ولم يكن بالمدينة ولا بمكة (١) بغلة الا بغلته التي أهداها له (المقوقس) النصراني ، ملك مصر والاسكندرية ، وانما أهداها له بعد فتح خيبر ، لما كتب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى ملوك الطوائف، يدعوهم الى الاسلام ، وهو انما أرسل الى ملوك الطوائف ، بعد الحديبية وخيبر ، لما رجع من خيبر ، ويعلمون أن البغلة لم تزل مقطوعة النسل ، لم يكن لها نسل قط .

---

(١) في ك و ط تقدم ذكر مكة على المدينة .

وكذلك ما ينقله بعض الكذابين ، من أن طائفة من أهل البيت سُبُوا[1] ، فأركبوا جمالا فنبت لها سنامان[2] ، وأنها (البخاتي) ، فهذا مما اتفق أهل المعرفة بالأخبار[3] على أنه كذب ، لم يسب المسلمون - قط - في وقت من الأوقات - أحدا من أهل بيت النبي - صلى الله عليه وسلم - ، لا في خلافة بني أمية ، ولا في خلافة بني العباس ، والجمال البخاتي ما زالت هكذا[4] ، لم يتجدد لها السنام في الاسلام كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - ، لما ذكر ما يحدث النساء بعده[5] ، قال : (على رءوسهن كأسنمة البخت)[6] .

وكذلك ما نقله طائفة من أهل العلم ، من أن الشمس ردت ، لما فاتت عليا صلاة العصر ، لكون النبي - صلى الله عليه وسلم - نام في حجره[7] ، وجعل بعضهم

---

(١) في ك و ط (واركبوا) بالواو .

(٢) في ك و ط زيادة : (عنه) .

(٣) في ك و ط زيادة الواو .

(٤) لم ترد كلمة (النبي) في ك ولا ط .

(٥) في ك و ط (تحدث) بالتاء في أوله .

(٦) رواه مسلم ، كتاب اللباس والزينة ، باب النساء الكاسيات العاريات .. ، ٣ : ١٦٨٠ (٢١٢٨) ، وكتاب الجنة ... ، باب النار... ، ٤ : ٢١٩٢ (٢١٢٨) . وأحمد في المسند ٢:٢٢٣ و ٣٥٥.

(٧) تأخرت الجملة الدعائية في ط بعد جملة (نام في حجره) .

هذا من المعجزات ، وليس هذا الحديث في شيء من كتب المسلمين ، التي يعتمدون على ما فيها من المنقولات ، لا الصحاح ولا المسانيد[١] ، ولا المغازي والسير[٢] ولا غير ذلك ، بل بين أهل العلم بالحديث أن هذا كذب ، وليس له اسناد واحد صحيح متصل ، بل غايته : أن يروئ عمن لا يُعرف صدقه ، ولم يروه الا هو ، مع توفر الهمم والدواعي على نقله ، فعلموا أنه كذب ، وهذا باب واسع يبين أن علماء المسلمين يميزون[٣] المنقولات بين الصدق والكذب ، فيردون الكذب وان كان فيه من فضائل نبيهم وأعلامه ، وفضائل أصحابه وأمته ما هو عظيم ، ويقبلون[٤] الصدق وان كان فيه شبهة[٥] اشكال ، وقد يحتج به المنازعون لهم .

وكان عبد الرحمن بن مهدي يقول :" أهل العلم يكتبون ما لهم وما عليهم ، وأهل الأهواء لا يكتبون الا ما لهم "[٦].

---

(١) في ط (المسانيد) .

(٢) في ك و ط زيادة : (ولا التفسير) .

(٣) في ط (ولا السير) .

(٤) في ط زيادة : (في) .

(٥) سقطت (الصدق) من ك .

(٦) في ك و ط (واشكال) .

(٧) راجعت ما تيسر من مضان وجود هذا النص فلم أعثر عليه .

ومن ذلك مغازي حمزة (١) الشائعة بين كثير من جهال الترك وغيرهم (٢) ، لا يوجد في شيء من كتب العلم ، بل قد تواتر عند أهل العلم أن حمزة لم يشهد غزوة الا غزوة بدر ، ثم غزوة أحد ، وقتل يوم أحد شهيدا ، قتله وحشي بن حرب (٣) وهذا متواتر عند أهل العلم ، وما كان من هذه الآيات (٤) في الصحاح ، بل وكثير مما لم يخرجه البخاري ومسلم ، فهذه عامتها مما يقطع أهل العلم بالحديث بصحتها ، ويتيقنون (٥) ذلك ، وهذا عندهم مستفيض متواتر ، وان كان بعض ذلك

---

(١) حمزة : المقصود هو حمزة بن عبد المطلب بن هاشم ، عم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأخوه في الرضاعة ، أبو يعلى ، وهو أسن من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بسنتين ، وهو سيد الشهداء ، أسلم في السنة الثانية من المبعث واستشهد في أحد يوم السبت ٣/١٠/١٥ هـ وله ٥٧ سنة . أسد الغابة ١ : ٥٢٨ ـ ٥٣١.

(٢) في ط (من جهال الناس) .

(٣) وَحْشي بن حرب : هو الحبشي ، من سودان مكة ، مولى بني نوفل ، قدم على الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع وفد الطائف مسلما ، وأمره ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما روى ـ أن يغيب وجهه عنه ، وشارك في قتل مسيلمة ، ويكنى : أبا أسامة أو أبا حرب ، وشهد اليرموك ثم سكن حمص ومات بها في خلافة عثمان ـ رضي الله عنهما ـ انظر أسد الغابة ٤ : ٦٦٢ ـ ٦٦٤ والاصابة ٣ : ٦٣١ .

(٤) في ك و ط زيادة : (و المعجزات) .

(٥) في ك و ط (ويثبتون) .

قد (١) لا يتواتر ويستفيض عند غيرهم ، فان الأخبار قد تتواتر وتستفيض عند قوم دون قوم ، بحسب عنايتهم بها وطلبهم لها ، وعلمهم بمن أخبر بها وصفاتهم ومقاديرهم ، وما دل من الدلائل على صدقهم ، وأهل العلم بحديث النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ (٢) وأفعاله وسيرته ، وأسباب نزول القرآن ومعانيه وغير ذلك ، لهم بهذا من العلم وعندهم به من اليقين ما لا يوجد مثله لغيرهم ، كما أن أصحاب مالك والشافعي وأحمد بن حنبل وأبي حنيفة وداود وغيرهم عند كل طائفة من أقوال متبوعهم ونصوصه وأخباره ما يقطعون به ، وان كان غيرهم لا يعلم (٣) ذلك .

---

(١) سقطت (قد) من أ .

(٢) في ك و ط زيادة : (وأقواله) .

(٣) في ك و ط (يعرف) .

والأطباء عندهم من كلام أبقراط ، وجالينوس ، ومحمد بن زكريا[١] ، وأمثالهم ما يقطعون به ، وغيرهم لا يعلم ذلك . وأهل الهيئة[٢] عندهم من كلام بطليموس ، والرصد الممتحن المأموني[٣] ، وثابت

---

(١) محمد بن زكريا : هو الرازي ، أبو بكر ، طبيب حكيم كيماوي ، ولد بالري ، ونشأ بها ، ثم اشتغل بعلم الاكسير ، وكان في بدء أمره صائغا ، وكان يغني ويضرب بالعود ، ثم اشتغل بالعلوم العقلية والأدبية ، وتولى رئاسة البمارستان (المستشفى) العضدي في بغداد ، وعمي في آخر عمره وتوفي ببغداد سنة ٣١١ هـ . أنظر البداية والنهاية ١١ : ١٤٩ ، وشذرات الذهب ٢ : ٢٦٣ .

(٢) أي أهل العلوم الفلكية والفضائية .

(٣) الرصد ... المأموني : هو اسم للعمل الذي أمر به الخليفة المأمون بعد ترجمة كتاب المجسطي لبطليموس فقد أمر باتخاذ الآلات للرصد بها في الشماسية ببغداد ، وجبل قاسيون بدمشق ، سنة ٢٦٤ هـ وهي تسع آلات ، وقد جمع المأمون علماء الفلك وطلب اليهم العمل على تشييد هذه المراصد ، ولما توفي توقفوا عن العمل ، وسجلوا ما توصلوا اليه وسموه (الرصد المأموني) وكان كبير العلماء يحيى بن أبي منصور ومعه ثلاثة آخرون . أنظر دائرة معارف وجدي ٧ : ٤٨٤ - ٤٨٥ .

ابن قـــرة ، وأبي الحسين الصوفـــي (١) ، ما يعلمونه هم (٢) وغيرهـــم لا يعلم ذلك ، بحيث يجزم هؤلاء وهؤلاء بكثيـــر من مذاهب أهل الطـــب والحســـاب وتجارب الأطباء وأرصاد أهل الحساب . وغيرهم لا يعلم ذلك .

وعند أهل الكتاب : كاليهود ، من أخبار هلال وسمابـــــي (٣) وغيرهما من شيوخهم ما لا يعلمه غيرهم . وعند النصارى من أخبـــــار

---

(١) الصوفي : هو عبد الرحمن بن عمر بن سهل الصوفي الرازي ، عالـــم بالفلك ، من أهل الري ، له كتاب الكواكب الثابتة ، وهـــــو مطبوع ، مات سنة ٣٧٦ هـ الأعلام ٣ : ٣١٩ ومعجم المؤلفيـــــن ٥ : ١٦٢ . الفهرست : ٣٩٥ .

(٢) سقطت (هم) من ط .

(٣) في ك و ط (وسماي) بدون باء .

(٣) حاولت الحصول على ترجمة لهذين الرجلين فلم أجد شيئا ، ســـوى ما أورده ابن الماوردي ـ ٤٥٠هـ في كتابه الأحكام السلطانية : ٥٢ دار الكتب العلمية ، بيروت ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨م ، حيث ذكر شعـــرا قاله سماك اليهودي بشأن بني النضير عندما غزاهم المسلمـــون ، وقد رد عليه حسان ـ رضي الله عنه ـ .

الحواريين ، ومن أخبار قسطنطين ، والمجتمع الأول بنيقيه[1] والمجمع الثاني[2] والثالث والرابع والخامس[3] ، وغير ذلك من مجامعهم ، وأخبارهم ، ما يقطع به علماؤهم[5] وان كان غيرهم لا يعلمون ذلك .

---

(١) نيقيه : مدينة من أعمال (امارة) اصطنبول ، على البر الشرقي ، وسكانها جفاة ، ليس لمن يسكنها خلاق . أنظر معجم البلدان ٥ : ٣٣٣ .

(٢) في ط (المجتمع) .

(٣) المجمع الأول : عقد بعد موت بولس السيمساطي ، وكان معاصرا لملك الروم (فلودس قيصر بن أوس) وكان سنة ٣٢٥م .
والمجمع الثاني : كان بعد ثمان وخمسين سنة من المجمع الأول في القسطنطينية سنة ٣٨١ م .
والمجمع الثالث : انعقد سنة ٤٣١ م ، ويعرف بمجمع أفسس الأول .
والمجمع الرابع : يعرف بمجمع أفسس الثاني سنة ٤٤٩ م بأمر من الامبراطور (ثار دوسيوس) ، وحضره مائة وخمسون أسقفا ، وفيه فسدت الأمانة وظهرت طائفة اليعقوبية .
والمجمع الخامس : انعقد في خلقيدونية سنة ٤٥١م وحضره أساقفة روما وبطريرك الاسكندرية ديسقورس . أنظر مقدمة د. السقا لكتاب الاعلام بما في دين النصارى من الأوهام : ٢٤ - ٢٧ للقرطبي، طبع دار التراث العربي ، القاهرة . ومحاضرات في النصرانية : ١٢٢ - ١٤١ .

(٤) في أ سقطت (به) والأصوب اثباتها .

وأهل العلم بأيام الاسلام يعلمون من سيرة أبي بكر وعمر وعثمان ، ومغازيهم كوقعة أجنادين ، ومرج الصُّفَّر ، وغيرهما في خلافة أبي بكر ، وكوقعة اليرموك ، وخبر أبي عبيدة ،[1] وهزيمة الفرس[2] ،وفتح مصر ، وغير ذلك ، مما كان في زمن عمر بن الخطاب ، ما يقطعون به وان كان غيرهم لا يعرفون ذلك .

وكذلك ما كان بعد هؤلاء من سير الملوك ، وحوادث الوجود . بل أهل العلم بالرجال ، يعلمون من حال آحاد الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، كعبد الله بن عمر وابن عباس ، وأبي سعيد ، وأبي هريرة ، وعبد الله بن مسعود ، وأنس بن مالك ، وأُبَي بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وسعيد بن المسيب ، والحسن البصري ، وعلقمة والأسود ، وغير هؤلاء ما[3] لا يعلمه غيرهم .

---

(١) في ك و ط (وجسرأبي عبيد) ولا ضير في اثبات أحد الأمرين ،فان كان الأول فالمقصود أبو عبيدة عامر بن الجراح ـ رضي الله عنه ـ في قتله أباه ـ في الله ـ يوم بدر ، أو في قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ له : (لكل أمة أمينا ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح) . أو في نزعه حلقتي المغفر (الخوذة) من وجنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ . أنظر سير ..النبلاء ١ : ٨ ـ ٩ . وان كان الأخير ، فقد مر بنا ص: ٩٠٦ .

(٢) في معركة القادسية .

(٣) في ك و ط (مما) .

وأهل العلم بالنحو ، يعلمون من حال سيبويه ، والأخفش ، والمُبَرِّد (١) ، والزَّجاج (٢) ، والفَرَّاء (٣) ، والكِسائي (٤) ، ما لا يعلمه غيرهم .

---

(١) المبرد : هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمير بن حسان الأزدي ، المعروف بالمبرد ، أبو العباس ، أديب نحوي لغوي أخباري نسابة ، ولد بالبصرة سنة ٢١٠ هـ وتوفي ببغداد سنة ٢٨٥ هـ . لسان الميزان ٥ : ٤٣٠ - ٤٣٢ ، ومعجم المؤلفين ١٢ : ١١٤ .

(٢) الزجاج : هو أبو اسحاق ابراهيم بن محمد بن السري بن سهل الزجاج - نسبة الى خرط الزجاج لأنها كانت مهنته في أول حياته - ثم تركه واشتغل بالأدب ، وهو من أهل الأدب والعلم والدين ، توفي سنة ٣١٠ هـ . وفيات الأعيان ١ : ٤٩ - ٥٠ ، وشذرات الذهب ٢ : ٢٥٩ .

(٣) في ط (الفراءة) .

(٣) الفراء : هو يحيى بن زياد بن عبدالله بن منظور الأسلمي المعروف بالفراء الديلمي ، أبو زكريا ، أديب نحوي لغوي ، ولد بالكوفة سنة ١٤٤ هـ وانتقل الى بغداد وأدب ابني المأمون ، وتوفي في طريق مكة سنة ٢٠٧ هـ . وفيات الأعيان ٦ : ١٧٦ - ١٨٢ ، ومعجم المؤلفين ١٣ : ١٩٨ .

(٤) الكسائي : هو علي بن حمزة بن عبد الله بن قيس بن فيروز الأسدي مولاهم الكوفي ، أحد أئمة القراءات والتجويد في بغداد ، مات بالري سنة ١٨٠هـ . وفيات الأعيان ٣ : ٢٩٥ - ٢٩٧ ، وتهذيب التهذيب ٧ : ٣١٣ - ٣١٤ .

والقراء يعلمون من قراءة أبي عمرو (١) ، وابن كثير (٢) ، وحمزة (٣) ، والكسائي ،

---

(١) أبو عمرو : هو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر الأموي مولاهم القرطبي ، ويعرف بالداني وبابن الصيرفي - قديما - مقرئ حافظ مجود محدث مفسر ناظم، رحل من الأندلس وحج ثم رجع وتوفي بدانيه سنة ٤٤٤ هـ . سير .. النبلاء ١٨ : ٧٧ - ٠٨٣ ، ومعجم المؤلفين ٦ : ٢٥٥ .

(٢) ابن كثير : هو عبدالله بن كثير الداري المكي ، أبو معبد القاري ، مولى عمرو بن علقمة الكناني ، أحد الأئمة ، مات سنة ١٢٠ هـ . سير ... النبلاء ٥ : ٣١٨ - ٣٢٢ ، وتقريب ١ : ٤٤٢ .

(٣) حمزة : هو ابن حبيب ، أبو عمارة الكوفي الزيات ، شيخ القراء وأحد السبعة الأئمة ، مولى بني تيم الله،اليه المنتهى في الصدق والورع والتقوى ، ولد سنة ٨٠ هـ ، ومات سنة ١٥٨ هـ . ميزان الاعتدال ١ : ٦٠٥ ، وتهذيب التهذيب ٣ : ٢٧ - ٢٨ .

وابن عامر (١) ، ويعقوب بن اسحاق (٢) ، والأعمش (٣) ، وخلف بن هشام (*) ، وأبي جعفر (٤) ، ما لا يعلمه غيرهم (٥) .

---

(١) في أ سقطت ألف (ابن) .

(٢) ابن عامر : هو عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم اليحصبي الدمشقي المقرى ، أبو عمران ، أحد الأعلام ، قرأ على المغيرة ابن أبي شهاب المخزومي صاحب عثمان بن عفان . مات سنة ١١٨ هـ وله ٩٧ سنة . سير .. النبلاء ٥ : ٢٩٢ – ٢٩٣ ، وتقريب ١:٤٢٥ .

(٣) يعقوب بن اسحاق : هو ابن السكيت ، أبو يوسف البغدادي أديب نحوي لغوي ، عالم بالقرآن والشعر ، تعلم ببغداد وصحب الكسائي ، واتصل بالمتوكل العباسي فقتله سنة ٢٤٤ هـ على الأرجح . سير .. النبلاء ١٢ : ١٦ – ١٩ ، ومعجم المؤلفين ١٣ : ٢٤٣ .

(٤) خلف بن هشام : هو ابن ثعلب البزار المقرى البغدادي ، قرأ القرآن عن سليم وأخذ حرف نافع وحرف عاصم عن اسحاق ويحيى ، وهو امام في القراءات ، مات سنة ٢٢٩ هـ سير .. النبلاء ١٠:٥٧٦ – ٥٨٠ . تهذيب التهذيب ٣ : ١٥٦ – ١٥٧. وتاريخ بغداد ٨ : ٣٢٢ – ٣٢٨ ، لأحمد بن علي الخطيب البغدادي – ٤٦٣ هـ دار الكتاب العربي ، بيروت .

(٥) أبو جعفر : هو يزيد بن القعقاع القارى المدني المخزومي مولى عبدالله بن عياش ، كان امام أهل المدينة في القراءة فسمي القارىء لذلك وتوفي سنة ١٢٧ هـ . وفيات الأعيان ٦ : ٢٧٤ – ٢٧٦ ، وتهذيب التهذيب ١٢ : ٥٥٨ .

(*) هو سليمان بن مهران ، شيخ المقرئين والمحدثين ، أبو محمد الأسدي ، الكاهلي مولاهم الكوفي ، رأى أنس بن مالك ولكنه يدلس ، وقد كان مولده سنة ٦١هـ وتوفي سنة ١٤٧هـ . سير .. النبلاء ٦:٢٢٦ وتقريب ١:٣٣١ .

فاذا كان آحاد أهل العلم ، من أهل الفقه أو الطب أو الحساب أو النحو أو القراءات (١) ، بل وآحاد الملوك يعلم الخاصة من أمورهم ، ما لا يعلمه غيرهم ، ويقطعون بذلك ، فكيف بمن هو عند أتباعه أعلا قدرا من كل عالم ، وأرفع منزلة من كل ملك ، وهم أرغب الخلق في معرفة أحواله ، وأعظم تحريا للصدق فيها ، ولرد الكذب منها (٢) ، حتى قد صنفوا الكتب الكثيرة ، في أخبار (٣) جميع من روى شيئا من أخباره ، وذكروا فيها أحوال نقلة حديثه ، وما يتصل بذلك من جرح وتعديل ، ودققوا في ذلك ، وبالغوا مبالغة لا يوجد مثلها لأحد من الأمم ، ولا لأحد من هذه الأمة الا لأهل الحديث ، فهذا يعطي أنهم أعلم بحال نبيهم من كل أحد بحال متبوعهم (٤) * وأنهم أعلم بصدق الناقل وكذبه ، من كل أحد ، بصدق من نقل عن متبوعهم وكذبه (٥) *

---

(١) سقطت (أو) من أ والصواب اثباتها .

(٢) في ك و ط (وأرد للكذب) .

(٣) في أ (أخباره) والأولى حذف الهاء كما في ك و ط .

(٤) في ك و ط (متبوعه) .

(٥) ما بين النجمتين سقط من أ ، وقد أثبتناه من ك و ط ونسخة اكسفورد . ولم يبق من العبارة في أ الا كلمة (وكذبه) .

فاذا كان أولئك فيما ينقولونه عن متبوعهم متفقين عليه جازمين بتصديقه لا يكون الا صدقا ، فهؤلاء مع جزمهم بالصدق واتفاقهم على التصديق ، أولى ان لا يكون ما جزموا بصدقه الا صدقا (١) .

وعامة أخبار الصحيحين مما اتفق علماء الحديث على التصديق بها ، وجزموا بذلك ، وانما تنازعوا في أحاديث قليلة منها ، وعامة ما ذكرناه من آيات النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ التي في الصحاح ، هي من موارد اجماعهم ، المستفيضة عندهم ، التي يجزمون بصدقها ، ليست من موارد نزاعهم ، فهذا طريق يسلكه من عرفه من العلماء ، ويعلم خبرة أهله من كان خبيرا بهم ، فهذه طريقان في تصديق هذه الآيات (٢) : التواتر العام ، والتواتر الخاص .

(٣ـ من طرق العلم القطعي بالنبوة : التواتر المعنوي)

الطريق الثالث : التواتر المعنوي ، وهذا مما أتفق على معرفته عامة الطوائف ،فان الناس قد يسمعون أخبارا متفرقة ، بحكايات يشترك مجموعها في أمر واحد ، كما سمعوا أخبارا متفرقة ، تتضمن شجاعة عنترة (٣) ، وخالد بن الوليد، وأمثالهما ،

---

(١) في ط (اذ) .

(٢) في ك و ط (الآثار) .

(٣) عنترة : هو ابن شداد بن معاوية بن قراد بن مخزوم بن ربيعة بن مالك بن غالب بن نطيعة بن عبس العبسي ، شاعر من فرسان العرب في الجاهلية ، من أهل نجد ، أمه حبشية اسمها (زبيبة) سرى اليه السواد منها واجتمع بامرئ القيس الشاعر وشهد داحس والغبراء وعاش طويلا ومات مقتولا . البداية والنهاية ٢ : ٢٢٠ ، ومعجم المؤلفين ٨ : ١٤ .

وتتضمن (١) سخاء حاتم (٢) ، ومعن بن زائدة (٣) ، وأمثالهما ، وتتضمن حلم الأحنف بن قيس (٤) ، ومعاوية بن ابي سفيان ، وأمثالهما ، وتتضمن شعر امرىء القيس (٥) ، والنابغة ، ولبيد (٦)

---

(١) في هذا الموضع والذي يليه جاءت في ك و ط (يتضمن).

(٢) حاتم : هو ابن عبدالله بن سعد بن الحشرج بن امرىء القيس ابن عدي بن أخزم بن هرومة بن ربيعة بن جرول بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيء ، أبو سفانة الطائي ، والد عدي بن حاتم الصحابي ، كان جوادا ممدحا في الجاهلية وكذلك كان ابنه في الاسلام ، وكان لحاتم مآثر عجيبة في كرمه ولكن لم يقصد بها وجه الله والدار الآخرة وانما كان قصده السمعة والذكر ، مات سنة ٤٦ ق. هـ . البداية والنهاية ٢ : ٢١٢ ، والأعلام ٢ : ١٥١ .

(٣) معن بن زائدة : هو ابن عبدالله بن زائدة بن مطر بن شريك ابن الصلب ، الشيباني ، أبو الوليد ،كان جوادا شجاعا جزل العطاء كثير المعروف ممدحا مقصودا ، قتلته الخوارج بخراسان في ضيعة له غيلة سنة ١٥١ هـ . وفيات الأعيان ٥ : ٢٤٤ – ٢٥٤ . ، وشذرات الذهب ١ : ٢٣١ – ٢٣٣ .

(٤) الأحنف بن قيس : هو ابن معاوية بن حصين التميمي السعدي البصري ، سيد بني تميم ، كان داهية فصيحا شجاعا يضرب به المثل في الحلم والشجاعة ولد سنة ٣ هـ ولم يَرَ النبي – صلى الله عليه وسلم – وتوفي بالكوفة سنة ٦٧ هـ . طبقات ابن سعد ٧ : ٩٣ ، ووفيات الأعيان ٢ : ٤٩٩ .

(٥) امرؤ القيس : هو ابن حُجْر بن الحارث الكندي ، من بني آكل المرار ، أشهر شعراء العرب على الاطلاق ، يماني الأصل ، مولده بنجد أو بمخلاف (منطقة) السكاسك باليمن ،اشتهر =

. . . . . .

=

بلقبه قيل : اسمه حُنْدج ، وقيل غير ذلك ، أبعده أبوه الى (دَمّون) بحضرموت ، مات نحو سنة ٨٠ ق . هـ . البداية والنهاية ٢ : ٢١٨ والاعلام ٢ : ١١ .

(٦) لبيد : هو ابن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، العامري ، ابو عقيل ، شاعر من الفرسان الاشراف في الجاهلية ، أدرك الاسلام ، ووفد على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وترك الشعر ، وسكن الكوفة ، وعاش طويلا ، ومات سنة ٤١ هـ . انظر الاصابة ٣ : ٣٢٦ ـ ٣٢٧ .

وأمثالهم من المتقدمين ، وشعر الفرزدق[١] ، وجرير[٢] ، وعمر بن أبي ربيعة[٣] ، وأمثالهم ، من المولدين ، وشعر أبي نواس[٤] والمتنبي[٥] وأبي تمام[٦] وأمثالهم من المحدثين ، بل وسمعوا أقوالا وفتاوى متفرقة ، تتضمن فقه مالك ،

---

(١) الفرزدق : هو همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سيفان بن محاشع بن دارم التميمي ، أبو فراس ، وجده صعصعة صحابي ، شاعر ، من أهل البصرة ، عظيم الأثر في اللغة والأخبار مات بالبصرة سنة ١١٠ هـ وله ١٠٠ سنة . وفيات الأعيان ٦ : ٨٦ - ١٠٠ ، ومعجم المولفين ١٣ : ١٥٢ - ١٥٣ .

(٢) جرير : هو ابن عطية الخَطفي التميمي ، أبو حزرة ، شاعر ولد باليمامة ، وعاش عمره يناضل شعراء زمنه ويساجلهم ، توفي باليمامة سنة ١١٠ هـ وله أكثر من ٨٠ سنة . وفيات الأعيان ١ : ٣٢١ - ٣٢٧ ، ومعجم المولفين ٣ : ١٣٠ .

(٣) عمر بن أبي ربيعة : هو عمر بن عبدالله بن عمرو بن المغيرة ابن عبدالله بن عمرو بن مخزوم القرشي ، أبو حفص ، شاعر ، ولد في الليلة التي توفي فيها عمر بن الخطاب سنة ٢٣ هـ فسمي باسمه ، مات في الغزو غرقا في البحر سنة ٩٣ هـ وله ٧٠ سنة . وفيات الأعيان ٣ : ٤٣٦ - ٤٣٩ ، ومعجم المولفين ٧ : ٢٩٤ .

(٤) أبو نواس : هو الحسن بن هاني بن عبد الأول بن الصباح الحكمي بالولاء ، أبو علي ، أديب،شعره في الذروة ، ولكن فسقه ظاهر وتهتكه واضح وقد أكثر من النظم في المجون ولا سيما في الغلمان ويصرح كثيرا بالفاحشة ، وذكر عنه التوبة في آخر عمره ، مات سنة ١٩٩ هـ . تاريخ بغداد ٧ : ٤٣٦ - ٤٤٩ (٤٠١٧) . شذرات الذهب ١ : ٢٤٥ - ٢٤٧ لسان الميزان ٧ : ١١٥ - ١١٦

(٥) المتنبي : هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي ، أبو الطيب ، فاق أهل عصره في الشعر ،وقُتل بالقرب =

. . . . . .

=

من النعمانية من سواد بغداد في رمضان سنة ٣٥٤ هـ ولـــــه ٥١ سنة . تاريخ بغداد ٤ : ١٠٢ – ١٠٥ (١٧٥٨) ، ووفيـــات الأعيان ١ : ١٢٠ – ١٢٥ ، ولسان الميزان ١ : ١٥٩ – ١٦١ .

(٦) أبو تمام : هو حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس الطائـــي ، الشاعر ، أديب ، ولد بحوران بقرية جاسم ، وكان يسقي الماء في المسجد الجامع ثم جالس الأدباء فأخذ عنهم ، واتصـــل بالمعتصم ومدحـــه ، وتوفي بالموصل سنة ٢٣١ هـ . تاريـــخ بغداد ٨ : ٢٤٨ – ٢٥٣ (٤٣٥٢) ، ووفيات الأعيان ٢ : ١١-٢٦ ، ومعجم المؤلفيـــن ٣ : ١٨٣ .

والثوري[١] ، والليث بن سعد ، وأبي حنيفة ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، واسحاق بن راهويه[٢] ، وغيرهم من العلماء ، وأخبارا[٣] متفرقة ، تتضمن العدل وحسن السيرة ، من عمر بن الخطاب ، وعمر بن عبد العزيز ، وغيرهما من ولاة الأمور[٤] ، وسمعوا أخبارا متفرقة ،تتضمن الزهد ، عن مثل الحسن البصري ،

---

(١) الثوري : هو سفيان بن مسروق بن حبيب ، أبو عبدالله شيخ الاسلام ، امام الحفاظ ، الكوفي المجتهد ، ولد سنة ٩٧ هـ . ومات سنة ١٦١ هـ بعد مرضه بالبطن . سير .. النبلاء ٧ : ٢٢٧-٢٧٩ ووفيات الأعيان ٢ : ٣٨٦ - ٣٩١ .

(٢) اسحاق بن راهويه : هو اسحاق بن ابراهيم بن مخلد الحنظلي ، أبو محمد المروزي ، ثقة حافظ مجتهد ، قرين أحمد بن حنبل ، مات سنة ٢٣٨ هـ وله ٧٢ سنة . تقريب ١ : ٥٤ .

(٣) في ط (أخبار) .

(٤) في ك و ط (الأمر) .

والفضيل بن عياض [١] ، ومالك بن دينار [٢] ، وابراهيم بن أدهم [٣] ، وغيرهم من الزهاد ، وسمعوا أخبارا متفرقة تتضمن معرفة أبقراط ، وجالينوس ، ونحوهما بالطب ، فيحصل بمجموع الأخبار علم ضروري ، بأن الشخص موصوف بذلك النعت ، وان كان كل من الأخبار لو تجرد وحده لم يفد العلم ، وان كان كل من الحكايات ليست وحدها منقولة بالتواتر .

---

(١) في ك و ط زيادة : (وعامر بن عبدالله) .

(١) الفضيل : هو ابن مسعود بن بشر ، الامام القدوة الثبت ، شيخ الاسلام ، أبو علي التميمي اليربوعي الخراساني ، المجاور بحرم الله ، ولد بسمرقند ومات سنة ١٨٧ هـ أو قبلها . سير .. النبلاء ٨ : ٤٢١ - ٤٤٢ ، وتقريب ٢ : ١١٣ .

(٢) مالك : هو ابن يحيى بن دينار السامي الناجي مولاهم ، أبو يحيى البصري الزاهد ، وهو من موالي بني سامة بن لوى القرشي ، كان عالما زاهدا كثير الورع قنوعا . مات سنة ١٣٠ هـ وقيل قبلها . وفيات الأعيان ٤ : ١٣٩ - ١٤٠ ، وتهذيب التهذيب ١٠ : ١٤ - ١٥ .

(٣) ابراهيم بن أدهم : هو ابن منصور بن يزيد بن جابر ، القدوة الامام العارف سيد الزهاد ، أبو اسحاق العجلي الخراساني البلخي نزيل الشام مات سنة ١٦٢ هـ . سير .. النبلاء ٧ : ٣٨٧ - ٣٩٦ ، وتقريب ١ : ٣١ .

ومن هذا الباب العلم القطعي بالإيمان والموت ونحو ذلك ، مما يحصل به استفاضة موجب العلم (١) القطعي كعلم الناس بأن خديجة (*) ، وعائشة ، ونحوهما من أمهات المؤمنين ، وأن فاطمة ، وزينب (٢) ، من بنات النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وأن عائشة بنت أبي بكر (٣) ، وأن أبا بكر ، وعمر ، وعثمان ، تولوا الخلافة بعده ، وأن أبا بكر وعمر دفنا في حجرته .

واذا عرف هذا فهذه الأحاديث واضعاف أضعافها هي اضعاف أضعاف ما ينقل عن الواحد من هؤلاء ، ونقلتها أجل وأكثر وأفضل من نقلة أخبار (٤) هؤلاء ، وهي كاملة تتضمن أن محمد (٥) بن عبدالله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (٦) ، كان يجرى على يديه من الآيات الخارقة للعادة ، والعجائب العظيمة ، ما لا يعرف (٧) نظيره عن أحد من الناس ، وعلم المسلمين بهذا أعظم من علم أهل الكتاب بما ينقلونه (٨) عن آيات موسى وعيسى وغيرهما ، فان نقلة آيات ـ محمد صلى الله عليه وسلم ـ غير القرآن ، أضعاف أضعاف نقلة التوراة والانجيل ، فضلا عن غيرهما من أخبار الأنبياء ، فان التوراة لم تكن جميعها محفوظة لعموم بني اسرائيل ، كما يحفظ القرآن عامة المسلمين ، وعند خراب بيت المقدس قل من يحفظها جدا ، حتى تنازع الناس في تواتر نقلها .

---

(١) في ك و ط (استفاضة توجب) .

(٢) زينب بنت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هي أكبر أخواتها من المهاجرات السيدات ، تزوجها في حياة أمها ابن خالتها أبو العاص ، فولدت له أمامة وعلي ،وماتت سنة ٨ هـ . طبقات ابن سعد ٨ : ٣٠ ـ ٣٦ ، وسير ٠٠ النبلاء ٢ : ٢٤٦ ـ ٢٥٠ .

(٣) في ك و ط زيادة : (الصديق) . (٤) سقطت (أخبار) من ط .

(٥) في ك (محمدا) . (٦) ليس في أ ولا ك الجملة الدعائية .

(٧) في ط (يعرفه) . (٨) في ط (عن) .

(*) هي بنت خويلد بن اسد بن عبد العزى بن قصي القرشية الاسدية ، زوج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأول من صدقت ببعثته مطلقا ، توفيت سنة ١٠ من البعثة ودفنت بمكة بالحجون . الاصابة ٤:٢٨١-٢٨٣ . وأسد الغابة ٦:٧٨ ـ ٨٥ .

وكذلك الانجيل : نقلته أقل بكثير من نقلة آيات محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، واذا (١) قال النصارى هؤلاء كانوا صالحين ، وكان لهم آيات (٢) ، كما يذكرونه من آيات الحواريين ، فأصحاب محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتابعوهم صالحون ، ولهم من الآيات أعظم مما للحواريين ، وغيرهم من الأمم ، وفيهم من كان يحمل العسكر على الماء ، ومن كان يشرب السموم القاتلة ، ومن يحيي الله الموتى بدعوته ، ومن يكثر الطعام والشراب ، وكتب كرامات الأولياء فيها من ذلك أعظم مما عند أهل الكتاب ، وهم ينقلون أخبار الأنبياء والصالحين من كتب عندهم : مثل كتاب أخبار الحواريين (٣) ، وكتاب سفر الملوك (٤) ، ونحو ذلك ، وما يذكرون من حجة في صحة نقلها الا وحجة المسلمين فيما ينقلونه عن نبيهم وأصحابه والتابعين أظهر وأقوى .

---

(١) في ك و ط (فاذا) .

(٢) في ك و ط زيادة : (أيضا) .

(٣) لعل المقصود ما يسمى (أعمال الرسل) في العهد الجديد ، وما بعدها من الرسائل ، وهو ما عدا الأناجيل الأربعة ، ومجموعها ثلاثة وعشرون سفرا ، العهد الجديد : ١٥٤ ـ ٣٥٧ . هذا وقد ذكر الشيخ فيما سبق اسما لها وهو (افراكسيس) .

(٤) سفر الملوك : هو السفران الحادي والثاني عشر ، من أسفار العهد القديم وفي الأول ٢٢ اصحاحا ، وفي الثاني ٢٥ اصحاحا ، العهد القديم : ٤١٣ ـ ٤٩٢ .

(٤ـ حضور الخلق الكثير للآية وتصديقها ، طريق قطعي للعلم بالنبوة)

الطريق الرابع : أن يقال : هذه الآيات التي ذكرنا بعضها ، كانت تكون بمحضر من الخلق الكثير ، كتكثير الطعام يوم الخندق ، فانه كان أهل الخندق ، رجالهم ونساؤهم ألوفا .

وكذلك نبع الماء من بين أصابعه ، وفيضان البئر بالماء يوم الحديبية ، وكانوا يومئذ ألفا وخمسمائة ، وكلهم صالحون ، من أهل الجنة ، لا يعرف فيهم من تعمد كَذبة واحدة على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

وكذلك تكثير الماء والطعام في غزوة خيبر ، كانوا ألفا وخمسمائة ، وفي تبوك كانوا ألوفا مؤلفة ، وكان بعض من حضر هذه المشاهد نقل هذه الآيات قدام آخرين ممن حضرها (١) ، وينقلها لأقوام ، فيذهب أولئك فيخبرون بها أولئك ، ويصدق بعضهم بعضا ، ويحكي هذا مثل ما حكى هذا ، من غير تواطىء

---

(١) في ك و ط (ينقل) .

وتشاعر ، وأدنى أحواله أن يقره ولا ينكر عليه روايتها ، ونحن نعلم بموجب العادة الفطرية التي جبل الله عليها عباده ، وبموجب ما كان عليه سلف الأمة من اعتقاد (١) الصدق وتحريه ، واعتقادهم أن ذلك واجب ، ومن شدة توقيهم الكذب على نبيهم ، وتعظيمهم ذلك ، اذ قد تواتر عندهم عنه (٢) أنه قال : (من كذب علىّ متعمدا فليتبوأ (٣) مقعده من النار (٤)) .

فنحن نعلم أنهم لم يكونوا يقرون من يعلمون أنه يكذب (٥) عليه ، ومن أخبر عنه بما كانوا مشاهدين له ، وكذب عليه ، فقد علموا أنه كذب عليه ، فلما اتفقوا على الاقرار على ذلك ، وعلى تناقله بينهم ، من غير انكار أحد منهم لذلك ، علم ـ قطعا ـ أن القوم كانوا متفقين على نقل ذلك ، كما هم متفقون على نقل القرآن والشريعة

---

(١) في ط :(عن اعتياد) وفي ك و ط (اعتياد) .

(٢) تقدمت (عنه) في ك و ط قبل (عندهم) .

(٢) أنظر بحث تواتره في الفتح ١ : ٢٠٣ .

(٣) فليتبوأ : أي ليتخذ لنفسه منزلا ، والأمر : بمعنى الخبر أو التهديد أو التهكم أو دعاء على فاعل ذلك . الفتح ١ : ٢٠١ .

(٤) رواه البخاري ،كتاب العلم ،باب اثم من كذب على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ،١:٢٠٠(١٠٧)من الفتح . ورواه مسلم ، المقدمة ، ١ : ١٠ (٣) .

(٥) في ط (كذب) .

المتواترة ، وان كان جمهورهم ليس منتصبا لتلقين القرآن ، بل هذا يلقنه وهذا يسمعه من هذا المتلقن ، ولا ينكر بعضهم على بعض القراءة ، وهذا يعلم هذا الصلاة : أن الظهر في الحضر أربع ركعات ، والمغرب ثلاثا ، والفجر ركعتان ، وهذا يقر هذا ، فلما كان بعضهم يقر بعضا على نقل ذلك ، علم اتفاقهم على نقل ذلك ، وهذا غاية التواتر .

وكذلك (١) ما نقلوه من شرائعه ومن آياته وبراهينه ، يبين ذلك أن ما أنكره بعضهم ، رده على الآخر ولم يوافقه (٢) ، وان كانوا متأخرين عن زمن الصحابة فكيف بالمتقدمين ، كتنازعهم : هل كان يجهر بالبسملة أم (٣) لا يجهر بها ؟ وهل كان يداوم على القنوت في الفجر ؟ أم (٤) كان يقنت أحيانا للنوازل ؟ أم قنت مرة ، ثم تركه ؟ ، فهذا من أهون الأمور وأيسرها ، اذ كلهم متفقون على صحة صلاة من قنت ، وعلى صحة صلاة من لم يقنت ، ومن جهر ومن خافت ، ولكن لما تنازعوا فيما فعله الرسول ، تنازعوا في الحكم ، فعلم بذلك أن ما كان مشهورا في الأمة عن النبي

---

(١) في ك و ط (فكذلك) بالفاء في أوله .

(٢) في ك و ط زيادة : (عليه) .

(٣) في ط (أو) .

(٤) في ط (أو) في هذا الموضع والذي يليه .

ـ صلى الله عليه وسلم ـ ،ولم ينكره أحد من علمائها ، كانت الأمة متفقة على نقلـــه ، كنقلهم للقرآن وللشرائع الظاهرة المشهورة ، وان (١) نقل ذلك أعظم من نقل سائر أخبار الأنبياء والعلماء والملوك والزهاد .

وكذلك حجه ، فانهم كلهم متفقون على ما تواتر عنه ، من أنه لم يحج بعد الهجرة الا حجة واحدة ، وهي التي تسمى حجة الوداع ، وانما عاش بعدها نحوا من ثلاثة أشهر ، وأنه لما حج أمر أصحابه كلهم الا من ساق الهدي منهم اذا طاف بالبيت وبين الصفا والمروة ، أن يحل من عمرته . وأنه لم يعتمر ـ هو ولا أحد من أصحابه الذين حجوا معه ـ بعد الحج الا عائشة ـ وحدها ـ ، وانه هو نفسه لم يحل من حجته ، (٢) ولا أحد ممن ساق الهدي معه ، وانما اشتبه على بعضهم بعض ألفاظه ، أو بعض الأمور التي تخفى على أكثر الناس ، وكان الصحابة ينقلون تمتع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ومرادهم بالتمتع : أنه قرن بين العمرة والحج ، فظن بعض الناس أنهم أرادوا أنه أخر الاحرام بالحج الى أن قضى العمرة ، وقال (٣) بعض الصحابة : أنه أفرد بالحج . فظن بعض الناس : أنه حج واعتمر بعد الحج ، وهذا لم ينقله (٤) أحد من العلماء ، بل اتفقوا على أنه لم يعتمر بعد الحج ، وروى بعض الصحابة

---

(١) في ط :(وان).

(٢) في ك و ط (حجه) .

(٣) في ك و ط (وروى). وفي أ ـ نفسها ـ كتب (وروى) ثم شطبها أو أبدلها بـ (وقال) .

(٤) في ك و ط (يقله) .

أنه قرن ، فظن بعض الناس أنه طاف طوافين ، وسعى سعيين ، وهذا لم ينقله أحد عنه ، وكان من أسباب غلط كثير من الناس : أنهم كانوا يستعملون تلك الألفاظ في معان غير ما استعملته فيها الصحابة ، فغلط بعض الناس على بعض الصحابة ، وأما ما فعله في الحج مشهورا فهو متواتر ، لم يختلف فيه النقل ، ولا علماء النقل . ومن تدبر هذه الطريق : أفادته علما يقينيا قطعيا بصحة هذه الآيات عن محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وكذلك الطرق المتقدمة ، فانا قد ذكرنا أن ما كان الناس أحوج الى معرفته يسر الله دلائله للناس ، أعظم من تيسير غيره ، وحاجة الخلق الى تصديق الرسول أشد من حاجتهم الى جميع الأشياء ، اذ بذلك تحصل سعادتهم في الآخرة ، ونجاتهم من العذاب ، وبه يحصل صلاح العباد في المعاد والمعاش (١) .

(٥ ـ تواتر أنواع من آيات النبوة عند كل صنف من العلماء)

الطريق الخامس : أن ما من صنف من أصناف العلماء الا وقد تواتر عندهم من الآيات مافيه كفاية ، فكتب التفسير مشحونة بذكر الآيات ، متواتر ذلك فيها ، وكتب الحديث مشحونة بذكر الآيات ، متواتر ذلك فيها . وكتب السير والمغازي والتواريخ مشحونة بذكر الآيات ، متواتر ذلك فيها . وكتب الفقه مشحونة بذكر الآيات ، متواتر ذلك فيها ، وان لم يكن هذا مقصودا منها ، وانما المقصود الأحكام ، لكنهم في ضمن ما يروونه من الأحكام يروون فيها

---

(١) في ك و ط تقدم ذكر (المعاش) على (المعاد) .

من الآيات ما هو متواتر عندهم ، وكتب الأصول والكلام مشحونة بذكر الآيات ، متواتر ذلك فيها ، ونقل كل طائفة من هذه الطوائف يفيد العلم اليقيني ، فكيف بما ينقله كل طائفة من هذه الطوائف ، وهذه الطريق وغيرها مثل طريق الاقرار والتصديق ، وطريق التواتر المعنوي ، وطريق تصديق أهل العلم بالحديث (١) بها وغير ذلك ، يستدل بها تارة على تواتر الجنس العام للآيات الخارقة للعادة ، وهذا أقل ما يكون ، ويستدل بها على تواتر جنس جنسٍ منها (٢) ، كتواتر تكثير الطعام ، وتواتر تكثير الطهور والشراب ، وعلى تواتر نوع نوعٍ منها ، كتواتر نبع الماء من بين أصابعه ، وتواتر اشباع الخلق العظيم من الطعام القليل، وتواتر شخص شخصٍ منها ، كتواتر حنين الجذع اليه ، وأمثال ذلك ، وكلما أمعن الانسان في ذلك النظر ، واعتبر ذلك بأمثاله ، واعتبر وأعطاه حقه من النظر والاستدلال ، ازداد بذلك علما ويقينا ، وتبين له أن العلم بذلك أظهر من جميع ما يطلب من العلم بالأخبار المتواترة ، فليس في الدنيا علم مطلوب بالأخبار المتواترة

---

(١) في ك و ط (أهل الحديث والعلم بها) .

(٢) سقطت (منها) من ك و ط .

الا والعلم بآيات الرسول وشرائع دينه أظهر من ذلك ، وما من حال أحد من الأنبياء والملوك والعلماء ، والمشايخ المتقدمين ، وأقواله وأفعاله وسيرته الا والعلم بأحوال محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ (١) ، أظهر من العلم به (٢) ، وما من علم يعلم بالتواتر مما هو موجود الآن ، كالعلم بالبلاد البعيدة ، كعلم أهل الشام بالعراق وخراسان ، والهند والصين والأندلس ، وعلم أهل المغرب بالشام والعراق وخراسان والهند ، وعلم أهل خراسان بالشام والعراق ومصر ، وعلم أهل الهند بالعراق والشام (٣) ، وأمثال ذلك من علم أهل (٤) البلاد بعضهم بحال بعض ، الا وعلم الانسان بحال المسلمين من مشارق الأرض ومغاربها ، وما هم عليه من الدين ، وما ينقلونه عن نبيهم من آياته وشرائعه ، أظهر من علمه بهذا كله .

وهذا مما يبين أنه ليس في الوجود أمر يعلم بالنقول المتواترة ، الا وآيات الرسول وشرائعه تعلم بالنقول المتواترة أعظم مما يعلم ذلك الأمر ، تحقيقا لقوله ـ تعالى ـ : ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ، وكفى بالله شهيدا ﴾ (٥) .

---

(١) ليس في أ الجملة الدعائية .

(٢) في ك و ط زيادة : (وأبين ،ونقله أكمل وأتم) .

(٣) سقطت (الشام) من أ .

(٤) سقطت (أهل) من أ .

(٥) سورة الفتح : ٢٨ .

وظهوره على الدين كله بالعلم والحجة والبيان ، انما هو بما يظهره من آياته وبراهينه ، وذلك انما يتم بالعلم بما ينقل عن محمد من آياته التي هي الأدلة ، وشرائعه التي هي المدلول ، المقصود بالأدلة ، فهذا قد أظهره الله علما وحجة وبيانا على كل دين ، كما أظهره قوة ونصرا وتأييدا على كل دين ، والحمد لله رب العالمين .

كما أنه ما من دليل[(١)] يستدل به على مدلول ، الا والأدلة على آيات الرب أكبر[(٢)] وأكثر[(٣)] .

(٦- تصنيف العلماء في آيات النبوة)

الطريق السادس : أن العلماء قد صنفوا مصنفات كثيرة في ذكر آياته وبراهينه المنقولة في الأخبار ، وجردوا لذلك كتبا ، مثل : كتاب دلائل النبوة[(٤)] ، للفقيه الحافظ أبي بكر البيهقي[(٥)] ، وقبله دلائل النبوة : للشيخ[(٦)] أبي نعيم

---

(١) في ك و ط زيادة : (عقلي) .

(٢) في ك و ط (أكثر) .

(٣) في ك و ط زيادة : (والحمد لله رب العالمين) .

(٤) وقد طبع منه جزآن بتحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ،ط٢ ، دار الفكر ، بيروت ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م . ثم طبع في بيروت كاملا في سبعة مجلدات باسم دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة بتحقيق د. عبد المعطي قلعجي وذكر أنه قابله على عشر نسخ خطية . وذلك سنة ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م ، نشر دار الكتب العلمية .

(٥) وقد طبع في الهند طبعتان متقاربتان من جزئين في مجلد أولاهما سنة ١٣٢٠هـ بحيدر آباد وقامت دار عالم الكتب في بيروت بتصويره . والثانية سنة ١٣٦٩ هـ =

. . . . . .

=

ثم طبع بدمشق بتحقيق وتخريج عبد البر عباس و د. محمد قلعة جي ، في جزئين ، في مجلدين نشر المكتبة العربية بحلب ، سنة ١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠م وقد أثبت المحققان في المقدمة أن المنشور وما سبقه انما هو المنتخب من دلائل النبوة لأبي نعيم وليس دلائل النبوة الأصلي ، ورجحا أن يكون أبو نعيم هو نفسه صانع هذا المنتخب . مقدمة الدلائل لأبي نعيم ١ : ٢٢ - ٢٦ .

(٦) في ك و ط زيادة : (الحافظ) .

الأصبهاني ، وقبله دلائل النبوة (١) : لأبي الشيخ الأصبهاني ، ولأبي القاسم الطبراني (٢) ، وقبلهما دلائل النبوة للامام الحافظ أبي زرعة الرازي ، والشيخ (٣) المصنف أبي بكر

---

(١) دلائل النبوة لأبي الشيخ الأصبهاني ، ودلائل النبوة للطبراني ، ودلائل النبوة لأبي زرعة ، ودلائل النبوة لابن أبي الدنيا ، ودلائل النبوة للحربي ، ودلائل النبوة للفريابي ، ودلائل النبوة للمقدسي : كل هذه الكتب السبعة لم تخرج من عالم المخطوطات حتى الآن ، وهذه الكتب وغيرها لعلها لا تزال باقية ، ان لم تفقد أو يفقد أكثرها . هذا وان مهمة البحث عنها ، واخراجها بطريقة علمية انها لمهمة جليلة ينبغي أن يتصدى لها طلبة العلم ، المنتسبون الى أقسام الحديث والعقيدة في الجامعات الاسلامية ، فالعناية بأدلة اثبات النبوة ، تأتي في المرتبة الثانية ـ في نظري ـ بعد أدلة اثبات وجود واجب الوجود ـ سبحانه ـ بالنسبة لحاجات الناس الاعتقادية والوجدانية في هذه الأيام .

(٢) لم يذكر د. فؤاد سزكين كتابا للطبراني بهذا الاسم ، وانما ذكر أن له أثرا بعنوان (حديث الضبي الذي تكلم بين يدي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ) وهو في الظاهرية ، مجموع ٧٦ . أنظر تاريخ التراث العربي ، المجلد الأول ،الجزء الأول : ٣٩٦ .

(٣) في ك و ط (وللشيخ) .

عبدالله بن أبي الدنيا (١) . وللمصنف الحافظ (٢) الامام أبي اسحاق ابراهيم الحربي (٣) .و أبي بكر (٤) جعفر الفريابي (٥) . وما صنفه الشيخ العالم أبو (٦) الفرج ابن الجوزي ، في كتابه

---

(١) ابن أبي الدنيا : هو عبدالله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس القرشي الأموي مولاهم البغدادي المؤدب الحافظ صاحب التصانيف المشهورة ومؤدب أولاد الخلفاء ، مات سنة ٢٨١ هـ وله ٧٣ سنة . سير .. النبلاء ١٣ : ٣٩٧ – ٤٠٤ ، وتهذيب التهذيب ٦ : ١٢ – ١٣.

(١) ذكر الذهبي اسم مؤلفه هذا وأنه بعنوان : أعلام النبوة . سير .. النبلاء ١٣ : ٤٠١ .

(٢) سقط وصف (المصنف الحافظ) من ك و ط بالنسبة للحربي .

(٣) في ك زيادة وصف (المصنف الحافظ) بالنسبة للفريابي .

(٤) سقطت (بكر) من جميع النسخ وما أثبتناه من كتب التراجم .

(٥) الفريابي : هو جعفر بن محمد بن الحسن بن المستفاض التركي ، الامام الحافظ الثبت شيخ الوقت ، أبو بكر القاضي ، ولد سنة ٢٠٧هـ وارتحل ولقي الأعلام وتميز في العلم وولي قضاء الدينور وصنف التصانيف النافعة ومات سنة ٣٠١هـ وله ٩٤ سنة . سير.. النبلاء ١٤ : ٩٦ – ١١١ ، وشذرات الذهب ٢ : ٢٣٥ .

(٥) كتابه (دلائل النبوة) يتناول معجزات الطعام ، وله نسخة موجودة بالظاهرية ، سيرة ٢٧ وأوراقها ١ – ١٦ وعليه سماع سنة ٥٧٤ هـ . تاريخ التراث العربي د. فؤاد سزكين ، المجلد الأول ، الجزء الأول : ٣٢٤ – ٣٢٥ .

(٦) في آ و ك (أبي) والصواب من ط .

المسمى بالوفا في فضائل المصطفى (١) . وما صنفه الحافظ أبو عبد الله المقدسي من (٢) دلائل النبوة ، وهؤلاء وغيرهم يذكرون ما يذكرون من (٣) الأسانيد المعروفة ، والطرق المتعددة الكثيرة المتواترة .

وهؤلاء منهم من يميز ما (٤) يذكره من الأحاديث بين ما في صحيحي (٥) البخاري ومسلم ، وما في غيرهما وان كان صحيحا ـ أيضا ـ، كالبيهقي وابن (٦) الجوزي والمقدسي . ومنهم من يذكر ذلك جميعه ، بأسانيده ، وقد يتكلم على الأسانيد والطرق ويذكر تعددها من غير احتياج منه (٧) أن يذكر ما رواه البخاري ومسلم ،

---

(١) رسمت في أ هكذا (المصطفا) .

(١) وقد طبع بالقاهرة لأول مرة سنة ١٣٨٦ هـ = ١٩٦٦م على نسختي التيمورية والأزهر باسم : الوفا بأحوال المصطفى ، تحقيق : د. مصطفى عبد الواحد وذلك في جزئين يقعان في مجلدين ، نشر دار الكتب الحديثة .

(٢) في ك و ط (في) .

(٣) في ك و ط (بالأسانيد) .

(٤) في ك و ط (فيما) .

(٥) في أ (صحيح).

(٦) في أ (وبن) .

(٧) في ك و ط زيادة : (الى) .

كأبي زرعة شيخ مسلم (١) ، وأبي الشيخ ، وأبي نعيم وغيرهم . وآخرون (٢) يذكرونه معزوا مسندا الى من رواه ، وان لم يذكروا اسناده ، كما يفعله القاضي عياض السبتي (٣) ، في كتابه المسمى بالشفا بتعريف حقوق المصطفى (٤) . ومنهم من يقرر ذلك بشهرة ذلك ،

---

(١) هو الرازي ، عبيد الله بن عبد الكريم .

(٢) في ك وط زيادة : (يذكرون ما) .

(٣) القاضي عياض : هو ابن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي المالكي ، أبو الفضل ، محدث حافظ مؤرخ ناقد مفسر فقيه أصولي عالم بالنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم ، شاعر خطيب ، أصله من الأندلس ومولده في مدينة سبته ووفاته بمراكش سنة ٥٤٤ هـ . وفيات الأعيان ٣ : ٤٨٣ - ٤٨٥ طبقات الحفاظ : ٤٧٠ ، ومعجم المؤلفين ٨ : ٠١٦ .

(٤) وقد طبع وبهامشه مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفا لأحمد الشمني - ٨٧٢ هـ وصورتها دار الكتب العلمية ، بيروت من جزئين في مجلد واحد ، ثم طبع بتحقيق علي محمد البجاوي في مجلدين من جزئين ونشرته دار الكتاب العربي ، بيروت ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤م . هذا وللشفا شرح لأحمد الخفاجي المصري - ١٠٦٩ هـ باسم نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض ، وقد طبع سنة ١٣٢٧هـ ، بالمطبعة الأزهرية المصرية ، وبهامشه شرح الشفا لعلي بن سلطان القاري ، وقد خرج في أربع مجلدات كبار ، وصورته دار الكتاب العربي ، بيروت .

وطرق أخرى من صحته[١] ، كما يفعله كثير من النظار ، كالقاضي عبدالجبار[٢] ، والجاحظ[٣] ، والماوردي القاضي[٤] ، وسُلَيْم[٥] الرازي الفقيه[٦] ، وغيرهم ، وهذه الكتب فيها من الأحاديث المتضمنة لآيات نبوته ، وبراهين رسالته ، أضعاف أضعاف الأحاديث المأثورة فيما هو متواتر عنه . مثل : حجة الوداع ، وعمرة الحديبية ،

---

(١) في ك و ط (يبين) .

(٢) عبد الجبار : هو ابن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن خليل ، أبو الحسن الهمداني الاسترابادي المعتزلي صاحب التصانيف ، عمر دهرا في غير السنة وكان من غلاة المعتزلة وهو فقيه أصولي متكلم مفسر مقلد للشافعي في الفروع كان مولده عام ٣٥٩هـ ووفاته سنة ٤١٥هـ . ميزان الاعتدال ٢ : ٥٣٣ ، وشذرات الذهب ٣ : ٢٠٢ ، ومعجم المؤلفين ٥ : ٠٧٨

(٢) وكتابه بهذا الشأن هو تثبيت دلائل النبوة ، وقد حققه د. عبدالكريم عثمان ، واعتمد في ذلك على نسخة خطية وحيدة ، ونشرته دار العربية ، بيروت ١٣٨٦ هـ = ١٩٦٦م .

(٣) الجاحظ : هو عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي المعروف بالجاحظ البصري العالم المشهور ، صاحب التصانيف في كل فن ، توفي سنة ٢٥٥ هـ بالبصرة وله أكثر من ٩٠ سنة . وفيات الأعيان ٣ : ٤٧٠ – ٤٧٤ . ، وسير .. النبلاء ١١ : ٥٢٦ – ٥٣٠ .

(٣) ذكر الذهبي كتابه باسم : الحجة والنبوة . وذلك في ترجمته المشار اليها سابقا .

(٤) الماوردي : هو علي بن محمد بن حبيب البصري ، أبو الحسن ، فقيه أصولي مفسر أديب سياسي ، درس بالبصرة وبغداد وولي القضاء ببلدان كثيرة ، وله منزلة عند ملوك بني بوية ، توفي ببغداد سنة ٤٥٠ هـ . وفيات الأعيان ٣ : ٢٨٢ – ٢٨٤ =

. . . . . .

=

لسان الميزان ٤ : ٢٦٠ معجم المؤلفين ٧ : ١٨٩

(٤) وكتاب الماوردي هو المسمى : أعلام النبوة ، وقد طبع في جزء لطيف ونشرته دار الكتب العلمية سنة ١٣٩٣هـ بيروت ثم صورته سنة ١٤٠١هـ = ١٩٨١م .

(٥) سُلَيم : هو ابن أيوب بن سليم ، أبو الفتح ، الامام شيخ الاسلام الفقيه الشافعي الأديب ، كان مشارا اليه في الفضل والعبادة ومات غرقا بعد الحج في بحر القُلْزُم (الأحمر) عند ساحل جدة في نهاية صفر سنة ٤٤٧هـ . وفيات الأعيان ٢ : ٣٩٧ – ٣٩٩ ، سير .. النبلاء ١٧ : ٦٤٥ – ٦٤٧ .

(٦) في ك و ط (وأضعاف هؤلاء) .

وصد المشركين له ، ومصالحته اياهم ، وحِلّه[١] هو وأصحابه بالحديبية ، ورجوعهم ذلك العام ، وفتح خيبر[٢] ، وعمرة القضية[٣] ، وعمرة الجعرانة[٤] .

ومثل : حصاره لأهل الطائف[٥] ، وفتح مكة قبل ذلك ، ومثل غزوه[٦] النصارى عام تبوك وارساله جيشا لغزوهم[٧] بمؤتة[٨] ،

---

(١) أي من الاحرام بالعمرة .

(٢) في ك و ط زيادة : (عقب ذلك) .

(٣) وكانت سنة سبع هجرية في ذي القعدة ، وسميت بذلك من المقاضاة التي كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قاضى المشركين عن أن يرجع عامه هذا ثم يأتي في العام القابل ولا يدخل مكة الا في جُلُبان (جراب) السلاح ، وأن لا يقيم أكثر من ثلاثة أيام . وهذه العمرة تسمى أيضا عمرة القضاء وعمرة القصاص وعمرة الصلح . وهي المذكورة في سورة الفتح . السيرة لابن كثير ٣ : ٤٢٨ ـ ٤٣٩ ، والسيرة لابن هشام ٤ : ١٢ .

(٤) الجعرانة : منزل بين مكة والطائف وهي الى مكة أقرب . مراصد ١ : ٣٣٦ .

(٤) وذلك سنة ٨هـ في ذي القعدة ـ أيضا ـ وكانت بعدما قسم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ غنائم حنين وهي عمرته الثالثة ، والرابعة مع حجته ، فجميعهن أربعا . وقد أنكر ابن عمر ومولاه نافع هذه العمرة ولكن أطبق النقلة ممن عداهما على رواية هذه العمرة من أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد والمغازي. أنظر المصدر السابق ٣ : ٦٩٢ ـ ٦٩٨ .

(٥) في ك و ط زيادة : (قبل ذلك) .

(٦) في ط (غزوة) بتاء مربوطة .

(٧) في أ أبدلت الهاء عينا في كلمة (لغزوهم) وهي سبقة قلم .

(٨) مؤتة: قرية من قرى البلقاء في حدود الشام . معجم البلدان ٥:٢٢٠.

من مشارف الشام ، قريبا من الحصن المسمى بالكرك (١) (٢) ، ومثل : غزوه (٣) لليهود بخيبر ، وغزوه (٤) لليهود قبل ذلك ، لمن كان عند المدينة ، مثل بني قينقاع ، والنضير ، وقريظة .ومثل : ارساله أبا بكر أميرا على الحج سنة تسع ، ونبذه العهود ، ومناداته أن لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان . ومثل هجرته مع أبي بكر

---

(١) في ك و ط (مشارق) .

(٢) الكَرَك : قطعة حصينة في طرف الشام من نواحي البلقاء في جبالها بين بحر أيلة وبحر القَلْزم (الأحمر) وبيت المقدس ، وهي على جبل عال . مراصد الاطلاع ٣ : ١١٥٩ .

(٢) وكانت وقعة مؤتة في جمادى الأولى سنة ٨هـ وكان أمير الجيش زيد ثم جعفر بن أبي طالب ثم عبدالله بن رواحة وقد قتلوا جميعا ثم تولى الامرة خالد بن الوليد فانحاز بالجيش وانسحب حتى قدم المدينة . وكان عدد الروم ومن معهم من العرب من لخم وجذام والعين وبهراء وبلىّ مائتي ألف والمسلمون ثلاثة آلاف . السيرة لابن هشام ٤ : ١٥ – ٣٠ .

(٣) في ك (غزوا) وفي ط (غزو) .

(٤) في ك (غزوهم) وفي ط (غزو) .

، و عامر بن فهيرة (١) ، ورجل ثالث كان دليلا لهم (٢) .

ومثل ما تواتر عنه أنه كان يصلي بالمسلمين في العيدين (٢) (٣) بالمصلى ، خارج المدينة ، لم يكن يصلي العيد في مسجده الا مرة ، نقل أنه صلى في المسجد لأجل المطر ، ولم يكن على عهده يصلي (٤) أحد بالمدينة صلاة العيد الا خلفه ، لم يكن يصلى صلاتي عيد على عهده وعهد أبي بكر وعمر وعثمان (٥) ، وأول من فعل ذلك علي بن أبي طالب ، لما كثر الناس ، وضعف أقوام عن الخروج الى الصحراء ، استخلف من يصلي بهم في المسجد ، وكما تواتر عنه أنه كان يصلي الجمعة بأذان واقامة ، لا يؤذن لها الا اذا قعد على

---

(١) في ك و ط زيادة : (غلامه) .

(٢) في ك و ط (يومي) .

(٢) الرجل الثالث : هو عبدالله بن أرقط ، رجل من بني الدِّيْل ابن بكر ، وأمه امرأة من بني سهم بن عمرو ، وكان مشركا . السيرة لابن هشام ٢ : ١٢٩ .

(٣) في ك و ط زيادة (الفطر والنحر) .

(٤) من هنا ابتدأ خط الناسخ في أ التغير حتى اختلف تماما وصار أقل جودة من سابقه .

(٥) في أ زيادة : (وعلي) والصواب اسقاطها .

المنبر ، وكذلك كان الأمر على عهد أبي بكر وعمر ، فلما كان في أثناء خلافة عثمان ، كثر الناس ، فأمر بالنداء الثالث ، على دار قريبة من المسجد ، من جهة المشرق ، يقال لها : الزوراء ، وكما تواتر أن مسجده كان باللَّبِن (١) ، وسقفه كان من جذوع النخل (٢) ، وكانت حُجَر أزواجه قِبلي (٣) المسجد وشرقيه (٤) ، فلما كثر الناس زاد فيه عمر ، ثم زاد فيه عثمان ، وبناه بالقَصة (٥) والحجارة . ثم في امارة الوليد (٦) أمر نائبه عمر بن عبد العزيز أن يشتري الحجر ، ويزيدها في المسجد فدخلت حجرة عائشة التي دفن فيها هو وأبو بكر وعمر في المسجد ، من حينئذ (٧) ، وانما كانت في حياته خارجة عن المسجد (٨) الى سنة احدى وتسعين (٩) ، وقال

---

(١) في ك و ط (بناه) .

(٢) اللبن : جمع لبنة ، وهو (الطوب) من طين أو غيره ، يبنى به . أنظر مختار : ٥٩١ .

(٣) في ك و ط (وسقفه بجذوع) .

(٤) قبلي : من القبلة ، وهي جهة الكعبة المشرفة ، وهي الجهة الجنوبية ، حسب الجهات الأصلية .

(٥) القصة : هو الجص . ترتيب ٣ : ٦٣٣ .

(٦) الوليد : هو ابن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي ، أبو العباس ، الخليفة ، الدمشقي ، الذي أنشأ جامع بني أمية . بويع بعهد من أبيه وكان مترفا دميما سائل الأنف طويلا أسمر ورزق في دولته سعادة مات سنة ٩٦ هـ وله ٥١ سنة . سير النبلاء ٤ : ٣٤٧ - ٣٤٨ .

(٧) رسمت في أ (حين إذ) .

(٨) في ك و ط (مسجده) .

(٩) أنظر البداية والنهاية ٥ : ٢٧٣ .

ـ في مرض موته ـ : (لعن الله اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)[١] ، يحذر ما فعلوا . قالت عائشة : (ولولا ذلك لأبرز قبره ، ولكن كره أن يتخذ مسجدا)[٢] .

وكما تواتر عنه أنه نهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس ، ووقت غروبها ،

---

(١) رواه البخاري بمثله ، كتاب الصلاة ، باب الصلاة في البيعة ، ١ : ٥٣٢ (٤٣٥ ـ ٤٣٦) من الفتح . ورواه مسلم ، كتاب المساجد ... ، باب النهي عن بناء المساجد على القبور ... ، ١ : ٣٧٦ (٥٢٩) .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب المساجد ... ، باب النهي عن بناء المساجد على القبور ... ، ١ : ٣٧٦ (٥٢٩) وهو آخر الحديث المذكور عند مسلم . وقال : وفي رواية ابن أبي شيبة : ولولا ذلك . لم يذكر : قالت . والأولى من رواية عمرو الناقد شيخ مسلم .

(٢) لقد أوجز الشيخ المؤلف رأيه بايراد هذا الدليل الصحيح ، الظاهر الدلالة ، على حَضْر فِعْلة الوليد بن عبد الملك ، من ادخاله الحجرة الشريفة في المسجد النبوي ، وليته أعطى هذه المسألة ما تستحق . وعذره في ذلك واضح بالنسبة لهذا الموضع ، حيث انه سيكون استطرادا . ولا أعلم موضعا في آثار الشيخ استوفى البحث بالتفصيل في هذه القضية الهامة .

و[١] تواتر عنه أنه كان يضحي في عيد الأضحى ، بل تواتر عند أهل العلم بأحواله تروكه[٢] المشهورة ، كما تواترت أفعاله المشهورة ، فتواتر عنه[٣] أنه لم يكن يؤذن للعيدين ولا الكسوف ولا الاستسقاء[٤] ، وأنه صلى[٥] الكسوف بركوعين[٦] في كل ركعة صلاة طويلة ، وتواتر عنه[٣] أنه كان يطوف بالبيت سبعا ، ويصلي ركعتين بعد الطواف

---

(١) في ك و ط زيادة : كما .

(٢) قال المدني : يعني السنن التَّركية (بفتح التاء) . الجواب الصحيح (ط المدني ٤ : ٢٤٥) .

(٣) سقطت (عنه) من ك و ط .

(٤) في ط (ولا للكسوف ولا للاستسقاء) .

(٥) في ك و ط زيادة (في) .

(٦) في ك و ط (ركعتين) .

ولم يكن يصلي بعد السعي بالصفا والمروة ركعتين ،[١] وتواتر أنه كان يواصل ،[٢] ونهى أصحابه عن الوصال[٣] ، ويقول : (اني لست كهيأتكم ، اني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني)[٤] ، وأنه لم يفرض صوما الا صوم شهر رمضان ، ولم يفرض الحج على المستطيع الا مرة[٥] ، وأنه فرض الصلوات الخمس ، على كل بالغ عاقل ، الا الحائض والنفساء ، وأنه منع الحائض والنفساء من الصوم والصلاة ، وكان الحيّض يؤمرن بقضاء الصوم[٦] ، ولا يؤمرن بقضاء الصلاة[٦] .

وأنه أمر بالاغتسال من الجنابة للصلاة ، وأمر بالوضوء عند الصلاة ، لمن بال أو تغوط ، أو خرج منه ريح أو مذي ،

---

(١) في ك و ط زيادة :"وكان يسعى بين الصفا والمروة سبعا".

(٢) في ك و ط (ينهى) .

(٣) الوِصال : هو الترك في ليالي الصيام لما يفطر بالنهار بالقصد . الفتح ٤ : ٢٠٢ .

(٤) رواه البخاري بنحوه ، كتاب الصوم ، باب الوصال ... ، ٤ : ٢٠٢ (١٩٦٤) من الفتح . ورواه مسلم بنحوه ، كتاب الصيام ، باب النهي عن الوصال في الصوم ، ٢ : ٧٧٦ (١١٠٥) .

(٥) في ك و ط زيادة (في العمر) .

(٦) في ك و ط (يؤمرون) .

وأنه رخص في الاستجمار بثلاثة أحجار ، ونهى عن الاستنجاء (١) باليمين ، ونهى عن الاستجمار بالعظم والبَعْر ، وقال :(انها زاد اخوانكم من الجن) (٢) . وأنه لم يكن يجمع المسلمين (٣) على سماع كَف (٤) ، ولا دُف ، ولا رقص . ولا صَعِقَ (٥) لا هو ولا أصحابه عند سماع القرآن ، بل كانوا توجل قلوبهم ، وتقشعر جلودهم ، وتدمع عيونهم ، وانه لم يكن على عهده

---

(١) فيك و ط (الاستجمار) .

(٢) رواه البخاري بلفظ : (هما من طعام الجن) . كتاب مناقب الأنصار ، باب ذكر الجن ، ٧ : ١٧١ (٣٨٦٠) من الفتح . ومسلم بلفظ :(فلا تستنجوا بهما فانهما من طعام اخوانكم) . كتاب الصلاة ، باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن ، ١ : ٣٣٢ (٤٥٠) ورواه أبو داود بمعناه ، كتاب الطهارة ، باب ما ينهى عنه أن يستنجى به ، ١ : ١٠ (٣٩) والترمذي واللفظ له ، أبواب الطهارة ، باب ما جاء في كراهية ما يستنجى به . ١ : ٢٩ (١٨) .

(٣) في ك و ط زيادة (لا) .

(٤) الكف أو الكفاف : آلة للعزف تسمى الحوقة أو الوترة أو العود . أنظر اللسان ٩ : ٣٠٥ مادة : كفف . وترتيب ٤ : ٦٧ .

(٥) الصعق : أن يغشى على الانسان من صوت شديد يسمعه ، وربما مات منه ، ثم استعمل في الموت كثيرا . اللسان ١٠ : ١٩٨ مادة :صعق.

(٥) في ط : ألحقت هذه الكلمة (صعق) بما قبلها ، ووضع بعدها فاصلة ، وفي أ : شكلت بفتح ثم كسر ثم فتح ، وهي مستأنفة .

وعهد خلفائه تعاد[1] امرأة مطلقة الى زوجها بنكاح يقصد به التحليل ، بل لعن المحلّل والمحلَّل له[2] ، لأن ذلك ربما فعل سرا .

وأنه أمر بعيادة المريض ، وتشييع الجنازة ، وافشاء السلام ، واجابة الدعوة . وأنه كان يصلي على الميت ، و يكبر[3] أربع[4] تكبيرات ، وقد كان أحيانا يكبر خمسا وسبعا[5] ، وأمر بتغسيل الميت ، وتكفينه ، والصلاة عليه ، ودفنه . وأنه حرم كل مسكر ، وحرم بيع الدرهم بالدرهمين ، والدينار بالدينارين ، والصاع

---

(١) في ك و ط زيادة : (أبي بكر وعمر وعثمان وعلي) .

(٢) في ك و ط زيادة : (ظاهرا) .

(٣) زادت : (كان) في ك و ط .

(٤) في ك و ط زيادة : (عليه) .

(٥) في ك (يكبر سبعا وخمسا) وفي ط (يكبر سبعا أو خمسا) .

(٥) أنظر صحيح مسلم ، كتاب الجنائز ، باب الصلاة على القبر ، ٢ : ٦٥٩ (٩٥٧) .

بالصاعين ، من الحنطة ، والشعير ، والتمر ، والزبيب . وأنه أمر بصدقة الفطر ، صاعا من تمر ، أو صاعا من شعير ، لما كان أهل المدينة يقتاتون التمر والشعير . وأنه أباح الدواء . وقال : (تداووا عباد الله ، فانه لم يَنْزِل داء ، الا أُنزِل (١) له دواء الا السام (٢)) . والسام : الموت (٣) ، وأنه كان يتداوى بالحجامة وغيرها .

---

(١) في ك و ط (نزل) .

(٢) رواه أبو داود بمعناه وقال (الهرم) بدل (السام) وهو عن أسامة بن شريك ـ رضي الله عنه ـ ، كتاب الطب ، باب في الرجل يتداوى ، ٤ : ٣ (٣٨٥٥) ورواه الترمذي بمثل رواية أبي داود ، كتاب الطب ، باب ما جاء في الدواء والحث عليه ، ٤ : ٣٨٣ (٢٠٣٨) وقال : "وفي الباب عن ابن مسعود وأبي هريرة وأبي خزامة عن أبيه وابن عباس ، وهذا حديث حسن صحيح" . وأصله عند البخاري برقم (٥٦٧٨) ، ومسلم برقم (٢٢٠٤) .

(٣) اللسان ١٢ : ٣١٣ مادة : سوم .

وكذلك ما تواتر عنه من أحاديث ، سوى ما في القرآن من صفة الجنة والنار ، وذكر العرش ، والملائكة ، والجن ، وارساله الى الثقلين ، وما ذكره من أسماء الله ، وصفاته ، وما أخبر به من فتنة الانسان في قبره ، ومن عذاب القبر ونعيمه ، ومن دخول من يدخل النار من أهل الكبائر من أمته ، وخروجهم من النار بشفاعته وشفاعة غيره ، ومن ذكر حوضه وما أخبر به من رؤية الله يوم القيامة ، ومحاسبة الله للعباد وغير ذلك .

وما تواتر عنه من أنه كان يرسل رسلا الى الملوك ، يدعوهم الى الايمان بالله ، وبما جاء به ، كما أرسل الى ملوك اليمن ، والى ملوك الشام ، ومصر ، والعراق ، والى ملوك المشركين ، واليهود ، والنصارى ، والمجوس ، بعد ما حارب اليهود مرة بعد مرة . وما تواتر عنه (١) أنه كان يركب الخيل ، والابل ، والبغال ، والحمير ، وأنه رجم الزاني المحصن ، مرة بعد مرة ، وقطع يد السارق ، وجلد شارب الخمر ، وأنه كان يصلي في السفر الرباعية ركعتين ركعتين .

---

(١) في ك و ط زيادة : (من أنه كان اذا سافر من المدينة استخلف خليفة ، وأنه كان يستكتب كتابا يكتبون له ، و .....) .

وأنه جمع بين الصلاتين : الظهر والعصر بعرفة ، وفي مزدلفة : جمع بين المغرب والعشاء ، وأنه كان يصلي بمنى ركعتين ركعتين ، وأمر المسلمين (١) في حجة الوداع أن يحلوا من احرامهم ، ويجعلوها عمرة ، الا من ساق الهدي ، فانه أمره أن يبقى على احرامه ، وأنه هو لم يحل من احرامه ، ولا اعتمر بعد الحج ، لا هو ولا أحد ممن حج معه ، الا عائشة ، لكونها كانت حائضا ، وأن شهر رمضان فرض في السنة الثانية من الهجرة ، فصام تسع رمضانات .

وأنه كان له أربع بنات وثلاثة بنين ، وكان يكنى بأكبر أولاده : القاسم ، فيدعى أبا القاسم ، وأنه تزوج بنتي أبي بكر وعمر ، و (٢) زوج عثمان بنتا (٣) ، وزوج عليا بنتا ، وأنه آمن به من أعمامه حمزة والعباس ، ولم يؤمن به أبو لهب ولا أبو طالب ، مع أن أبا طالب كان يحوطه ويذُب عنه . وأنه استخلف أبا بكر ليصلي بالناس ، لما مرض وثقل عن الصلاة ، لم يصل أحد باذنه مع حضوره غير أبي بكر في مرضه ، (٤) ولما ذهب ليصلح بين بني

---

(١) في ك و ط زيادة : (أنه أمر المسلمين كلهم) .

(٢) في ك و ط زيادة : (انه) .

(٣) في ك و ط (ابنتيه) .

(٤) في ك و ط (مرض موته) .

عمرو بن عـــوف (١) ، وأنه كان من خواص أصحابـــه العشرة أبو بكـــر ، وعمر ، وعثمـــان ، وعلـــي (٢) ، وطلحـــة (٣) ، والزبيـــر ، وسعـــد ابن أبي وقاص ، وسعيد بن زيـــد (٤) ، وأبو عبيدة بن الجـــراح ، وعبد الرحمن بن عوف ، وغير هؤلاء ، كعبد الله بن مسعـــود ، وأُبـــي بن

---

(١) بنو عمرو بن عوف : بطن من الأنصار ، وهم بنو عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو ـ مزيقياء ـ بن عامر ـ ماء السماء ـ بن حارثة الغطريف ـ بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد . اللباب ٢ : ٣٥٨ وجمهرة أنساب العرب : ٣٣٢ .

(٢) لم يرد (علي) في ط .

(٣) طلحة : هو ابن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة التيمي ، أبو محمد ، المدني ، أحد العشـــرة ، مشهور ، استشهد يوم الجمل سنة ٣٦ هـ وله ٦٣ سنة . تقريب ١ : ٣٧٩ .

(٤) سعيد بن زيد : هو ابن عمرو بن نفيل العدوي ، أبو الأعـــور ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، مات سنة ٥٠ هـ أو بعدهـــا . تقريب ١ : ٢٩٦ .

كعب ، ومعاذ بن جبل ، وسعد بن معاذ ، وسعد بن عبادة [١] ، وأبي طلحة ، وأبي أيوب [٢] ، وأُسيد بن حضير [٣] ، وأضعاف هؤلاء . وأنه بايعه تحت الشجرة ألف وأربعمائة ، [٤] وهم الذين أنزل الله فيهم : ﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين، إذ يبايعونك تحت الشجرة ..... ﴾ [٥] .

---

(١) سعد بن عبادة : هو ابن دليم بن حارثة بن أبي خزيمة بن الخزرج الأنصاري ، سيد الخزرج ، أبو ثابت أو أبو قيس المدني ، شهد العقبة وغيرها ، واختلف في شهوده بدرا ، وكان يحسن الكتابة والعَوْم والرمي مات بحوران بالشام سنة ١٥ هـ .
تهذيب التهذيب ٣ : ٤٧٥ - ٤٧٦ .

(٢) أبو أيوب : هو خالد بن زيد بن كليب الأنصاري ، من كبار الصحابة ، شهد بدرا ، ونزل النبي - صلى الله عليه وسلم - حين قدم المدينة عليه ، مات غازيا بالروم سنة ٥٠ هـ وقبل بعدها . تقريب ١ : ٢١٣ .

(٣) أسيد بن حضير : هو ابن سِماك بن عتيك الأنصاري الأشهلي أبو يحيى ، شهد العقبة الثانية ، وكان أحد النقباء ، وكان شريفا في قومه ، توفي في خلافة عمر سنة ٢١ هـ . طبقات ابن سعد ٣ : ٦٠٣ ، أسد الغابة ١ : ٩٢ .

(٤) في ك و ط زيادة : (أو وخمسمائة) .

(٥) سورة الفتح : ١٨ .

(٥) في ك و ط زيادة قوله تعالى : ﴿ .. فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم ..... ﴾ .

وأنه لما قدم المدينة بنىٰ مسجده[(١)] وكان في شماليه صفة ينزلها العُزَبَاء[(٢)] ، وأن المهاجرين والأنصار كلهم أسلموا طوعا بلا رغبة ، ولا رهبة ، وأن المهاجرين آذاهم الكفار ايذاء عظيما ، حتى هاجر منهم طائفة الى الحبشة[(٣)] عند النجاشي ، وأن النجاشي آمن به ، وأنه لما مات أخبر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بموته يوم مات ، وأنه صلى عليه بأصحابه في المصلى ، كما يصلي على الميت الحاضر .

---

(١) في ك و ط (مسجدا) .

(٢) في ك و ط (يأوي اليها الغرباء) .

(٣) في أ زيادة (الى) ومؤكد أنها زيادة من الناسخ .

وأنه كان يخطب يوم الجمعة قبل الصلاة ، ويخطب في العيد بعد الصلاة ، وكان يؤذن للجمعة وللصلوات الخمس ولا يؤذن للعيدين ، ولا غير الصلوات الخمس ، وأن بلالا كان يؤذن له بالمدينة ، هو وابن أم مكتوم الأعمى (٢) ، وكان سعد القَرْظ (٣) يؤذن لأهل قُباء (٤) ، وأبو محذورة (٥) يؤذن لأهل مكة . وكما تواتر عنه وعن

---

(١) في ط (لغير) بلام .

(٢) ابن أم مكتوم : هو عمرو بن قيس بن زائدة بن الأصم جندب بن هرم بن رواحة بن عامر بن لؤي القرشي العامري واسم أمه : عاتكة وهو ابن خال خديجة ، استخلفه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على المدينة ١٣ مرة وشهد القادسية وقتل بها شهيدا سنة ١٤ هـ . أسد الغابة ٣ : ٧٦٠ .

(٣) في جميع النسخ (القرض) بالضاد وقد صوبناه من كتب الرجال .

(٣) سعد القرظ : هو سعد بن عمارة بن سعد مولى الأنصار ، ويقال ، مولى عمار ، وقيل له : سعد القرظ . لتجارته في القرظ ، كان يؤذن بقباء فلما ترك بلال الأذان نقله أبو بكر الى المسجد النبوي وتوارث عنه بنوه الأذان ، وقال العسكري :" بقي الى زمن الحجاج ." تهذيب التهذيب ١ : ٢٨٩ .

(٤) قباء : أصله اسم بئر عرفت القرية بها ، وهي مساكن بني عمرو ابن عوف من الأنصار ، وهي علي ميلين من المدينة . معجم البلدان ٤ : ٣٠١ ـ ٣٠٢ .

(٥) أبو محذورة : هو أوس بن معير ، وقيل غير ذلك ، صحابي مشهور، أسلم بمكة ، ولم يهاجر ، ولم يزل مقيما بها حتى مات سنة ٥٩هـ وقيل ٧٩ هـ وكان من أحسن الناس صوتا . أسد الغابة ٥ : ٢٧٨ ـ ٢٧٩ ، وتقريب ٢ : ٤٦٩ .

(٥) في ك و ط (وأقام أبا محذورة) .

خلفائه ، أنهم لم يكونوا بمنى يصلون صلاة عيد ، بل يرمون جمرة العقبة ، وينحرون[١] ، كما أمر أهل الأمصار أن يصلوا ، ثم ينحروا الى أمثال هذه الأمور مما هو متواتر[٢] عند كل من كان عالما بأحواله .

ومنها : ما هو متواتر[٣] عند جميع الأمة . ومنها ما هو متواتر عند جمهورها[٤] ، وليس منها شيء الا وتواترت آياته . وبراهينه - صلى الله عليه وسلم - التي لم تذكر في القرآن[٥] أعظم من تواتر هذه الأمور ، والكتب المصنفة في آياته وبراهينه الخارجة عن القرآن فيها من الأحاديث[٦] * أضعاف أضعاف ما يوجد من الأحاديث * في مثل هذه الأمور ، بل في[٧]

---

(١) في أ (يصلون ثم ينحرون) وقد صوبناه من ك وط .

(٢) في ك وط (مما هي متواترة) .

(٣) في ط (المتواتر) .

(٤) في أ و ك (تواتر) وقد أثبتنا ما في ط .

(٥) ليس في ك ولا ط الجملة الدعائية .

(٦) ما بين النجمتين سقط من أ وقد أثبتناه من ك و ط وأكسفورد .

(٧) سقطت (في) من ط .

كل صنف من أصناف آياتـــه من الأحاديث أضعاف ما يوجد في مثل ذلك ، كتواتـــر أخباره بالغيوب المستقبلـــة ، وتواتر تكثيره للطعـــام والشراب (١) مرات متعددة ، (٢) وتكثيره الطهور ، (٣) اما بنبع المـاء بين أصابعـــه ، واما بفيضان الينبوع الذي يضع فيـــه بعض آثاره ، واما بفيضان الماء من الوعـــاء الذي برك (٤) فيه والماء باق بحالـه لم ينقـــص .

فالأحاديث المتواترة في مثل هذه الأنواع أكثر من الأحاديـــث المتواتـــرة في مثل تلك الأمور ، التي هي متواترة . ولهذا كـــان شهرة هذه الأمـــور (٥) في الأمـــة وفي أهل العلم بأحواله أعظـم من شهـــرة كثيرة من تلك الأمـــور .

والمقصود هنا أن تواتر (٦) آياته المستفيضة في الأحاديث أعظم من تواتـــر (٧) أمـــور كثيرة هي متواترة عند الأمة ، أو عنـــد

---

(١) سقطت (والشراب) من ك و ط .

(٢) في ك و ط زيادة : (وتواتر) .

(٣) في ك و ط (للطهور والشراب مرات متعددة) وقد سقطت الراء من (طهور) في ط .

(٤) في ك (يبرك) وفي ط (يبارك) .

(٥) سقطت (الأمور) من ك و ط .

(٦) في ك و ط زيادة : (أنواع) .

(٧) سقطت (تواتر) من ط .

علمائها وعلماء أهل الحديث ، وهذا غير الآيات والبراهين المستفادة بالقرآن ، فان تلك قد تجرد لها طوائف من المسلمين ذكروا من أنواعها وصفاتها ما هو مبسوط في غير هذا الموضع (١) ، حتى بينوا أن ما في القرآن من الآيات يزيد على عشرات ألوف من الآيات ، وهذا (٢) غير ما في كتب أهل الكتاب من الاخبار به .

وهذه الأجناس الثلاثة غير ما في شريعته التي بعث بها ، وغير صفات أمته ، وغير ما يدل (٣) من المعرفة بسيرته وأخلاقه ، وصفاته ، وأحواله ، وهذا كله غير نصر الله واكرامه لمن آمن به . وعقوبته وانتقامه ممن كفر به ، كما فعل بالأنبياء المتقدمين ، فان تعداد أعيان دلائل النبوة مما لا يمكن بشرا (٤) الاحاطة به ، اذ كان الايمان به واجبا على كل أحد .

---

(١) أنظر في ذلك مجموع فتاوي شيخ الاسلام ١٤ : ٦٤ و ١٦ : ٢٢٦ و ٢٦٧ و ٥٣٦ – ٥٣٧ .

(٢) في جميع النسخ (هذان) ولكن النون مشطوبة في أ .

(٣) في ط (بذل) .

(٤) فيأ (بشر) والأصوب ما اخترناه من ك و ط .

فيبين[١] الله لكل قوم ، بل لكل شخص ، من الآيات والبراهين ما لا[٢] يبين لقوم آخرين .

كما أن دلائل الربوبية وآياتها أعظم وأكثر من كل دليل على كل مدلول ، ولكل قوم ، بل ولكل انسان ، من الدلائل المعينة التي يريه الله اياها في نفسه وفي الآفاق ، ما لا يعرف أعيانها قوم آخرون ، قال - تعالى - : ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم ، حتى يتبين لهم أنه الحق ... ﴾[٣] والضمير في ذلك عائد الى القرآن عند المفسرين والسلف وعامة العلماء ، كما يدل على ذلك القرآن بقوله : ﴿ قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به ، من أضل ممن هو في شقاق بعيد ﴾ ؟ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم ، حتى يتبين لهم أنه الحق .... ﴾[٣] .

---

(١) في ك و ط (فبين) .

(٢) في أ (ما يبين) والصواب ما أثبتناه من ك و ط .

(٣) سورة فصلت : ٥٢ - ٥٣ .

وقد قيل : ان الضمير عائد الى الله ، والصواب : الأول ، كما قال : ﴿ قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به ... ﴾ (١) وهذا هو القرآن (٢) . ثم قال بعد ذلك : ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم ، حتى يتبين لهم أنه الحق ... ﴾ . ثم قال : ﴿ ... أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ﴾ (١) . فأخبر أنه سيري الناس في أنفسهم وفي الآفاق من الآيات العيانية (٣) المشهودة (٤) المعقولة ، ما يبين (٥) أن الآيات القرآنية المسموعة المتلوة حق ، فيتطابق العقل والسمع ، ويتفق (٦) العيان والقرآن ، وتصدق المعاينة للخبر .

---

(١) سورة فصلت : ٥٢ - ٥٣ .

(٢) أنظر جامع البيان ٢٥ : ٥ والبحر المحيط ٧ : ٥٠٥ .

(٣) العيانية : المرئية بالأعين .

(٤) في ط (والمعقولة) .

(٥) في ك و ط (يتبين) .

(٦) في أ (فيتفق) .

واذا كان القرآن حقا لزم كون الرسول الذي جاء به صادقا ، وأن الله - تعالى[1] - أنزله ، وأنه يجب التصديق بما أخبر به[2] ، والطاعة لما أوجبه وأمر به[3] ، وذلك يتضمن اثبات الصانع وتوحيده ، وأسماءه ، وصفاته ، واثبات النبوات ، واثبات المعاد ، وهذه هي أصول العلم والايمان ، التي علقت بها السعادة والنجاة .

---

(١) ليس في ك ولا ط كلمة التقديس .

(٢) في جميع النسخ إلا إكسفورد (لما أخبر)وسقطت (أخبر به) من ك و ط .

(٣) في ك (لما أوجبه وأمر) بدون هاء وفي ط (لما أوجب وأمر) بدون (به) .

فصـــل

(أدلة قرآنية ، على مجيء الرسل بالآيات)

وآيات النبوة وبراهينها تكون في حياة الرســـول وقبل مولده ، وبعد مماته ، لاتختص بحياته ، فضلا عـن أن تختص بحال دعوى النبوة ، أو حال التحدى ، كما ظنه بعض أهل الكلام ، بل لابد من آيات في حياته، تدل علـى صدقه، تقوم بها الحجة ، وتظهر بها المَحَجّة (١) ، كما قـال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الحديث الصحيح : " ما من نبي من الأنبياء الا وقد أوتى من الآيات ما آمن على مثله البشر ، وانما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه اللـه الي ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة (٢) ".

وقد قال ـ تعالى ـ في سورة ابراهيـــم ـ : ﴿ كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور ـ باذن ربهم ـ الى صراط العزيز الحميد ﴾ ـ الى قولـه ـ : ﴿ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا ، أن أخرج قومك مـن الظلمات الى النور ، وذكرهم بأيام الله ، ان في ذلـك لآيات لكل صبار شكور (٣) ﴾ ـ الى قوله ـ : ﴿ ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم : قوم نوح وعاد وثمـود،

---

(١) المحجة : جادة الطريق . مختار : ١٢٣ .

(٢) رواه البخاري بنحوه ، كتاب فضائل القرآن ، باب كيف نزل الوحى ، وأول ما أنزل ، ٩ : ٣ (٤٩٨١) من الفتح . ومسلم ، بنحوه ، كتاب الايمان ، باب وجوب الايمان برسالة نبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى جميع الناس ، ونسخ الملل بملته ، ١ : ١٣٤ (١٥٢) .

(٣) لم يرد قوله-تعالى-: " ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور " في ك ولاط .

والذين من بعدهم ، لايعلمهم الا الله ، جاءتهم رسلهم بالبينات ،فـــــردوا أيديهم في أفواههم ، وقالوا : انا كفرنا بما أرسلتم به ، وانا لفي شك مما تدعوننا اليه مريب * قالت رسلهم : أفى الله شك فاطر السموات والأرض ؟ يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ، ويؤخركم الى أجل مسمى ...* (١) الآيـــــات (٢) (٣)

فأخبر – سبحانه – أن قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم ، لايعلمهم الا الله ، أتتهم رسلهم بالبينات ؛ فعلم أنهم جاءوا بالبينات .

وقال : * فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات والزبـــر والكتاب المنير * (٤) .

وقال – تعالى – : * وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم ، وجعلناهم للناس آية ، وأعتدنا للظالمين عذابا أليما *،وعادا وثمود وأصحاب الرس (٥) وقرونا بين ذلك كثيرا * وكلا ضربنا له الأمثال وكلا تبرنا (٦) تتبيرا * (٧) .فأخبـــــر

---

(١) سورة ابراهيم : ١ – ١٠ .

(٢) في ك و ط (الآية) .

(٣) التسبيح لم يرد في ك و لا ط .

(٤) سورة آل عمران : ١٨٤ .

(٥) الرس : هى البئر غير المطوية ، وأصحاب الرس : قوم كانوا يعبدون الأصنام فبعث الله اليهم شعيبا فكذبوه فبينما هم حول الرس انهارت فخسفـــــت بهم وبديارهم . صفوة ١٩ : ٣٦٢ .

(٦) تبرنا : أهلكنا ودمرنا . المصدر السابق ١٩ : ٣٦٣ .

(٧) سورة الفرقان : ٣٧ – ٣٩ .

أنه ـ سبحانه ـ ضرب الأمثال لجميع هؤلاء ، الذين أرسل (١) اليهم ،وأهلكهم ، فلم يعاقبهم الا بعد أن أقام عليهم الحجة .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم ، فاسألوا أهل الذكر ، ان كنتم لاتعلمون * بالبينات والزبر ، وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم ولعلهم يتفكرون ﴾ (٢) . فأخبر أنه لم يرسل الا رجالا يوحى اليهم ، لم يرسل اليهم ملائكة ولانساء ، وأنه أرسلهم بالبينات والزبر (٣) .

والزُّبُر : جمع زَبُور ، وهى الكتب (٤) ، فان منهم من أُنزل عليه كتاب ، ومنهم من أرسل بتجديد الكتاب الذي قبله .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ، وان من أمة الا خلا (٥) فيها نذير (٦) * وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم ، جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير * . ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير ﴾ (٧) آخبر أنه ليس أمة من الأمم الا خلا فيها نذير ، كما قال : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا : أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ،فمنهم من هدى الله،ومنهم من حقت عليه الضلالة ، فسيروا في الأرض ،فانظروا كيف

---

(١) في ط : (أرسلهم) .

(٢) سورة النحل : ٤٣- ٤٤ .

(٣) لم ترد كلمة (الزبر) الأولى في ك و لا ط .

(٤) أنظر اللسان ٤ : ٣١٥ مادة : زبر .

(٥) خلا : مضى . تفسير البيضاوى ٥ : ١٨٤ .

(٦) نذير : نبي أو عالم ينذر عنه . المصدر والموضع السابق .

(٧) فكيف كان نكير : أي كيف كان أنكاره ـ عز وجل ـ عليهم بالعقوبة . المصدر والموضع السابق .

(٧) سورة فاطر : ٢٤ ـ ٢٦ . وفي ك و ط ٢٤ ـ ٢٥ فقط .

كان عاقبة المكذبين ﴿ (١) . ثم أخبر أن الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر والكتاب (٢) المنير ، وهذا من عطف الخاص على العام ، لاختصاصه بوصف يختص به (٣) ، كقوله : ﴿ ... وملائكته ورسله وجبريل وميكال... ﴾ ، فان الزبر من البينات ، والكتاب المنير من الزبر ، وهو كقوله : ﴿ ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ، ولاهدى ولاكتاب منير (٤) ﴾ . فان الهدى من العلم ، والكتاب المنير من الهدى .

وبين أنه أخذ الذين كفروا بهم (٥) ، وهذا أنزله ليبين عاقبة المكذبين . ولهذا بنى الفعل للفاعل فقال : ﴿ ... فقد كذب الذين من قبلهم ... ﴾ (٦) ، وهذه السورة مكية (٧) . ثم أنزل في آل عمران - وهى مدنية (٨) - في سياق الآيات التي فيها تسلية الرسول ، والمؤمنين به ، وتثبيتهم وتعزيتهم لما أصابهم من المكذبين يوم أحد وغيره - فقال : ﴿ الذين استجابوا لله والرسول ، من بعد ما أصابهم القرح (٩) ، للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم ﴿ الذين قال لهم الناس : ان الناس قد جمعوا لكم ، فاخشوهم ، فزادهم ايمانا ، وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل (١٠) ﴿ فانقلبوا (١١) بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء ،

---

(١) سورة النحل : ٣٦ .
(٢) في ك و ط (بالكتاب) .
(٣) سورة البقرة : ٩٨ .
(٤) سورة الحج : ٨ . وسورة لقمان : ٢٠ .
(٥) في ك و ط (بربهم) .
(٦) سورة فاطر : ٢٥ .
(٧) البرهان في علوم القرآن - ١ : ١٩٣ . وهى تسمى سورة الملائكة .
(٨) المصدر السابق ١ : ١٩٤ .
(٩) القرح : الجراح . صفوة ٤ : ٢٤٤ .
(١٠) حسبنا الله : أي الله كافينا وحافظنا ومتولى أمرنا . المصدر السابق ٤ : ٢٤٥ .
(١١) فانقلبوا : فرجعوا . المصدر والموضع السابق .

واتبعوا رضوان الله ، والله ذو فضل عظيم * انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين (١) * أي يخوفكم أولياءه - كما قاله جمهور العلماء (٢) .

ثم قال : * ولايحزنك الذين يسارعون في الكفر ، انهم لن يضروا الله شيئا ...* (٣) ، وسياق الكلام في بيان أن الكفار لايضرون الله ولاعباده المؤمنين ، بل ضررهم على أنفسهم ، وأن ماحصل لهم من نعمة انما هو استدراج واملاء (٤) ، - الى أن قال - : * لقد سمع الله قول الذين قالوا : ان الله فقير ونحن أغنياء ، سنكتب ماقالوا ، وقتلهم الأنبياء بغير حق ، ونقول : ذوقوا عذاب الحريق * ذلك بما قدمت أيديكم ، وأن الله ليس بظلام للعبيد * الذين قالوا : ان الله عهد الينا أن لانؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار ، قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم ، فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين (٥) * .

بين - سبحانه - أن هذا القول منهم : مع أنه كذب ، فلم يقولوه الا دفعا للحق ، لا ليؤمنوا بمن جاءهم بذلك ، اذ قد جاءهم رسل من قبله بالآيات البينات ، والقربان الذي تأكله النار ، ومع هذا قتلوهم . والكلام في مثل هذا الجنس الذي يوالي بعضهم بعضا ، ويتبع بعضهم بعضا ،كاليهود ، الذين هم على دين سلفهم الذين فعلوا ذلك .

---

(١) سورة آل عمران : ١٧٢ - ١٧٥ .

(٢) انظر البحر المحيط ٣ : ١٢٠ - ١٢١ وتفسير القرآن العظيم ٢ : ١٤٩ .

(٣) سورة آل عمران : ١٧٦ .

(٤) الاملاء :هو المَدُّ في الآمال والأماني ، الكشاف ٣ : ٥٣٧ .

(٥) سورة آل عمران : ١٨١ - ١٨٣ .

ولهذا يذمهم (١) بصيغة الخطاب ، كقوله : ﴿ واذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم ، وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون ﴾ - الى قوله - (٢) : ﴿ واذ قلتم ياموسى ، لن نؤمن لك ، حتى نرى الله جهرة ... ﴾ (٣) . فالخطاب لجنس بني اسرائيل، وان كان الذين عاينوا ذلك ماتوا . ثم قال : ﴿ فان كذبوك فقد كُذب رسل من قبلك ، جاؤا بالبينات والزبر والكتاب المنير ﴾ (٤) . فحذف هنا الفاعل ، وبنى الفعل للمفعول ، اذ المقصود هنا : تسلية الرسول وتعزيته ، لاذكر عقوبة المكذبين ، فلهذا كانت هذه أخص من تلك .

---

(١) في ك و ط (يخاطبهم) .

(٢) في أ وك بدون جملة (الى قوله) واثباتها أولى لأن الآيتين غير متواليتين .

(٣) سورة البقرة : ٥٠ - ٥٩ .

(٣) جهرة : علانية . تفسير القرآن العظيم ١ : ١٣٢ .

(٤) سورة آل عمران : ١٨٤ .

فصـــل

(من آيات الأنبياء: اهلاك مكذبيهـــــم)

ومن آيات الأنبياء اهلاك الله لمكذبيهم ، ونصره للمؤمنين بهم ، فهذا من أعلام نبوتهم ، ودلائل صدقهم ، كاغراق الله قوم نوح لما كذبوه ، وكاهلاكه قوم عـــاد بالريح الصرصر (١) ، واهلاك قوم صالح بالصيحة ، واهـــلاك قوم شعيب بالظلة (٢) ، واهلاك قوم لوط باقلاب (٣) مداينهم ، ورجمهم بالحجارة ، وكاهلاك قوم فرعون بالغرق .

وقد ذكر الله هذه القصص في القرآن ، في غير موضع ، وبين أنها من آيات الأنبياء الدالة على صدقهم ،كمـــا يذكره (٤) في سورة الشعراء ، لما ذكر قصة موسى ، قال : ﴿ ... ان في ذلك لآية وماكان أكثرهم مؤمنين (٥) ﴾ . ثـــم ذكر قصة ابراهيم ، وقال – في آخرها – : ﴿ ... ان في ذلك لآية ، وماكان أكثرهم مؤمنين (٦) ﴾ .

---

(١) الصرصر : ذات الصوت الشديد . صفوة ٢٩ : ٤٣٥ .

(٢) قال المفسرون : بعث الله عليهم حرا شديدا ، فأخذ بأنفاسهم ،فخرجوا من البيوت ، هربا الى البرية ، فبعث الله عليهم سحابة من الشمـــــس ، فوجدوا لها بردا ، ونادى بعضهم بعضا ، حتى اذا اجتمعوا تحتهـــا أرسل الله عليهم نارا فاحترقوا جميعا ، وكان ذلك من أعظم العذاب . المصدر السابق ١٩ : ٣٩٣ .

(٣) في ك و ط (بقلب) .

(٤) في ك و ط (ذكره) .

(٥) سورة الشعراء : ٦٧ .

(٦) سورة الشعراء : ١٠٣ .

وكذلك ذكر مثل ذلك في قصة نوح ، وهود ، وصالح ، ولوط ، وشعيب ، ومن ذلك : ماجعله من اللعنة الشائعة لمن كذبهم ، ومن لسان الصدق والثناء (١) والدعاء لهم ، ولمن آمن بهم ، كما قال - تعالى - في قصة نوح - : ﴿ وتركنا عليه في الآخرين * سلام على نوح في العالمين ﴾ (٢) (٣) .

وكذلك في قصة ابراهيم : ﴿ وتركنا عليه في الآخرين * سلام على ابراهيم ﴾ (٤) أي تركنا هذا القول الذي يقوله المتأخرون. وكذلك في قصة موسى وهرون : ﴿ سلام على موسى وهرون ﴾ (٥) (٦) ﴿ سلام على الياسين ﴾ ، وكذلك في قصة ابراهيم ، قال - تعالى - ﴿ فلما اعتزلهم ومايعبدون من دون الله ،وهبنا له اسحاق ويعقوب ، وكلا جعلنا نبيا * ووهبنا لهم من رحمتنا ، وجعلنا لهم لسان صدق عليا ﴾ (٧) .

---

(١) في ك و ط (بالثناء) .

(٢) وتركنا عليه في الآخرين : أي تركنا عليه ثناء حسنا في كل أمة الى يوم القيامة . صفوة ٢٣ : ٣٧ .

(٣) سورة الصافات : ٧٨ - ٨٩ .

(٤) سورة الصافات : ١٠٨ - ١٠٩ .

(٥) سورة الصافات : ١٢٠ .

(٦) سورة الصافات : ١٣٠ .

(٧) سورة مريم : ٤٩ - ٥٠ .

(٧) وجعلنا لهم لسان صدق عليا : يقول - تعالى ذكره - : ورزقناهم الثناء الحسن ، والذكر الجميل بين الناس . جامع البيان ١٦ : ٩٣ .

وقال ـ في قصة فرعون ـ : ﴿ واستكبرهو وجنوده في الأرض ، بغير الحق ، وظنوا أنهم الينا لايرجعون ﴾ فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم (١) ، فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ﴿ وجعلناهم أئمة يدعون الى النار ، ويوم القيامة لاينصرون ﴾ وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين (٢) ﴿ ولهذا قال ـ تعالى ـ : ﴿ لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب ... ﴾ (٣) وقال (٤) لمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ﴿ ... فاصبر ان العاقبة للمتقين ﴾ (٥) . فأخبر أن العاقبة للمتقين ، ثم انه ماوقع لهؤلاء وهؤلاء يعلم بالسمع والنقل تارة ، ويعلم بالعقل والاعتباربآثارهم تارة ، كما قال ـ عن أهل النار ـ : ﴿ ... لو كنا نسمع أو نعقل ماكنا في أصحاب السعير ﴾ (٦) .

---

(١) أليم : البحر . المصباح : ٦٨١ .

(٢) سورة القصص : ٣٩ ـ ٤٢ .

(٣) سورة يوسف : ١١١ .

(٤) في ط (قال) .

(٥) سورة هود : ٤٩ .

(٦) سورة تبارك : ٥ .

كما ذكر الله الطريقين ، في قوله : ﴿ ... ولينصرن الله من ينصره ، ان الله لقوى عزيز * الذين ان مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر ، و لله عاقبة الأمور ﴾ : - ثم قال - : ﴿ وان يكذبوك فقدكذبت قبلهم قوم نوح ، وعاد ، وثمود * وقوم ابراهيم ، وقوم لوط * وأصحاب مدين وكذب موسى ، فأمليت للكافرين ثم أخذتهم ، فكيف كان نكير * فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة ، فهي خاوية على عروشها ، وبئر معطلة ، وقصر مشيد ﴾ . ثم قال : ﴿ أفلم يسيروا في الأرض ، فتكون لهم قلوب يعقلون بها ، أو آذان يسمعون بها ؟ فأنها لاتعمى الأبصار ، ولكن تعمى القلوب ، التي في الصدور ﴾ (١) .

وقال - تعالى - : ﴿ وكم أهلكنا قبلهم من قرن ؟ هم أشد منهم بطشا ، فنقّبوا في البلاد (٢) هل من محيص (٣) ؟ * ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أوألقى السمع وهو شهيد ﴾ (٤) .

وقال - تعالى - : ﴿ أو لم يسيروا في الأرض ؟ فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ، كانوا أشد منهم قوة ، وأثاروا الأرض ، وعمروها أكثر مما عمروها ، وجاءتهم رسلهم بالبينات ، فما كان الله ليظلمهم ، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ، ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوءاى (٥) أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن ﴾ (٦) .

---

(١) سورة الحج : ٤٠ - ٤٦ .

(٢) نقبوا في البلاد : ساروا فيها ، وطوفوا وجالوا في أقطارها . صفوة ٢٦ : ٢٤٧ .

(٣) أي فهل كان لهم من الموت من مهرب ؟وهل كان لهم من عذاب الله من مخلص ؟ . المصدر والموضع السابق .

(٤) أي أصغى الى الموعظة ، وهو حاضر القلب ، لتذكر ويعتبر . المصدر والموضع السابق .

(٤) سورة ق : ٣٦ - ٣٧ .

(٥) اي وكانت نهاية المجرمين العقوبة التي هى أسوأ العقوبات وهي نارجهنم - أعاذنا الله منها - . انظر المصدر السابق ٢١ : ٤٧٣ .

(٦) سورة الروم : ٩ - ١٠ .

وقال – تعالى – : ﴿ أولم يسيروا في الأرض ؟ فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم ، كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم ، وماكان لهم من الله من واق * ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات ، فكفروا ، فأخذهم الله ، انه قوي شديد العقاب (١) ﴾

وقال – تعالى – : ﴿ أفلم يسيروا في الأرض ؟ فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ، كانوا أكثر منهم ، وأشد قوة وآثارا في الأرض ، فما أغنى عنهم ماكانوا يكسبون * فلما جاءتهم رسلهم بالبينات ، فرحوا بما عندهم من العلم ، وحاق بهم (٢) ماكانوا به يستهزؤن * فلما رأوا بأسنا قالوا : آمنا بالله وحده ، وكفرنا بما كنا به مشركين * فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون (٣) ﴾ .

وقال – لما قص قصص نوح ، وهود ، وصالح ، وابراهيم ، ولوط ،وشعيب ، وموسى ، في سورة هود – : ﴿ ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد * وماظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم ، فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك ، ومازادوهم غير تتبيب (٤) * وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة ، ان أخذه اليم شديد (٥) ﴾ .

---

(١) سورة غافر : ٢١ – ٢٢ .

(٢) حاق بهم : نزل بهم . جامع البيان ٢٤ : ٨٩ .

(٣) سورة غافر : ٨٢ – ٨٥ .

(٤) تتبيب : تخسير وتدمير واهلاك . جامع البيان ١٢ : ١١٣ .

(٥) سورة هود : ١٠٠ – ١٠٢ .

ولما ذكر قصة لوط في سورة الصافات ، قال : ﴿ وانكم لتمرون عليهم مصبحين ﴿ وبالليل أفلا تعقلون ؟ ﴾ (١) ، وفي سورة الحجر : ﴿ ان في ذلك لآيات للمتوسمين (٢) ، وانها لبسبيل مقيم (٣) ، ان في ذلك لآية للمؤمنين ﴿ وان كان أصحاب الأيكة لظالمين ﴿ فانتقمنا منهم (٤) ، وانهما لبامام مبين (٥) ﴾ والامام المبين : هو الطريق المستبين الواضح (٦) . بين ـ سبحانه ـ : أن هذه وهذه كلاهما بسبيل للناس (٧) ، يرونها بأبصارهم ، فيعلمون بذلك مافعل الله بمن كذب رسله وعصاهم ، ودلالة نصر الله المؤمنين (٨) ، وانتقامه من الكافرين، على صدق الأنبياء (٩) ، من جنس دلالة الآيات والمعجزات على صدقهم ، فكون هذا فعل لأجل هذا ،و (١٠) كون ذاك سبب هذا ، هو مما يعلم بالاضطرار ، عند تصور الأمر على ماهو عليه ، كانقلاب العصا حية ، عقب سؤال فرعون الآية ، وانشقاق القمر عند سؤال مشركي مكة آية ، وأمثال ذلك .

---

(١) سورة الصافات : ١٣٧ ـ ١٣٨ .

(٢) المتوسمين : المعتبرين ، المتأملين بعين البصر والبصيرة . صفوة ١١٤:١٤.

(٣) أي بطريق ثابت لم يندرس ، يراها المجتازون في أسفارهم . المصدر والموضع السابق .

(٤) في ك و ط جملة (ثم قال) بين هاتين الآيتين .

(٥) سورة الحجر : ٧٥ ـ ٧٩ .

(٦) انظر جامع البيان ١٤ : ٤٧ .

(٧) في ك و ط (الناس) .

(٨) في ك و ط (للمؤمنين) .

(٩) في أ (للأنبياء) والأولى ما أثبتناه من ك و ط .

(١٠) في ط (آو) .

(مناقشة نفاة التعليل ، في أمر الخوارق والآيات النبوية)

والسؤال المشهور الذي يورد في هذا الموضع ، على قول من ينفى التعليل في أفعال(١) الله ، و يجوّز(٢) على الله كل فعل ؟ حيث قيل لهم : على أصلكم: لايفعل الله شيئا لأجل شيء ، وحينئذ فلم يأت بالآيات الخارقة للعادة ، لأجل تصديق الرسول ، ولا(٣) عاقب هؤلاء لتكذيبهم له ؟ ولا أنجى هؤلاء ونصرهم لايمانهم به ؟ اذا كان لايفعل شيئا لشيء عندكم ؟ وقالوا لهم - أيضا - : اذا جوزتم على الرب كل فعل ، جاز أن يظهر الخوارق على يد الكاذب ! ويقال لهم - أيضا - : أنتم لاتعلمون مايفعل الرب الا بعادة أو خبر الأنبياء ، فقبل(٤) العلم بصدق النبي لايعلم شيء بخبره ، والعادة انما تكون فيما تكرر ، كطلوع الشمس ، ونزول المطر ونحو ذلك ، والاتيان بالخارق للتصديق ليس معتادا .

---

(١) في ط (أعمال) .

(٢) في ك و ط (أو) .

(٣) في ك و ط (ولم) هنا والذي بعده ، وقد توافقت أ وأكسفورد .

(٤) في أ (فقيل) .

فيقال (١) : هذا السؤال ـ ان كان متوجها ـ فانما يقدح (٢) في قول هؤلاء الذين يقولون : لايفعل شيئا لأجل شيء ، ويجوزون عليه فعل كل شيء ممكن ، لاينزهونه عن فعل سيء (٣) الأفعال ، وليس عندهم قبيحا وظلما (٤) الا ماكان ممتنعا ، مثل جعل الشيء موجودا معدوما ، وجعل الجسم في مكانين. ولهذا ذكر ذلك مخالفوهم حجة في ابطال مذهبهم ، وقالوا : قولهم يقدح في العلوم الضرورية ، ويسد باب العلم بصدق الرسل ، قالوا : اذا جوزتم أن يفعل كل شيء ، فجوّزوا أن يكون (٥) الجبال انقلبت ياقوتا (٦) ، والبحار لبنا ، ونحو ذلك (٧) ، مما يعلم بالضرورة بطلانه ، وجوّزوا أن يخلق المعجزات على يدي الكذابين ، وليس المقصود هنا الجواب عن هؤلاء (٨) ،ولابيان فساد قولهم ، ولكن المقصود : أن هذا السؤال ان كان متوجها ، فانما يقدح في قول هؤلاء ، لايقدح فيما علم بالاضطرار من دلالات الآيات المذكورة على حال هؤلاء وهؤلاء ، وأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ نجى موسى ونصره لصدقه ، ونبوته ، وايمانه ، وأهلك فرعون لتكذيبه .

---

(١) في ك و ط زيادة : (في جوابه) .

(٢) هذه الكلمة يمكن أن تقرأ (يندرج) في أ ، وقد اتفقت النسخ الأخرى كلها على كلمة " يقدح " بما فيها نسخة أكسفور والنسخة السعودية . وسوف تأتى بعد قليل واضحة في أ .

(٣) في ك و ط (من) .

(٤) في ك و ط (قبيح وظلم) .

(٥) في ط (تكون) .

(٦) الياقوت : نوع من الاحجار الكريمة والمعادن النفيسة ، منه الياقوت الأحمر ، وهو حجر أحمر شفاف كثير اللمعان مبلور ، وهو من أصلب المعادن بعد الماس ، ومنه الازرق والاصفر . ويسمى الياقوت بالافرنجية : ياسنت . أنظر دائرة معارف وجدي ١٠ : ٩٠٥ .

(٧) في ك و ط (يد) .

(٨) في ط (عن هؤلاء ببيان) .

وكذلك نصر محمدا ومن أتبعه ، على من كذبه من قومه ،ونصر نوحا على من كفر به ، ونصر المسيح على من كذبه ، ونصر سائر الرسل وأتباعهم المؤمنين، كما قال ـ تعالى ـ :﴿ انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ، ويوم يقوم الأشهاد (١) ﴾ وقال : ﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ﴿ انهم لهم المنصورون ﴿ وان جندنا لهم الغالبون (٢) ﴾ ،كما لايقدح ما علم (٣) بالاضطرار من أن الله ينزل المطر في إبّانِه (٤) ، لسقي المزارع ،وأنه يسوق النيل لسقي أرض مصر ،وأنه جعل أعضاء الانسان لما فيها من المنافع (٥) ،كالبطش باليدين ، والمشي بالرجلين ، والنظر بالعينين والسمع بالأذنين ، والنطق باللسان ،وجعل ماء العين ملحا لكونها شحمة (٦) ،والملوحة تمنعها أن تذوب ،وماء الأذن مرا (٧) ليمنع الذباب من الولوج في الدماغ ،وماء الفم عذبا ليطيب الطعام والشراب (٨) ، وجعل ماء البحر مالحا ﴿ لبقاء الأنام (٩) ، فأنه لو كان عذبا فيموت فيه من الحيوان العظيم ،فيفسد الريح ،فيموت الآدميون والبهائم بهذه الريح ﴿ الى مالايحصى من حكمة الله المشهودة في خلقة .

ونفاة التعليل يقولون : نحن نعلم أن هذا مقارن لهذا ، بحكم العادة ، التي أجراها الله ،وان لم يخلق شيئا لشيء ،وكذلك مَنْ نفى الأسباب مع نفي التسليل ـ أيضا ـ يقولون : نحن نعلم أنه يخلق هذا عند هذا ،لابه ،فاقتران المعجز بالتصديق من هذا الباب ـ عندهم ـ ،لكن يبقى عليهم : ان هذا لايعلم الا بالعادة ،ولاعادة . فلا جرم (١٠) رجعوا الى فطرتهم ، من أن هذا أمر معلوم بالاضطرار ، وإن كان مناقضا لأصلهم الفاسد ، وضربوا لذلك مثلا بالمَلِك الذي أظهر ماينافض عادته لتصديق رسوله .

---

(١) سورة غافر : ٥١. (٢) سورة الصافات : ١٧١ ـ ١٧٣ .
(٣) في ك و ط (فيما). (٤) ابانه : وقته . مختار : ٣.
(٥) في ك و ط (بما) . (٦) في ك (يمنعها) .
(٧) في أ (مر) وقد صوبناه من ك و ط . (٨) في ك (لتطيب) بالتاء .
(٩) مابين النجمتين ليس في أ ، وقد أثبتناه من ك وط لجودته .
(١٠) لاجرم : أي لابد ،أو حقا ،أولامحالة ،أو هذا أصله ،ثم كثر حتى تحول الى معنى القسم ،فلذلك يجاب عنه باللام ، فيقال : لاجرم لآتينك . ولهذا كان الأولى أن يقول الشيخ المؤلف : فلاجرم لقد رجعوا ... أنظر ترتيب ١ : ٤٨١ .

لكن يقال لهم : الملك يفعل فعلا لمقصود ، فأمكن أن يقال : انه قام ليصدق رسوله ، وأنتم عندكم أن الله لايفعل شيئا لشيء ، فلم يبق المثل مطابقا ، ولهذا صاروا مضطربين في هذا الموضع ، تارة يقولون : المعجزات دليلا (١) على الصدق ، لئلا يفضى الى تعجيز الرب ، فانه لادليل على الصدق الا خلق العجز (٢) ، فلو لم يكن دليلا لزم أن يكون الرب غير قادر على تصديق الرسول الصادق ، وهذه طريقة الأشعري في أكثر كتبه ، وأحد قوليه ، وسلكها القاضي أبو بكر (٣) ، وأبو اسحاق الاسفرائيني (٤) ، وأبو بكر بن فُوْرَك (٥) ، وأبو محمد بن اللبان (٦) ، وأبو على بن شاذان (٧) ، والقاضى أبو يعلى (٨) وغيرهم (٩) .

---

(١) في ك و ط (المعجز دل) ، والأولى أن تكون هنا (دليل) بالرفع حيث لاناصب .

(٢) في ك و ط (المعجز) .

(٣) القاضي أبو بكر : هو محمد بن الطيب بن محمد المعروف بابن الباقِلاّني ، أو الباقِلاّني ،ولد سنة ٣٣٨ هـ ، وهو يعد أعظم الاشاعرة بعد الأشعري، وتوفي سنة ٤٠٣ هـ في بغداد . تبيين كذب المفتري : ٢١٧ – ٢٢٦ ، وشذرات الذهب ٣ : ١٦٨ – ١٦٩ .والأعلام ٦ : ١٧٦ . ووفيات الأعيان٤:٢٦٩–٢٧٠.

(٤) في ك و ط زيادة : (أحيانا) .

(٥) الأسفرائيني : هو ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن مهران ، الملقب بركن الدين ، الفقيه الشافعي المتكلم الاصولي ، مات بنيسابور سنة ٤١٨ هـ ودفن باسفراين . وفيات الاعيان ١ : ٢٨ ، ومعجم المؤلفين ١ : ٨٣ .

=

.....

= (٦) ابن فورك : هو الاستاذ محمد بن الحسن ، المتكلم الاصولي الاديب النحوي الواعظ الأصبهاني مات مسموما في طريقه الى نيسابور سنة ٤٠٦ هـ . وفيات الأعيان ٤ : ٢٧٢ – ٢٧٣ ، وسير .. النبلاء ١٧ : ٢١٤ – ٢١٦ .

(٧) ابن اللبان : هو العلامة عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن احمد التيمي ، عالم فقيه أصولي ، سكن بغداد وولي قضاء إيذَج وتوفي بأصبهان سنة ٤٤٦ هـ . سير .. النبلاء ١٧ : ٦٥٣ – ٦٥٤ وشذرات الذهب ٣ : ٢٧٤ . ومعجم المؤلفين ٦ : ١٢٥

(٨) ابن شاذان : هو الامام الفاضل الصدوق سيد العراق ، الحسن بن أبي بكر أحمد بن الحسن بن محمد بن شاذان البغدادي البزاز ، الاصولي ، ولد سنة ٣٣٩ هوتوفي في نهاية سنة ٤٢٥ هـ . سير .. النبلاء ١٧ : ٤١٧ – ٤١٨ ، وشذرات الذهب ٣ : ٢٢٨ – ٢٢٩ .

(٩) أبو يعلى : هو محمد بن الحسن بن محمد بن خلف بن أحمد الفرا القاضي ، شيخ الحنابلة ، وممهد مذهبهم في الفروع ، ولد سنة ٣٨٠ هـ وسمع الحديث الكثير ، قال ابن الجوزي :"وكان من سادات العلماء الثقات ."مات سنة ٤٥٨ هـ البداية والنهاية ١٢ : ٩٤ – ٩٥، وشذرات الذهب ٣ : ٣٠٦ – ٣٠٧ .

والثاني قالوا[1] : نحن نعلم بالاضطرار[2] * أنه فعل هذا لأجل التصديق ، كالمثل المضروب ، وهذا هو القول الآخر ، وهى طريقة أبي الحسن الأشعري في أماليه[3] ، وهي طريقة أبي المعالي[4] وأتباعه كالرازي وغيره ، وتنازعوا هل يمكن خلق ذلك على يد كذاب ؟ . فقيل : لايمكن ، لأنه لو أمكن لجاز وقوعه ، وقيل : بل هو مقدور ، لكن نعلم أنه لايفعله * كما نعلم أنه لايفعل كثيرا من الخوارق المقدورات ، كقلب الجبل ياقوتا ، والبحر زيتا[5] .

---

(١) هذا معطوف على قوله سابقا : (تارة يقولون : المعجز دل على الصدق).

(٢) من هنا الى النجمة الثانية سقط من أ . والمعنى لايستقيم بدونه .

(٣) اماليه : أي ما أملاه على الناس مما لم يذكر له اسم ، وهو ماعدا المؤلفات المستقلة . انظر تبيين كذب المفترى : ١٣٥ .

(٤) ابو المعالي : هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف من حَيُّوَيَة الجُوَيني الفقيه الشافعي،الملقب ضياء الدين ، المعروف بامام الحرمين ، أعلم المتأخرين من أصحاب الشافعي على الاطلاق ، متفنن في العلوم من الاصول والفروع والأدب وغير ذلك كان مولده سنة ٤١٩ هـ،وتوفي سنة ٤٧٨ هـ ودفن في نيسابور . وفيات الأعيان ٣ : ١٦٧ – ١٧٠ ، والبداية والنهاية ١٢ : ١٢٨ .

(٥) في ك و ط (زئبقا) .

قالوا : فنحن (١) نعلم بالضرورة أنه لايفعلها ، فلا يلزم من كونها مقدورة ممكنة أن لايُعلم انتفاء وقوعها ، بل قد يُعلم (٢) عدم وقوعها بالاضطرار ، وان كنا نقول : انها ممكنة مقدورة . وظهور المعجزات على يد الكذاب في دعوى النبوة من هذا الباب عندنا .

وقالوا : المعجز عَلَم (٣) على صدق الأنبياء ، فيمتنع أن يكون الدليل غير مستلزم للمدلول عليه ، وهذا القول حق ، لكن منازعوهم يقولون : هو يستلزم نقيض مانفوه ، من كون الله يخلق شيئا لشيء ، ويخلق شيئا بشيء ، وماقالوا من كونه يَجُوز عليه فعل كل شيء ، وكان ماذكروه من الحق دليلا على أن الخلق يعلمون مايعلمونه من حكمة الرب ومراده بما يخلقه لأمر آخر ، وأنه - سبحانه - منزه عن أن يفعل أشياء (٤) ، لايجوز منه فعل كل شيء . وهم يقولون هنا : قد يكون الشيء ممكنا جائزا مع العلم بأنه غير واقع ، كانقلاب الجبال ياقوتا ، والبحر زئبقا (٥) ، وموت أهل البلد كلهم في لحظة ، ومصير الأطفال علماء حكماء في لحظة واحدة .

وعلى هذا الجواب : يعتمدون كثيرا ،كما يذكره القاضي أبو بكر ،والقاضي أبو يعلى ، وأبو المعالي ، والرازي ، وغيرهم . ثم انهم يقولون في العقل : انه علوم ضرورية ، كالعلم بوجوب الواجبات ، وامتناع الممتنعات ، وجواز الجائزات ، فالمتنعات : كانقلاب دِجلة دما ، وأمثال ذلك من الأمور العادية ، فيجعلون العادات واجبة تارة ، وممتنعة أخرى ، مع أنه لاسبب يوجب لاهذا ولا هذا .

---

(١) في ك و ط زيادة : (نجوز أشياء و) .
(٢) في ك و ط (علم) بصيغة الماضي .
(٣) في أ (عين) ويظهر أنه تحريف نسخي .
(٤) في ك و ط (شيئا) .
(٥) الزئبق : معدن سائل ، يوجد في الكون منفردا ، ويوجد على حال أخرى ، وهو سائل لماع يتجمد على درجة-٤٠° تحت الصفر مئوية ويغلي على درجة ٣٦٠° ولايتغير في الهواء . دائرة معارف وجدي ٤ : ٥١٤ .

ويقولون : نعلم أن هذا جائز ممكن ، لايتوقف على سبب ، ولا له مانع كالآخر ، ثم نعلم أن هذا واقع ، وهذا غير واقع ، لمجرد العادة ، مع أن خرق العادة ليس له عندهم (١) ضابط ، بل كل مايجري (٢) من العادات معجزات للأنبياء ، فيجوز أن يكون عندهم للولى وللساحر . والفرق بينهما - عندهم - : التحدي أو عدم المعارضة . وكذلك المتفلسفة الملاحدة الذين يقولون : أسباب الآيات القوى الفلكية ، والقوى النفسانية ، والطبيعية ، وهذه كلها مشتركة عندهم بين الأنبياء والسحرة ، لكن النبي يقصد الخير والعدل ، والساحر يقصد الشر والظلم .

وكذلك أولئك الذين وافقوا جهما ، على أصله في القدر ، لافرق عندهم بين كرامات الأولياء وخوارق السحرة ، لكن الولي مطيع لله ، والساحر غير مطيع لله . هذا عمدة هؤلاء النفاة للحكمة والأسباب في أفعال الله - تعالى -.

وجمهور الناس يخالفونهم ، ويقولون : هذا القول فاسد (٣) ، بل نفس تصوره كاف في العلم بفساده ،فانه اذا تماثل هذا وهذا من كل وجه ، فمن أين يُعلم وجود هذا أو وجوبه ، وعدم هذا أو امتناعه . واذا قيل : مستندى العادة . قيل له : منازعوك يقولون : هذا باطل من وجهين :

أحدهما : أنك - أنت - تجوز انتقاض العادة ، وليس لانتقاضها عندك سبب تختص به ، ولاحكمة انتقضت لأجلها ، بل لافرق عندك بين انتقاضها للأنبياء والأولياء (٤) والسحرة وغير ذلك ، ولهذا قلتم ليس بين معجزات الأنبياء وبين كرامات الأولياء والسحرة (٥) فرق ،الا مجرد اقتران دعوى النبوة ، والتحدى بالمعارضة ، مع عدم المعارضة ، مع أن التحدى بالمعارضة قد يقع من المشرك، بل ومن الساحر ، فلم يثبتوا فرقا يعود الى جنس الخوارق المفعولة ،ولا الى قصد الفاعل والخالق ولاقدرته ولا حكمته .

---

(١) في ط (عنده) (٢) في ك و ط (يخرق) .
(٣) سقطت (فاسد) من أ وقد استدركناها من ك و ط .
(٤) سقطت (بين) من ط .
(٥) في أ باسقاط التاء المربوطة فتكون (السحر) والسياق دال على مافي ك و ط فلهذا أثبتناها منهما .

والثاني : أن العادة لابد لها من أسباب وموانع ، يعلم بها اطرادها تارة ، وانتقاضها أخرى ، وبهذا يظهر الجواب عما قالوه : من أن انقلاب الجبل ذهبا ، والبحر زئبقا ، والأناسي قرودا ، ونحو ذلك ممكن معلوم الجواز ، مع العلم بأنه لم يقع ، فانهم يقال لهم : جمهور الناس(١) لايسلمون لكم أن هذا ممكن الا مع لوازمه ، وانتفاء أضداده ، وحيئذ يقال(٢) : لم قلتم ان هذا لايستلزم أسبابا تكون قبله ، وموانع ترتفع ، كسائر مايحدثه الله من الأمور الخارقة للعادة . فانه لايحدث شيئا الا باحداث أسباب ، ودفع موانع .

مثال ذلك : غَرَق قوم نوح ، لم يكن ماء وجد بلا سبب ، بل أنزل الله ماء السماء ، وأنبع ماء الأرض ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ كذبت قبلهم قوم نوح ، فكذبوا عبدنا ،وقالوا مجنون وازدجر(٣) ﴿ فدعا ربه أني مغلوب فانتصر ﴿ ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر ﴿ وفجرنا الأرض عيونا ،فالتقى الماء على أمر قد قدر ﴿ وحملناه على ذات ألواح ودسر(٤) ﴾ .

---

(١) سقطت (جمهور) من ط .

(٢) في ك و ط (فيقال) .

(٣) وازدجر : أي انتهره قومه وزجروه عن دعوى النبوة ، بالسب والتخويف والوعيد ، بقولهم : ﴿ .. لئن لم تنته يانوح لتكونن من المرجومين ﴾ سورة الشعراء : ١١٦ . البحر المحيط ٨ : ١٧٦ .

(٤) الدُّسر : المسامير . البحر المحيط ٨ : ١٧٧ .

(٤) سورة القمر : ٩ ـ ١٣ .

وكذلك عاد لما أهلكهم ، أرسل (١) الريح الصرصر ، سبع ليال وثمانية أيام حسوما (٢) ، كما قال - تعالى - : ﴿ ... (٣) فترى القوم فيها صرعى ، كأنهم أعجاز نخل خاوية ﴾ فهل ترى لهم من باقية ؟ (٤) ﴿ .

وكذلك ثمود ، قال لهم صالح : ﴿ ياقوم هذه ناقة الله لكم آية ، فذروها تأكل في أرض الله ، ولاتمسوها بسوء ، فيأخذكم عذاب قريب ﴾ فعقروها فقال : تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ، ذلك وعد غير مكذوب ﴿ فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ، ومن خزي يومئذ ، ان ربك هو القوي العزيز ﴾ وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين ﴿ كأن لم يغنوا فيها (٥) ، الا ان ثمود كفروا ربهم الا بعدا (٦) لثمود (٧) ﴾ وكل ماوجد في العالم من خوارق العادات : آيات الأنبياء وغيرها لم يأت منها شيء الا بأسباب تقدمته ، كآيات (٨) موسى ، من مثل مصير العصى حية ، كانت بعد أن ألقاها ، إما عند أمر الله له بذلك ، لما ناداه من الشجرة ، ورأى النار الخارقة للعادة (٩) ، وإما عند مطالبة فرعون له بالآية ، وإما عند معارضة السحرة لتبتلع حبالهم وعصيهم . وكذلك سائر آياته ، حتى اغراق فرعون ، كان بعد مسير الجيش ، وضربه البحر بالعصا ، وكذلك تَفَجُّر (١٠) الماء من الحجر ، كان بعد أن ضرب الحجر بعصاه ، واستسقاء قومه اياه ، وهم في بَرِّية لاماء عندهم .

---

(١) في ط زيادة : (عليهم) .
(٢) حسوما : أي متتابعة لاتفتر ولاتنقطع . صفوة ٢٩ : ٤٣٥ .
(٣) في ك و ط زيادة قوله - تعالى - : ﴿ وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية ﴾ سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما ... ﴿ . سورة الحاقه : ٦ .
(٤) سورة الحاقة : ٧ - ٨ .
(٥) كأن لم يغنوا فيها : أي كأن لم يقيموا في ديارهم ، ولم يعمروها . صفوة ١٢ : ٢٣ .
(٦) بعدا : سحقا وهلاكا ولعنة .المصدر والموضع السابق .
(٧) سورة هود : ٦٤ - ٦٨ . (٨) في ك و ط (فآيات) .
(٩) سقطت (للعادة) من ك و ط .
(١٠) في ك و ط (تفجير) .

وكذلك آيات نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، مثل تكثير الماء ،كان بوضع يده فيه ، حتى نبع الماء من بين الأصابع ،أي تفجر[1] الماء من بين الأصابع ، لم يخرج من نفس الأصابع . وكذلك البئر ، كان ماؤها يكثر ،اما بالقائه سهما من كنانته فيها ، واما بصبه الماء الذي بصق فيه فيها . وكذلك المسيح ، كان يأخذ من الطين كهيئة الطير ،فينفخ فيه ، فيكون طيرا باذن الله ، الى أمثال ذلك .

فأما جبل ينقلب ياقوتا ، بلا أسباب تقدمت ذلك ،فهذا لاكان ولايكون . وكذلك نهر يَطَّرِد ، يصبح لبنا بلا أسباب تقتضي ذلك ، يخلقها الله ،فهذا لا كان ولا يكون ، ومن قال ان الشيء ممكن ، فهذا يعني به شيئان : يعني به الامكان الذهني ، والامكان الخارجي .

فالامكان الذهني : هو عدم العلم بالامتناع ، وهذا ليس فيه الا عدم العلم بالامتناع ، وعدم العلم بالامتناع غير العلم بالامكان ، فكل من لم يعلم امتناع شيء ، كان عنده ممكنا بهذا الاعتبار ، لكن هذا ليس بعلم بامكانه ، ومن استدل على امكان الشيء : بأنه لو قدر لم يلزم منه محال ، من غير بيان انتفاء لزوم كل محال ، كما يفعله طائفة من أهل الكلام ، كالآمدي[2] ونحوه لم يكن فيما ذكره الا مجرد الدعوى .

---

(١) في ك (يفجر) بالياء في أوله .

(٢) الآمدي : هو علي بن أبي علي بن محمد بن سالم التغلبي ، الفقيه الأصولي ، الملقب سيف الدين ،كان حنبليا ثم صار شافعيا ، الف عدة كتب منها : أبكار الافكار، وكتاب رموز الكنوز، وكتاب احكام الأحكام، وكتبه قرابة العشرين . درس بمصر ثم انتقل الى حماة بالشام ثم الى دمشق ، ومات سنة ٦٣١ هـ وكانت ولادته سنة ٥٥١ هـ . وفيات الأعيان ٣ : ٢٩٣ ـ ٢٩٤ ، ولسان الميزان ٣ : ١٣٤ ـ ١٣٥ ، ومعجم المؤلفين ٧ : ١٥٥ .

وأما الثاني : وهو العلم بامكان الشيء في الخارج ، فهذا يُعلم بأن يُعلم وجوده ، أو وجود نظيره ، أو وجود ماهو أقرب الى الامتناع منه ،فاذا كان حَمْل البعير للقنطار(١) ممكنا ، كان حمله لتسعين رِطلا(٢) أولى بالامكان ، وبهذه الطريقة يبين الله في القرآن امكان مايريد بيان امكانه ، كاحياء الموتى والمعاد ، فانه يبين ذلك :تارة ببيان وقوعه ،كما أخبر أن قوم موسى قالوا : ﴿ لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة...﴾(٣) فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون ، ثم بعثهم الله من بعد موتهم لعلهم يشكرون .

وكما أخبر عن المقتول الذي ضربوه بالبقرة فأحياه الله ، كما قال : ﴿ واذ قتلتم نفسا فادارأتم(٤) فيها ،والله مخرج ماكنتم تكتمون * فقلنا اضربوه ببعضها ، كذلك يحيي الله الموتى ، ويريكم آياته ، لعلكم تعقلون﴾(٥).

---

(١) القنطار : وزن أربعين أوقية من ذهب،أو ألف ومئتا دينار ،أو ألف ومئتا أوقية أو سبعون الف دينار وثمانون الف درهم أو ملىء جلد ثور ذهبا أو فضة . ترتيب ٣ :٧٠٠ .

(٢) الرطل : اثنا عشرة أوقية ، والأوقية : أربعون درهما ، والدرهم : ثمان وأربعون حبة بر أو شعير . انظر ترتيب ٢ : ٣٥١ و ٤ : ٢٧٢ .

(٣) سورة البقرة : ٥٥ .

(٤) ادارأتم : اختلفتم . تفسير القرآن العظيم ١ : ١٦٠ .

(٥) سورة البقرة : ٧٢ - ٧٣ .

وكما أخبر عن الذين خرجوا من ديارهم ، وهم ألوف حذر الموت ، فقال لهم الله : موتوا ثم أحياهم (١) . وكما أخبر عن الذي : ﴿ ... مر على قرية ، وهي خاوية على عروشها ، قال : أنىٰ يحيي هذه الله بعد موتها ؟ فأماته الله مائة عام ، ثم بعثه ، قال : كم لبثت ؟ قال : لبثت يوما أو بعض يوم ، قال : بل لبثت مائة عام ، فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه ، وانظر الى حمارك ، ولنجعلك آية للناس ، وانظر الى العظام ،كيف ننشزها ثم نكسوها لحما ، فلما تبين له ، قال : أعلم أن الله على كل شيء قدير (٢) ﴾ . وأخبر - سبحانه - بنظير ذلك في قصة ابراهيم حيث قال : ﴿ ... رب أرني كيف تحيي الموتى ؟ قال : أو لم تؤمن ؟ قال : بلى ، ولكن ليطمئن قلبي ،قال : فخذ أربعة من الطير ، فصرهن اليك ، ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ، ثم ادعهن يأتينك سعيا ، واعلم أن الله عزيز حكيم (٣) ﴾ .

واستدل - سبحانه - بما هو أعظم من ذلك ، وهوالنشأة الأولى وخلق السموات والأرض ، كقوله (٤) (٥) : ﴿ أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ... (٦) ﴾ ، وقال : ﴿ ... ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ،ثم من نطفة ، ثم من علقة ، ثم من مضغة مخلقةوغير مخلقة ، لنبين لكم ، ونقر في الأرحام مانشاء الى أجل مسمى ، ثم نخرجكم طفلا ، ثم لتبلغوا أشدكم(- الى قوله -)(٧) وترى الأرض هامدة ، فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ، وأنبتت من كل زوج بهيج (٨) ﴾ .

---

(١) كما جاء في سورة البقرة : ٢٤٣ .
(٢) سورة البقرة : ٢٥٩ .
(٣) سورة البقرة : ٢٦٠ .
(٤) سقطت جملة (وخلق السموات والأرض) من ط .
(٥) سقطت (كقوله) من ك مع أول الآية ، وفي ط (قال) .
(٦) سورة يس : ٨١ .
(٧) في ك و ط أورد الآية كاملة .
(٨) سورة الحج : ٥ .

فاستدل ـ سبحانه ـ[(١)] على امكان الإحياء بابتداء خلق الحيوان ، وبخلق النبات ، وذكر ذلك في القرآن في غير موضع ، وبسط هذا له موضع آخر[(٢)] .

والمقصود : أن قول القائل هذا ممكن ، لايحتاج الى دليل ، لايكفي في العلم[(٣)] بامكانه عدم العلم بامتناعه ، والله ـ سبحانه ـ على كل شيء قدير. والممتنع ليس بشيء باتفاق العقلاء ، وكل ماخلقه الله فلا بد أن يخلق لوازمه ، ويمتنع أضداده ،والا فيمتنع وجود الملزوم دون[(٤)] اللازم ،ويمتنع اجتماع الضدين ، وليس للعباد اطلاع على لوازم كل مخلوق ، ولاأضداده المنافية لوجوده .

فالجزم بامكان وجوده ، بدون العلم بلوازمه وامكانها وأضدادها وانتفائها : جهل ، والله ـ سبحانه ـ قادر على تغيير ماشاءه من العالم ، وهو يشق السموات ، ويُسَيِّر الجبال ، ويَبُسُّها بسا[(٥)] ، فيجعلها هباء منبثا ، الى أمثال ذلك ، مما أخبر الله به ، كما يخلق سائرمايخلقه بما ييسره[(٦)] من الأسباب ، وهذا مبسوط في موضع آخر[(٧)] .

---

(١) لم يرد التسبيح في أ .

(٢) انظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام ٣ : ٢٩٨ ـ ٢٩٩ و ٩ : ٢٢٤ و ١٧ : ٢٥١ ـ ٢٥٩ .

(٣) في ط (العالم) .

(٤) في ك و ط (بدون) .

(٥) البس : الفت . المصباح : ٤٨ .

(٦) في ك و ط (يسره) .

(٧) راجع ـ ان شئت ـ درء تعارض العقل والنقل ٨ : ١٠٣ ـ ١٠٨ .

(آيات الأنبياء : تكون قبل بعثهم ، وفي حياتهم ، وبعد موتهم)

والمقصود هنا : أن آيات الأنبياء ودلائل صدقهم متنوعة قبل المبعث ، وحين المبعث في حياتهم وبعد موتهم ، فقبل المبعث[١] : مثل إخبار من تقدم من الأنبياء به[٢] ومثل الارهاصات[٣] الدالة عليه . وأما حين المبعث فظاهر ، وأما في حياته فمثل نصره ، وانجائه،واهلاك أعدائه . وأما بعد موته فمثل نصر أتباعه ،واهلاك أعدائه ، كما قال - تعالى - : ﴿ انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد[٤] ﴾ وقال - تعالى - : ﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ﴿ انهم لهم المنصورون ﴿ وان جندنا لهم الغالبون ﴾[٥] وقال للمسيح : ﴿..اني متوفيك ، ورافعك الي ، ومطهرك من الذين كفروا ، وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا ، الى يوم القيامة ... ﴾[٦] وقال : ﴿ يأيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله ، كما قال عيسى بن مريم للحواريين : من أنصاري الى الله ؟ قال الحواريون : نحن أنصار الله ،فآمنت طائفة من بني اسرائيل ، وكفرت طائفة ، فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم ، فأصبحوا ظاهرين ﴾[٧] .

---

(١) سقطت (المبعث) من ط .

(٢) سقطت (به) من ط .

(٣) من الارهاص : وهو المقدمة للشيء والايذان به .انظر اللسان ٧ : ٤٤ مادة : رهص .

(٣) في ك (الاتهامات) وقد صوبها في الهامش(الارهاصات) .

(٤) سورة غافر : ٥١ .

(٤) الأشهاد : هم الذين يشهدون بأعمال العباد ، من ملك ونبي ومؤمن . صفوة ٢٤ : ١٠٦ .

(٥) سورة الصافات : ١٧١ - ١٧٣ .

(٦) سورة آل عمران : ٥٥ .

(٧) سورة الصف : ١٤ .

ومحمد – صلى الله عليه وسلم – جعلت له الآيات البينات ، قبل مبعثه ، وحين مبعثه ، وفي حياته ، وبعد موته ، الى الساعة (١) والى قيام الساعة ، فان ذِكْره (٢) وذِكْر كتابه والبشارة بذلك موجود في الكتب المتقدمة ، كما قد بسط في موضعه (٣) .

---

(١) سقطت جملة (الى الساعة) من ك و ط .

(٢) زادت جملة (الى الساعة) هنا في ك و ط .

(٣) في ك و ط زيادة (وقد تقدم بعض ذلك) .

(٣) وقد اخرج أبو نعيم باسناده عن ابن عباس قال : لما خرج عبد المطلب بابنه ليزوجه مَرّبه على كاهنة من أهل تُبَالة (بلد باليمن) متهودة قد قرأت الكتب يقال لها : فاطمة بنت مُرّ الخثعمية ، فرأت نور النبوة في وجه عبد الله ، فقالت : يافتى ! هل لك أن تقع علي الآن وأعطيك مائة من الابل ، فقال عبد الله :

أما الحرام فالممات دونه ... والحلال حل فأستبينه

فكيف لي الأمر الذي تبغينه

ثم مضى مع أبيه فزوجه آمنة .... ثم ان نفسه دعته الى مادعته اليه الخثعمية ، فأتاها ، فقالت : يافتى ما صنعت بعدي ؟ قال : زوجني أبي آمنة ... قالت ، اني والله ما انا بصاحبة ريبة ، ولكن رأيت في وجهك نورا فأردت أن يكون في ، وأبى الله الا أن يصيره حيث أحب .. وذكر شعرا قالته فاطمة .

ثم عقب أبو نعيم بقوله : ففي ابتغاء اليهود واليهودية وضع هذا النور الذي انتقل الى آمنة ... وذكرهم بني زهرة ، وأن هذا الأمر لايكون الا فيهم : دلالة واضحة على تقديم الخبر والبشارة بذلك في الكتب السالفة ، ومايكون من أمر النبي – صلى الله عليه وسلم – وبعثته ، كل ذلك آيات واضحة ، وبراهين صحيحة لائحة على نبوته ، وبعثته – صلى الله عليه وسلم – . الدلائل لابي نعيم ١ : ١٦٤ – ١٦٧ . وانظر ص : ٢٢٧ وما بعدها ، م ١ ، من هذه الرسالة .

والخليل دعا به فقال ـ في دعائه لذريته ـ : ﴿ ربنا وابعث فيهم رسولا منهم ، يتلو عليهم آياتك ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ... ﴾ (١) .

ولما ولد اقترن بمولده من الآيات ماهو معروف ، وجرى ذلك العام قصة أصحاب الفيل المشهورة (٢) ، وكان يحصل له في مدة نشأته من الآيات والدلائل أمور كثيرة (٣) ، قد ذكر طرف منها في كتب دلائل النبوة والسيرة وغيرها مثل الآيات التي حصلت لمرضعته لما صار عندها . ومثل ماشوهد من أحواله في صغره . وأما انتصار الله له ولأتباعه ،واعلاء ذكره ، ونشر لسان الصدق له ،واهلاك أعدائه ، واذلال من يحاده (٤) ويشاقه ، واظهار دينه على كل دين باليد ، واللسان ، والدليل ، والبرهان ،فهذا مما يطول وصف تفصيله ،قال ـ تعالى ـ : ﴿ قد كان لكم آية في فئتين التقتا ، فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة ، يرونهم مثليهم ، رأى العين ، والله يؤيد بنصره من يشاء ، ان في ذلك لعبرة لأولى الأبصار ﴾ (٥) .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ هو الذي أخرج الذين كفروا ، من أهل الكتاب ، من ديارهم ، لأول الحشر ، ماظننتم أن يخرجوا ، وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله ، فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ، وقذف في قلوبهم الرعب ، يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين ، فاعتبروا يا أولي الأبصار ﴾ (٦) .

---

(١) سورة البقرة : ١٢٩ .

(٢) انظر السيرة لابن هشام ١ : ٤٤ ـ ٦٣ . والدلائل لأبي نعيم ١ : ١٧٨ ـ ١٨٩ والدلائل للبيهقي ١ : ٨٥ .

(٣) السيرة لابن هشام ١ : ١٧١ ـ ١٧٧ ، والدلائل لابي نعيم ١ : ١٩٢ ـ ٢٠٣ ، والدلائل للبيهقي ١ : ١٣٣ ـ ١٤٩ .

(٤) يحاده : يخالفه ، ويمنع مايجب عليه . مختار : ١٢٦ .

(٥) سورة آل عمران : ١٣ .

(٦) سورة الحشر : ٢ .

والأنبياء ـ صلوات الله عليهم ـ وأتباعهم المؤمنون وان كانوا يبتلون في أول الأمر ،فالعاقبة لهم ، كما قال ـ تعالى ـ لما قص قصة نوح : ﴿ تلك من أنباء الغيب ، نوحيها اليك ، ماكنت تعلمها ، أنت ولاقومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين ﴾ (١) . وفي الحديث المتفق على صحته لما أرسل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ رسولا الى ملك الروم ، فطلب من يخبره بسيرته ،وكان المسؤلون (٢) حينئذ أعداءه ، لم يكونوا آمنوا به ، فقال :"كيف الحرب بينكم وبينه"؟ قالوا :"الحرب بيننا وبينه سجال (٣) ، يدال (٤) علينا المرة ، وندال عليه الأخرى (٤)."

فقال :"كذلك الرسل تبتلى وتكون لها العاقبة " .

فانه كان يوم بدر ، نصر الله المؤمنين ،ثم يوم أحد أبتلى المؤمنين ، ثم لم يَنْصر الكفار بعدها حتى أظهر الله الاسلام .

---

(١) سورة هود : ٤٩ .

(٢) في ك و ط " المشركون " .

(٣) سجال:من السجل : وهو الدلو ، أصله أن المستقيين بسجلين من البئر يكون لكل واحد منهما سجل : أي دلو ملأى ماء . اللسان ١١ : ٣٢٥ . مادة : سجل .

(٤) يدال : اي نغلبه مرة ويغلبنا أخرى ، من الدولة : وهو الانتقال من حال الشدة الى حال الرخاء . المصدر السابق ١١ : ٢٥٢ مادة : دول .

فان قيل[١] : ففي الأنبياء من قد قتل ،كما أخبر الله أن بني اسرائيل يقتلون النبيين بغير حق ،وفي أهل الفجور من يؤتيه الله ملكا وسلطانا ، ويسلطه على مُذْنِبِين[٢] ، كما سلط (بخت نصر) على بني اسرائيل ، وكما يسلط[٣] كفار المشركين وأهل الكتاب أحيانا على المسلمين[٤] . قيل : أما من قتل من الأنبياء ، فهم كمن يقتل من المؤمنين في الجهاد شهيدا . قال ـ تعالى ـ : ﴿ وكأين من نبي قاتل معه ربيون[٥] كثير ، فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله ، وماضعفوا ، وما استكانوا ، والله يحب الصابرين ﴿ وما كان قولهم الا أن قالوا : ربنا اغفر لنا ذنوبنا ، واسرافنا في أمرنا ، وثبت أقدامنا ، وانصرنا على القوم الكافرين ﴿ فآتاهم الله ثواب الدنيا ، وحسن ثواب الآخرة ، والله يحب المحسنين[٦] ﴾ .

---

(١) في ط(قيلى) وهو خطأ مطبعي .

(٢) في ك (مدينتين) وفي ط (المتدينين) .

(٣) في ك و ط (سلط) .

(٤) والشواهد في هذه الأيام على ذلك أكثر من أن تحصى .

(٥) ربيون : علماء ربانيون وعباد صالحون . صفوة ٤ : ٢٣٣ .

(٦) سورة آل‌عمران : ١٤٧ .

ومعلوم أن من قتل من المؤمنين شهيدا في القتال كان حاله أكمل من حال من يموت حتف أنفه[١] ، قال ـ تعالى ـ : ﴿ ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا ، بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾[٢] ، ولهذا قال ـ تعالى ـ ﴿ قل هل تربصون[٣] بنا الا احدى الحسنيين.. ﴾[٤] أي اما النصر والظفر ، واما الشهادة والجنة ، ثم الذّين الذي قاتل عليه الشهداء ينتصر ويظهر ، فيكون لطائفته السعادة في الدنيا والآخرة ، من قتل منهم كان شهيدا ، ومن عاش منهم كان[٥] منصورا سعيدا ، وهذا غاية مايكون من النصر ، اذ كان الموت لابد منه ، فالموت على الوجه الذي يحصل[٦] به سعادة الدنيا والآخرة أكمل ، بخلاف من يهلك هو وطائفته ، فلا يفوز لاهو ولاهم بمطلوبهم لافي الدنيا ولا في الآخرة .

والشهداء من المؤمنين قاتلوا باختيارهم ،وفعلوا الأسباب التي بها قتلوا ، كالأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، فهم اختاروا هذا الموت ، اما أنهم قصدوا الشهادة . واما أنهم قصدوا مابه يصيرون[٧] شهداء ، عالمين بأن لهم السعادة في الآخرة ، وفي الدنيا بانتصار طائفتهم ، وببقاء لسان الصدق لهم : ثناء ودعاء ، بخلاف من هلك من الكفار ، فانهم هلكوا بغير اختيارهم ، هلاكا لايرجون معه سعادة الآخرة ، ولم يحصل لهم ولا لطائفتهم شيء من سعادة الدنيا ، بل أتبعوا في هذه الدينا لعنة ، ويوم القيامة هم

---

(١) حتف انفه : أي بلا ضرب ولاقتل ،وهو أن يموت على فراشه كأنه سقط لأنفه فمات ، وكانوا يتخيلون أن روح المريض تخرج من أنفه ، فان جرح خرجت من جراحته . انظر اللسان ٩ : ٣٨ مادة : حتف .

(٢) سورة آل عمران : ١٦٩ .

(٣) تربصون : تنتظرون . صفوة ١٠ : ٥٤١ .

(٤) سورة التوبة : ٥٢ .

(٥) سقطت (منهم كان) من ط .

(٦) في ك و ط (تحصل) بالتاء في أوله .

(٧) في أ (يصيروا) وقد صوبناه من ك و ط .

من المقبوحين ، وقيل فيهم : * كم تركوا من جنات وعيون * وزروع ومقام كريم * ونَعمة كانوا فيها فاكهين * كذلك وأورثناها قوما آخرين * فمابكت عليهم السماء والأرض (١) وماكانوا منظرين (٢) * .

وقد أخبر ـ سبحانه ـ أن كثيرامن الأنبياء قُتل معه ربيون كثير ، أي ألوف كثيرة (٣) ، وأنهم ماضعفوا ولااستكانوا لذلك ، بل استغفروا من ذنوبهم التي كانت سبب ظهور العدو ، وأن الله آتاهم ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة . فاذا كان هذا قتلىٰ (٤) المؤمنين ، فما الظن بقتلىٰ (٥) الأنبياء ، ففيه لهم ولأتباعهم من سعادة الدنيا والآخرة ماهو من أعظم الفلاح .

---

(١) روى ابن جرير الطبري في جامع البيان ٢٥ : ١٢٥ باسناده عن شريح الحضرمي قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " ان الاسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا ، ألا لاغربة على المؤمن ، مامات مؤمن في غربة ،غابت عنه فيها بواكيه ، الا بكت عليه السماء والأرض " . ثم قرأ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (... فما بكت عليهم السماء والأرض ...) ثم قال : " انهما لايبكيان على الكافر " واسناده :حدثنا يحيى بن طلحة قال : ثنا عيسى بن يونس ، عن صفوان بن عمرو ، عن شريح .

(٢) سورة الدخان : ٢٥ ـ ٢٩ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ٢ : ١١١ .

(٤) في ك و ط (قتل) .

(٥) في ك و ط (بقتل) .

وظهور الكفار على المؤمنين أحيانا هو بسبب[(١)] ذنوب المسلمين ، كيوم أحد ، فان تابوا انتصروا على الكفار ، وكانت العاقبة لهم ، كما قد جرى مثل هذا للمسلمين في عامة ملاحمهم مع الكفار ، وهذا من آيات النبوة وأعلامها ودلائلها ، فان النبي اذا قاموا بعهوده ووصاياه ، نصرهم الله ، وأظهرهم على المخالفين له، فاذا ضيعوا عهوده ، ظهر أولئك[(٢)] عليهم ، فمدار النصر والظهور مع متابعة النبي وجودا وعدما ، من غير سبب يزاحم ذلك ، ودوران الحكم مع الوصف وجودا وعدما من غير مزاحمة: وصف آخر، موجب للعلم[(٣)] بأن المَدَار علة للدائر .

وقولنا : من غير مزاحمة ، وصف آخر يزيل النقوض الواردة ، فهذا الاستقراء والتتبع يبين أن نصر الله واظهاره هو بسبب اتباع النبي ،وأنه سبحانه - يريد اعلاء كلمته ونصره ، ونصر أتباعه على من خالفه[(٤)] ، وأن يجعل لهم السعادة ، ولمن خالفهم الشقاء ، وهذا يوجب العلم بنبوته ،وأن من اتبعه كان سعيدا ، ومن خالفه كان شقيا ، ومن هذا : ظهور (بخت نصر) على بني اسرائيل ، فانه من دلائل نبوة موسى ، اذ كان ظهور (بخت نصر) انما كان لما غيروا عهود موسى ، وتركوا اتباعه ، فعوقبوا بذلك ، وكانوا اذ كانوا متبعين لعهود موسى منصورين مؤيدين ، كما كانوا في زمن داود وسليمان وغيرهما . قال - تعالى - ﴿ وقضينا الى بني اسرئيل في الكتاب ،لتفسدن في الأرض مرتين ، ولتعلن علوا كبيرا ﴾ فاذا جاء وعد أولاهما،

---

(١) في ك و ط (سبب) .

(٢) سقطت (أولئك) من ط .

(٣) في ك و ط (يوجب العلم) .

(٤) في ط (خالفهم).

بعثنا عليكم عبادا لنا ، أولي بأس شديد ، فجاسوا خلال الديار ، وكان وعدا مفعولا * ثم رددنا لكم الكرة عليهم ، وأمددناكم بأموال وبنين ، وجعلناكم أكثر نفيرا * ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم ، وان أسأتم فلها ، فاذا جاء وعد الآخرة ، ليسوؤا وجوهكم ، وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة ، وليتبروا ماعلوا تتبيرا * عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا ..*(١)

فكان ظهور بني اسرائيل على عدوهم تارة ، وظهور عدوهم تارة(٢) ، من دلائل نبوة موسى ـ صلى الله عليه وسلم ـ(٣) ، وكذلك ظهور أمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ على عدوهم تارة ، وظهور عدوهم عليهم تارة(٤) ،هو من دلائل رسالة محمد وأعلام نبوته ، وكان نصر الله لموسى وقومه على عدوهم ، في حياته وبعد موته ، كما جرى لهم مع يوشع(٥) وغيره ، من دلائل نبوة موسى .

وكذلك انتصار المؤمنين مع محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ(٦) ، في حياته وبعد مماته مع خلفائه ، من أعلام نبوته ودلائلها ، وهذا بخلاف الكفار، الذين ينتصرون على أهل الكتاب أحيانا ، فان أولئك لايقول مطاعهم : اني نبي ، ولايقاتلون أتباع الأنبياء على دين ، ولايطلبون من أولئك أن يتبعوهم على دينهم ، بل قد يصرحون : بأنا انما نصرنا عليكم بذنوبكم ، وأن لو أتبعتم دينكم لم ننصر عليكم ، وأيضا ـ فلا عاقبة لهم ، بل الله يهلك الظالم بالظالم ، ثم يهلك الظالمين جميعا ، ولاقتيلهم يطلب بقتله سعادة بعد الموت ، ولايختارون القتل لِيَسْعَدوا بعد الموت ، فهذا وأمثاله مما يظهر به الفرق بين انتصار الأنبياء وأتباعهم ، وبين ظهور بعض الكفار على المؤمنين، أو ظهور بعضهم على بعض .

---

(١) سورة الاسراء : ٤ ـ ٨ .
(٢) في ك و ط زيادة : (عليهم).
(٣) في ك و ط زيادة : (وآياته).
(٤) سقطت (عليهم) من ط .
(٥) في ط (من) .
(٦) الجملة الدعائية ليست في أ ولا ك .

وبين أن ظهور محمد وأمته على أهل الكتاب : اليهود والنصارى ، هو من جنس ظهورهم على المشركين ، عُبَّاد الأوثان ، وذلك من أعلام نبوته ودلائل رسالته ، ليس هو كظهور (بختنصر) على بنى اسرائيل ، وظهور الكفار على المسلمين ، وهذه الآية مما أخبر بها موسى .

وَبَيَّنَ أن الكذاب المدعي للنبوة لايَتِم أمره ، وانما يتم أمر الصادق ، فان من أهل الكتاب من يقول : " محمد وأمته سلطوا علينا بذنوبنا ، مع صحة ديننا الذي نحن عليه ، كما سلط (بختنصر) وغيره من الملوك " . وهذا قياس فاسد ، فان بختنصر لم يدع نبوة ، ولاقاتل على دين ، ولا طلب من بني اسرائيل أن ينتقلوا عن شريعة موسى الى شريعته ، فلم يكن في ظهوره اتماما (١) لما ادعاه من النبوة ، ودعا اليه من الدين ،بل كان بمنزلة المحاربين ، قطاع الطريق ، اذا ظهروا على القوافل ، بخلاف من ادعى نبوة ودينا دعا اليه ، ووعد أهله بسعادة الدنيا والآخرة ، وتوعد مخالفيه بشقاوة الدنيا والآخرة ، ثم نصره الله وأظهره ، وأتم دينه ، وأعلا كلمته ، وجعل له العاقبة ،وأذل مخالفيه ، فان هذا من جنس خرق العادات المقترن بدعوى النبوة ، فانه دليل عليها ، وذلك من جنس خرق العادات التي لم تقترن بدعوى النبوة ، فانه ليس دليلا عليها .

وقد يغرق في البحر أمم كثيرة ، فلا يكون ذلك دليلا على نبوة نبي ، بخلاف غرق فرعون وقومه ،فانه كان آية بينة لموسى ،وهذا موافق لما أخبر به موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ من أن الكذاب لايتم أمره ، وذلك أن (٢) الله حكيم ، لايليق به تأييد الكذاب على كذبه ، من غير أن يتبين (٣) كذبه ،ولهذا أعظم الفتن فتنة الدجال الكذاب ، لما اقترن بدعواه الالهية بعض الخوارق ، كان معها مايدل على كذبه من وجوه :

---

(١) في ك و ط (اتمام) .

(٢) في ك وط (بأن) .

(٣) في ك و ط (يبين) .

منها : دعواه الالهية وهو أعور ، والله ليس بأعور ، مكتوب بين عينيه (كافر) يقرؤه كل مؤمن قارئ وغير قارئ ، والله ـ تعالى ـ لايراه أحد حتى يموت . وقد ذكر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذه العلامات الثلاث في الأحاديث الصحيحة (١) ، فأما تأييد الكذاب ، ونصره ، واظهار دعوته دائما ، فهذا لم يقع قط ، فمن يستدل على مايفعله الرب ـ سبحانه ـ بالعادة والسنة ، فهذا هو الواقع ، ومن يستدل (٢) على ذلك (٣) بالحكمة ، فحكمته تناقض أن يفعل ذلك ، اذ الحكيم لايفعل هذا ، وقد قال ـ تعالى ـ : ﴿ ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار ، ثم لايجدون وليا ولانصيرا ﴾ سنة الله التي قد خلت من قبل (٤) ، ولن تجد لسنة الله تبديلا ﴾ . فأخبر أن سنة الله التي (٥) لاتبديل لها نصر المؤمنين على الكافرين .

والايمان المستلزم لذلك يتضمن طاعة الله ورسوله ، فاذا نقض الايمان بالمعاصي كان الأمر بحسبه ، كما جرى يوم أحد . وقال ـ تعالى ـ : ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم (٦) : لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من احدى الأمم ، فلما جاءهم نذير مازادهم الا نفورا ﴾ أستكبارا في الأرض ومكر السيء (٧) ، ولايحيق المكر السيء الا بأهله ، فهل ينظرون الا سنة الأولين ، فلن تجد لسنة الله تبديلا ، ولن تجد لسنة الله تحويلا ﴾ (٨) . فأخبر أن الكفار لاينظرون الا سنة الأولين (٩) ، ولايوجد لسنة الله تبديل (١٠) ، تستبدل بغيرها ، ولاتتحول ، فكيف النصر للكفار على المؤمنين الذين يستحقون هذا الاسم ؟ .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الفتن ، باب الدجال ١٣ : ٩١ (٧١٣١) من الفتح ، ومسلم ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، ٤ : ٢٢٤٨ ـ ٢٢٤٩ (٢٩٣٣ ـ ٢٩٣٤) .

(٢) سقطت (ومن يستدل) من ك و ط . (٣) في ك و ط زيادة (ايضا) .

(٤) سورة الفتح : ٢٢ ـ ٢٣ .

(٥) لم يرد لفظ الجلالة المعظم في آ ، وفيها (سنته) .

(٦) جهد أيمانهم : أشد الأيمان وأبلغها . صفوة ٢٢ : ٥٨٠

(٧) مكر السيء : أي المكر السيء بالرسول وبالمؤمنين ليفتنوا ضعفاء الايمان عن دين الله . المصدر والموضع السابق . (٨) سورة فاطر : ٤٢ ـ ٤٣ .

(٩) في ك (تبديلا) بالنصب . (١٠) في ك و ط (لاتبدل) .

وكذلك قال في المنافقين ـ وهم الكفار في الباطن دون الظاهر ـ ومن فيه شعبة نفاق : ﴿ لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون (١) في المدينة لنغرينك بهم ، ثم لايجاورونك فيها الا قليلا * ملعونين أينما ثقفوا ، أخذوا وقتلوا تقتيلا * سنة الله التي قد خلت من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلا ﴾ (٢) . والسنة : هي العادة (٣) فهذه عادة الله المعلومة ، فاذا نصر من ادعى النبوة واتباعه على من خالفه ، اما ظاهرا و باطنا، واما باطنا ، نصرا مستقرا (٤) ، كان ذلك دليلا (٥) على أنه نبي صادق (٦) ، اذ كانت سنة الله وعادته نصر المؤمنين بالأنبياء الصادقين على الكافرين والمنافقين ، كما أن سنته تأييدهم بالآيات البينات وهذه منها .

---

(١) المرجفون : ناس كانوا يرجفون بأخبار السوء عن سرايا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيقولون : هزموا وقتلوا ، وجرى عليهم كيت وكيت فيكسرون بذلك قلوب المؤمنين ، يقال : ارجف بكذا : اذا أخبر به على غير حقيقة ، لكونه خبرا متزلزلا غير ثابت ، من الرجفة : وهي الزلزلة . الكشاف ٣ : ٢٧٤ .

(٢) سورة الأحزاب : ٦٠ ـ ٦٢ .

(٣) انظر اللسان ١٣ : ٢٢٥ ـ ٥٢٦ مادة : سنن .

(٤) في ك و ط (اما ظاهرا واما باطنا) .

(٥) في ك و ط (فان) .

(٦) في ط (دليل) .

ومن ادعى النبوة وهو كاذب ، فهو من أكفر الكفار ، وأظلم الظالمين ، قال ـ تعالى ـ : ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا ، أو قال أوحي إليَّ ولم يوح اليه شيء ، ومن قال سأُنزل مثل ما أنزل الله ...﴾ (١) وقال ـ تعالى ـ : ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه ﴾ (٢) وقال ـ تعالى ـ : ﴿ فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ؟ ان الله لايهدى القوم الظالمين ﴾ (٣) .

ومن كان كذلك ، كان الله يمقته ، ويبغضه ، ويعاقبه ، ولايدوم أمره ، بل هو كما قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الحديث الصحيح ، عن أبي هريرة ، قال : " ان الله يملي (٤) للظالم ، فاذا أخذه لم يفلته " ثم قرأ: ﴿ وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة ، ان أخذه أليم شديد ﴾ (٥) وقال أيضا في الحديث (٦) الصحيح عن أبي موسى ، أنه قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " مثل المؤمن : كمثل الخامة (٧) من الزرع تفيئها (٨) الرياح

---

(١) سورة الأنعام : ٩٣ .

(١) بعد هذه الآية في ك و ط زيادة : وقال ـ تعالى ـ ﴿ فمن اظلم ممن كَذَبَ على الله وكذب بالصدق اذ جاءه ... ﴾ سورة الزمر : ٣٢ .

(٢) سورة العنكبوت : ٦٨ .

(٣) سورة الأنعام : ١٤٤ .

(٤) يملي : يمهل ويؤخر ويطيل له في المدة . وهو مشتق من الملوة وهي المدة والزمان . شرح النووى لمسلم ١٦ : ١٣٧ .

(٥) سورة هود : ١٠٢ .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، سورة هود ، باب : " وكذلك أخذ ربك.." ٨ : ٣٥٤ (٤٦٨٦) من الفتح بمثله . ومسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الظلم ، ٤ : ١٩٩٧ ـ ١٩٩٨ (٢٥٨٣) .

(٦) سقطت كلمة (الحديث) من ط .

(٧) الخامة : الغضة الرطبة من النبات . مختار : ١٩٣ .

(٨) في ط (تقيمها) .

تقومها تارة[١] وتميلها أخرى ، ومثل المنافق : مثل شجرة الأرز[٢] لاتزال ثابتة على أصلها حتى يكون انجعافها مرة واحدة[٣] " . فالكاذب الفاجر وان أعطي دولة[٤] ، فلا بد من زوالها بالكلية وبقاء ذَمّه ، ولسان السوء له في العالم ، وهو يظهر سريعا ، ويزول سريعا ، كدولة الأسود العنسي ، ومسيلمة الكذاب ، والحارث الدمشقي[٥] ، وبابا الرومي[٦] ونحوهم .

---

(١) في ك (تقيمها). وقد سقطت من ط .

(٢) شجرة الأرز : هو ذكر الصنوبر ، وليس هو من نبات أرض العرب ، ولاينبت في السباخ ، بل يطول طولا شديدا ويغلظ . انظر الفتح ١٠ : ١٠٧ .

(٣) صحيح البخاري بنحوه ، كتاب المرضى ، باب ماجاء في كفارة المرض ، ١٠ : ١٠٣ (٥٦٤٣) من الفتح . ومسلم ، بنحوه من عدة ر وايات ،كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، ٤ : ٢١٦٣ – ٢١٦٤ (٢٨٠٩ – ٢٨١٠) .

(٤) في ك و ط (عظمت دولته) .

(٥) الحارث الدمشقي : هو الحارث بن سعيد أو ابن عبد الرحمن بن سعيد ، مولى أبي الجلاس العبدري ، ويقال : مولى الحكم بن مروان ، كان أصله من الجولة فنزل دمشق،وتعبد بها وتنسك وتزهد،ثم ارتد وتنبأ وصارت له أحوال شيطانية،فبلغ أمره عبد الملك بن مروان فطلبه حتى أخرجه من بيت المقدس وصلبه وقتله بعدأن وعظه رجال من أهل العلم والفقه وذلك سنة ٧٩ هـ . البداية والنهاية ٩ : ٢٧ – ٢٩ . وتلبيس ابليس : ٣٧٧ – ٣٨٠ للحافظ عبد الرحمن بن الجوزي – ٥٩٧هـادارة الطباعة المنيرية ، مصر ١٣٤٧ هـ – ١٩٢٨ م .

(٦) لم أجد له أي ذكر .

وأما الأنبياء ، فانهم يبتلون كثيرا ، ليمحصوا[١] بالبلاء ، فان الله انما يمكن العبد اذا ابتلاه[٢] ويظهر أمرهم شيئا فشيئا ، كالزرع ، قال - تعالى - : ﴿ محمد رسول الله والذين معه ، أشداء على الكفار ، رحماء بينهم ، تراهم ركعا سجدا ، يبتغون فضلا من الله ورضوانا، سيماهم في وجوههم من أثر السجود ، ذلك مثلهم في التوراة ، ومثلهم في الانجيل : كزرع أخرج شطأه[٣] ، فآزره[٤] ، فاستغلظ ، فاستوى على سوقه[٥] ، يعجب الزراع ،ليغيظ بهم الكفار،وَعَد[٦] الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما﴾. ولهذا كان أول مايتبعهم ضعفاء الناس ، فاعتبار هذه الأمور ، وسنة الله في أوليائه وأنبيائه الصادقين ، وفي أعداء الله والمتنبئين الكذابين ، مما يوجب الفرق بين النوعين ، وبَيْن دلائل النبي الصادق ودلائل المتنبيء الكذاب .

---

(١) ليمحصوا : ليخلصوا من الشوائب . مختار : ٦١٦ .

(٢) في ط (ابتلاء).

(٣) في ك و ط زيادة تفسيرية وهي (أى فراخه) .

(٤) في ك و ط زيادة تفسيرية وهي (أي قواه) .

(٥) في ك و ط زيادة تفسيرية وهي (أي قوائمه) .

(٦) سورة الفتح : ٢٩ .

وقد ذُكر ابتلاء النبي والمؤمنين ، ثم كون العاقبة لهم في غير موضع ، كقوله - تعالى - ﴿ ولقد كُذبت رسل من قبلك ، فصبروا على ماكُذبوا ، وأوذوا ، حتى أتاهم نصرنا ، ولامبدل لكمات الله ، ولقد جاءك من نبأ المرسلين ﴾ (١) . وقال - تعالى - : ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم ؟ مستهم البأساء والضراء ، وزلزلوا ، حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه : متى نصر الله ؟ الا ان نطر الله قريب ﴾ (٢) .

وقال - تعالى - : ﴿ وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم ، من أهل القرى ، أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم؟ ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون ؟ * حتى اذا استيأس الرسل ، وظنوا أنهم قد كُذِبوا ، جاءهم نصرنا ، فنجي من نشاء ، ولايرد بأسنا عن القوم المجرمين * لقد كان في قَصَصِهم عبرة لأولي الألباب ، ماكان حديثا يفترى ، ولكن تصديق الذي بين يديه ، وتفصيل كل شيء ، وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ (٣) .

---

(١) سورة الأنعام : ٣٤ .

(٢) سورة البقرة : ٢١٤ .

(٣) سورة يوسف : ١٠٩ - ١١١ .

فصـــل

(دلائل النبـــــــــوة
أخبـارتحمل الترغيـــب
والترهيـــــــــــب)

ومما ينبغي أن يعرف ، أن الادلة نوعان :

نوع : يدل على مجرد العلم بالمدلول عليـــــه .

ونوع : يحض مع ذلك ـ على الرغبة فيه ، أو الرهبة منـــه .

فالأول (١) : من جنس الخبر المجرد . والثاني : من جنس الحث والطلب والارادة والأمر بالشيء ، والنهي عنه ، وذلـــك كمن علم أن في المكان الفلاني جمادات أو حيوانـــــات ، أو نبات ليس له فيها غرض ، لاحب ، ولابغض ، فليس هـــو بمنزلة من علم أن في المكان الفلاني صديقه ، وولـــده ، ومحبوبه ، وماله ، وأهله ، وأهل دينه ، وفي المكـــان الفلاني عدوه ، ومبغضه ، ومن يقطع عليه الطريـــــق ، ويقتله ، ويأخذ ماله . فكذلك دلائل النبوة ، هي كلهـا تدل على صدق النبي ، ثم يُعلم مايخبر به النبي مـــــن الأمر والنهي ، والوعد والوعيد ، لأنه أخبر عن الله بذلـك وهو صادق فيما يخبر به ، فهذا طريق صحيح عام .

وأما اثبات نبوة الأنبياء : بما فعله بهـــــم وبأتباعهم من النجاة والسعادة ، والنصرة وحسن العاقبة ، وماجعله لهم من لسان الصدق ، ومافعله بمكذبيـــــــه ومخالفيه من الهلاك والعذاب ، وسوء العاقبـــــــة ،

---

(١) في أ (والأول) .

وإتباعهم اللعنة في الدنيا ، مع عذاب الآخرة ، فهذا يدل ـ مع صدق الأنبياء (*) ـ على الرغبة في اتباعهم ، والرهبة من مخالفتهم ، ففيه العلم بصدقهم ، والموعظة (١) . والوعظ : هو أمر ونهي بترغيب وترهيب ، قال ـ تعالى ـ : ﴿ ولو أنهم فعلوا مايوعظون به ...﴾ (٢) أي يؤمرون به (٣) وقال: ﴿ يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا ان كنتم مؤمنين ﴾ (٤) أي ينهاكم الله أن تعودوا لمثله ، وهذه الطريق أكمل وأبلغ في حصول المقصود ، فانها تفيد العلم بصدقهم ، والرغبة في اتّباعهم ، والرهبة من خلافهم ، وتفيد (٥) صحة الدين الذي دعوا اليه ، وسعادة أهله ، وفساد الدين المخالف لدينهم وشقاوة أهله .

ولهذا كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقرأ في صلاة العيد (٦) ب (قاف) و (اقتربت الساعة) (٧) لما فيهما من بيان ذلك ، وسورة قاف ،كان يقرأ بها في الجمعة (٨) ، فانها جامعة لاثبات النبوات والمعاد (٩) ، وبيان حال متبعي الأنبياء ومخالفيهم في الدنيا ، كما قال ـ تعالى ـ فيها : ﴿ كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود * وعاد وفرعون واخوان لوط * وأصحاب الأيكة وقوم تبع (١٠) ، كل كذب الرسل فحق وعيد (١١) ﴾ .

---

(١) في ك و ط زيادة (للخلق) .

(٢) سورة النساء : ٦٦ .

(٣) في ك و ط زيادة قوله ـ تعالى ـ : ﴿ ... لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا * واذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما * ولهديناهم صراطا مستقيما ﴾ سورة النساء : ٦٦ ـ ٦٨ .

(٣) في ك وط زيادة : (أي ولو أنهم فعلوا مايوعظون به ، ومايؤمرون به) وفي ك (مايوعظون به : يؤمرون به) .

(٤) سورة النور : ١٧ .

(*) في أ (النبي) . وكذلك اكسفورد .

=

.....

= (٥) في ك و ط زيادة : ثبوت .

(٦) في ك و ط زيادة : (المجامع الكبار ، كصلاة) .

(٧) صحيح مسلم ، كتاب صلاة العيدين ، باب مايقرأ به في صلاة العيدين ، ٦٠٧:١(٨٩١). وسنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب مايقرأ في الأضحى والفطر ١ : ٣٠٠ (١١٥٤) .وسنن الترمذي ، أبواب الصلاة ، باب ماجاء في القراءة في العيدين ، ٢ : ٤١٥ (٥٣٤) .وسنن النسائي كتاب صلاة العيدين ، باب القراءة في العيدين بقاف واقتربت ٣ : ١٨٣ . والموطأ ، كتاب العيدين ، باب ماجاء في التكبير والقراءة في العيدين ، ١ : ١٨٠ .

(٨) صحيح مسلم : كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة ، ٢ : ٥٩٥ (٨٧٣) وسنن أبي داود ، كتاب الصلاة . باب الرجل يخطب على قوس ١ : ٢٨٨ (١١٠٠) وسنن النسائي ، كتاب الجمعة ،باب القراءة في الخطبة ، ٣ : ١٠٧ .

(٩) في ك و ط زيادة : مع مافيها من التوحيد وأصول الشرائع .

(١٠) قوم تُبع : هم عرب من قحطان وهم حِمْيَر أهل سبأ ، وتُبع : اسم جنس لكل من ملك اليمن ، وقد اتفق أن بعض تبابعتهم خرج من اليمن وسار في البلاد حتى وصل سمرقند واشتد ملكه وعظم سلطانه وجيشه ومر بالمدينة النبوية في أيام الجاهلية ، فأراد قتالهم ثم كف عنهم ، وقد ورد ماينهى عن سبه ولعنه ، وكأنه كان كافرا ثم أسلم ، وتابع دين موسى ـ عليه السلام ـ وقد أسلم قومه على يديه ، ثم لما مات عادوا بعده الى عبادة الأصنام والنيران ، فعاقبهم الله ـ تعالى ـ وتبع هذا هو تبع الأوسط واسمه: أسعد أبو كريب بن مَلْكيكرب اليماني ، ذكروا أنه مَلَكَ قومه مدة =

.....

= ٣٢٦ سنة ولم يكن في حمير أطول مدة منه ، وأنه توفى قبل مبعث النبي ـ صلى الله عليه وسلم بنحو٧٠٠ سنة . انظر تفسير القرآن العظيم ٧ : ٢٤٢ ـ ٢٤٣ . والسيرة لابن هشام ١ : ٢١ ـ ٣٠ .

(١١) سورة قاف : ١٢ ـ ١٤ .

فصـــل

(من طلب آية ثانية وثالثة : هل يجاب؟ والحكمة من تتابع الآيات)

ومما ينبغي أن يعلم : أن الله اذا أرسل نبيا وأتى بآية دالة على صدقه ، قامت بها الحجة ، وظهرت بها المحجة ، فمن طالبهم بآية ثانية ، لم تجب اجابته الى ذلك ، بل وقد لاينبغى ذلك ، لأنه اذا جاء بآية ثانية ، طولب بثالثة ، واذا جاء بثالثة ، طولب برابعة ، وطلب المتعنتين لامد له ، ومعلوم أنه من قامت عليه حجة (١) في مسألة علم أو حق من حقوق العباد (٢) التي يتخاصمون فيها ، وقال : أنا لاأقبل حتى تقوم عليه حجة ثانية وثالثة ، كان ظالما متعديا ، ولم يجب (٣) اجابته الى ذلك ، ولايُمَكِّن الحكامُ الخصومَ من ذلك ، بل اذا قامت البينة بحق المدعِي حُكم له بذلك ، ولو قال المطلوب أريد بينة ثانية وثالثة ورابعة ، لم يُجَب الى ذلك . فحق الله الذي أوجبه على عباده من توحيده والايمان به وبرسله أولى ،اذا أقام بينة أوجبت على الخلق الايمان برسله ، أن لايجب اجابة الطالب الى ثانية وثالثة .

---

(١) في ك و ط (فإن طلب) .

(٢) في ك و ط زيادة : (وبينة) .

(٣) في ك و ط (تجب) .

ثم قد يكون في تتابع الآيات حكمة ، فيتابع ـ تعالى ـ بين الآيات ، كما أرسل محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ بآيات متعددة ، لعموم دعوته وشمولها ، فان الأدلة كلما كثرت وتواردت على مدلول واحد كان أوكد ،وأظهر وأيسر لمعرفة الحق ، فقد يَعْرِف دلالة أحد الأدلة من لايَعْرِف الآخر ، وقد يبلغ هذا مالم يبلغ هذا ، وقد يرسل الأنبياء بآيات متتابعة ، وتُقَسَّى (١) قلوب الكفار عن الايمان ، لتتابع الآيات آية بعد آية ، لينتشر ذلك ويظهر، ويبلغ ذلك قوما آخرين ، فيكون ذلك سببا لايمانهم ، كما فُعِل بآيات موسى وآيات محمد ، كما ذُكِر في التوراة أنه يقسي قلب فرعون ، لتظهر عجائبه وآياته (٢) ، وكما صد المكذبين عن الايمان بمحمد حتى يمانعوه (٣) ، ويسعوا في معارضته ، والقدح في آياته ، فيظهر بذلك عجزهم عن معارضة القرآن وغيره من آياته ، فيكون ذلك من تمام ظهور آياته وبراهينه ، بخلاف مالو اتبع ابتداء بدون ذلك ، فانه قد كان يُظَن أنهم قادرون على معارضته ، وكذلك ـ أيضا ـ يكون في ذلك على يقينه (٤) ، وصبره ، وجهاده ، ويقين من آمن به (٥) ، وصبرهم ، وجهادهم ، ماينالون به عظيم الدرجات في الدنيا والآخرة .

---

(١) في ك و ط (يقسي) .

(٢) سفر الخروج ، الاصحاح السابع : ٤ ـ ٥ والاصحاح الثامن : ٢٠ والاصحاح التاسع : ١٣ والاصحاح الحادي عشر : ١٠ . العهد القديم : ٧٩ و ٨١ و ٨٣ ـ ٨٥ .

(٣) في ك و ط زيادة : (يعارضوه ،و) .

(٤) في ك و ط (من) .

(٥) هكذا في ك و ط (آمن به) وفي أ (من أمره) ومافي ك و ط أولى .

وقد تقتضي الحكمة أن لايرسل بالآيات التي توجب عذاب الاستئصال ، كما ذكره الله في كتابه ، من أن الكفار كانوا يقترحون على الأنبياء آيات غير الآيات التي جاؤا بها ، فتارة يجيبهم الله الى ذلك ، لما فيه من الحكمة والمصلحة ، وتارة لايجيبهم ، لما في ذلك من المضرة والمفسدة ، عند جمهور أهل الملل من المسلمين وغيرهم ، الذين يقولون : انه يفعل للحكمة . ومن لم يعلل أفعاله يرد ذلك الى محض المشيئة ، ويقول : اقترن بالمراد والمفسدة عادة وسنة من الله ، وان لم يفعل هذا لهذا .

وقد كان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ربما طلب تلك الآيات ، رغبة منه في ايمانهم بها ، فيجاب بأن الآيات لاتستلزم الهدى ،بل تستلزم اقامة الحجة ، وتوجب عذاب الاستئصال لمن كذب بها ، والله ـ تعالى ـ قد يظهر الآيات الكثيرة مع طبعه على قلب الكافر ، كما فعل بفرعون وأبي لهب وغيرهما ، لما في ذلك من الحكمة العظيمة ، كما دل على ذلك القرآن والتوراة وغيرهما ، وقد بين(١) أنه لايظهرها لانتفاء الحكمة فيها ، أو لوجود المفسدة ، قال ـ تعالى ـ : ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم ، لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها ، قل انما الآيات عند الله ، ومايشعركم أنها اذا جاءت لايؤمنون ﴾ ونقلب أفئدتهم وأبصارهم ، كما لم يؤمنوا به أول مرة ، ونذرهم في طغيانهم يعمهون(٢) ﴿ ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة ، وكلمهم الموتى ،وحشرنا عليهم كل شيء قبلا(٣) ، ماكانوا ليؤمنوا ـ الا أن يشاء الله ـ ولكن أكثرهم يجهلون(٤) ﴾

---

(١) في ك و ط (تبين) .

(٢) يعمهون : يتخبطون ويترددون متحيرين . صفوة ٧ : ٤١١

(٣) قبلا : مقابلة ومواجهة وعيانا ومشاهدة . المصدر السابق ٧ : ٤١٢ ـ ٤١٣ .

(٤) سورة الأنعام : ١٠٩ ـ ١١١ .

وقال - تعالى - : ﴿ ومامنعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الأولون ، وآتينا ثمود الناقة مبصرة (١) فظلموا بها ، ومانرسل بالآيات الا تخويفاً (٢) ﴾ . بين - سبحانه - أنما منعه (٣) أن يرسل بالآيات الا تكذيب الأولين بها ، الذي استحقوا بها الهلاك ، فاذا كذب بها هؤلاء استحقوا ما استحقه أولئك من عذاب الاستئصال ، وهذا المعنى مذكور في عامة كتب التفسير والحديث ، وغيرها من كتب المسلمين ، وهو معروف بالأسانيد الثابتة عن الصحابة والتابعين لهم باحسان ، فقد ذكر المفسرون مارواه أهل التفسير والحديث والمسند وغيرهم من حديث الأعمش ، عن جعفر بن اياس (٤) ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس ، قال : " سأل أهل مكة النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يجعل لهم الصفا ذهبا ، وأن ينحي عنهم الجبال حتى يزرعوا ، قال: فقيل له : ان شئت تسأني بهم (٥) وان شئت أن تؤتيهم الذي سألوا ، فان كفروا هلكوا كما أهلكت من قبلهم ، قال : " لابل أستأتى بهم " فأنزل الله هذه الآية (٦) : ﴿ ومامنعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الأولون ... ﴾ .

---

(١) مبصرة : أي آية بينة ومعجزة ساطعة واضحة . صفوة ١٥ : ١٦٥ .

(٢) سورة الاسراء : ٥٩

(٣) في ك (أنه انما) وفي ط (انه ما) .

(٤) جعفر بن إياس : هو أبو بشر بن أبي وحشية ، ثقة من أثبت الناس في سعيد بن جبير ، مات سنة ١٢٤ هـ وهو ساجد خلف المقام . سير ... النبلاء ٥ : ٤٦٥ - ٤٦٦ ، وتقريب ١ : ١٢٩ .

(٥) في ك و ط زيادة : (نجتبي منهم) .

(٦) سروة الاسراء : ٥٩ .

=

.....

= (٦) أخرجه ابن جرير في جامع البيان ١٥ : ١٠٨ والامام أحمد في المسند ١ : ٢٥٨ وأورده الهيثمي في المجمع ٧ : ٥٠ بروايتيه وقال :"ورجال الروايتين رجال الصحيح . الا أنه وقع في أحد طرق عمران بن الحكم وهو وهم ، وفي بعضها عمران أبو الحكم وهو ابن الحارث وهو الصحيح . ورواه البزار بنحوه". وأخرجه الحاكم في المستدرك ، كتاب التفسير ٢ : ٣٦٢ وقال :" هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه "، ووافقه الذهبي .

(٦) في ك و ط زيادة : (رواه أحمد والنسائي من حديث جرير ، عن الأعمش . وروى الامام أحمد ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، أنبأنا سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، عن عمران بن حكيم ، عن ابن عباس قال :" قالت قريش للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ :" ادع لنا ربك يجعل لنا الصفا ذهبا ، ونؤمن لك ، قال : " وتفعلون ؟" قالوا : نعم . قال : فدعا ، فأتاه جبريل ، فقال : ان ربك يقرئك السلام ، ويقول : ان شئت أصبح الصفا لهم ذهبا ، فمن كفر منهم بعد ذلك عذبته عذابا لاأعذبه أحدا من العالمين . وان شئت فتحت لهم باب التوبة والرحمة ، قال : بل باب التوبة والرحمة".

وروى ابن أبي حاتم وغيره ، عن مالك بن دينار ، قال :" سمعت الحسن (١) البصري في قوله : ﴿ ومامنعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الأولون ...﴾ (٢) ، قال : رحمة لكم آيتها الأمة ، أنا لو أرسلنا بالآيات فكذبتم بها ، أصابكم ما أصاب من قبلكم " (٣) .

وفي الانجيل : أن اليهود طلبوا من المسيح آية من السماء ، فقال لهم المسيح : " الأمة الفاجرة تطلب آية ولاتعطى الا مثل آية نونان (٤) " .

---

(١) في ك و ط زيادة (يعنى) .

(٢) سورة الاسراء : ٥٩ .

(٣) أخرجه ابن جرير في جامع البيان ١٥ : ١٠٨ . واسناده : حدثني اسحاق ابن وهب ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا مسعود بن عباد عن مالك ابن دينار عن الحسن .

(٤) في ط (يونان) .

(٤) في ك و ط زيادة :(يعنى ذا النون).

(٤) نونان : تسمية بالنون وهو الحوت ، وذو النون لقب يونس بن متى ـ عليه السلام . مختار : ٦٨٦ .

(٤) نص الترجمة الحالية : " حينئذ أجاب قوم من الكتبة والفريسيين قائلين: يامعلم ! نريد أن نرى منك آية . فأجاب وقال لهم : جيل شرير وفاسق يطلب آية ، ولاتعطى له آية ، الا آية يونان النبي ، لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال ، هكذا يكون ابن الانسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال " . انجيل متى ، الاصحاح الثاني عشر : ٣٨ ـ ٤٠ العهد الجديد : ٢٠ .

وقد كانت الآيات يأتي بها محمد (١) ـ صلى الله عليه وسلم ـ آية بعد آية ، فلا يؤمنون بها . قال ـ تعالى : ﴿ وماتأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين ﴿ فقد كذبوا بالحق لما جاءهم ، فسوف يأتيهم أنباء ماكانوا به يستهزئون ﴿ ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض مالم نمكن لكم ، وأرسلنا السماء عليهم مدرارا (٢) ،وجعلنا الأنهار تجرى من تحتهم ، فأهلكناهم بذنوبهم ، وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين ﴿ ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس ، فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا : ان هذا الا سحر مبين ﴿ وقالوا : لولا أنزل عليه ملك ، ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لاينظرون ﴿ ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا ، وللبسنا عليهم مايلبسون (٣) ﴿ ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ماكانوا به يستهزؤن ﴿ قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين (٤) ﴿ .

---

(١) لم يرد الاسم الشريف في ط .

(٢) مدرارا : حال من السماء ، يوصف به المذكر والمؤنث ، وهو للمبالغة في اتصال المطر ودوامه وقت الحاجة . البحر المحيط ٤ : ٧٧ .

(٣) أي لخلطنا عليهم مايخلطون على أنفسهم وعلى ضعفائهم ، فانهم لو رأوا الملك في صورة انسان قالوا : هذا انسان وليس بملك ، وهم لايستطيعون النظر الى الملائكة من النور فلابد أن يأتيهم الملك في صورة رجل . المصدر السابق ٤ : ٧٩ ، وعفوة ٧ : ٣٨٠ .

(٤) سورة الأنعام : ٤ ـ ١١ .

أخبر- سبحانه -بأن الآيات تأتيهم ، وماتأتيهم من آية[١] الا أعرضوا عنها ، وأنهم بتكذيبهم الحق سوف يرون صدق ماجاء به الرسول ، كما أهلك من قبلهم بذنوبهم التي هي تكذيب الرسول ، فان الله يقول : ﴿ وماكان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها[٢] رسولا يتلو عليهم آياتنا ، وماكنا مهلكي القرى الا وأهلها ظالمون[٣] ﴾ .

وأخبر بشدة[٤] كفرهم ،بأنه لو أنزل عليهم كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا منهم : ان هذا الا سحر مبين. وبين - سبحانه- أنه لو جعل الرسول ملكا لجعله على صورة الرجل ، اذ كانوا لايطيقون أن يروا الملائكة في صورهم ، وحيئذ فكان اللبس يقع لظنهم أن الرسول بشر لا ملك .

---

(١) في ط (آيات) .

(٢) أمها : أصلها وعظيمتها ، كأمهات الرساتيق (المناطق) و الأقاليم والأولى أن تكون مكة - شرفها الله - . تفسير القرآن العظيم ٦ : ٢٥٨ .

(٣) سورة القصص : ٥٩ .

(٤) في ك و ط زيادة : (من قوة) .

وقال ـ تعالى ـ ﴿ وقالوا لن نؤمن لك حتى تَفْجُر لنا من الأرض ينبوعا(١) ﴾ أو تكون لك جنة من نخيل وعنب ، فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا ﴿ أو تسقط السماء ـ كما زعمت ـ علينا كسفا(٢) ، أو تأتى بالله والملائكة قبيلا(٣) ﴾ أويكون لك بيت من زخرف ، أو ترقى في السماء ، ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ، قل : سبحان ربي ، هل كنت الا بشرا رسولا ﴿ ومامنع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا أن قالوا : أبعث الله بشرا رسولا ﴾ قل لوكان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا(٤) ﴿ .

وهذه الآيات التي اقترحوها لو أجيبوا بها ولم يؤمنوا أتاهم عذاب الاستئصال كما تقدم(٥) . ـ وأيضا ـ فهي مما لايصلح الاتيان بها ، فان قولهم: حتى تَفْجُر لنا من الأرض ينبوعا. يقتضي تفجير الينبوع بأرض مكة ، فيصير واديا ذا زرع ، والله من حكمته جعل بيته بواد غير ذي زرع ، لئلا يكون عنده ماترغب النفوس فيه من الدنيا ، فيكون حجهم للدنيا لالله ، واذا كان له جنة من نخيل وأعناب يُفَجِّر(٦) الأنهار خلالها تفجيرا ، كان في هذا من التوسع في الدنيا مايقتضي نقص درجته وانخفاض منزلته . وكذلك اذا كان له بيت من زخرف ، والزخرف(٧) : الذهب . وأما اسقاط السماء كسفا ، فهذا لايكون الى يوم القيامة(٨) ، وهو لم يخبرهم أن هذا لا يكون الا يوم القيامة(٩) . فقولهم: كما زعمت . كذب عليه ، الا أن يريدوا التمثيل ، فيكون القياس فاسدا(١٠) .

---

(١) ينبوعا : أي عينا غزيرة من شأنها أن تنبع بالماء لاتنقطع. الكشاف ٢ : ٤٦٥ .

(٢) كسفا . قطعا قطعا . صفوة ١٥ : ١٧٦ .

(٣) قبيلا : كفيلا بما تقول ، شاهداً بصحته ، أو مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر ونحوه ، أو جماعة . حالا من الملائكة .الكشاف ٢ : ٤٦٦ .

(٤) سورة الاسراء : ٩٠ ـ ٩٥

(٥) في ط زيادة (بها) .

(٦) في ك و ط (ففجر) .

(٧) انظر اللسان ٩:١٣٢ مادة : زخرف .

(٨) في ط (الا) .

(٩) سقطت (لا) من ك و ط .

(١٠) في ط (فاسد) .

وأما الاتيان بالله والملائكة قبيلا ، فهذا لما سأل قوم موسى ماهو دونه أخذتهم الصاعقة . قال ـ تعالى ـ ﴿ واذ قلتم : ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ، فأخذتكم الصاعقة ، وأنتم تنظرون ﴿ ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون ﴾ (١)

وأما انزال الكتاب فقد قال ـ تعالى ـ : ﴿ يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء ، فقد سألوا موسى أكبر من ذلك ، فقالوا : أرنا الله جهرة ، فأخذتهم الصاعقة ـ بظلمهم ـ ، ثم اتخذوا العجل ، من بعد ماجاءتهم البينات ، فعفونا عن ذلك ، وآتينا موسى سلطانا مبينا ﴿ ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم ، وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا ، وقلنا لهم لاتعدوا في السبت ، (٢) وأخذنا منهم ميثاقا غليظا ﴿ فبما نقضهم ميثاقهم ، وكفرهم بآيات الله ، وقتلهم الأنبياء بغير حق ، وقولهم : قلوبنا غلف (٣) ، بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا ﴿ وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما ﴿ وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله

---

(١) سورة البقرة : ٥٥ .

(٢) يقال : عدا عليه أشد العداء والعدو والعدوان : أي ظلمه وجاوز الحد،وهو نهي لهم عن العمل والكسب يوم السبت . التفسير الكبير ١١ : ٩٨ .

(٣) غُلْف : اما ان يكون جمع غلاف ، والمعنى : انها أوعية للعلم ، فلاحاجة لهم الى علم سوى ماعندهم ، وهو كذب على الأنبياء . واما أن يكون جمع أغلف ، وهو المتغطي بالغلاف ، والمعنى : ان قلوبهم في اغطية فهى لاتفقه ماتقول الرسل . انظر المصدر السابق ١١ : ٩٩.

وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم (١) وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم به من علم الا اتباع الظن وماقتلوه يقينا * بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما * وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ، ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا * فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم،وبصدهم عن سبيل الله كثيرا * وأخذهم الربا وقد نهوا عنه ...* (٢).

---

(١) للمفسرين عدة أقوال في قضية الشبه ، وقد جاء عن ابن عباس ـ باسناد صحيح اليه ـ كما يقول ابن كثير ـ أن عيسى طلب من أصحابه أن يستعد أحدهم لالقاء شبهه عليه ، فتطوع لذلك أحدثهم سنا ، فأخذه اليهود فقتلوه وصلبوه . ويرى ابن جرير أن الشبه ألقي على أصحابه جميعا ، وأما الرازي فقد استبعد القاء الشبه بهذه الصورة ، وفسرها بأن اليهود لما لم يجدوا المسيح أخذوا رجلا وقتلوه وصلبوه مكان المسيح تمويها على العامة ، ولم يكتشف الناس ذلك ، نظرا لقلة معرفتهم بالمسيح ، لندرة اختلاطه بالناس ، فهو بذلك يسند التشبيه الى اليهود . هذا وأنني لا أرى موجبا للجزم بهذا الرأي أو ذاك ، مادام أن القرآن لم يصرح في هذه القضية بشيء ، وأصح مافيها من الآثار هو مايثبت موقوفا على ابن عباس . ويكفي ان يتفق العلماء على ادانة اليهود بمحاولة قتله ـ عليه السلام ـ وصلبه . انظر جامع البيان ٦ : ١٥ ـ ١٦، والتفسير الكبير ١١ : ١٠٢ ، وتفسير القرآن العظيم ٢ : ٤٠٠ ـ ٤٠٣ .

(٢) سورة النساء : ١٥٣ ـ ١٦١ .

(٢) في ك و ط زيادة قوله ـ تعالى ـ * ... وأكلهم أموال الناس بالباطل، واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما * .

بين ـ سبحانه ـ أن المشركين سألوه انزال كتاب وان (١) أهل الكتاب سألوه ذلك وبين ـ سبحانه ـ أن الطائفتين لاتؤمن (٢) اذا جاءهم (٣) ذلك ، وانما سألوه تعنتا ، فقال ـ عن المشركين ـ : ﴿ ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس ، فلمسوه بأيديهم ، لقال الذين كفروا : ان هذا الا سحر مبين ﴾ (٤) .

وذكر من أهل الكتاب أنهم سألوا موسى أكبر من ذلك ، وهو رؤية الله جهرة ، فقال : ﴿ يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء ، فقد سألوا موسى أكبر من ذلك ، فقالوا : أرنا الله جهرة . فأخذتهم الصاعقة بظلمهم (٥) . ثم اتخذوا العجل ، من بعد ماجاءتهم البينات ، فعفونا عن ذلك (٦) . وآتينا موسى سلطانا مبينا.ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لاتعدوا في السبت وأخذنا منهم ميثاقا غليظا (٧) ﴾ فهم مع هذا نقضوا الميثاق ، وكفروا بآيات الله (٨) ،وقتلوا النبيين بغير حق ، الى أمثال ذلك ، وأنه بسبب ظلمهم وصدهم عن سبيل الله حرم عليهم طيبات أحلت لهم ، فكان في هذا من الاعتبار لأمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن هذه الأمة المكذبة بك ، الذين لايهتدون اذا جاءتهم الآيات المقترحة التي اقترحوها ، لم يك (٩) في مجيئها منفعة لهم ، بل فيها مايوجب استحقاقهم عقوبة الاستئصال اذا جاءتهم ، فلم يؤمنوا بها (١٠) ،وتغليظ الأمرعليهم ، فكان أن لايُنْزِل مثل هذه الآيات الموجبة لعذاب الاستئصال أعظم رحمة وحكمة .

---

(١) سقطت (أن) من ط .
(٢) في ط (يؤمنون) .
(٣) هكذا في ك و ط ، وفي أ سقطت (جاءهم) وهو سقط واضح .
(٤) سورة الأنعام : ٧ .
(٥) في ك و ط فصل بين جمل الآية بقوله (وأنهم عبدوا العجل كما قال) ـ وفي ط (لما قال) .
(٦) في ك و ط فصل بين جمل الآية بقوله : (وآن الله آتى موسى سلطانا مبينا ، ورفع الطور فوقهم ، وقال لهم لاتعدوا في السبت وأخذ منهم ميثاقا غليظا ، كما قال) .
(٧) سورة النساء : ١٥٣ .
(٨) في ك و ط (وانهم) .
(٩) في ط (بك) .
(١٠) في ط زيادة : (وبك) .

وقد عرض الله على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يهلك قومه لما كذبوه فقال : " بل استأني بهم لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله لايشرك به شيئا "(١) . كما في الصحيحين عن عائشة ، أنها قالت للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد ؟ فقال : " لقد لقيت من قومك ، وكان أشد مالقيت منهم يوم العقبة ، اذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كُلال(٢) ، فلم يجبني الى ما أردت ، فانطلقت على وجهي وأنا مهموم ، فلم أستفق الا وأنا بقرن الثعالب ، فرفعت رأسي ، فاذا أنا بسحابة قد أظلتني ، فاذا فيها جبريل ، فناداني فقال : ان الله قد سمع قول قومك ومارددوا عليك ، وقد بعث اليك مَلَك الجبال ، لتأمره بما شئت فيهم . فناداني ملك الجبال ، فسلم علي ، وقال : ان الله قد سمع قول قومك ومارددوا عليك ، وقد بعثني اليك ، لتأمرني بما شئت ، ان شئت أن أطبق عليهم الأخشبين(٣) ؟ فقال : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله ، لايشرك به شيئا " أخرجاه(٤) .

---

(١) هذا الحديث أخذه الشيخ بالمعنى من حديث ابن عباس السابق ص : ٨٣٩ . ومن الحديث الذي بعد هذا . وهو حديث عائشة .

(٢) في ط (عبد كلاب) .

(٣) ابن عبد ياليل : اسمه كنانة ، والذي في المغازي أن الذي كلمه هو عبد ياليل نفسه ، وعند أهل النسب أن عبد كلال أخوه لأبوه ، وانه عبد ياليل بن عمرو بن عمير بن عوف ، ويقال : اسم ابن عبد ياليل : مسعود ، وله أخ أعمى له ذكر في السيرة في قذف النجوم عند المبعث النبوي ، وكان ابن عبد ياليل من اكابر أهل الطائف من ثقيف ... وذكر موسى بن عقبة في المغازي ... أنهم إخوة : عبد ياليل وحبيب ومسعود بنو عمرو . الفتح ٦ : ٣١٥ .

(٣) في ط زيادة : (فعلت) .

(٣) الاخشبان : هما جبلا مكة أبو قبيس والذي يقابله ، وكأنه قعيقعان ، وسميا بذلك لعلابتهما وغلظ حجارتهما ، والمراد بأطباقهما أن يلتقيا على من بمكة . الفتح ٦ : ٣١٦ .

(٤) أخرجه البخاري ، بنحوه ، كتاب بدء الخلق ، باب اذا قال أحدكم آمين ... ، ٦ : ٣١٢ ـ ٣١٣ (٣٢٣١) من الفتح . ومسلم بنحوه ، كتاب الجهاد والسير ، باب مالقي النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من أذى المشركين والمنافقين ، ٤ : ١٤٢٠ ـ ١٤٢١ (١٧٩٥) .

ولما طُلِب[1] من المسيح المائدة ، كانت من الآيات الموجبة لمن كفر بها عذابا لم يعذبه أحدا من العالَمين . قال ـ تعالى ـ : ﴿ اذ قال الحواريون: ياعيسى بن مريم ، هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ؟ قال: اتقوا الله ان كنتم مؤمنين ﴿ قالوا : نريد أن نأكل منها ، وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ، ونكون عليها من الشاهدين ﴿ قال عيسى بن مريم: اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء ، تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا ، وآية منك ، وارزقنا وأنت خير الرازقين ﴿ قال الله : اني منزلها عليكم . فمن يكفر بعد منكم فاني أعذبه عذابا لاأعذبه أحدا من العالمين[2] ﴾ .

وكان قبل نزول التوراة يهلك الله المكذبين للرسل بعذاب الاستئصال ، عذابا عاجلا يهلك الله به جميع المكذبين ، كما أهلك قوم نوح ، وكما أهلك عادا وثمود ، وأهل مدين ، وقوم لوط ، وكما أهلك قوم فرعون ، وأظهر آيات كثيرة لما أرسل موسى ليبقى ذكرها وخبرها في الأرض ، اذ كان بعد نزول التوراة لم يهلك أمة بعذاب الاستئصال ، بل قال ـ تعالى ـ : ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى[3] ... ﴾ ، بل كان بنو[4] اسرائيل لما يفعلون مايفعلون من الكفر والمعاصي يُعَذب بعضهم ، ويبقى بعضهم ، اذ كانوا لم يتفقوا على الكفر . ولهذا لم يزل[5] في الأرض أمة من بني اسرائيل باقية . قال ـ تعالى ـ لما ذكر بني اسرائيل ـ : ﴿ وقطعناهم في الأرض أمما ، منهم الصالحون ومنهم دون ذلك ، وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون[6] ﴾ وقد قال ـ تعالى ـ : ﴿.. من أهل الكتاب أمة قائمة ، يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ﴿ يؤمنون بالله واليوم الآخر، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ،ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين[7] ﴾.

---

(١) في ك و ط زيادة : (لهذا) .
(٢) سورة المائدة : ١١٢ ـ ١١٥ .
(٣) سورة القصص : ٤٣ .
(٣) في ك و ط زيادة قوله ـ تعالى ـ (بصائرللناس) .
(٤) في أ (كانوا) .
(٥) في ك و ط (تزل) .
(٦) سورة الأعراف : ١٦٨ .
(٧) سورة آل عمران : ١١٣ ـ ١١٤ .

وكان[١] من حكمته ورحمته ـ سبحانه وتعالى ـ لما أرسل محمدا أن لايهلك قومه بعذاب الاستئصال ، كما أهلكت الأمم قبلهم ، بل عذب بعضهم[٢] بأنواع العذاب ، كما عذب طوائف ممن كذبه بأنواع من العذاب ، كالمستهزئين الذين قال الله فيهم : ﴿ انا كفيناك المستهزئين * الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون ﴾[٣] فعذب الله[٤] كل واحد بعذاب معروف . وكالذي دعا عليه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يسلط عليه كلبا من كلابه[٥] فكان يحترس بقومه ، فجاءه الأسد وأخذه من بينهم[٦] فقتله ، وأمثال ذلك وقد تقدم ذلك[٧] .

وقال ـ تعالى ـ[٨] : ﴿ قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ، ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا ... ﴾[٩] . فأخبر أنه

---

(١) في ك و ط (فكان) .

(٢) في ك و ط زيادة : (بدون ذلك من) .

(٣) سورة الحجر : ٩٥ ـ ٩٦ .

(٤) لم يرد لفظ الجلالة المعظم في ط .

(٥) في ك وط : فقال فيه : "اللهم سلط عليه كلبا من كلابك " .

(٦) في ك و ط : (فجاء الأسد ، فتخطى الحلقة ، حتى أخذه من وسطها فقتله) .

(٧) في ك و ط زيادة : (وأمثال ذلك ، مما هو موجود الى زماننا هذا) ولم ترد فيهما جملة (وقد تقدم ذلك) .

(٧) تقدم ذلك الخبر وتخريجه ص : ٨٥٧ .

(٨) في ك و ط زيادة : (للكفار) .

(٩) سورة التوبة : ٥٢ .

يعذب الكفار تارة (١) بأيدي عباده المؤمنين ، بالجهاد ، واقامة الحدود. وتارة بعذاب غير ذلك ، فكان يعذبهم بمثل هذه الأسباب ، مما يوجب ايمان أكثرهم ، كما جرى لقريش وغيرهم ، فانهم لما كذبوه لو أهلكهم كما أهلك قوم فرعون ومن قبلهم لبادتا (٢) وانقطعت المنفعة به عنهم ، ولم يبق لهم ذرية تؤمن به ، بخلاف ما اذا عذب بعضهم بأنواع من العذاب ، ولو بالهزيمة والأسر ، وقتل بعضهم ، كما عذبوا يوم بدر ، فان في هذا من اذلالهم وقهرهم مايوجب عجزهم - مع بقائهم - والنفوس اذا كانت قادرة على كمال أغراضها ، فلا تكاد تنصرف عنها ، بخلاف ما اذا عجزت عن كمال أغراضها ، فان ذلك مما يدعوها الى التوبة ، كما يقال : من العصمة أن لاتقدر . فكان ماوقع بهم تعجيزا وزاجرا وداعيا الى التوبة . ولهذا آمن عامتهم بعد ذلك، لم (٣) يقتل منهم الا قليل ، وهم صناديد (٤) الكفر الذين كان أحدهم في هذه الأمة كفرعون في تلك الأمة . كما روى أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال عن أبي جهل : " هذا فرعون هذه الأمة (٥)". وقد ذكر الله لموسى في التوراة : " اني أقسي قلب فرعون ، فلا يؤمن بك لتظهر (٦) آياتي وعجائبي " .

---

(١) في ك و ط زيادة : (بعذاب من عنده ، وتارة) .

(٢) في ك و ط (لبادوا) .

(٣) في ط (ولم) .

(٤) مفرده : صنديد، بوزن قنديل : السيد الشجاع . مختار : ٣٧٠ .

(٥) هذا جزء من حديث رواه أحمد والطبراني ، أوردهما الهيثمي في المجمع ٦ : ٧٩ وقال:"رواه أحمد ، وهو من رواية أبي عبيدة عن أبيه ولم يسمع منه ، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح ، ورواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن وهب بن أبي كريمة وهو ثقة".

(٦) في ك و ط :" لاظهر".

بَيّن أن في ذلك من الحكمة انتشار آياته ، الدالة على صدق أنبيائه في الأرض ، اذ كان موسى قد أخبر بتكليم الله له ، وبكتابة التوراة له ، فأظهر الله من الآيات مايبقى ذكرها في الأرض ، وكان في ضمن ذلك من تقسيته قلب فرعون ، ما أوجب أن أهلكه وقومه أجمعين ، وفرعون كان جاحدا (١) للصانع ، منكرا لربوبيته ، لايقر به ، فلذلك أتى من الآيات بما يناسب حاله .

وأما بنو اسرائيل مع المسيح ، فكانوا مقرين بالكتاب الأول ، فلم يحتاجوا الى مثل ما أحتاج اليه موسى ،ومحمد ـ على الله عليه وسلم ـ (٢) لم يكن محتاجا الى تقرير جنس النبوة ، اذ كانت الرسل قبله جاءت بما نَبّهت ذلك ، وقومه كانوا مقرين بالصانع ، وانما كانت الحاجة داعية الى تثبيت نبوته . ومع هذا فأظهر الله على يديه من الآيات مثل آيات من قبله وأعظم .

ومع هذا (٣) فلم يأت بآيات الاستئصال التي يستحق مكذبها العذاب العام العاجل ، كما استحقه قوم فرعون ، وهود ، وصالح ، وشعيب وغيرهم . فلهذا يبين الله في القرآن أن هذه الآيات اذا جاءت لاتنفعهم (٤) ، اذ كانوا لايؤمنون بها ، ولكن تضرهم ، اذ كانوا يستحقون عذاب الاستئصال اذا كذبوا حينئذ ، ومع وجود المانع ، وعدم المقتضي ، لايحصل الفعل ، على قول الجمهور القائلين بالحكمة ، ومن لم يعلل فلا يطلب سببا ولاحكمة (٥) ، بل يرد الأمر الى محض المشيئة .

---

(١) في أ (جاحد) .

(٢) لم ترد الجملة الدعائية لا في أ و لا ك .

(٣) كان الأولى بالشيخ المؤلف أن يغير هذا اللفظ ، أو يضيف كلمة ـ أيضا ـ هنا كاعتذار عن التكرار ،علما بأن النسخ قد اتفقت على ورود هذه العبارة بهذه الصورة .

(٤) هكذا في ك و ط وفي أ (ينعفهم) .

(٥) في ك و ط زيادة : (أو يطلب سببا بلا حكمة) .

قال ـ تعالى ـ (١) : ﴿ وما مَنَعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الأولون ... ﴾ (٢) وهو يعلم أن قلوب هؤلاء ، كقلوب أولئك الأولين ، فيكذبون بها فيستحقون بها ما استحقه أولئك ، كقوم نوح ، وهود ،وصالح ، وشعيب ، ولوط ، وغيرهم .

قال ـ تعالى ـ : ﴿ كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون ﴾ أتواصوا به بل هم قوم طاغون . فتول عنهم فما أنت بملوم ﴿ وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين ﴾ (٣) . وقال ـ تعالى ـ : ﴿ كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم ﴾ (٤) . وقال ـ تعالى ـ عن أهل الكتاب ـ : ﴿ ... يضاهئون (٥) قول الذين كفروا من قبل ... ﴾ (٦) . وقال ـ تعالى ـ : ﴿ أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر ؟ ﴾ (٧) أم يقولون نحن جميع منتصر ؟ ﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾ بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر ﴾ (٨) .

---

(١) ليس في أ جملة (قال ـ تعالى ـ) .

(٢) سورة الاسراء : ٥٩ .

(٣) سورة الذاريات : ٥٢ ـ ٥٥ .

(٤) سورة البقرة : ١١٨.

(٥) يضاهئون : يشابهون . صفوة ١٠ : ٥٣١ .

(٦) سورة التوبة : ٣٠ .

(٧) الزبر ، الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء . صفوة ٢٧ : ٢٩٠.

(٨) أدهى وأمر : اي أعظم داهية وأشد مرارة من القتل والأسر . المصدر والموضع السابق .

(٨) سورة القمر : ٤٣ ـ ٤٦ .

ذكر هذا في سورة اقتربت ، التي ذكر فيها انشقاق القمر ، واعراضهم عن الآيات ، وقولهم : هذا سحر مستمر ، وتكذيبهم واتباعهم أهواءهم (١) ، فقال ـ تعالى ـ : ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾ وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ﴿ وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر ﴾ . ثم قال : ﴿ ولقد جاءهم من الأنباء مافيه مزدجر ﴾ (٢) أي من أنباء الغيب وما أخبر به ، مافيه مزدجر : أي مايزجرهم عن الكفر ، اذ كان في تلك الانباءات (٣) بيان صدق الرسول ، والانذار لمن كذبه بالعذاب ، كما عذب المتقدمون . ولهذا يقول عقيب القصة : ﴿ فكيف كان عذابي ونذر ﴾ (٤) (٥) أي كيف كان عذابي لمن كذب رسلي ، (٦) وانذاري بذلك قبل مجيئه (٧) يبين صدق قوله الذي أخبرت به الرسل وعقوبته لمن كذبهم (٨) .

---

(١) في ك و ط (واتباع) .

(٢) سورة القمر : ١ ـ ٤ .

(٣) كانها رسمت في أ (الآيات) .

(٤) انظر جامع البيان ٢٧ : ٨٩ والبحر المحيط ٨ : ١٧٤ والكشاف ٤ : ٣٦ .

(٥) سورة القمر : ١٦ و ١٨ و ٢١ و ٣٠ .

(٦) في ك و ط زيادة (كيف كان) .

(٧) في ك و ط (مجيئهم) .

(٨) انظر جامع البيان ٢٧ : ٩٦ ـ ٩٧ .

ثم ذكر قصة المكذبين ، كنوح ، وهود ، وصالح ، ولوط ، الى قوله : ﴿ ولقد جاء آل فرعون النذر ﴾ كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر (١) ﴿ فان قوم فرعون كذبوا بجميع آيات موسى ، وجميع آيات الأنبياء قبله ، وكذبوا بالآيات الدالة على وجود الرب ، وقدرته ومشيئته ، اذ كانوا جاحدين للخالق ، منكرين له فكذبوا بآياته كلها .

ثم قال : (أكفاركم) أيتها الأمة التي أرسل محمد اليها (٢) ﴿ خير من أولئكم ﴾ الذين كذبوا نوحا ، وهودا ، وصالحا ، ولوطا ، وموسى ﴿ أم لكم براءة في الزبر ؟ أم يقولون نحن جميع منتصر ﴾ (٣) وذلك أن كونكم لاتعذبون مثل ماعذبوا اذا كذبتم ، اما أن يكون لكونكم خيرا منهم ، فلا تستحقون مثل ما استحقوا ، أو لكون الله أخبر أنه لايعذبكم ، فتكون لكم براءة (٤) في الزبر ، فتعلمون ذلك بخبره ، فان (٥) مايفعله الله تارة يعلم بخبره ، وتارة يعلم بسنته وحكمته وعدله . فاما أن تكونوا علمتم هذا من هذا الوجه ، أو من هذا الوجه ، هذا ان نظر الى فعل الله الذي لاطاقة للبشر به ، وان نظر الى قوة الرسول وأتباعه فيقولون : (... نحن جميع منتصر) (٦) فانهم أكثر (٧) وأقوى (٨) . كما قال - تعالى - : ﴿ واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ، قال الذين كفروا للذين آمنوا : أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا (٩) ؟ ﴾ وكم أهلكنا قبلهم من قرن ، هم أحسن أثاثا ورئيا (١٠) ﴿

---

(١) سورة القمر : ٤١ - ٤٢ .
(٢) في ك و ط (أرسل فيها محمد) .
(٣) سورة القمر : ٤٣ - ٤٤ .
(٤) في ك و ط (البراءة) .
(٥) في ك و ط (بأن) .
(٦) سورة القمر : ٤٤ .
(٧) في ط زيادة : (منتصرون) .
(٨) في ك و ط زيادة : (من محمد وأتباعه) .
(٩) أي يقولون : من أحسن مسكنا وأطيب عيشا ،واكرم منتدى ومجلسا صفوة ١٦ : ٢٢٥ .
(١٠) سورة مريم : ٧٣ - ٧٤ .

أي أموالا ومنظرا (١) . فقال - تعالى - : * سيهزم الجمع ، ويولون الدبر * (٢)، أخبر بهزيمتهم وهو بمكة في قلة من الأتباع وضعف منهم ، ولايظن أحد (٣) بالعادة المعروفة أن أمره يظهر ويعلو قبل أن يهاجر الى المدينة ، وقبل أن يقاتلهم .

وكان كما أخبر ، فانهم يوم بدر وغيرها هزم جمعهم وولوا الأدبار، وتلك سنة الله في المؤمنين والكافرين . قال - تعالى - : * ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار ، ثم لايجدون وليا ولا نصيرا * سنة الله التي (٤) قد خلت من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلا * .

وحيث ظهر الكفار ، فانما ذاك لذنوب المسلمين التي أوجبت (٥) نقص ايمانهم ، ثم اذا تابوا بتكميل (٦) ايمانهم نصرهم الله ، كما قال - تعالى - (٧) * ولاتهنوا ولاتحزنوا وأنت الأعلون ان كنتم مؤمنين * وقال : * أو لما (٨) أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا ؟ قل هو من عند أنفسكم .. * فاذا كان من تمام الحكمة والرحمة أن لايهلكهم (٩) هلاك استئصال (١٠) كما أهلك (١١) المكذبين ، وكانت الآيات التي اقترحوها موجبة لعذاب الاستئصال ، كما أهلكت

---

(١) انظر جامع البيان ١٦ : ١١٧ - ١١٩ . وتفسير القرآن العظيم ٥ : ٢٥٢ - ٢٥٣ .

(٢) سورة القمر : ٤٣ .

(٣) في أ (احدا) وقد صوبناه من ك و ط .

(٤) سورة الفتح : ٢٢ - ٢٣ .

(٥) في أ (أوجب) .

(٦) في ك و ط (فكمل) .

(٧) سورة آل عمران : ١٣٩ .

(٨) سورة آل عمران : ١٦٥ .

(٩) في أ (يهلك) .

(١٠) في ك و ط (الاستيصال) .

(١١) في ط (أهلك) .

الأمم قبلهم ، كما قال : ﴿ أكفاركم خير من أولئكم ...﴾ (١) كان أن لايأتي بموجب (٢) عذاب الاستئصال ، مع اتيانه ـ سبحانه ـ بما يقيم الحجة، ويوضح المحجة ، أكمل في الحكمة والرحمة ، اذ كان ما أتى به من الآيات حصل به كمال الخير ، والمنفعة ، والهدى ، والبيان ، والحجة على من كفر ، وما امتنع منه دفع من عذاب الاستئصال والهلاك والعذاب العام ما أوجب بقاء جمهور الأمة حتى يتوبوا ، ويؤمنوا ، ويهتدوا ، وكان (٣) في ارسال محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما كان خاتم الرسل من الحكمة البالغة ، والمنن السابغة ، مالم يكن في رسالة رسول غيره (٤) ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ (٥) .

---

(١) سورة القمر : ٤٢ .

(٢) في ك و ط (بما يوجب) .

(٣) في ك و ط (فكان) .

(٤) في ك و ط (قبله) .

(٥) في ك و ط زيادة : (والحمد لله رب العالمين ، كما قال ـ تعالى ـ : و وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) سورة الأنبياء : ١٠٧ .

فصـــل

(كل مايقال فـــــي اثبات النبوة متصـل بطبيعة الخبـــــر)

جماع الكلام في النبوة متصل بالكلام في جنس الخبر ، فان قول القائل : اني رسول الله اليكم . خبر مـــــــن الأخبار[1] ، وكذلك وصول كلامه وأفعاله وآياته الينـــا هو بالأخبار . والخبر تارة يكون مطابقا لمخبَـــــره ، كالصدق المعلوم أن صدق ، وتارة لايكون مطابقا لمخبره ، كالكذب المعلوم أنه كذب ،وغير المطابق مع التعمـــد : كذب ، ومع اعتقاد أنه صدق ان[2] لم يكن معـــــذورا ، كالمفتي بلا اجتهاد يسوغ ، والمحدث بلا علم يسمـــــى كاذبا ـ أيضا ـ ، كقوله ـ صلى الله عليه وسلـــم ـ:

---

(١) انظر باب الكلام في الأخبار من كتاب المحصول في علم أصول الفقه ، الجزء الثاني ، القسم الأول : ٣٠٥ الى آخر الكتاب ص ٦٨١ للامام محمد بن عمـــر الفخر الرازي ـ ٦٠٦ هـ ت : د. طه العلواني ، ط ١ ، جامعة الامـــــام محمد بن سعود الاسلامية ، الرياض ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م .

(٢) سقطت (ان) من ك و ط .

" كذب أبو السنابل (١) بن بَعْكَك (٢) " ، وقوله لمن قال : بطل عمل عامر بن الأكوع (١) ـ لما قَتَل نفسه خطأ ـ : " كذب من قال ذلك (٣) ، انه لجاهد مجاهد (٤) " .

وقد تكون المطابقة في عناية المتكلم ، وقد يكون في افهام المخاطب ، اذا كان اللفظ مطابقا لما عناه المتكلم ، ولم يطابق افهام المخاطب ،

---

(١) في ط (ابن) .

(٢) أبو السنابل : هو ابن بعكك بن الحجاج بن الحارث بن السباق بن عبد الدار ، القرشي واسمه عمرو وقيل : حبة ، اسلم يوم الفتح ، وهو من المؤلفة قلوبهم وسكن الكوفة ، قيل : انه أقام بمكة حتى مات . أسد الغابة ٥ : ١٥٦ ـ ١٥٧ وتهذيب التهذيب ١٢ : ١٢١ .

(٢) الحديث بتمامه عن ابي السنابل بلفظ آخر عند احمد في المسند ٤ : ٣٠٥ وقد أورده الهيثمي عن عبد الله بن مسعود : أن سبيعة الأسلمية بنت الحارث وضعت حملها بعد وفاة زوجها ، بعد خمس عشرة ليلة فدخل عليها أبو السنابل فقال : كانك تحدثين نفسك بالباءة ، مالك ذلك حتى ينقضي أبعد الأجلين. فانطلقت الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأخبرته بما قال ابو السنابل ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " كذب أبو السنابل ، اذا أتاك أحد ترضينه فأتي به " أو قال : " فأتني " فأخبرها أن عدتها قد انقضت " . قال الهيثمي : رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح " المجمع ٥ : ٢ ـ ٣ م ٣ .

(٣) سقطت (ذلك) من أ .

(٤) رواه البخاري ، كتاب المغازي ، باب غزوة خيبر ٧ : ٤٦٤ (٤١٩٦) من الفتح ، ورواه مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب غزوة خيبر ٣ : ١٤٢٧ ـ ١٤٢٩ (١٨٠٢) .

فهذا ـ أيضا ـ قد يسمى كذبا وقد لايسمى ، ومنه المعاريض[1] لكن يباح للحاجة ، وان[2] لم يحصل به المقصود[3] ، بل يكون مأمورا بالسكوت عنه الا مع البينة ، فقد يسمى كاذبا ، لقوله[4] ـ تعالى ـ : ﴿ لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء ، فاذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون ﴾[5] .

والمقصود هنا : أن الخبر قد يُعلم أنه صدق ، وقد يُعلم أنه كذب ، وقد لايُعلم واحد منهما ، والعلم بأنه صدق له معنيان :

---

(١) في آ :(المعارض) . والصواب باثبات الياء كما قال الحافظ في الفتح ١ : ٥٩٤ .

(١) المعاريض من الكلام : ماعُرض به ولم يُصرح ، وأعراض الكلام ومعارضه ومعاريضه : كلام يشبه بعضه بعضا في المعاني ، كالرجل تسأله : هل رأيت فلانا ؟ فيكره أن يكذب ، وقد رآه فيقول : ان فلانا ليُرىٰ . والتعريض : خلاف التصريح ، والمعاريض : التورية بالشيء عن الشيء . اللسان ٧ : ١٨٣ مادة : عرض .

(٢) في ك و ط زيادة : (كان الخبر) .

(٣) انظر الفتح ١ : ٥٩٣ ـ ٥٩٤ والمغني لابن قدامة ٦ : ٦٠٨ ـ ٦١٠ . وهو عبد الله بن أحمد بن محمد ـ ٦٢٠ هـ تصوير مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض .

(٤) في ك و ط (كقوله) .

(٥) سورة النور : ١٣ .

أحدهما : أن يعلم أنه مطابق لمخبَره من غير جهة المخبِر[١] ، كمن أخبرنا بأمور يُعلم[٢] أنها حق بدون خبره .

والثاني : أن يُعلم أن المخبِر به صادق فيه ، وقد يجتمع الأمران بأن يُعلم ثبوت ما أخبر به ، ويُعلم أنه صادق فيه ، وقول محمد : (... اني رسول الله ...)[٣] هو من هذا الباب ، كما سنبينه ـ ان شاء الله ـ .وكذلك كونه كذبا قد يراد به أنه على خلاف مخبَره ، وان كان صاحبه لم يتعمد الكذب ، وقد يعنى به أن قائله[٤] يتعمد الكذب .

ولهذا كانت الأحاديث المعلوم بطلانها على نوعين : تارة يعلم أن صاحبها تعمد الكذب . وتارة يكون قد غَلِط ، والصحابة لم يُعرف فيهم من يتعمد الكذب على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكذلك جمهور التابعين ، لم يعرف فيهم من[٥] يتعمد الكذب ، ولكن طائفة قليلة من الشيعة عرف أنه كان فيها من يتعمد الكذب ، بخلاف غيرهم من أهل الأهواء ، كالخوارج ، فانه لم يكن فيهم من يُعرف بالكذب ، بل يقال : هم من أصدق الناس حديثا . والرجل الفاسق المعروف أنه يكذب لابد أن يصدق في بعض الأخبار[٦] ، فلا يكون في الناس من لايخبر الا بكذب . ولهذا قال ـ تعالى ـ : ﴿ ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ... ﴾[٧] ، وفي القراءة الأخرى : ﴿ فتثبتوا ﴾[٨] فأمر بالتبين والتثبت اذا أخبر الفاسق بخبر ، ولم يأمُر بتكذيبه بمجرد اخباره ، لأنه قد يصدق أحيانا .

---

(١) كأنها في أ (للخبر) .

(٢) في ك و ط (نعلم) .

(٣) سورة الأعراف : ١٥٨ .

(٤) في ك و ط (صاحبه) .

(٥) في ك و ط زيادة : (كان) .

(٦) في ك و ط (أخباره) .

(٧) سورة الحجرات : ٦.

(٨) وهي قراءة عامة أهل المدينة ، وذُكر أنها في مصحف عبد الله (أي ابن مسعود) منقوطة بالشاء . جامع البيان ٢٦ : ١٢٣ .

فلما (١) أمر - سبحانه - بالتبين والتثبت في خبر الفاسق ، دل ذلك على أنه لايجوز تصديقه بمجرد اخباره ، اذ (٢) كان فاسقا ، قد (٣) يكذب ، ولايجوز - أيضا - تكذيبه ، قبل أن يُعرف أنه قد كَذَب ، وان كان فاسقا ، لأن الفاسق قد يصدق ، وهذا كما قال - تعالى - ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ﴾ وفي القراءة الأخرى (فتثبتوا) (٤) ﴿ ولاتقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا ، تبتغون عرض الحياة الدنيا ، فعند الله مغانم كثيرة ، كذلك كنتم من قبل ، فمن الله عليكم ، فتبينوا ...﴾ (٥) .

فأمرهم (٦) بالتبين والتثبت في الجهاد ، وأن لايقولوا للمجهول حاله :لست مؤمنا . يبتغون عرض الحياة الدنيا . فيكون اخبارهم عن كونه ليس مؤمنا خبرا بلا دليل ، بل لهوى أنفسهم ليأخذوا ماله ، وان كان ذلك في دار الحرب اذا ألقى (السلم) (٧) ، وفي القراءة الأخرى : (السلام) (٨) ، فقد يكون مؤمنا يكتم ايمانه ، كما كنتم - أنتم - من قبل مؤمنين تكتمون ايمانكم فاذا ألقى المسلم (٩) السلام ، فذكر أنه مسالم لكم لامحارب ،فتثبتوا (١٠) وتبينوا لاتقتلوه ولاتأخذوا ماله حتى تكشفوا أمره (١١) ، هل هو صادق أو كاذب ؟

---

(١) في ك و ط (ولما)

(٢) في ط (اذا)

(٣) في ط (فقد) .

(٤) لم ترد الجملة الاعتراضية في ط ، وفي أ جاءت هكذا (فثبينوا) وهو خطأ نسخي .

(٥) سورة النساء : ٩٤

(٦) في أ (فامره) .

(٧) في ط (السلام)

(٨) في ط (السلم) .

(٩) في ك و ط (اليكم) .

(١٠) في ك و ط (فتبينوا وتثبتوا) .

(١١) انظر جامع البيان ٥ : ٢٢١ - ٢٢٢ . ومابعدها . وتفسير القرآن العظيم ، ٢ : ٣٣٦ - ٣٣٩ . والبحر المحيط ٣ : ٣٢٨ - ٣٣٠ . والتفسير الكبير ١١ : ٣ - ٦ م ٦ .

وهذا خبر يتضمن دعوى له ، فان المدعي مخبر ، والمنكِر مخبر ،والشاهد مخبر (١) والمقر مخبر ، وكما نهاهم عن تكذيب المدعي بلا علم ، نهاهم عن تصديق المنكِر المتهم ورمي (٢) البريء بلا حجة ، وتبرئته وتزكيته بلا علم ، فقال - تعالى - : ﴿ انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق ، لتحكم بين الناس بما أراك الله ، ولاتكن للخائنين خصيما ﴿ واستغفر الله ، ان الله كان غفورا رحيما ﴿ ولاتجادل عن الذين يختانون أنفسهم ان الله لايحب من كان خوانا أثيما ﴿ يستخفون من الناس ولايستخفون من الله - وهو معهم - اذ يبيتون مالا يرضى من القول ، وكان الله بما يعملون محيطا ﴿ ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا ، فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة ؟ أم من يكون عليهم وكيلا ؟ ﴿ ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ، ثم يستغفر الله ، يجد الله غفورا رحيما ﴿ ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه ، وكان الله عليما حكيما ﴿ ومن يكسب خطيئة أو اثما ثم يرم به بريئا ، فقد احتمل بهتانا واثما مبينا ﴿ ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك، ومايضلون الا أنفسهم ، ومايضرونك من شيء ، وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة (٣) ، وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما ﴾ .

---

(١) سقطت (والشاهد مخبر) من ط .

(٢) في ك و ط (الذي يرمي) .

(٣) سورة النساء : ١٠٦ - ١١٣ .

وكذلك نهاهم عن تصديق القاذف الرامي لمن عَرَف منه الخبر ، فقال : * لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا ،وقالوا هذا افك مبين * الى قوله - : * ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا (١) والآخرة ، لمسكم فيما أفضتم فيه (٢) عذاب عظيم * اذ تَلَقونه بالسنتكم ، وتقولون بأفواهكم ماليس لكم به علم ، وتحسبونه هينا ، وهو عند الله عظيم *ولولا إذ سمعتموه قلتم : مايكون لنا أن نتكلم بهذا ، سبحانك هذا بهتان عظيم * (٣) .

وقد قال - تعالى - : * ولاتَقْفُ ماليس لك به علم ... * (٤) وهذا نهي عن التكلم (٥) بلا علم ، وهو عام في جميع أنواع الأخبار ، وقد (٦) يتناول ما أُخْبِر به الانسان ، وماقد يعتقده بغير الاخبار من الدلائل والآيات والعلامات ليس له أن يتكلم بلا علم ، فلا ينفي شيئا الا بعلم ، ولايثبته الا بعلم . ولهذا كان عامة العلماء على أن النافي للشيء عليه الدليل على ماينفيه ، كما أن المثبت للشيء عليه الدليل على ثبوته . وحُكي عن بعض الناس أنه قال : النافي ليس عليه دليل . وفَرّق بعضهم بين العقليات والشرعيات ، فأوجبه في العقليات دون الشرعيات ، وهؤلاء (٧) اشتبه عليهم النافي بالمانع المطالب ،فان من أثبت شيئا ، فقال له آخر : أنا لاأعلم هذا ، ولاأوافقك عليه ، ولاأُسلمه لك حتى تأتي بالدليل . كان هذا مصيبا ، ولم يكن على هذا المانع - المطالب بالدليل - دليل ، وانما الدليل على المثبِت ، بخلاف من نفى ما أثبته غيره ، فقال له : قولك خطأ ، والصواب في نقيض قولك ، ولم يكن هذا كذا، فان هذا عليه الدليل على نفيه ، كما على ذلك المثبت الدليل على اثباته ، واذا لم يأت واحد منهما بدليل ، كان كلاهما (٨) بلا حجة .

---

(١) في ك و ط (وردت الآية الكريمة :(لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء،فاذلم يأتوا بالشهداء ، فأولئك عند الله هم الكاذبون) .

(٢) أفضتم فيه :خضتم فيه من أمر عائشة . جامع البيان ١٨ : ٩٧ .

(٣) سورة النور : ١٢ - ١٦ .

(٤) سورة الاسراء : ٣٦ .

(٤) في ك و ط زيادة قوله - تعالى - : *... ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا * .

(٤) أي لاتتبع مالاتعلم ولايعنيك ،بل تثبت من كل خبر . صفوة ١٥ : ١٥٩.

(٥) في أ (عنى عن المتكلم) وهما خطأ ان نسخيان .

=

ولهذا كان من أثبت شيئا أو نفاه وطُلب[١] منه الحجة ، فلم يأت بها ، كان منقطعا في المناظرة ، واذا اعترض المعترض عليه بممانعة أو معارضة ، فأجاب عنها ، انقطع المعترض عليه وثبت قول الأول ، وان لم يُجب عن المعارضة انقطع المستدل اذ[٢] كان الدليل الذي يجب اتباعه هو الدليل السالم عن المعارِض المقاوِم ، ولو أقام دليلا قطعيا ، فعورض بما لايفيد القطع ،كان له أن يقول : ماذكرته يفيد العلم . والعلم لايعارضه الظن ، والبينات لاتعارض

= (٦) في ك و ط (وهو) .

(٧) في أ (وهذا) وهو خطأ نسخي .

(٨) في ك و ط زيادة : (متكلما) .

(١) في ك و ط (طلبت) .

(٢) في ط (اذا) .

بالشبهات ، التي هي من جنس كلام (السوفسطائية)[١] ، فهو ـ سبحانه ـ نهى عن الكلام بلا علم مطلقا ، وخص الكلام على الله بقوله ـ تعالى ـ : ﴿ قل انما حرم ربي الفواحش ماظهر منها ومابطن ، والاثم والبغي بغير الحق ،وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا ، وأن تقولوا على الله مالاتعلمون ﴾[٢] . ونهى عن اتباع خطوات الشيطان ، وأخبر أنه يأمر بالقول على الله بلا علم : فقال : ﴿ يا أيها الناس ، كلوا مما في الأرض حلالا طيبا ، ولاتتبعوا خطوات الشيطان ، انه لكم عدو مبين ﴾ انما يأمركم بالسوء والفحشاء ،وأن تقولوا على الله مالا تعلمون ﴿ واذا قيل لهم اتبعوا ماأنزل الله قالوا : بل نتبع ماألفينا عليه آباءنا ، أو لو كان آباؤهم لايعقلون شيئا ولايهتدون﴾[٣].

---

(١) السوفسطائية :هم مبطلوا الحقائق ، وهذا الاسم مركب في اليونانية من : سوفيا :وهي الحكمة ، ومن اسطس : وهي المموهة فمعناه : الحكمة المموهة. فهو بذلك اسم للمهنة التي بها يقدر الانسان على المغالطة والتمويه والتلبيس بالقول والايهام . وهم ثلاثة أصناف : ١ـ صنف نفى الحقائق جملة . ٢ ـ وصنف شكوا فيها . ٣ ـ وصنف قالوا : هي حق عند من هي من عنده حق ، وهي باطل عند من هي عنده باطل .وقد ذكر أحمد أمين وزكي نجيب أن مذهبهم يشبه مذهب البرجماتزم الحديث في الاعتماد على الحواس وتجاهل العقل . انظر الفصل في الملل والنحل ١ : ٤٣ ـ ٤٥ لعلي بن حزم الظاهري ـ ٤٥٦ هـ ت د . محمد نصر و د. عميرة ، ط ١ شركة مكتبات عكاظ ، جدة ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢م .وكتاب الصفدية للشيخ المؤلف ١ : ٩٧ ـ ٩٨ ت : د. محمد رشاد سالم . الرياض ١٣٩٦ هـ = ١٩٧٦م .
واحصاء العلوم : ٢٤ لمحمد بن محمد الفارابي ـ ١٣٩٩ هـ ت : د. عثمان أمين ، ط الخانجي ، القاهرة ١٣٥٠ هـ = ١٩٣١م . وقصة الفلسفة اليونانية ١٠٧ لأحمد أمين وزكي نجيب ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٣٦٨ هـ = ١٩٤٩م .

(٢) سورة الاعراف : ٣٣ .

(٣) سورة البقرة : ١٦٨ ـ ١٧٠ .

وكذلك ذم من يجادل ويحاج بلا علم ، بقوله ـ تعالى ـ : ﴿ ومن الناس[١] من يجادل في الله بغير علم ، ولاهدى ولاكتاب منير ﴾[٢] ، وقال : ﴿ ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ، ويتبع كل شيطان مريد ﴾ كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه الى عذاب السعير ﴾[٣] . وقال ـ تعالى ـ : ﴿ ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم ، فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ،والله يعلم وأنتم لاتعلمون ﴾[٤] . وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ ... ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ... ﴾[٥] يتناول خبر كل فاسق ـ وان كان كافرا ـ لايجوز تكذيبه الا ببينة ، كما لايجوز تصديقه الا ببينة .

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة قال :"كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرية[٦] ، ويفسرونها بالعربية[٧] ، فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " اذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولاتكذبوهم ، فاما أن يحدثوكم بحق ، فتكذبوه ، واما أن يحدثوكم بباطل ، فتصدقوه وقولوا : ﴿ ... آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل اليكم ، والهنا والهكم واحد ، ونحن له مسلمون ﴾[٨]

---

(١) في ك و ط (كقوله) وليس في أ ولا ك كلمة التقديس .

(٢) سورة الحج : ٨ ، وسورة لقمان : ٢٠ .

(٣) سورة الحج : ٣ ـ ٤ .

(٤) سورة آل عمران : ٦٦ .

(٥) سورة الحجرات : ٦ .

(٦) في ك و ط (العبرانية) .

(٧) في ك و ط زيادة : (لأهل الاسلام) .

(٨) سورة العنكبوت : ٤٦ .

(٨) ورد الحديث في ك و ط هكذا : " لاتصدقوا أهل الكتاب ولاتكذبوهم وقولوا: ﴿ ... آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل اليكم ... ﴾ وفي رواية : " " فاما أن يحدثوكم بحق فتكذبوه ، واما أن يحدثوكم بباطل فتصدقوه ".

(٨) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، سورة البقرة ، باب (قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا) ، ٨ : ١٧٠ (٤٤٨٥) من الفتح بنحوه .

وهذا الذي دل عليه الكتاب والسنة ، من امساك الانسان عما لايعلم انتفاؤه وثبوته ، هو مأثور عن غيره من الأنبياء ، كما جاء عن المسيح - عليه السلام - أنه قال : " الأمور ثلاثة : أمر تبين رشده فاتبعوه ، وأمر تبين غيه فاجتنبوه ، وأمر اشتبه عليكم فكِلوه الى عالمه "(١) .

وعامة عقلاء بني آدم على هذا ، ولهذا لايجوز أن يُصَدق(٢) بخبر منقول عن الرسول أو غيره الا بدلالة تدل على صدقه ، ولايجوز أن يكَذِبه الا بدلالة تدل على كذبه ، وعلى هذا العلم والدين ، وقد تكلم العلماء وصنفوا كتبا كثيرة في الجرح والتعديل:في الرجال(٣) ، والأحاديث(٤) . فمن الناس من يعرف بالصدق والضبط ، فهذا هو العدل المقبول خبره . ومنهم من يكون صدوقا لكنه قد لايحفظ ولايضبط ، فيقولون في مثل هذا : هو صدوق تكلم فيه من قبل حفظه . ومنهم من عرف بالكذب . واذا روى الحديث منهو سيء الحفظ ،أو من قد يكذب ، لم يحكموا بذلك الحديث ، ولم يثبتوه .

---

(١) هذا الحديث من رواية ابن عباس عن النبي - صلى الله عليه وسلم :" أن عيسى ابن مريم قال : الأمور ثلاثة .."وذكره بنحوه ، وقد أورده الهيثمي في المجمع ١ : ١٥٧ وقال :"رواه الطبراني في الكبير ، ورجاله موثقون ."

(٢) الضمير يعود الى العاقل ، أو الانسان أو المسلم ... الخ .

(٣) مثل كتاب : الجرح والتعديل لابن أبي حاتم - ٣٢٧ هـ وهو مطبوع في حيدر آباد بالهند سنة ١٣٧١ هـ ، ومثل كتاب العلل ومعرفة الرجال للامام أحمد ٢٤١ هـ طبع طلعت بيكيت ، أنقرة . تركيا ، سنة ١٩٦٣م ، وكتاب ميزان الاعتدال في نقد الرجال لمحمد بن أحمد الذهبي - ٤٧٨ هـ ت : محمد على البجاوي ، دار المعرفة ، بيروت .

(٤) مثل كتاب العلل لابن ابي حاتم ، وكتاب العلل للدار قطني .

ثم تارة يقوم الدليل على كذبه ، وتارة يتوقفون فيه ، لايعلمون أصدق هو (١) أم كذب ؟ ، ومثل هذا لايُعتقد ولايثبت ولايحتج به ، كالشاهد الذي شهد للمدعي وليس بعدل مرضي أو هو خصم أو متهم ظنين (٢) ، فهذا اذا ردت شهادته ولم تقبل لم يكن معنى ذلك الحكم بكذبه أو خطئه ، بل معنى ذلك أنه لاتقوم به حجة ، ولايحكم به لعدم العلم بصدقه لا للعلم بكذبه .

والمدعىٰ عليه اذا كان صاحب يد أو ذمته بريئة ، فهو (٣) حجة ترجح جانبه ، وقد ضم اليها الشارع (٤) اليمين ، كما في صحيح البخاري ، عن ابن عباس، عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : " لو يعطى الناس بدعواهم لادعى رجال دماء قوم وأموالهم ، ولكن اليمين على المدعى عليه (٥) "، فاذا لم يكن مع المدعي الا مجرد دعواه فجانب المنكِر أقوى من جانبه ، لأن معه : أن الأصل في الأيدي : أنها محقة ، والأصل : براءة الذمة ، ولكن قد يكون المدعى صادقا ولايكون له حجة ، وهذا كثير جدا ، فلا يدفع بمجرد الأصل ، بل يحلف المنكر ، فيكون يمينه مع الأصل حجة ، فيكون انكار هذا مقابلا لدعوى هذا ، كلاهما خبر لم يعلم صدقه فتعارضا ، وترجح (٦) المنكر بالأصل ، فيبقى على ماكان ، لايسلم للمدعي ما ادعاه بمجرد دعواه ، ولاتنقطع مطالبته للمدعى عليه ، لأنه لم يأت بحجة تدفعه ، فاذا حلف المنكر ، كانت يمينه حجة ، فصلت الخصومة ، وقطعت الدعوى .

---

(١) سقطت (هو) من ط .

(٢) ظنين : تَصَوُّر اتهاماته وأقواله عن ظن وليس عن معرفة وعلم .

(٣) في ك و ط (فمعه) .

(٤) الشارع : هو الذي أنزل الشريعة أو الذي أُرسل بتبليغها ،وهو الله عز وجل أو رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .انظر اللسان ٨ : ١٧٦ مادة: شرع .

(٥) رواه البخاري بنحوه ،وله قصة ، كتاب التفسير ، سورة آل عمران ،باب : " ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا اولئك لاخلاق لهم " . ٨ : ٢١٣ (٤٥٥٢) من الفتح . ورواه مسلم وفيه " ناس " بدل " رجال"و"رجال" بدل " قوم " كتاب الأقضية ، باب اليمين على المدعى عليه ، ٣ : ١٣٣٦ (١٧١١) .

(٦) في ك (يرجح) بالياء في أوله وفي ط (رجح) .

واذا لم يأت المنكِر باليمين ، بل نَكَل[١] عنها ، ولا أتى المدعي بحجة ، وُقف للأمر[٢] عند أكثر العلماء . وعند بعضهم : يقضى على المنكِر بالنكول فيجعل نكوله اما بدلا لما طلب واما اقرارا به . والأكثرون يقولون : بل ترد[٣] اليمين على المدعي الطالب ، الذي يقول : انه يعلم صدق نفسه فيما ادعاه ، وأنه عالم بما ادعاه ، فيقال له : احلف وخذ . فان حلف أخذ ، والا دُفِعا[٤] . ثم من العلماء من يرد اليمين في عامة الدعاوى . ومنهم من يحكم بالنكول ، وان[٥] كان المنكر يقول : لا أعلم ما ادعى به[٦] . وكل من الطائفتين يذكر آثارا عن الصحابة .

---

(١) نكل : ينكل : جبن . اللسان ١١ : ٦٧٧ مادة : نكل .

(٢) في ك و ط (الأمر) .

(٣) في ك و ط (يرد) .

(٤) في ط (دفع) .

(٥) في ك (فان) وفي ط (ان) .

(٦) انظر المغني لابن قدامة ٩ : ٢٧١ – ٣٢٨ والكافي في فقه أهل المدينة المالكي ٢ : ٩٢١ – ٩٣٧ ليوسف بن عبد الله بن عبد البر – ٤٦٣ هـ تحقيق د. محمد وِلْد ماديك ط ١ مكتبة الرياض الحديثة بالرياض ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م .

والمنقول عن الصحابة يدل على التفصيل ، وهو أظهر الأقاويل ، وهو أنه ان كان المنكر هو العالم دون المدعي ، كما اذا ظهر في المبيع عيب ، وقد بِيْع بالبراءة (١) ، فقال المشتري : أنا لم أعلم به فانه هنا يقال له - كما قال عثمان بن عفان لابن عمر - رض الله عنهما - : " احلف أنك بعته ومابه داء تعلمه (٢) " ، فان حلف والاقضي عليه بالنكول ، كما قضى عثمان على ابن عمر بالنكول (٣) .

---

(١) البراءة في البيع : كأن يقول البائع : لاأعلم في هذه السلعة عيبا ، أو أن يسميله المشتري عيوبا فيبرأ البائع منها . انظر الجوهر النقي لابن التركماني - ٧٤٥ هـ بذيل سنن البيهقي ٥ : ٣٢٨ - ٣٢٩ .

(٢) في ك و ط (ذا يعلمه) .

(٣) رواه البيهقي باسناده عن سالم بن عبد الله ان عبد الله بن عمر باع غلاما له بثمانمائة درهم ، وباعه بالبراءة ، فقال الذي ابتاعه لعبد الله ابن عمر : بالغلام داء - لم يسمه - فاختصما الى عثمان بن عفان ، فقال الرجل : باعني عبدا وبه داء لم يسمه لي ، فقال عبد الله بن عمر: بِعْتُه بالبراءة ! فقضى عثمان بن عفان على عبد الله بن عمر باليمين أن يحلف لقد باعه الغلام ومابه داء يعلمه ، فأبى عبد الله أن يحلف له وارتجع العبد ، فباعه عبد الله بن عمر بعد ذلك بالف وخمسمائة . السنن الكبرى ٥ : ٣٢٨ .ولم يعزه ، أما صاحب : منار السبيل فقد عزاه لأحمد ، قال الالباني :" صحيح ، ولم أره في مسند أحمد ولاهو مظنة وجود مثل هذا الأثر فيه فالظاهر أنه في غيره من كتب الامام." ارواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ٨ : ٢٦٣ (٢٦٤٠) لمحمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الاسلامي ط ١ بيروت ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩م .وقد أورده ابن قدامة في المغني ٤ : ١٩٨ وقال :" وهذه القضية اشتهرت فلم تنكر ، فكانت اجماعا ."

(٣) في ط زيادة : (بناء) . وفي جميع النسخ (عليه) وقد شطب عليها في نسخة أكسفورد وهو مارجحناه .

وان كان المدعي يقول : انه يعلم ما ادعى به ، كمن ادعى على آخر دَينا أو عينا (١) ، فقال : أنا لا أعلم ما ادعيته ، احلف وخذ (٢) ، فان لم يحلف لم يُعْط شيئا .

والبينة في الدعاوى عند أكثر العلماء هي : ما يبين (٣) الحق ويظهره ويوضحه (٣) كالدليل والآية والعلامة ، فمتى ترجح جانب أحدهما حلف ، مثل أن يقيم المدعي شاهدا ،فانه يحلف مع شاهده ، ويقضى له بشاهد ويمين ، كما مضت به سنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (٤) وهذا (٥) قول أكثر العلماء.ومنهم من يقول : اليمين دائما في جانب المدعى عليه ، وكذلك لو كان في دعوى القتل لَوَث (٦) ولَطْخ (٧) وشبهة ، وهو (٨) علامات ترجح جانب المدعى ، فان أولياء المقتول يحلفون خمسين يمينا (٩) ، ويقضى لهم بذلك عند أكثر العلماء ، كما مضت بذلك السنة (١٠) .

---

(١) في ك و ط (عيبا) .

(٢) في ك و ط زيادة : (فانه يقال له كما قال عمر بن الخطاب : انصفك خصمك احلف وخذ) .

(٣) في ك و ط (تبين الحق وتظهره وتوضحه) .

(٤) فقد روى ابن عباس أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قضى بيمين وشاهد . أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الأقضية ، باب القضاء باليمين والشاهد ، ٣ : ١٣٣٧ (١٧١٢) ورواه أبو داود في سننه ، كتاب الأقضية ، باب القضاء باليمين والشاهد ٣ : ٣٠٨ (٣٦٠٨) . وروى الترمذي في سننه عن أبي هريرة قال :"قضى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ باليمين مع الشاهد الواحد ."قال :"وفي الباب عن على وجابر وابن عباس وشُرَّق ... وحديث أبي هريرة حديث حسن غريب ." كتاب الأحكام ، باب ماجاء في اليمين مع الشاهد ، ٣ : ٦١٨ (١٣٤٣) .

(٥) في ك و ط (وهو) .

=

.....

---

(٦) اللوث : من التلوث ، وهو التلطخ ، يقال : لأنه في التراب ولوثه ، وهو أن يشهد شاهد واحد على اقرار المقتول قبل أن يموت : ان فلانا قتلني ، أو يشهد شاهدان على عدواة بينهما ، أو تهديد منه له ، ونحو ذلك . اللسان ٢ : ١٨٥ مادة : لوث .

(٧) هو بمعنى اللوث . انظر ترتيب ٤ : ١٤٤ .

(٨) في ط (وهي) .

(٩) وهي مسألة القَسَامة : وهي الأيمان التي يقسم بها أولياء الدم على استحقاقهم دم صاحبهم ، أو يقسم بها المتهَمون على نفي القتل عنهم ، وهي مصدر ، يقال : اقسم يقسم قسما وقسامة : اذا حلف . جامع الأصول ١٠ : ٢٧٩ .

(١٠) كما جاء من حديث سهل بن حثمة ـ رضى الله عنه ـ، رواه البخاري ،كتاب الديات ، باب القسامة ، ١٢ : ٢٢٩ ـ ٢٣٠ (٦٨٩٨) من الفتح ورواه مسلم ، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات ، ٣ : ١٣٩١ ـ ١٣٩٢ (١٦٦٩) .

وكذلك في اللعان (١) اذا حلف الزوج ، وشهد أربع شهادات بالله أنه لمن الصادقين ، ووكدها بالخامسة ، فقد أقام بينه على دعواه ، فان التعنت (٢) المرأة وشهدت أربع شهادات ، مؤكدة بالخامسة أنه كاذب ، تعارضت البينتان والشهادتان ، فلم يحكم بقول واحد منهما ، لايحكم بأنه قاذف ، ولايحكم بأنها زانية . وان نكلت فلم تحلف ، فأكثر العلماء يقولون : يحكم بأنها زانية ، وتعذب على ذلك ، كما دل عليه القرآن لأنه اجتمع شهادة الزوج ، ونكولها عن المعارضة ، كما اجتمع في القسامة العلامة والأيمان (٣) ، وكما اجتمع الشاهد واليمين (٤) ، وكما اجتمع في جانب المنكر : الأصل واليمين (٥) . فهذا ونحوه مما جاءت به الشريعة وبسطه له موضع آخر .

---

(١) اللعان : مشتق من اللعن ، لأن كل واحد من الزوجين يلعن نفسه في الخامسة ان كان كاذبا ، وقال القاضي : سمي بذلك لأن الزوجين لاينفكان من أن يكون أحدهما كاذبا فتحصل اللعنة عليه : وهي الطرد والابعاد . والأصل فيه قوله ـ تعالى ـ : ﴿ والذين يرمون أزواجهم ، ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم ... ﴾ الآيات من سورة النور : ٦ ـ ١٠ . المغني لابن قدامة ٧ : ٣٩٠ .

(٢) اللام هنا في (التعنت) لام قمرية .

(٣) في ط (الايمان) بكسر الهمزة .

(٤) وبه قال مكحول والشعبي ومالك والشافعي وأبو عبيد وأبو ثور وأبو اسحاق الجوزجاني وابن المنذر . المصدر السابق ٧ : ٤٤٤ .

(٥) انظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام ١٥ : ٣٥١ و ٢٠ : ٣٩٠ .

والمقصود هنا : أن الخبر ان قام دليل على صدقه أو كذبه والا بقي مما لم يصدقه ولم يكذبه (١) ، وأهل العلم بالحديث اذا قالوا : هذا الحديث رواه فلان وهو مجروح (٢) أو ضعيف ، أو سيء الحفظ ، أو ممن لم تقبل روايته ، ونحو ذلك ، فهو كقول القائل : هذا الشاهد مجروح ، أو سيء الحفظ ، أو ممن لاتقبل شهادته ، وهذا يفيد أنه لايحكم به ، لا (٣) يفيد الحكم بأنه كاذب ، بل قد يمكن أنه صادق ، فلا يقال : انه كاذب الا بحجة .

وان قالوا ـ عن الحديث ـ : انه ضعيف . فهذا مرادهم ، أي أنه لم يثبت ، ولايحتج به ، ولايجوز الحكم بصدقه . ليس مرادهم أنه بمجرد ذلك (٤) يحكم بكذب الناقل ، وينفى مانقله ، ويقول : ان هذا لم يكن من غير علم منا بهذا النفي ، بل ان قام دليل على انتفاء ماأخبر به حكمنا بذلك ، والا سكتنا لم ننفه ولم نثبته . فهذا أصل يجب معرفته ،فان كثيرا من الناس لايميز بين ماينفيه لقيام الدليل على نفيه ، وبين مالم يثبته لعدم دليل اثباته ، بل تراهم ينفون مالم يعلموا اثباته ، فيكونون قد قَفَوْا (٥) ماليس لهم به علم : وقالوا بأفواههم ماليس لهم به علم ، وهذا

---

(١) في ك و ط (نصدقه ولم نكذبه) والضمير في اللفظالأول راجع الى الدليل .

(٢) يقال : جَرَح الحاكم الشاهد : اذا عثر منه على ماتسقط به عدالته من كذب وغيره ، وقد قيل ذلك في غير الحاكم ، فقيل : جَرَح الرجل : عض شهادته . وقد استجرح الشاهد ، والاستجراح : النقصان والعيب والفساد ، وهو منه . اللسان ٢ : ٤٤٢ مادة : جرح.وانظر تدريب الراوي ١ : ٣٤٥ ـ ٣٥٠ .

(٣) في ك و ط (ولا) .

(٤) في أ (مجرد) والباء من ك و ط .

(٥) من قفا أثره : أي اتبعه ، وبابه عدا وسما . مختار : ٥٤٧ .

كثير من (١) أهل الاستدلال والنظر ،وأهل الاسناد والخبر ،فمن الأولين طوائف يطلبون الدليل (٢) على ثبوت الشيء ، فاذا لم يجدوه نفوه ، ومعلوم أن عدم العلم ليس علما بالعدم ، وعدم الوجدان لايستلزم عدم الوجود ، الا اذا كان الطالب ممن يمكنه ذلك اما بعلم أو ظن غالب ، فمن هؤلاء من يقول في صفات الله مالم يقم دليل قطعي على اثباته ، والا وجب القطع بنفيه ، لأن صفات الله لاتثبت إلا بالقطع وخالفهم فيذلك جمهور الناس وقالوا كما لايجوز القطع في الاثبات الا بدليل قطعي ،فلا يجوز القطع في النفي الا بدليل قطعي على النفي ، فلما (٣) لم يجز أن نثبت الا بعلم ، فلا ننفي (٤) الا بعلم .

والنافي عليه الدليل ، كما على المثبت الدليل ، قال هؤلاء : هذه المسائل مبناها على القطع ،فانه لايجوز لنا التكلم فيها بالظن ، فاذا لم يقم القاطع قطعنا بالنفي . فقيل لهم : هذا حجة عليكم ، فانكم اذا نفيتم مالم تعلموا نفيه ، تكلمتم بالظن ، واذا قطعتم من غير قاطع كنتم قد تكلمتم في القطعيات بلا قاطع ، نفيا كان الكلام أو اثباتا ، وليس يعلم في الأدلة الشرعية أو العقلية أن كل مالم يقم دليل سمعي أو عقلي على اثباته ، فانه يجب عليكم نفيه والقطع بنفيه ، بل تكلمكم بهذا تكلم بلا علم .

---

(١) في ك و ط (في) .

(٢) سقطت (الدليل) من أ .

(٣) في ك و ط (فكما) .

(٤) في ك و ط (يثبت ... ينفي) .

ومن هنا أخطأ كثير من النظار في نفي كثير من صفات الرب وأحكامه وأفعاله حيث لم يعلموا دليلا قطعيا يثبتها فنفوها ، وكانت ثابتة في نفس الأمر ، وقد يكون عند غيرهم دليل قطعي يثبتها ، ولو قُدر عدم علم الناس كلهم بها ، فلله علم لم يعلمه العباد ، ولله أسماء استأثر بها في علم الغيب عنده ، لم يعلمها الناس (١) ، وليس اذا لم يُعلم (٢) ثبوت الصفة يجب أن يُعلم انتفاؤها ، بل قد يظن ثبوتها أو انتفاؤها ، وقد يشك في ذلك ، فلا يعلم ولايظن واحد (٣) منهما .

---

(١) فقد ورد عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " ما أصاب أحدا قط هم ولاحزن فقال : اللهم اني عبدك ابن عبدك ابن امتك ناصيتي بيدك ماضٍ فيّ حكمك عدل فيّ قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك ، أو علمته أحدا من خلقك ، أو أنزلته في كتابك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن ربيع قلبي ، ونور صدري ، وجلاء حزني وذهاب همي ، الا أذهب الله همه وحزنه وأبدله مكانه فرجا " .فقيل : يارسول الله ، ألا نتعلمها؟ فقال : " بلى ، ! ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها " .رواه أحمد في المسند ١ : ٣٩١ وقد أورده الهيثمي في المجمع ١٠ : ١٨٦ – ١٨٧ . وقال:"رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني والبزار ، الا أنه قال : " وذهاب غمي " مكان "همي " ورجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح غير أبي سلمة الجهني وقد وثقه ابن حبان".

(٢) في أ (نعلم) .

(٣) في ك و ط (واحدا) .

والواجب على الانسان أن يقول ـ لما يعلمه ـ: أعلمه ، ولما يظنه : أظنه ،ولما يشك فيه: أشك فيه ، والله ـ تعالى ـ لم يوجب على الانسان أن يقطع بانتفاء شيء ان لم يعلم أنه منتف ، فمن قال :"وجب علينا[1] القطع بانتفاء مالم يقطع[2] بثبوته ولا انتفائه" فقد غلط .

وهذا بخلاف مايناقض صفات الاثبات ، فان هذا يجب نفيه عن الله . فقد علم بالأدلة القطعية[3] ، أن الله موصوف بصفات الكمال المناقضة للنقص مثل : أنه حيّ قيّوم ، بكل شيء عليم ، وعلى كل شيء قدير ، وأنه خالق كل شيء ، وربه ، ومليكه ، وأنه غني عن كلماسواه بكل وجه . فكل من قال قولا يناقض هذا ، عُلم أنه باطل ، كالذين قالوا : إن له شريكا ، أو ولدا، أو أنه يشفع عنده الشفعاء بغير إذنه ، ونحو ذلك مما يناقض الكمال المعلوم له .

---

(١) في ك و ط (انه أوجب) .

(٢) في ك و ط (نقطع) .

(٣) في ط (العقلية) .

وماكان من الأمور مستلزماً لوازم لو كان موجودا ، فانه يستدل بانتفاء اللازم على انتفاء الملزوم ، كالأمور التي لو كانت موجودة لوجب أن تنقل نقلا متواتراً شائعاً (١) ، فانه يستدل بانتفاء اللازم على انتفاء الملزوم ، كما لو قال قائل : إنه بُنِيَ بين العراق والشام ، أو بين الحجاز والشام مدينة أعظم من بغداد (٢) ، والموصل واصبهان (٣) ، ومصر ، دورها ثلاثة أيام (٤) ، ونحو ذلك ، فانه يعلم كذبه ، فان هذا مما تتوفر (٥) همم الناس على نقله لو كان موجودا ، فاذا لم يستفض هذا وينتشر (٦) ، علم أن المخبر به كاذب .

---

(١) في ط :(يقول).

(٢) أصل اسمها من (باغ) ومعناها بستان . و(داد) اسم رجل . وقد بناها أبو جعفرالمنصور سنة ١٤٥ هـ على نهر دجلة والفرات . قريبا من الكوفة بالعراق . وهى الآن عاصمة الجمهورية العراقية . انظر معجم البلدان ١ : ٤٥٦ – ٤٦٧ .

(٣) أصبهان : سميت بأَصبَهان بن فَلُّوج بن سام بن نوح – عليه السلام – وقد كانت مدينة عظيمة مشهورة وهي في أرض فارس ، ويسمى الاقليم التي هي فيه باسمها ، فتحها عمر بن الخطاب سنة ١٩ هـ . معجم البلدان ١ : ٢٠٦ – ٢١٠ .

(٤) في ط (وأنه بني دورها في ثلاثة أيام) والظاهر أنه تصرف من الطابع .

(٤) أي مسيرة ثلاثة أيام (١٥٠)كلم تقريبا .

(٥) في أ (توفر) .

(٦) في أ (فينتشر) .

وكذا لو ادعى مدع : أنه يوم الجمعة أو العيد قتل الخطيب ، ولم يصل الناس يوم الجمعة ، ولم يستفض هذا وينتشر ، أو ادعى (١) أنه قُتل بعض ملوك الناس (٢) ، ولم يستفض هذا ولم ينتشر ، أو ادعى أنه بُعث نبي بين المسيح ومحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ (٣) أو بعد محمد جاء بكتاب مثل القرآن أو الانجيل ، واتبعه خلق كثير ، وكذبه خلق كثير ، فانه يعلم كذب هذا ، اذ مثل هذا لابد أن يستفيض وينتشر .

وكذلك لو ادعى أن قريشا أو غيرهم عارضوا القرآن وجاؤا (٤) بكتاب يماثل القرآن ، وأنهم أظهروا ذلك وأبطلوا به حجة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فهذا مما يقطع بكذبه ، لأن مثل ذلك ـ لو وقع ـ لكان مما تتوفر الهمم والدواعي على نقله ، وكذلك لو ادعى أن محمدا أمر بِحَجِ بَيْتٍ (٥) غير البيت العتيق ، أو أوجب صوم شهرٍ غير شهر رمضان ، أو أوجب صلاة سادسة وقت الضحى ، أو أمر بالأذان والاقامة لغير الصلوات الخمس ، أو أنه قال ـ علانية بين الناس لأبي بكر ، أو العباس ، أو علي (٦) ، أو غيرهم ـ : هذا هو الخليفة من بعدي ، فاسمعوا له وأطيعوا ، أو أن عليا دعا الى نفسه في خلافة الثلاثة ، وأمثال هذه الأمور التي لو وقعت ، لكان لها لوازم ، يستدل (٧) بانتفاء اللازم على انتفاء الملزوم ، ثم هذه اللوازم منها جلي ومنها خفي يعرفه الخاصة .

---

(١) في أ (وادعى) .

(٢) في ك و ط (بعض الملوك علانية بين الناس) .

(٣) ليس في أ و لا ك الجملة الدعائية .

(٤) رسمت في أ (جاوو) .

(٥) سقطت (بيت) من ط .

(٦) في ك و ط (للعباس أو لعلي) .

(٧) في ك و ط (فيستدل) .

فلهذا كان أهل العلم بأحوال الرسول يقطعون بكذب أحاديث ، لايَقْطع غيرهم بكذبها ، لعلمهم بلوازم تلك الأحاديث ، وانتفاء لوازمها (١) ، كما يقطع من يعلم مغازي النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه لم يقاتل في غزوة تبوك ، وأن غزوات القتال انما كانت تسعة مغازي ،وأنه لم يغز بنفسه الى اليمن ، ولا العراق ، ولاجاوز تبوك بعد النبوة ، وأنه لم يحج بعد الهجرة الا (٢) حجة الوداع ، ولم يصم الا تسع رمضانات .

وهكذا يعلمون أن فلانا أخطأ في هذا الحديث على فلان ، لأنهم قد علموا من وجوه ثابتة ، أن ذلك الحديث انما رواه على صورة معينة ،فاذا روى غير الثقة ماينا قض ذلك ، علموا بطلان ذلك ، وأنه أخطأ أو تعمد الكذب ، مثل مايعلمون كذب من زاد في قول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " لاسبق (٣) الا في خُفٍّ (٤) ، أو حافر ، أو نَصْل " (٥) فزاد بعض الناس فيه (أو جناح)، لما رأى بعض الأمراء عنده حمام (٦) ، فعلموا أنه كذب تقربا الى

---

(١) أي ولعلمهم ـ أيضا ـ بانتفاء تلك اللوازم .

(٢) في ط (لا) .

(٣) السبق : بسكون الباء . مصدر سبقتُ اسبِق سبقا ،وبفتحها : الجُعْل (المبلغ المادي) الذي يقع السباق عليه. والرواية الصحيحة : بفتح الباء،والمعنى : ان الجعل والعطاء لايستحق الا في سباق هذه الأشياء . جامع الاصول ٥ : ٣٦ ـ ٣٧ .

(٤) الخف : كناية عن الابل ، والحافر ، عن الخيل ، والنصل : عن السهم ،وذلك بتقدير حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ، أي ذو خف ، وذو حافر، وذو نصل . المصدر والموضع السابق .

(٥) رواه أبود داود ، كتاب الجهاد ، باب في السبق ،٣ : ٢٩(٢٥٧٤) . والترمذي ، كتاب الجهاد ، باب ماجاء في الرهان والسبق ٤ : ٢٠٥(١٧٠٠) وقال :" هذا حديث حسن". والنسائي ،كتاب الخيل ،باب السبق ، ٦: ٢٢٦ ـ ٢٢٧. وابن ماجه ، أبواب الجهاد ، باب السبق والرهان ، ٢ : ١٥١(٢٩٠٨) وأحمد في المسند ٢ : ٤٢٥ .

(٦) في ط (حماما) .

ذلك الأمير (١) .

وكما يعلمون كذب من روى أن مسيلمة وقومه ، كانوا مؤمنين بالله ورسوله ، وانما قاتلهم الصديق لكونهم لم يعطوا الزكاة (٢) ، فانهم قد علموا بالتواتر أن مسيلمة ادعى النبوة ،واتبعه قومه على ذلك ، وأنه كتب الى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في حياته يقول : " من مسيلمة رسول الله ، الى محمد رسول الله " فكتب اليه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ :" من محمد رسول الله ، الى مسيلمة الكذاب " (٣) ويعلمون أنه كان لهمخاريق (٤) ، وأنه ظهر كذبه من وجوه متعددة (٥) ، وأن أبا بكر الصديق والصحابة قاتلوه على كذبه في دعوى النبوة ، وقاتلوا قومه على ردتهم عن الاسلام ، واتباعهم نبياً كاذباً (٦) ، لم يقاتلوهم على كونهم لم يؤدوا الزكاة لأبي بكر (٧) .

---

(١) زيادة : (أو جناح) من وضع ابراهيم بن غياث النخعي ، أبو عبدالرحمن، يعد في الكوفيين ، وقد زاد هذه الزيادة تزلفا للمهدي ، ولما قام قال المهدي : أشهد أن قفاك قفا كذاب . انظر الموضوعات لابن الجوزي ـ ٥٠٥هـ ١ : ٤٢ ، ط ١ ، الدار السلفية ، المدينة المنورة ١٣٨٦ هـ ،واللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ، ٢ : ٤٧٠ ، وميزان الاعتدال ٣:٣٣٧ ـ ٣٣٨ ، ولسان الميزان ٤ : ٤٢٢ ،وتاريخ بغداد ١٢ ، ٣٢٣ ـ ٣٢٧ .

(٢) في ك و ط (يعطوه) .

(٣) وقد كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد كتب اليه يدعوه الى الاسلام ، وبعث به مع عمرو بن أمية الضمري ، فكتب اليه مسيلمة جواب كتابه ،ويذكر فيه أنه نبي مثله ، ويسأله أن يقاسمه الأرض ، ويذكر أن قريشا قوم لايعدلون ، وقد جاء بهذا الكتاب رسولان هما : ثمامة بن أثال وعبد الله بن النَّواحة ، ورد عليه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بهذا الكتاب ، الذي ذكر طرفه الشيخ المؤلف وبقية الكتاب : " ... بلغني كتابك الكذب والافترء على الله ، وان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين ، والسلام على من اتبع الهدى " . وبعث به

=

.....

= مع السائب بن العوام أخي الزبير بن العوام ، ويذكر أنه- عليه السلام - قال في مسيلمة : " العنوه ،لعنه الله ! " . انظر السيرة لابن هشام ٤ : ٢٤٧ ، وطبقات ابن سعد ١ : ٢٧٣ ، والمصباح المضيء في كتاب النبي الأمي ، ورسله الى ملوك الأرض من عربي وعجمي ٢ : ٢٩٠ - ٢٩٢ لمحمد بن علي بن حديدة الأنصاري - ٧٨٣ هـ ط ٢ ، عالم الكتب ، بيروت ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥م .

(٤) مخاريق : من التخرق : وهو لغة في التخلق من الكذب . ومنه قوله عز وجل : ﴿ ... وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه ... ﴾ سورة الأنعام : ١٠٠. اللسان ، ١٠ : ٧٥ مادة : خرق .

(٤) ومنها قوله : لقد أنعم الله على الحبلى ، أخرج منها نسمة تسعى من بين صفاق وحشا. وقوله : والمبديات زرعا ، والحاصدات حصدا ، والذاريات قمحا ، والطاحنات طحنا ، والخابزات خبزا ، والشاردات ثردا ، واللاقمات لقما ، اهالة وسمنا ، لقد فضلتم على أهل الوبر ،وماسبقكم أهل المدر ، ريفكم فامنعوه ، والمعتر فآووه ، والباغي فناوؤه " . السيرة لابن هشام ٤ : ٢٢٣ ، والكامل ٢ : ٢٤٤ .

(٥) في آ (أبي بكر) والأصوب ما أثبتناه من ك و ط .

(٦) في ك و ط (متنبيا) .

(٧) في ك و ط (الى أبي بكر) .

وكذلك الأسود العنسي الذي ادعى النبوة في حياة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقُتل في حياته ، كل منهما عُرف كذبه ، بتكذيب النبي الصادق المصدوق لهما ، ومما(١) ظهر من دلائل كذبهما ، مثل الأخبار الكاذبة التي تناقض النبوة ، ومثل الاتيان بقرآن مختلق ، يعلم من سمعه أنه لم يتكلم الله به ، وانما هو(٢) تصنيف الآدميين ، كما قال أبو بكر الصديق لهم لما تابوا من الردة ، وعادوا الى الاسلام : " أَسْمِعوني قرآن مسيلمة " فلما أسمعوه إياه قال : " ويحكم(٣) ، أين يذهب بعقولكم ، ان هذا كلام لم يخرج من إل" أي لم يخرج من رب(٤) . ومثل ماكان يفعله ويأمر به من الفجور والكذب ، ومثل اطلاع أخص الناس به(٥) على أنه كان يكذب ، ويستعين بمن يختلق له الكذب ، ومثل أنه كان يعدهم بأن جبريل أخبره(٦) أنه سينصر ، فما حقت(٧) الحقائق ، قال لهم : " انه لاجبريل لكم ، فقاتلوا عن أحسابكم(٨) ، الى أمثال هذه الأمور التي تدل على كذب الكاذب .

---

(١) في ك و ط (وبما) .

(٢) في ك و ط زيادة (من) .

(٣) ويح : كلمة رحمة ، وويل : كلمة عذاب ، وقيل : هما بمعنى واحد . مختار : ٧٣٩ .

(٤) أخرجه ابن جرير في تاريخ الامم والملوك بمعناه ٣ : ٣٠٠ ، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية ٦ : ٣٢٦ . وانظر في معنى كلمة ال : اللسان ١١ : ٢٦ مادة : ألل . وترتيب ١ : ١٧١ .

(٥) سقطت (به) من ك و ط . (٦) في ك و ط (بأنه) .

(٧) حقت : تحققت . وصار الناس منها على يقين . انظر مختار : ١٤٧ .

(٨) في ك و ط (على) .

(٩) جمع حسب : وهو مايعد من المآثر ، وهو مصدر: حَسُب ، والحسب والكرم : يكونان في الانسان وان لم يكن لآبائه شرف ، والرجل الحسيب : الكريم بنفسه ، واما المجد والشرف : فلا يوصف بهما الشخص الا اذا كانا فيه وفي آبائه ، والحسب مأخوذ من الحساب ،وهو عَدّ المناقب ، لانهم اذا تفاخروا حسب كل واحد مناقبه ومناقب آبائه . انظر المصباح ١:١٣٤ .

(٩) تاريخ الأمم والملوك ٣ : ٢٩٤ بمعناه والكامل ٢ : ٢٤٦ والبداية والنهاية ٦ : ٣٢٤ .

فالصدق له دلائل مستلزمة[١] له تدل على الصدق . والكذب له دلائل مستلزمة تدل على الكذب ، ولايجوز الحكم بصدق مخبر ولابكذب مخبر الا بدليل ، ومالم يعلم صدقه ، ولا كذبه ، ولاثبوته ، ولا انتفاؤه ،فانه يجب الامساك عنه ، ويقول القائل : هذا لم أعلمه ، ولم يثبت عندي ، ولا أجزم به ، ولا أحكم به ، ولا[٢] أستدل به ، ولا أحتج به ، ولا أبنى عليه مذهبي واعتقادي وعملي ، ونحو ذلك . لايقول : هذا أقطع بكذبه وانتفائه ، وان كنت أقطع أن من أثبته تكلم بلا علم ، فالقطع بجهل مثبته ، المعتقد له ، غير القطع بانتفائه ، فمن قطع فيه[٣] بلا دليل يوجب القطع قطعنا بجهله وضلاله وخطئه وان لم يقطع بانتفاء ما أثبته في نفس الأمر ، كمن[٤] حكم بشهادة مجروح فاسق أمر الله بالتثبت في خبره ، فمن حكم وقطع بخبره ، من غير دليل يدل على صدقه ، حكمنا بأن هذا متكلم حاكم بلا علم، وان لم يحكم بكذب الشاهد المخبر ، لكن لايجوز للانسان أن ينفى علم غيره ، وقطع غيره ، من غير علم منه بالأسباب التي بها[٥] يُعْلَم ويُخْبِر ، فانه كثيرا مايكون للانسان دلائل كثيرة ، تدل على صدق شخص معين ، وثبوت أمر معين ، وان كان غيره لايعرف شيئا من تلك الدلائل .

---

(١) سقطت (له) من ط .

(٢) سقطت (لا) من ط .

(٣) في ك و ط (بشيء) .

(٤) في أ (كم) وقد صوبناه من ك و ط .

(٥) في ك و ط (يعلم بها) .

وهذا ـ أيضا ـ مما يغلط فيه كثير من الناس ، ينظرون في أنفسهم ومبلغ علمهم ، فاذا لم يجدوا عندهم مايوجب العلم بذلك الأمر ، جعلوا غيرهم كذلك ، من غير علم منهم بانتفاء أسباب العلم عند ذلك الغير ، وقد يقيمون حججا ضعيفة على أن غيرهم لايعلم ذلك ، مثل مايفعله كثير من الناس بالنظر والاستدلال والاعتبار ، ومن لم يساوهم في نظرهم وأدلتهم وقوة أذهانهم لايعلم ماعلموه . وكثير من الناس يعلم بالاخبار والنقل والاستدلال بذلك أمورا كثيرة ، ومن لم يشاركهم فيما سمعوه وفيما عرفوه من أحوال المخبرين والمخبر (١) ، وكمال معرفتهم بذلك لايعلم ماعلموه .

فلهذا ، كان لأهل النظر العقلي طرق لايعرفها أهل الأخبار . ولأهل الأخبار السمعية طرق لاتعرف بمجرد (٢) العقول ، ولهذا كان لهؤلاء من الطرق الدالة على صدق الرسول ونبوته ، والاستدلال على ذلك ، أمور كثيرة لايعرفها أهل الحديث والأخبار (٣) ، وعند هؤلاء من الأحاديث المتواترة عندهم ، والآيات (٤) المستفيضة عندهم ، مايعلمون بها صدق الرسول ، وان كان أولئك لايعرفونها. بل طرق معرفة الصانع وتصديق رسوله قد يكون لكل قوم منها طريق أو طرق لايعلمها آخرون ، وهم مشتركون في الاقرار بالله وبرسوله ، ولكل قوم طرق وأدلة غير طرق الآخرين وأدلتهم .

---

(١) سقطت (والمخبر) من ط .

(٢) في أ (لايعرف مجرد) .

(٣) في ك و ط (الآثار) .

(٤) في ك و ط (والآثار) ـ أيضا ـ .

بل ماتواتر عندهم من أحوال الرسول : قد يكون المخبرون لهؤلاء (١) ،الذين تواتر عندهم ما أخبروهم به من آياته وشرائعه ، غير المخبرين لأولئك ، كما كان الصحابة المخبرون لأهل الشام بآيات الرسول ، وبالقرآن ، وشرائع الأسلام ، غير الصحابة المخبرين لأهل العراق ، ولكن خبر هؤلاء يصدق خبر هؤلاء ، وان كان كل من الطائفتين لايعلم أعيان أولئك الذين أخبروا أولئك .

وهكذا سائر العلوم : قد يكون الذي عَلّم هؤلاء الفقه أو النظر (٢) ، أو النحو، أو الطب ، غير الذي علم هؤلاء ، وان اشترك الجميع في جنس الفقه ، والنظر، والنحو ، والطب.وعَلِم هؤلاء ماعَلِمه هؤلاء (٣) من الأعيان والأنواع ، مع أن طريق هؤلاء ليس طريق أولئك ، وان اشتركوا في النوع .

وعامة مايعلمه الناس بالحس ، هو من هذا الباب ، فان الانسان يحس بأحوال نفسه : من جوعه ، وعطشه ، وشبعه ، وريه ، وحبه ، وبغضه ،وشهوته ، ونفرته ، وألمه ، ولذته ، بل يحس بأعضائه كبطنه ، وفرجه ، ولايحس بأحوال غيره ، ولكن يشتركان في الجنس العام ، فيشتركون في جنس الاحساس بجوعهم وشبعهم ، وقد يشتركون في غير مايحسونه ، كاشتراكهم في رؤية الشمس ، والقمر والهلال ، والكواكب .

---

(١) سقطت (لهؤلاء) من أ .

(٢) في أ (والنظر) .

(٣) أليس من الأولى من جهة الاسلوب أن تستخدم كلمة (أولئك) هنا ، حتى لاتتكر الكلمة بعينها ؟ كما هو موجود بالموضع الذي يليه .

وقد غلط في مثل هذا طائفة من المتكلمين في المنطق اليوناني ،فزعموا أن العلوم التجريبية ، والتواترية ، والحدسية ، ان جعلوها[١] قسما غير التجريبية فان فيهم[٢] من يجعل الحدسية نوعا من التجريبية ، ومنهم من يجعلها جنسا آخر ، فزعم هؤلاء أن هذه العلوم مختصة ، لاتقوم بها الحجة على من لم يعلمها ، دون الحسيات ، والوجديات[٣] والعقليات . وليس كذلك ، بل كما أن هذه تكون مشتركة تارة ، ومختصة أخرى ، فكذلك الحسيات ، فان كل أهل[٤] زمان ومكان ، يعلمون بالحس من أحوال ذلك المكان والزمان ، وأحوال أهله مالا يشركهم فيه غيرهم . وكذلك الوجديات[٥] : فان من ابتلى بالغرائب في الأمور السياسية والبدنية ، يعلم منها مالا يشركه فيه غيره .

---

(١) سقطت (ان جعلوها) من ط .

(٢) في ط (وفيهم) .

(٣) في ط (الوجدانيات) .

(٤) في ك و ط (أهل كل) .

(٥) في ط (الوجدانيات) .

وكذلك العقليات ، فان من الناس من يكون له أصل يقيس به الفرع ، فيعلم القدر المشترك الذي هو الحد الأوسط (١) ، ويعلم من تَعَلَّق الحكم به مالم يعلمه غيره .

فأجناس العلوم وطرقها منها ماهو مختص ، ومنها ماهو مشترك ، والمشترك منه مايشترك فيه جنس بني آدم ، ومنه مايشترك فيه نوع منهم وطائفة ، فهذا أصل جامع ينبغي معرفته لمن تكلم في هذا الباب .

---

(١) الحد في اللغة : هو الفاصل بين المحدود وغيره . وفي الاصطلاح : هو اما أن يكون بحسب الاسم وهو الحد اللفظي الذي يحتاج اليه في الاستدلال بالكتاب والسنة وكلام كل عالم . واما بحسب الوصف ،وهو تفهيم الحقيقة التي عُرفت صفتها ، وهذا يحصل بالرسم والخواص وغير ذلك . والحد الأوسط كالحد المكرر في قياس الشمول مثل قولنا : كل مسكر خمر وكل خمر حرام. انظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام ٩ : ٢٣٤ و ٢٦٣ وصون المنطق والكلام : ٢٣٥ .

فصـــل

(أحوال وشواهد صـدق المخبر وكذبـــه)

واذا كان جنس من يُخْبِر قد يكون كاذبا ، وقد يكون صادقا ، فقد علم أنه ليس كل واحد أخبر بخبر يصـدق مطلقا ، ولايكذب مطلقا ، فلم يقل أحد من العقلاء ان كل خبر واحد ، أو خبر كل واحد يكون صدقا ، أويفيـد العلم ، ولا أنه يكون كذبا ، بل الناس يعلمون أن خبـر الواحد قد يقوم دليل على صدقه فيعلم أنه صدق ،وان كان خبر واحد ، وقد يقوم الدليل على كذبه ، فيعلم أنـه كذب وان أخبر به ألوف ، اذا كان خبرهم على غيـر(١) علم منهم بما أخبروا به ، أو عن تواطئ منهم علـى الكذب ، مثل : اخبار أهل الاعتقادات الباطلة بالباطـل الذي يعتقدونه ، وأما اذا أخبروا(٢) عن علم منهم بمـا أخبروا به ، فهؤلاء صادقون في نفس الأمر ، ويعلـم صدقهم تارة بتوافق(٣) أخبارهم من غير مواطأة ، ولو كانا اثنين ، فان الاثنين اذا أخبرا(٤) بخبر طويل ، أسنداه الى علم ، وقد علم أنهما لم يتواطأا(٥) عليه ، ولاهو ممـا قد يتفق(٦) ـ في العادة ـ تماثلهما فيه في الكـذب أو الغلط . علم أنه صدق .

---

(١) في ك و ط (عن) .
(٢) في ك و ط زيادة : (به) .
(٣) في ك و ط (بتواتر) .
(٤) في أ (أخبروا) .
(٥) في ط (يتواطئا) .
(٦) سقطت (قد) من ك و ط .

وقد يُعلم صدق الخبر الواحد بأنواع من الدلائل ، تدل على صدقه ،ويعلم صدق خبر الواحد بقرائن تقترن (١) بخبره يعلم بها صدقه . وتلك الدلائل والقرائن قد تكون صفات في المخبر من علمه ، ودينه ، وتحريه الصدق ، بحيث يُعلم قطعا أنه لايتعمد الكذب ، كما يَعْلم علماء أهل الحديث ـ قطعا (٢) ـ أن ابن عمر ،وعائشة ، وأبا سعيد ، وجابر بن عبد الله ، وأمثالهم لم يكونوا يتعمدون الكذب على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فضلا عن أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وابن مسعود ، وأُبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وأمثالهم ، بل يعلمون علما يقينيا أن الثوري ، ومالكا (٣) ، وشعبة (٤) ، ويحيى بن سعيد (٥) ، وعبد الرحمن بن مهدي ، وأحمد بن حنبل ، والبخاري ، وأبا زرعة ، وأبا داود وأمثالهم لايتعمدون الكذب في الحديث .

---

(١) سقطت (تقترن) من ط .

(٢) في ك و ط زيادة : (علما يقينيا) وجاء بدل " قطعا " كلمة (قطعيا) في ط.

(٣) في ك و ط (مالك) .

(٤) هو شعبة بن الحجاج ، وهو مترجم ص : ٥٢٧.

(٥) هناك أكثر من رجل بهذا الاسم في محيط علماء المسلمين الأوائل ، ومن المؤكد أن الشيخ ـ رحمه الله ـ يقصد : يحيى بن سعيد بن فروخ، أبو سعيد التميمي مولاهم البصري ، الأحول القطان ، الامام الكبير الحافظ ، ولد سنة ١٢٠ هـ ، سمع من سليمان التيمي وهشام بن عروة والثوري وغيرهم ، وسمع منه سفيان وشعبة وأحمد وغيرهم ، وكان في الفروع على مذهب أبي حنيفة اذا لم يجد النص ، مات سنة ١٩٨ هـ سير.. النبلاء ٩ : ١٧٥ ـ ١٨٨ ، وتهذيب التهذيب ١١ : ٢١٦ .

وقد تكون الدلائل صفات في المُخْبَر به مختصة بذلك الخبر ، أو بنوعه (١) يُعلم بها أن ذلك المُخْبِر لايَكْذِب مثل ذلك الخبر ، كحاجب الأمير اذا قال بحضرته لعسكره ان الأمير قد أذن لكم في الانصراف ، أو أمركم أن تركبوا غدا ، أو (٢) أمَرّ عليكم فلانا ، ونحو ذلك ، فانهم يعلمون أنه (٣) لايتعمد الكذب في مثل هذا ، وان لم يكن بحضرته ، فكيف اذا كان بحضرته ، وان كانوا قد يكذبونه في غير هذا (٤) .

وقد تكون الدلائل : سماع من شاركه في العلم بذلك الخبر ، واقراره (٥) عليه ، فان العادة كما قد تمنع التواطؤ على الكذب ، فانها قد تمنع التواطؤ (٦) على الكتمان ، واقرار الكذب ، والسكوت عن انكاره ، فما توافرت الهمم والدواعي على ذكره والخبر به يمتنع أن يتواطأ أهل التواتر على كتمانه ، كما يمتنع في العادة أن تحدث حادثة عظيمة ، تتوفر الهمم والدواعي على نقلها ، في الحج ، أو الجامع ، أو العسكر ، وحيث توجب العادة نقل الحاضرين لما عاينوه ، ثم لاينقل ذلك أحد .

---

(١) في ك و ط (تنوعه) .

(٢) في ك و ط زيادة : (قال : قد).

(٣) في ك و ط (لم) .

(٤) في ك زيادة (لا) بخط كبير ،وفي الهامش (كذا بخط الشيخ هنا " لا " هـ) ويبدوا أنها كانت علامة لبداية كتابة ملغاة . وأن الالغاء وهم من الناسخ نظرا لتكرر عبارة :(وقد تكون الدلائل ...)الخ عند بداية هذا الالغاء ومابعد نهايته ، والتي سوف يشار اليها في موضعها وهى بمقدار ثلث صفحة من ك .

(٥) في ك (واقراؤه) وفي ط (واقروه) .

(٦) في آ و ك رسمت (التواطي) .

واقرار الكذب والسكوت على رده ، أعظم امتناعا في العادة من الكتمان ، فان الانسان في العادة قد تدعوه نفسه الى أن يسكت على (١) مارآه وسمعه ، فلا يخبر به . ولاتدعوه نفسه الى أن يكذب عليه ، ويخبر عنه بما يعلم أنه كذب عليه ، فيقره ولاينكره ، اذ كانت عادة الناس الى تكذيب مثل هذا أبلغ من عادتهم بالاخبار به (٢) .

وكذلك اذا كُذب في قصة (٣) ، وبلغ ذلك من شاهدها ، فتوفر الهمم على تكذيب هذا أعظم من توفرها على اخبارهم بما وقع ابتداء (٤) ، فاذا كانت من القضايا التي يمتنع السكوت عن اظهارها ، فالسكوت عن تكذيب الكاذب فيها أشد امتناعا (٥) .

وقد تكون الدلائل صفات فيه تقترن بخبره ، فان الانسان قد يرى حُمرة وجهه ، فيميز بين حمرته من الخجل والحياء ، وبين حمرته من الحمى وزيادة الدم ، وبين حمرته من الحمام ، وبين حمرته من الغضب .وكذلك يميز بين صفرته من الفزع والوجل ، وبين صفرته من الحزن والخوف ، وبين صفرته من المرض ،فكما أن سَحْنَته (٦) ووجهه يعرف بها أحوال بدنه الطبيعية ، من أمراضه المختلفة ، حتى ان الأطباء الحذاق يعلمون حال المريض من سحنته ، فلا يحتاجون مع ذلك الى نبض وقارورة (٧) . وكذلك (٨) تعرف أحواله النفسانية ، هل هو فرح مسرور ؟

---

(١) في ك و ط (عما) .

(٢) في ك و ط (في الاخبار بما رأوه) .

(٣) في ك و ط (قضية) .

(٤) في ك و ط تقدمت (ابتداء) على جملة (بما وقع) .

(٥) في ك زيادة (الى) بخط كبير بارز مرتفعة عن السطر ،وفي الهامش (الى هنا) . وتفسيرها كما أشرت منذ قليل .

(٦) السحنة : الهيئة واللون والحال . اللسان ١٣ : ٢٠٤ مادة : سحن .

(٧) القارورة هنا : هي الزجاجة التي يوضع فيها بول المريض ، فقد كانت بمثابة المجهر أو المختبر .

(٨) في ك و ط (فكذلك) .

أو محزون مكروب ؟ ويعلم هل هو محب صديق ، مريد للخير ؟ أو هو مبغض عدو ، مريد للشر ؟ كما قيل :

تحدثني انعينان ما القلب كاتم (١) ..... (٢) ..... (٣)
والعين تعرف من عيني محدثها إن كان من حزبها أو من أعاديها

وكما قيل :

..... (٤) ولاخير في الشحناء والنظر الشَّزْر (٥)

---

(١) هذا شطر بيت من بحر الطويل ،وشطره الأخير هو الآتي ، وقد عزاه د.محمد رشاد سالم في فهرس درء تعارض العقل والنقل ١١ : ١٤٧ الى سويد بن الصامت وقال د . طه العلواني في تحقيقه للمحصول للرازي جـ ٢ ، ق ١:٣٠٦ وذكر من استشهد بهذا البيت ثم قال :"ولم استطع معرفة الشطر الآخر للبيت ولا قائله " .

(٢) في ك و ط (حربها) بالراء المهملة .

(٣) البيت من بحر البسيط ، وقد أورده الشيخ المؤلف بدون فصل بينه وبين الشطر من بيت الذي قبله .

(٤) في ك و ط (السحناء) بالسين المهملة .

(٥) هذا هو الشطر الثاني ـ فيما أظن ـ للبيت الذي أورد الشيخصدره قريبا ، وعليه يكون البيت هكذا :

تحدثني العينان ماالقلب كاتم ولاخير في الشحناء والنظر الشزر

والنظر الشزر : هو اذا نظر بمؤخر عينه متبغضا ، وهو نظر فيه اعراض كنظر المعادي ، وقيل : هو النظر عن يمين وشمال ، وليس بمستقيم الطريقة ، قال الفراء :"شزرته أشزره شزرا ،ونزرته أنزره نزرا : اذا أصبته بالعين " . معجم مقاييس اللغة ، باب الشين والزاء وماثلثهما ٣ : ٢٧٠ لأحمد بن فارس بن زكريا ـ ٣٩٥ هـ ت : عبد السلام هارون ،ط٢، مصطفى الحلبي بمصر ١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠م ،واللسان ٤ : ٤٠٤ ، مادة : شزر .

ثم اذا تكلم مع ذلك (١) ، دل كلامه على أبلغ مما يدل عليه سيما (٢) وجهه ، كما قال – تعالى – عن المنافقين – : (ولو نشاء لأريناكهم ، فلعرفتهم بسيماهم ، ولتعرفنهم في لحن القول ...) (٣) * فأخبر أنه لابد أن يعرف المنافقين في لحن القول * وأن معرفتهم بالسيما معلقة بالمشيئة ، والمنافق الكاذب يقول بلسانه ماليس في قلبه ، فبين أنه في لحن قوله يُعلم أنه كاذب .

وقال – في حق المؤمنين – : * سيماهم في وجوههم من أثر السجود ... * (٤)

وقال – في حق الكافر – : *عتل بعد ذلك زنيم * (٥) أي له زنمة من الشر ، أي علامة يعرف بها (٦) .

---

(١) سقطت (مع ذلك) من ك و ط .

(٢) السيما : العلامة . الكشاف ٣ : ٥٣٧ .

(٣) لحن القول : نحوه وأسلوبه ، وقيل : اللحن : هو أن تلحن بكلامك : أي تميله الى نحو من الأنحاء ليفطن له صاحبك ، كالتعريض والتورية . وقيل للمخطيء : لاحن ، لأنه يعدل بالكلام عن الصواب المصدر والموضع السابق .

(٣) سورة محمد – صلى الله عليه وآله وسلم – : ٣٠ .

(٣) مابين النجمتين سقط من ط .

(٤) سورة الفتح : ٢٩ .

(٥) سورة القلم : ١٣ .

(٦) هذا تفسير ابن عباس وتلميذه سعيد بن جبير كما أخرجه ابن جرير باسناده عنهما ، جامع البيان ٢٩ : ٢٦ ، ورواه الحاكم في المستدرك ٢ : ٤٩٩ ، كتاب التفسير ، وقال : "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه" ، ووافقه الذهبي ، وذكره ابن كثير في تفسيره ٨ : ٢٢٠ – ٢٢١ ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦ : ٢٥٣ الى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، والخرائطي في (مساويء الأخلاق) والحاكم وصححه عن ابن عباس .

وقد روي عن عثمان بن عفان - رضي الله عنه -[1]: "ما أسر أحد سريرة الا أبداها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه"[2].

وقد بسطنا الكلام على هذه في مسألة الايمان[3][4]، وبينا أن مايقوم بالقلب من تصديق، وحب الله ورسوله وتعظيم، لابد أن يظهر على الجوارح[5]، وكذلك بالعكس. ولهذا يستدل بانتفاء اللازم الظاهر على انتفاء الملزوم الباطن[6]،

---

(١) لم ترد في ط الجملة الدعائية.

(٢) هذا الأثر ذكره ابن مفلح ولم يعزه الى مصدر. الآداب الشرعية والمنح المرعية ١ : ١٥٣ لمحمد بن مفلح المقدسي ٧٦٣ هـ تصوير ونشر مكتبة الرياض الحديثة بالرياض.

(٣) رسمت في أ و ك هكذا " مسئلة " .

(٤) وهو الكتاب الذي ألفه الشيخ المؤلف باسم (الايمان) وقد طبع مرات متعددة في دلهي بالهند سنة ١٣١١ هـ وفي مصر سنة ١٣٢٥ هـ وفي دمشق سنة ١٣٨١ هـ = ١٩٦١م .وهو يقع في مجلد، وقد قام شيخ الاسلام بالكلام على هذا الأصل الهام من أصول الدين بكلام شاف، أورد فيه كل مايحتاجه المسلم لمعرفة اعتقاده، ومايكون حجة على المعاند في عناده وكفره، ففيه بيان حقيقة الايمان وشعبه، والفرق بينه وبين الاسلام والاحسان، وفيه الرد على أهل البدع والضلالات. انظر مقدمة طبعة المكتب الاسلامي بدمشق، بقلم زهير الشاويش سنة ١٣٨١ هـ .

(٥) سقطت (أن) من ط .

(٦) في ط (استدل) .

كما في الحديث الصحيح عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : " الا ان في الجسد مضغة (١) اذا صلحت صلح لها سائر الجسد ،واذا فسدت فسد لها سائر (٢) الجسد ، ألا وهي القلب (٣) " . وكما قال عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ لمن رآه يعبث في الصلاة :"لوخشع قلب هذا لخشعت جوارحه (٤) ". ومن هذا الباب قوله ـ تعالى ـ : ﴿ لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ... ﴾ (٥) وقوله : ﴿ ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل اليه ما اتخذوهم أولياء ... ﴾ (٦) وقوله ﴿ ... ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ... ﴾ (٧).

---

(١) المضغة : مقدار مايمضغ في الفم . انظر مصباح : ٤٢٦ .

(٢) في أ (فسدت) .

(٣) رواه البخاري بمعناه ، كتاب الايمان ،باب فضل من استبرأ لدينه ، ١ : ١٢٦ (٥٢) من الفتح . ورواه مسلم بمعناه ـ أيضا ـ كتاب المساقاة ، باب أخذ الحلال وترك الشبهات ٣ : ١٢١٩ ـ ١٢٢٠ (١٥٩٩) . ورواه أبو داود الطيالسي بنحوه في مسنده ٣ : ١٠٦ ـ ١٠٧ (٧٨٨) .

(٤) رواه الحكيم الترمذي في (النوادر) مرفوعا بسند شديد الضعف ، قال الزين العراقي في شرح الترمذي :"وانما يعرف هذا عن ابن المسيب ،وقد رواه ابن المبارك في (الزهد) موقوفا على سعيد بسند ضعيف ـ أيضا ـ" قال الألباني :"فالحديث موضوع مرفوعا ، ضعيف موقوفا بل مقطوعا . ويروى عن حذيفة رضى الله عنه". انظر رسالة الخشوع في الصلاة لابن الجوزي : ١٧ ، ت : محمد عفيفي ، ط ١ نشر مكتبة : الحرمين بالرياض ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠م وسلسلة الأحاديث الضعيفة ١: ١٤٣ ـ ١٤٤ (١١٠) .

(٥) سورة المجادلة : ٢٢ .

(٦) سورة المائدة : ٨١ .

(٧) سورة التوبة : ٤٦ .

فان الارادة التي في القلب مع القدرة توجب فعل المراد . والسفر في غزوة بعيدة لايكون الا بعُدَّة[١] ، ومن هذا الباب أنعثمان قال لعمر ، لما شاوره في المرأة التي أقرت بالزنا - : " اني أراها تستهل به استهلال من لايعرف أنه حرام[٢] ". فانه لما رآها تجهر بما فعلته ، وتحكيه من غير اكتراث ، تبين له أنها لم تعتقد تحريمه ، وأنه يذم وتعاقب عليه ،ووافقه عمر ، وعلي ، وغيرهما على ذلك .

والرجل الصادق البار يظهر على وجهه من نور صدقه ، وبهجة وجهه سِيْما يعرف بها ، وكذلك الكاذب الفاجر ، وكلما طال عمر الانسان ظهر هذا الأثر فيه ، حتى ان الرجل يكون في صغره جميل الوجه ، فاذا كان من أهل الفجور مصرا على ذلك ، يظهر عليه في آخر عمره من قبح الوجه ما أشَّره باطنه وبالعكس .

وقد روى عن ابن عباس أنه قال : " ان للحسنة لنورا في القلب ،وضياء في الوجه ، وقوة في البدن ، وسعة في الرزق ، ومحبة في قلوب الخلق ، وان للسيئة لظلمة في القلب ، وسوادا في الوجه ، ووهنا في البدن ، وبغضة[٣] في قلوب الخلق[٤] " .

---

(١) في ك (تكون) بالتاء المثناة الفوقية .

(٢) السنن الكبرى للبيهقي ، كتاب الحدود ،باب ماجاء في درء الشبهات ٨:٢٣٨ واسناده - كما قال الالباني في ارواء الغليل ٧ : ٣٤٢ (٢٣١٤):"اسناد ضعيف".

(٣) في ط (بغضا) .

(٤) أخرجه أبو نعيم بمعناه عن أنس بن مالك مرفوعا كما في الحلية ٢ : ١٦٠ - ١٦١ ، وقال :"غريب لم نكتبه الا من هذا الوجه ، تفرد به عمرو بن أبي قيس". كما أخرجه أبو نعيم - نفسه - عن الحسن بن صالح موقوفا ، الحلية ٧ : ٣٣٠ .

وقد يكون الرجل ممن لايتعمد الكذب ، لكن يعتقد اعتقادات باطلة كاذبة ، في الله أو في رسله ، أو في دينه ، أو[١] عباده الصالحين ، وتكون له زَهادة وعبادة ، واجتهاد في ذلك ، فيؤثر ذلك الكذب ، الذي ظنه صدقا وتوابعه في باطنه ، ويظهر ذلك على وجهه ، فيعلوه من القَتَرة[٢] والسواد[٣] مايناسب حاله ، كما قال بعض السلف : " لو ادهن صاحب البدعة كل يوم بدهان، ان سواد البدعة لفي وجهه " .

وهذه الأمور تظهر يوم القيامة ظهورا تاما ، قال – تعالى – : ﴿ ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة ، أليس في جهنم مثوى[٥] للمتكبرين ؟ ﴾ وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم[٦] ، لايمسهم السوء ولاهم يحزنون[٧] ﴿ وقال – تعالى – : ﴿ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ، فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ﴾ ؟ وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون[٨] ﴾ .

---

(١) في أ (وعباده) وفي ط (أوفي) .

(٢) في ط (الفترة) بالفاء .

(٣) القترة : جمع قتر ، وهو الغبار. مختار : ٥٢١ .

(٤) في أ (ومايناسب) وعدم العطف أولى .

(٥) في ك و ط زيادة (كما) .

(٦) مثوى : مقام ومأوى . صفوة ٢٤ : ٨٦ .

(٧) بمفازتهم : بسبب سعادتهم وفوزهم بمطلوبهم وهو الجنة . المصدروالموضع السابق .

(٨) سورة الزمر : ٦٠ – ٦١ .

(٩) سورة آل عمران : ١٠٦ – ١٠٧ .

قال[1] ابن عباس وغيره : " تبيض وجوه أهل السنة والجماعة ، وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة "[2].

والمقصود أن مافي القلوب من قصد الصدق ، والمحبة ، والبر ، ونحو ذلك ، قد يظهر على الوجه حتى يعلم ذلك علما ضروريا من أبلغ العلوم الضرورية ، وكذلك مافيها من قصد الكذب ، والبغض ، والفجور ،وغير ذلك . والانسان يرافق في سفره من لم يره قط الا تلك الساعة ، فلا يلبث اذا رآه مدة وسمع كلامه ، أن يعرف هل هو مأمون يطمئن اليه ، أوليس كذلك ؟ وقد يشتبه عليه[3] في أول الأمر وربما غَلِط ، لكن العادة الغالبة أنه يتبين ذلك بَعْدُ لعامة الناس .

---

(١) في ط (وقال) .

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١ : ٧١ – ٧٢ لهبة الله بن الحسن الطبري اللالكائي – ٤١٨ هـ ت : د. أحمد سعد حمدان ، دار طيبة ،الرياض وقد عزاه السيوطي الى ابن أبي حاتم ، وأبي نصر – أي السجزي – في (الإبانة) والخطيب في (تاريخه) واللالكائي في (السنة) عن ابن عباس ، وقال : (الضلالة) بدل (الفرقة) كما عزاه الى الخطيب في رواية مالك والديلمي عن ابن عمر بنحوه ، وقد عزاه الى أبي نصر السجزي في الابانة عن أبي سعيد الخدري . وذكره ابن كثير في تفسيره ، ٢ : ٧٦ . ولم أجده عند الطبري ، وانظر الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٢ : ٦٣ .

(٣) في ك و ط زيادة : (ذلك) .

وكذلك الجار يعرف جاره ، والمُعَامِل[1] يعرف معامله : ولهذا لما شهد عند عمر بن الخطاب رجل ، فزكاه آخر ، قال :"هل أنت جاره الأدنى ، تعرف مساءه وصباحه"؟ قال : لا ،قال :"هل عاملته في الدرهم والدينار ، الذين تمتحن بهما أمانات الناس ؟"قال : لا ، قال :"هل رافقته في السفر الذي ينكشف فيه[2] أخلاق الناس ؟"قال : لا ، قال : " فلست تعرفه " وروي أنه قال : " لعلك رأيته يركع ركعات في المسجد "[3]. وذلك أن المنافق قد يُظْهِر الصلاة فمن لم يَخْبُرْه لايعرف باطن أمره كما قيل :

ذئب تراه مصليا ... فاذا مررت به ركع

يدعو وجل دعائه ... ماللفريسة لاتقع

واذا الفريسة خيلت[4] ... ذهب التنسك والورع[5]

---

(١) لم تظهر الميم الأولى جيدا في كلمة (المعامل) في أ .

(٢) في ك و ط (تنكشف) بالتاء في أوله .

(٣) السنن الكبرى للبيهقي ، كتاب آداب القاضي ، باب من يرجع اليه في السؤال ١٠ : ١٢٥ . قال الصنعاني :"رواه ابن كثير (ويقصد : ذكره ، فابن كثير مؤلف وليس براو) في الارشاد ... قال ابن كثير :"رواه البغوي باسناد حسن " . سبل السلام ٤ : ١٢٩ لمحمد بن اسماعيل الأمير الصنعاني ـ ١١٨٢ هـ ط ٢ ، مصطفى الحلبي بمصر ١٣٦٩ هـ = ١٩٥٠م . وقد راجعت مضان وجود هذا الأثر في شرح السنة للامام الحسين بن مسعود البغوي ـ ٥١٦ هـ فلم أجده .

(٤) خيلت : تهيأت . المصباح ١ : ١٨٦ .

(٥) هذه الأبيات من مجزوء الكامل ، ولم أصل الى قائلها ، مع طول بحث . وقد أوردها الشيخ عبد العزيز السلمان في كتابه : من معجزات النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ص : ٧١ ، ط ٨ ، مطبعة المدينة ، الرياض ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩م وجاء بالبيت الثالث منها هكذا :

عجل بها عجل بهما ... ان الفؤاد قد انصدع

وقد سألته عنها في زيارة له بمنزله بالعلياء فلم يدلني على شيء .

فاذا كان كذلك ، فمن نبأه الله واصطفاه للرسالة ، كان قلبه من أفضل القلوب صدقا وبرا ، ومن افترى على الله الكذب ، كان قلبه من شر القلوب كذبا وفجورا ، كما قال عبد الله بن مسعود : " ان الله نظر في قلوب العباد ، فوجد قلب محمد خير قلوبالعباد ، فاصطفاه لرسالته ، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد ،فاتخذهم (١) لصحبة نبيه وإقامة دينه ، فما رآه المؤمنون حسناً فهو عند الله حسن ، ومارآه المؤمنون (٢) سيئاً (٣) ، فهو عند الله سيء " .

وقال عبد الله بن مسعود : " من كان منكم مستنا (٤) فليستن بمن قد مات ، فان الحي لايؤمن عليه الفتنة ،أولئك أصحاب محمد : أبر هذه الأمة قلوباً ، وأعمقها علماً ، وأقلها تكلفاً ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ، واقامة دينه ،فاعرفوا لهم حقهم ، وتمسكوا بهديهم ، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم (٥) " .

---

(١) في ك وط (فاختارهم) .

(٢) في ك و ط (المسلمون) في الموضعين .

(٣) رواه الامام احمد في المسند ٥ : ٢١١ (٣٦٠٠) ت شاكر .وأورده الهيثمي في المجمع ١ : ١٧٧ وقال :"رواه أحمد والبزاروالطبراني ـ في الكبير ـ ورجاله موثقون". ورواه أبو داود الطيالسي في مسنده ١ : ٣٣ (٢٤٦) .

(٤) مستنا : سالكا طريق غيره في الهداية والصلاح . انظر اللسان ١٣:٢٢٥ ـ ٢٢٦ مادة : سنن .

(٥) أخرجه أبو نعيم في الحلية ١ : ٣٠٥ عن ابن عمر ، وليس فيه :" فان الحى لايؤمن عليه الفتنة ..." الخ . وهذه الجملة عن ابن مسعود في الحلية ١ : ١٣٦ .

واذا كان من أعظم ، بل أعظم أهل زمانه صدقا وبرا ، فانه لابد أن يظهر على فلتات لسانه ، وصفحات وجهه ، ماينـاسب ذلك ، كما أن الكاذب الكافر لابد أن يظهر على وجهه ، وفلتات لسانه ماينـاسب ذلك . وهذا يكون تارة حين إخباره بما يخبر به ، وتارة موجودا في غير تلك الحال ، فان الرجل اذا جاء ، وقال : إن السلطان ، أو الأمير أو الحاكم ، أو الشيخ ، أو فلاناً أرسلني إليكم بكذا ،فانه قد يقترن بنفس إخباره من كيفيته وحاله مايُعلم به أنه صادق أو كاذب ،وان كان معروفا قبل ذلك بالصدق أو الكذب ، كان ذلك دلالة أخرى ، وقد يكون ممن يكذب ، ولكن يُعرف أنه صادق في ذلك الخبر ، دع من يستمر على خبر واحد بضعاً وعشرين سنة مع أصناف الناس ، واختلاف أحوالهم .

ومما ينبغي أن يعلم أن الناس تختلف أحوالهم في المعرفة ، والخبرة ، والنظر ، والاستدلال في جميع المعارف ، فقد يتفطن الانسان لدلالة لايتفطن لها غيره ، وقد يتبين له مايخفى على غيره ، حتى الأنبياء يتفاضلون ، كما قال - تعالى - : (١) * وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث ، اذ نفشت فيه غنم القوم ، وكنا لحكمهم شاهدين (٢) * ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلماً ... (٣) * .

---

(١) نفشت فيه . رعت فيه ليلا فافسدته . صفوة ١٧ : ٢٦٩ .

(٢) أي مطلعين على حكم كل منهما عالمين به . المصدر والموضع السابق .

(٣) سورة الانبياء : ٧٨ - ٧٩ .

والمقصود : أن العلم بصدق الصادق ، وكذب الكاذب كغيرهما من المعلومات قد يكون ضرورياً ، وقد يكون نظرياً (١) ، وهو ليس من الضروريات الكلية الأولية ، كالعلم بأن الواحد نصف الاثنين ، بل من العلم بالأمور المعينة ، كالعلم بحمرة الخجل ، وصفرة الوَجَل (٢) ، وعدل العادل ، وظلم الظالم ، ونحو ذلك مما يعرفه الخبير بذلك علماً ضرورياً ، واذا كان استدلالياً (٣) ،فالمعرفة بالعلم لاتحصل بمجرد وجود الدليل في نفسه ، بل لابد من معرفة القلب به والناس متفاوتون (٤) في ذلك . والدليل أبدا هو ما استلزم المدلول ، فكل ماكان مستلزماً للشيء ، كان دليلاً عليه ، لكن لابد من معرفته ومعرفة أنه مُسْتَلزِم . ثم اذا حصل العلم صار ضرورياً ، وقد يكون ضروريا بلا واسطة دليل معين ، وليس العلم بالمعينات (٥) كالعلم بصدق هذا وكذب هذا ، مما يحتاج فيه الى القياس الشمولي (٦) ، فان ذلك انما يفيد بتوسط قضية كلية ، والمعينات قد لايحتاج فيها الى ذلك ، وان كان لابد فيها من خبرة بحال ذلك المعين .

---

(١) في ك و ط زيادة " كسبيا " .

(٢) الوجل : الخوف . مختار : ٧١١ .

(٣) هكذا في ك و ط وفي أ " كالمعرفة " وما أثبتناه أولى .

(٤) في ك و ط (متفاضلون) ورسمها الناسخ في أ هكذا (متفاوتون).

(٥) في ك و ط : (المغيبات) .

(٦) القياس الشمولي : هو انتقال الذهن من المعين الى المعنى العام المشترك الكلي ، المتناوله له ولغيره . مجموع فتاوى شيخ الاسلام ٩ : ١١٩ .

واذا كان القائل : اني رسول الله ، اما أن يكون من خيار الناس وأصدقهم ، وأبرهم ، وأفضلهم ، واما أن يكون من شرار الناس وأكذبهم وأفجرهم . والفرق بين هذين يكون من وجوه كثيرة ، لاتكاد تنضبط ، كل منها يعرف به صدق هذا وكذب هذا ، وكانت المعرفة بذلك قد تحصل عند سماع خبر هذا ، وخبر هذا ،ورؤية وجهه ، وسماع كلامه ، ومايلزم ذلك ، ويقترن به من بهجة الصدق ، ونوره ، ومن ظلمة الكذب ، وسواده ، وقبحه .

يتبين (١) بذلك أن كثيراً من الناس يحصل لهم علم ضروري بأن هذا النبي صادق ، وهذا المتنبي كاذب ، بمثل ذلك ، من قبل أن يروا خارقاً للعادة (٢) .

وقول بعض المتكلمين : مالم يكن خارقا للعادة ، لا (٣) اختصاص للنبي به فلا يدل،فيقال له : لفظ (خرق العادة) لفظ مجمل ، وان تعين (٤) دعوى النبوة صدقاً وكذباً ليس هو أمرا معتادا ، ولم يقع هذا الا في أفراد من العالم (٥)، وهو أقل بكثير من الاخبار بالمغيبات ،فان هذا أكثر في الوجود من دعوى النبوة ، اذ كل نبي يخبر بالمغيبات ، وليس كل من أخبر بها كان نبياً ، وهؤلاء الذين يقولون هذا ، يقول أكثرهم أو كثير منهم : ان دعوى النبوة ، والتحدي ، والمُعْجِز مجموعها هو المختص بالنبي . وإلا فهم يقولون : إن ماكان معجزة لنبي جاز (٦) أن يظهر على يدي ولي ، أو ساحر ، وانما يفرق بينهما التحدي وعدم المعارضة ، ومنهم من ينكر خرق العادة ان (٧) يظهر على يد غير نبي ، ومنهم من لايفرق بين الولي والساحر ، الا ببر هذا ،وفجور هذا ،ومنهم من يَطْرِد (٨) ذلك في النبي لاسيما متفلسفة اليونان (٩) ، فانهم من أجهل الناس

---

(١) في ك (تبين) وفي ط (فتبين) .
(٢) في ك و ط زيادة : (منفصلا عنه) . (٣) في ك و ط (فلا) .
(٤) في ك و ط (نفس) . (٥) في ك و ط (العالمين) .
(٦) في ك و ط زيادة : (دعوى النبوة مع).
(٧) في ك و ط تقدمت (ان) على جملة (خرق العادة) .
(٨) من اطرد الأمر : أي تبع بعضه بعضا وجرى . مختار : ٣٨٩ .
(٩) في ك و ط زيادة : (منهم) .

بأمر النبوة ، إذ كانوا لم يأخذوها من العلم بصدق الأنبياء ، وبما[(١)] جاءوا به من الآيات والبراهين ، والعلم بصفاتهم ، وانما أخذوها من القياس على المنامات ، فجوزوا فيها مثل مايجوز على النائم من الأحلام والتخيل ،ومايصيب أهل المُرَّة[(٢)] السوداء مما يشبه ذلك .

وهذا هو الموجود في عامة[(٣)] اتباع أرسطو ، ولكن متأخروهم ، كابن سينا ضم الى ذلك تصرفه في هيولى[(٤)] العالم ، لما بلغه من خوارقهم الفعلية التي لم يكن يعرفها أولئك ، اذ كان علم أرسطو هو ما[(٥)] كان يعلمه قومه من اليونان[(٦)] ، وهم أمة أولاد يافث[(٧)] ، لم يكن فيهم مافي أولاد سام ، كهود ، وصالح وغيرهما ، ثم أولاد ابراهيم الخليل الذي وعد[(٨)] الله أن يجعل في ذريته النبوة والكتاب ، حتى يكون علم النبوة مشهورا فيهم .

---

(١) في ك و ط (ما) .

(٢) وهى مرض سببه اكثار الانسان من الأغذية السوداوية ، كالعدس والدخن ولحم البقر والباذنجان ونحو ذلك ، وهو يبتدى بفترة (خمول) في البدن، وشدة عطش ، وقلة نوم . واذا لم يعالج منه أدى ذلك الى أمراض خطرة عسرة البرء مزمنة ، كالجذام ، والجرب ، والسكتة ، والصرع ، وعلاماته يبوسة العين وسائر الجسم ، وقلة النوم ، وكثرة الشرب ، وزياد الوسواس والفكر والبلغم ، وأن يرى في نومه الأهوال والمخاوف والخيالات والظلمة والأشياء السوداء المحرقة ويهرب من كل أحد ويرى الأموات ونحو ذلك . انظر تسهيل المنافع في الطب والحكمة ... ، : ٦٠

(٣) في أ كتب (كلام) ثم شطبها .

(٤) الهيولى : تقال عند الفلاسفة على مراتب ، فمنها : الهيولى الأولى ، وهى غير الصورة ، ومنها : ماهي ذوات صور ، فهذه منها : صور الاجسام البسائط ومنها صور الأجسام الآلية ومنها : صور الاجسام السماوية. لباب العقول : ٥٥ .

(٥) في ك و ط (بما) .

=

.....

= (٦) يافـــــث : هو أحد أولاد نوح الثلاثة ، وهو أبو الروم ، وقيل : هـــو أبـــو الترك والسقالبة ويأجوج ومأجوج ، وهو يافث بن نوح بن لامك ابن متشولخ بن خنوخ وهو ادريس بن يرد بن مهلاييل بن فينق بن أنوش ابن شبث بن آدم أبي البشر ـ عليه السلام ـ البداية والنهاية ١ : ١٠٠ و ١١٥ .

(٧) سام : ويقال ساما بن نبي الله نوح ـ عليه السلام ـ قيل انه ولد قبل الطوفان بثمان وتسعين سنة ، وقد أوصى اليه ابوه نوح عند موتـــه لأنه أكبر أولاده ، وهو أبو العرب وفارس والروم ، وامرأته صلب ابنـة بتاويل بن محويل بن خنوخ بن قين بن آدم ، وولدت له أربعـــة أولاد ، وعُمِّر ٦٠٠ سنة . انظر الكامل ١ : ٤١ ـ ٤٢ و ٤٤ و ٤٦ .

(٨) في ك و ط (وعده) بالهاء في آخره .

وقد جعل الله ـ تعالى ـ من زمن الخليل في ذريته النبوة والكتاب ، كما أخبر بذلك في القرآن ، وهم (١) لم يكونوا من ذريته ، ولا كانوا (٢) خبيرين بأحوال ذريته ، وقد ذكر طائفة منهم ، كمحمد بن يوسف العامري (٣) ، وصاعد بن صاعد (٤) الأندلسي ، أن أساطينهم خمسة ثم (٥) أربعة : ابندقلس (٦) ، ثم فيثاغورس (٧) ، ثم سقراط (٨) ، ثم أفلاطن (*) ، قدموا الشام واستفادوا من بني اسرائيل . ولهذا لم يكن من هؤلاء من قال بقدم العالم ، بخلاف أرسطو ، قالوا : فإنه لم يقدم الشام ، وذكر هؤلاء ، كمحمد بن يوسف العامري وغيره: أن أول من لُقب بالحكمة : لقمان (٩) ، وأن ابندقلس استفاد منه ، ومن أتباع داود ـ عليه السلام ـ فانه كان في زمن داود ، واذا كان هذا قول هؤلاء النظار وأهل (١٠) الكلام والفلسفة ، فمجرد خارق العادة ـ عندهم ـ ليس وحده مستلزما للنبوة ، حتى يكون وحده دليلا ، بل لابد أن ينضم الى ذلك التحدي وعدم المعارضة .

---

(١) في ك و ط زيادة : (يعني الفلاسفة) .

(٢) العامري : هوالنيسابوري أبو الحسن ، عالم بالمنطق والفلسفةاليونانية ، من أهل خراسان ، أقام بالري واتصل بابن العميد (الوزير الكاتب) فقرأ معا عدة كتب ، له كتاب (الاعلام بمناقب الاسلام) مطبوع . توفى سنة ٣٨١ هـ الأعلام ٧ : ١٤٨ ، ومعجم المؤلفين ١٢ : ١٢٧ .

(٣) في ك و ط (عباد) .

(٤) الاندلسي : هو صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن بن صاعد التغلبي ، أبو القاسم مؤرخ بحاث ، أصله من قرطبة ، ومولده في المرية ، ولي القضاء في طليطلة الى ان توفي سنة ٤٦٢ هـ وكان مولده سنة ٤٢٠ هـ له كتاب : طبقات الأمم . مطبوع . الأعلام ٣ : ١٨٦ . ومعجم المؤلفين ٤:٣١٧ .

(٥) سقطت جملة (خمسة ثم) من ك وط .

(*) هو ابن ارسطن بن ارسطوقليس ، آخر المتقدمين الأوائل ، معروف بالتوحيد والحكمة ولد في اثينة سنة ٤٢٨ ق.م وتوفي سنة ٣٤٧ ق.م ، له كتاب السياسة وغيره . طبقات الأطباء لابن جلجل : ٢٣ . والملل والنحل ٢:٨٨ .

=

.....

= (٦) ولد أبندقلس سنة ٤٩٥ ق ٠ م تقريبا ، ومات سنة ٤٣٥ ق ٠ م ،وهو أحد الفلاسفة اليونانيين الكبار ، وكان في زمن داود ـ عليه السلام ـ وقد أخذ الحكمة عن لقمان بالشام ، ثم انصرف الى بلاد اليونان ، وهناك طائفة من الباطنية تنتهي الى حكمته وتزعم أن له رموزا قلما يوقف عليها ٠ طبقات الأمم : ٢١ لصاعد الأندلسي ـ ٤٦٢ هـ نشر لويس شيخو ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩١٢م٠ وقصة الفلسفة اليونانية : ٦٦ ومابعدها ٠ وتاريخ الحكماء للقفطي : ٠١٥

(٧) فيثا غورس : جاء بعد بند قلس بزمان ، وأخذ الحكمة عن أصحاب سليمان ـ عليه السلام ـ بمصر ، حين دخلوا اليها من بلاد الشام ، وكان قد أخذ الهندسة قبلهم عن المصريين ، ثم رجع الى بلاد اليونان ، له مؤلفات في الارتماطيقى والموسيقى وغير ذلك ٠ طبقات الأمم : ٢٢ ، وقصة الفلسفة اليونانية : ٢٩ ومابعدها ٠ وتاريخ الحكماء : ٢٥٨ ٠

(٨) سقراط : هو ابن سفرنيسفوس الحكيم ، ولد سنة ٤٧٠ ق ٠ م تقريبا في أثينة ، وكان أبوه يصنع التماثيل فاشتغل سقراط مثل ابيه ثم انصرف الى الحكمة والفلسفة ، فأخذ من انكسفوراس وارخيابوس الطبيعي الأدب والأخلاق ، واقتصر من الحكمة على الالهيات فنهى عن الشرك والأوثان ، ثم قتله ملوك اليونان بالسم سنة ٣٩٩ ق ٠ م انظر الملل والنحل ٢ : ٢٨٩ ٠

(٩) لقمان : هو ابن عنقاء بن سدون ، ويقال : ابن شاران ، كان نوبيا من أهل أيلة ، وكان رجلا صالحا ذا عبادة وعبارة وحكمة عظيمة ، ويقال : كان قاضيا في زمن داود ـ عليه السلام ـ والمشهور عند الجمهور أنه كان حكيما وليا ولم يكن نبيا ٠ البداية والنهاية ٢ : ١٢٣ و ١٢٥ ٠

(١٠) في ك و ط (من أهل) ٠

ولهذا لما اختلف قول طائفة منهم ، كأبي الحسن وأتباعه ، هل يجوز ظهور الخارق على يد الكاذب ؟ فقيل : لايجوز ، لأنه عَلَم النبوة ، فيمتنع أن يتخلف عنه مدلوله ، كسائر الأدلة . وقيل : بل يجوز ، ولكن الله لايفعله . ثم قيل : لأنه يستلزم عجزه عن تصديق الرسول ، اذ لاطريق (١) اليه الا المعجز - عندهم - ، وقيل : بل هو مقدور ممكن ، ولكن نحن نعلم اضطرارا أنه لايفعله ، مثل كثير مما يمكن في العادة ، ونعلم أن الله لايفعله ، وجميع من جمع بين القولين وقال : مجموع مايدل على النبوة - وهو الخارق السالم عن المعارض - (٢) يمتنع أن يكون لغير نبي ، بخلاف جنس الخارق . فقيل له : هذا الامتناع اما أن يكون عاديا ، واما أن يكون لاستلزامه العجز عن تصديق النبي ، وذلك ممتنع ، فاذا (٣) كان ممتنعا لاستلزامه أمراً ممتنعاً ، واذا كان انفلات (٤) العادة ليس عندك ممتنعا ، فلابد لك من ذلك الجواب ، وهو القول : بأنا نعلم ضرورة أن ذلك لم يكن ، ثم إذا علمت أن هذا علم ضروري ، وأن العلم بدلالتها على الصدق أمر ضروري ، كالمثل الذي ضربته في إرسال الملك رسولاً ، وقول رسوله : ان كنت صادقاً فغير عادتك بقيامك ، ثم قعودك ففعل ذلك عقب سؤال الرسول ، فان ذلك يوجب العلم الضروري بصدق الرسول .

---

(١) في ك و ط زيادة : (لنا) .

(٢) في ك و ط زيادة : (مع التحدي) .

(٣) في ك و ط (فإنما) .

(٤) في ك و ط (انقلاب) .

وقيل لك : المَلِك تعلم[١] عادته ، ويعلم أنه فعل ذلك للتصديق ، والرب عندك لم يخلق شيئا لشيء . فقلت : بل يخلق شيئا مقارناً لشيء ، كالعاديات، وهذا منها . فقيل لك : العادات[٢] قد تكررت ، فقلت : قد نعلم ذلك بلا تكرر، وجعلت ذلك من باب الدلالة الوضعية ، كدلالة الفظ على قصد المتكلم . وقلت: قد نعلم قصده اضطرارا منغير سبق مُوَاضَعة[٣] ، وهذه العلوم الضرورية التي ذكرت أنه يُعلم بها صدق الرسول وإن كانت حقا ، فجمهور الناس يقولون : انك لم تقر بلوازمها من كونه يفعل لأجل كذا ، ويقولون : القول بأنه خلق المعجزة لقصد[٤] التصديق ، مع القول بأنه لايخلق شيئا لأجل شيء تناقضا[٥] . فقلت : لايشترط في العلم الضروري العلم بأنه يفعل كذا لأجل كذا . فقيل لك : هب أنه كذلك ، لكن لايحصل العلم الضروري مع العلم بما يناقضه .

والمقصود أن مايذكره هؤلاء وأمثالهم من النظار ، بل وعامة الناس هم فيما يثبتونه من العلم والحقائق المعلومة أسد[٦] منهم وأصوب فيما ينفونه ، فان الانسان لما يثبته[٧] أعلم منه بما ينفيه ، وشهادته على الإثبات أقوى من شهادته على النفي ، وان كان النفي قد يكون معلوما ، لكن غلط الناس فيما ينفونه ويُكَذِّبون به ، أكثر من غلطهم فيما يثبتونه ويُصَدقون به ، ولهذا قال - تعالى - : ﴿ بل كذبوا بمالم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله[٨] ... ﴾ .

---

(١) في ك و ط (نعلم) في هذا الموضع والذي بعده .

(٢) في ك و ط (العاديات) .

(٣) من (واضعه في الأمر) أي وافقه فيه على شيء . مختار : ٧٢٧ .

(٤) في ك و ط (له قصد) .

(٥) سقطت (تناقضا) من ط .

(٦) في ك و ط (أشد) بالشين المعجمة .

(٦) أسد : من التسديد وهو التوفيق للسَّداد : وهو الصواب والقصد من القول والعمل . مختار : ٢٩١ .

(٧) في ك و ط (بما) .

(٨) سورة يونس : ٣٩ .

ولهذا تجد من سلك طريقا من الطرق ، اما في اثبات العلم بالصانع ، واما في العلم بالنبوة ، أو العلم بالمعاد ، أو غير ذلك واحد يقول(١): لاطريق الا هذا الطريق ، يخطيء في النفي أكثر من خطئه في الاثبات ، ومنهم هؤلاء ، فانهم قد ينفون من العلم والطرق مايعلمه غيرهم بالاضطرار ،ويثبتون مايقولون انه معلوم بالاضطرار ،وقد يكون غيرهم أصوب فيما يثبته منهم فيما ينفونه ، بل وفيما يثبتونه .

ولهذا الذين(٢) اتفقوا على أنه لاطريق الا المعجزات ، تنوعوا(٣) في وجه دلالتها ، فيثبت هؤلاء وجها يستدلون به ، وينفون طريق غيرهم ، وبالعكس . فاذا قالوا : ماسوى الخارق للعادة ليس يختص بالنبي ، فلا يدل على نبوته(٤) . قيل لهم : الدليل هو الذي يكون مستلزما للمدلول ، يلزم من تحققه تحقق المدلول ،ولفظ الخارق للعادة فيه اجمال ـ كما تقدم ـ ،وحينئذ فنفس انباء الله للنبي ، واصطفائه لرسالته ، واقداره على التلقي من الملك، هو من خوارق العادات ، وذلك من المعجزات التي أعجز الله الخلق أن يفعلوه ، وهو مختص بالأنبياء ، وهذا الوصف أجل وأعظم قدرا من غيره من الخوارق، والمستلزم لهذا الخارق لايكون الا خارقا ، وهو الدليل ، اذ يلزم من ثبوت الملزوم ثبوت اللازم ، ومن انتفاء اللازم انتفاء الملزوم ، والمعتاد الذي يوجد بدون النبوة لايكون دليلا(٦) .

---

(١) في ط (وأي أحد) .

(٢) في ك و ط زيادة : (كان) .

(٣) في ك (يتنوعوا) وفي ط (يتنوعون) .

(٤) في ك و ط (ثبوته) بالثاء المعجمة المثلثة .

(٥) في أ تأخرت جملة : (واقداره على التلقي من الملك) بعد جملة (هو من خوارق العادات) .

(٦) سقطت جملة (لايكون دليلا) من أ ، وقد أثبتناها من ك و ط .

وأما مالايوجد الا اذا وجدت النبوة ، فهو دليل ، فقد تبين أن كل مايدل على صدق الرسول ، وهو (١) خارق للعادة ، يكون آية ونبوة على صدقه ، وأما ماكان (٢) خارقا (٣) للعادة ولايستلزم النبوة ، فليس يكون دليلا . وقد يكون الشيء معتادا بدون النبوة ، ومع النبوة يكون خرقا للعادة ، بحيث يكون وجوده مع النبوة خرق (٤) للعادة ، بخلاف وجوده مجردا عنها (٥) ، لأن النبوة خرق للعادة ، فلا يكون مستلزما لها الا خارق للعادة .

فقول القائل:لايعلم (٦) صدقه الا بالمعجزة ، وهو الخارق للعادة : ان أراد به (٧) المعنى العام ، وهو مايستلزم صدقه ، بطل تخصيصه ذلك بما يخلقه منفصلا عنه من الآيات . وأن أراد بذلك نوعا مخصوصا ، مع اشتراك الجميع في الدلالة ، ظهر بطلان نفيه (٨) .

---

(١) في أ (فهو) .

(٢) في ك و ط (يكون) .

(٣) في أ (خرقا) .

(٤) في ط (خرقا) .

(٥) سقطت (عنها) من أ .

(٦) في ط (يعلم) .

(٧) في جميع النسخ (يخلفه)بالفاء الموحدة ،وما أثبتناه من أكسفورد .

(٨) في ك و ط (قوله) .

وأما مايوجد بدونها ، كما يوجد معها ، كالأمور التي تكون للصادق في دعوى النبوة ، والكاذب في دعوى النبوة ، فهذه لاتدل ، ومايظهره الله على يد النبي ، من الأنواع التي بها يعرف صدقه ، ليس فيها شيء يكون للكاذب .

بل الكاذب لايكون له من الأدلة (١) الا مايستلزم كذبه ، فكل مايدل على كذب الكاذب لايدل على صدق الصادق ، وبالعكس ، فان دليل الكذب مستلزم له ودليل الصدق مستلزم له ، وهما ضدان ، يمتنع أن يكون مدعى النبوة نبيا صادقا ، ومتنبئا كاذبا ، والضدان لايجتمعان ، فيمتنع أن يكون شيء واحد يدل على الضدين (٢) .

وهذه القاعدة ينتفع بها في مواضع :

منها : أن كثيراً من الناس إذا رأوا الكاذب ، وسمعوا كلامه ، تبين لهم كذبه تارة : بعلم ضروري ، وتارة : بعلم استدلالي ، وتارة : بظن (٣) قوي .

وكذلك النبي الصادق ، اذا رأوه وسمعوا كلامه ، فقد يتبين لهم صدقه بعلم ضروري ، أو نظري ، وقد يكون أولا بظن قوي ، ثم يقوى الظن حتى يصير يقينياً ، كما في المعلوم (٤) بالأخبار المتواترة والتجارب ، فان خبر الأول يفيد نوعا من الظن (٥) ، ثم يقوى بخبر الثاني والثالث حتى يصير يقينا .

---

(١) في ط (الدلالة) .

(٢) في ك و ط زيادة : " فتبين أن دليل الصدق يمتنع أن يدل على الكذب ، ودليل الكذب يمتنع أن يدل على الصدق " .

(٣) في ط (يظن) .

(٤) في ك و ط (العلوم) .

(٥) في ك و ط (يقينيا) .

وهذا الطريق سلكها طوائف من الناس ، وممن نبه على ذلك : القاضي عياض (١) . قال القاضي عياض :" اذا تأمل المتأمل المنصف ماقدمنا من جميل أثره ، وحميد سيره ، وبراعة علمه ، ورجاحة عقله وحلمه ، وجملة كماله ، وجميع خصاله ، وشاهد حاله ، وصواب مقاله ، لم يمتر في صحة نبوته ، وصدق دعوته " قال :"وقد كفى هذا غير واحد في اسلامه ، والايمان به (٢) . فروينا عن الترمذي، وابن قانع (٣) ، وغيرهما بأسانيدهم : أن عبد الله بن سلام قال : لما قدم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ المدينة جئته لأنظر اليه ، فلما استبنت (٤) وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب " رواه غير واحد ، كعبد الوهاب الثقفي (٦) ومحمد بن جعفر (٧) ، وابن أبي عدي (٨) ، ويحيى بن سعيد (٩) ، عن عوف بن أبي جميلة الأعرابي (١٠) ، عن زرارة بن أوفى (١١) ، عن عبد الله بن سلام (١٢) ، وعن أبي رمثة البلوي (١٣) قال : " أتيت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومعي ابن لي (١٤) فأريته ، فلما رأيته قلت هذا نبي الله " (١٥) .

---

(١) سقطت جملة (ماقدمنا) من أ ، وهي في متن الشفا .

(٢) سقطت (قد) من ك و ط .

(٣) ابن قانع : هو الامام الحافظ البارع الصدوق ـ ان شاء الله ـ القاضي ، أبو الحسين عبد الباقي بن قانع بن مرزوق بن واثق الاموي مولاهم ، البغدادي ، صاحب كتاب معجم الصحابة ، ولد سنة ٢٦٥ هـ وكان واسع الرحلة كثير الحديث بصيرا به وتوفي سنة ٣٥١ هـ . سير .. النبلاء ١٥:٥٢٦ ـ ٥٢٧ ، ولسان الميزان ٢ : ٣٨٣ ـ ٣٨٤ .

(٤) في ط (رأيت) .

(٥) رواه الترمذي في سننه ، كتاب صفة القيامة ، باب ٤٢ ، ٤ : ٦٥٢ (٢٤٨٥) قال : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا عبدالوهاب الثقفي ومحمد بن جعفر، وابن أبي عدي ، ويحيى بن سعيد ، عن عوف بن أبي جميلة الأعرابي ، عن زرارة بن أوفى ، عن عبد الله بن سلام قال :"لما قدم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ المدينة انجفل الناس اليه (ذهبوا اليه مسرعين)

=

.....

= وقيل : قدم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ،قدم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، قدم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، فجئت في الناس لأنظر اليه ، فلما استثبت (وعند ابن ماجه : استبنت) وجه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب ..." الحديث . قال أبو عيسى :"هذا حديث صحيح".

وأخرجه ابن ماجه بهذا الاسناد ـ نفسه ـ ، أبواب اقامة الصلاة ، باب ماجاء في قيام الليل ، ١ : ٢٤٢ (١٣٢٨) ، وأخرجه أحمد في مسنده ٥ : ٤٥١ . وأخرجه الحاكم في المستدرك ، كتاب البر والصلة ، ٤ : ١٥٩ ـ ١٦٠ وقال :"هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه".

(٦) الثقفي : هو عبد الوهاب بن عبد المجيد بن الصلت ، أبو محمد البصري ، ثقة ، تغير قبل موته بثلاث سنين ، مات سنة ٩٤ هـ وله ٨٠ سنة تهذيب التهذيب ٦ : ٤٤٩ ، وتقريبه ١ : ٥٢٨ .

(٧) محمد بن جعفر : هو المدني البصري ، المعروف بغُنْدَر ،ثقة ، صحيح الكتاب ،الا أن فيه غفلة . مات سنة ٢٩٣ هـ أو ٢٩٤ هـ تهذيب التهذيب ٩ : ٩٦ ، وتقريبه ٢ : ١٥١ .

(٨) ابن أبي عدي : هو محمد بن ابراهيم ، أبو عمرو البصري ، ثقة مات سنة ٩٤ هـ على الصحيح . تهذيب التهذيب ٩ : ١٢ ، وتقريبه ٢ : ١٤١ .

(٩) يحيى بن سعيد : هو ابن قيس بن عمرو بن سهل (ويقال يحيى بن سعيد بن قيس بن فهد ، ولايصح قاله البخاري) الأنصاري البخاري أبو سعيد المدني القاضي ، مات سنة ١٤٣ هـ تهذيب التهذيب ١١:٢٢١ ـ ٢٢٤ ، وتقريبه ٢ : ٣٤٩ .

=

.....

= (١٠) الأعرابي : هو البصري ، أبو سهل ، الامام الحافظ ، ولم يكن أعرابيا بل شُهِر به ، ولد سنة ٥٨ هـ روى عن أبي العالية والعطاردي وابن سيرين وغيرهم ، وعداده في صغار التابعين ، حدث عنه شعبة وابن المبارك وغندر وغيرهم ، رمي بالقدر والتشيع ،قال الذهبي :"لكنه ثقةمكثر"، مات سنة ١٤٦ هـ . سير... النبلاء ٦ : ٣٨٣ – ٣٨٤ ، وتهذيب التهذيب ٨ : ١٦٦ ،وتقريبه ٢ : ١٨٩ .

(١١) في ك و ط زيادة : (أبي) .

(١٢) زرارة بن أوفى : هو أبو حاجب العامري البصري ، الامام الكبير ، قاضي البصرة ، أحد الأعلام ، سمع عمران بن حصين وأبا هريرة وابن عباس – رضى الله عنهم أجمعين – وروى عنه أيوب السختياني، وقتادة ، وبهز بن حكيم وآخرون . قال الذهبي :"صح أنه قرأ في صلاة الفجر ، فلما قرأ : " فاذا نقر في الناقور " المدثر : ٨. خر ميتا سنة ٩٣ هـ".سير.. النبلاء ٤ : ٥١٥ – ٥١٦ ، وتهذيب التهذيب ٣ : ٣٢٢ ، وتقريبه ١ : ٢٥٩ .

(١٣) أبو رمثة البلوي : له صحبة ، سكن مصر ومات بافريقية ، وأمرهم أن يسووا قبره وحديثه عند أهل مصر . أسد الغابة ٥ : ١١١(٥٨٨١) والاصابة ٤ : ٧٠ .

(١٤) سقطت " لي " الأولى من ك و ط .

(١٥) هذا الحديث ذكره القاضي عياض في الشفا ١ : ٣٤٣ ولم أعثر عليه عند غيره . والظاهر أن الشيخ المؤلف قد نقله عنه بجانب ماسبقه من حديث عبد الله بن سلام . انظر الشفا ، بتعريف حقوق المصطفى ١ : ٣٤٢ – ٣٤٣ .

وروى مسلم في صحيحه وغيره ، عن ابن عباس ، أن ضِماداً قدم مكة ، وكان من أزد شنوءة ، وكان يرقى (١) من هذه الريح (٢) ، فسمع سفهاء من أهل مكة ، يقولون : ان محمدا مجنون . فقال : لو أني رأيت هذا الرجل ، لعل الله يشفيه على يدي . قال : فلقيه (٣) فقال : يامحمد ، اني أرقي من هذه الريح ، وان الله يشفي على يدي من شاء الله ، فهل لك (٤) ؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " ان الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ،أما بعد " فقال : أعد علي كلماتك هؤلاء ،فأعادهن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثلاث مرات ، قال : فقال : لقد سمعت قول الكهنة ، وقول السحرة ، وقول الشعراء ، فما سمعت بمثل كلماتك هؤلاء ، ولقد بلغن قاموس البحر ، هات يدك أبايعك على الاسلام ، فبايعه ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعلى قومك " ؟ قال :وعلى قومي " (٥) الحديث .

---

(١) الرقية : العوذة ، اذا عوذ ونفث في عوذته . اللسان ١٤ : ٣٣٢ مادة :رقا.

(٢) المراد بالريح هنا الجنون ومس الجن ،وفي غير رواية مسلم : يرقى من الأرواح : أي الجن ، سموا بذلك لأنهم لايبصرهم الناس فهم كالروح والريح . شرح النووي لمسلم ٦ : ١٥٧ .

(٣) في ط (فلقيته) .

(٤) أي فهل لك رغبة في رقيتي ؟ وهل تميل اليها ؟ تعليق عبد الباقي على مسلم ٢ : ٥٩٣ .

(٥) رواه مسلم بمثله ، كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة ، ٢ : ٥٩٣ - ٥٩٤ (٨٦٨) .

وقال جامع بن شداد (١) : "كان منا (٢) رجل يقال له طارق (٣) ، فأخبر أنه رأى النبي - صلى الله عليه وسلم - بالمدينة فقال : " هل معكم شيء تبيعونه " ؟ قلنا : هذا البعير ، قال : " بِكَمْ؟" قلنا : بكذا وكذا وسقا من تمر ، فأخذ بخطامه ، وسار الى المدينة ، فقلنا : بعنا رجل لاندري من هو ؟ ومعنا ظعينة (٤) ، فقالت : أنا ضامنة لثمن البعير ! رأيت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر لا يخيس (٥) بكم (٦) ، فأصبحنا فجاء رجل بتمر ،فقال : أنا رسول رسولالله اليكم ، يأمركم أن تأكلوا من هذا التمر ، وتكتالوا حتى تستوفوا . ففعلنا (٧)."

---

(١) جامع بن شداد : هو أبو صخرة المحاربي ، الامام الحجة ، أحد علماء الكوفة ، حدث عن صفوان بن محرز وحمران بن أبان ،وأبي بردة بن أبي موسى وغيرهم ، وحدث عنه الأعمش ، ومسعر ، وشعبة ، وغيرهم ، مات سنة ١١٨ هـ . سير ... النبلاء ٥ : ٢٠٥ - ٢٠٦ ، وتهذيب التهذيب ٢ : ٥٦ ، وتقريبه ١ : ١٢٤ .

(٢) في ك و ط (فينا) .

(٣) طارق : هو ابن عبد الله المحاربي ، من محارب بن خصفة ، له صحبة ، روى عنه جامع بن شداد وربعي بن خراش ، له حديثان أو ثلاثة . أسد الغابة ٢ : ٤٥٣ ، وتهذيب التهذيب ٥ : ٤ وتقريبه ١ : ٣٧٦ .

(٤) الظعينة : المرأة مادامت في الهودج ،فاذا لم تكن فيه فليست بظعينة . مختار : ٤٠٤ .

(٥) في ك و ط (ولا) .

(٦) من خاس فلان بوعده : يخيس : اذا أخلف ،أو خاس بعهده : اذا غدر ونكث . اللسان ٦ : ٧٥ مادة : خيس .

(٧) أخرجه البيهقي في الدلائل ٥ : ٢٨٠ - ٢٨١ من طريقين عن جامع بن شداد بنحوه .

وفي خبر الجَلَنْدِي[١] ملك غسان[٢] : لما بلغه رسول[٣] رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام ، فقال الجلندي :"والله لقد دلني على هذا النبي الأمي ، أنه لايأمر بخير إلا كان أول آخذ به ، ولاينهى عن شر الا كان أول تارك له، وانه يَغْلِب[٤] فلا يبطر ، ويُغْلَب فلا يضجر ، ويفي بالعهد ، وينجز بالموعود ، وأشهد أنه نبي[٥]" .

---

(١) الجلندي : هو جيفر بن الجلندي بن المستكبر بن الحراز بن عبد العزى ابن معولة بن عثمان الأزدي العماني ، كان رئيس أهل عمان هو وأخوه عباد بن الجلندي ، أسلما على يد عمرو بن العاص لما بعثه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى ناحية عمان ، ولم يقدما على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم يرياه ، وكان اسلامهما بعد خيبر . أسد الغابة ١ : ٣٧١ .

(٢) غسان : قبيلة كبيرة من الأزد ، شربوا من ماء غسان ، وهو باليمن ، بين زبيد ورمع ، فسموا به ، والذي شرب منه جفنة والحارث ، وهو محرق وثعلبة العنقاء وحارثة ومالك وكعب وعوف بنو عمرو بن عامر ابن حارثة بن امريء القيس بن مازن بن الأزد . اللباب ... ، ٢: ٣٨١ ـ ٣٨٢ .

(٣) سقطت (رسول) الأولى من ك و ط ، وفي ط (أن) .

(٤) البطر :الطغيان بالنعمة . ترتيب ١ : ٢٨٦ .

(٥) الروض الأنف ٤ : ٢٥٠ والمصباح المضيء ٢ : ٢٥٩ .

وقال نفطويه (١) ـ في قوله ـ تعالى ـ : ﴿ ... يكاد زيتها يضيء ولولم تمسسه نار... ﴾ (٢) هو مثل ضربه الله لنبيه ، يقول : يكاد منظره يدل على نبوته ، وان لم يتل قرآنا ، كما قال ابن رواحة :

لو لم يكن فيه آيات مبينة ... كانت بديهته تنبيك (٣) بالخبر (٤)

---

(١) نفطويه : هو أبو عبد الله ابراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان بن المغيرة بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي النحوي الواسطي ، له التصانيف الحسان في الآداب ، وكان عالما بارعا ولد سنة ٢٤٤ هـ ولقب نفطويه لدمامته وأدمته (سمرته) تشبيها له بالنفط ، وهذا اللقب على مثال (سيبويه) لأنه كان ينسب في النحو اليه ، ويجرى على طريقته ، ويدرس كتابه ، مات سنة ٣٢٣ هـ له كتاب غريب القرآن ، وكتاب المقنع في النحو ، وتاريخ الخلفاء ، في مجلدين . وفيات الأعيان ١ : ٤٧ ـ ٤٩ ، وسير ... النبلاء ١٥ : ٧٥ ـ ٧٧ .

(٢) سورة النور : ٣٥ .

(٣) في ك و ط (تأتيك) .

(٤) ديوان عبد الله بن رواحة الأنصاري الخزرجي ، شاعر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ٩٥ ، جمع ودراسة وتحقيق د . حسن محمد باجودة ، نشر مكتبة التراث بالقاهرة ١٩٧٢م .

قلت (١) : وايمان خديجة ، وأبو بكر ، وغيرهما من السابقين الأولين ، كان قبل انشقاق القمر ، وقبل اخباره بالغيوب ، وقبل تحديه بالقرآن، لكن كان بعد سماعهم القرآن ، الذي هو نفسه آية مستلزمة لصدقه ، ونفس كلامه وأخباره : بأني رسول الله ، مع مايعرف من أحواله ، مستلزم لصدقه ، الى غير ذلك من آيات الصدق وبراهينه .

بل خديجة قالت له : " كلا ، والله لايخزيك الله أبدا ، إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكَلّ (٢) ، وتقري الضيف (٣) ، وتُكسِب المعدوم (٤) ، وتعين على نوائب الحق (٥) " . فكانت عارفة بأحواله التي تستلزم نفي كذبه وفجوره ، وتلاعب الشيطان به .

---

(١) في ط (قالت) .

(١) القائل هو الشيخ المؤلف ـ نفسه ـ .

(٢) الكَلّ : العيال والثَّقَل . مختار : ٥٧٦ .

(٣) أي تحسن اليه . اللسان ١٥ : ١٧٩ مادة : قرا .

(٤) اي تَكْسِب المال المعدوم ، وتصيب منه مالا يصيب غيرك . وكانت العرب تتمادح بكسب المال . لاسيما قريش . وكان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ محظوظا في التجارة ، وأنك مع ذلك تجود به في وجوه المكرمات . الفتح: ١ : ٢٥ .

(٥) رواه البخاري ، كتاب بدء الوحي ، باب حدثنا يحيى بن بكير ... ، ١ : ٢٢ (٣) . ومسلم ، كتاب الايمان ،باب بدء الوحي الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ١ : ١٣٩ ـ ١٤٢ (١٦٠) .

وأبو بكر كان من أعقل الناس وأخيرهم ، وكان معظما في قريش لعلمه ، واحسانه ، وعقله ، فلما تبين له حاله ، علم علما ضروريا أنه نبي صادق ، وكان أكمل أهل الأرض يقينا علماً وحالا .

وكذلك (هرقل) ملك النصارى ، لما أرسل اليه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يدعوه الى الاسلام ، سأل عن عشرة خصال ، كما في الصحيحين عن ابن عباس قال : " حدثني أبو سفيان بن حرب ، من فيه الى فيّ (١) ، قال : انطلقت في المدة التي كانت بيني وبين رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (٢) قال : فبينا أنا بالشام اذ جيء بكتاب من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى هرقل ، قال : وكان دِحْيَة الكلبي جاء به ، فدفعه الى عظيم بُصرى ،فدفعه عظيم بصرى الى هرقل .

فقال هرقل : هل هنا أحد من قوم هذا الرجل ، الذي يزعم أنه نبي ؟ قالوا : نعم .

قال : فدعيت في نفر من قريش : فدخلنا على هرقل ، فأجلسنا بين يديه .

فقال (٣) : أيكم أقرب نسباً من هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي ؟

قال أبو سفيان : فقلت (٤) : أنا ، فأجلسوني بين يديه ، وأجلسوا أصحابي خلفي ، فدعا بترجمانه ، فقال :

قل لهم : إني سائل هذا (٥) عن هذا الرجل ، الذي يزعم أنه نبي ، فان كَذَبَني فكذبوه .

---

(١) من فيه الى في : اي حديثا شخصيا مباشرا (ومشافهة) .

(٢) في ك و ط زيادة (هدنة) .

(٣) في ك و ط (قال) .

(٤) في ط (قلت) .

(٥) سقطت (هذا) من ط .

قال : فقال أبو سفيان : وأيم الله لولا مخافة أن يؤثر على الكـــــذب لكذبت عليه .

ثم قال لترجمانه : سله كيف حسبه فيكم ؟

قال : قلت : هو فينا ذو حسب ،

قال : فهل كان من آبائه (١) ملك ؟ ..

قلت : لا .

قال : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ماقال ؟

قلت : لا .

قال : ومن اتبعه ؟ أشراف الناس أم ضعفاؤهم ؟

قلت : بل ضعفاؤهم .

قال : أيزيدون أم ينقصون ؟

قلت : لا ، بل يزيدون .

قال : فهل يرتد أحد منهم عن دينه ، بعد أن يدخل فيه ،سخطةله ؟

قال : قلت : لا .

قال : فهل قاتلتموه ؟

قلت : نعـم .

قال : فكيف كان قتالكم اياه ؟

قال : قلت : يكون الحرب بيننا وبينه سجالا ، يصيب منا ونصيب منه .

قال : فهل يغدر ؟

قلت : لا ، ونحن منه على مدة ماندرى ماهو صانع فيها ، قال : فوالله ما أمكنني من كلمة أدخل فيها شيئا غير هذه .

---

(١) في ك وط زيادة : (من) .

قال : فهل قال هذا القول أحد قبله ؟

قال : قلت : لا .

قال لترجمانه : قل له : اني سألتك عن حسبه ، فزعمت أنه فيكم ذو حسب ، وكذا الرسل تبعث في أحساب قومها ، وسألتك هل كان من آبائه من ملك ؟ فزعمت : أن لا ، فقلت : لو كان من آبائه ملك ، قلتُ: رجل يطلب ملك أبيه . وسألتك عن أتباعه ، أضعفاؤهم أم أشرافهم ؟ فقلت : بل ضعفاؤهم . وهم أتباع الرسل . وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب ، قبل أن يقول ماقال ؟ فزعمت أن لا . فقد عرفت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ، ثم يذهب (١) و يكذب على الله . وسألتك هل يرتد أحد منهم على دينه بعد أن يدخل فيه ، سخطة له (٢) ؟ فزعمت أن لا . فكذلك الايمان اذا خالط بشاشة (٣) القلوب (٤) ، وسألتك : هل يزيدون أم ينقصون ؟ فزعمت أنهم يزيدون . وكذلك الايمان حتى يتم ، وسألتك : هل قاتلتموه ؟ فزعمت أنكم قاتلتموه ، فيكون الحرب بينكم وبينه سجالا ، ينال منكم وتنالون منه . وكذلك الرسل تبتلى ، ثم تكون لها العاقبة ، وسألتك : هل يغدر ؟ فزعمت أنه لايغدر ، وكذلك الرسل لاتغدر . وسألتك : هل قال هذا القول أحد قبله ؟ فزعمت أن لا . فقلت : لو قال هذا القول أحد قبله ، قلت : رجل ائتم بقول قيل قبله .

---

(١) سقطت من ط " يذهب و " .

(٢) يخرج بهذا من ارتد مكرها ، أو لغير سخط لدين الاسلام ، بل لرغبة في غيره ، كحظ نفساني ، كما وقع لعبيد الله بن جحش . الفتح ١ : ٣٥ .

(٣) في ط (خالطت بشاشته) .

(٤) اي شرحه القلوب التي دخل فيها . الفتح ١ : ٣٧ .

ثم قال (١) : بم يأمركم ؟

قلت : يأمرنا بالصلاة ، والزكاة والصلة ، والعفاف .

قال : ان يكن ماتقول فيه حقا : انه نبي (٢) وقد كنت أعلم أنه خارج ولم أكن أظنه منكم ، ولو أعلم أني أخلُص اليه لأحببت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه ، وليبلغن ملكه ماتحت قدميّ " ثم دعا بكتاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقرأه (٣) فاذا فيه :

" بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله ، (٤) الى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد : فاني أدعوك بدعاية الاسلام ، أسلم تسلم ، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، وان توليت فإن (٥) عليك اثم الأريسيين (٦) و ﴿ ... يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لانعبد الا الله ولانشرك به شيئا ولايتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾ (٧) . وفي رواية : فماذا يأمركم به ؟ قال : يأمرنا أن نعبد الله وحده ، ولانشرك به شيئا ، وينهانا عما كان يعبد آباؤنا ، ويأمرنا بالصلاة ، والصدقة ، والعفاف ، والوفاء بالعهد ، وأداء الأمانة ، وقال : فهذه (٨) صفة نبي (٩) " .

---

(١) في ك و ط (سألتك) .

(٢) في ك و ط (لنبي) .

(٣) سقطت (فقرأه فاذا فيه) من ك وسقطت (فقرأه) من ط وفيها (واذا فيه).

(٤) في ط زيادة الجملة الدعائية ، وهي ليست في محلها .

(٥) في ك و ط (فانما) .

(٦) جمع أريسي ، وهو منسوب الى أريس ، على وزن فعيل ، وقد تقلب همزته ياء ، والأريس : هو الأكّار أو الفلاح ، قال الخطابي : " أراد أن عليك اثم الضعفاء والأتباع اذا لم يسلموا تقليدا له ، لأن الأصاغر أتباع الأكابر" . الفتح ١ : ٣٩ .

(٧) سورة آل عمران : ٦٤ .

(٨) في ط (فقال هذه) .

(٩) رواه البخاري بمثلها ، كتاب الجهاد ، باب دعاء النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الناس الى الاسلام والنبوة ، ٦ : ١٠٩ ـ ١١٠ (٢٨٤١) من الفتح .

وما استدل به ملك النصارى ـ هرقل ـ من العلم بصفاته هو استدلال على عينه ، فان الناس في النبوة على درجات : منهم من يحتاج الى أن يعلم جنس النبوة ، فيصدق بجنس الرسل من البشر ، لايكذب بالجنس ، كما كذب بذلك من كذب (١) من قوم نوح ، وعاد ، وثمود ، وغيرهم .

ولهذا يقول ـ تعالى ـ : ﴿ كذبت قوم نوح المرسلين ﴾ (٢) ، ﴿ كذبت عاد المرسلين ﴾ (٣) ، ﴿ كذبت ثمود المرسلين ﴾ (٤) لأن تكذيبهم لم يكن لشخص واحد ، بل كانوا مكذبين لجنس الرسل ، وهؤلاء يخاطبهم الله في السور المكية (٥) ، كقوله ـ تعالى ـ : ﴿ وماقدروا الله حق قدره ، اذ قالوا ماأنزل الله على بشر من شيء ، قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس ... ﴾ (٦) . فاحتج بانزال كتاب موسى ، لما تواتر في خبره من الآيات الباهرات ، الدالة على صدقه ، والانجيل تبع للتوراة ، ثم قال : ﴿ وهذا كتاب أنزلناه مبارك ، مصدق الذي بين يديه ... ﴾ (٧) لما قام من الآيات الدالة على نزوله .

---

(١) في ك و ط زيادة (به) .

(٢) سورة الشعراء : ١٠٥ .

(٣) سورة الشعراء : ١٢٣ .

(٤) سورة الشعراء : ١٤١ .

(٥) في ك و ط (لجميع) .

(٦) سورة الأنعام : ٩١ .

(٧) سورة الأنعام : ٩٢ .

ولهذا يَذْكُر - سبحانه - في السور المكية من تثبيت أمر الرسل ،وآياتهم، وبراهينهم ، (١) ، وحسن عاقبتهم ، ومن ضلال مخالفيهم ، وجهلهم ، وغيهم ، وخذلانهم ، وسوء عاقبتهم ، مافيه عبرة .

ومن الناس من يقر بالرسل في الجملة ، لكن لايؤمن بما يجب من حقيقة ارسالهم ، كالملاحدة وأهل البدع ، الذين يعظمون الأنبياء ، مع اعتقادهم في الباطن ماينافض بعض ماجاءوا به ، لشبهات انعقدت في قلوبهم ، ظنوها علوماً عقلية ، وهي مناقضة لما أخبرت به الرسل ، فيحتاجون الى أن يوفقوا بينهما ،وهؤلاء يشبهون الذين قال الله فيهم : ﴿ ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك ، يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت ؟ وقد أمروا أن يكفروا به ، ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا * وإذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول ، رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا * فكيف اذا أصابتهم مصيبة (٢) بما قدمت أيديهم ، ثم جاؤك يحلفون بالله : ان أردنا الا احسانا وتوفيقا * أولئك الذين يعلم الله مافي قلوبهم ، فأعرض عنهم ، وعظهم ، وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا ﴾ (٣) .

---

(١) في ك و ط زيادة : (ونصرهم) .

(٢) في أ أشار الى بقية الآية والآية التالية لها باشارة : الى قوله : (بليغا) . وقد رأينا اثبات النص الكريم كما في ك و ط .

(٣) سورة النساء : ٦٠ - ٦٣ .

وقد أخبر الله أنه جعل للأنبياء من يعاديهم من الانس والجن ، فقال – تعالى – : ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا ،شياطين الانس والجن ، يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ، ولو شاء ربك مافعلوه ، فذرهم ومايفترون * ولتصغى اليه (١) أفئدة الذين لايؤمنون بالآخرة ، وليرضوه ، وليقترفوا ماهم مقترفون * أفغير الله أبتغي حكما ؟ وهو الذي أنزل اليكم الكتاب مفصلاً ، والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق ، فلا تكونن من الممترين * وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لامبدل لكلماته ، وهو السميع العليم ﴾ (٢) .

وقال – تعالى – : ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين ، وكفى بربك هاديا ونصيرا ﴾ (٣) .

وهؤلاء الذين عندهم ماينا قض بعض ما أخبرت به الرسل هم ثلاثة أصناف :

أهل التخييل (٤) : من الملاحدة المتفلسفة ، والباطنية الذين يقولون : ان الرسل أخبروا من أمر الايمان بالله واليوم الآخر بما يخالف الحق في نفس الأمر ليخيلوا (٥) الى الجمهور ماينتفعون به ، ويعدون هذا من فضائل الرسل ، وقد بسط الرد على هؤلاء في غير موضع (٦) .

---

(١) أي ولتميل اليه . البحر المحيط ٤ : ٢٠٨ .

(٢) سورة الانعام : ١١٢ – ١١٦ .

(٣) سورة الفرقان : ٣١ .

(٤) في أ (التخيل) .

(٥) في ك (فتتخيلوا) وفي ط (فخيلوا) .

(٦) انظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام ، الفتوى الحموية الكبرى ٥ : ٣١.

وأهل التحريف والتأويل : الذين يتأولون كلامهم على مايخالف مرادهم ، ويزعمون أنهم أرادوا ذلك المعنى ، مع أنه ليس في كلامهم مايدل على ارادة ذلك المعنى ، بل كلامهم يدل على ارادة خلافه (١) .

وأهل التجهيل : الذين يقولون : ذلك الكلام ليس له معنى يعلمه الرسول ولا غيره ، وانما يعلمه الله وحده (٢) ، وهذان القولان يقول بكل منهما طوائف معظمين للرسل (٣) ، وقد تبين فسادهما في غير هذا الموضع .

وأما من قال : ان الرسل وغيرهم يعلمون المعنى الذي بينه الله لهم بكلامه ، ولكن استأثر الله بعلم أمر آخر لايعلمونه ، كما استأثر بعلم غيب الساعة ، فهذا قول السلف والأئمة ، وبسط هذا له موضع آخر . والمقصود هنا : أن الكلام في النبوات تارة في جنسها ، وتارة في شخص النبي المعين ، و (هرقل) ملك الروم لم يكن محتاجا الى الايمان بجنس النبوات ، فإنه كان من أهل الكتاب (٤) ، وأهل الكتاب يقرون بجنس النبوة ، فإنهم يقرون نبوة نوح ، والخليل ، وموسى ، وأنبياء بنى اسرائيل ، والنصارى تقر مع ذلك بالمسيح والانجيل .

---

(١) انظر المصدر السابق ٥ : ٣٢ - ٣٨ .

(٢) في ك و ط زيادة : (هو) . وقد حكت (محيت) من أ . وبقى موضعها بياضا .

(٣) انظر المصدر السابق ٥ : ٣٤ - ٣٥ .

(٤) في ك و ط (بنبوة) .

والذين يحتاجون الى معرفة النبي المُعَين نوعان :

نوع : عرفوا أنه يبعث نبي ، وقد يعرفون بعض نعوته ، فيحتاجون أن يعرفوا عينه ، و (هرقل) وأمثاله من أهل الكتاب ، كانوا من هذا النوع، وكانوا (١) يعلمون أن نبيا سيبعث ، وانما كانت حاجتهم (٢) أن يعرفوا : هل هو هذا النبي المذكور أم (٣) غيره ؟ فيكون مايحتاجون اليه من دلائل صدقه (٤) أيسر ما يحتاج اليه من لايؤمن بالرسل ، أو لايعرف أن نبيا سيبعث ، ومن كان يعلم جنس الرسل ولايدري هل يبعث نبي أم (٥) لا ؟ يحتاج الى تعلم (٦) أن هذا المعين : هل هو من جنس الأنبياء الصادقين ، أو من جنس المتنبئين الكاذبين ؟ وهذا يُعْرف بما يخصه من آيات صدقه ، وباعتبار ماجاء به الأنبياء قبله ، فان أصول ذلك مما لايمكن اختلاف الأنبياء فيه ، وهي الأمور التي لاتقبل النسخ، كالاخبار عن الله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله واليوم الآخر . فهذا مما لايمكن اختلاف الأنبياء فيه ، اذ كان كل مايخبر به النبي ، فهو صدق ، والأخبار الصادقة لاتتناقض ، ولاتقبل النسخ ، ولكن قد يكون بعض الأنبياء أعلم ببعض ذلك من بعض ، وفي كلام بعضهم من الأخبار ببعض ذلك ماليس في كلام بعض .

---

(١) في ك و ط (فكانوا) .

(٢) في ك و ط زيادة : (الى) .

(٣) في ط (أو) .

(٤) في ك و ط (مما) .

(٥) في ط (أو)

(٦) في ك و ط (أن يعلم) .

وما أخبر به محمد - صلى الله عليه وسلم - هو أكمل وأكثر مما أخبر به (١) موسى ، والمسيح - صلوات الله وسلامه عليهم - .

وقد يظن بعض الغالطين تناقض بعض أخبار الأنبياء ، كما يظن بعض الغالطين معارضة العقل لما أخبروا به ، وهذا ممتنع ، بل لابد أن يكون المعارض العقلي (٢) خطأ ، ليس بمعقول صحيح ، أو السمعي لم يثبت عنهم لفظه (٣) أو دلالته ، وكذلك الأخبار : لابد أن يكون أحد الخبرين كذبا أو غير دال على مناقضة الخبر الآخر .

وأما الأصول الجامعة ، كالأمر بعبادة الله وحده لاشريك له ، وبر الوالدين ، والصدق ،والعدل ، وتحريم الأجناس الأربعة ، وهي : الفواحش : ماظهر منها ومابطن ، والاثم ، والبغي بغير الحق ، والاشراك بالله ، وأن يقال عليه غير الحق ، وذلك مثل ماذكره في سورة الأنعام ، والأعراف ،وبني اسرائيل (٤) .

وقد تنازع الناس في مثل هذا : هل يمكن نسخه ، وتنوع الشرائع به (٥) ؟ على قولين : فمن جوز أن يأمر الله بكل شيء ، وينهى عن كل شيء ، رد ذلك الى محض المشيئة ، لا الى صفات تقتضي الأمر بهذا دون هذا ، فانهم جوزوا دخول النسخ في هذا ، وتنوع الشرائع فيه ، كما يقوله جهم بن صفوان ، والأشعري ، ومن وافقه من أصحاب مالك ، والشافعي ، وأحمد ، وان كانوا (٦) يقولون : انه لم (٧) يقع فيه نسخ .

---

(١) سقطت (به) من أ .

(٢) كتبت في أ هكذا (العلقي) وهو خطأ نسخي ظاهر .

(٣) في أ (لفظه) وقبلها واو مطموسة ، وقد أثبتت في ك و ط .

(٤) هى سورة الاسراء .

(٤) سورة الانعام : ١٥١ ، والأعراف : ٣٣ ، والاسراء : ٣١ - ٣٩ .

(٥) في ك و ط (فيه) .

(٦) في ك و ط زيادة : قد .

(٧) في أ سقطت (لم) والصواب اثباتها .

وأما جمهور الناس من السلف والخلف ،فانهم لايُجَوِّزون دخول النسخ في هذا، ولاتنوع الشرائع فيه . ولهذا كان دين الأنبياء واحداً (١) ، كما قال - تعالى - : ﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات ، واعملوا صالحا ، اني بما تعملون عليم ﴾ وان هذه أمتكم أمة واحدة ، وأنا ربكم فاتقون (٢) ﴿ . وقال - تعالى - : ﴿ شرع لكم من الدين ماوصى به نوحاً ، والذي أوحينا اليك ، وماوصينا به ابراهيم ، وموسى ، وعيسى ، أن أقيموا الدين ، ولاتتفرقوا فيه ، كبر على المشركين ماتدعوهم اليه ... ﴾ (٣) . وقال - تعالى - :﴿ فأقم وجهك للدين حنيفاً ، فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لاتبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لايعلمون ﴾ (٤) .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : " انا معاشر الأنبياء ديننا واحد " (٥) .

وهذا مبسوط في موضع آخر (٦) .

---

(١) في أ (واحد) والصواب ما أثبتناه من ك و ط .

(٢) سورة المؤمنون : ٥١ - ٥٢ .

(٣) سورة الشورى : ١٣ .

(٤) سورة الروم : ٣٠ .

(٥) سبق تخريج هذا الحديث ص : ٤٢١ .

(٦) في ك و ط زيادة : (والحمد لله رب العالمين) وليست في أ وانما فيها بعد ذلك بخط دقيق عبارة " الحمد لله وحده ،وصلى الله على محمد ، وعلى سائر النبيين " . ثم جاء بعد ذلك قول الناسخ " نجز الكتاب المسمى بـ (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) - عليه وعلى سائر النبيين الصلاة والسلام - تأليف شيخ الاسلام تقي الدين أحمد بن تيمية - رضى الله عنه - سنة ثلاثين وسبعمائة ، وقوبل على أصل صحيح - ثم كتبت عبارة (بخط مؤلفه) ثم شطب عليها ، وكتب بعدها (نقل من خط مؤلفه) .

الفهـــــــــارس

القسم الثالث :

(الفهارس)

- فهرس الآيات الكريمـــــة
- فهرس الأحاديث الشريفة والآثار .
- فهرس النصوص الكتابيـــــة .
- فهرس الاعـــــلام .
- فهرس الفـــرق .
- فهرس الأماكن .
- فهرس القبـائل والأمم .
- فهرس الأشعـــــــار .
- فهرس الكتب الواردة في صلب الكتاب .
- فهرس الألفاظ الغريبـــة .
- فهرس المصادر والمراجع .
- فهرس الموضوعات .

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

السورة	رقم الآية	الصفحة
الفاتحة	١ – ٣	٣٥٢
البقرة	٢٣ – ٢٤	٦١٤ ، ٤٩٣
	٥٠ – ٥٩	٩٨٤
	٥٥	١٠٠٢ ، ١٠٣٤
	٦٩	٥٧١
	٧٢ – ٧٣	١٠٠٢
	٨٩	٢٢٩ ، ٢٣٩ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ،
	٨٩	٢٤٣
	٩٤ – ٩٦	٦١٧
	٩٧	٣٩١ ، ٤٢٤
	٩٧ – ٩٨	٤٧٧
	٩٨	٩٨٢
	١٠١ – ١٠٢	٥٥٨
	١٠٢	٥٥٨
	١٠٩	٢٣٢
	١١١	١٤٧ ، ٤٨٥
	١١٢	١٤٧
	١١٨	١٠٤٢
	١٢٥ – ١٢٦	٢٨٦
	١٢٧ – ١٢٩	٢٨٦
	١٢٧	٣٠٠
	١٢٩	٣٠٧ ، ٣٩٦ ، ١٠٠٧

تابع ـ فهرس الآيات القرآنية الكريمة

السورة	رقم الآيه	الصفحة
البقرة	١٣٠ ـ ١٣٢	١٨٩
	١٣٦	٣٢٤
	١٣٦ ـ ١٣٧	٤٨١ ، ٥٠٨
	١٤٠	٤٨٢
	١٤٣	١٦٢
	١٤٤ ـ ١٤٧	٢٢٩
	١٤٦	٢٢٨ ، ٢٧٩
	١٤٨	٤٢٢
	١٦٥	٥٧٠
	١٦٨ ـ ١٧٠	١٠٥٥
	١٧٧	٣٢٤ ، ٥٨٩
	١٨٥	٣١٤
	١٨٧	٢٣٢
	١٩٥	٥٦٢
	٢١٣	١٥٩
	٢١٤	١٠٢٠
	٢١٧	٣٩٤
	٢٣٧	١٤٣
	٢٤٣	١٠٠٣
	٢٥١	١٨٩
	٢٥٣	٢١٣
	٢٥٦	٤٦٩
	٢٦١ ـ ٢٦٣	١٤٤
	٢٧٥	١٤٤

تابع – فهرس الآيات القرآنية الكريمة

السورة	رقم الآيه	الصفحة
البقرة	٢٥٩ – ٢٦٠	١٠٠٣
	٢٨٠	١٤٣ ، ١٨٩
	٢٨٥ – ٢٨٦	٣٨١ ، ٣٩٣ ، ٥٠٨
آل عمران	١ – ٤	٣٢٣
	١٣	٤٨٧ ، ١٠٠٧
	٤٢ – ٤٤	٢٠٠
	٤٤	٤١٤
	٤٩	٤٨٧
	٥٥	٦١٤ ، ١٠٠٥
	٦٤	١١١٥
	٦٦	١٠٥٦
	٨٥	١٢٢ ، ٥٦٧
	٩٦ – ٩٧	٢٨٧
	٩٧	٣٠٣
	١٠٢	٤
	١٠٦ – ١٠٧	١٠٨٨
	١١١ – ١١٢	٦١٦
	١١٣ – ١١٤	١٠٣٨
	١٢٣	٩١٢
	١٢٨	٣٨٧
	١٣٤	١٨٩

تابع – فهرس الآيات القرآنية الكريمة

السورة	رقم الآيه	الصفحة
آل عمران	١٣٩	١٠٤٥
	١٤٤	١٧٢
	١٤٧	١٠٠٩
	١٥٦	١٠٤٥
	١٦٩	١٠١٠
	١٨٤	٩٨٠
	١٧٢ – ١٧٥	٩٨٣
	١٨٤	٩٨٤
	١٩٥	٤٦٨
النساء	١٥	٢٣٢
	٤٨ – ١١٦	٥٦٩
	٥٩	٣٣٦ ، ٥٦١
	٦٠ – ٦٣	١١١٧
	٦٦	٥٦١ ، ١٠٢٢
	٨٢	٥٩٢
	٩٢	١٤٣ ، ١٨٩
	٩٤	١٠٥١
	١٠٦ – ١١٣	١٠٥٢
	١١٣	٦١٠
	١٥٣ – ١٦١	١٠٣٥
	١٥٣	١٠٣٦
	١٦٢ – ١٦٦	٥٨٦

تابع ـ فهرس الآيات القرآنية الكريمة

السورة	رقم الآية	الصفحة
النساء	١٦٣	٣٢٤
	١٦٦	٤٩٣
	١٧٤	٤٨٥
المائده	٨	٥٦١
	١٤	١٥٩ ، ٦١٥
	١٥ ـ ١٩	١٦١
	٢١ ـ ٢٤	١٦٦
	٢٤	١٦٧
	٤٤	٣٨٩
	٤٥	١٨٩
	٤٥	١٤٣
	٤٨	٤٢٢
	٥٤	١٦٢ ، ٦٥٦
	٥٩ ـ ٦٠	١٧٨
	٦٤	٦١٥
	٦٧	٣٨٠ ، ٨٤٢
	٦٩	١٩٩
	٧٨	١٨٠
	٨٣	٢٣٠ ، ٢٤٠
	٨٤	٢٧٩
	١١١	٣٨٩
	١١٢ ـ ١١٥	١٠٣٨

تابع ـ فهرس الآيات القرآنية الكريمة

السورة	رقم الآية	الصفحة
الأنعام	٤ ـ ١١	١٠٣١
	٥	٤٨٧٠
	٧	١٠٣٦
	١٩ ـ ٢٠	٢٢٩
	٢٠	٢٢٨ ، ٢٧٩
	٢٥	٤٨٧
	٣٤	١٠٢٠
	٥٠	٣٨٧
	٥٣	١٧٣
	٦٦ ـ ٦٧	٨٤٢
	٩١	٣٢٥ ، ١١١٦
	٩١ ـ ٩٢	٤٢٩
	٩٢	١١١٦
	٩٣	٢٧٢ ، ٣٠٨ ، ٥٩٠ ، ١٠١٧
	١٠٩ ـ ١١١	١٠٢٧
	١١٢ ـ ١١٦	١١١٨
	١١٤	٢٣٠ ، ٤٢٠
	١١٥	٥٨٨
	١٢١	٦٧٨
	١٢٣ ـ ١٢٤	٤٨٦
	١٤٤	١٠١٧
	١٥١	١١٢١
	١٥٢	٥٦٠
	١٥٤	٣٢٦

تابع – فهرس الآيات القرآنية الكريمة

السورة	رقم الآية	الصفحة
الأعراف	٣٣	٥٧٢ ، ١٠٥٥
	١٢٦	٣٨٩
	١٤٥	٥٥٩
	١٥٧	٢٢٨ ، ٣٢٣ ، ٤٢٠
	١٥٨	٢١٤ ، ٥١٠ ، ١٠٥٠
	١٦٨	١٠٣٨
	١٨٠	٩١
	١٨٨	٣٨٧
الأنفال	٩	٨٣٤ ، ٨٧١
	١٢	٨٣٤ ، ٨٣٦
	١٧	٨٣٠
	٣٢ – ٣٣	٤١٧
	٤٨	٨٣٦
التوبة	١٤	٦١٦
	٢٥ – ٢٦	٦١٣
	٢٦	٨٣٤
	٢٩	١٨١
	٣٠	١٠٤٢
	٤٠	٨٣٤
	٤٦	١٠٨٦
	٥٢	١٠١٠
	١١١	٣٤٣

تابع – فهرس الآيات القرآنية الكريمة

السورة	رقم الآية	الصفحة
يونس	١٥ – ١٦	٤١٥
	١٦	٢٠٢ ، ٤١٤
	٣٧	٤٩٣
	٣٨	٤٩٢
	٣٩	١١٠٠
	٧١ – ٧٢	٣٨٨
	٨٤	٣٩٠
	٩٤	٢٣٠ ، ٢٧٨
هود	١٣ – ١٤	٤٩٢
	١٤	٤٩٣
	١٧	٤٣٠ ، ٣٢٥
	٤٩	٢٠٠ ، ٤٠٩ ، ٤١٢ ، ٩٨٧، ١٠٠٨
	٦٠	٢١٦
	٦٤ – ٦٨	١٠٠٠
	٩٥	٢١٦
	١٠٠ – ١٠٢	٩٨٩
	١٠٢	١٠١٧
يوسف	٧	٤٠١
	٧ – ١١١	٤٦٣
	١٠٢	١٠٢ ، ٢٠٢
	١٠٩	٢١٥
	١٠٨ – ١١١	٤٠٢

تابع ـ فهرس الآيات القرآنية الكريمة

السورة	رقم الآية	الصفحة
يوسف	١٠٩ ـ ١١١	٢١٥ ، ١٠٢٠
	١١١	٩٨٧
الرعد	٢٢	٥٦٠
	٤٣	٢٣٠ ، ٢٧٨ ، ٤٨٢
ابراهيم	١ ـ ١٠	٩٨٠
	٢٨	١٧٣
	٣٧	٢٨٦
الحجر	٧٥ ـ ٧٩	٩٩٠
	٩٤	٨٢١
	٩٥ ـ ٩٦	١٠٣٩
النحل	كلها	١٧٢
	٣٦	٥٦٧
	٥٩	٢٦١
	٩٠	٤٥٢
	٩٨ ـ ١٠٣	٤١١
	١٠٢	٣٩١ ، ٢٢٤
	١٢٦	١٤٤

تابع – فهرس الآيات القرآنية الكريمة

السورة	رقم الآية	الصفحة
الأسراء	١	٧٣٣
	٤ – ٨	١٧٩
	٤ – ٧	٩١٤
	٤ – ٨	١٠١٣
	٣٤	٥٦٠
	٣٦	١٠٥٣
	٥٣	٥٦٠
	٥٥	٢١٣ ، ٣٢٤
	٥٩	١٠٢٨ ، ١٠٣٠ ، ١٠٤٢
	٦٠	٧٣٤
	٧٣ – ٧٧	٤١٧ ، ٤١٨
	٧٦	٤١٨
	٨٥	٤٠٢ ، ٤٦١
	٨٨	٤٨٢ ، ٤٩٤ ، ٦١٤
	٨٩	٤٩٥
	٩٠ – ٩٥	١٠٣٣
	١٠١	٤٨٦
	١٠٧ – ١٠٨	٢٧٩
الكهف	٩	٤٠٢
	٢١	٤٦٢
	٥٤	٤٩٥
	٨٣	٤٠٢ ، ٤٦٣

تابع – فهرس الآيات القرآنية الكريمة

السورة	رقم الآية	الصفحة
مريم	١٠	٤٩٦
	٤٩ – ٥٠	٩٨٦
	٥٠	٢١٧
	٥٧	٧٣٩
	٧٣	٥٦١
	٧٣ – ٧٤	١٠٤٤
طه	١٣٠	٣١٦ ، ٣١٧
	١٣٣	٤٢٢
الأنبياء	٢٢	٥٧٦
	٢٥	٥٦٧
	٢٦ – ٢٨	١١٢
	٧٨ – ٧٩	١٠٩٢
	٩٢ – ٩٣	٥٦٨
	١٠٧	١٥٣
الحج	٣ – ٤	١٠٥٦
	٥	١٠٠٣
	٨	١٠٥٦
	١٣	٥٥٨
	٢٠ – ٤٦	٩٨٨
	٣٤ – ٦٧	٤٢٢

تابع – فهرس الآيات القرآنية الكريمة

السورة	رقم الآية	الصفحة
الحج	٣٦ – ٣٧	٣١٤
	٣٩ – ٤٠	٤٦٨
	٤٦	٢١٥
	٧٥	٣٩١ ، ٤٢٥
المؤمنون	٥٠	٤٨٨
	٥١ – ٥٣	٥٦٨
	٥١ – ٥٢	١١٢٢
	٩٦	٥٦٠
النور	١٣	١٠٤٩
	٣٥	١١١٠
	٤٠	٢٢١
	١٥	٦١٤
الفرقان	١ – ٦	٤٠٩
	٦	٤١٠
	٣١	١١١٨
	٣٧ – ٣٨	٩٨٠
الشعراء	٨ – ١٩١	٤٨٨
	٣١	٤٨٦
	٦٧	٣١٠
	٧٨	٥٤٩

تابع – فهرس الآيات القرآنية الكريمة

السورة	رقم الآية	الصفحة
الشعراء	٩٧ – ٩٨	٥٦١
	١٠٥	٦١١٦
	١١٠ – ١١٢	٥٩٩
	١٢٣	١١١٦
	١٤١	١١١٦
	١٨٨	٢٧٨
	١٩٢ – ١٩٧	٤١٩
	١٩٢ – ٢٢٣	٥١١
	١٩٣	٤٢٤
	١٩٣ – ١٩٤	٣٩١
	١٩٦ – ١٩٧	٤٢٠
	١٩٧	٢٣٠
	٢١٠ – ٢٢٧	٤١٩
	٢١٢	٤٢٦
	٢٢١ – ٢٢٣	٤٣٤
	٢٢١ – ٢٢٢	٦٧٨ ، ٨٧٠
النمل	١٢	٤٨٦
	٣٦	٩٨٢
	٣٨ – ٤١	٧٤٦
	٣٩ – ٤٠	٧٣٦
	٤٤	٣٩٠ ، ٩٨١

تابع - فهرس الآيات القرآنية الكريمة

السورة	رقم الآيه	الصفحة
القصص	٣٢	٤٨٥
	٣٩ - ٤٢	٩٨٧
	٤٢	٢١٦
	٤٣	١٨٦ ، ١٠٣٨
	٤٤ - ٤٦	٤١٤
	٤٩	٤٢٩
	٥٢ - ٥٤	٢٣٠
	٥٢ - ٥٣	٢٤٠
	٥٢	٤٢٠
	٥٣	٢٦٠
	٥٧	٢٨٧
	٥٩	١٣٢
العنكبوت	٢٧	٣٠٣
	٤٦	١٠٥٦ ، ٥٦٠
	٤٨	٤٠٩ ، ٤١٨
	٥٠ - ٥١	٤٨٤
	٥٠ - ٥٧	٤٨٧
	٦٨	١٠١٧
الروم	١ - ٢	٦١٢
	١ - ٤١	١٨٧
	١ - ١٠	٩٨٨
	١٧ - ١٨	٣١٦

تابع – فهرس الآيات القرآنية الكريمة

السورة	رقم الآية	الصفحة
الروم	٣٠ – ٣٢	٤٢٢
	٣٠ – ٣١	٥٦٨
	٣٠	١١٢٢
الأحزاب	٩	٧٥٢
	٦٠ – ٦٢	١٠١٦
	٧٠ – ٧١	٤
سبأ	٤٦	٣٧٦
	٢٤ – ٢٦	٩٨١
فاطر	٢٥	٩٨٢
	٤٢ – ٤٣	١٠١٥
يس	٨١	١٠٠٣
الصافات	٧٨ – ٨٩	١٢٠ ، ٢١٧
	١٠٩	٢١٧
	١٢٠	٢١٧
	١٣٠	٢١٧
	١٣٧ – ١٣٨	٩٩٠
	١٧١ – ١٧٣	١٠٠٥

تابع – فهرس الآيات القرآنية الكريمة

السورة	رقم الآيه	الصفحة
ص	١ – ٥	٦٨٩
	٣٦ – ٣٨	٧٣٦
الزمر	١٧ – ١٨	٥٥٩
	٢٧ – ٢٨	٤٩٥
	٥١	٤٨٨
	٥٥	٥٦٢
	٦٠ – ٦١	١٠٨٨
غافر	٢١ – ٢٢	٩٨٩
	٨٢ – ٨٥	٩٨٩
الشورى	١٣	٤٢١ ، ١١٢٢ ، ٥٦٨
	٣١	٤٨٨
	٣٢	٢٨٩
	٣٦ – ٤٣	١٩٤
	٤٠	١٤٤ ، ١٨٩ ، ١٩٤
	٤٣	١٨٩
	٤١	١٩٤
فصلت	١ – ١٣	٤٤٦
	١ – ١٣	٤٤٧
	٥٣ – ٥٤	٤٨٠

تابع ـ فهرس الآيات القرآنية الكريمة

السورة	رقم الآيه	الصفحة
فصلت	٥٢ ـ ٥٣	٩٧٧
	٥٣	٤٨٧
	٥٤	٤٨٢
الزخرف	٤٥	٥٦٨
الاحقاف	١٠ ـ ١٢	١٢٥
	٢٤	٥٢٤
	٢٩	٦٠٨
	٣٠	٤٣١
الدخان	٢٥ ـ ٢٩	١٠١١
محمد	١٣	٨٤٢
	٣٠	١٠٨٤
الفتح	١٦	٦١٩
	١٨	٩٧٠
	٢٠	٤٨٨ ، ٦١٨
	٢٢	٦١٥ ، ٦١٦
	٢٢ ـ ٢٣	١٠١٥، ١٠٤٥
	٢٧	٦١٨
	٢٨	١٨٦ ، ٦١٤، ٩٤٨
	٢٩	١٦٢ ، ١٠١٩ ، ١٠٨٤

تابع – فهرس الآيات القرآنية الكريمة

السورة	رقم الآيه	الصفحة
الحجرات	٦	١٠٥٠ ، ١٠٥٦
ق	١٢ – ١٤	١٠٢٢
	٣٦ – ٣٧	٩٨٨
الذاريات	٨ – ٩	١٩٨
	٣٣	٩٥
	٥٢ – ٥٥	١٠٤٢
	٥٦	٥٦٨
الطور	٢٢ – ٢٣	٤٩٢
	٢٣ – ٢٤	٤٩١
القمر	١	٧٣٢
	١ – ٢	٤٨٧
	١ – ٧	٧٢٨
	١ – ٤	١٠٤٣
	٩ – ١٣	٩٩٩
	١٦	١٠٤٣
	٤١ – ٤٢	١٠٤٤
	٤٣ – ٤٦	١٠٤٢
	٤٣	١٠٤٥
	٤٥	٦١٥ ، ٨٣٥

تابع – فهرس الآيات القرآنية الكريمة

السورة	رقم الآيه	الصفحة
النجم	٤	٥١١
	٩	٧٤٣
	١٢ – ١٨	٧٣٤
	١٦	٧٤٣
	١٦ – ١٧	٧٣٥
الواقعه	١ – ٩٤	٥٥١
	٧٨ – ٧٩	٤٢٤
الحديد	٢٥	١٩١
	٢٦	٣٠٣
الصف	٦	٢٢٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٣
	١٤	١٠٠٥
المجادلة	٢٢	٣٧٠ ، ١٠٨٦
الحشر	٢	١٠٠٧
	٨	٤٦٨
	١١ – ١٢	٦٢٠
	١٦	٦٢٠
الممتحنة	١	٤٦٨

تابع – فهرس الآيات القرآنية الكريمة

السورة	رقم الآيه	الصفحة
الجمعة	٢ – ٣	٦٥٤
	٦	٦١٧
	٩	٥٥٩ ، ٥٦١
الطلاق	١٠ – ١١	٣٩٢
	١١	٣٩٤
	١٢	٣٧٤
تبارك	٥	٩٨٧
القلم	١٢	١٠٨٤
الحاقه	٧ – ٨	١٠٠٠
	٤٠ – ٤٣	٣٩٢
	٤٠	٤٢٦
الجن	٨ – ٩	٤٢٨
	٩ – ٨	٤٣١
	٢١ – ٢٣	٣٧٨
	كامله	٤٧١
	١ – ١٠	٥٩٩
	١ – ٢	٦٠١
	١	٦٧
	٩	٦٠٥

تابع – فهرس الآيات القرآنية الكريمة

السورة	رقم الآيه	الصفحة
المدثـــر	١١	٤٥٤
	١١ – ٢٦	٤٥٦
	١١ – ٢٨	٦١٧
القيامة	١ – ٣٠	٥٥٢
النازعات	٥	٥٦٦
التكوير	٢٠ – ٢١	٣٩٢
	١٥ – ١٦	٢٨٩
	١٩ – ٢٨	٤٢٥
	١٩ – ٢٧	٥١١
الاعلـــى	١ – ٣	٥٤٩
	١٧	٥٦١
البلـــد	٨ – ١٠	٥٤٩
التين	كاملة	٢٨٥
	١ – ٣	٢٨٨
العلـــق	١ – ٥	٥٤٩
	١٥ – ١٦	٤٣٤

تـابع ـ فـهرس الآيـات القرآنـية الكريمة

السورة	رقم الآيـه	الصفحـة
الفيـل	١ ـ ٣	٥٩٨
قريـش	كـاملة	٢٨٧
الكوثـر	٣	٨٦٥
النصر	كلـها	٦١٩
اللهب	١ ـ ٣	٦١٨

فهرس الأحاديث الشريفة والآثـــــــار

طرف الحديث أو الأثر	رقم الصفحة
أتاكم أهل اليمن	٦٥٦
أتيت النبي ـ ص ـ ومعي ابن	١١٠٤
أتيت النبي ـ ص ـ بتمرات	٨١٨
أتيت بالبـــــراق	٧٣٨
أُتي رسول الله بثياب	٨٨٦
أحلف أنك بعتـــــه	١٠٦٠
أَخْبِرْنا ببعض صفة رسول الله	٢٣٤ ، ٣٢٢
إذا فتحت عليكم فارس	٦٥٣
إذا قضى الله الأمر في السماء	٦٠٣
إذا هلك كســـرى	٦٣٥ ، ٦٤٧
إذهب فبيـــــدر	٨١٦
أراد صاحب اليمن	٨٥٧
أردفني رسول الله	٧٥٣
أسرعكن بي لحاقا	٦٦٨
أصبح رسول الله ... وليس في العسكر ماء	٧٩٩
أصبت بثـــــلاث	٨٢٠
أصدق الأسمـــــاء	٥٧٣
أصيب سعـــــــد	٨٣٧
اضطجع النبي ـ ص ـ على حصير	٥٤٦
افتح وبشره بالجنـــــة	٦٥٨
أقبلنا مع رسول الله في سفر	٧٥٥
اقتسم نساء عبد الرحمن	٨٧٩
أقول فيها برأيـــي	٥١١
أكان وجه رسول الله مثل السيف	٥١٤
ألا إن في الجسد مضغـــة	١٠٨٦
اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا	٥٤٦
اللهم استجب لسعد	٨٨٥
اللهم أعز الاسلام	٨٨٢
اللهم أيده بروح القدس	٣٧١
اللهم سلط عليه كلبـــا	٨٦١
الآن نغزوهـــــــم	٦٥٣
ألست تقرأ القرآن	٥٢٩

الأمور ثلاثـــــة	١٠٥٧
أنا أقتله (قالها لابن خلف)	٤٤٠
أنـاجيلهم في صدورهـــم	٢٣٥
أنا محمد وأنا أحمد	١٦٣
ان أولى النـاس بـابن مريم	٣٣٥
أنا النذيـــــر	٣٧٧
إنّا معاشر الأنبيـاء	٤٢١ ، ١١٢٢
إن ابني هذا سيد	٦٣٦
إن أخاكم قد مات (أي النجاشي)	٦٩٨ ، ٦٩٩
إن أهل مكة سألوا نبي الله	٧٣٠
ان أبا ذر أرسل أخاه	٤٤٥
ان امرأة كان في عقلهـــا	٥٣٥
ان امرأة جاءت بابن لهـا	٧٦٣
ان امرأة من الأنصار	٧٧٧
ان بينك وبينها بابا مغلقا	٦٥٩
ان بين يدي الساعة كذابيـــن	٦٨٥
إن رسول الله مر بوادي الأرزق	٢٩٣
إن رجلا دخل المسجد يوم الجمعة	٧٤٩
ان رسول الله ... جاء بعير فسجد له	٧٦٥
إن رجلا ضريـــــرا	٧٧٦
إن رجلا أكل بشماله	٨٩٤
انشق القمر على عهد رسول الله	٧٣١ ، ٧٣٢ ، ٧٣٣
انطلقت الى الشام (أبو سفيان)	٢٥٥ ، ٤٣٧
انطلق سعد معتمـــــرا	٧٠٩
انطلق رسول الله ... إلى سوق عكاظ	٦٠٠
ان غلاما يهوديا كان يخدم النبي	٢٥١
إنكم مفتوحون	٦٨٨
إن لم تجديني فأتي أبا بكـــر	٦٤١
ان الملائكة تنزل في العنان	٦٠٣
ان رسول الله بينما هو ... إذ رمي بنجم	٦٠٢
ان النبي ـ ص ـ رأى جبريل في صورته	٧٤٣
ان النبي ـ ص ـ كلم رجلا فأرعـــــد	٥٣٤
ان النبي ـ ص ـ لبس خشنـــــا	٥٤٨
ان النبي ـ ص ـ دعا بمـــــاء	٧٨٣
ان النبي وأصحابه بالزوراء	٧٨٤
انه (أي المغيرة) لما دخل على المقوقس	٢٦٥

أنه إذا أرادوا الاغارة	٣١٥
إن هذا والذي جاء به موسى	٤٣١
إنهم قاتلوك (لأمية بن خلف)	٤٣٨
إنه أصيبت عينه يوم بدر	٧٧٠
إنه سارّ فاطمة	٦٦٧
إنه مشى إلى النبي - ص - بخبز شعير	٥٤٤
إنه - ص - أرسل الى علي وهو أرمد	٧٦٩
إنه كان يكبر بمنى فيسمعه أهل المسجد (ابن عمر)	٣١٣
إن الوليد جاء ... فقرأ عليه القرآن	٤٥٢
إن الوليد اجتمع ونفر من قريش	٤٥٤
إن يهود كانوا يستفتحون	٢٤٠
إني عند الله لمكتوب خاتم	٣٩٧
إني لأرى الفتن تقع	٦٦٣
إني لا أنظر إلى كلام الحكيم	٥٧٤
إني لأعرف حجرا	٨٢٥
إني أراها تستهل به	١٠٨٧
إن الله نظر إلى أهل الأرض	١٦٠ ، ٣٧٩
إن الله بدأ هذا الأمر نبوة	٦٤٢
إن الله مقمصك قميصا	٦٥٨
إن الله أرسل إلى نبيه ملكا	٥٣٢
إن الله يحب العبد التقي	٥٩٥
إن الله يملي للظالم	١٠١٧
إن الله نظر في قلوب العباد	١٠٩١
إن للحسنة لنورا	١٠٨٧
أوصى عبد الرحمن لأمهات المؤمنين	٨٨١
أوصى عبد الرحمن لمن شهد بدرا	٨٨٠
أوصيك بتقوى الله	٣١٢
أول جيش يغزو القسطنطينية	٦٦٩
أول ما اتخذ النساء المنطق	٢٩٥
أول ما خلق الله العقل	١٢٥
أول ما بدى به رسول الله	٢٥٧
أو ما ترضى أن تكون لهم الدنيا	٥٤٦
أيكم يبسط ثوبه	٦٧٩
باع عبد الرحمن أرضا	٨٨٠
بسم الله ... من محمد	١١١٥
بعثت لأتمم	٥٢٩

بعث رسول الله ـ ص ـ إلى أبي رافع	٧٧٣
بعثت قريش النضر وعقبة	٤٦٠
بعث رسول الله أقواما من بني سليم	٧١٧
بعثني رسول الله ـ ص ـ وأبا مرثد	٦٩٥
بعثت أنا والساعة كهاتين	٣٧٦
بعثه الله إلى بني قريظة	٨٣٩
بل أنا أقتله ـ إن شاء الله ـ	٧١١
بينا أنا نائم رأيتني على قليب	٦٣٩
بينا أنا نائم أريت أنه وضع في يدي	٦٨٢
بينما أنا عند النبي إذ جاءه رجل	٦٢٣
بينما رجل من المسلمين يشتد في أثر رجل	٨٣٥
بينما رسول الله يصلي عند البيت	٨٦٣
تبيّض وجوه أهل السنة	١٠٨٩
تداووا عباد الله	٩٦٦
تركت الناس يتنازعون الملك	٥٩٥
تزوج النبي ـ ص ـ زينب	٨١٠
تفتح اليمن	٦٤٩
تقتلك الفئة	٦٣٤
تكون خلافة النبوة ٣٠ سنة	٦٤٣
تمرق مارقة	٦٦٥
ثم إن المشركين اشتدوا	٦٩٩
ثم عرج بي حتى ظهرت	٧٤٢
ثلاثة أشياء رأيتهن	٧٦١
جاء أعرابي إلى رسول الله	٧٨٠
جاءت قريش إلى أبي طالب	٤٤٢
جاء رجل إلى رسول الله	٨٠٩
جاء رجل ... فقال : أرني الخاتم	٧٧٩
جاء عبدالله بن سلام	٤٧٢
جاءنا رسل كفار قريش	٨٤٨
جيراني على ما أخذوا	٥٣٠
حج أنس على رحل	٥٤٧
حدثني أبو سفيان	١١١٢
حدثوا الناس بما يعرفون	٣٧٣
حدثت أن أبا سفيان	٤٥٨
حدثت أن عتبة وكان سيدا	٤٤٨
حضرت عصابة من اليهود	٤٧٥

خدمت رسول الله ١٧٠ ، ٥٢٤
خذ قبضة من تراب ٨٣٢
خرج رسول الله وهو مردفـــيّ ٢٤٥
خرجنا مع رسول الله ٨٩٤
خرجنا مع رسول الله في غزوة فأصابنا ٨٠٨
خرجنا مع رسول الله عام .. تبوك ٧٢٠ ، ٧٨٨
خرجنا من قومنا غفـــار ٤٤٣
خرجنا في غزوة ذات الرقاع ٧٥٦
خطبنا رسول الله ٧٩٣
خفف علـــى داود ٢٣٥
خير العمل أنفعه ٥٨٢
دخل النبي ـ ص ـ على أم سليم ٨٧٦
دخل علينا رسول الله ٥١٩
ذكروا أنهم إذا أجدبوا ٦٧١
ذهب مدلوك .. فأسلـــم ٨٩٠
رأيت القمر منشقـــا ٧٣١
رأى النبي ـ ص ـ على عبد الرحمن أثر صفرة ٨٧٨
رأيت في ساق سلمة أثر ضربـــة ٧٧٦
رأيت رسول الله وحانت .. العصر ٧٨٤
رأيت يوم أحد عن يمين النبي ٨٣٧
رأيت رسول الله على بغلـــة ٥٣٨
رحمة لكم أيتها الأمـــة ١٠٣٠
ركبنا البحر في سفينـــة ٧٦٤
روي أن الدعوة كانت .. الأربعاء فأسلم ٨٨٢
زويت لي الأرض ٢٨٥ ، ٣٢٩ ، ٦٤٤
سأل أهل مكة النبـــي ١٠٢٨
سألت ربي ثلاثـــا ٦٧٤ ، ٨٧٢
سألت عائشة : كيف عمل رسول الله ٥٢٨
سألت رجل عائشة : هل كان يعمـــل ٥٤١
سئلت عائشة عن خلق رسول الله ٥٢٧
سافرت مع رسول ٧٦٢
ستفتح مصر وهي أرض ٦٥٢
ستكون الفتـــن ٦٦٠
ستكون بعدي أمراء يطلبون ٦٦٧
ستكون بعدي أمراء يؤخرون الصلاة ٦٦٦
ستلقون بعدي أثـــره ٦٦٧

ستهب عليكم الليلـــة ٧٢٢
سرنا مع رسول اللـــه ٧٧٨
سيكون في ثقيف كذاب ٦٧٧
صعد النبي أحـــدا ٨٢٥
صفي لي رسول اللـــه ٥٢١
صفيه لي يا أم معبـــد ٥٢٠
صلى بنا رسول اللـه ٦٢٢
صلى رسول الله .. بالمدينة ٣١١
صنفان من أهل النـــار ٦٧٦
ضمني رسول اللـــه ٨٨٣
شهدت مع رسول اللـه ٨٢٧
عاش عمرو بن أخطب ١٢٠ سنة ٨٨٧
عدا الذئـــب ٧٦٧
عرض للنبي ـ ص ـ جلب ٨٩٢
عصريتهـــا ؟ ٨٠٩
عطش الناس يوم الحديبية ٧٨٥
عليكم بالصـــدق ٤٣٤
عليك بتقوى الله ٣١١
على رؤسهن كأسنمـــة ٩٢١
غزونا مع رسول الله حنينا ٨٢٦
غزونا مع رسول الله غزاة قبل نجد ٨٥١
غزونا أو سافرنا مع رسول الله ونحن بضع عشرة ومائتين ٧٨٧
فأخذ عودا بين إصبعيـــه ٢٥٦
فاذا قال ﴿ الحمد لله ﴾ قال الله : " حمدني عبدي " ٣٥٢
فدخلت على رسول الله خزانته ٥٤٥
فدخلنا على جبلـــة ٢٦٢
فيما سقت السمـــاء ٩٠٠
قال الله : " قد فعلت " ٩٨١
قال الملأوأبو جهل : لقد غلبنا أمر محمد ٤٤٥
قال لي عبدالله بن سلام ٦٩١
قال لي رسول الله : " إدن مني " ٨٨٧
قام فينا رسول الله مقامـــا ٦٢١
قام رسول الله حتى تورمت ٥٢٩
قد سمعت صوت رسول الله ضعيفا ٨٠٤
قدم ضمـاد مكـــة ٤٥١، ١١٠٧
قطع الله نسلـــك ٩١٩

قلت لابي العالية : سمع أنس ٨٧٧
قيل لابن عمر وابن عباس ٦٧٨
قيمة كل امرىء ما يحسنه ٥٧٤
قيمة كل امرىء ما يطلب ٥٧٤
قد مات اليوم عبد الله .. أصحمة ٦٩٩
كان النبي - ص - وجيوشه اذا علوا شرفا ٣١٢
كان النبي - ص - يدخل على أم حرام ٦٧٢
كان النبي - ص - إذا سر إستنار وجهه ٥١٤
كانوا - أي اليهود - اذا إستنصروا ٢٤٢
كان ابن عمر وابن عباس يخرجان إلى السوق ٣١٣
كان إذا ذكر الساعة علا صوته ٣٧٦
كانت الأمة .. لتأخذ بيد رسول الله ٥٣٥
كان المسجد مسقوفا ٧٧٧
كان أهل الكتاب يقرؤن التوراة ١٠٥٦
كان بين أبياتنا يهودي ٢٤٧
كان بعيد ما بين المنكبين ٥١٣
كان رجل نصراني فأسلم ٨٥٢
كان رسول الله - ص - إذا قفل ٣١٠
كان رسول الله أحسن الناس وجها ٥١٣
كان رسول الله ضخم الرأس ٥١٤
كان رسول الله ضليع الفم ٥١٥
كان رسول الله أزهر اللون ٥١٧
كان رسول الله ليس بالطويل البائن ٥١٥
كان رسول الله أفلج الثنيّتين ٥١٨
كان رسول الله لا يسلك طريقا ٥٢٠
كان رسول الله أحسن الناس ٥٢٢
كان رسول الله أجود الناس ٥٢٣
كان رسول الله أشد حياء من العذراء ٥٢٥
كان رسول الله يمشي مع الأرملة ٥٣٦
كان رسول الله يكثر الذكر ٥٣٦
كان رسول الله يجلس على الأرض ٥٣٨
كان رسول الله لا يقوم من مصلاه ٥٤٠
كان رسول الله يركب الحمار ٥٣٧ ، ٥٤٢
كان الذي أسر العباس ٧٢٣
كان بالمدينة فزع ٧٦٨
كان غلام يهودي ٥٣٣

كان عبد الله بن هشام يخرج إلى السوق	٨٩١
كان شَعِرا رَجِـلا	٥١٥
كان طويل الصمت	٥٤١
كان فراش رسول الله	٥٤٥
كان لآل رسول الله وحش	٧٦٤
كان للجن مقاعـــد	٦٠٦
كان يغير إذا طلع الفجر	٣١٥
كأني أنظر الى الغبار ساطعا	٨٣٨
كان فلان يجلس إلى النبي	٨٥٢
كذب أبو السنابـــــل	١٠٤٨
كذب من قال ذلك	١٠٤٨
كنا جلوسا عند رسول الله	٣١٦
كنا نتحدث أن السكينـــة	٣٩٣
كنا مع رسول الله ـ ص ـ في غزوة	٦٢٥
كنا إذا احمـر البأس	٥٢٣
كنا آل محمد يمر الهلال	٥٤٣
كنا مع رسول الله في سفر	٧٦٣
كنا مع رسول الله ... فأقبل أعرابي	٧٨٠
كنا نعد الآيات بركـــة	٧٨٨
كنا مع رسول الله فأتينا على ركـــي	٧٩٦
كنا مع رسول الله في مسير	٨٠٦
كنا مع رسول الله نتداول قصعة	٨١١
كنا مع رسول الله في غزوة خيبر	٨٠٥
كنا مع رسول الله ١٣٠	٨١٤
كنا مع رسول الله فأصابهم عوز	٨١٩
كنا مع رسول الله إذا علونا كبّرنا	٣١٠
كنت فيمن بنى البيت	٤٤٠
كنت قائما عند رسول الله	٤٧٤
كنت أمشي مع النبي ـ ص ـ وعليه برد	٥٤٠
كنت مع النبي في مسير لـــه	٧٩١
كنت مع النبي بمكة فخرجنـــا	٨٢٥
كنت عند قتادة بن ملحان	٨٩٠
كنت أدعو أمـــي	٨٧٧
كنت أسير على جمل	٨٨٤
كيف أسرته يا أبا اليسر	٧٢٣
كيف تهلك أمـــة	٣٣٥

كلا والله لا يخزيك الله	١١١١
لأعطين الراية غدا	٦٩٣
لما أقبلت عائشة قربت	٦٩٠
لتفتحن عصابة	٦٣٥
لعلك رأيته يركع	١٠٩٠
لعن الله اليهود	٩٦١
لقد رأيت رسول الله يتلوى يومه	٥٤٤
لقد رأيتني مع رسول الله	٧٨٤
لقد رأيتني في الحِجْر	٧٤٤
لقد لقيت من قومك	٨٣٩
لقي رسول الله زيدا وجعفرا	٧٢٧
لما أرسل رسول الله الجيش في .. مؤتة	٧٢٦
لما أسري برسول الله	٧٤٣
لما بعث الله نبيه	٢٦١
لما سرقت امرأة	١٧٠
لما حفر الخندق	٨٠٠
لما قدم رسول الله المدينة	١١٠٤
لما قدم رسول الله وأصحابه المدينة	٦١٣
لما قدم عبد الرحمن	٨٧٩
لما كان يوم بدر	٥٢٣
لما كذبتني قريش	٧٤٤
لما كان يوم بدر نظر رسول الله	٨٣٤
لما نزل ﴿ قل هو القادر ﴾	٨٧٢
لم يكن رسول الله سبابا	٥٢٦
لم يكن فاحشا ولا متفحشا	٥٢٦
لو ادهن صاحب البدعة	١٠٨٨
لو خشع قلب هذا	١٠٨٦
لو كنت معكم ببدر	٨٣٦
لو كان الدّين معلقا بالثريا	٦٥٤
لو وضعتم الشمس	٤١٦
لو يعطى الناس	١٠٥٨
ما أكل رسول الله على خوان	٥٤٤
ما أمسى عند آل محمد صاع	٥٤٤
ما أكثر ما رأيت قريشا	٨٥٣
ما أسّر أحد سريرة	١٠٨٥
ما تركت لأهلك	٥٩٣

ما خير رسول الله بين أمرين ٥٢٦
ما رفع للنبي ـ ص ـ أمر فيه القصاص ١٩٠
ما رأيت أحدا أنجد ٥١٨
ما رأيت أرحم بالعيال ٥٣٧ ، ٥٤٢
ما رأيت رسول الله مستجمعا ٥٣٨
ما رأى رسول الله رغيفا مرققا ٥٤٣
ما زاد عيسى ٣٨١
ما زلنا أعزّة ٨٨٢
ما سئل رسول الله شيئا ٥٢٤ ، ٥٢٥
ما شبع رسول الله ثلاثة أيام ٥٤٢
ما ضرب رسول الله بيده خادما ١٦٩
ما ضرب رسول الله بيده شيئا قط ٥٢٧
ما عاب رسول الله طعاما ٥٣٠
ما كان أول أمرك ٣٨٥
ما كان يقرأ به في الأضحى ٧٢٩
ما كان شخص أحب إليهم ٥٣١
ما كان رسول الله يصنع في بيته ؟ ٥٤١
ما من نبي إلا وقد انذر أمته المسيح ٣٣٢
ما من رجل يحدث قوما بحديث ٣٧٤
ما من نبي إلا وقد أوتي من الآيات ٩٧٩
مثل المؤمن كمثل الخامة ١٠١٧
مرضت فعادني رسول الله ٨٨٦
مرّ رسول الله على صبيان ٥٣٧
مرض أبو طالب ٦٨٩
من كان منكم مستنا ١٠٩١
من محمد رسول الله إلى مسيلمة ١٠٧١
من كذب عليّ متعمدا ٩٤٣
من آذن النبي بالجن ٧٨١
من عادى لي وليا = يقول الله ـ تعالى ـ .
نصرت بالصبا ٧٥٢
نصرت بالرعب ٣٢٠
نعى رسول الله النجاشي ٦٩٨
هذا جبريل آخذ ٨٣٩
هذا من أهل النار ٦٩٣
هذا وقتك ووقت الأنبياء ٣١٧
هل أنت جاره الأدنى ١٠٩٠

هل أتى عليك يوم كان أشد عليك ١٠٣٧
هل تدري عما كان إسلام أسيد ٢٥٢
هل لك من أنماط ٦٨٢
هل معكم شيء تبيعونه ١١٠٨
هل يعفر محمد وجهه ٨٤٥
هلك كسرى ٦٣٤
هم قوم هذا (أبو موسى) ٦٥٦
هي رؤيا عين ٧٣٤
والله .. إن كنت لاعتمد ٨١٢
والله إني غلام يفعة ٢٤٤
والله لقد دلني على هذا النبي ١١٠٩
والله لا نقول لك كما قال قوم موسى ١٦٧
وايم الله لقد قالها رسول الله ٦٩٢
واتّبعا سراقة ٨٤٧
ودعا النبي ـ ص ـ بلالا فطلب ٧٨٦
والذي نفسي بيده لا يسمع بي ٤٣٠
وضع ابن عباس .. وضوءا ٨٨٣
وقدم على رسول الله عشرون رجلا ٢٥٩
وكان هرقل حزّاء ٢٥٥
ولولا ذلك لا برز قبره ٩٦١
والمستهزؤن : الوليد ... ٨٥٥
ومما دعانا إلى الاسلام ٢٤٣
لو أدرك ابن عباس أسناننا ٨٨٤
ويحكم أين يذهب بعقولكم ١٠٧٣
ويحك قد خبت وخسرت إن لم أعدل ٦٦٣
ويل للعرب من شر ٦٦٢
لا تزال طائفة من أمتي ١٧٧ ، ٥٠٩ ، ٦٧٥
لا تقوم الساعة حتى تخرج نار ٤٨٩ ، ٦٣٣
لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك ٤٨٩ ، ٦٣١
لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون ٦٨٦
لا سبق إلا في خف ١٠٧٠
لا يزال الاسلام عزيزا ٦٨٠
يا أبا ذر أين أنت إن أصاب الناس جوع ٦٤٢
يا رسول الله إني رأيت كان دلوا ٦٤٢
يا رسول الله إني رأيت الليلة .. ظلة ٦٣٧
يا رسول الله إني رجل ذو سن ٨٨٩

يا رسول الله إن الكهان	٦٠٣
يا رسول الله خادمك أنس	٨٧٥
يا رسول الله كيف يأتيك الوحي	٣٩٥
يا رسول الله متى كنت نبيا	٣٩٧
يا جابر ناد بوضوء	٧٩٠
يا حاطب إما هذا ؟	٦٩٧
يا ضفدع !	٤٩٨
يا معشر قريش ! والله لقد نزل بكم	٤٥٦
يا نبي الله إن لنا بئرا	٧٩٧
يقول الله ـ تعالى ـ : " من عادى لي وليا ... "	١٩٢
يوشك أن ينزل فيكم ابن مريم	٣٣٤

* * *

مستدرك على فهرس الأحاديث والآثار

طرف النص	رقم الصفحة
أتيت النبي ـ ص ـ وهو في غزوة تبوك	٦٢٨
أتينا رسول الله أربعين وأربعمائة	٨٢١
أنا سيد ولد آدم ولا فخر	٣٨٦
أو كان يرمى بها في الجاهلية	٦٠٤
حج النبي ـ ص ـ على رحل رث	٥٤٧
شكونا إلى رسول الله ـ ص ـ وهو متوسد	٦٣٠
شهدت مع رسول الله يوم حنين	٨٢٧
ها ان الفتنة ها هنا	٦٨٣

* * *

فهرس النصوص الكتابية

طرف النص	رقم الصفحة
الاله الخفي الذي لا يُعرف هو الذي خلق العالم	١٠٧
إرفعي إلى ما حولك بصرك	٣٣٧
أركون العالم سياتي	٣٨٤
أركون السلم	٣٨٨
أشكر حبي وابني أحمد	٣٤٨
أنا رسمتك على كفي	٣٤٥
أنت الرأس الذي رأيته من ذهب	٣٥٨
إن كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي	٣٦٦
ألم يقرأوا أن الحجر الذي أرذله	٣٦٧
إن أركون العالم سياتي	٣٦٧
إن أركون العالم يدان	٣٤٢
إن خيرا لكم أن أنطلق	٣٦٦ – ٣٦٧
إن ربنا عظيم ومحمود جدا	٣٢١
إن الفار قليط روح الحق ...	٣٦٥
إنكم آلهة	٣٤٢
إني لم آت لأزين العالم	٣٦٩
إن الله جاء من التيمن	٣٤٩
إن الله جعل موسى إلها لفرعون	٣٤٢
إن لي كلاما كثيرا أريد أن أقوله	٣٧٣
إن نسل العبيد كانوا سكانا بساعير	٢٨١
إنه قد حان أن يبتدئ الحكم من بيت الله ابتداء	٣٦٨
إنه يخبركم بكل ما ياتي	٥٥٢
إني جاعله لأمة عظيمة	٢٩٢
إني سأقيم لبني اسرائيل نبيا من إخوتهم	٢٣٦
إني سمعت من أطراف الأرض صوت محمد	٣٤٨
إني جعلت أمرك يا محمد يا قدوس الرب	٣٣٩
تجلى الله من طور سينا	٢٧٩
جاء الله بالبينات من جبال فاران	٣٠٤
جاء الله من طور سينا	٢٨٨
جاء الله من التيمن وظهر القدس ...	٣٠٥
زجرك في الأنهار	٣٥١
سأرفع علما لأهل الأرض	٣٤٠

سأقيم لبني إسرائيل من إخوتهم مثلك يا موسى	٢٦٧
سألت الله وتضرعت إليـــــه	٣٥٩ – ٣٦٠
سبحوا الله تسبيحا جديدا	٣٠٩
ستمتلىء البادية والمدن من أولاد قيدار	٣٤٤
ستنزع في قسيـــــك	٣٥٦
سيري واهتـزي أيتها العاقـــر	٣٤١
لتر تاح البوادي وقراها	٣٢٧
قيل لي قم نظارا ، فانظر	٣٣١
من أجل هذا بارك الله عليك إلى الأبد	٣١٩
من يحبني يحفظ كلمتي وأبي يحبـــــه	٣٦٦
وإن الله مظهرهم عليكم وباعث فيهم نبيا	٣٥٣
ولد لنا غلام يكون عجبا وبشرا	٢٤٢
وغدا ابراهيم فأخذ الغلام	٢٩٠
ويحوز من البحر إلى البحر	٣٢٨
يا هاجر من أين أقبلت وإلى أين تريدين	٣٠٦
يا أحبابي إياكم أن تؤمنوا بكل روح	٣٦٧

* * *

فهرس الاعـــــلام

	رقم الصفحة
آدم ـ عليه السلام ـ .	١٥٦، ٢٦٥، ٥٨٩، ٧٣٨، ٧٤٢
آصف بن برخيا	(٥٥٧)
الآمـــدي	(١٠٠١)
ابراهيم بن ادهم	(٩٣٩)
ابراهيم الحربي	(٢٢٤)، ٩٥٢
ابراهيم بن عبد الله بن حسن	(٩٠٦)
ابقـراط	(٢٢٢)، ٩٢٥، ٩٣٩
ابليـس ـ لعنه الله ـ	٣٤٢، ٦٠٧
ابندقلس	(١٠٩٧)
أبيّ بن خلـف	(٤٤٠)، ٧١١، ٧١٢
أبيّ بن كعـب	(٦١٣)، ٩٢٨، ٩٧٠، ١٠٨٠
الأثـــرم	(٢٢٥)
الاجلـــح	(٤٤٧)
احمد بن حنبل	(١٠١)، ٥٣٠، ٥٣١
احمد بن سعيد = الدارمي	(٦١٣)
الأحنـــف	(٩٣٤)
الأخفـــش	(٢١٣)، ٢٢٢، ٩٢٩
الأخنـــس	(٤٥٨)
ادريس ـ عليه السلام ـ	٧٣٩ ، ٧٤٥
ارسطـــو	(٩٣)، ١٠٥، ١١١، ١١٢، ١١٤، ١١٦ ، ١١٧، ١٢٩، ١٣٠ ، ١٣٣، ٢٢٢، ٥٥٤ ، ٥٦٥، ٥٧٦، ١٠٩٥
اسـاف (الصنم)	(٢٤٧)
اسحاق بن راهويه	(٩٣٨)
اسامة بن زيـــد	(١٧١)، ٢٤٥، ٧٦٢
ابن اسحـــــاق	(٢٤٠)، ٤٤٨، ٤٦٠، ٤٦١

ابو اسحاق السبيعي (٥٢٧)
اسد بن عبيد (٢٥٢)
الاسفرائيني (٩٩٤)
الاسكندر (١٠٥)، ١١٢
اسماء (٦٣٤)، ٦٧٧
اسماعيل بن ابي خالد (٦٩٠)، ٨٢١، ٨٢٣
الاسود العنسي (٥٩٨)، ٦٨٣، ٦٨٥، ١٠١٨، ١٠٧٣
الاسود بن عبد يغوث (٨٥٥)، ٨٥٦، ٨٦٠
ابو الاسود (٦٩٢)
الاسود بن المطلب (٨٥٥)، ٨٥٦، ٨٦٠
الاسود بن يزيد (٥٤١)، ٩٢٨
اسيد بن حضير (٩٧٠)
اسيد بن سعية (٢٥٢)
أبو أسيد (٨٣٦)
ابن الاشعث (٩٠٤)
الاشعري (٥٨٠)، ٩٩٤، ٩٩٦، ١٠٩٩، ١١٢١
اشهب (٢٢٣)
اشعياء (٢٣١)، ٢٣٦، ٢٣٧، ٣٢٢، ٣٣١، ٣٣٧، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٨، ٣٨٨

اصحمة = النجاشي ٦٩٩
الاعمش (٩٣١)، ١٠٢٨
الاعور (مسلم) (٥٤٢)
افلاطن (١٠٩٧)
ال ياسين ٢١٧، ٧٤٥، ٩٨٦
اولاد العباس (٣٠١)
امرأة امية بن خلف ٤٣٨، ٤٣٩
امرأة جابر ٨٠٠
امرأة فرعون ٤٦٥
امرأة كان في عقلها شيء ٥٣٥
امرأة من الانصار ٧٧٧

امرأة من بني مخزوم (١٧٠)
امرؤ القيس (الشاعر) (٩٣٤)
الأمين بن الرشيد (٩٠٩)
أمينة بنت أنس (٨٧٦)
أمية بن خلف (٤٣٨)، ٧٠٩، ٧١٠، ٨٦٤

أنس (١٧٠)، ١٩٠، ٥١٤، ٥٣٧، ٥٤٢، ٥٤٣، ٦٧٣، ٧٥٠

انيس الغفاري (٤٤٣)، ٤٤٤، ٤٤٥
ابن ابي اوفى (٥٣٦)
أيوب ـ عليه السلام ـ ٥٨٦، ٣٢٤
ابو أيوب الانصاري (٦٧٠)، ٩٧٠
ايوب السختياني (٤٥٤)

بابا الرومي ١٠١٨
الباقلاني (ابو بكر) (٩٩٤) ٩٩٧
بحيرى (الراهب) (٢٧٣) ٢٧٤، ٩١٨
البخارى (١٩٢) ٣١٣، ٤٤٢، ٥١٤

ابو البختري (٧٠٦)
بخت نصر ١٨٠ (٢٧٢) ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٥٧، ٣٥٩، ٩١٥، ١٠٠٩، ١٠١٢، ١٠١٤

البراء (٥١٣) ٥١٤، ٥٢٣، ٧٧٣، ٧٨٥، ٧٩٦، ٨٤٧

بريرة (١٩٠)
بشر بن البراء (٢٤١)
ابو بشر (٨٥٧)
بطليموس (خليفة الاسكندر) (١٠٥)
بطليموس (٢٢٥) ٩٢٥
ابو بكر الصديق (٢٠٩) ٢٦٢، ٦٤٢، ٦٤٤، ٦٥٦، ٦٥٨

ابو بكر بن حزم (٧٤٢)

ام بكـــر (٨٨٠)
البكـــري (٩١٩)
ابو بكـــرة (٦٣٦) ٦٦١
بلقيـــس (٣٩٠) ٧٣٦
بولـــس (١٠٧)
بهز بن حكيم (٥٣٠)
البويطـــي (٢٢٤)
البيهقـــي (٢٥١) ٥٢٣، ٦٠٨، ٦٨١ ، ٧٦٨، ٨٨٧، ٩٤٩ ، ٩٥٣

تبّـــع (١٠٢٢)
ترجمان هرقل ٤٣٧
الترمذي (٣١١) ٥٣٠، ٥٣١، ٥٤٧ ، ٧٦٨، ٧٧٦، ٧٨٠ ، ٧٨٢، ٧٩٦، ٨١٢ ، ٨١٧، ٨١٨، ٨٢٥ ، ٨٧٧

ابو تمـــام (٩٣٦)
تاميطميوس (٢٢٢)

ثابت بن قرّة (١١٥) ٩٢٦
ابو ثعلبة الخشنى (٦٤٢)
ثعلبة بن سـُعْية (٢٥٢)
ثوبـــان (٤٠) ٤٧٤
الثـــوري (٩٣٨) ١٠٨٠

جابر بن سمرة (٥١٥) ٥٤٠، ٦٢٥، ٦٣٥ ، ٦٨٠، ٨٢٥
جابر بن عبدالله (٤٤٥) ٥٢٤، ٦٨٥، ٧٤٤ ، ٨٠٩
الجاحـــظ (٩٥٥)
جالـــوت (٤٠٤)
جالينوس (٢٢٢) ٩٢٥، ٩٣٩
جامع بن شـدّاد (١١٠٨)
جبلة بن الأيهم (٢٦٢)
جبريل ـ عليه السلام ـ ٣١٧ ، ٤٧٧، ٥٣٢، ٧٤١ ، ٨٦٠، ٩٨٢، ١٠٣٧

جبير بن مطعم (٢٦٠) ٦٤١، ٧٣٣
الجدلي (أبو عبدالله) (٥٢٧)
جرير بن عبدالله (٣١٦)
جرير (الشاعر) (٩٣٦)
الجعد بن دينار (٨١٠)
جعفر بن إياس (١٠٢٨)
جعفر بن ابي طالب (٧٢٦) ٧٢٧
ابو جعفر القاري (٩٣١)
الجلندي (١١٠٩)
ابو جهل (٢٥٩) ٤٥٩، ٦٨٩، ٧٠٩ ، ٨٨٢
الجهم بن صفوان (٥٨٠) ١١٢١
ابن الجوزي (١٢٦) ٥٣٤، ٩٥٢، ٩٥٣
الجوهري (٩٥)
الجويني (ابو المعالي) (٩٩٦) ٩٩٧

حاتم (٩٣٤)
ابن ابي حاتم (٨٥٧) ١٠٣٠
الحارث الدمشقي (١٠١٨)
الحارث السهمي (٨٥٥) ٨٥٦
الحارث الواسطي (٨٢٠)
ابن حبان (١٢٦) ٦٦٢، ٦٨٩، ٧٦٤
ابو الحارث = الأسد (٥٣٤)
ابن ابي حازم (٦٩٥) ٦٩٧
حاطب (٣٩٥)
الحارث بن هشام (٥٢٨) ٥٣٦، ٥٤٧، ٧٦٢ ، ٧٦٤، ٨١٢، ٨٢٦ ، ٨٥٢، ٨٨٦
الحاكم (١٢٣)
ابو حامد (الغزالي) (٣٠٥) ٣٤٩
حبّوق (٧٣٨) ٧٤٢
ابو حبة (٣٤٧) ٦٧٩، ٩٠٤
الحجاج (٦٢١) ٦٥٩
حذيفة بن اليمان (٨٨٩)
حذيم بن عمرو

ام حرام (٦٦٩) ٦٧٢
حرملة (٢٢٤)
حزقيال (٣٥٣)
حسان بن ثابت (٢٤٤) ٣٧١، ٣٨٣
الحسن، البصري (٥٤٨) ٦٥٤، ٩٢٨، ٩٣٨، ١٠٣٠
الحسن بن زياد (٢٢٣)
الحسن بن علي (٦٣٦) ٦٣٧
ابو الحسين الصوفي (٩٢٦)
الحسين بن علي (٦٧٨)
حكيم بن معاوية (٥٣٠)
حليمة السعدية (٢٠١)
حماد بن سلمة (٥٣١) ٦٠٨، ٧٦٦
حماد بن زيد (٨١٨)
حمزة بن حبيب (٩٣٠)
حمزة بن عبد المطلب (٩٢٣) ٩٦٨
ابو حميد الساعدي (٧٢٠)
حميد الطويل (٥٣١)
ابو حنيفة (٢٢٣) ٩٢٤، ٩٣٨
حنظلة بن حنيفة (٨٨٩)
حيزوم (٨٣٥)

خازن السماء الدنيا ٧٤١
خالد بن الوليد (٧٢٧) ٩٣٣
ام خالد (٨٨٦)
خباب (٦٣٠)
خديجة (٩٤٠) ١١١١
ابن الخطاب = عمر ٦٣٩
ابو خلدة (٨٧٧)
خلف بن هشام (٩٣١)

الدار قطني (١٢٦)
الدارمي = احمد بن سعيد (٦١٣)
الدارمي (عبدالله) (٥١٨) ٥٢٠، ٥٣٦، ٧٥٥، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٧، ٨١٢

دانيال ـ عليه السلام ـ (٢٦٥) ٣٥٦، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١

داود ـ عليه السلام ـ ١٠٧، ٢٠٤، ٣٠٩، ٤٠٤، ٥٠٨، ١٠٩٧

ابو داود (٢٢٤) ٣١٠، ٥٣٠، ٧٩٦، ١٠٨٠

داود بن سلمه (٢٤١)

داود بن علي ٩٢٤ (٦٠٥)

الدجال (٢٦٧) ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٤، ٣٣٤، ٦٢٧، ١٠١٤

دحية ٤٣٧، ٨٣٩، ١١١٢

ابو الدرداء (٦٧٤)

دكين المزني ٨٢٣ (٨٢١)

دليل الرسول ـ عليه السلام ـ وأبي بكر ٥٢١

ابن ابي الدنيا (٩٥٢)

ابو ذر (٤٤٣) ٤٤٥، ٦٥٢، ٦٨٧، ٧٣٧، ٧٤١

ام أبي ذر ٤٤٣

خال ابي ذر ٤٤٣

ذو الخويصرة (٦٦٣)

ذو القرنين (١١٣) ٤٠٢، ٤٠٥، ٤٦٣، ٤٩٤

الذيّال (٤٤٧)

الرازي (أبو عبدالله) (١٥٨) ٧٤٨، ٩٩٦، ٩٩٧

ابو رافع ٧٧٤ (٧٧٣)

الربيع بن انس (٨٥٧)

الربيع بنت معوذ (٥٢١)

ربيعة بن قيذار ٣٤٤

الرجل الثالث (ابن ارقط) (٩٥٩)

ابن رشد ١١٦ (١٠٣)

ابن رشد الحفيد ٥٦٤ (١٢١)

رفاعة بن تابوت (المنافق) (٦٢٠)

ابو رمثـــة (١١٠٤)
روح القدس ـ عليه السلام ـ = جبريل ٣٧٠
ابن رواحـــة (٧٢٦) ٧٢٧، ١١١٠

الزبيـــر (٦٩٥) ٩٦٩
ابن الزبير (٣٤٧) ٨٩١
الزجّـــاج (٩٢٩)
زرارة بن أوفـــى (١١٠٤)
ابو زرعـــة (٢٤٥) ٤٤٢، ٥٢١، ٦٠٨، ٨٦٠، ٨٩٥، ٩٥١، ١٠٨٠

زفـــر (٢٢٣)
زكريا ـ عليه السلام ـ ٤٠٥، ٤١٤، ٩١٤
زمعة بن الاسود (٧٠٧)
ابو زميـــل (٨٣٥)
الزهـــري (٤٥٨) ٥٤١، ٦٠٤، ٧١٢، ٧٤٢، ٨٣١، ٨٨٠

زهير بن ابي امية (٧٠٧)
زوج ام معبـــد ٥٢٠
زياد الصـــداي (٧٩٧)
زيد بن اسلـــم (٨٩٤) ٨٩٥
زيد بن حارثـــة (٢٤٥) ٧٢٦، ٧٢٧
زيد بن عمرو بن نفيل (٢٤٥) ٢٤٦، ٢٤٧
زينب بنت جحـــش (٦٦٨)
زينب بنت رسول الله ـ عليه السلام ـ (٩٤٠)

السائب بن أبي السائب (٤٤٠)
ســـارة ٣٠٨
ابن سبعين (١٢٣) ٥٦٤
سراقـــة (٨٣٧) ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٧١

سعد بن الربيع (٨٧٩)
سعد بن عبادة (٩٧٠)
سعد القـــرظ (٩٧٢)
سعد بن معـــاذ (٤٣٨) ٤٣٩، ٧٠٩، ٧١٠، ٨٣٨، ٩٧٠

سعد بن هشام (٥٢٩)
سعد بن ابي وقاص (٥٩٤) ٨٣٧، ٩٦٩
سعيد بن جبير (٢٤٠) ٦٠٦، ٦٥٤، ٨٥٥، ٨٥٧، ١٠٢٨
ابو سعيد الخدري (٥٢٥) ٦٣٤، ٧٦٧، ٨٠٦، ٩٢٨، ١٠٨٠
سعيد بن زيد (٩٦٩)
سعيد بن سلمان (٨٩٥)
سعيد بن محمد بن جبير (٢٦٠)
سعيد بن المسيب ٧١٣، ٧٦٦ (٩٢٨)
ابو سفيان (مدلوك) (٨٩٠)
ابو سفيان بن الحارث (٨٢٨)
ابو سفيان بن حرب (٢٥٤) ٤٣٧، ٤٥٨، ١١١٢، ١١١٣
سفيان بن ابي زهير (٦٤٩)
سفينة (٦٤٣) ٧٦٤
سقراط (١٠٩٧)
سلمة بن الاكوع (٧٦٩) ٧٧٦، ٧٨٦، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٨، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٧٤، ٨٩٤
سلمة بن دينار (٧٦٦)
سلمة بن سلامة بن وقش (٢٤٧)
ابو سلمة بن عوف (٨٨١)
سلّام بن مشكم (٢٤١)
سليم الرازي (٩٥٥)
ام سليم (٥١٩) ٨٠٤، ٨٠٥، ٨١١، ٨٧٦، ٨٧٥
سليمان ـ عليه السلام ـ ١٩٦، ٢٦٢، ٣٠٧، ٥٥٧، ٩١٤، ١٠٩٢
سليمان بن صرد (٦٥٣)
سمابي (اليهودي) (٩٢٦)
سمرة بن جندب (٦٤٢) ٨١١، ٨٩٩
سماك بن حرب (٥١٥)
ابو السنابل (١٠٤٨)
سنجاريب (٢٧٢) ٣٠٨

السهروردي (١٢١) ٥٦٤
سهل بن سعد (٦٩٣) ٦٩٤، ٧٦٩
سيبويه (٢١٣) ٢٢٢، ٩٢٩
ابن سينا (٩٢) ١١٦، ١١٧، ١٢١، ١٣٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٨٧، ١٠٩٥

ابن شاذان (٩٩٤)
الشافعي (٢٢٤) ٦٤٨، ٩٢٤، ٩٣٨، ١١٢١

ابنا شرحبيل (ربيعة وعبد الرحمن) (٦٥٢)
شعبة بن الحجاج (٥٢٧) ٥٤٢، ١٠٨٠
شعيب ـ عس ـ ١٥٤، ١٨٥، ٢٠٧، ٢١٦، ٤٦٥، ٩٨٦، ٩٨٩

شمعون الصفا (٣٦٨)
ابن شهاب = الزهري ٦٩٩، ٨٤٨
شهر بن حوشب (٤٧٥)
ابن ابي شيبة (٧٦٦)
شيبة بن ربيعة (٨٦٤)
ابو الشيخ (٥٣٠) ٥٣٢، ٥٣٨، ٩٥١

شيخ من اهل مصر ٤٥٦ ، ٤٦٠
شيخ من بني قريظة ٢٥١

صاحب اليمامة = مسيلمة ٦٨٥
صاعد الأندلسي (١٠٩٧)
صالح ـ عليه السلام ـ ١٥٤، ١٨٥، ٤٦٥، ٩٨٦، ٩٨٩، ١٠٤٤، ١٠٩٥

صالح بن عوف (٢٤٤) ٢٤٧
الصديق = ابي بكر ٦٨٤
صفوان بن أمية (٧١٤) ٧١٥، ٧١٦، ٧١٠
ام صفوان
ابن صياد (٨٦٨) ٨٧٠

ضمـــاد (٤٥١) ١١٠٧

الضبي (سعيد بن سليمان) (٨٩٥)

طارق المحاربي (١١٠٨)

ابو طالـــب (٤٤٢) ٦٨٩، ٧٠١، ٩٦٨

الطبرانـــي (٧٥٦) ٩٥١

الطبري (محمد بن جعفر) (٦٠٥)

طلحة بن عبيد الله (٩٦٩)

ابو طلحـــة (٥٢٢) ٧٦٨، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨١١، ٨٩٩

ابن ابي طلحة (٨٣٢)

الطيالسي (ابو داود) (٤٧٥) ٥٢٧، ٥٣٧، ٥٤٢، ٦٤٢، ٦٨٠، ٧٦٠، ٧٦٣، ٨٥٧

ابن ظفـــر (٢٨١)

عائشـــة (١٦٩) ٢٥٧، ٣٩٥، ٥٢٧، ٦٠٣، ٧٦٤، ٩٤٠

العاص بن وائل (٨٥٥) ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٦٠

عاصم بن علي بن عاصم (٦٠٥)

عاصم بن عمر بن قتادة (٢٤٣) ٢٥١، ٧٧٠، ٨٣١

ابو العاليـــة (٢٤٢) ٣٦٢، ٨١٨، ٨٧٧

عامر بن الاكـــوع (٨٧٤) ٨٧٥

عامر بن الطفيـــل (٧١٨)

عامر بن فهيرة (٧١٨) ٩٥٩

ابن عامر (القاري) (٩٣١)

عاموص (١٩٦)

عبادة بن الوليد (٧٩٠)

عبادة بن الصامت (٦٧٢)

العبـــاس (٣٠١) ٧٢٣، ٨٢٧، ٩٦٨

عبد بن حميد (٤٤٨)
عبد الجبار (٩٥٥)
عبد الحميد بن بهرام (٤٧٥)
عبد الرحمن بن ابي بكر (٨١٤) ٨٥٢
عبد الرحمن بن عتيبة المسعودي (٧٨١)
عبد الرحمن بن عوف (٦٥٣) ٨٧٨، ٨٨٠، ٨٨١، ٩٦٩
عبد الرحمن بن مهدي (٥٣١) ٩٢٢، ١٠٨٠
عبد الرحمن بن هشام (الداخل) (٩٠٩)
عبد الرحيم بن مطرف (٨٢٣)
عبد الرزاق الصنعاني (٤٥٤) ٥٤١
عبد الغني المقدسي (٨١٩)
عبد الله بن أبـــيّ (٦٢٠)
عبد الله بن عتيك (٧٧٣)
عبد الله بن جعفر بن ابي طالب (٧٥٣)
عبدالله بن جعفر الزهري (٨٨٠)
عبدالله بن حزم (٨٣٦)
عبد الله بن رباح (٧٩٥)
عبد الله بن رواحة (٧٢٦)
عبد الله بن سلام (٣٢٢) ٤٧٢، ٤٧٧، ٦٩١، ١١٠٤
عبد الله بن الصامت (٤٤٣)
عبد الله بن عباس (١٥٧) ٣٧٤، ٤٣٧، ٦٣٧، ٧٥٢
عبد الله بن علي .. بن عباس (٩٠٨)
عبد الله بن عبد المطلب (والد رسول الله) (٤٤٦)
عبد الله بن عمر (٦٧٨) ٦٨٣
عبد الله بن عمرو بن حرام (٨١٦)
عبد الله بن عمـــرو (٢٣٤) ٥٢٦، ٦٥٣
عبد الله بن مسعـــود (٧٠٩) ٧٤٣، ٨٦٣
ابو عبدالله المقدسي (٨٢٣) ٩٥٣
عبد الله بن نبتل (المنافق) (٦٢٠)
عبد الله بن هشـــام (٨٩١)
عبد المطلب (٣٠١) ٤٤٦
ابن عبد ياليـــل (١٠٣٧)
عبد الملك بن مروان (٦٧٢)

عبـــــدة (٨٥٥)
عبد الوهاب الثقفي (١١٠٤)
ابو عبيد الثقفي (٩٠٦)
عبيد الله بن زياد (٦٧٨)
عبيد الله الهذلي (٦٨٣)
عبيد الله القداح (٤٦٧)
ابو عبيـــــدة (٥٩٤) ٦٢٩، ٦٤٢، ٩٢٨

عتبة بن جحـــدم (٧٢٤)
عتبة بن ربيعـــة (٤٤٦) ٤٤٨، ٨٦٤
عتيبة بن ابي لهب (٨٦١) ٨٦٢، ٨٧١
عثمان بن حنيـــف (٧٧٦)
ام عثمان بنت سعيد (٢٦٠)
عثمان بن ابي شيبة (٤٤٨)
عثمان بن عفان (٢٠٩) ٦٢٩
عدنان بن أدد (٣٥٤)
ابن ابي عـدي (١١٠٤)
عدي بن حاتـــم (٦٢٣) ٦٢٤
ابن عربـــــي (١٢٣) ٥٦٤
ابن العرقـــة (٨٣٧)
عروة بن ابي الجعد (٨٩٢)
عروة بن الزبير (٥٤١) ٦٩٩، ٨٦٠
عزرة بنت ثابت (٨٨٧)
عطاء بن السائب (٦٠٥) ٦٠٨
عطاء بن يســـار (٨٩٥)

عظيم بصرى ٤٣٧
عفـــــان (٧٦٥) ٧٦٦
عفريت من الجن ٧٣٦، ٧٤٦
عقبة بن ابي معيط (٤٦٠) ٨٦٤
عقيل بن ابي طالب (٤٤٢) ٧٢٤
العقيلـــــي (ابو جعفر) (١٢٦)
عكرمة بن عبد الله (٢٤٠) ٤٦٠، ٦٥٤، ٨٥٩

ابو العلا (حيان) (٨٩٠)
علقمة بن قيس (٥٢٨) ٩٢٨
علي بن ابي طالب (٢٠٩) ٣٧٣، ٥٢٣، ٦٤٤، ٧٨٢

علي بن زيد (٧٦٦)
عمار بن ياسر (٦٣٤) ٦٦٥
عمران بن حصين (٦٩٩) ٧٩١، ٧٩٥
عمران القزاز (٨١٨)
عمر بن الخطاب (٢٠٩)
عمر بن ابي ربيعة (٩٣٦)
عمر بن سعد بن ابي وقاص (٥٩٥)
عمر بن عبد العزيز (٢٢٥) ٦٢٥، ٩٣٨، ٧٧٠، ٩٦٠
عمرو بن اخطب (٦٢٢) ٨٨٧
ابو عمرو الداني (٩٣٠)
عمرو بن العاص (٨٥٥)
عمير بن وهب (٧١٣) ٧١٥، ٧١٦
عنترة (٩٣٣)
ابو عوانة (٨٥٧)
عوف بن ابي جميلة (١١٠٤)
عوف بن مالك (٦٢٨)
العوفي (٤٦٢)
عياض بن حمار (١٦٠)
عيسى بن يونس (٨٢٣)
العيص (٢٨١)

الغزالي = ابي حامد ٥٦٤
الغلام النجار ٧٧٧
غلام .. يخدم النبي ـ عليه السلام ـ (٢٥٠) ٥٣٣
غورث (٧٥٦) ٧٥٨

الفارابي (١١٧) ١٢١، ٥٥٤، ٥٦٤
الفارقليط (٣٦٥) ٣٦٦، ٣٦٨، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٤، ٣٧٨، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٩، ٣٩٤، ٣٩٦
فاطمة بنت محمد ـ عليه السلام ـ (١٧١) ٦٦٧، ٨٦٣، ٩٤٠

الفـــراء (٩٢٩)
الفرزدق (٩٣٦)
فرعـــون ١٠٥، ١٨٥، ٣٤٢، ٣٨٩، ٤٠٤، ٤٨٦، (٩٩٠)
الفريـابي (٩٥٢)
الفضل بن عبـاس (٧٢٥)
ام الفضـل (٧٢٥)
الفضيل بن عيـاض (٩٣٩)
ابن فورك (٩٩٤)
فيثـاغورس (١٠٩٧)
فيروز الديلمي (٦٨٣)

ابـو القـاسم = رسول الله ـ عليه السلام ـ ٨١٢
ابن القـاسم (٢٢٣)
القـاضي عيـاض (٩٥٤) ١١٠٤
ابن قـانع (١١٠٤)
ابـو قتـادة (٧٩٣) ٧٩٤
قتـادة بن ملحان (٨٩٠)
قتـادة بن النعمـان (٧٧٠)
ابن قتيبة (٢٨٠) ٢٨٩
قثم بن العبـاس (٧٢٥)
ابن ابي قحافة = ابي بكر ٦٣٩
قدامة بن عبد الله (٥٣٨)
قسطنطين (١٥٥) ٩٢٧
قصي بن كلاب ٤٥٩
قيدار (٣٢٧) ٣٤٤
قيس بن ابي حازم (٦٩٠) ٨٢١، ٨٢٣
قيصـــر ٥٤٥، ٦٣٤، ٦٤٧، (٦٤٨) ٦٤٩، ٦٥٦

ابن ابي كبشة = رسول الله ـ عليه السلام ـ (٧٣٢)
ابن كثير الداري (٩٣٠)
الكسائي (٩٢٩) ٩٣٠
كســـرى (١٠٥) ٥٤٥، ٦٣٤، ٦٤٦، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٦، ٨٦٥

كسرى بن هرمز (٦٢٤)
كعب بن مالك (٥١٤) ٧١١
كوشيار (٢٢٥)

ابن اللبّان (٩٩٤)
لبيد (٩٣٤)
لقمان (١٠٩٧)
ابو لهب (٦١٨) ٨٦١، ٩٦٨
لوط ـ عليه السلام ـ ٨١٥، ٢٦٥، ٤٠٤، ٩٨٦، ٩٨٩، ١٠٤٤

الليث بن سعد (٨٩٥) ٩٣٨

ابن ماجه (٣١٢) ٧٦٥، ٧٩٧
مأرب بن اسماعيل ٣٣٧
ماروت (٥٥٧) ٥٥٨
مالك (الامام) (٢٢٤) ٨٩٤، ٩٢٤، ٩٣٦، ١٠٨٠، ١١٢١
ام مالك (٨٠٩)
مالك بن دينار (٩٣٩) ١٠٣٠
مالك بن صعصعة (٧٣٧)
المأمون (٩٠٩)
الماوردي (٩٥٥)
المبرد (٩٢٩)
متى (التلميذ) ٣٦٧
المتنبي (٩٣٦)
مجاهد (٤٤٠) ٤٦١، ٦٥٤، ٧٥٢

ابو محذورة (٩٧٢)
محمد بن جبير بن مطعم (٢٦٠) ٦٤١
محمد بن جعفر (١١٠٤)
محمد بن الحسن الشيباني (٢٢٣)
محمد بن زكريا (٩٢٥)
محمد بن سيرين (٦٥٤) ٨١٩، ٨٧٩
محمد العامري (١٠٩٧)
محمد بن عمار بن ياسر (٥٢١)
محمد بن عمر .. بن جبير (٢٦٠)

محمد بن عبدالله بن حسن (٩٠٦)
محمد بن عمرو بن علقمة (٨٨١)
محمد بن فضيل (٤٤٧) ٤٤٨
محمد بن كعب القرظي (٤٤٨)
محمد بن ابي محمد (٢٤٠)
محمود بن لبيد (٢٤٧)
المختار بن أبي عبيد (٦٧٧) ٩٠٤
ابو مرثد (٦٩٥)
مرحب (٨٧٤) ٨٧٥
ابن مردويه (٤٤٧)
مروان بن محمد (٩٠٨)
مريم ـ عليها السلام ـ ١٤١، ٢٠٠، ٣٥٩، ٤١٤

المزني (٢٢٤)
مسروق (٦٥٩) ٧٨١
مسلم (الامام) (١٥١) ٢١٣، ٣١٥، ٤٧٤، ٥٢٩

مسلمة بن عبد الملك (٦٧٢)
المسيح ـ عليه السلام ـ (٩٣)
المسيح الكذاب = الدجال ٣٩٠
مسيلمة الكذاب (٤٩٨) ٥٩٨، ٦٨٣، ٦٨٤، ١٠٧١، ١٠١٨

مصعب بن الزبير (٩٠٤)
مصعب بن عمير (٧١١)
مضر بن قيدار ٣٤٤
مضر بن الياس ٣٥٤
المطعم بن عدي (٧٠٦)
معاذ (٢٤١) ٦٢٩، ٦٤٢، ٧٨٨، ٧٨٩

معاوية (٦٣٧) ٦٦٥، ٦٧٠، ٦٧٣، ٩٠٨، ٩٣٤

معاوية بن حيدة (٥٣٠)
ام معبد (٥٢٠)
معمر (٤٥٤) ٥٤١، ٦٠٤
معن بن زائدة (٩٣٤)
معن بن عبدالرحمن (٧٨١)

المغيرة بن شعبة (٢٦٥) ٤٥٩، ٥٢٩
المقوقس (٢٣٩) ٨٦٥، ٩٢٠
ابن ام مكتوم (٩٧٢)
الملك (في قصة هاجر) ٢٩٠، ٢٩٧
ملك الجبال ٨٣٩، ٨٤٠، ١٠٣٧
ملك الروم ٢٦٢
المنصور (٩٠٤)
المهاجر بن مخلد (٨١٨)
ابن المهلب (٩٠٤)
موسى بن اسماعيل (٦٠٨)
ابو موسى الاشعري (٣٦٢) ٦٥٦، ٦٥٨
موسى بن عقبة (٢٦٢) ٦٩٩، ٧٠١، ٧٠٨، ٧١٢

مولى أبي بكر ٥٢٠
مولى بني الحضرمي (٤١٢) ٤١٣
ميخا (١٩٦)
ميكائيل ٨٣٧، ٩٨٢

نائلة (الصنم) (٢٤٧)
النابغة الجعدي (٢٢٦)
النابغة الذبياني (٢٢٦) ٩٣٤
ابن الناطور (٢٥٥)
نافع بن عتبة (٦٢٥)
النسائي (٣١١) ٥٣٢، ٨١٢
النجاشي (المسلم) (١٥١) ٦٩٨
النجاشي ١٠٥، ٢٥٦، ٤٣١، ٧٠٨، ٩٧١

نساء عبد الرحمن بن عوف (٨٧٩)
النضر بن الحارث (٤٥٦) ٤٥٧، ٤٦٠
نعيم بن عبد الله (٢٦٢)
ابو نعيم (٢٦٢) ٥٩٢، ٧٦٤، ٩٥١

نفطويه (١١١٠)
نوح ـ عليه السلام ـ ١٥٦، ٢٠٠، ٣٠٣، ٤٠٣، ٥٦٨، ٩٨٩، ١٠٤٤

نور الدين الشهيد (٢٢٥)
نوفل بن الحارث (٧٢٤)
ابو نوّاس (٩٣٦)

هاجـــر (٢٨١) ٣٠٦، ٣٦٠
هاروت (٥٥٧) ٥٥٨
هارون ـ عليه السلام ـ ٢١٧، ٢٦٢، ٣٢٤، ٥٨٦، ٥٩٠، ٧٤٠، ٩٨٦
هاشم بن عبد مناف (٤٤٦)
هرقل بن ابو سطنيوس (٢٣٩)
هرقل بن فوكاس (٦٤٨)
هرقـــل ٢٥٥، ٤٣٧، ٨٦٥، ١١١٢، ١١١٦، ١١١٩، ١١٢٠
ابو هريـــرة (١٩٢) ٥٤٦، ٦٣١، ٧٤٤
ام ابي هريرة (٨٧٧)
هشام بن سعيـــد (٨٩٥)
هشام بن العاص (٢٦٢)
هشام بن عروة (٨٥٥) ٨٦٢
هشام بن عمرو (٧٠٧)
هلال (اليهودي) ٩٢٦
هود ـ عليه السلام ـ ١٥٤ ، ٢١٦، ٤٦٥، ٩٨٦، ١٠٤٤

ابن الهيّبـــان (٢٥٢)

ابو واقد الليثي (٧٢٩)
الواقـــدي (٧١٣)
وحشـــي (٩٢٣)
الوحيـــد (٣٩٢)
ودوســواع ... ١٥٦
ورقة بن نوفل (٢٥٧) ٢٥٨
الوليد بن عبد الملك (٩٦٠)
الوليد بن عتبة (٨٦٤)
الوليد بن المغيرة (٤٥٢) ٤٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٦٠

الوليد بن يزيد بن عبد الملك (٦٨١)
ابن وهب (٢٢٣)

يحيى ـ عليه السلام ـ (٤٠٥) ٥٩٠، ٧٣٨، ٩١٤، ٩١٥
يحيى بن سعيد (١١٠٤)
يحيى القطان (١٠٨٠)
يحيى بن عبد الله .. ابن اسعد (٢٤٤)
يحيى بن عروة (٨٥٣)
يحيى بن معين (٤٤٨)
يزدجر (٦٤٧)
يزيد بن رومان (٨٦٠)
يزيد بن زياد (٤٤٨)
يزيد بن ابي عبيد (٧٧٦)
يزيد بن معاوية (٦٧٠)
يزيد بن ابي منصور (٨٢٠)
ابو اليَسَر (٧٢٣)
يعقوب ـ عليه السلام ـ ٣٠٧، ٤٨١، ٥٨٦، ٩٨٦
يعقوب بن اسحاق (٨٨٩)
يعقوب بن السكيت (٩٣١)
ابو يعلى (القاضي) (٩٩٤) ٩٩٧
يعلى بن عبيد (٨٢١)
يعلى بن مرة (٧٦١)
أبو يعلى الموصلي (٤٤٨) ٧٦٢، ٧٨٢، ٧٩٦
يوحنا (٣٦٥) ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٩٠
يوسف ـ عليه السلام ـ ٢٠٢، ٣٠٧، ٤٠١، ٤٠٤، ٤١٤، ٤٨٨، ٤٩٤، ٧٣٩
يوشع (٣١٨) ٣٦٨، ١٠١٣
يونس ـ عس ـ ٣٢٤، ٥٨٦
يونس بن حبيب (٨٥٧)
يونس بن متّى ٢٩٣
يونس بن محمد (٨١٨)

* * *

فهرس الأماكن

	رقم الصفحة
الأبيض (قصر كسرى)	٦٣٥
اثينة	١٠٧، ١١٢
أحد	٨٢٥
ارض البؤس	٢٥٣
ارض الحجاز	٣٠٥، ٤٩٠، ٧٧٣
ارض الخمر	٢٥٣
ارض الشام	٢٧١، ٦٤٧
ارض قيذار	٣٢٧
الارض المقدسة	١٦٦
الاسكندرية	٢٣٩، ٢٦٥، ١٢٠
اصبهان	١٠٦٨
أطم يثرب	٢٤٤
الاقليم الثالث و ٤ و ٥	٢٧٠
الاندلس	٣٣٠، ٩٤٨
بئر زمزم	٢٩٤
بئر الحديبية	٨٩٧
بابل	١٨٠
باب لدّ الشرقي	٣٣٤
بادية سعد بن بكر	٢٠١
البحر الرومي	٣٢٩
البحر الفارسي	٣٢٩
البحرين	٦٨٤
بدر	١٦٨، ٩١٢
برْك الغماد	١٦٧، ١٦٨
برية فاران	٢٨٤، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١
بستان انس	٨٧٧
بصرى	٢٦١، ٤٩٠، ٦٣٣
البصرة	٨٧٦
بطحاء مكة	٤٦٨
بغداد	١٠٦٨
البلد الأمين = مكة	٢٨٥

بيت الله ٢٤٦، ٢٩٨، ٥٩٧، ٧٠٩
بيت لحم ٢٨١
البيت المعمور ٧٤١
بيت المقدس ١٧٩، ٣٠٧، ٣٤١، ٣٥٩، ٦٢٨، ٣٤٦، ٣٤٧، ٧٣٨، ٧٤٤

البيداء ٣١١

تبوك ٧٢١، ١٠٧٠
الترك ١٨٦
تُشتر ٣٦٢
تهامة ٦٠١، ٦٠٧
التيمن ٣٠٥، ٣٤٩، ٣٥١

ثنية هرشى ٢٩٣

جانب الطور ٢٠٢
جانب الغربي ٢٠٢
جبال فاران ٢٧٩، ٢٨٨، ٣٠٤، ٣٤٩
جبال مكة ٣٥١
جبل حراء ٢٨٣
جبل طيىء ٧٢٢
جبل ابي قبيس ٧٣١
الجزيرة ٢٤٦، ٢٧٠، ٣٣٠، ٣٥٥، ٥٩٣

جزيرة العرب ١٨٦، ٣٣٠، ٦٢٧
جيحون ٣٢٩

الحبشة ١٥١، ٢٣٩، ٢٥٦، ٢٥٩
حجارة الزيت ٦٨٧
الحجاز ١٨١، ١٨٦، ٣٥١، ١٠٦٨
الحُجَر ٩٦٠
الحِجرُ (حجر اسماعيل) ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧٤٤، ٨٥٣

حجرة عائشة ٩٦٠
الحديبية ٧٨٥، ٧٨٦

حران	٣٥٥
الحرم	٢٦١
حرة واقم	٧٥٦، ٧٥٨
حصن الكرك	٩٥٨
حمص	٢٥٦
حنين	٨٣٣
الحيرة	٦٢٣، ٦٢٤
الخندق	٨٠٠، ٨٣٣
خراسان	١٤٨، ١٨٦، ٩٤٨
خيبر	٨٧٤
دمشق	٣٣٤، ٦٧٤
ديار ربيعة	٣٥٥
ديار مضر	٣٥٥
روضة خاخ	٦٩٥
روميّة	٢٥٦
زمزم	٢٩٥، ٢٩٧، ٣٠١، ٧٤١
الزوراء	٧٨٤، ٩٦٠
زقاق بني غنم	٨٣٨
الزرقاء	٨٦٢
ساعير	٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٨، ٣٠٥
سبأ	٣٣٧
سد يأجوج ومأجوج	١١٣
سدرة المنتهى	٧٣٤، ٧٣٥، ٧٤٠، ٧٤٣
السماء الثالثة	٧٣٩
السماء الثانية	٧٣٨
السماء الخامسة	٧٣٩
السماء الدنيا	٧٣٨، ٧٤١
السماء الرابعة	٧٣٩
السماء السابعة	٧٤٠
السماء السادسة	٧٤٠

السند ١٨٦
سوق عكاظ ٦٠٠، ٦٠١
السويداء ٧٣١
سيحون ٣٢٩

الشام ١٤٨، ١٥١، ١٨٧، ٢٥٢، ٢٦١، ٢٧٤، ٢٨١، ٣٥٥، ٥٩٣، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥١، ٧٤٦، ٨٦٢، ٨٨٢، ٩٤٨، ١٠٦٨، ١٠٩٧، ١١١٢
شعب ابي طالب ٤٤٢

الصفا ٢٩٦
صفين ٦٣٧
صنعاء ٦٨٥
الصين ٩٤٨

الطائف ٢٠١، ٩١٢
طور سيناء ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٨، ٣٠٥

الظلمة دون الجسر ٤٧٤

العراق ١٤٨، ١٨٠، ١٨١، ١٨٦، ٣٥٥، ٦٤٨، ٦٥١، ٣٦١، ٦٩١، ٨٨٢، ٩٤٨، ١٠٦٨، ١٠٧٠
العقيق ٥٩٤
عمواس ٦٢٩
عين تبوك ٧٨٨

غار حراء ٢٥٧
غسان (ماء) ١١٠٩
الغوطة ٢٦٢

فاران ٢٨٣، ٢٩٢، ٣٠٥، ٣٣٧، ٣٣٨

فارس ١٨٠، ٥٩٤، ٦٥٣

قباء ٩٧٢

قبرص ٣٣٠، ٦٧٤، ٩٠٨

قرن الثعالب ٨٣٩، ١٠٣٧

القسطنطينية ٦٦٩، ٩٠٨

قليب بدر ٨٦٤

الكعبة ٢٤٧، ٣٣٧، ٣٤٧، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٣٠

كناسة الكوفة ٨٩٢

ماء الحوأب ٩٠

مؤتة ٩٥٧

مدائن قوم لوط ٤٠٤

مدين ٣٣٧، ٣٤٩

المدينة (النبوية) ١٤٧، ١٤٨، ١٦٨، ٣١١، ٣٩٩، ٤٦٠، ٤٧٢، ٤٧٨، ٥٩٢، ٦١٣، ٦٤٩، ٦٥١، ٦٥٨، ٧٥٠، ٧٦٧، ٧٨٤، ٨٤٧، ٩٠٦، ٩١٢، ٩٧٢، ١٠٤٥، ١١٠٤، ١١٠٨

مدينة قيصر ٦٧٠

المروة ٢٩٦

المسجد الاقصى ٧٣٣

المسجد الحرام ٦١٨، ٧٣٣

مسجد الرسول ـ عليه السلام ـ ٩٦٠

المشرق ٦٨٣

مشارف الشام ٩٥٨

مصر ١٥١، ٢٣٩، ٢٦٥، ٢٧٠، ٣٠٧، ٣٥٥، ٥٩٣، ٦٤٨، ٦٥٢، ٨٨٢، ٩٢٠، ٩٤٨، ١٠٦٨

المغرب ١٨٦، ٦٢٥

مقدونية ١١٢
مكة ١٤٨، ١٦٨، ٢٠١، ٢٣٩، ٢٤٥، ٢٥٠، ٢٥٩، ٢٦١، ٢٨٠، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٩١، ٢٩٢، ٣٢٧، ٣٣٨، ٣٤١، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٥١، ٤٠٥، ٤١٢، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٦٨، ٤٧٢، ٤٧٨، ٥٩٢، ٦٠١، ٦١٤، ٦٩٧، ٧٣١، ٨٢٥، ٨٤٧، ٦١٢، ٩١٦، ١٠٤٥، ١١٠٧

مملكة فارس والروم ٥٩٣
المنارة البيضاء بدمشق ٣٣٤
منى ٣١٢، ٣١٣
منقطع الأرض بالمغرب ٣٢٩
الموصل ٣٥٥، ١٠٦٨

ناصرة ٢٨٠
نجران ١٤٧
نخل ٦٠١
نيقيه ٩٢٧

الهند ١٨٦، ٢١٨، ٩٤٨

وادي الازرق ٢٩٣
وادي قناة ٧٥٠

يثرب ٢٧١، ٧٦٧
اليمامة ٦٨٥
اليمن ١٤٨، ١٨١، ١٨٦، ٢٥٠، ٣٣٨، ٣٥١، ٥٩٦، ٦٤٩، ٦٥١، ٦٥٦، ٦٨٣، ٧٤٦، ١٠٧٠
اليونان ٢١٨

* * *

فهرس الفرق والطوائف

الفرقة أو الطائفة	رقم الصفحة
أحبار الشام	٢٤٦
أحبار يثرب	٢٤٦
اخوان الصفا	١٢٣
الاسماعيليّة	٤٠٧
الاشعريّة	٥٨٠
أصحاب موسى	٥٨٧
أهل السّنة والجماعة	٥٥٠
أهل الظّاهر	٦٠٥
أهل الكتاب	٤٧٨
أهل المنطق	١١٩
أهل الهيئة	٩٢٥
البراهمة	١٦٠
التابعون	٢٠٧
الثنويّة	١٤٨
الجمهور	١٣٣
الخوارج	٩٨
الدهريّة	١٦٠
الرافضة	٤٠٩
الزرادشتيّة	١٤٩
السحرة	٤٨٢
سلف المسلمين	٥٥٠
السوفسطائية	١٠٥٥
الشّيعة	٥٧٩
الصابئون	١٤٦
الصحابة	٢٠٧
عبدة الكواكب	١٦٠
العقلاء	٥٧٧
الفلاسفة	٩٣
الفلاسفة المشاؤن	١١٠
فلاسفة اليونان	١١٢
بنو القدّاح	٤٦٧
القرامطة	٤٦٧
الكرّامية	١٥٨
كفّار البربر	٥٥٤
كفّار الترك	٥٥٤
المانويّة	١٦٠
مبتدعة المسلمين	٩٨
المتفلسفة الاسلاميّين	٥٦٤
متفلسفة الهند	٥٠٩
مثبتة الصّفات	١٠٠
المشبّهة	٩٨
المشركون الهنود	٥٨٢
المعطّلون	١٠٥
الملحدون	٢٧٨
المنافقون	١٤٥
المهاجرون	١١٠
النجّارية	٩٨
النظّار	٤٨٥
النصارى	٩٢
نصارى نجران	١٤٧
نفاة الصّفات	١٠١

* * *

فهرس القبائل والأمم

القبيلة أو الأمة	رقم الصفحة
إرم	٢٤٣
الأسباط	٤٨١
بنو إسحاق	٣٠٧
بنو إسرائيل	١٦٣
بنو إسماعيل	٨٤٣
بنو الأصفر	٦٢٨
أصحاب الكهف	٤٠٢
أصحاب محمد ـ عليه السلام ـ	١٦٧
الاغريقيون	٩٦
أمة محمد ـ عليه السلام ـ	٢٣٥
بنو أمية	٩٠٢
الأنصار	٢٣٨
بنو أنمار	٨٩٤
أهل الحبشة	٥٩٦
أهل الطائف	٤٣٣
البابليون	٥٥٦
الترك	١١٣
ثقيف	٣٥٤
بنو جمح	٧١١
بنو الحارث	٧٢٤
حمير	٦٨٥
الخزر	١٨٤
ذكوان	٧١٨
سعد بن بكر	٣٥٤
بنو سليم	٧١٧
السودان	١٨٤
ربيعة	٥٩٤
الروم	١٨٧
بنو زهرة	٨٨٠
الصقالبة	١٨٤
طيء	٦٢٣
عاد	٢١٦
بنو عامر	٦٩٠
بنو عامر بن لؤي	٧٠٧
بنو العباس	٩٠٢
العباسيون	٩٢
بنو عبد الأشهل	٢٤٧
بنو عبد الدار	٧١١
بنو عبد مناف	٤٥٨
عقيل	٣٥٤
العمالقة	١٦٥
بنو عمرو بن عوف	٩٦٩
غسّان	١١٠٩
بنو غنم	٨٣٨
الفرس	١٠٥
القبط	١٠٥
قريش	١٥٠
بنو قريظة	٢٥٢
بنو قصيّ	٤٥٩
بنو قينقاع	٤٧٠
كنانة	٨٤٣
كلاب	٣٥٤
بنو لحيان	٧١٨
مأرب	٣٣٨
بنو محارب	٧٥٦
بنو مخزوم	١٧٠
بنو مروان	٩٠٨
بنو المصطلق	٩١١
بنو معدّ	١٥٢
بنو نمير	٣٥٤
بنو النضير	٢٥٢
بنو هاشم	٨٤٣
هدل	٢٥٢
الهند	٥٤٩
هوازن	٣٥٤
يأجوج ومأجوج	١١٣
اليونان	٩٣

* * *

فهرس الألفاظ الغريبة

اللفظ	رقم الصفحة	اللفظ	رقم الصفحة
الأدم	٥١٦	ثبج	٦٧٣
ابتدرت عيناي	٥٤٥	ثقفوا	٦١٦
أحضر	٧٧٨	ثنا	٤٤٣
احمر البأس	٥٢٣	جامّين	٧٩٥
اداوة	٧٧٨	الجبا	٧٨٦
الأراكنة	٣٨٥	جبذ	٥٤٠
أرعد	٥٣٤	جرجر	٧٦١
استبرق	٩٥	جشّته	٨١١
الاستسقاء (مرض)	٨٦٠	الجعل	٥١١
أطم	٢٤٤	الجمّة	٥١٣
أعراق	٣٥٠	جهش	٧٨٥
أكثبكم	٨٣١	جؤار	٢٩٣
الأكحل	٨٣٧	الجوبة	٧٥٠
أماليه	٩٩٦	حزّاء	٢٥٥
الأمهق	٥١٦	حزرت	٧٨٣
انتشطت	٦٤٣	حتف أنفه	١٠١٠
الاهالة	٥٤٤	حمر النعم	٧٦٩
أهيل	٨٠٢	الخبب	١٩٦
إيهاه	٧٩٢	خطيفة	٨١١
الايفاد	٣٥٠	خفق	٨٣١
برمة	٨٠٠	خلبة	٢٩٣
بطارقة	٢٥٦	الخمير	٢٥٣
بيدر	٨١٦	دبادب	٩١٦
تبضّ	٧٨٨	دغفقة	٨٠٨
تتبيب	٩٨٩	ذفرى	٧٥٣
تتبير	١٧٩	ذلف الأنف	٦٣١
التخالج	٤٥٥	ذيت	٧٩٣
الترقوة	٧١٢	الربعة	٢٦٤
تروكه	٩٦٢	رزأ	٨٢٣
تضعضع	٣٤٩	الزاملة	٥٤٧
تقرب بي	٨٤٨	زبر	٤١٩
التقية	١٨٢	سحنته	١٠٨٢
تكفا	٥١٧	سجّيل	٩٥
التور	٨١٠	السريانية	٥٠٦

تابع – فهرس الألفاظ الغريبة

اللفظ	رقم الصفحة	اللفظ	رقم الصفحة
سفه نفسه	٣٨٩	القَطَط	٥١٦
سنـــا	٨٨٧	لهوات	٥٣٨
سواد البطن	٨١٥	اللّوث	١٠٦٢
شبرقـة	٨٥٧	مجندل	٣٩٧
شنّـة	٤٤٥	مخـدج	٦٦٤
شؤبـوب	٣٥٠	المخشوش	٧٧٨
صـك	٤٥٧	مـدرة	٤٤٥
ضئضيء	٦٦٤	مِشْفـر	٧٥٥
الطلسمّات	٥٥٦	مِشْـقح	٢٣٦
الظـراب	٧٥٠	معيـن	٢٩٧
عراقي الدلو	٦٤٢	المكاشفات	٤٦٤
عجـف	٧٥٩	منهـوس	٥١٥
عـرّس	٧٩١	نـاسـوت	٣٣٣
العضـاه	٨٥١	نـاعـوس	٤٥١
العكّـة	٨٠٤	نجـيّ	٦٢٧
غرارة	٨٩٤	النزر والهزر	٥٢٠
غلـف	١٠٣٤	النفث والعقد	٤٥٥
فريزة	٥٤٣	الهيولـى	١٠٩٥
فـلّ	٧١٣	يتضاغـون	٧٠١
القديد	٥٣٤	يخيـس	١١٠٨
القصيد	٤٥٣	يرفـأ	٨٥٤

* * *

فهرس الأشعـــــار

النـــــــص		رقم الصفحة
تـالله لـولا الله مـا اهتدينـا	ولا تصدقنـا ولا صلينـــــا	٨٧٤
تلك المكارم لاقعبان من لبن	شيبا بماء فعادا بعد أبوالا	٧٧١
والعين تعرف من عيني محدثهـــــــا		
ان كان من حزبها أو من أعاديهـا		١٠٨٣
قد علمت خيبر أني مرحـــب	شاكي السلاح بطل مجـــرب	٨٧٤
فصار فرقتين فرقة علـــت	وفرقة للطود منه نزلـــت	
وذاك مرتين بـالاجمـــــاع	والنص والتواتر والسمـــاع	٧٣٠
أنـا ابن الذي سالت على الخد عينـــه		
وردت بكف المصطفى أيمـــــا رد		
فعادت كما كانت لأحسن حالهـــــــا		
فيا حسن ما عين ويا حسن مـــا رد		٧٧٠
وشق له من اسمه ليجلـــه	فذو العرش محمود وهذا محمد	٣٨٣
لو لم يكن فيه آيات مبينـــــــة		
كانت بديهتـــه تنبيك بالخبـــر		١١١٠
تحدثني العينـان مـا القلب كاتـــــم		
ولا خير في الشحنـاء والنظر الشزر		١٠٨٣
قد علمت خيبر أني عامـــر	شاكي السلاح بطل مغامـــر	٨٧٤
ذئب تراه مصليـــــــا	فاذا مـــررت به ركـــع	١٠٩٠
خليليّ مـا أذني لأول عـــاذل	بصغواء في حق ولا عند باطل	٧٠٨
أيها المنكح الثريا سهيـــلا	عمرك الله كيف يلتقيـــان	٣٤٣
أبا حكم .. لو كنت شاهـدا	لأمر جوادي اذ تسيخ قوائمه	٨٤٩
أما الحرام فالممات دونـــه	والحل حل فاستبينـــــه	١٠٠٦
زيد الطويل الأسود ابن مالك	في داره بالأمس كان متكـي	
في يده سيف نضاه فانتضـى	فهذه عشر مقولات ســـوا	١١٤

* * *

فهرس أسماء الكتب

اسم الكتاب	رقم الصفحة
القرآن الكريم	٢٢٨
التوراة	٣٠٦
الانجيل	٢٣٥
الزبور	٢٣٥
صحف الأنبياء	٥٠٠
آراء المدينة الفاضلة للفارابي	١١٧
أثولوجيا لأرسطو	١١٥
أخبار الحواريين	٣٩٠
الأمانة للنصارى	١٣٥
تاريخ البخاري	٤٤٢
درء تعارض العقل والشرع (هكذا) للشيخ نفسه	٢١٠
الدلائل للبيهقي	٩٤٩
الدلائل للحربي	٩٥٢
الدلائل لابن أبي الدنيا	٩٥٣
الدلائل لأبي زرعة	٤٤٢
الدلائل لأبي الشيخ	٩٥٤
الدلائل للطبراني	٩٥١
الدلائل للفريابي	٩٥٢
الدلائل للمقدسي	٩٥٣
الدلائل لأبي نعيم	٢٦٢
رسائل التلاميذ	٣٦٧
الرصد الممتحن المأموني	٩٢٥
سِفر الملوك	٩٤١
الشفا للقاضي عياض	٩٥٤
صحيح البخاري	٢٩٤
صحيح ابن حبان	٦٩٠
صحيح مسلم	١٥١
مسألة (كتاب) الايمان للشيخ نفسه	١٠٨٥
مستدرك الحاكم	٥٤٨
مسند الامام أحمد	٦٠٢
مغازي حمزة (المزعومة)	٩٢٣
نقلات الأنوار للبكري	٩١٩
الوفا لابن الجوزي	٩٥٣

* * *

فهرس المصادر والمراجع (*)

- الآداب الشرعية والمنح المرعية . لمحمد بن مفلح المقدسي ٧٦٣هـ ، تصوير مكتبة الرياض الحديثة بالرياض .
- اثبات نبوة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ . لأحمد الزيدي ٤٢١هـ ، ت خليل الحاج ، المكتبة العلمية ، بيروت .
- احياء علوم الدين. لأبي حامد الغزالي ٥٠٥هـ وبذيله المغني عن حمل الأسفار في الأسفار . في تخريج ما في الاحياء من الآثار . للعلامة عبد الرحيم العراقي ٨٠٦هـ . دار المعرفة ، بيروت .
- ارواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل . للألباني ، ط ١ المكتب الاسلامي ، بيروت ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م .
- أسد الغابة في معرفة الصحابة . لعز الدين علي بن الأثير الجزري ٦٣٠هـ ، دار الفكر ، بيروت .
- الأسفار المقدسة قبل الاسلام . د. صابر طعيمة ، ط ١ ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٥م .
- الاصابة في تمييز الصحابة . لأحمد بن حجر العسقلاني ٨٥٢هـ وبهامشه الاستيعاب في معرفة الأصحاب . لأبي عمر يوسف بن عبدالبر القرطبي ٤٦٣ هـ ، ط ١ ، مصر ، ١٣٢٨هـ .
- أصول مذهب الامام أحمد . د. عبدالله التركي ، ط ٣ ، مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م .
- اظهار الحق .لرحمة الله الهندي ١٣٠٨هـ . ت : د. أحمد السقا ، دار التراث العربي ، القاهرة ، ١٩٧٧م .
- الأعلام . لخير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، ط ٥ ، بيروت ، ١٩٨٠م .
- اغاثة اللهفان من مصايد الشيطان . لأبي بكر بن قيم الجوزية ٧٥١هـ ، ت : حامد الفقي ، نشر دار المعرفة ، بيروت .
- أقانيم النصارى . د. أحمد السقا ، دار الأنصار ، القاهرة .

(*) يمكن الرجوع الى مراجع ترجمة شيخ الاسلام في قسم الدراسة من هذه الرسالة ص : ٢٨ ـ ٣٤ . بما أغنى عن اعادتها هنا .

- املاء مامن به الرحمن من وجوه الاعراب والقراءات في جميع القرآن . لعبد الله العكبري - ٦١٦هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- أوضح المسالك الى الفية ابن مالك . لابن هشام - ٧٦١هـ ، مجهول الناشر .
- البداية والنهاية . لاسماعيل بن كثير ، أبو الفداء - عماد الدين - ٧٧٤هـ ، دار الفكر ، بيروت ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م .
- البحر المحيط . لابي حيان - ٧٥٤هـ ، مكتبة النصر الحديثة ، بالرياض .
- بذل المجهود في حل أبي داود .لخليل السهارنفوري - ١٣٤٦هـ ، دار اللواء بالرياض .
- البرهان في علوم القرآن . للزركشي ، ت : أبو الفضل ابراهيم ، دار احياء الكتب العربية ، ط ٢ ، ١٣٧٦هـ = ١٩٥٧م .
- تاريخ الأمم والملوك . لأبي جعفر الطبري - ٣١٠هـ ، ت : أبو الفضل ابراهيم ، دار سويدان ، بيروت .
- تاريخ بغداد. للخطيب البغدادي ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
- تاريخ بني اسرائيل من أسفارهم . لمحمد عزة دروزة ، المكتبة العصرية بصيدا ، ١٣٨٩هـ = ١٩٦٩م .
- تاريخ التراث العربي . د. فؤاد سزكين ، ت : محمود حجازي ، جامعة الامام محمد بن سعود بالرياض ، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م .
- تاريخ الحكماء . لعلي القفطي ، مكتبة المثنى ، بغداد .
- تاريخ الفكر الفلسفي في الاسلام . د. محمد علي أبو ريان ، نشر دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٦م .
- تاريخ الفلسفة في الاسلام . ت : د. أبو ريدة ، ط ٥ ، دار النهضة العربية بيروت ، ١٩٨١م .
- التاريخ الكبير . للامام البخاري - ٢٥٦هـ ، حيدر آباد ، الدكن ، ١٣٦٢هـ .
- تبيين كذب المفتري فيما نسب الى ... الأشعري . لعلي بن عساكر - ٥٧١هـ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م .
- تدريب الراوي شرح تقريب النواوي . لجلال الدين السيوطي - ٩١١هـ . ت : عبد اللطيف ، ط ٢ ، المكتبة العلمية بالمدينة ، ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م .
- تذكرة الحفاظ . للامام الذهبي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت .

- التراث الاسرائيلي . د. صابر طعيمة ، دار الجيل ، بيروت ، ١٣٩٩هـ .
- ترتيب القاموس على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة . للطاهر أحمد الزاوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩م .
- تسهيل المنافع . لابراهيم الأزرق ، نشر عبد الحميد حنفي ، مصر ، ١٣٥٦هـ .
- تفسير البيضاوي أنوار التنزيل وأسرار التأويل . لأبي سعيد البيضاوي ، ٦٩٢هـ وبذيل صحائفه تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل لعلي الخازن - ٧٢٥هـ ، دار الطباعة العامرة بمصر ١٣٢٤هـ تصوير دار احياء التراث العربي ، بيروت .
- تفسير القرآن العظيم . لأبي الفداء اسماعيل بن كثير - ٧٧٤هـ ، ت : د.البنا وغيره ، دار الشعب ، القاهرة .
- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب . لفخر الدين الرازي - ٦٠٤هـ ، ط ١ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠١هـ = ١٩٨١م .
- تقريب التهذيب . لأحمد بن حجر العسقلاني - ٨٥٢هـ ت : عبد اللطيف ، المكتبة العلمية بالمدينة ودار المعرفة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٣٩٥هـ = ١٩٧٥م .
- تلبيس ابليس . لعبد الرحمن بن الجوزي - ٥٩٧هـ ، ادارة الطباعة المنيرية ، مصر ، ١٣٤٧ هـ = ١٩٢٨م .
- تهذيب التهذيب . لأحمد بن حجر العسقلاني ، شهاب الدين أبو الفضل - ٨٥٢هـ ، ط١ حيدر أباد ، الهند ، ١٣٢٥هـ .

- جامع الأصول من أحاديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - . لمجد الدين المبارك ابن الأثير الجزري ، ٦٠٦هـ ، ت : عبد القادر الارناؤ ط ، مكتبة الحلواني والملاح ودار البيان ، ١٣٧٨ هـ = ١٩٦٩م .
- جامع بيان العلم وفضله . ليوسف بن عبد البر النمري القرطبي - ٤٦٣هـ ، ادارة الطباعة المنيرية ، مصر .
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن . لمحمد بن جرير الطبري - ٣١٠هـ ، ط ٣ ، الحلبي ، مصر ، ١٣٨٨هـ = ١٩٦٨م .
- جاهلية القرن العشرين . محمد قطب ، دار الشروق ، بيروت - القاهرة .
- الجرح والتعديل . لابن أبي حاتم ، حيدر أباد ، الدكن ، الهند ، ١٣٧١هـ .
- جمهرة أنساب العرب . لأبي محمد علي بن حزم الأندلسي - ٤٥٦هـ ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م .
- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح . الجزء الأول ، دراسة وتحقيق د. علي بن ناصر ، رسالة دكتوراه كلية أصول الدين بالرياض ، ١٤٠٥هـ - ١٤٠٦هـ .

- حاشية كتاب التوحيد . للشيخ : عبدالرحمن القاسم - ١٣٩٢هـ ، ط ١ ، المطابع الأهليـــــة ، الرياض ، ١٣٩٦هـ .

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء . لأبي نعيم ، أحمد الأصبهاني - ٤٣٠هـ ، ط ٣ دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م .

- حياة القلوب وكيفية الوصول الى المحبوب . لعماد الدين الأموي ، بهامـــش قوت القلوب لأبي طالب المكي ، المطبعة الميمنية ، مصر ، ١٣١٠هـ .

- الحَيْدة . للامام عبد العزيز الكناني المكي - ٢٤٠هـ ، نشر رئاسة الافتـــاء السعوديـــــة .

- خصائص التصور الاسلامي ومقوماته . سيد قطب - ١٩٦٥م ، دار الشروق ، بيروت ، القاهرة .

- الخصائص الكبرى . المسمى : كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيـــــب ، لأبي الفضل عبد الرحمن السيوطي - ٩١١هـ ، مصور عن طبعة حيدر آبـــاد بالهنـــد ، ١٣٢٠هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

- خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال . لأحمد الخزرجي الأنصـــاري، ط ١ ، المطبعة الكبرى ببولاق ، ١٣٠١هـ .

- الخلاصة الشهية في أخص العقائد والتعاليم الارثوذكسية . لأفلاطون موسكـــو ، تعريب : حزبون ، مطبعة كرم ، بيروت ، ١٩٥٧م .

- دائرة معارف البستاني . لبطرس البستاني ، مطبوعاتي اسماعيليان ،طهران.

- دائرة معارف القرن الرابع عشر - العشرين . محمد فريد وجدي ، ط ٣ ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٧١م .

- درء تعارض العقل والنقل . لابن تيمية - ٧٢٨هـ . تحقيق د. سالم ، ط ١ ، جامعة الامام محمد بن سعود ، الرياض ، ١٤٠١= ١٩٨١م .

- دراسات في الفلسفة الاسلامية . د. العبد ، مكتبة النهضة المصريـــــة ، القاهرة ، ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م .

- الدر المنثور في التفسير بالمأثور . مصر، طبعة بولاق ، دار المعرفـــة ، بيـــروت .

- دلائل النبوة وأحوال صاحب الشريعة . لأبي بكر أحمد البيهقي - ٤٥٨هـ ،ت : عبد المعطي قلعجي ، ط ١ ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م .

- دلائل النبوة . لابن نعيم - ٤٣٠هـ ، ت : عباس وقلعة جي ، ط ١ ، المكتبـــة العربية بحلب ، ١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠م .

- الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم . د. أسد رستم ، دار المكشوف ، بيروت ، ١٩٥٥م .

- الروض الأنف . لأبي القاسم السهيلي ، ٥٨١هـ ، علق عليه طه سعد ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م .

- الرد على الجهمية والزنادقة . فيما شكوا فيه من متشابه القرآن وتأولوه على غير تأويله ، ويليه كتاب السنة ، كلاهما للامام أحمد بن حنبل ، رئاسة الافتاء السعودية .

- زاد المعاد في هدي خير العباد . لمحمد بن قيم الجوزية - ٧٥١هـ ، ط ١ ، المطبعة المصرية ، مصر ، ١٣٤٧هـ = ١٩٢٨م .

- سبل السلام شرح بلوغ المرام . لمحمد الصنعاني ، ط ٢ ، مصطفى الحلبي ، مصر ، ١٣٦٩هـ = ١٩٥٠م .

- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد . لمحمد الصالحي الشامي ، ٩٤٢هـ ت : عبد الواحد ، القاهرة ، ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م .

- سلسلة الأحاديث الصحيحة. للألباني ، ط ٢ ، المكتب الاسلامي ، دمشق - بيروت ، ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩م.

- سلسلة الأحاديث الضعيفة وأثرها السيء في الأمّة . للألباني ، ط ٤ ، المكتب الاسلامي ، بيروت ، دمشق ، ١٣٩٨هـ .

- سنن الترمذي . ت : أحمد محمد شاكر ، ط ١ ، مصطفى الحلبي ، القاهرة ، ١٣٥٦هـ = ١٩٣٧م .

- سنن الدارمي . طبع بعناية محمد أحمد دهمان ، دار أحياء السنة النبوية.

- سنن أبي داود . مراجعة عبد الحميد ، دار احياء السنة النبوية .

- السنن الكبرى . للبيهقي - ٤٥٨هـ ، دار الفكر ، بيروت .

- سنن ابن ماجه . أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني - ٢٧٣هـ ت : د.محمد مصطفى الأعظمي ، الرياض ، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م .

- سنن النسائي . دار الكتاب العربي ، بيروت .

- سير أعلام النبلاء . لشمس الدين محمد الذهبي - ٧٤٨هـ ، اشراف شعيب الأرناؤط ، ط ١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٤م .

- السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية . لابن تيمية ، ط ٤ ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٦٩م .

- السيرة النبوية . لأبي محمد عبد الملك بن هشام الحميري ـ ٢١٨هـ ، ت : مصطفى السقا وغيره ، ط ١ ، مصطفى الحلبي بمصر ، ١٣٥٥ هـ = ١٩٣٦م .
- السيرة النبوية . لأبي الفداء اسماعيل بن كثير ـ ٧٧٤هـ . ت : مصطفى عبد الواحد ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م .
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب . لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي ـ ١٠٨٩هـ ، ط ١ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩م .
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة . لهبة الله اللالكائي ـ ٤١٨هـ . ت :د.أحمد سعد حمدان ، دار طيبة ، الرياض .
- شرح العقيدة الطحاوية . محمد بن علي بن أبي العز الحنفي ـ ١٧٩٢هـ ، ط ٦ ، المكتب الاسلامي ، بيروت ، ١٤٠٠هـ .
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى . للقاضي عياض ـ ٥٤٤هـ . ت : علي محمد البجاوي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م .
- الشمائل المحمدية . لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ـ ٧٢٩هـ .ت : محمد عفيفي زعبي ، ط ١ ، دار العلم للطباعة والنشر ، جده ، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية . لاسماعيل بن حماد الجوهري ، ت : أحمد عطار ، ط ٢ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩م .
- صحيح مسلم . لمسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، أبو الحسين ـ ٢٦١هـ ، تحقيق : عبد الباقي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت .
- صحيح مسلم بشرح النووي . ليحيى بن شرف الحزامي النووي ـ ٦٧٦هـ ، دار الفكر، بيروت ، ١٤٠١هـ = ١٩٨١م .
- الصلة . لخلف بن عبد الملك بن بشكوال ـ ٥٧٨هـ ، مكتب نشر الثقافة الاسلامية ، القاهرة ، ١٣٧٤هـ = ١٩٥٥م .
- صفة جزيرة العرب . للحسن بن أحمد الهمداني ، ت : محمد الأكوع ، دار اليمامة ، الرياض ، ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م .
- صفوة التفاسير . لمحمد علي الصابوني ، ط ٤ ، دار القرآن الكريم ، بيروت ، ١٤٠٢هـ = ١٩٨١م .
- صون المنطق والكلام في فن المنطق والكلام . للسيوطي ٩١١هـ . تعليق : علي سامي النشار ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- الضعفاء الكبير . لمحمد بن عمرو العقيلي ـ ٣٢٢هـ ، ت : د.عبد المعطي قلعجي ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م .

- ضعيف الجامع الصغير وزيادته . ت : الألباني ، ط ٢ ، المكتب الاسلامي ، دمشق - بيروت ، ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩م .

- طبقات الحفاظ . لعبد الرحمن السيوطي وجلال الدين - ٩١١هـ . نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣م .

- طبقات الأمم . لصاعد الأندلسي - ٤٦٢هـ ، نشر لويس شيخو ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩١٢م .

- الطبقات الكبرى . دار صادر وبيروت ، بيروت ، ١٣٧٦هـ = ١٩٥٧م .

- عقيدة المسلمين والرد على الملحدين والمبتدعين . للشيخ صالح البليهي ، ط ١ ، المطابع الأهلية للأوفست ، الرياض ، ١٤٠١هـ .

- العلل ومعرفة الرجال . للامام أحمد بن حنبل - ٢٩٤هـ ، طبع طلعت ييكيت أنقرة ، تركيا ، سنة ١٩٦٣م .

- علم الكلام ومدارسه . د. فيصل عون ، ط ٢ ، مكتبة الحزية الحديثة ، جامعة عين شمس ، القاهرة ، ١٩٨٢م .

- عيون الأنباء في طبقات الأطباء . لابن أبي أصيبعة ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٧٦هـ = ١٩٥٦م .

- غريب الحديث . لأبي عبيد القاسم بن سلاّم الهروي - ٢٢٤هـ ، مصورة عن ط ١ ، حيدر أباد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٣٩٦هـ = ١٩٧٦م .

- الفصل في الملل والأهواء والنحل . لابن حزم ، ت : د.نصر و د. عميرة . مكتبات عكاظ ، ط ، جده ، ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م .

- فضائل الصحابة . لأحمد بن حنبل - ٢٤١هـ . ت : وصيّ الله ، ط ١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م .

- فضل الله الصمد شرح الأدب المفرد . فضل الله الجيلاني ، ط ٢ ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٨٨هـ .

- الفهرست . لمحمد بن اسحاق النديم البغدادي - ٣٧٨هـ ، دار المعرفة ، بيروت .

- فوات الوفيات . لمحمد الكتبي - ٧٦٤هـ . ت : احسان عباس ، دار صادر بيروت .

- في شمال غرب الجزيرة . حمد الجاسر ، ط ١ ، دار اليمامة ، الرياض ، ١٣٩٠هـ = ١٩٧٠م .

- فتح الباري ، بشرح صحيح البخاري . لابن حجر ـ ٨٥٢هـ أشرف على طبعه عبد الباقي والخطيب . نشر رئاسة الافتاء السعودية .

- الفتح الرباني لترتيب مسند الامام الشيباني ، مع مختصر شرحه بلوغ الأماني. لأحمد البنا ، دار احياء التراث العربي ، بيروت .

- الفرق بين الفرق . لصدر الدين عبد القاهر البغدادي ـ ٤٢٩هـ ، دار المعرفة ، بيروت .

- فهرس الكتاب . د. جوج بوست ، منشورات مكتبة المشعل ، ط ٥ ، بيروت .

- قاموس الكتاب . لنخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين ، تحرير د. بطرس عبد الملك ، د. جون طمسن ، ابراهيم مطر .

- ابن قدامة وآثاره الأصولية . د. عبد العزيز السعيد ، ط ٣ ، مطابع جامعة الامام ، الرياض ، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م .

- قصة الفلسفة اليونانية . أحمد أمين وزكي نجيب ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٣٦٨هـ = ١٩٤٩م .

- قضايا المسيحية الكبرى . القس : الياس مقار ، دار الثقافة ، القاهرة .

- قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد الى مقام التوحيد . لمحمد بن علي المكي ـ ١٣٨٦هـ ، المطبعة الميمنية بمصر ، ١٣١٠هـ .

- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة . للذهبي ـ ٧٤٨هـ . ت : عطية الموشي ، ط ٢ ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م .

- الكافي في فقه ابن حنبل . لأبي محمد عبد الله بن قدامة المقدسي ـ ٦٢٠هـ ، ط ٣ ، المكتب الاسلامي ، بيروت ، ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م .

- الكافي في فقه المالكي . ليوسف بن عبد البر ـ ٤٦٣هـ . ت : د. ولد ماديك ط ١ ، مكتبة الرياض الحديثة بالرياض ، ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م .

- الكتاب المقدس (عندهم) أي كتب العهدين القديم والجديد . مترجم من اللغات الأصلية وهي العبرية والكلدانية واليونانية ، دار الكتاب ... في الشرق الأوسط بمصر ، القاهرة ، ١٩٨٣م .

- الكامل في التاريخ . لأبي الحسن علي بن الاثير الجزري عز الدين ـ ٦٣٠هـ ، ط ١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م .

- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل . لأبي القاسم الزمخشري ـ ٥٣٨ هـ . دار المعرفة ، بيروت .

- الكواشف الجلية عن معاني الواسطية . لعبد العزيز السلمان ، ط ٢ ، مطبعة السعادة بمصر ، ١٣٩٠هـ = ١٩٧٠م .

- اللباب في تهذيب الأنساب . لعز الدين علي بن الأثير الجزري - ٦٣٠هـ ، دار صادر بيروت ، ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م .

- لسان العرب . لابن منظور ، دار صادر ، بيروت .

- لسان الميزان . للامام أحمد بن حجر العسقلاني - ٨٥٢هـ ، ط ٢ ، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ١٣٩٠هـ = ١٩٧١م .

- اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة . للامام جلال الدين السيوطي - ٩١١هـ ، ط ٣ ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠١هـ = ١٩٨١م .

- المجاز بين اليمامة والحجاز . لعبد الله بن خميس ، ط ٣ ، شركة تهامة ، جدة ، ١٤٠٢هـ = ١٩٨١م .

- مجمع الأمثال . لأبي الفضل أحمد النيسابوري الميداني - ٥١٨هـ ، طبع عبد الرحمن محمد ١٣٥٢هـ ، مصر .

- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد . لنور الدين علي الهيثمي - ٨٠٧هـ ، ط ٣ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م .

- مجموع فتاوي شيخ الاسلام . جمع الشيخ ابن قاسم وابنه محمد ، تصوير الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ .

- محاضرات في النصرانية . لمحمد أبي زهرة ، دار الفكر العربي ، بيروت .

- المحصول في علم أصول الفقه . للفخر الرازي - ٦٠٦هـ . ت : د. طه العلواني ، ط ١ ، جامعة الامام ، الرياض ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م .

- مختار الصحاح . لمحمد الرازي ، ط ١ ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ١٩٨٣م .

- مختصر التحفة الاثني عشرية . لشاه الدهلوي - ١٢٣٩هـ ، ترجمة الاسلمي ، واختصار الألوسي ، وتحقيق الخطيب ، المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٧٣هـ .

- مختصر سنن أبي داود ومعالم السنة وتهذيب ابن قيم الجوزية . ت : حامد الفقي ، مطبعة السنة المحمدية ، مصر ، ١٣٦٩هـ = ١٩٤٩م .

- مختصر الفتاوى المصرية لشيخ الاسلام ابن تيمية . لمحمد بن علي الحنبلي البعلي - ٧٧٧هـ ، ط ١ ، دار نشر الكتب الاسلامية ، باكستان ، لاهور ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م .

- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع . لصفي الدين عبدالمؤمن البغدادي - ٧٣٩هـ . ت : علي البجاوي ، ط ١ ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٧٣هـ = ١٩٥٤م .
- مروج الذهب ومعادن الجوهر . لأبي الحسن علي المسعودي - ٣٤٦هـ ، تحقيق عبد الحميد ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م .
- مرويات غزوة بدر . لأحمد باوزير ، ط ١ ، مكتبة طيبة ، المدينة ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م .
- مسائل الامام أحمد . لأبي داود السجستاني - ٢٧٥هـ ، طبع دار المعرفة ، بيروت .
- المستدرك على الصحيحين . للحاكم ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
- مسند الامام أحمد بن حنبل - ٢٦٤هـ . ط ٤ ، المكتب الاسلامي ، بيروت ، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م .
- مسند أبي داود الطيالسي . ط ١ ، دائرة المعارف بحيدر أباد ، ١٣٢١هـ ، تصوير دار الكتاب اللبناني ، ودار التوفيق .
- مسند أبي يعلى الموصلي . ت : حسين أسد ، دار المأمون للتراث ، ط ١ ، دمشق - بيروت ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م .
- المسيحية . لأحمد شلبي ، ط ٧ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٨٣م .
- المصباح المضيء في كتاب النبي الأمي ورسله الى ملوك الأرض من عربي وعجمي . لمحمد بن حديدة الأنصاري - ٧٨٣هـ ، ط ٢ ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م .
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير . لأحمد الفيومي - ٧٧٠هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- المصنف . لعبد الرزاق الصنعاني - ٢١١هـ ، ت : الأعظمي ، ط ١ ، المجلس العلمي ، جوهانسبرغ ، ١٣٩٠هـ = ١٩٧٠م .
- معالم الثقافة الاسلامية . د. عبد الكريم عثمان ، ط ٥ ، مؤسسة الأنوار ، الرياض ، ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م .
- معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير . ابراهيم الجبهان ، ط ٢ ، مطابع الريل ، الرياض ، ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م .
- معجم البلدان . لأبي عبدالله ياقوت الحموي - ٦٢٦هـ ، دار صادر وبيروت ، بيروت ، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م .
- معجم مقاييس اللغة . لابن فارس - ٣٩٥هـ . ت : عبدالسلام هارون ، ط ٢ ، الحلبي بمصر ، ١٣٩٠هـ = ١٩٧٠م .

- معجم المؤلفين . لعمر رضا كحالة ، دار احياء التراث العربي ، بيروت .
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم . لعبد الباقي ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٦٤هـ .
- معجم مقاييس اللغة . لأحمد بن فارس بن زكريا - ٣٩٥هـ . ت : عبد السلام هارون ، ط ٢ ، مصطفى الحلبي بمصر ، ١٣٩٠هـ = ١٩٧٠م .
- كتاب المغازي . للواقدي - ٢٠٧هـ . ت : د. مارسدن جونس ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت .
- المغني . لأبي محمد عبد الله بن قدامة - ٦٢٠هـ ، تصوير مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض .
- المفرد العلم في رسم القلم . لأحمد الهاشمي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- مفهوم الشر ومصدره بين السلف والمعتزلة . لحمدان الحمدان ، رسالة ماجستير . جامعة الملك سعود بالرياض سنة ١٤٠٣هـ .
- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة . لمحمد السخاوي - ٩٠٢هـ تصحيح عبدالله الصديق ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م .
- مقالات الاسلاميين . لأبي الحسن الأشعري - ٣٢٤هـ . تصحيح : هلموت ريتر ، ط ٣ ، دار احياء التراث العربي ، بيروت .
- مقامع هامات الصلبان . أحمد الخزرجي - ٥٨٢هـ . ت : الشرفي ، الجامعة التونسية ١٩٧٥م .
- الملل والنحل . للشهرستاني - ٥٤٨هـ . ت : كيلاني ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م .
- المنار المنيف في الصحيح والضعيف . لابن قيم الجوزية - ٧٥١هـ . ت : أبو غدة ، ط ١ ، مكتب المطبوعات الاسلامية ، حلب ١٣٩٠هـ = ١٩٧٠م .
- موارد الضمآن الى زوائد ابن حبان . لعلي الهيثمي - ٨٠٧هـ . ت : محمد حمزة ، المطبعة السلفية بالقاهرة .
- المواقف في علم الكلام . لعضد الدين القاضي عبدالرحمن الأيجي - ٧٥٦هـ. عالم الكتب ، بيروت .
- الموطأ . للامام مالك بن أنس ، صححه وأخرج أحاديثه : عبد الباقي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت .

- ميزان الاعتدال في نقد الرجال . للذهبي - ٧٤٨هـ . ت : محمد البجاوي ، دار المعرفة ، بيروت .

- النبوات . لابن تيمية ، دار الفكر ، بيروت .

- نقض المنطق . لابن تيمية ، ت : حمزة والصنيع ، مكتبة السنة المحمدية ، القاهرة ، ١٣٧٠هـ .

- النهاية في غريب الحديث والأثر . المبارك بن محمد بن الأثير الجزري - ٦٠٦هـ ت : محمود الطناحي ، دار احياء الكتب العربية .

- نهج البلاغة . للشريف الرضي - ٤٠٦هـ ، دار الهدى الوطنية ، بيروت .

- هداية الحيارى . في أجوبة اليهود والنصارى . لابن القيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

- الوافي بالوفيات . لخليل الصفدي - ٧٦٤هـ . النشرات الاسلامية ، هيلموت ريتر ، ١٣٨١هـ = ١٩٦٢م .

- الوفا بأحوال المصطفى . لابن الجوزي - ٥٩٧هـ . صححه محمد النجار ، المؤسسة السعيدية بالرياض .

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان . لأحمد بن خلكان - ٦٨١هـ . ت :د.احسان عباس ، دار صادر ، بيروت .

* * *

فهرس الموضوعات

م	الموضـــــــوع	رقم الصفحة
١	المقـــدمة	٤
٢	خطة الدراسة والتحقيق	٧
٣	القسم الثاني : التحقيق	٨
٤	القسم الثالث : الفهارس	١١
٥	القسم الأول (الفصل الأول)	١٢
٦	ترجمة موجزة للشيخ : اسمه ونسبه	١٣
٧	مولده ونشأته	١٤
٨	شيوخة وتلامذته	١٥
٩	جهاده ومناقبه	١٦
١٠	آثاره العلمية	١٩
١١	نموذج من روايته للحديث	٢٣
١٢	نموذج من خطه ـ رحمه الله ـ	٢٤
١٣	وفاته وشيء من ثناء الناس عليه	٢٥
١٤	الفصل الثاني (عصر الشيخ)	٣٥
١٥	الحال السياسية	٣٦
١٦	الحال الاجتماعية	٣٨
١٧	الحال العقلية والعلمية	٤١
١٨	الفصل الثالث (دراسة القسم الثالث من الكتاب)	٤٣
١٩	نهج الشيخ في كتابة هذا القسم	٤٤
٢٠	عرض موجز لمواضيع الكتاب كله	٤٩

تابع ـ فهرس الموضوعات

م	الموضـــــــوع	رقم الصفحة
٢١	عرض مفصل لمحتويات القسم الثالث .	٥٥
٢٢	مصادر الشيخ في هذا القسم .	٦٤
٢٣	مآخذ ومقترحات .	٦٦
٢٤	وصف النسخ الخطية لهذا القسم .	٧١
٢٥	لوحات من هذه النسخ .	٧٧
٢٦	رموز مستخدمة في التحقيق .	٨٦
٢٧	القسم الثاني (التحقيق) .	٨٧
٢٨	فصل (مناقشة النصارى في اطلاق لفظ الجوهر على الله ـ تعالى ـ.	٨٨
٢٩	نقض دعواهم : الاستغناء باليهودية والنصرانية من ١٢ وجها .	١٤١
٣٠	اشتراطهم لصحة النبوة تبشير الغير بها والرد عليهم	٢٢٧
٣١	طرق العلم ببشارة الأنبياء بمحمد ـ عليهم الصلاة والسلام ـ	٢٣٨
٣٢	أهمية شهادات الكتب المتقدمة لمحمد ـ عليه السلام ـ وامثلة منها .	٢٧٨
٣٣	بشارة من الزبور وتفسيرها .	٣٠٩
٣٤	بشارة اخرى من الزبور .	٣١٩
٣٥	بشارة ثالثة من داود ـ عليه السلام ـ .	٣٢١
٣٦	بشارة رابعة من داود .	٣٢٧
٣٧	بشارة خامسة من داود .	٣٢٨
٣٨	بشارة من سفر اشعياء.	٣٣١
٣٩	بشارة الكتب المتقدمة بالمسيح ومحمد وانذارهما بالدجال .	٣٣٢
٤٠	بشارة اشعياء بشأن مكة .	٣٣٧

تابع ـ فهرس الموضوعات

م	الموضـــــــــوع	رقم الصفحة
٤١	بشارة ثالثة من أشعياء .	٣٣٩
٤٢	شهادة رابعة من اشعياء .	٣٤٠
٤٣	بشارة خامسة من اشعياء .	٣٤١
٤٤	بشارة سادسة من أشعياء .	٣٤٢
٤٥	بشارة سابعة من أشعياء .	٣٤٤
٤٦	بشارة ثامنة من أشعياء .	٣٤٥
٤٧	بشارة تاسعة من أشعياء .	٣٤٨
٤٨	بشارة بمحمد ـ عليه السلام ـ من حبقوق .	٣٤٩
٤٩	بشارة من حزقيال .	٣٥٣
٥٠	بشار تان من دانيال .	٣٥٦
٥١	بشارة ثالثة من دانيال .	٣٥٩
٥٢	مانقل من بشارات المسيح بمحمد ، والتعليق عليها .	٣٦٥
٥٣	براهين قرآنية مستقلة على نبوته ـ صلى الله عليه وسلم ـ .	٣٩٩
٥٤	الدلائل القاطعة عند أهل مكة على صدق الرسول ونبوته .	٤٣٧
٥٥	جلاء آيات النبوة وتنوعها وكثرتها .	٤٨٠
٥٦	التحقيق في اسم المعجزة والآية والكرامة واطلاقهن .	٤٨٥
٥٧	بحث في الأعجاز القرآني .	٤٩١
٥٨	شخصية الرسول وشريعته وامته وكرامات الصالحين منها كل ذلك من آياتـــه .	٥٠٢
٥٩	نقل الناس لصفاته ـ عليه السلام ـ الدالة على كماله .	٥١٣
٦٠	فضل أمة محمد على غيرها في الايمان والعمل آية لنبوته .	٥٤٩

م	الموضوع	رقم الصفحة
٦١	توسط المسلمين واعتدالهم في التوحيد والنبوات والحرام والحلال وغير ذلك .	٥٦٣
٦٢	اقسام مدعى النبوة ودلالة ذلك على صدقه ـ عليه السلام ـ .	٥٨٦
٦٣	من آيات النبوة : قصة الفيل ، وحراسة السماء . (آخر المجلد الاول)	٥٩٦
٦٤	من آيات النبوة ماثبت بالقرآن أو بالتواتر وهو أكثر .	٦١٠
٦٥	اخباره ـ عليه السلام ـ بالكثير من الغيوب الماضية والحاضرة والمستقبلة من أعظم آيات نبوته .	٦٢١
٦٦	آيات النبي المتعلقة بالقدرة والفعل والتأثير .	٧٢٨
٦٧	تصرفه ـ عليه السلام ـ في الحيوان من آيات نبوته .	٧٥٣
٦٨	التأثير في الاشجار والخشب من آيات نبوته ـ عليه السلام ـ .	٧٧٧
٦٩	تكثير الماء والطعام والثمار من آيات النبوة .	٧٨٣
٧٠	قصص تكثير الطعام من أعلام نبوته ـ عليه الصلاة والسلام ـ .	٨٠٠
٧١	من آيات النبوة تكثير الثمار .	٨١٦
٧٢	تسخير الأحجار له ـ عليه السلام ـ من أعلام نبوته .	٨٢٥
٧٣	تأييد الله لرسوله بالملائكة : من أعلام نبوته .	٨٣٣
٧٤	حفظ الله لنبيه من أعلام نبوته .	٨٤١
٧٥	اجابة دعوته ـ عليه السلام ـ من أعلام نبوته .	٨٦٦
٧٦	ست طرق كبرى للقطع بنبوة محمد ـ عليه السلام ـ .	٨٩٧
٧٧	التواتر العام والتواتر الخاص طريقان قطعيان للعلم بالنبوة .	٩١٣
٧٨	من طرق العلم القطعي بالنبوة : التواتر المعنوي .	٩٣٣

تابع ـ فهرس الموضوعات

م	الموضـــــــوع	رقم الصفحة
٧٩	حضور الخلق الكثير للآية وتصديقها ، طريق للعلم بالنبوة .	٩٤٢
٨٠	تواتر انواع من آيات النبوة عند كل صنف من العلماء .	٩٤٦
٨١	تصنيف العلماء في آيات النبوة .	٩٤٩
٨٢	ادلة قرآنية على مجيء الرسل بالآيات .	٩٧٩
٨٣	من آيات الأنبياء : اهلاك مكذبيهم .	٩٨٥
٨٤	آيات الأنبياء : تكون قبل بعثهم ، وفي حياتهم ، وبعد موتهم	١٠٠٥
٨٥	دلائل النبوة : اخبار تحمل الترغيب والترهيب .	١٠٢١
٨٦	من طلب آية ثانية وثالثة : هل يجب ؟ والحكمة في تتابع الآيات .	١٠٢٥
٨٧	كل مايقال في آيات النبوة متصل بطبيعة الخبر .	١٠٤٧
٨٨	احوال وشواهد صدق المخبر وكذبه .	١٠٧٩
٨٩	فهرس الآيات الكريمة .	١١٢٤
٩٠	فهرس الأحاديث الشريفة والآثار .	١١٤٦
٩١	فهرس النصوص الكتابية .	١١٥٨
٩٢	فهرس الاعلام .	١١٦٠
٩٣	فهرس الأماكن .	١١٨٠
٩٤	فهرس الفرق والطوائف .	١١٨٦
٩٥	فهرس القبائل والأمم .	١١٨٧
٩٦	فهرس الألفاظ الغريبة .	١١٨٨
٩٧	فهرس الأشعار .	١١٩٠
٩٨	فهرس أسماء الكتب .	١١٩١
٩٩	فهرس المصادر والمراجع .	١١٩٢
١٠٠	فهرس الموضوعات .	١٢٠٤

بسم الله الرحمن الرحيم

تنويه

الحمدلله .. وبعد :

فأنني آمل من كل أخ كريم يجد أي ملاحظة على هذا البحث ـ مهما كانت صغيرة ـ أن يتصل بالباحث على عنوانه :

حمدان بن محمد الحمدان

ص.ب : ٥٣١٤٢

الرياض ١١٥٨٣

المملكة العربية السعودية

وأن يحتسب هذا الأخ الأجر والثواب في كتابة وتغليف وإرسال هذه الإفادة ، كما أتعهد من جانبي بأشعاره بوصولها أو إبلاغه برأيي نحوها على عنوانه البريدي ، أو الهاتفي .

والله الموفق ،،

الباحث